كتب في
التوسل والاستغاثة والتبرك

الكتاب رقم الصفحة

1 الإيضاح والتبيين في حكم الاستعانة بالأموات والغائبين.. 2
2 كيف نفهم التوسل..................................... 44
3 التوسل والرد على الشبهات التي حوله................115
4 الاحاديث الواردة في التحذير من الشرك وبيان خطره.. 145
5 موقف الشافعية المتأخرين من بدع القبور والاستغاثة. 197
6 التوسل المشروع والممنوع............................ 218
7 التوسل بين المشروع والمنع.......................... 231
8 رسالة في التوسل والتبرك القبور...................... 236
9 التبرك المشروع والممنوع............................ 266
10 التبرك أنواعه وأحكامه.................................. 336

قناة الكتب المدمجة

دمج وفهرسة الكتب ذات الأجزاء المتعددة



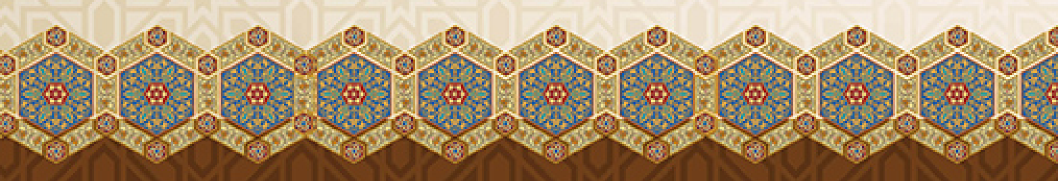


في حكم الاستغاثة بالأموات والغائبين

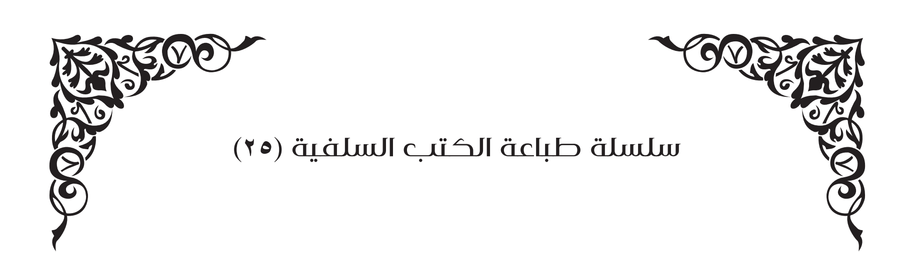


للعلامة





إهداء من
جمعية العدان والقصور التعاونية



سلسلة طباعة الكتب السلفية (٢٥)

الإيضاح والتبيين

في حكم الاستغاثة بالأموات والغائبين

للعلامة

عبد المحسن بن حمد العباد البدر



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك الحق المعبود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المختص بالدعاء والاستغاثة والركوع والسجود، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صاحب المقام المحمود والحوض المورود وأفضل والد وأشرف مولود، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله ذوي السؤدد وشرف الجدود وعلى أصحابه أهل الفضل والنبل والكرم والجود، وعلى كل من جاء بعدهم يعبد الله وحده سالما من أنواع الكفر وكل محدث مردود.

أما بعد؛ فإن من المعلوم أن أصل الأصول توحيد الله عز وجل في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والعلم بهذا الأصل أجل العلوم وأهمها وأشرفها، ومعرفته على التفصيل من الغيب الذي لا يُعرف إلا بالوحي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفقاً لفهم السلف الصالح وسلوكاً

لطريقهم، قال ابن أبي العز الحنفي في مطلع كتابه شرح العقيدة الطحاوية: «أما بعد، فإنه لما كان علم أصول الدين أشرف العلوم؛ إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع، ولهذا سمى الإمام أبو حنيفة رحمة الله عليه ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين: الفقه الأكبر، وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه، ومن المحال أن تستقل العقول بمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل، فاقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرِّفين، وإليه داعين، ولمن أجابهم مبشرين، ولمن خالفهم منذرين، وجعل مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم معرفة المعبود سبحانه بأسمائه

وصفاته وأفعاله؛ إذ على هذه المعرفة تُبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها)).

وقد جاءت أدلة الكتاب والسنة مبينة أن توحيد الله في عبادته هو موضوع دعوة الرسل إجمالاً وتفصيلاً، فمن الإجمال قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ **يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ** ﴾، وقوله: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ** ﴾، وقوله: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ** ﴾، وأما التفصيل فإن قصص الأنبياء في القرآن الكريم تُفتتح غالباً بدعوتهم أممهم إلى إفراد الله بالعبادة وعدم اتخاذ الأنداد له سبحانه وتعالى كما في سور الأعراف وهود والشعراء وغيرها.

وجاءت نصوص الكتاب والسنة في بيان أهمية هذا النوع من أنواع التوحيد، ومن ذلك أن خلق الجن والإنس

لتكليفهم بالعبادة، وأن توحيد العبادة هو حق الله على عباده، وأن أعظم شيء دعت إليه الرسل هو توحيد العبادة، وأن توحيد العبادة هو أول مأمور به وأن ضده الشرك أول منهي عنه، وأن أفضل الأعمال التوحيد، وأعظم الذنوب الشرك، وأن أول أمر في القرآن الأمر بعبادة الله وأول نهي فيه النهي عن الشرك، وذلك في قول الله ﷻ: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ** ﴾، وأن النبي ﷺ بدأ دعوته بالتوحيد وختمها بالتوحيد، وأن بدء الحياة السعيدة بالتوحيد وختمها بالتوحيد، وأن ثواب المؤمنين أعظم ثواب وعقاب الكافرين أشد عقاب، وأنه لا أسفه من عقل من عبد مع الله غيره، وقد أوردت الأدلة في بيان هذه الوجوه

لأهمية توحيد الألوهية في رسالة بعنوان **أهمية توحيد العبادة** طبعت عام ١٤٢٩هـ.

وتوحيد الله هو الأصل والشرك طارئ عليه؛ لقوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه...» الحديث رواه البخاري (١٣٨٥) ـ واللفظ له ـ ومسلم (٢٦٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي صحيح مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه: «...وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرَّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزل به سلطاناً» الحديث، فهذان الحديثان يدلان على أن الناس مفطورون على التوحيد، وأن الخروج عنه إلى الشرك يحصل بواسطة الأبوين المشركين وغيرهما من الشياطين، ولا يقال: إن ذلك معارَض بقوله تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته،

فاستهدوني أهدكم» وهو جزء من حديث طويل رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه (٦٥٧٢)؛ لأن الحديث في بيان وقوع الضلال وكثرته وأن المسلمين يحرصون على سؤال الله الهداية للصراط المستقيم فيكونون بذلك من القليل الناجي لا من الكثير الهالك، وهو نظير قول الله عز وجل: ﴿ **وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ** ﴾، فإن هذه السورة تدل على خسارة كل إنسان، وأنه لا ينجو من هذا الخسران إلا أهل الصفات الأربع التي جاءت في الاستثناء.

وقد ذكر البخاري في صحيحه أصل حدوث الشرك في قوم نوح في «**باب** ﴿ **وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ** ﴾»، فأسند عن ابن عباس رضي الله عنهما (٤٩٢٠) قال: «...أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا في مجالسهم التي

كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عُبدَت»، قال الحافظ في شرحه (٨/ ٦٦٩): «ولأبي ذر والكشميهني: ونُسخ العلم، أي علم تلك الصور بخصوصها»، وفي هذا دليل على أن أول حدوث الشرك كان سببه فتنة الصور والتماثيل.

وقبل حدوث الشرك في قوم نوح كان الناس على الحق والهدى، فقد روى ابن جرير عند تفسير قول الله تعالى: ﴿**كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً**﴾ بإسناد صحيح على شرط مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله: (كان الناس أمة واحدة فاختلفوا)»، ورواه الحاكم (٢/ ٥٤٦) وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجه ووافقه الذهبي، وفي إسنادي ابن

جرير والحاكم أبو داود الطيالسي وهو على شرط مسلم ولم يخرج له البخاري إلا تعليقاً، ولما أورد ابن كثير في تفسيره هذا الأثر عن ابن عباس أورد عنه أثراً آخر بخلافه ثم قال: «والقول الأول عن ابن عباس أصح سنداً ومعنى؛ لأن الناس كانوا على ملّة آدم ـ عليه السلام ـ حتى عبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم نوحاً ـ عليه السلام ـ، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض»، وقد جاء وصف نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنه أول رسول إلى أهل الأرض في حديث الشفاعة الطويل أخرجه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (٤٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه، والمعنى أنه أول رسول إلى أهل الأرض بعد حدوث الشرك، وقد قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾ الآية.

وأما ما أخبر الله به عن قوم نوح أنهم كذبوا الرسل في قوله: ﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ ﴾،

وقوله: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ مع أن شركهم أول شرك وأن رسولهم نوحا أول رسول إلى أهل الأرض بعد حدوث الشرك، فوجهه أنهم لما كذبوه فهم مكذبون بالرسل جميعهم؛ لأن من كذَّب رسولاً واحداً فهو مكذب للرسل جميعهم.

وأما ما ذكره البخاري في كتاب الأنبياء: «باب ذكر إدريس عليه السلام» وأنه من أجداد نوح وكذا في كتب التاريخ كالبداية والنهاية لابن كثير (١/ ٢٣٧) فلا أعلم ما يدل على ثبوت ذلك بل جاء في حديث الإسراء في صحيح البخاري (٣٨٨٧) ومسلم (٤١٥) أنه ﷺ لما لقي إدريس في السماء الرابعة قال له: «مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح»، والأنبياء من بعد نوح من ذريته كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾، فلو كان إدريس جَدّاً لنوح لكان ﷺ من ذريته ولقال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح كما قال

ذلك: آدم وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام في حديث الإسراء.

وقد جاء في القرآن الكريم إجمالاً وتفصيلاً أن الشرك وقع في الأمم اتباعاً لملة الآباء والأجداد، فمن الإجمال قول الله عز وجل في سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾ إلى قوله: ﴿قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾، وقوله في سورة الزخرف: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾.

وأما التفصيل فقد قال الله عن قوم نوح في سورة المؤمنون: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ

مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾، وقال عن قوم هود في سورة الأعراف: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾، وقال عن قوم صالح في سورة هود: ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾، وقال عن إبراهيم وقومه في سورة الأنبياء: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾، وقال عن قوم شعيب في سورة هود: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾، وقال عن قوم موسى في سورة يونس: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا ﴾، وأما نبينا محمد ﷺ فقد قال الله عن رد قومه عليه في سورة

البقرة: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾، وقال عنهم في سورة سبأ: ﴿ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ ﴾.

وجاء في القرآن الكريم تسفيه عقول المشركين في عبادتهم مع الله غيره مِن المخلوقات فقال تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾، وقال: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾، وقال: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾، وقال: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾، وقال: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾، وقال: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾، وقال عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وأنه قال لقومه: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وتوحيد الألوهية الذي هو موضوع دعوة الرسل هو إفراد الله بالعبادة وتوحيده بأفعال العباد كالدعاء والخوف والرجاء والتوكل والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة، فإنه يجب أن تكون كل هذه الأفعال خالصة لله ﷻ لا شريك له فيها، كما قال الله ﷻ: ﴿ **وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا** ﴾، وقال: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا** ﴾.

وضد التوحيد الشرك وهو الذنب الذي لا يُغفر كما قال الله ﷻ: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾، في آيتين من سورة النساء، وهو أعظم ذنب عُصي الله به، كما في صحيح البخاري (٤٤٧٧) ومسلم (٢٥٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً

وهو خلقك» الحديث.

وتقدم في الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أول حدوث الشرك كان سببه فتنة الصور والتماثيل، وجاء في القرآن الكريم تسمية التماثيل التي تُعبد مع الله أصناماً، كما قال الله عز وجل عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾، وقال: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾، وقال عن موسى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ

يَعۡمَلُونَ﴾.

ثم إنه وقع في الأمم قبل أمة محمد ﷺ فتنة البناء على القبور واتخاذها مساجد، وجاءت عن النبي ﷺ أحاديث صحيحة محكمة في تحذير هذه الأمة من هذا الذي وقعت فيه الأمم قبلها؛ لأن ذلك من وسائل الشرك، ومن هذه الأحاديث ما ثبت في صحيح مسلم (٢٢٤٣) عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي عليّ بن أبي طالب: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سوّيته» وفي لفظ: «ولا صورة إلا طمستها»، وثبت في صحيح البخاري (٥٨١٥) ومسلم (١١٨٧) من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهم قالا: «لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذِّر ما صنعوا»، وقولهما

رضي الله عنهما في الحديث: «لما نزل» يعنيان الموت، قال الحافظ في الفتح (١/ ٥٣٢) في شرح هذا الحديث: «وكأنه ﷺ علم أنه مرتحل من ذلك المرض، فخاف أن يُعظَّم قبره كما فعل من مضى، فلعن اليهود والنصارى إشارة إلى ذم من يفعل فعلهم»، وفي صحيح مسلم (١١٨٨) من حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك».

فلا يجوز ترك العمل بهذه الأحاديث المحكمة التي قال النبي ﷺ بعضها في أواخر أيامه وبعضها في آخر لحظاته ﷺ، وفي مقابل ذلك الأخذ بالمتشابه في قوله تعالى

في قصة أصحاب الكهف: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾؛ لأن الآية ليس فيها حمد الذين عزموا على اتخاذ المسجد عليهم، وإن كان وقع منهم فعل هذا الذي عزموا عليه فهو من جملة ما دلت عليه تلك الأحاديث المحكمة من ذم من فعل ذلك في الأمم السابقة، وقد نُهيت هذه الأمة عن فعلهم كما هو واضح في حديث جندب السابق في قوله ﷺ: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك».

وليس لأحد أن يتعلق بوجود قبره ﷺ في مسجده لتجويز بناء المساجد على القبور أو دفن الموتى في المساجد؛ لأن فضله ثابت والصلاة فيه مضاعفة، وهي خير من ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام كما ثبتت بذلك السنة عن رسول الله ﷺ، سواء

في ذلك ما كان قبل دخول القبر أو بعد دخوله؛ لأن النبي ﷺ هو الذي بنى مسجده ﷺ، وبنى بجواره بيوت أزواجه خارجا منه، وبعد موته ﷺ دُفن في بيت عائشة رضي الله عنها، وقد بقيت البيوت على ما هي عليه خارج المسجد في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وعهد معاوية رضي الله عنه، وفي عهد خلفاء آخرين من خلفاء بني أمية، وفي أثناء عهد بني أمية وُسع المسجد وأُدخل القبر فيه، فلا يجوز ترك الأحاديث المحكمة والتعويل على عمل حصل في أثناء عهد بني أمية.

وقد جاء عن العلماء أن البناء على القبور واتخاذها مساجد وتعظيمها والغلو في أصحابها سبب وأصل عبادة الأصنام، قال الفخر الرازي (٦٠٦هـ) في تفسيره (١٧/ ٦٠) عند قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ** ﴾ قال: «ونظيره في هذا الزمان

اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر؛ على اعتقاد أنهم إذا عظَّموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله»، قال ذلك مشبها ما يحصل من كثير من الناس من تعظيم القبور وطلب الشفاعة من أصحابها بما حصل من عبّاد الأصنام في تعظيمها وعبادتها لتشفع لهم عند الله.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) في مجموع الفتاوى (٢٧/ ٧٩): «وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها وفيها ونحو ذلك هو أصل الشرك وعبادة الأوثان».

وذكر ابن القيم (٧٥١هـ) في كتابه زاد المعاد (٣/ ٥٧٢) في الفوائد المتعلقة بغزوة تبوك أمر النبي ﷺ بهدم مسجد الضرار ثم قال: «ومنها أن الوقف لا يصح على غير بر ولا قربة كما لم يصح وقف هذا المسجد ـ يعني مسجد الضرار ـ وعلى هذا فيُهدم المسجد إذا بُني على قبر، كما يُنبش الميت إذا دُفن في المسجد، نص على ذلك الإمام

أحمد وغيره، فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، بل أيهما طرأ على الآخر منع منه وكان الحكم للسابق، فلو وضعا معاً لم يجز...».

وقد جلَّ الخطب وعظمت المصيبة في ابتلاء كثير من البلاد الإسلامية بالوقوع في فتنة البناء على القبور واتخاذها مساجد، وهي من أعظم الوسائل المفضية إلى الشرك، الذي هو دعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وكشف الكربات وغير ذلك مما لا يجوز أن يُطلب من غير الله.

ولما ذكر ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (٣/ ٥٧١) أمر النبي ﷺ بهدم مسجد الضرار قال: «وإذا كان هذا شأن مسجد الضرار فمشاهد الشرك التي تدعو سدنتها إلى اتخاذ من فيها أنداداً من دون الله أحق بالهدم وأوجب، وكذلك محالُّ المعاصي والفسوق كالحانات وبيوت الخمارين وأرباب المنكرات»، وقال أيضاً في كتابه إعلام

الموقعين (٣/ ١٥١) في الوجوه التسعة والتسعين التي أوردها في سد الذرائع قال: «الوجه الثالث عشر: أنَّ النَّبيَّ ﷺ نهى عن بناء المساجد على القبور ولَعَن مَن فعل ذلك، ونهى عن تجصيص القبور وتشريفها واتِّخاذها مساجد، وعن الصلاة إليها وعندها، وعن إيقاد المصابيح عليها، وأمر بتسويتها، ونهى عن اتِّخاذها عيداً، وعن شدِّ الرحال إليها؛ لئلاَّ يكون ذلك ذريعةً إلى اتِّخاذها أوثاناً والإشراك بها، وحرم ذلك على مَن قصده ومن لم يقصده، بل قصد خلافه سدًّا للذريعة».

وذكر ابن كثير (٧٧٤هـ) رحمه الله في كتابه البداية والنهاية (١٤/ ١٧٠) في حوادث سنة ثمان ومائتين وفاة السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ـ وقبرها في مصر ـ والغلو فيها وقال: «وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها، وقد أمر النبي ﷺ بتسوية القبور وطمسها، والمغالاة في البشر

حرام».

ومن أبواب كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ) رحمه الله: «باب: ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جَنَاب التوحيد وسدِّه كل طريق يوصل إلى الشرك»، و«باب ما جاء أنَّ الغلوَّ في قبور الصالحين يُصيِّرها أوثاناً تُعبدُ من دون الله»، و«باب ما جاء أنَّ سببَ كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلوُّ في الصالحين»، و«باب ما جاء من التغليظ فيمن عَبَد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبَده؟!»، وقد أورد آيات وأحاديث وآثاراً في ذلك، كما هي طريقته رحمه الله في هذا الكتاب.

وقد ألف الإمام الشوكاني (١٢٥٠هـ) رحمه الله رسالة سماها (**شرح الصدور بتحريم رفع القبور**) حكى فيها إجماع أهل العلم على تحريم ذلك وساق جملة من الأحاديث في هذه المسألة، ومما قاله في هذه الرسالة: «فلا شكَّ ولا ريبَ أنَّ السبب الأعظم الذي نشأ منه هذا

الاعتقاد في الأموات هو ما زيَّنه الشيطانُ للناس من رَفع القبور، ووضع الستور عليها، وتجصيصها وتزيينها بأبلغ زينة، وتحسينها بأكمل تحسين، فإنَّ الجاهل إذا وقعت عينُه على قبر من القبور قد بُنيت عليه قبة فدخلها، ونظر على القبور الستور الرائعة، والسُّرُجَ المتلألئة، وقد سطعت حوله مَجامرُ الطِّيب، فلا شكَّ ولا ريبَ أنَّه يَمتلئُ قلبُه تعظيماً لذلك القبر، ويَضيق ذهنه عن تصوُّر ما لهذا الميت من المنزلة، ويدخله مِن الروعة والمهابة ما يزرع في قلبه من العقائد الشيطانية، التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين، وأشدِّ وسائله إلى ضلال العباد، ما يُزلزلُه عن الإسلام قليلاً قليلاً، حتى يطلب من صاحب ذلك القبر ما لا يقدر عليه إلَّا الله سبحانه، فيصير في عداد المشركين، وقد يحصل له هذا الشرك بأوَّل رؤية لذلك القبر الذي صار على تلك الصفة، وعند أوَّل زَوْرَة له؛ إذ لا بدَّ أن يخطر بباله أنَّ هذه العنايةَ البالغة من الأحياء بمثل هذا

الميت لا تكون إلَّا لفائدة يرجونها منه، إما دنيوية أو أخروية، فيستصغرُ نفسَه بالنسبة إلى مَن يراه من أشباه العلماء زائراً لذلك القبر، وعاكفاً عليه ومتمَسِّحاً بأركانه».

ويتضح مما تقدم أن البناء على القبور والافتتان بها وتعظيمها من أعظم الوسائل المؤدية إلى الشرك.

وأما دعاء أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وكشف الكربات وكذا دعاء الغائبين من الجن والإنس والملائكة فهو شرك مخرج من الملّة، ومن كانت هذه حاله فإنه لا يجوز أن يصلَّى وراءه، ومن مات وهو كذلك فإنه لا يُغسَّل ولا يُصلَّى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين ومآله إلى دخول النار والخلود فيها؛ كما قال الله ﷻ: ﴿ **إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ** ﴾، وهذا حكم من قامت عليه الحجة، أما من لم تقم عليه وعاش في بلاد لا يعرف الإسلام إلا أنه الغلو في الصالحين والاستغاثة

بهم ودعاؤهم مغتراً بأشباه العلماء الذين يزينون للناس هذا الباطل ويسكتون على شركهم وعبادتهم غير الله فهذا ظاهره الكفر ويُعامَل في الدنيا معاملة من قامت عليه الحجة فلا يُصلَّى وراءه ولا يُصلَّى عليه إذا مات ولا يُدعى له ولا يُحج عنه، وأمره في الآخرة إلى الله لكونه من جنس أهل الفترات الذين لم تبلغهم الرسالات وهم يمتحنون يوم القيامة، وبعد الامتحان ينتهون إلى الجنة أو إلى النار، وقد أورد ابن كثير في تفسيره لقول الله عز وجل ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولاً**﴾ جملة من الأحاديث في ذلك، وقال: «إن أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح كما قد نص على ذلك غير واحد من أئمة العلماء،ومنها ما هو حسن، ومنها ما هو ضعيف يقوى بالصحيح والحسن، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متعاضدة على هذا النمط أفادت الحجة عند الناظر فيها».

وأما من كان من الإنس حاضراً أو في حكم الحاضر

ـ كمن يكلِّم بالهاتف ـ فإن سؤاله الإغاثة فيما يقدر عليه من الأمور الحسية كإعانته بالمال قرضاً أو إحساناً أو مساعدته في حاجات أخرى يقدر عليها فلا محذور في ذلك؛ كما قال الله ﷻ عن موسى: ﴿ **فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ** ﴾.

ويتضح مما تقدم أن هناك فرقاً بين كفر من قامت عليه الحجة ومآل أصحابه إلى النار والخلود فيها، وبين كفر من لم تقم على أصحابه الحجة ككفر أهل الفترات ومن في حكمهم ممن نشأوا على الغلو في الصالحين والاستغاثة بهم لا يعرفون الإسلام إلا أنه هذا العمل مقتدين بأشباه العلماء الذين أضلوهم، فإن هؤلاء أمرهم إلى الله يُمتحنون يوم القيامة ويكون مآل بعضهم بعد الامتحان إلى الجنة ومآل بعضهم إلى النار.

ومما يوضح أن مصيبة العوام سببها اغترارهم واقتداؤهم بأشباه العلماء، أن شيخاً كبيرا في بلده له

مكانة مرموقة أَلَّف رسالة عن السيد البدوي وذكر في مقدمتها أنه كتب الأسطر الأولى منها وهو في المقصورة المباركة، يعني بذلك ضريح البدوي! وآخر كان عميداً لكلية شرعية في إحدى الدول العربية سمعته يقول أنه عندما زار قبر النبي ﷺ لا يذكر شيئاً قاله إلا قوله: «جئتك يا رسول الله»! يشير بذلك إلى قول الله ﷻ: **﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾**، وسيأتي بيان معنى الآية.

وما جاء في هذه الرسالة من التفصيل بين من قامت عليه الحجة ومن لم تقم عليه هو المعتمد، وأي كلام مسموع أو مقروء جاء عني يُفهم منه خلاف ذلك لا يُعوَّل عليه، وإنما التعويل على ما جاء في هذه الرسالة من التفصيل.

وهذا التفصيل الذي ذكرته قريب مما قاله شيخنا

الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجموع الفتاوى (١/ ٤٩): «ولكن الغالب على عباد القبور هو التقرب إلى أهلها بالطواف بها، كما يتقربون إليهم بالذبح لهم والنذر لهم، وكل ذلك شرك أكبر، من مات عليه مات كافراً لا يغسَّل ولا يُصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، وأمره إلى الله عَزَّ وَجَلَّ في الآخرة إن كان ممن لم تبلغه الدعوة فله حكم أهل الفترة».

وقال أيضاً في (٩/ ٤٠): «من مات على الشرك فهو على خطر عظيم» ثم ذكر آيات، ثم قال: «فهذا وعيدهم ومصيرهم كسائر الكفرة الكفر الأكبر، وحكمهم في الدنيا أنهم لا يغسلون ولا يصلى عليهم ولا يدفنون في مقابر المسلمين، أما إن كان أحد منهم لم تبلغه الدعوة ـ أعني القرآن والسنة ـ فهذا أمره إلى الله سبحانه يوم القيامة كسائر أهل الفترة، والأرجح عند أهل العلم في ذلك في حكمهم أنهم يمتحنون يوم القيامة، فمن أجاب

دخل الجنة ومن عصى دخل النار» إلى أن قال: «أما إن كان أحد منهم عنده جهل فيما وقع فيه من الشرك فأمره إلى الله جلَّ وعلا، والحكم على الظاهر، فمن كان ظاهره الشرك حكمه حكم المشركين وأمره إلى الله ـ جلَّ وعلا ـ الذي يعلم كل شيء سبحانه وتعالى».

وقد جاء عن الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ فتاوى كثيرة فيها إطلاق القول بكفر المستغيثين بغير الله من الأموات والغائبين، وكلامه الذي أوردته فيه التفريق بين من قامت عليه الحجة ومن لم تقم عليه، فيُحمل كلامه الذي كفَّر فيه من قامت عليه الحجة على الكفر الواضح البيِّن الذي مآل أصحابه إلى النار والخلود فيها، وذلك بخلاف من لم تقم عليه الحجة وكان ظاهر حاله الكفر، وعُومل في الدنيا معاملة الكفار فإن مآل هؤلاء في الآخرة بعد الامتحان إما إلى الجنة وإما إلى النار، وبذلك يُجمع بين ما جاء عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الإجمال في التكفير مطلقاً

وبين التفصيل.

وأما قول الله ﷻ: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا** ﴾ فليس المراد به المجيء إلى قبره ﷺ بعد وفاته، بل المراد به المجيء إليه في حياته ﷺ كما فهمه الصحابة رضي الله عنهم، وقد أوضحت ذلك في رسالة **أهمية توحيد العبادة** (ص ٦٩) بقولي: «وأصحاب القبور يزارون ويُدعى لهم ولا يُدعَون، ويُطلب من الله لهم ولا يُطلب منهم شيء، لا دعاء ولا شفاعة ولا جلب نفع ولا دفع ضر؛ فإن ذلك إنما يُطلب من الله، والله سبحانه وتعالى هو الذي يُدعى ويُرجى، وغيرُه يُدعى له ولا يُدعى؛ والدليل على ذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في حياته يطلبون منه الدعاء فيدعو لهم، وبعد موته ﷺ في حياته البرزخية ما كانوا يذهبون إلى قبره ﷺ فيطلبون منه الدعاء، ولهذا لما حصل الجدب في زمن عمر

ﷺ استسقى بالعباس ﷺ وطلب منه الدعاء، فقد روى البخاري في صحيحه (١٠١٠) عن أنس أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: «اللهم إنا كنّا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيُسقون»، ولو كان طلب الدعاء من النبي ﷺ بعد موته سائغاً لما عدل عنه عمر ﷺ إلى الاستسقاء بالعباس.

وجاء في فتح الباري (٢/ ٤٩٥) قول الحافظ ابن حجر: «وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار ـ وكان خازن عمر ـ قال: (أصاب الناسَ قحطٌ في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! استسق لأمتك؛ فإنهم قد هلكوا، فأُتي الرجل في المنام فقيل له: ائت عمر) الحديث، وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة»، وهذا

الأثر في مصنف ابن أبي شيبة (١٢٠٥١) إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم إلى أبي صالح، وأما مالك الدار فمجهول، فلا يكون الأثر ثابتاً، وأيضاً الرجل السائل مبهم غير معروف، وأما تسميته ببلال بن الحارث المزني الصحابي فلا يصح؛ لأن الذي رواه سيف بن عمر وهو ضعيف لا يحتج به، وترجمته في تهذيب التهذيب مشتملة على ما قيل فيه من الجرح الشديد، وانظر تفصيل ذلك في كتاب «التوسل: أنواعه وأحكامه» للشيخ الألباني رحمه الله (ص: ١١٦).

ويدل أيضاً لكون النبي ﷺ لا يُطلب منه الدعاء بعد موته ما رواه البخاري في صحيحه (٧٢١٧) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «وا رأساه! فقال رسول الله ﷺ: ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك، فقالت عائشة: وا ثكلياه! والله إني لأظنك تحب موتي...» الحديث، فلو كان يحصل منه الدعاء والاستغفار بعد موته ﷺ لم يكن هناك

فرق بين أن تموت قبله أو يموت قبلها ﷺ، وهذا الحديث مبيِّن لقول الله ﷻ: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا** ﴾، وأن المجيء إليه وحصول الاستغفار والدعاء منه إنما يكون في حياته وليس بعد موته ﷺ، والسّنّة تفسر القرآن وتبيِّنه وتوضّحه.

وأسأل الله ﷻ أن يوفق المسلمين للفقه في دينهم والثبات على الحق الذي جاء في كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ وأن يهدي ضالهم ويرشد حائرهم، إنه سبحانه وتعالى جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحتويات

بيان أن علم أصول الدين أشرف العلوم وأجلها ٣
موضوع دعوة الرسل إفراد الله بالعبادة ٥
بيان وجوه أهمية توحيد العبادة.............................. ٥
توحيد الله بالعبادة هو الأصل والشرك طارئٌ عليه ٧
بيان وجه الجمع بين أحاديث الفطرة على التوحيد وحديث «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته» ٧
أول حدوث الشرك كان في قوم نوح ٨
بيان أن الناس قبل نوح كانوا على التوحيد ٩
نوح أول رسول بعد حدوث الشرك ١٠
بيان وجه كون قوم نوح كذبوا الرسل مع أنهم إنما كذبوا رسولهم ١٠
ذكر الدليل على أن إدريس عليه الصلاة والسلام ليس من آباء النبي ﷺ ١١
الأدلة على أن الشرك حصل من المشركين اتباعاً لملّة الآباء والأجداد ١٢
الأدلة على تسفيه عقول المشركين لعبادتهم المخلوقات مع الله.... ١٤
بيان معنى توحيد الألوهية ١٦

الشرك أعظم ذنب عصي الله به ١٦
تسمية التماثيل التي تعبد مع الله أصناماً...... .... ١٧
الأدلة على تحريم البناء على القبور واتخاذها مساجد ١٨
بيان أن آية الكهف لا دليل فيها على جواز اتخاذ القبور مساجد.. ٢٠
لا دليل في وجود قبره ﷺ في مسجده على تجويز اتخاذ القبور مساجد.. ٢٠
من كلام العلماء في بيان أن البناء على القبور واتخاذها مساجد من وسائل الشرك.. ٢١
كلام الفخر الرازي... ٢١
كلام شيخ الإسلام ابن تيمية............................... ٢٢
كلام ابن القيم... ٢٢
كلام ابن كثير... ٢٤
كلام الإمام محمد بن عبد الوهاب............................ ٢٥
كلام الإمام الشوكاني...................................... ٢٥
دعاء أصحاب القبور والغائبين والاستغاثة بهم من الشرك المخرج من الملّة.. ٢٧

الفرق بين حكم من قامت عليه الحجة وحكم من لم تقم عليه....٢٧
من كلام الشيخ عبد العزيز بن باز في ذلك....................٣١
معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ الآية........٣٣
الأدلة على أنه لا يطلب من النبي ﷺ بعد موته دعاء واستغفار.......٣٤

إصدارات مشروع طباعة الكتب السلفية







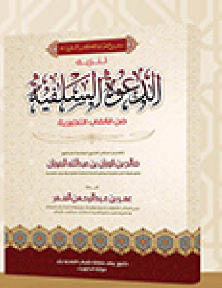




المجموعة الثانية







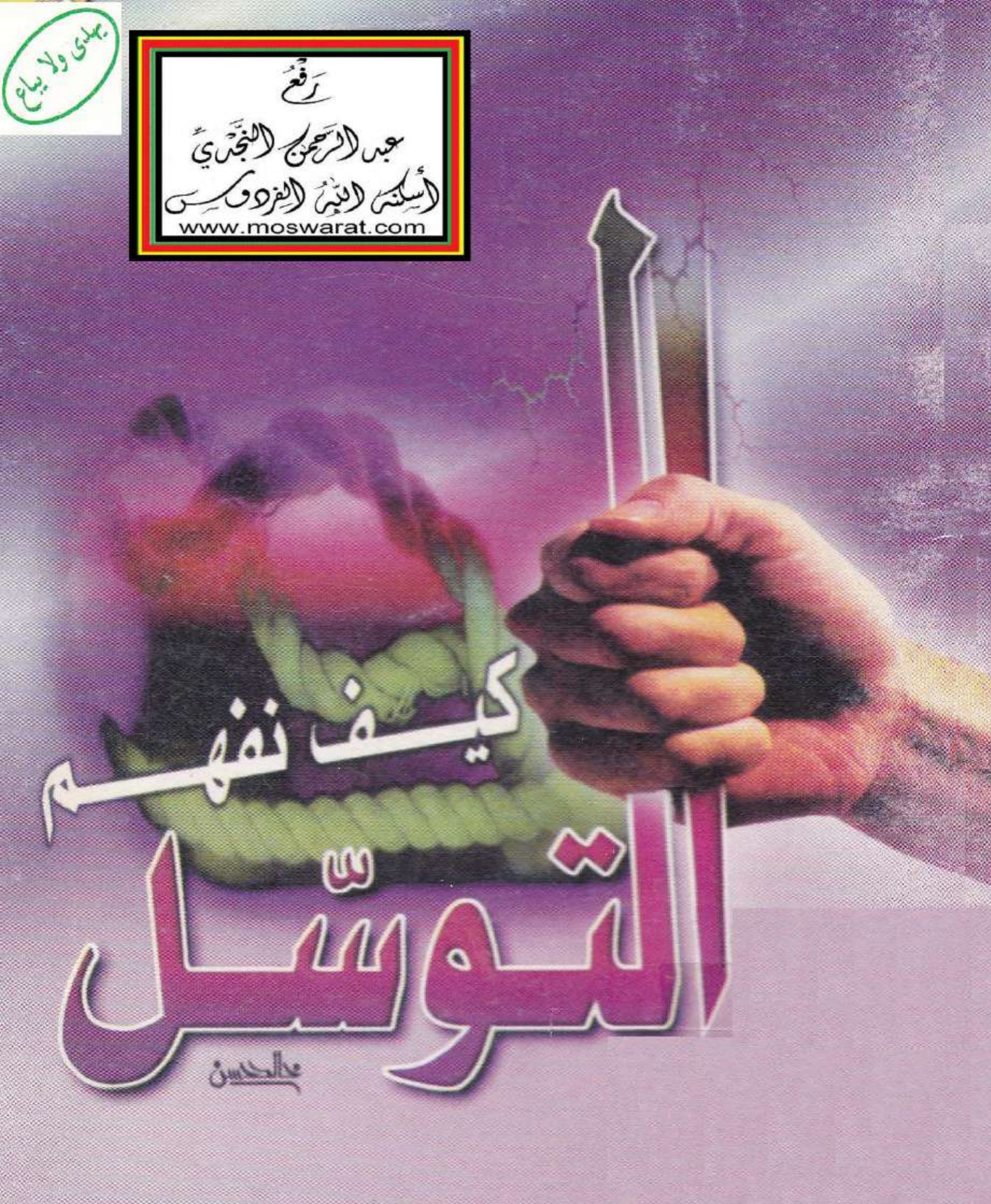






لدعم المشروع

(965) 99931114



إعداد

محمد بن جميل زينو

المدرس في دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

إقرأ سلسلة التوجيهات للمؤلف :

١- توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع .
٢- أركان الإسلام والإيمان من الكتاب والسنة .
٣- شرح أركان الإسلام والإيمان .
٤- منهاج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة .
٥- العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة الصحيحة .
٦- قطوف من الشمائل المحمدية والأخلاق النبوية .
٧- حكم الدخان والتدخين علىٰ ضوء الطب والدين .
٨- تنبيهات هامة على صفوة التفاسير .
٩- معلومات مهمة من الدين لايعلمها كثير من المسلمين .
١٠- كيف نفهم القرآن ؟
١١- تنبيهات مهمة علىٰ قرة العينين وتفسير الجلالين .
١٢- كيف نربي أولادنا التربية الإسلامية الصحيحة ؟
١٣- صفة حجة النبي ﷺ ، والحج المبرور .
١٤- توجيه المسلمين إلىٰ طريق النصر والتمكين .
١٥- معجزة الإسراء والمعراج .
١٦- من بدائع القصص النبوي الصحيح .
١٧- نداء إلىٰ المربين والمربيات .



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

كيف نفهم التوسل؟

الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة

إعداد
محمد بن جميل زينو
المدرس في دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

نشر وتوزيع
دار الصميعي في الرياض
هاتف: ٤٣٦٢٩٤٥ـ ص.ب ٤٩٦٧ / ١١٤١٢

سمحت بطبعه مراقبة الكتب والمطبوعات

إذا أردت أن يكون لك الأجر في حياتك وبعد موتك، فاطبع هذا الكتاب، أو ساهم في طبعه، واتصل بالمؤلف ليساعدك على الطبع بأرخص سعر ممكن ويرسل لك نسخة مزيدة ومنقحة

هاتف البيت وفاكس: ٥٥٦١٨٢٧ مكة ص. ب ٦٠١



بسم الله الرحمٰن الرحيم

إن الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه.

أما بعد فإن موضوع التوسل مُهمٌّ جداً، أخطأ فيه كثير من المسلمين، لعدم معرفتهم حقيقته التي جاءت في الكتاب والسنة ظاهرة جليّة، وقد بينتُ في هذه الرسالة التوسل المشروع، والتوسل الممنوع مع الأدلة من القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي ﷺ، حتى يكون المسلمُ على عِلمٍ وبصيرةٍ بما يقول ويدعو، فيكون توسُّلُه مشروعًا، ودعاؤه مستجاباً، وحتى لا يقع في الشرك الذي يُحبط العمل نتيجة الجهل، كما هو حال بعض المسلمين اليوم هداهم الله.

والله أسأل أن ينفع بها المسلمين، ويجعلها خالصةً لله تعالى.

المؤلف

التوسل المشروع

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾. «المائدة: ٣٥».

يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين بتقواه: وهي الانكفاف عن المحارم، وترك المنهيات، وقد قال بعدها:

﴿ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾. «المائدة: ٣٥».

[قال قتادة: تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه].

والوسيلة: هي التي يتوصل بها إلىٰ تحصيل المقصود.

«ذكره ابن كثير»

والتوسل المشروع هو الذي أمر به القرآن، وبيّنه الرسول ﷺ وعمل به الصحابة، وله أنواع عديدة أهمها:

١ ـ **التوسل بالإيمان بالله تعالىٰ:**

أ ـ قال تعالى يذكر توسل عباده بإيمانهم به:

﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾

ب ـ ومن توسل الرسول ﷺ بإيمانه بالله تعالىٰ قوله:

(اللهم لك أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكلتُ، وإليك أنبتُ وبك خاصمت...) [أي: أحتج وأدافع وأقاتل] «رواه مسلم»

٢ ـ التوسل بتوحيد الله تعالىٰ :

أ ـ قال الله تعالىٰ على لسان يونس عليه السلام يدعو :

﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٨٨ ﴾ . «الأنبياء : ٨٧ـ٨٨»

ب ـ ومن توسل الرسول ﷺ بتوحيد الله تعالىٰ قوله :

(اللهم إني أعوذ بعزتك لا إلٰه إلَّا أنت أن تُضلني . . .) .

«متفق عليه»

٣ ـ التوسل بأسماء الله تعالىٰ :

أ ـ قال الله تعالى يأمر عباده أن يتوسلوا بأسمائه :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾ . «الأعراف : ١٨٠»

[أي : ادعوا الله تعالىٰ متوسلين إليه بأسمائه الحسنىٰ]

ب ـ ومن توسل الرسول ﷺ بأسماء الله تعالىٰ قوله :

(أسألك بكُلِ اسمٍ هو لك سميت به نفسك . . .) .

«رواه الترمذي وقال حسن صحيح»

٤ ـ التوسل بصفاتِ الله :

أ ـ قال الله تعالىٰ علىٰ لسان سليمان عليه السلام يدعو :

﴿ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩ ﴾ . «النمل : ١٩»

ب ـ ومن توسل الرسول ﷺ بصفات الله تعالىٰ قوله :
(ياحَيُّ ياقَيّومُ برحمتِك أستَغيث) . «حسن رواه الترمذي»

٥ـ التوسل بالأعمال الصالحة :

أ ـ قال الله تعالىٰ يذكر عباده بأعمالهم الصالحة :
﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ . «آل عمران : ٥٣»

ب ـ ومن توسل عباده بأعمالهم الصالحة :
قصة أصحاب الغار : عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال :
سمعت رسور الله ﷺ يقول :

(إنطلق ثلاثةُ نفر ممن كان قبلَكم، حتى آواهم المبيتُ إلى غار، فدخلوه، فانحدَرتْ صَخرة مِن الجبل، فَسدَّت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا يُنجيكم مِن هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالِكم. قال رَجلٌ منهم: اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران، وكنتُ لا أَغبِقُ [لا أُقدِّمُ عليهما في شرب اللبن] قبلهما أهلاً، ولا مالًا، فنأى بي طلب الشجر [أبعدتُ] يوماً فلم أُرِح [فلم أرجع] عليهما حتى ناما، فحلَبت لهما غَبوقَهما [حصتهما] فوجدتُهما نائمين، فكرهتُ أن أغبُق قبلهما أهلاً أو مالًا؛ فلبثتُ والقدح على

يديَّ أنتظرُ استيقاظَهما حتى بَرَق الفجرُ، فاستيقظا فشربا غَبوقَهُم [شربا حصتهما من اللبن].

اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه مِن هذه الصخرة «فانفرجت شيئاً لايستطيعون الخروج منها»

وقال الآخر: اللهم كانتْ لي ابنةُ عَمٍ كانت أحبَّ الناس إليَّ، فأرَدْتُها على نفسها، فامتنعَتْ مني حتى أَلَمَّتْ بها سَنَةٌ من السنين [أصابها جوع] فجاءتني، فأعطيتُها عشرين ومائة دينار، على أن تُخلي بيني وبين نفسها ففعلَتْ، حتى إذا قَدرتُ عليها قالت: ياعبدالله إتق الله ولا تفُضَّ الخاتم إلا بحقه: [لا تقربني إلا بنكاح شرعي]، فتحَرَّجْتُ من الوقوع عليها، فانصرفتُ عنها وهي أحبُ الناس إليَّ، وتركتُ الذهبَ الذي أعطيتها!!

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاءوجهك ففرِّج عنا مانحن فيه «فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها».

وقال الثالث: اللهم إني استأجرتُ أُجَراء، فَأعطيتُهم أجرَهم غيرَ رجل واحد ترك الذي له وذهبَ فثمَّرْتُ [كثَّرْتُ] أجره حتى كثُرتْ منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبدَ اللهِ أَدِّ إليَّ أجري، فقلتُ له: كلُّ ما ترى من أجرك، من الإبل والبقروالغنم والرقيق،

فقال:

يا عبدَ الله لا تستهزىء بي. فقلت:

إني لاأستهزىء بك؛ فأخذه كُلَّه فاستاقه، فلمْ يترُك منه شيئاً!

اللهم فإن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهكَ فافرُج عنا ما نحن فيه.

«فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون»).

«والقصة في البخاري ٣/ ٥٠ ومسلم ٢٧٤٣»

في هذه القصة رجال مؤمنون اشتدَّ بهمُ الكَرْب، وضاق بهم الأمر، فلجأوا إلى الله وحده بالدعاء مُتوسلين إلىٰ الله تعالىٰ بأعمالهم الصالحة:

فتوسل الأول ببره لوالديه، وتوسل الثاني بتركه الزنا، وتوسل الثالث بحفظ حق أجيره، فاستجاب الله دعاءهم ونجاهم مِما هُم فيه.

فعلينا أن نقتدي بهؤلاء الرجال الصالحين فنتعرَّف إلى الله في أوقاتِ الرخاء بطاعته، والعمل الصالح، لكي يعرفنا في أوقات الشدائد، فيستجيب دعاءنا ويُفرِّج كربنا. وجاء في الحديث قوله ﷺ: **(تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)**

«صحيح رواه أحمد وغيره»

والأعمال الصالحة كثيرة: كالصلاة، والزكاة، والصدق، والأمانة، والبِر، والكرم، وتلاوة القرآن، والعمل به، والصلاة

على النبي ﷺ، وحبنا له، ولأصحابه.

وكذلك تركُ المعاصي، والفجور من الأعمال الصالحة.

٦ ـ التوسل بدعاء الأحياء الصالحين:

أ ـ قال الله تعالىٰ يُرشد الناس إلى التوسل بدعاء الرسول ﷺ حيًا:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ «النساء»

ب ـ توَسُّلُ الأعرابي بطلب الدعاء من الرسول ﷺ:

(دخل أعرابي المسجد والنبي ﷺ قائم يخطب فسأله الدعاء بالغيْث، فرفع يديه يدعو: اللهم أغِثنا، اللهم أغِثنا، اللهم أغِثنا، فلم ينزِل عن مِنبره، حتى تحادر المطرُ علىٰ لحيته).

«رواه البخاري»

ج ـ وعلى المسلمين أن يطلبوا الدعاء من الأحياء الصالحين حين نزول المصائب كما فعل عمر ـ رضي الله عنه ـ:

فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان إذا قُحِطوا استسقىٰ بالعباس ابن عبدالمطلب فقال: **(اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعَمّ نبينا ﷺ فاسقِنا، قال: فيُسقون).** «رواه البخاري»

(اطلبوا حوائجكم من الله بمحبته لأوليائه) .

فهلاأخذ الصوفية هذا التوسل المشروع، لأن محبة الله لأوليائه من صفاته عزَّ وجل، وتركوا الاستغاثة بالرفاعي والجيلاني وغيرهم من الأولياء والصالحين مهتدين بمحمد ﷺ القائل :

(إذا سألت فاسأل الله ، وإذااستعنت فاستعن بالله)

«رواه الترمذي وقال : حسن صحيح»



التوسل الممنوع

التوسل الممنوع: هو الذي لا أصل له في الدين، ولم يقم عليه دليل شرعي وهو على أنواع:

١ـ **التوسل بالأموات**، وطلب الحاجات منهم، والاستعانة بهم، ودعاؤهم من غير الله كقولك:

(ياجيلاني أغِثني، يارسول الله المدد وغيره. . .)

كما هو واقع اليوم عند بعض المسلمين، ويسمونه توسلاً، وليس كذلك، لأن التوسل هو الطلب من الله بواسطة مشروعة كالإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته والعمل الصالح، أما دعاء الأموات فهو إعراض عن الله، وهو مِن الشرك الأكبر:

أ ـ قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الظالمين: المشركين]. [يونس: ١٠٦]

ب ـ وقال رسول الله ﷺ:

(أكبرُ الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور). «رواه البخاري»

ج ـ وسُئل رسول الله ﷺ أيُّ الذنب أكبر عند الله؟.

قال: **(أن تدعوَ لله نِدًا وهو خلقك).** «رواه مسلم»

٢ـ أما التوسل بجاه الرسول ﷺ والأولياء :

كقولك : (يا رب بجاه محمد اشفني) ففيه نظر :

أ ـ لأن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لم يفعلوه :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «القاعدة الجليلة» :

وأما حديث : **(توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم)** فهو باطل لا أصل له في كتب الحديث .

مع أن جاهه ﷺ عند الله أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين ، ولكن جاه المخلوق عند الخالق ليس كجاه المخلوق عند المخلوق ، فإنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ؛ المخلوق يشفع عند المخلوق بغير إذنه ، فهو شريك له في حصول المطلوب ، والله تعالى لاشريك له كما قال سبحانه :

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾«سبأ : ٢٢ـ٢٣»

فلا يلزم إذن من كون جاهه ﷺ عند ربه عظيمًا ، أن نتوسل به إلى الله تعالى لعدم ثبوت الأمر به عنه ﷺ ، فيجب علينا اتباعه في ذلك ، فالحب الصادق إنما هو بالاتباع وليس بالابتداع كما قال تعالى :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ . «آل عمران : ٣١»

ومنه قول الشاعر :

تعصي الرسول وأنت تظهرحبه   هذا وربك في القياس شنيع
لو كان حبك صادقًا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

ج ـ وهذا التوسل البدعي ليس بشرك لأنه طلب من الله ، ولكنه قد يؤدي للشرك ، وذلك إذا اعتقد المتوسل أن الله محتاج لواسطة كالأمير والحاكم لأنه شبه الخالق بالمخلوق ، والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ «الشورىٰ»

د ـ وقال أبوحنيفة : (**أكره أن أسأل الله بغير الله**)«كمافي الدرالمختار»

[والكراهة عند السلف والأحناف التحريم] .

٣ـ **التوسل بحق الرسول ﷺ والأولياء :**

أ ـ لايجوز لأنه لم ينقل عن أحد من الصحابة أنه قاله .

ب ـ وقد كره أبوحنيفة وصاحباه أن يقول الرجل :

أسألك بحق فلان ، أو بحق أنبيائك ورسلك ، أو بحق البيت الحرام ، ونحو ذلك ، إذ ليس لأحد على الله حق«شرح الإحياء»

٤ـ **طلب الدعاء من الرسول ﷺ بعد موته :**

كقولك : (يارسول الله ادعُ لي) فغير جائز :

أ ـ لأن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لم يطلبوه .

ب ـ ولأن عمر ـ رضي الله عنه ـ لم يطلب الدعاء من الرسول ﷺ بعد موته بل طلبه من عمه العباس وهو حي .

ج ـ ولقوله ﷺ : **(إذا مات الإنسان انقطع عمله إلَّا من ثلاث: صدقة جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له)** .

«رواه مسلم»

والرسول ﷺ إنسان من البشر اختصه الله تعالى بالوحي :

قال الله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ . «الكهف»

فهذه الأدعية والتوسلات المبتَدَعة لم يشرعها الله تعالىٰ، ولم يستعملها رسوله ﷺ ولا صحابته، ولم تنقل عن السلف الصالح، فلماذا نلجأ إليها ونترك التوسل المشروع الذي شرعه الله تعالىٰ ورسوله ﷺ؟ .

* * *

﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾

١ـ يأمرنا الله تعالى في هذه الآية أن ندعوه متوسلين إليه بأسمائه الحسنى، فإن أول واجب على العبد هو معرفة ربه ومولاه، وذلك بمعرفة أسمائه وصفاته التي وصف بها نفسه في كتابه أو وصفه بها رسوله ﷺ في سنته من غير تحريف ولا تأويل، وكذلك من غير إدخال للعقل في تصور الكيفية أو محاولة التشبيه والتمثيل بالمخلوقات، فهو كما وصف نفسه في القرآن قال الله تعالى:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ «الشورى»

٢ـ القيام بحقوق كل اسم وصفة لله سبحانه بالتعبد له بهذه الأسماء والصفات، ودعائه بها وتأثر القلب بها، فأسماء الله العظيم المجيد المتكبر المتعال الأعلى ذو الجلال والإكرام وأنه فوق عباده على العرش استوى، تملأ القلب تعظيماً له وإجلالاً وخوفاً منه ورهبة، وأنه لا ملجأ منه إلا إليه، وأسماء الخبير السميع البصير العليم الشهيد تملأ القلب مراقبة لله في الحركات والسكنات.

ومن أسمائه الرحمٰن الرحيم البَرُّ الكريم الجواد الرزاق تملأ القلب محبة له وشوقاً إليه وطمعاً في رزقه ورحمته وحمداً له .

وكلما ازداد الإنسان معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد عبودية لله تعالى قال النبي ﷺ :

أ ـ **(إن لله تسعةً وتسعين اسماً مائة إلا واحداً مَن أحصاها دخل الجنة)** . [أحصاها : حفظها وقام بحقوقها] . «رواه البخاري»

ب ـ وقال رسول الله ﷺ : **(ما أصاب عبداً همٌّ ولا حزن فقال : اللهم إني عبدُك ، وابنُ عبدك ، وابن أمَتِكَ ، ناصِيَتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدلٌ فيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسمٍ هُوَ لك ، سمَّيتَ به نفسَك ، أو أنزلتهَ في كتابك ، أوعلَّمته أحَداً مِن خلقك ، أواستأثرتَ به في عِلم الغيب عندكَ ، أن تجعل القرآن ربيعَ قلبي ، ونور بصري ، وجلاء حُزني ، وذهاب هَمِّيّ إلاّ أذهب الله هَمَّه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً)** . «صحيح رواه أحمد»

ج ـ وسمع الرسول ﷺ رجلاً يقول :

اللهم إني أسألك بأني أشهدُ أنك أنت الله لا إلٰه إلا أنتَ الأحدُ الصمَدُ الذي لم يلِدْ ولم يُولَد ولم يَكُنْ له كُفُوًا أحَد ، فقال ﷺ : **(والذي نفسي بيده لقد سأل اللهَ باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئِل به أعطى)** . «صحيح رواه أحمد»

وهذا الحديث دليل أيضاً على التوسل بالإيمان بالله تعالىٰ ، وتوحيده وأسمائه وصفاته والعمل الصالح .

معنى لا إلـه إلا الله

(لا معبود بحق إلا الله)

فيها نفي الإلهية عن غير الله، وإثباتها لله وحده.

١ـ قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾. «محمد: ١٩»

فالعلمُ بمعناها والعملُ بمقتضاها واجب ومقدم على سائر أركان الإسلام.

٢ـ وقال رسول الله ﷺ:

(من قال لا إلـه إلا الله مخلصاً دخل الجنة). «صحيح رواه أحمد»

والمخلص هو الذي يفهمها، ويعمل بها، ويدعو إليها قبل غيرها، لأن فيها التوحيد الذي خلق الله العالم لأجله.

وقال الله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾. «الذاريات: ٥٦»

٣ـ وقال رسول الله ﷺ لعمه أبي طالب حين حضره الموت: يا عَمِّ قل: **(لا إله إلا الله، كلمة أُحاجُّ لك بها عند الله، وأبى أن يقول لا إله إلا الله)**. «متفق عليه»

٤ـ بقي الرسول ﷺ في مكة ثلاثة عشر عاماً، يدعو العرب قائلاً: **قولوا لا إله إلا الله، فقالوا إلٰهاً واحداً ما سمعنا بهذا؟**

لأن العرب فهموا معناها، وأن من قالها لا يدعو غير الله،

فتركوها ولم يقولوها، قال الله تعالى عنهم:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ۝٣٦ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣٧ ﴾. «الصافات: ٣٥-٣٧»

وقال رسول الله ﷺ: **(من قال لا إلٰه إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حَرُمَ ماله ودمه)** «رواه مسلم»

ومعنى الحديث أن التلفظ بالشهادة يستلزم أن يكفر وينكر كل عبادة لغير الله، كدعاء الأموات وغيرهم.

والغريب أن بعض المسلمين يقولونها بألسنتهم، ويخالفون معناها بأفعالهم ودعائهم لغير الله!!

٥- **(لا إلٰه إلا الله)** أساس التوحيد والإسلام، ومنهج كامل للحياة، يتحقق بتوجيه كل أنواع العبادة لله، وذلك إذا خضع المسلم لله، ودعاه وحده، واحتكم لشرعه دون غيره.

٦- قال ابن رجب: **(الإلٰه)** هو الذي يُطاع ولا يُعصى هيبةً له وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاء، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاءً له، ولا يصلح هذا كله إلا لله عز وجل، فمَن أشرك مخلوقاً في شيء مِن هذه الأمور التي هي من خصائص الإلٰه، كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قوله: **(لا إلٰه إلا الله)**

وكان فيه من عبودية المخلوق، بحسب ما فيه من ذلك.

٧ـ إن كلمة (لا إلٰه إلا الله) تنفع قائلها إذا لم ينقضها بشرك فهي شبيهة بالوضوء الذي ينقضه الحدث.

قال رسول الله ﷺ:

(مَن كان آخر كلامه لا إلٰه إلا الله دخل الجنة) «حسن رواه الحاكم»

٨ـ إن كلمة التوحيد (**لا إلٰه إلا الله**) يكون الدعاء بعدها مستجاب:

قال رسول الله ﷺ:

(مَن تعارَّ من الليل [أي: استيقظ] **فقال: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.**

سبحان الله والحمدلله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فإن دعا استُجيب له، وإن توضأ وصلَّى قُبلت صلاته).

«رواه البخاري»

* * *

﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾

[نخصك بالعبادة والدعاء والاستعانة وحدك]

١ـ ذكر علماء العربية أن الله تعالى قدم المفعول به (إياك) على الفعل (**نعبدُ، ونستعين**) ليخص العبادة والاستعانة به وحده، ويحصرهما فيه دون سواه.

٢ـ إن هذه الآية التي يكررها المسلم عشرات المرات في الصلاة وخارجها، هي خلاصة سورة الفاتحة، وهي خلاصة القرآن كله.

٣ـ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ : إن العبادة في هذه الآية تعم العبادات كلها مثل الصلاة والنذر والذبح ولاسيما الدعاء لقوله ﷺ:

(الدعاء هو العبادة). «رواه الترمذي وقال حسن صحيح»

فكما أن الصلاة عبادة لا تجوز لرسول ولا لولي فكذلك الدعاء عبادة، فهو لله وحده قال تعالى لرسوله ﷺ:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾. «الجن: ٢٠»

٤ـ ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾

[أي: نستعين بك وحدك على عبادتك، وطاعتك، وعلى أمورنا كلها].

استعن بالله وحده

قال ﷺ : (**إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله**) .

«رواه الترمذي وقال حسن صحيح»

١ـ يقول الإمام النووي في تفسير هذا الحديث ما خلاصته :

إذا طلبت الإعانه على أمر من أمور الدنيا والآخرة فاستعن بالله ، ولا سيما في الأمور التي لا يقدر عليها غير الله ، كشفاء المرض وطلب الرزق والهداية ، فهي مما اختص الله بها وحده قال الله تعالى :

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ . «الأنعام : ١٧»

٢ـ من أراد حجة فالقرآن يكفيه ، ومن أراد مغيثاً فالله يكفيه ، ومن أراد واعظاً فالموت يكفيه ، ومن لم يكفه شيء من ذلك ، فإن النار تكفيه .

قال الله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾؟ «الزمر : ٣٦»

قال ابن كثير : يعني أنه تعالى يكفي من عَبَدَهُ وتوكل عليه .

«انظر التفسير ٤/ ٥٤»

٣ـ يقول الشيخ عبدالقادر الجيلاني في الفتح الرباني :

(سلوا الله ولا تسألوا غيره ، استعينوا بالله ولا تستعينوا بغيره ، وَيحكَ بأي وجه تلقاه غداً ، وأنت تنازعُه في الدنيا ، مُعرِض

عنه، مُقبل على خلقه، مُشرك به تُنزل حوائجك بهم، وتَتكِلُ بالمهمات عليهم، ارفعوا الوسائط بينكم وبين الله فإن وقوفكم معها هَوَسٌ، لا ملك ولا سلطان، ولا غنى، ولا عز إلا للحق عزَّ وجلّ، كن مع الحق، بلا خلق).

[أي كن مع الله بدعائه وحده بلا واسطة من خلقه].

٤ـ الاستعانة المشروعة: أن تستعين بالله وحده على حَلِّ مشاكلك، وأن تأخذ بالتوسل المشروع، الذي مرَّ ذكره.

٥ـ والاستعانة الشركية: أن نستعين بغير الله كالأنبياء والأولياء الأموات، أو الأحياء الغائبين، فهم لا يملكون نفعاً ولا ضراً، ولا يسمعون الدعاء، ولو سمعوا ما استجابوا لنا، قال الله تعالى:

﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾. «فاطر: ١٤»

أما الاستعانة بالأحياء الحاضرين فيما يقدرون عليه من بناء مسجد أو أخذ مساعدة مالية، وغير ذلك، فهي جائزة:

لقول الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾. «المائدة: ٢»

وقوله ﷺ:

(والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه). «رواه مسلم»

الدعاء هو العبادة

هذا الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي، يدل على أن الدعاء من أهم أنواع العبادة، فكما أن الصلاة لاتجوز أن تكون لرسول أو ولي، فكذلك لا يُدعى الرسول أو الولي من دون الله.

١ـ إن المسلم الذي يقول: (يا رسول الله أو يا رجال الغيب غوثاً ومدداً)، هو دعاء وعبادة لغير الله، ولو كانت نيته أن الله هو المغيث، ومثله مثل رجل أشرك بالله عز وجل وقال:

أنا في نيتي أن الإلٰه واحد، فلا يُقبل منه هذا، لأن كلامه دل على خلاف نيَّته، فلا بُدَّ من مطابقة القول للنية والمعتقد.

٢ـ فإن قال هذا المسلم أنا في نيتي أن أتخذهم واسطة إلى الله، كالأمير الذي لا أستطيع أن أدخل عليه إلا بواسطة!

أقول: هذا تشبيه الخالق بالمخلوق الظالم الذي لا يَدخلُ عليه أحد إلا بواسطة، وهذا التشبيه من الكفر.

قال الله تعالى منزهاً ذاته وصفاته وأفعاله عن مخلوقاته:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾. «الشورى»

فتشبيه الله بمخلوق عادل كفر وشرك، فكيف إذا شبهه بإنسان ظالم؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علُوّاً كبيراً.

والأمير العادل لا يحتاج لواسطة؛ فكيف بأعدل الحاكمين؟

٣ـ لقد كان المشركون في زمن رسول الله ﷺ يعتقدون أن الله هو الخالق والرازق، ولكنهم يدعون الأولياء المُمَثَّلين في الأصنام واسطة تقربهم إلى الله، فلم يرضَ الله منهم هذه الواسطة، بل كَفَّرهم وقال لهم:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ ﴾. «الزمر: ٣»

فالله تعالى سميع قريب لايحتاج إلى واسطة: قال الله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ ﴾. «البقرة: ١٨٦»

٤ـ إن هؤلاء المشركين كانوا يدعون الله وحده عند المصائب والشدائد:

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾. «يونس: ٢٢»

ولكن المشركين كانوا يدعون أولياءهم المُمَثَّلة في الأصنام

وقت الرخاء، فكفَّرهم القرآن ولم يرضَ منهم دعاءهم لله وحده وقت الشدائد، فما بال بعض المسلمين يدعون غير الله من الرسل والصالحين، ويستغيثون بهم، ويطلبون المعونة منهم وقت الشدائد والمحن ووقت الرخاء؟!!

ألم يقرأوا قول الله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۝٦ ﴾. «الأحقاف: ٥-٦»

٥- يظن الكثير من الناس أن المشركين الذين ورد ذكرهم في القرآن كانوا يدعُون أصناماً من الحجارة، وهذا خطأ، لأن الأصنام الذين ورد ذكرهم في القرآن كانوا في الأصل رجالاً صالحين:

ذكر البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه:

في قوله تعالى في سورة نوح:

﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣ ﴾. «نوح: ٢٣»

قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلك أولئك أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم

التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تُعبَد، حتى إذا هلك أولئك ونُسيَ العلم عُبدت.
[أي: الأصنام].

٦ ـ قال تعالى منكراً على الذين يدعون الأنبياء والأولياء والجن:
﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ . «الإسراء: ٥٦ـ٥٧»

أ ـ عن ابن مسعود قال: كان نفر من الإنس يعبدون نفراً من الجن فأسلم النفر من الجن، واستمسك الإنس بعبادتهم فنزلت:
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ «متفق عليه»

ب ـ وروى الطبري من وجه آخر عن ابن مسعود فزاد فيه:
(والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون) [بإسلامهم]
«رواه مسلم»

وهذا هو المعتمد في تفسير هذه الآية. «انظر تفسير الطبري»

ج ـ والوسيلة: هي القربة، كما قال قتادة، ولهذا قال:
﴿ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ . «انظر تفسير ابن كثير»

أقول: في هذه الآية رَدٌّ على الذين يدْعون غير الله من الأولياء

ويتوسلون بهم، ولو توسلوا بإيمانهم بهم، وحبهم لهم ـ وهو من العمل الصالح ـ لكان حسناً، لأنه من التوسل المشروع.

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية ما خلاصته:

نزلت هذه الآية في جماعة من الإنس كانوا يعبدون الجن ويدعونهم من دون الله فأسلم الجن.

٧ـ يزعم البعض أن الاستغاثة بغير الله جائزة ويقولون: المغيث على الحقيقة هو الله، والاستغاثة بالرسول والأولياء تكون مجازاً كما تقول شفاني الدواء والطبيب، وهذا مردود عليهم في قول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾. «الشعراء: ٨٠»

أكد بالضمير (هو) في كل آية ليدل على أن الهادي والرازق والشافي هو الله وحده لا غيره، وأن الدواء قد يسبب الشفاء وليس شافياً.

٨ـ الكثير من الناس لا يفرق بين الاستغاثة بحي أو بميت والله تعالى يقول: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾. «فاطر: ٢٢»

أما قوله تعالى:

﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ «القصص»

فهي حكاية عن رجل استغاث بموسى حياً ليحميه من عدوه، وقد فعل ذلك ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ ﴾ . [القصص: ١٥]

وأما الميت فلا يستطيع الإجابة لعدم قدرته على ذلك.

قال تعالى:

﴿ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ ﴾ . «فاطر: ١٤»

وهذا نص صريح في أن دعاء الأموات شرك

وقال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ «النحل»

٩- ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الناس يوم القيامة يأتون الأنبياء فيستشفعون بهم، حتى يأتوا محمداً ﷺ فيستشفعوا به أن يُفرِّج الله عنهم، فيقول: أنا لها، ثم يسجد تحت العرش ويطلب من الله الفرج وتعجيل الحساب وهذه الشفاعة طلب من الرسول ﷺ وهو حيٌّ يكلمه الناس ويكلمونه، أن يشفع لهم عند الله ويدعو لهم بالفرج، وهذا ما سيفعله ﷺ بأبي هو وأمي

١٠ـ وأكبر دليل على الفرق بين الطلب من الحي والميت هو ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما نزل بهم القحط، فطلب من العباس عَمِّ النبي ﷺ أن يدعو لهم، ولم يطلب من الرسول ﷺ بعد انتقاله للرفيق الأعلى.

١١ـ يظن بعض أهل العلم أن التوسل كالاستغاثة مع أن الفرق بينهما كبير، فالتوسل هو الطلب من الله بواسطة فنقول مثلاً: (اللهم بحبك وحبنا لرسول الله ﷺ وحبنا لأوليائك فرّج عنا) فهذا جائز.

أما الاستغاثة البدعية فهي الطلب من غير الله فتقول: (يا رسول الله فرّج عنا) وهذا غير جائز وهو شرك أكبر لقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾. (أي المشركين). «يونس: ١٠٦»

وقال تعالى آمراً نبيه أن يقول للناس:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾. «الجن: ٢٠»

﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ ﴾. «الجن: ٢١»

وقوله ﷺ: (إذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله). «رواه الترمذي وقال حسن صحيح»

الله أسأل أن يُفرّج كربنا ... فالكربُ لا يمحوه إلا الله

أحاديث ضعيفة في التوسل

١ـ **(توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم).**

«باطل لا أصل له في شيء من كتب الحديث»

مع أن جاهه ﷺ عند الله أعظم من جاه جميع الأنبياء، ولكنه لم يأمرنا الله بالتوسل بجاهه، بل علَّمنا أن نتوسل بحب الله لرسوله ﷺ، لأن الحب من صفات الله وأن نتوسل بحبه ﷺ، لأن حبه من العمل الصالح، فنقول:

(اللهم بحبك لرسولك، وحبنا له فرِّج عنا).

٢ـ من خرج من بيته إلى الصلاة، فقال:

(اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشَراً ولا بطراً. . . أقبل الله عليه بوجهه).

«رواه أحمد وإسناده ضعيف لأنه من رواية عطية العوفي، وهو ضعيف كما قال النووي والذهبي»

٣ـ قصة خلاصتها: أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه، فشكا الرجل إلى عثمان بن حنيف، فعلَّمه دعاء الأعمى الذي علمه الرسول ﷺ:

(اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ. . .

إلى آخر الدعاء) «القصة ضعيفة والحديث صحيح وسيأتي»
فقرأه، ثم ذهب إلى عثمان فقضى حاجته، بعد أن ردّه أول مرة. . . إلى آخر القصة.
وهذه القصة ضعيفة منكرة لأمور ثلاثة:
أ ـ ضعف حفظ المتفرد بها.
ب ـ والاختلاف عليه فيها.
ج ـ ومخالفته للثقات الذين لم يذكروها في الحديث.
وأمر واحد كافٍ لإسقاط هذه القصة فكيف بها مجتمعة؟.
هذا وفي القصة جملة إذا تأمل فيها العاقل العارف بفضائل الصحابة وجدها من الأدلة على نكارة القصة وضعفها، وهي أن الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه كان لا ينظر في حاجة الرجل ولا يلتفت إليه؛ فكيف يتفق هذا مع ما صح عن النبي ﷺ أن الملائكة تستحي من عثمان، ومع ما عُرف به من رفقه بالناس، وبِرِّه بهم، ولينه معهم؟
هذا كله يجعلنا نستبعد وقوع ذلك منه، لأنه ظلم يتنافى مع شمائله رضي الله عنه وأرضاه.

«انظر كتاب التوسل للشيخ الألباني ٨٨ـ ٨٩»

٤ ـ (لما اقترف آدم الخطيئة قال: يارَبِّ بحق محمد إلا غفرتَ

لي، فقال يا آدم: وكيف عرفت محمداً ولم أخلُقه؟ قال: يا رَبِّ لمَّا خلقتني بيدك ونفختَ فِيَّ من روحك رفعتُ رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمتُ أنك لم تُضِف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال: غفرتُ لك، ولولا محمد ما خلقتك).

«قال الذهبي حديث موضوع»

وهذا الحديث الموضوع يخالف القرآن في موضعين:

أ ـ فالله تعالى غفر لآدم لا لتوسله بحق محمد ﷺ بل لقوله تعالى:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾. «البقرة: ٣٧»

وقوله عن آدم وحواء:

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾. «الأعراف: ٢٣»

ب ـ قوله في آخر الحديث الموضوع: (ولولا محمد ماخلقتك) يخالف قول الله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. «الذاريات: ٥٦»

فالله تعالى خلق الجن والإنس، ومنهم آدم لعبادته لا لأجل محمد ﷺ.

شبهات حول التوسل

الشبهة الأولى :

يحتجون على جواز التوسل بجاه الأشخاص وحُرمتهم وحَقهم بحديث أنس :

(أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قُحِطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسلُ إليك بعَم نبينا فاسقِنا. قال فيُسقون)

«رواه البخاري»

فيفهمون مِن هذا الحديث أن توسل عمر رضي الله عنه إنما كان بجاه العباس رضي الله عنه، ومكانته عند الله سبحانه، وأن توسله كأنه مُجَرَّدُ ذِكر منه للعباس في دعائه، وطلبٌ منه لله أن يسقيهم من أجله، وقد أقره الصحابة على ذلك، فأفاد بزعمهم ما يدَّعون.

وأما سبب عدول عمر رضي الله عنه عن التوسل بالرسول ﷺ - بزعمهم - وتوسله بالعباس، فإنما كان لبيان جواز التوسل بالمفضول، مع وجود الفاضل لا غير.

وفهمهم هذا خاطىء وتفسيرهم مردود من وجوه كثيرةأهمها :

١ـ أن عمر رضي الله عنه صرح بأنهم كانوايتوسلون بنبينا ﷺ في

حياته، وأنه في هذه الحادثة توسَّل بعمه العباس، ومما لا شك فيه أن التوسلين من نوع واحد: توسُّلهم بالرسول ﷺ، وتوسُّلهم بالعباس، وإذ تبين للقارىء أن توسلهم به ﷺ إنما كان توسلاً بدعائه ﷺ، فتكون النتيجة أن توسلهم بالعباس إنماهو توسلٌ بدعائه أيضاً، بضرورةأن التوسُّلَين مِن نوع واحد

٢ـ أن طريقة توسل الأصحاب الكرام بالنبي ﷺ إنما كانت إذا رغبوا في قضاء حاجة، أو كشف نازلة أن يذهبوا إليه ﷺ، ويطلبوا منه مباشرة أن يدعو لهم ربه، أي: إنهم كانوا يتوسلون إلى الله تعالى بدعاء الرسول الكريم ﷺ ليس غير.

ويرشد إلى ذلك قوله تبارك وتعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾. «النساء»

٣ـ فهذه الأحاديث وأمثالها مما وقع في زمن النبي ﷺ وزمن أصحابه الكرام رضوان الله عليهم تُبين بما لا يقبل الجدال أو المماراة أن التوسل بالنبي ﷺ أو بالصالحين الذي كان عليه السلف الصالح هو مجيء المتوسِّل إلى المتوسَّل به وعرضه حاله له، وطلبه منه أن يدعو له الله سبحانه، ليحقق طلبه، فيستجيب هذاله، ويستجيب مِن ثَم الله سبحانه وتعالى دعاءه.

٤ـ لو كان توسل عمر إنما هو بذات العباس أو جاهه عند الله تعالى، لما ترك التوسل به ﷺ بهذا المعنى، لأن هذا ممكن لو كان مشروعاً، فعدول عمر عن هذا إلى التوسل بدعاء العباس رضي الله عنه أكبر دليل على أن عمر والصحابة الذين كانوا معه كانوا لا يرون التوسل بذاته ﷺ، وعلى هذا جرى عمل السلف مِن بعدهم، كما جرى في توسل معاوية بن أبي سفيان، والضحاك بن قيس، بيزيد بن الأسود الجرشي، وفيهما بيان دعائه بصراحة وجلاء.

الشبهة الثانية:

بحديث عثمان بن حنيف أنْ رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادعُ الله أن يُعافيني. قال:

(إن شئتَ دعوتُ لك، وإن شئتَ أخَّرتُ ذاك، فهو خيرٌ)

(وفي رواية: وإن شئتَ صبرتَ فهو خيرٌ لك)، فقال: ادعه؛ فأمره أن يتوضأ، فيُحسن وضوءه، فيصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجَّهُ إليكَ بنبيك محمدٍ نبيِ الرحمة، يا محمدُ إنِي توجهتُ بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضىٰ لي، اللهم فشفعه فِيَّ [وشَفَّعني فيه].

قال: ففعل الرجل فبَرَأ. «وهو حديث صحيح رواه أحمد وغيره»

يرى المخالفون، أن هذا الحديث يدل على جواز التوسل في الدعاء بجاه النبي ﷺ أو غيره من الصالحين، إذ فيه أن النبي ﷺ علَّم الأعمى أن يتوسل به في دعائه، وقد فعل الأعمى ذلك فعاد بصيراً. **والجواب**:

١ـ أن الأعمى إنما جاء إلى النبي ﷺ ليدعوَ له، وذلك قوله: (**أُدعُ الله أن يعافيني**)، فهو قد توسل إلى الله بدعائه ﷺ، لأنه يعلم أن دعاءه ﷺ أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره، ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبي ﷺ، أو جاهه أو حقه لما كان ثَمَّة حاجة به إلى أن يأتي النبي ﷺ، ويطلب منه الدعاء له، بل كان يقعد في بيته، ويدعو ربه بأن يقول مثلاً: (اللهم إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن تشفيني، وتجعلني بصيرا) ولكنه لم يفعل، لماذا؟ لأنه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم، ويعرف أنه ليس كلمة يقولها صاحب الحاجة، يذكر فيه اسم المتوسَّل به، بل لابُدَّ أن يشتمل على المجيء إلى من يعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب والسنة، وطلب الدعاء منه له.

٢ـ أن النبي ﷺ وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ما هو الأفضل له، وهو قوله ﷺ:

(إن شئتَ دعوتُ، وإن شئتَ صبرتَ فهو خيرٌ لك).

وهذا الأمر الثاني هو ما أشار إليه ﷺ في الحديث الذي رواه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال:

(إذا ابتلَيتُ عبدي بحبيبَتَيه [أي: عينيه] **فصبرَ عوَّضْتُه منهما الجنة).** «رواه البخاري»

٣ـ إصرار الأعمى على الدعاء وهو قوله: **(أُدعه)** فهذا يقتضي أن الرسول ﷺ دعا له، لأنه ﷺ خيرُ مَن وفى بما وعد، وقد وعده بالدعاء له إن شاء كما سبق، فقد شاء الدعاء، وأصرَّ عليه، فإذن لابُدَّ أن رسول الله ﷺ دعا له فثبت المراد.

٤ـ وقد وجَّهَ النبي ﷺ الأعمى إلى النوع الثاني من التوسل المشروع، وهو التوسل بالعمل الصالح، ليجمع له الخير من أطرافه، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين، ثم يدعو لنفسه.

٥ـ أن في الدعاء الذي علَّمه الرسول ﷺ إياه أن يقول:

(اللهم فشفِّعْه فيَّ) وهذا يستحيل حمله على التوسل بذاته، أو جاهه، أو حقه. إذ أن المعنى: اللهم اقبل شفاعته ﷺ فيَّ، أي اقبل دعاءه في أن ترد بصري عليَّ. والشفاعة لغة الدعاء، وهو المراد بالشفاعة الثابتة له ﷺ ولغيره من الأنبياء والصالحين يوم القيامة، وهذا يبين أن الشفاعة أخص من الدعاء، إذ لا

تكون إلا إذا كان هناك اثنان يطلبان أمراً، فيكون أحدهما شفيعاً للآخر، بخلاف الطالب الواحد الذي لم يشفع غيره.
فثبت بهذا الوجه أيضًا أن توسل الأعمى، إنما كان بدعائه ﷺ لا بذاته.

٦ـ إن مما علَّم النبي ﷺ الأعمى أن يقوله: (**وشفِّعني فيه**)[1]:
أي اقبل شفاعتي، أي دعائي في أن تقبل شفاعته ﷺ أي دعاءه في أن ترُدَّ عليَّ بصري، هذا الذي لا يمكن أن يفهم من هذه الجملة سواه.

ولهذا ترى المخالفين يتجاهلونها، ولا يتعرضون لها من

(١) هذه الجملة صحت في الحديث، أخرجهاأحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وهي وحدها حجة قاطعة على أن حمل الحديث على التوسل بالذات باطل، كما ذهب إليه بعض المؤلفين حديثاً، والظاهر أنهم علموا ذلك، ولهذا لم يوردوا هذه الجملة مطلقاً، الأمر الذي يدل على مبلغ أمانتهم في النقل. وقريب من هذا أنهم أوردوا الجملة التي قبلها: (**اللهم فشفِّعهُ فيَّ**) من الأدلة على التوسل بالذات، وأما توضيح دلالتها على ذلك فمما لم يتفضلوا به على القراء، ذلك لأن فاقد الشيء لا يعطيه!

قريب أو من بعيد، لأنها تنسف بنيانهم من القواعد، وتجتثه من الجذور، ذلك أن شفاعة الرسول ﷺ في الأعمى مفهومة، ولكن شفاعة الأعمى في الرسول ﷺ كيف تكون؟

لا جواب لذلك عندهم البتة.

ومما يدل على شعورهم بأن هذه الجملة تبطل تأويلاتهم أنك لا ترى واحداً منهم يستعملها، فيقول في دعائه مثلاً:

اللهم شفِّع فيَّ نبيك، وشَفِّعني فيه.

٧ـ إن هذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب، وما أظهره الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات، فإنه بدعائه ﷺ لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره، ولذلك رواه المصنفون في «**دلائل النبوة**» كالبيهقي وغيره، فهذا يدل على أن السر في شفاء الأعمى إنما هو في دعاء النبي ﷺ.

ويؤيده أنه لو كان السر هو في دعاء الأعمى وحده دون دعائه ﷺ لكان كل من دعا به من العميان قد عُوفي، بل على الأقل لعوفي واحد منهم، هذا ما لم يكن، ولعله لا يكون أبداً.

كما أنه لو كان السر في شفاء الأعمى أنه توسل بجاه النبي ﷺ وقدره، وحقه، كما يفهم عامة المتأخرين، لكان من

المفروض أن يحصل هذا الشفاء لغيره من العميان الذين يتوسلون بجاهه ﷺ، بل ويضمون إليه أحياناً جاه جميع الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين.

الخلاصة:

إذا تبين للقارىء الكريم ما أوردناه من الوجوه الدالة على أن حديث الأعمى إنما يدور حول التوسل بدعائه ﷺ وأنه لا علاقة له بالتوسل بالذات، فحينئذٍ يتبين له أن قول الأعمى في دعائه:

(**اللهم إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيك محمد ﷺ**):

إنما المراد به: أتوسل إليك بدعاء نبيك، أي على حذف المضاف، وهذا أمر معروف في اللغة كقول الله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ «يوسف: ٨٠»

[أي أهل القرية وأصحاب العير].

ونحن ومخالفونا متفقون على ذلك:

أي: على تقدير مضاف محذوف، وهو مثل ما رأينا في دعاء عُمر وتوسُّلِه بالعباس، فإما أن يكون التقدير:

(**إني أتوجَّهُ إليك بـ [جاه] نبيك، يا محمد إني توجهت**) بـ [ذاتك] أو [مكانتك] إلى ربي كما يزعمون.

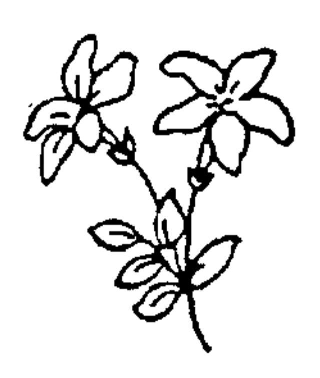
وإما أن يكون التقدير: (**إني أتوجه إليك بـ [دعاء]نبيك، يا محمد**

إني توجهت بـ [دعاء]ك إلى ربي) كما هو قولنا .
ولا بُدَّ لترجيح أحد التقديرين مِن دليل يدل عليه .

فأما تقديرهم [بجاهه] فليس لهم عليه دليل لا مِن هذا الحديث ولا من غيره، إذ ليس في سياق الكلام، تصريح، أو إشارة لِذكر الجاه، أو ما يدل عليه إطلاقاً، كما أنه ليس عندهم شيء من القرآن أو السنة أو فعل الصحابة يدل على التوسل بالجاه، فبقي تقديرهم من غير، مرجح، فسقط من الاعتبار والحمدلله .

أما تقديرنا فيقوم عليه أدلة كثيرة تقدمت في الوجوه السابقة .

«انظر كتاب التوسل أنواعه وأحكامه»



التوسل بالأحياء لا بالأموات

١ـ هناك أحاديث ضعيفة في التوسل يستشهد بها الذين يجيزون التوسل بكل أنواعه، ويتركون الأحاديث الصحيحة في التوسل بأسماء الله وصفاته، والتوسل بأعمال الإنسان الصالحة، والتوسل بطلب الدعاء من الأحياء الصالحين، أو يتأولونها على غير وجهها والمراد منها، كما تأولوا طلب عمر بن الخطاب من العباس أن يدعو لهم بنزول المطر، ولم يطلب من الرسول ﷺ بعد وفاته، فقالوا: هذا يدل على جواز الطلب من المفضول مع وجود الفاضل: وهذا خطأ كبير، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾ «فاطر: ٢٢»

٢ـ ولو كان طلب الدعاء من الميت جائزاً لفعله الصحابة ولو مرة واحدة، ولاسيما مع الرسول ﷺ الذي هو أفضل الخلق، ولكنهم لم يفعلوا، لأنهم عرفوا أن الرسول ﷺ لا يسمع طلبهم، حتى السلام عليه ﷺ لا يسمعه إلا بواسطة الملائكة لقوله ﷺ:

(إن لله ملائكة سيَّاحين في الأرض يُبلغوني عن أُمتي السلام).

«صححه الحاكم ووافقه الذهبي»

وعرف الصحابة رضوان الله عليهم أن الرسول ﷺ لا يستطيع أن يدعو لهم بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى لقوله ﷺ:

(إذا مات الإنسان انقطع عمُله إلا مِن ثلاث: صدقة جارية، أو عِلمٍ يُنتفَع به، أو ولدٍ صالح يدعو له). «رواه مسلم»

والرسول ﷺ داخل في هذا الحديث لأن الله تعالى يقول:

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾. [الزمر: ٣٠]

٣ـ ولكن الرسول ﷺ وغيره من الأنبياء تبقى أجسامهم لا تبلى كغيرهم من الأموات، لَقوله ﷺ:

(إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء).

«صحيح رواه أبوداود»

وحياته ﷺ في قبره حياة برزخية خاصة، تُرد إليه روحه حين تُبلِّغه الملائكة السلام:

قال رسول الله ﷺ: **(ما مِن أحد يُسلِّم عليَّ إلا رَدَّ الله عليَّ روحي حتى أرُدَّ عليه السلام).**

«رواه أبو داود وحسن إسناده الشيخ الألباني في المشكاة»

مفهوم الحديث: أن الرسول ﷺ لا يسمع السلام عليه، ولا يرد عليه، إلا بعد رَدَّ روحه عليه، وهي خاصة به ﷺ.

وحياته ﷺ في قبره، ليست كحياتنا، ولو كان كذلك لما ترك الصحابة الصلاة خلفه، ولرجعوا إليه فيما اختلفوا فيه، ولكنهم لم يفعلوا ذلك، بل رجعوا إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ.

التوسل بالرسول ﷺ

١ـ **القسم الأول**: أن يتوسل بالإيمان به، واتباعه، ومحبته وهذا جائز في حياته وبعد مماته.

٢ـ **القسم الثاني**: أن يتوسل بدعائه، أي بأن يطلب من الرسول ﷺ أن يدعو له، فهذا جائز في حياته لا بعد مماته لأنه بعد مماته متعذر.

٣ـ **القسم الثالث**: أن يتوسل بجاهه ومنزلته عند الله، فهذا لا يجوز لا في حياته ولا بعد مماته لأنه ليس وسيلة إذ أنه لا يوصل الإنسان إلى مقصوده لأنه ليس من عمله.

فإذا قال قائل: جئت إلى الرسول ﷺ عند قبره، وسألته أن يستغفر لي، أو أن يشفع لي عند الله فهل يجوز ذلك أم لا؟

قلنا لا يجوز، فإذا قال: أليس الله يقول:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾؟ «النساء»

قلنا له: بلى، إن الله يقول ذلك، ولكن يقول:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ ﴾. وإذ هذه ظرف لما مضى وليست ظرفاً للمستقبل.

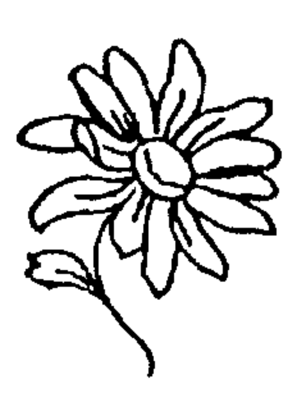
لم يقل الله: (ولو أنهم إذا ظلموا). بل قال: ﴿ إِذ ظَّلَمُوٓاْ ﴾

فالآية تتحدث عن أمر وقع في حياة الرسول ﷺ واستغفار الرسول ﷺ بعد مماته أمر متعذر لأنه إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث كما قال الرسول ﷺ :

(إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صَدَقَةٍ جارية ، أو عِلْمٍ يُنتفع به ، أو ولدٍ صالح يدْعُو له) ، «رواه مسلم»

فلا يمكن لإنسان بعد موته أن يستغفر لأحد، بل ولا يستغفر لنفسه أيضاً لأن العمل قد انقطع .

«انظر فتاوي الشيخ ابن عثيمين ١/ ٨٩»



التوسل بجاه الرسول ﷺ

قال الشيخ الألباني في كتابه: «التوسل» تحت عنوان:
(دفع توهم):

١ـ هذا ولابُد من بيان ناحية هامة تتعلق بهذا الموضوع، وهي أننا حينما ننفي التوسل بجاه النبي ﷺ، وجاه غيره من الأنبياء والصالحين فليس ذلك لأننا ننكر أن يكون لهم جاه، أو قدر أو مكانة عند الله، كما أنه ليس ذلك لأننا نبغضهم، وننكر قدرهم، ومنزلتهم عند الله، ولا تشعر أفئدتنا بمحبتهم، كما افترى علينا الدكتور البوطي في كتابه: «فقه السيرة ص٣٥٤» فقال في نصه:

[فقد ضلَّ أقوام لم تشعر أفئدتهم بمحبة رسول الله ﷺ، وراحوا يستنكرون التوسل بذاته ﷺ بعد وفاته . . .]

كلا ثم كلا، فنحن ولله الحمد من أشد الناس تقديراً لرسول الله ﷺ، وأكثرهم حبًا له، واعترافًا بفضله ﷺ. وإن دلَّ هذا الكلام على شيء فإنما يدل على الحقدالأعمى الذي يملأ قلوب أعداء الدعوة السلفية على هذه الدعوة وعلى أصحابها، حتى يحملهم على أن يركبوا هذا المركب الخطر الصعب، ويقترفوا هذه الجريمة البشعة النكراء، ويأكلوا لحوم إخوانهم

المسلمين، ويكفروهم دونما دليل، اللهم إلا الظن الذي هو أكذب الحديث، كما قال النبي الأكرم ﷺ.

(إياكم والظن، فإن الظن أكذبُ الحديث). «متفق عليه»

٢ـ ولا أدري كيف سمح هذا المؤلف الظالم لنفسه أن يصدر مثل هذا الحكم الذي لا يستطيع إصداره إلا الله عز وجل، المطَّلع وحده على خفايا القلوب ومكنونات الصدور، ولا تخفى عليه خافية.

أتراه لا يعلم جزاء من يفعل ذلك، أم إنه يعلم، ولكنه أعماه الحقد الأسود والتحامل الدفين على دعاة السنة؟

أي الأمرين كان فإننا نذكره بهذين الحديثين الشريفين لعله ينزجر عن غَيِّه، ويفيق من غفلته، ويتوب من فعلته:

قال رسول الله ﷺ: **(أيما رجل أكفر رَجلاً مسلماً فإن كان كافراً وإلا كان هو الكافر)**. «متفق عليه»

وقال رسول الله ﷺ:

(إن من أربى الربا الاستطالة في عِرض المسلم بغير حق).

«رواه أحمد وأبوداود وإسناده صحيح»

٣ـ كما نقول له أخيراً: ترى هل دريت يا هذا بأنك حينما تقول ذاك الكلام فإنك ترد على سلف هذه الأمة الصالح، وتكفر أئمتها المجتهدين ممن لا يجيز التوسل بالنبي ﷺ وغيره بعد

وفاتهم كالإمام أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله تعالى، وقد قال أبو حنيفة:

«أكره أن يُتوسل إلى الله إلا بالله» كما تقدم.

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة

وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

حبنا للنبي ﷺ:

١ـ ونعود لنقول: إن كل مخلص منصف ليعلم علم اليقين بأننا والحمدلله من أشد الناس حُباً لرسول الله ﷺ، ومِن أَعرَفهم بقدره وحقه وفضله ﷺ، وبأنه أفضل النبيين، وسيد المرسلين، وخاتمهم وخيرهم، وصاحب اللواء المحمود، والحوض المورود، والشفاعة العظمى، والوسيلة والفضيلة، والمعجزات الباهرات، وبأن الله تعالى نسخ بدينه كل دِين، وأنزل عليه سبعاً من المثاني والقرآن العظيم، وجعل أُمته خير أُمة أخرجت للناس. إلى آخر ما هنالك من فضائله ﷺ ومناقبه التي تُبين قدره العظيم، وجاهه المنيف صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً.

أقول: إننا ـ والحمدلله ـ مَن أولِ الناس اعترافاً بذلك كله، وإن منزلته ﷺ عندنا محفوظة أكثر بكثير مما هي محفوظة لدى

الآخرين، الذين يَدَّعون محبته، ويتظاهرون بمعرفة قدره، لأن العبرة في ذلك كله إنما هي في الاتباع له ﷺ، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، كما قال سبحانه وتعالى:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾. «آل عمران: ٣١»

٢ـ ونحن بفضل الله من أحرص الناس على طاعة الله عز وجل، واتباع نبيه ﷺ وهما أصدق الأدلة على المودة والمحبة الخالصة بخلاف الغلو في التعظيم، والإفراط في الوصف اللذين نهى الله تعالى عنهما، فقال سبحانه:

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾. «النساء: ١٧١»

٣ـ كما نهى النبي ﷺ عنهما فقال:

(لا تُطروني كما أطرتِ النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبدالله ورسوله). «رواه البخاري، والترمذي في الشمائل»

٤ـ ومن الجدير بالذكر أن النبي ﷺ جعل من الغلُو في الدين أن يختار الحاج إذا أراد رمي الجمرات بمنى الحصوات الكبيرة وأمر أن تكون مثل حصى الخذف:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة :

(هات ألْقطْ لي. قال فلقطتُ له نحو حصى الخذف، فلما وضعتهن في يده قال: مثل هؤلاء ـ ثلاث مرات ـ وإياكم والغلُوَّ في الدين، فإنما هلك مَن كان قبلكم بالغُلُوِّ في الدين).

«صحيح رواه أحمد وغيره»

ذلك لأنه ﷺ يَعدُّ مسألة رمي الجمار مسألة رمزية الغرض منها نبذ الشيطان ومحاربته، وليس حقيقية يُراد بها قتله وإماتته، فعلى المسلم تحقيق الأمر، ومنابذة الشيطان عدوّ الإنسان اللدود بالعداء ليس غير.

٤ـ ومع هذا التحذير الشديد مِن الغُلو في الدين، وقع المسلمون فيه مع الأسف، واتَّبعوا سَنن أهل الكتاب :

فقال قائلهم (البوصيري) :

دَعْ ما ادعته النصارى في نبيهِم
واحكُم بما شئتَ مدحاً فيه واحتكم

فهذا الشاعر الذي يُعظمه كثير من المسلمين، ويترنمون بقصيدته هذه، المشهورة بالبردة، ويتبركون بها، وينشدونها في الموالد وبعض مجالس الوعظ والعلم، ويعُدون ذلك قربة إلى الله تبارك وتعالى، ودليلاً على محبتهم نبيهم ﷺ، أقول :

هذا الشاعر قد ظن النهي الوارد في (حديث الإطراء) مُنصباً فقط على أن الادعاء بأن محمداً ﷺ ابن الله، فنهى عن هذه القولة، ودعا إلى القول بأي شيء آخر مهما كان.

وهذا غلط بالغ وضلال مبين، ذلك لأن للإطراء المنهي عنه في الحديث معنيين اثنين:

أولهما مُطلق المدح، وثانيهما المدح المجاوز لِلْحَد.

أ ـ وعلى هذا فيمكن أن يكون المراد من الحديث النهي عن مدحه ﷺ مطلقاً، من باب سد الذريعة، واكتفاء باصطفاء الله تعالى له نبياً ورسولاً، وحبيباً وخليلاً، وبما أثنى سبحانه عليه في قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾. «القلم: ٤»

إذ ماذا يمكن للبشر أن يقولوا فيه بعد قول الله تبارك وتعالى هذا؟ وما قيمة أي كلام يقولونه أمام شهادة الله تعالى هٰذه؟ وإن أعظم مدح له ﷺ أن نقول فيه ما قال ربنا عز وجل: إنه عبدٌ له ورسول، فتلك أكبر تزكية له ﷺ، وليس فيها إفراط ولا تفريط، ولا غلُوٌّ ولا تقصير. وقد وصفه ربنا سبحانه وهو في أعلى درجاته، وأرفع تكريم من الله تعالى له، وذلك حينما أُسريَ وعُرج به إلى السموات العُلى، حيث أراه من آيات ربه الكبرى، وصَفه حينذاك بالعبودية فقال:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ . «الإسراء : ١»

ب ـ ويمكن أن يكون المراد: لاتبالغوا في مدحي فتصفوني بأكثر مما أستحقه، وتُصبغوا عليَّ بعض خصائص الله تبارك وتعالى

ولعل الأرجح في الحديث المعنى الأول لأمرين اثنين:

أولهما تمام الحديث، وهو قوله ﷺ:

(**فقولوا عبدالله ورسوله**) أي: اكتفوا بما وصفني به الله عز وجل من اختياري عبداً له ورسولاً.

وثانيهما ما عقد بعض أئمة الحديث له من الترجمة، فأورده الإمام الترمذي مثلاً تحت عنوان: «**باب تواضع النبي** ﷺ»، فَحَمْلُ الحديث على النهي عن المدح المطلق هو الذي ينسجم مع معنى التواضع ويأتلف معه.

«انظر كتاب التوسل أنواعه وأحكامه لفضيلة الشيخ الألباني ص٨٤»

أقول: والقائل «محمد بن جميل زينو» لعل الذي رجحه فضيلة الشيخ ناصر من عدم مدحه ﷺ مطلقاً فيه نظر:

١ـ إن الرسول ﷺ سمع من أصحابه، كحسان شاعر النبي ﷺ وغيره مدحاً فأقره، ولم يُنكر المديح من أصحابه.

٢ـ إن فضيلة الشيخ ذكر في كتابه «التوسل» أوصافاً كثيرة فيها مدح للرسول ﷺ كما في الصفحة «٨٦» من الكتاب المذكور، حيث قال فيها:
«.. إلى آخر ما هنالك من فضائله ﷺ، ومناقبه التي تُبين قدره العظيم، وجاهه المنيف... ﷺ».
٣ـ إن المراد بالإطراء الوارد في قوله ﷺ:
(لا تُطروني كما أطرَتِ النصارى ابن مريم)
أي لا تبالغوا في مدحي، كما بالغت النصارى في مدح عيسى عليه السلام حينما قالوا: هو ابن الله!، بل قولوا: عبدالله ورسوله.
٤ـ إن فضيلة الشيخ فهم من كلام الترمذي حين قال:
(باب تواضع النبي ﷺ) فقال الشيخ ناصر: فحملُ الحديث على النهي عن المدح المطلق هو الذي ينسجم مع معنى التواضع ويأتلف معه. انتهى.
أقول: إن فهم الشيخ ناصر حفظه الله فيه نظر:
أـ رجعت إلى «مختصر الشمائل المحمدية» للترمذي بتحقيق الشيخ ناصر، فوجدته فسَّر الإطراء حيث قال:
(الإطراء: هو حُسن الثناء: أي لا تبالغوا في مدحي كما بالغت

النصارى في مدح سيدنا عيسى فجعلوه إلٰهاً أو ابن إلٰه) .
أقول: إن تعريف الإطراء ليس هو حُسن الثناء كما ذكر الشيخ ناصر بل معناه (لا تبالغوا في مدحي) كما قال الشيخ نفسه في تعريف الإطراء . «انظر مختصر الشمائل للشيخ الألباني ص١٧٥»



الدعاء المستجاب

١ـ قال رسول الله ﷺ: (ماأصاب عبداً همٌّ ولاحزَن فقال:
اللهم إني عبدك، وابنُ عبدك وابنُ أمَتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمُك، عَدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هُوَ لك، سمَّيت به نفسَك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في عِلم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب هَمِّي وغَمِّي: إلا أذهب الله همَّه وحزنَه، وأبدلَه مكانَه فرحًا). «صحيح رواه أحمد»

٢ـ وقال ﷺ: (دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت:
﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾
لم يدعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ قط إلَّا استجاب الله له) «صحيح»

٣ـ كان رسول الله ﷺ إذا نزل به هَمٌّ أو غَمٌّ قال:
(يا حَيُّ يا قيوم برحمتك أستغيث) «حسن رواه الترمذي»

٤ـ سمع الرسول ﷺ رجلاً يقول:
اللهم إني أسألك بأني أشهدُ أنك أنتَ الله لا إلـه إلاَّ أنت الأحدُ الصمَدُ الذي لم يلِدْ ولم يُولَد ولم يَكُنْ له كُفُوًا أحَد:
فقال ﷺ: (والذي نفسي بيده لقد سأل اللهَ باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئِل به أعطى) «صحيح رواه أحمد»

دعاء الشفاء

١ـ (ضَعْ يدك على الذي تألَّمَ من جسدك وقل :
بسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات :
أعوذ بالله وقدرته من شرِّ ما أجدُ وأُحاذر) «رواه مسلم»

٢ـ **(اللهم رَبَّ الناس، أذهب البأس، اشف أنت الشافي لا شفاءَ إلا شفاؤك شفاءً لا يُغادرُ سَقماً)** «متفق عليه»

٣ـ **(أعوذ بكلمات الله التامَّة من كل شيطان وهامَّة ومن كل عين لامَّة)** [هامَّة : حشرات سامّة، لامَّة : سوء] «رواه البخاري»

٤ـ (مَن عاد مريضاً لم يحضُر أجلُه فقال عنده سبع مرات :
أسأل الله العظيم، ربَّ العرش العظيم أن يشفيك، إلا عافاه الله) «صححه الحاكم ووافقه الذهبي»

٥ـ (من رأى مُبتلى فقال: **الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضَّلني على كثير ممَّن خلق تفضيلاً لم يُصِبْه ذلك البلاء)** «حسن رواه الترمذي»

٦ـ اقرأ الفاتحة والمعوذتين واطلُب الشفاء من الله وحده، واجمع بين الدعاء والدواء، وتصدَّق للفقراء لتُشفى بإذن الله .

٧ـ استعمل العسل لقوله تعالى : ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ . «النحل : ٦٩»

٨ـ قال رسول الله ﷺ : **(أمثل ما تداويتم به الحجامة)** «رواه البخاري»

٩ـ وقال رسول الله ﷺ : **(في الحبة السوداء، شفاء من كل داء، إلا السام)** . [السام : الموت] «متفق عليه»

دعاء الاستخارة

عن جابر رضي الله عنه قال :

كان رسول الله ﷺ يُعلِّمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يُعلِّمنا السورة من القرآن، يقول :

(إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل :

اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرُك بقُدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدِرُ ولا أقْدِرُ، وتعلمُ ولا أعلم، وأنت علاَّم الغيوب.

اللهم إن كنتَ تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاقدُرهُ لي، ويَسِّرْهُ لي، ثم باركْ لي فيه، وإن كنتَ تعلَمُ أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاصرفهُ عني واصرفني عنه، واقدُرْلي الخيرَحيث كان ثم رضِّني به) «رواه البخاري»

(قال : ويسمي حاجته) [من زواج أو شركة أو سفر أو غيره]

وهذه الصلاة والدعاء يفعلهما الإنسان لنفسه كما يشرب الدواء بنفسه مُوقناً أن ربه الذي استخاره سَيوجِّههُ للخير، وعلامة الخير تيسُّرأسبابه، واحذرالاستخارة المبتدعة التي تعتمد على المنامات وحساب اسم الزوجين وغيرهما مما لا أصل له في الدين.

دعاء الركوب والسفر

١ـ إذا ركبت سيارة أو مركوبًا فقل :

(بسم الله والحمد لله، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين [مطيقين]، وإنا إلى ربنا لمنقلبون [راجعون]، الحمدلله، الحمدلله، الحمد لله، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، سبُحانك إني ظلمتُ نفسي فاغفِرْ لي فإنه لايغفر الذنوب إلاأنت) «رواه الترمذي وقال: حسن صحيح»

٢ـ قال ﷺ: **(من أراد أن يسافر فليقل لمن يَخلِف : أستودعُكم الله الذي لا تضيعُ ودائعُه)** «حسن رواه أحمد»

٣ـ ويقال للمسافر: **(زوَّدك الله التقوى، وغفر ذنبك، ويسَّر لك الخير حيثما كنت)** «رواه الترمذي وحسَّنه وهو كما قال»

٤ـ إذا ركبت وسافرت فقل :

(اللهم إنانسألك في سفرناهذاالبِرَّوالتقوى ومن العمَل ماترضى اللهم هَوِّن علينا سفرنا هذا، واطوِ عنا بُعْدَه.

اللهم أنت الصاحبُ في السفر، والخليفةُ في الأهل.

اللهم إني أعوذ بك من وعَثْاء السفر [شدَّته]، وكآبة المنظر وسوء المُنقلب [الرجوع] **في المال والأهل).** «رواه مسلم»

٥ـ وإذا رجع المسافر قالهن وزاد عليهن :

(آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون) «رواه مسلم»

دعاء من القرآن الكريم

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ «الكهف»

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ «البقرة»

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ «آل عمران»

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ «الحشر»

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ «الممتحنة»

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ
رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ
رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ «البقرة»

﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ «الأعراف»

﴿ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ «يونس»

﴿ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ «الفرقان : ٦٥»

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ «إبراهيم : ٤١»

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ «البقرة : ١٢٧»

إلَهي أنت عوني

إلٰهـــي ليـــس لـــي إلاَّك عـــونٌ
فكــن عــونـي علـى هــذا الـزمـانِ
إلٰهـــي ليـــس لـــي إلاك ذخـــرٌ
فكـــن ذخـــري إذا خلـــت اليـــدانِ
إلٰهـــي ليـــس لـــي إلاك حصـــنٌ
فكـــن حصنـــي إذا رامٍ رمـــانـــي
إلٰهـــي ليـــس لـــي إلاك جـــاهٌ
فكــن جـاهـي إذا هـاجٍ هجـانـي
إلٰهـــي أنـــت تعلـــم مـــا بنفســـي
وتعلـــم مـــا يجَيشُ بـــه جنـــانـي
فهـب لـي يـا رحيـم رضـاً وحلمـاً
إذا مـــا زلَّ قلبـــي أو لســـانـــي
إلٰهـــي ليـــس لـــي إلاَّك عـــزٌّ
فكــن عـزي وكــن حصـن الأمـانـي

* * *

إلهي أنت المغيثُ وحدك

يا مَن يرى ما في الضمير ويسمع
أنت المعَدُّ لكل ما يُتوقَعُ
يا مَن يُرجَّى لِلشدائد كُلِّها
يا من إليه المشتكىٰ والمفزَعُ
يا مَن خزائنُ رزقهِ في قول كنْ
أمْنُنْ فإن الخيرَ عندك أجمعُ
مالي سوى فقري إليك وسيلة
فبالافتقار إليك فقري أدفعُ
مالي سوى قَرعي لبابِك حِيلةٌ
فلئِن رُدِدتُ فأيُّ بابٍ أقرَعُ
ومَن الذي أدعو وأهتِفُ باسمِهِ
إن كان فضلُك عن فقيرِك يُمنَعُ
حاشا لجودِك أن تُقنِّطَ عاصياً
الفضل أجزلُ والمواهبُ أوسعُ
ثم الصلاةُ على النبي وآله
(مَن جاءَ بالقرآنِ نوراً يسطَعُ)

لا تدعوا مع الله أحداً

قولوا لمن يدعو سوى الرحمن	متخشعاً في ذلة العبدان
يا داعياً غير الإله ألا اتئد	إن الدعاء عبادة الرحمن
أنسيت أنك عبده وفقيره	ودعاؤه قد جاء في القرآن
الله أقرب من دعوت لكربه	وهو المجيب بلا توسط ثان
هل جاء دعوه غيره في سنة؟	أم أنت فيه تابع الشيطان؟
إن كنت فيما تدعيه على هدى	فلتأتنا بسواطع البرهان
والله ما دعت الصحابة غيره	يتقربون به كذي الأوثان
لكن هذا الفعل كان لديهمو	شركاً، وفَرُّوا منه للإيمان
ليس التوسل والتقرب بالهوى	بل بالتقى والبر والإحسان
هذا كتاب الله يفصل بيننا	هل جاء فيه: توسلوا بفلان؟
إن التوسل في الكتاب لواضح	وإذا فطنت فإنه نوعان[(١)]

الشيخ عبدالظاهر أبوالسمح ـ رحمه الله ـ مدير دار الحديث الخيرية بمكة

---

(١) ١ـ توسل المؤمنين بطاعة الله وأسمائه والعمل الصالح.
٢ـ توسل المشركين بدعائهم لأوليائهم الممثلة في الأصنام.

عقيـدة المسلـم

إن كان تابعُ أحمدٍ[١] متوهَّباً فـأنـا المقِـرُّ بـأننـي وهَّـابـي
أنفي الشريك عن الإله فليسَ لي ربٌّ سـوى المتفـردِ الـوهـاب
لا قبـةٌ تُـرجـى ولا وثَـنٌ ولا قبـرٌ لـه سبـبٌ مـن الأسبـاب
كلا ولا حجر، ولا شجر ولا عين[٢] ولا نُصُبٌ من الأنصاب
أيضاً ولستُ معلِّقاً لتميمة[٣] أو حلقـة، أو وَدعـة أو نـاب
لِرجاء نفع، أو لدفع بليةٍ الله ينفعنـي، ويـدفـعُ مـا بـي
والابتـداع وكـل أمرٍ مُحدَثٍ في الدين ينكره أولو الألباب
أرجـو بـأنـي لا أقـاربُـه ولا أرضاه ديناً، وهو غير صواب
وأعوذ من جهمية[٤] عنها عتتْ بخـلاف كـل مُـؤَوِّل مُـرتـاب
والاستواء[٥] فإن حسبي قدوةٌ فيهـا مَقـال السـادةِ الأنجـاب
الشافعي ومالك وأبي حنيـ ـفةَ وابن حنبل التقي الأواب
وبعصرنا مَن جاء معتقداً به صاحوا عليه مُجَسِّمٌ وهَّابي
جاء الحديث بغربة الإسلام فَلْـ ـيبَكِ المحب لِغربة الأحباب

---

(١) المراد بتابع أحمد هو الرسول ﷺ.
(٢) عين ماء يغتسلون بها للتبرك والشفاء.
(٣) التميمة: الخرزة ونحوها توضع للحماية من العين.
(٤) الجهمية: فرقة ضالة تنكر أن الله في السماء، وتقول إن الله في كل مكان.
(٥) الاستواء: هو العلو والارتفاع كما فسّره التابعي مجاهد أبوالعالية في البخاري

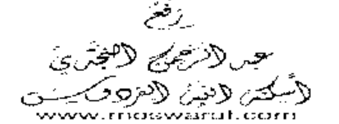
محتويات الكتاب

التوسل المشروع ٤
التوسل الممنوع ١١
ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ١٥
معنى لا إلـه إلَّا الله ١٧
(إياك نعبد وإياك نستعين) ٢٠
استعن بالله وحده ٢١
الدعاء هو العبادة ٢٣
أحاديث ضعيفة في التوسل ٣٠
شبهات حول التوسل ٣٣
التوسل بالأحياء لا بالأموات ٤٢
التوسل بالرسول ﷺ ٤٤
التوسل بجاه الرسول ﷺ ٤٦
حبنا للنبي ﷺ ٤٨
الدعاء المستجاب ٥٥
دعاء الشفاء ٥٦
دعاء الاستخارة ٥٧
دعاء الركوب والسفر ٥٨
دعاء من القرآن ٥٩
إلـهي أنت عوني ٦٠
إلـهي أنت المغيث وحدك ٦١
لا تدعوا مع الله أحداً ٦٢
عقيدة المسلم ٦٣

الصف التصويري والإخراج **الفرقان** مكة المكرمة: ٩٨ شارع العزيزية العام ت٥٥٦٤٨٦٠



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



تابع سلسلة التوجيهات للمؤلف :

١٨- تكـريـم المـرأة في الإسـلام .
١٩- كيـف نفهـم التـوسـل ؟
٢٠- كيف اهتديت إلى التوحيد والصراط المستقيم ؟
٢١- فضائل الصلاة والسلام علىٰ محمد خير الأنام .
٢٢- تحفة الأبرار في الأدعية والآداب والأذكار .
٢٣- تـفسـير وبيـان لأعظـم سـورة في القـرآن .
٢٤- دعـوة الشـيـخ محـمد بـن عـبد الـوهـاب .
٢٥- شهادة الإسلام (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .
٢٦- الصـوفيـة فـي ميـزان الكتـاب والسنـة .
٢٧- التحـذيـر مـن فتنـة الكفـر والتكفير .
٢٨- بيان وتحذير من كتاب (عقيدة الحافظ ابن كثير) .
٢٩- التحذير الجديد من مختصرات الصابوني في التفسير .
٣٠- تحذير الإخوان من انحرافات عبد الرحيم الطحان .
٣١- أخطاء شائعة يجب تصحيحها في ضوء الكتاب والسنة
٣٢- الصـلاة عمـاد الـديـن .
٣٣- صيـام رمضـان .
٣٤- مـن أحكـام الـزكـاة والمعـامـلات .

معنى التوسل وأنواعه

التوسل لغة : التقرب إلى المطلوب والتوصل إليه برغبة .

والوسيلة اللغوية : هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود .

التوسل شرعاً : التقرب إلى الله تعالى بطاعته والعمل بما يُرضيه .

والوسيلة الشرعية : هي كل سبب يوصل إلى المقصود عن طريق ماشرعه الله تعالى وبيَّنه في كتابه وسنة نبيه ﷺ .

التوسل المشروع: هو التوسل إلى الله تعالى باسم مِن أسمائه الحسنى، أو صفة مِن صفاته العُليا، أو بعملٍ صالحٍ قام به الداعي، أو بدعاء الرجل الصالح لأخيه؛ وهو الذي أمر به القرآن، وبيَّنه الرسول ﷺ، وعمل به الصحابة .

التوسل الممنوع: هو التقرب إلى الله تعالى بما لم يشرعه الله ولا رسوله، ولا يحبه الله ولا يرضاه: كالتوسل بجاه أحد أو بحقه من الأحياء أو الأموات، ولو كان نبيًّا مرسلاً، أو مَلكاً مقرَّباً، أو وليّاً صالحاً .

أما الاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر لغير الله فهو شِرك لأنه طلبٌ مباشِر من غير الله وليس بتوسل .

المطبعة الأهلية للأوفست بالطائف
يوزع مجاناً على نفقة المحسنين

التوسل

والرد على الشبهات التي حوله

تقريظ فضيلة الشيخ العلامة الاستاذ الدكتور/ عبد الرحمن بن صالح محي الدين

رئيس قسم السنة بالجامعة الاسلامية بالمدينة النبوية (سابقا)

إعداد: مزمل فقيري



الحمدالله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبة ومن والاه وبعـد: -

فقد ناولني الأخ الفاضل مزمل فقيري بحثه الذي فتح الله عليه في التوسل

وأحكامه وأقسامه وهو بحث جيد يجب أن ينشر لعل الله ان ينفع به

"لأن يهدى الله بك رجلاً واحدا خير لك من حمر النعم "

والله الموفق،،،

كتبه وامضاه

عبد الرحمن بن صالح محي الدين

٠٦/٠٣/ ١٤٤١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

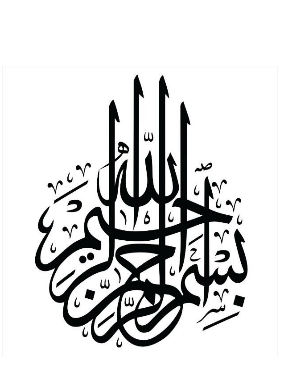
وبعد :-

فقد ناولني الاخ الفاضل مزمل فقيري بحثه الذي فتح الله عليه في التوسل وأحكامه وأقسامه وهو بحث جيد يجب أن ينشر لعل الله ان ينفع به "لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم" والله الموفق

كتبه وامضاه

عبدالرحمن بن صالح محي الدين

٦/٣/١٤٤١هـ





مُقدمة

الحمدُ لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والآه،،،،

أما بعد:

فهذه رسالةٌ مختصرةٌ في بيان التوَسُّل المشروع وأنواعه، وبيان ما يُضاده من البدع في هذا الباب الذي هو من أهم الأبواب في العقيدة، وكذلك هو أكثر بابٍ أدخلَ فيه الصوفيةُ البدعَ والمُحدثاتِ والشبهاتِ التي أثَّرُوا بها على كثيرٍ من المسلمين فأوقعوهم في الشركِ ودعاءِ غير الله، مما كان له أكبر الأثر في ضعف المسلمين اليوم في جميع أنحاء العالم.

ولذلك كان واجباً على أهل العلم والدعاة إلى الله أن يُبينوا المنهج الصحيح في ذلك؛ وينشروا التوحيد ويردوا على هذه الشبهات؛ حتى تصفوا العقيدة ويسلم المسلمون من شرهم، وتنهض الأمة وتقوى، ولا يكون ذلك إلا بالرد العلمي من الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

فلهذا كانت هذه الرسالة في بيان التوسل، وقد ميزتها عن غيرها بأني جمعت فيها كل الشبهات القديمة والحديثة التي أثارها عُبَّادُ القبور في موضوع التوسل، ورددت عليها بالأدلة الصحيحة وأقوال أهل العلم من السلف الصالح ومن بعدهم، واختصرتها لتسهل قراءتها وتداولها والانتفاع بها.

والشكر بعد شكر الله سبحانه وتعالى لفضيلة شيخنا العلامة الاستاذ الدكتور/عبد الرحمن بن صالح محي الدين وفضيلة شيخنا /مسعود حقاني الأفغاني على مراجعتهما وتصحيحهما لهذا الكتاب نسأل الله أن يجعله في ميزان حسناتنا وحسناتهما.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الخرطوم ١٠ رمضان ١٤٤٠هـ

مزمل عوض فقيري

التوســــــل

لُغةً: معناه: التقرب إلى المطلوب، والتوصل إليه برغبة.

قال ابن الأثير في "النهاية": الواسلُ: الراغبُ، والوسيلةُ: القربةُ والواسطةُ وما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به وجمعها "وسائل" ... إلى غير ذلك.

معنى الوسيلة في القرآن المجيد:

وردت كلمة (الوسيلة) في القرآن في آيتين:

- في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" [المائدة: ٣٥].
- وقوله تعالى: "أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا" [الإسراء: ٥٧].

أما الآيةُ الأولى: فقد قال إمامُ المفسرين الحافظُ ابن جرير - رحمه الله - في تفسيرها: " يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله فيما أخبرهم ووعدهم من الثواب وأوعد من العقاب، (اتَّقُوا اللَّهَ) يقول: أجيبوا الله فيما أمركم ونهاكم بالطاعة في ذلك، (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) يقول: واطلبوا القُربةَ إليه بالعمل بما يُرضيه".

ونقل الحافظُ ابن كثير عن ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - أن معنى الوسيلة فيها: القُربة، ونقل مثل ذلك عن مجاهد، وأبي وائلٍ، والحسن، وعبد الله بن كثير، والسدي، وابن زيد ... وغير واحدٍ.

ونقل عن قتادة قوله فيها: "أي تقربوا إليه بطاعته والعمل` بما يرضيه"، ثم قال ابن كثير: "وهذا الذي قاله هؤلاء الأئِمة لا خلاف بين المفسرين فيه ... والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود".

أما الآية الثانية: فبيَّن الصَّحابيُّ الجليلُ عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - مناسبة نزولها التي توضح معناها فقال: "نزلت في نفرٍ من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون".

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى -: " أي استمرَّ الإنسُ الذين كانوا يعبدون الجنَّ على عبادةِ الجنِّ، والجنُّ لا يرضون بذلك؛ لكونهم أسلموا، وهم الذين صاروا يبتغون إلى ربهم الوسيلة، وهذا هو المُعتمد في تفسير الآية".

ثم قال الشيخُ الألباني - رحمه الله تعالى -: "وهي صريحة في أن المراد بالوسيلة ما يتقرب به إلى الله تعالى؛ ولذلك قال "يبتغون" أي: يطلبون ما يتقربون به إلى الله تعالى من الأعمال الصالحة، وهي كذلك تشير إلى هذه الظاهرة الغريبة المخالفة لكل تفكير سليم، ظاهرة أن يتوجه بعض الناس بعبادتهم ودعائهم إلى بعض عباد الله، يخافونهم ويرجونهم؛ مع أن هؤلاء العباد المعبودين قد أعلنوا إسلامهم وأقروا لله بعبوديتهم وأخذوا يتسابقون في التقرب إليه - سبحانه - بالأعمال الصالحة التي يحبها ويرضاها ، ويطمعون في رحمته ويخافون من عقابه ..." [١].

فقد ردت الآية على الذين يعبدون الأولياء أو يعبدون سادتهم بحجة أنهم صالحين، فبَّين الله تعالى أن هؤلاء المعبودين هم أنفسهم محتاجون إليه سبحانه؛ ولذلك يتقربون إليه بالطاعات.

أنــواع التوسل المشــروع:

وهي ثلاثة أنواع كما جاء ذلك في الكتاب والسنة:

النوع الأول: التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العليا:

كما ورد أن النبي ﷺ سمع رجلًا يقول في تشهده: "اللهم إني أسألك بأن لكَ الحمد، لا إله إلا أنتَ وحدكَ لا شريك لكَ، المنان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حيُّ يا قيومُ، إني أسألك الجنة وأعوذ بكَ من النار، فقال النبي ﷺ لأصحابه: "تدرون بِمَ دعا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "والذي نفسي بيده، لقد دعا الله باسمه العظيم (وفي رواية: الأعظم) الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى" (رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح كما قال الألباني).

ودليل هذا النوع من التوسل أيضًا، قوله تعالى: "ولله الأسماءُ الحسنى فادعُوه بها" ولا شك أن أسماءه الحسنى تتضمن صفات له.

النوع الثاني: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به الداعي:

كقوله تعالى: "الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" [آل عمران: ١٦].

وقوله: "رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ" [آل عمران: ٥٣].

(١) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني (١٣-١٤).

وقوله تعالي: "رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ* رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ"

[آل عمران: ١٩٣-١٩٤].

وكذلك حديث أصحاب الغار كما رواه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " انطلق ثلاثةُ رهطٍ ممن كان قبلكم حتى آووا المبيت إلى غارٍ، فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم (وفي رواية لمسلم: فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالًا عملتموها صالحة لله فادعوا الله بها لعل الله يفرجها عنكم)، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا، فنأى بي طلب شيْءٍ (وفي رواية لمسلم: الشجر) يومًا، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلًا أو مالًا، فلبثتُ والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج، قال النبي ﷺ:وقال الآخر: اللهم كانت لي بنتُ عمٍّ كانتْ أحبَّ الناسِ إليَّ، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سَنَةٌ من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومِئَة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، فَفَعَلت، حتى إذا قَدِرتُ عليها قالت: لا أحلُّ لكَ أن تفض (وفي رواية لمسلم: يا عبدالله، اتق الله ولا تفتح) الخاتم إلا بحقه، فتحرجَّتُ من الوقوع عليها، فانصرفتُ عنها وهي أحبُّ الناسِ إليَّ، وتركتُ الذهبَ الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنَّا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال النبي ﷺ:وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أُجَرَاءَ، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحدٍ، ترك الذي له وذهب فثمَّرت أجره؛ حتى كثرت من الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبدالله أدِّ إليَّ أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك؛ من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبدالله! لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنَّا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون". (١)

فهؤلاء الثلاثة توسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة فاستجاب لهم وفرَّج عنهم.

(١) رواه البخاري برقم: (٢٢١٥)، ومسلم برقم: (٢٧٤٣).

- **<u>دفع شبهة:</u>** إذا قال قائل: إن هذه الأعمال جرت قبل بعثة نبينا محمد ﷺ فلا تنطبق علينا على ما هو الراجح في علم الأصول أن شرع من قبلنا ليس شرعًا لنا.

<u>فالجواب:</u> أن حكاية النبي ﷺ لهذه الحادثة إنما جاء في سياق المدح والثناء والتعظيم والتبجيل، وهذا إقرار منه بذلك وهذا أيضًا هو خلاصةُ كلام الحافظ ابن حجر في (فتح الباري).

فهذا الحديث يدل على النوع الثاني وهو التوسل إلي الله تعالى بالأعمال الصالحة، وقد بُوِّبَ له في صحيح مسلم: (باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال).

- **<u>تنبيه:</u>** المقصود بالأعمال الصالحة هي أعمال الداعي نفسه لا أعمال غيره؛ لأن هؤلاء الثلاثة توسل كل واحد منهم بأعماله الصالحة، ولا يجوز أبدًا أن يتوسل الإنسان بأعمال غيره وهذا كقول بعضهم: اللهم إني أسألك بجاه فلان ... إلخ، وكل هذا من البدع.

<u>النوع الثالث:</u> التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح:

كما ورد في السنة، فمن ذلك ما رواه البخاري عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - : أن رجلًا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما، ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: "اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا"، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قَزَعَة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائِه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، فلا والله، ما رأينا الشمس ستًا، ثم دخل رجلٌ من ذلك الباب في الجمعة - يعني الثانية - ورسول الله ﷺ قائمٌ يخطب، فاستقبله قائمًا، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السُبُل، فادع الله يمسكها عنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: "اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب، وبطون الأودية ومنابت الشجر" قال: فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس ..." [1] وبما أن التوسلَ عبادةٌ من العبادات، فالأصل في العبادات التوقف إلا بدليل من الكتاب والسنة، وهذه الأنواع الثلاثة هي التي دلَّ عليها الدليل، وليس هناك نوع رابع يدل عليه القرآن والسنة، فلا يُلتفت إلى تلك الأقوال الخالية من الأدلة الصحيحة.

(١) رواه البخاري برقم: (١٠٤)، ومسلم برقم: (٨٩٧).

فلا يجوز التعبد لله تعالى بالبدع، يقول التابعي الجليل حسَّان بن عطية المحاربي- رحمه الله -: "ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة"[١]

شبهات حول الباب والرد عليها:

الشبهة الأولى: شبهة حول حديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما:

يحتجون على جواز التوسل بالأشخاص وحقهم وحرمتهم بحديث أنس -رضي الله عنه-: "أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا، فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون"[٢]

قال العلامة الألباني - رحمه الله تعالى -: "ونحن والمخالفون متفقون على أن في كلام عمر رضي الله عنه - : "كنا نتوسل إليك بنبينا ... وإنا نتوسل إليك بعم نبينا" شيئًا محذوفًا لابد له من تقدير، وهذا التقدير إما أن يكون: "كنا نتوسل إليك بـ (جاه) نبينا، وإنا نتوسل إليك بـ (جاه) عم نبينا" وهذا على رأيهم، أو يكون: "كنا نتوسل إليك بـ (دعاء) نبينا، وإنا نتوسل إليك بـ (دعاء) عم نبينا" وهذا على رأينا نحن، ولابد من الأخذ بواحدٍ من هذين التقديرين ليفهم الكلام بوضوحٍ وجلاءٍ "[٣]

ولا شك أن التوسل هنا كان بدعاء العباس لأمور عدة:

أولًا: قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى -: (وقد بيَّنَ الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة، والوقت الذي وقع فيه ذلك، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال: "اللهم إنه لم ينزل بلاءٌ إلا بذنبٍ، ولم يُكشفْ إلا بتوبةٍ، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث"، فأرخت السماء مثل الجبال؛ حتى أخضبت الأرض، وعاش الناس)[٤] فهذه الرواية أقوى حجة على أن التوسل كان بدعاء العباس لا بجاهه، وهذا يدل أيضًا على صحة تقديرنا للمحذوف وهو (كنا نتوسل إليك بـ (دعاء) نبينا، ... وإنا نتوسل إليك بـ (دعاء) عم نبينا ...).

وكذلك حذفُ عمر له دليلٌ على معرفة الصحابة كلهم على أن التوسل يكون بدعاء الرجل الصالح، وإلا لَمَا حذفه عمر - رضي الله عنه -، فحذفُهُ له دليلٌ على أن الأمر مستقر عندهم، والدليل على هذا علمهم أيضًا

(١) رواه الدارمي (٤٥/١)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم: (١٨٨)
(٢) رواه البخاري برقم: (١٠١٠) ورواه غيره.
(٣) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني (٥٢).
(٤)فتح الباري تحت الحديث رقم: (١٠١٠).

كانوا يتوسلون بدعاء رسول الله ﷺ كما قال عمر هنا، وكما توسل ذلك الرجل بدعاء رسول الله ﷺ فنزل المطر وكان ذلك يوم جمعة، وغيره كثير.

ثانيًا: لو كان توسل عمر - رضى الله عنه - بالجاه؛ فلماذا ترك عمر التوسل بجاه رسول الله ﷺ وذهب إلى التوسل بجاه العباس رضى الله عنه؟! مع عِلمِ عُمرَ التام أن جاه رسول الله ﷺ أعظم من جاه العباس - رضي الله عنه - ولا مقارنة.

ومع ذلك ترك التوسل بجاهه صلى الله عليه وسلم وتوسل بدعاء العباس - رضي الله عنه-، وذلك لأن عمر - رضي الله عنه - يعلم أن التوسل بالجاه لا يجوز، ولا يستطيع أي أحد من هؤلاء الصوفية أن يأتي بدليل صحيح واحد يدل على جواز التوسل بالجاه، وإنما الصحيح هو ثلاثة أنواع من التوسل: التوسل بأسماء الله وصفاته، والتوسل بدعاء الرجل الصالح، والتوسل بأعمالك الصالحة.

- **اعتراض وجوابه:**

يقولون: إن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ترك التوسل بالرسول ﷺ، وتوسل بعمه العباس - رضي الله عنه -؛ وكان ذلك لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل.

والجواب على ذلك:

ما قاله الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى -إذ يقول: " كيف يمكن أن يخطر في بال عمر رضي الله عنه، أو في بال غيره من الصحابة الكرام تلك الحذلقة الفقهية المتأخرة وهو يرى الناس في حالة شديدة من الضنك والكرب والشقاء والبؤس يكادون يموتون جوعًا ... حتى سُمِّي ذاك العام بعام الرمَادة كيف يرد في خاطره تلك الفلسفة الفقهية في هذا الظرف العصيب، فيدَع الأخذ بالوسيلة الكبرى في دعائه وهي التوسل بالنبي الأعظم ﷺ - لو كان ذلك جائزًا -ويأخذ بالوسيلة الصغرى التي لا تُقارن بالأولى، وهي التوسل بالعباس، لماذا؟ لا لشيء إلا ليبيِّن للناس أنه يجوز لهم التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل؟!.

أقول: إن المشاهد والمعلوم أن الإنسان إذا أحلت به شدة يلجأ إلى أقوى وسيلة عنده في دفعها، ويدع الوسائل الأخرى لأوقات الرخاء، وهذا كان يفهمه الجاهليون المشركون أنفسهم، إذ كانوا يدعون أصنامهم في أوقات اليسر، ويتركونها ويدعون الله تعالى وحده في أوقات العسر، كما قال تبارك وتعالى: "فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ" [العنكبوت: ٦٥].

وأمرٌ آخر نقوله جوابًا على شبهة أولئك وهو: هب أن عمر - رضي الله عنه - خطر في باله أن يبين ذلك الحكم الفقهي المزعوم، ترى فهل خطر ذلك في بال معاوية والضحاك بن قيس حين توسلا بالتابعي الجليل يزيد بن الأسود الجرشي أيضًا؟ لا شك أن هذا ضَرْبٌ من التَمَحل والتكلف لا يحسدون عليه. (١)

ثالثًا: هناك سؤال نطرحه لهؤلاء الصوفية: لو كان توسل عمر بذات العباس لا بدعائه، إذًا فلماذا قام العباس - رضي الله عنه - يدعو بعد دعاء عمر - رضي الله عنه -؟!.

رابعًا: مما يؤيد أن التوسل كان بدعاء العباس لا بذاته وشخصه، هو أن عمر - رضي الله عنه - صرَّح أنهم كانوا يتوسلون بنبينا صلى الله عليه وسلم في حياته، وأنه في هذه الحادثة توسل بالعباس، ومما لا شك فيه أن التوسلَينِ من نوع واحد؛ توسلهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وتوسلهم بالعباس، وأما توسلهم بالرسول صلى الله عليه وسلم كان بدعائه؛ وذلك بدليل ما رواه الإسماعيلي في مستخرجه على الصحيح لهذا الحديث بلفظ: "كانوا إذا قحطوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم استسقوا به، فيستسقي لهم، فيسقون، فلما كنا في إمارة عمر..." نقلته من الفتح (٢/٣٩٩).

فقوله: (فيستسقي لهم) صريح في أنه صلى الله عليه وسلم كان يطلب لهم السقيا من الله تعالى، لأن معني الاستسقاء كما قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى -: "والاستسقاء لغة: طلبُ سقي الماء من الغير للنفس أو الغير، وشرعًا: طلبه من الله عند حصول الجدب على وجه مخصوص"(٢)

إذا تبين هذا، فقوله في هذه الرواية: (استسقوا به) أي بدعائه، وكذلك قوله في الرواية الأولي: (كنا نتوسل بنبينا) أي: بدعائه، وكذلك قوله: (وإنا نتوسل إليك بعم نبينا) أي: بدعاء عم نبينا، ولا يمكن أن يُفهم منه الا هذا، وذلك لجميع ما سبق(٣) .

ثم إن هذا القول – أنه أراد بيان الجواز – تقوُّلٌ على عمر وهو لم يقله، فهو افتراءٌ وكذبٌ وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

(١) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني (٥٩-٦٠).
(٢) فتح الباري تحت الحديث رقم: (١٠٠٥).
(٣) ملخص من كلام الألباني رحمه الله تعالى من كتاب التوسل.

فوائد قوية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى -: "وأما التوسل بدعائه وشفاعته كما قال عمر، فإنه توسل بدعائه لا بذاته؛ ولهذا عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بعمه العباس، ولو كان التوسل بذاته هو؛ لكان هذا أولى من التوسل بالعباس، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس؛ عُلم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بموته، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له فإنه مشروع دائمًا" [١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى -: "ودعاءُ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في الاستسقاء المشهود بين المهاجرين والأنصار وقوله: (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا) يدل على أن التوسل المشروع عندهم هو التوسل بدعائه وشفاعته لا السؤال بذاته، إذ لو كان هذا مشروعًا؛ لم يعدل عمر والمهاجرون والأنصار عن السؤال بالرسول إلى السؤال بالعباس"[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله -: "ثم لما استسقى بالناس -أي عمر -قال: (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا) فيسقون، وهذا دعاء أقره عليه جميع الصحابة ولم ينكره أحد مع شهرته، وهو من أظهر الإجماعات الإقرارية، ودعا بمثله معاوية بن أبي سفيان في خلافته لما استسقى بالناس، فلو كان توسلهم بالنبي ﷺ بعد مماته كتوسلهم في حياته لقالوا: كيف نتوسل بمثل العباس ويزيد بن الأسود ونحوهما؟ ونعدل عن التوسل بالنبي ﷺ الذي هو أفضل الخلائق وهو أفضل الوسائل وأعظمها عند الله؟! فلما لم يقل ذلك أحد منهم، وقد عُلم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه وشفاعته، وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره وشفاعة غيره، عُلم أن المشروع عندهم التوسل بدعاء المتوسل به لا بذاته".[٣]

وقال شيخ الإسلام أيضًا: "التوسل بالنبي ﷺ الذي ذكره عمر بن الخطاب قد جاء مُفسرًا في سائر أحاديث الاستسقاء، وهو من جنس الاستشفاع به، وهو أن يطلب منه الدعاء والشفاعة ويطلب من الله أن يقبل دعاءه وشفاعته، ونحن نقدمه بين أيدينا شافعًا وسائلًا لنا بأبي وأمي صلى الله عليه وسلم". [٤]

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٨٥).
(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٠٧ - ١٠٨).
(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٦٤).
(٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٩٢ - ١٩٣).

وقال شيخ الإسلام أيضًا: "فأمره النبي ﷺ أن يصلي ويدعو هو أيضًا لنفسه ويقول في دعائه: (اللهم فشَفِّعه فِيَّ) فدلَّ ذلك على أن معنى قوله:(أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد) ؛ أي بدعائه وشفاعته كما قال عمر: (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقنا ...) فالحديثان معناهما واحد، فهو صلى الله عليه وسلم علَّم رجلًا أن يتوسل به في حياته، كما ذكر عمر أنهم كانوا يتوسلون به إذا أجدبوا، ثم إنهم بعد موته إنما كانوا يتوسلون بغيره بدلًا عنه، فلو كان التوسل به حيًا وميتًا سواءً، والمتوسل به الذي دعا له الرسول ﷺ كمن لم يدع له الرسول ﷺ ، لم يعدلوا عن التوسل به -وهو أفضل الخلق وأكرمهم على ربه وأقربهم إليه وسيلة إلى أن يتوسلوا بغيره ممن ليس مثله" (١)

<u>الشبهة الثانية: حول حديث الضرير:</u>

يُلبِّسُ الصوفيةُ في حديث الضرير الذي أخرجه أحمد وغيره بسند صحيح عن عثمان بن حنيف: "أن رجلًا ضريرَ البصرِ أتي النبي ﷺ فقال: أدعُ الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت لك وإن شئت أخرت ذاك فهو خير، وفي رواية (وإن شئت صبرت فهو خير لك) فقال: ادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، فيصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: (اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه، فتقضى لي، اللهم فشفعه فِيَّ وشفعني فيه)، قال: ففعل الرجل، فبرأ"(٢)

<u>يزعم الصوفية:</u> أن هذا الحديث يدل على جواز التوسل في الدعاء بجاه رسول الله ﷺ أو غيره من الصالحين، ويزعمون أيضًا: أن هذا الحديث يدل على جواز دعاء غير الله تعالى والاستعانة بغيره سبحانه وتعالى.

وأما قول العلماء في هذا الحديث؛ فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "وحديث الأعمى الذي رواه الترمذي والنسائي هو من القسم الثاني من التوسل بدعائه، فإن الأعمى قد طلب من النبيﷺ أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره فقال له: "إن شئت صبرت، وإن شئت دعوت لك، فقال بل ادعه، فأمره أن يتوضأ ..." الحديث، قال شيخ الإسلام: "فهذا توسلٌ بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، ودعا له النبي ﷺ ولهذا قال: (وشفعه فِيَّ) فسأل اللهَ أن يقبل شفاعة رسوله فيه وهو دعاؤه".

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢٠٣).
(٢) رواه أحمد في المسند (١٣٨/٤)، ورواه الترمذي (٢٧١/٤-٢٨٢)، وابن ماجة (٤١٧/١) وغيرهم.

وهذ الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب وما أظهر الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات، فإنه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره ... قال البيهقي: "رويناه في كتاب الدعوات بإسناد صحيح"(١).

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله - بعدما ذكر حديث الضرير: "فهذا الحديث فيه التوسل به إلى الله في الدعاء"(٢)

وقال أيضًا: "وهذا الأعمى شفع له النبي ﷺ؛ فلهذا قال في دعائه: "اللهم فشفعه فِيَّ" فعلم أنه شفيع فيه، ولفظه "إن شئت صبرت، وإن شئت دعوت لك" فقال: "ادع لي"، فهو طلب من النبي ﷺ أن يدعو له، فأمره النبي ﷺ أن يصلي ويدعو هو أيضًا لنفسه ويقول في دعائه: "اللهم فشفعه فِيَّ" فدلَّ ذلك على أن معنى قوله: "أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد" أي: بدعائه وشفاعته كما قال عمر: "اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقنا ..." فالحديثان معناهما واحد(٣).

وقال المباركفوري: - في شرحه لحديث الضرير -: "الحق عندي أن التوسلَ بالنبي ﷺ في حياته بمعنى التوسل بدعائه وشفاعته جائز، وكذا التوسل بغيره من أهل الخير والصلاح في حياتهم بمعني التوسل بدعائهم وشفاعتهم أيضًا جائزٌ، وأما التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد مماته، وكذا التوسل بغيره من أهل الخير والصلاح بعد مماتهم فلا يجوز"(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله -: "وحديث الأعمى لا حجة لهم فيه، فإنه صريح في أنه إنما توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، وهو طلب من النبي ﷺ الدعاء، وقد أمره النبي ﷺ أن يقول: "اللهم شفعه فِيَّ" ولهذا ردَّ الله عليه بصره لما دعا له النبي ﷺ، وكان ذلك مما يُعد من آيات النبي ﷺ، ولو توسل غيره من العُميَان الذين لم يدعُ لهم النبي ﷺ بالسؤال به لم تكن حالهم كحاله"(٥).

وقد لَخَّصَ الشيخ الألباني شرح هذا الحديث، وأنه يتكلم عن التوسل إلى الله تعالى بالدعاء، لخصه في نقاطٍ مفيدةٍ جدًا.

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٤٨ - ١٤٩).
(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢٠٢).
(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢٠٣).
(٤) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي تحت الحديث رقم: (٣٥٧٨).
(٥) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٠٧).

حيث يقول -رحمه الله تعالى -: "يرى المخالفون أن هذا الحديث يدل على جواز التوسل في الدعاء بجاه النبي ﷺ أو غيره من الصالحين، إذ فيه أن النبي ﷺ علَّمَ الأعمى أن يتوسَّل به في دعائه، وقد فعل الأعمى ذلك فعاد بصيرًا.

وأما نحن فنرى أن هذا الحديث لا حجة لهم فيه على التوسل المختلف فيه، وهو التوسل بالذات، بل هو دليل آخر على النوع الثالث من أنواع التوسل المشروع الذي أسلفناه، لأن توسل الأعمى إنما كان بدعائه، والأدلة على ما نقول من الحديث نفسه كثيرة:

أولًا: أن الأعمى إنما جاء الي النبيِّ ﷺ ليدعوَ له، وذلك بقوله: " ادعُ الله أن يعافيني" فهو توسل إلى الله تعالى بدعائه صلى الله عليه وسلم لأنه يعلم أن دعاءه صلى الله عليه وسلم أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره، ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه أو حقه لما كان ثمة حاجة به إلى أن يأتي النبي ﷺ ويطلب منه الدعاء له، بل كان يقعد في بيته، ويدعو ربه بأن يقول مثلًا: "اللهم إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن تشفيني، وتجعلني بصيرًا"، ولكنه لم يفعل، لماذا؟ لأنه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم، ويعرف أنه ليس كلمة يقولها صاحب الحاجة يذكر فيها اسم المتوسل به، بل لابد أن يشتمل على المجيء إلى من يعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب والسنة ويطلب الدعاء منه له.

ثانيًا: أن النبي ﷺ وعده الدعاء مع نصحه له ببيان ما هو الأفضل له، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "إن شئت دعوتُ لك، وإن شئت صبرت فهو خير لك"، وهذا الأمر الثاني هو ما أشار إليه صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: "إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه -أي عينيه- فصَبَر عوضتُه منهما الجنة".

ثالثًا: اصرار الأعمى على الدعاء بقوله: "فادع" فهذا يقتضي أن رسول الله ﷺ دعا له؛ لأنه خيرُ مَنْ وَفَّى بما وعد، وقد وعده بالدعاء له - إن شاء - كما سبق، فقد شاء الدعاء وأصر عليه، فإذن لابد أنه صلى الله عليه وسلم دعا له، فثبت المراد.

وقد وجه النبي الله ﷺ الأعمى بدافع من رحمته وبحرص منه على أن يستجيب الله دعاءه فيه، وجهه إلى النوع الثاني من التوسل المشروع وهو التوسل بالعمل الصالح؛ ليجمع له الخير من أطرافه، فأمره أن يتوضأ

ويصلي ركعتين، ثم يدعو لنفسه، وهذه الأعمال طاعة لله - سبحانه وتعالى - يقدمها بين يدي دعاء النبي ﷺ له، وهي تدخل في قوله تعالى: "وابتغوا إليه الوسيلة" كما سبق.

وهكذا فلم يكتفِ الرسول ﷺ بدعائه للأعمى الذي وعده به، بل شغله بأعمال فيها طاعة لله - سبحانه وتعالى - وقربة إليه؛ ليكون الأمرُ مكتملًا من جميع نواحيه، وأقربَ إلى القبول والرضا من الله سبحانه وتعالى، وعلى هذا فالحادثة كلها تدور حول الدعاء -كما هو ظاهر -وليس فيها ذكر شيء مما يزعمون.

رابعًا: إن في الدعاء الذي علَّمه رسول الله ﷺ إياه أن يقول: "اللهم فشفعه فِيَّ" وهذا يستحيل حمله على التوسل بذاته صلى الله عليه وسلم أو جاهه أو حقه، إذ أن المعنى: اللهم اقبل شفاعته فيَّ، أي اقبل دعاءه في أن ترد عليَّ بصري، والشفاعة لغة: الدعاء...".

خامسًا: إن مما علَّم النبي ﷺ الأعمى أن يقوله: "وشفعني فيه" أي اقبل شفاعتي، أي دعائي في أن تقبل شفاعته صلى الله عليه وسلم، أي دعاءه في أن ترد علي بصري، وهذا الذي لا يمكن أن يفهم من هذه الجملة سواه، ولهذا ترى المخالفين يتجاهلونها، ولا يتعرضون لها من قريب أو بعيد؛ لأنها تنسف بنيانهم من القواعد وتجتثه من الجذور وإذا سمعوها رأيتهم ينظرون إليك نظر المغشيِّ عليه، ذلك أن شفاعة الرسول ﷺ في الأعمى مفهومة، ولكن شفاعة الأعمى في الرسول ﷺ كيف تكون؟ لا جواب لذلك عندهم البتة ....".

سادسًا: إن هذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب، وما أظهر الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات، فإنه بدعائه صلى الله عليه وسلم لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره؛ ولذلك رواه المصنفون في "دلائل النبوة" كالبيهقي وغيره، فهذا يدل على أن السرَّ في شفاء الأعمى إنما هو دعاء النبي ﷺ ..."[1]

قلتُ: إذا فرضنا جدلًا أن العلماء اختلفوا في جواز التوسل بالذات أو الجاه، فإنهم لم يختلفوا في جواز التوسل بالدعاء؛ وذلك لما عليه من الأدلة الكثيرة، فلِمَ يأخذ الصوفية بالشبهة ويتركون المتفق عليه؟! وقد قال النبي ﷺ: "دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيبُكَ" وقال: "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ... وقد قال الله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ...)

[آل عمران: ٧].

(١) مختصر من كتاب التوسل – للشيخ الألباني رحمه الله (٦٧ – ٧٣).

وأيضًا: إنك تلاحظ أن كثيرًا من الصوفية يعبدون شيوخهم ويدعونهم من دون الله تعالى، كقولهم: (مدد يا الدسوقي مدد) وكقول البرعي السوداني- في مدح مشايخه -:

فإن ضقتَ ذرعًا في زمانك ناده *** تجده غيَّاث الخلائق بادٍ وحاضرِ

فهم يدعون غير الله تعالى وهذا شرك أكبر، ولكنهم يكذبون ويسمونه توسلًا؛ ليلبسوا على الناس دينهم، وهذه أكبر شبهة عندهم، يضللون بها الخلق، ويلبسون بها الحق بالباطل.

- **تنبيه:**

وقع في بعض الطرق الأخرى لحديث الضرير زيادتان لابد من بيان شذوذهما وضعفهما:

الزيادة الأولى:

زيادة حماد بن سلمة، قال: حدثنا أبو جعفر الخطمي ... فساق إسناده من رواية شعبة ... وزاد في آخره: "وإن كانت لك حاجة فافعل مثل ذلك" رواه أبوبكر بن أبي خيثمة في تاريخه، فقال: حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا حماد بن سلمة به.

قال الشيخ الألباني - رحمه الله تعالى-: "وقد أعلَّ هذه الزيادة شيخ الإسلام ابن تيمية في "القاعدة الجليلة" بتفرد حماد بن سلمة بها، ومخالفته لرواية شعبة وهو أجل من روى هذا الحديث، وهذا إعلال يتفق مع القواعد الحديثية ولا يخالفها البتة.

وقول الغماري في (المصباح/ص٣٠): بأن حمادًا ثقةٌ من رجال الصحيح وزيادة الثقة مقبولة، غفلة منه أو تغافل عما تقرر في المصطلح أن القبول مشروط بما إذا لم يخالف الراوي من هو أوثق منه.

قال الحافظ في (نخبة الفكر): "والزيادة مقبولة مالم تقع منافية لمن هو أوثق، فإن خولف بأرجح، فالراجح المحفوظ ومقابله الشاذ ...".

وخلاصة القول: إن الزيادة لا تصح لشذوذها، ولو صحت لم تكن دليلًا على جواز التوسل بذاته صلى الله عليه وسلم، لاحتمال أن يكون معنى قوله: "فافعل مثل ذلك" يعني من إتيانه صلى الله عليه وسلم في حال حياته وطلب الدعاء منه والتوسل به، والتوضؤ والصلاة، والدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ أن يدعو به، والله أعلم"[١]

(١)كتاب التوسل أنواعه وأحكامه – للشيخ الألباني رحمه الله (٨٠ – ٨٢).

الزيادة الثانية:

أخرجها الطبراني [1] من طريق عبدالله بن وهب، عن شبيب بن سعيد المكي، عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر الخطمي المدني عن أبي أمامه بن سهل بن حُنيف، عن عمه عثمان بن حنيف، أن رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف، فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان: ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد، فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك عز وجل، فيقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك ..." إلخ، هذه الزيادة.

قال الطبراني"لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو سعيد المكي وهو ثقة وهو الذي يحدث عنه أحمد بن شبيب عن أبيه عن يونس بن يزيد الأيلي، وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر الخطمي - واسمه عمير بن يزيد -وهو ثقة تفرد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة والحديث صحيح".

قال الشيخ الألباني- رحمه الله -: "لا شك في صحة الحديث، وإنما البحث الآن في هذه القصة التي تفرد بها شبيب بن سعيد كما قال الطبراني ...".

وخلاصة القول في هذه القصة، أنها ضعيفة منكرة، لأمور ثلاثة:

أولًا: ضعف حفظ المتفرد بها، قال ابن عدي: كان شبيب لعله يغلط ويهم إذا كان من حفظه، وأرجو أنه لا يتعمد، فإذا حَدَّث عنه ابنه أحمد بأحاديث يونس فكأنه يونس آخر، يعني يجوِّد" [2]

فهذا الكلام يفيد أن شبيبًا هذا لا بأس بحديثه بشرطين اثنين:

١. أن يكون من رواية ابنه أحمد عنه.
٢. أن يكون من رواية شبيب عن يونس، والسبب في ذلك أنه كان عنده كتب يونس بن يزيد، كما قال ابن أبي حاتم [3] عن أبيه فهو إذا حدَّث من كتبه هذه أجاد، وإذا حدَّث من حفظه وَهِمَ، كما قال ابن عدي،

---

(١) المعجم الصغير (١٠٣-١٠٤)، والمعجم الكبير (٣/٢/١-٢).
(٢) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/٢٤٣).
(٣) الجرح والتعديل (٢/١/٣٥٩).

وأيضًا قال عنه الحافظ ابن حجر:(شبيب بن سعيد التميمي الَحبطي ... لا بأس بحديثه من رواية ابنه أحمد عنه لا من رواية ابن وهب).[١]

ثانيًا: الاختلاف على أحمد فيها، فقد أخرج الحديث ابن السني في عمل اليوم والليلة[٢] ، والحاكم [٣] من ثلاث طُرق عن أحمد بن شبيب بدون القصة.

ثالثًا: مخالفته للثقات الذين لم يذكروها في الحديث؛ لأن الحديث رواه أيضًا عون بن عمارة البصري، ثنا روح بن القاسم به، أخرجه الحاكم، وعون هذا وإن كان ضعيفًا، فروايته أولى من رواية شبيب، لموافقتها لرواية شعبة وحماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي".[٤]

- **ملاحظة:**

وهي أن الطبراني إنما صحح الحديث فقط دون القصة بدليل قوله: "فقد روى الحديث شعبة ... والحديث صحيح" فهذا نصٌ على أنه أراد حديث شعبة، وشعبة لم يَروِ هذه القصة، فلم يصححها إذن الطبراني، فلا حجة لهم في كلامه.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله -: "فهذه الزيادة فيها عدة علل: انفرد هذا بها عمن هو أكبر وأحفظ منه، وإعراض أهل السنة عنها، واضطراب لفظها، وأن راويها عرف له -عن روح هذا -أحاديث منكرة، ومثل هذا يقتضي حصول الريب والشك في كونها ثابتة فلا حجة فيها ..." [٥]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى –: "وإذا كان كذلك فمعلوم أنه إذا ثبت عن عثمان بن حنيف أو غيره أنه جعل من المشروع المستحب أن يتوسل بالنبي ﷺ بعد موته من غير أن يكون النبي ﷺ داعيًا له ولا شافعًا فيه، فقد علمنا أن عمر وأكابر الصحابة لم يروا هذا مشروعًا بعد مماته كما كان يُشرع في حياته، بل كانوا في الاستسقاء في حياته يتوسلون به، فلما مات لم يتوسلوا به، بل قال عمر في دعائه الصحيح المشهور الثابت باتفاق أهل العلم بمحضر من المهاجرين والأنصار في عام الرمادة المشهور لما اشتد بهم الجدب حتى حلف عمر لا يأكل سمنًا حتى يخصب الناس، ثم لما استسقى بالناس ، قال: "اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا" فيسقون، وهذا دعاء أقره عليه جميع الصحابة ولم ينكره عليه

(١) التقريب (٢٠٥).
(٢) عمل اليوم والليلة - ابن السُني (٣٠٢).
(٣) المستدرك للحاكم (٥٢٦/١).
(٤) ملخص من كلام الشيخ الألباني - كتاب التوسل (٨٢ – ٨٥).
(٥) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٥٩).

أحد مع شهرته، وهو من أظهر الإجماعات الإقرارية ودعا بمثله معاوية بن أبي سفيان في خلافته لما استسقى بالناس.

فلو كان توسلهم بالنبي ﷺ بعد مماته كتوسلهم في حياته لقالوا: كيف نتوسل بمثل العباس ويزيد بن الأسود ونحوهما؟ ونعدل عن التوسل بالنبي ﷺ الذي هو أفضل الخلائق وهو أفضل الوسائل وأعظمها عند الله؟! فلما لم يقل ذلك أحد منهم وقد علم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه وشفاعته، وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره وشفاعة غيره، علم أن المشروع عندهم التوسل بدعاء المتوسل به لا بذاته.

وحديث الأعمى حجة لعمر وعامة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فإنه إنما أمر الأعمى أن يتوسل إلى الله بشفاعة النبي ﷺ ودعائه لا بذاته، وقال له في الدعاء: "قل: اللهم شفعه فيَّ" وإذا قدر أن بعض الصحابة أمر غيره أن يتوسل بذاته لا بشفاعته ولم يأمر بالدعاء المشروع، بل ببعضه وترك سائره المتضمن للتوسل بشفاعته، كان ما فعله عمر بن الخطاب هو الموافق لسنة رسول الله ﷺ وكان المخالف لعمر محجوجًا بسنة رسول الله ﷺ، وكان الحديث الذي رواه عن النبي ﷺ حجة عليه، لا له، والله أعلم".[(١)]

وكذلك فإن في هذه القصة ملاحظة مهمة ذكرتها هذه القصة، وهي أن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - كان لا ينظر في حاجة ذلك الرجل ولا يلتفت إليه، وبالطبع هذا لا يتفق مع ما صَحَّ عن النبي ﷺ أن الملائكة تستحي من عثمان، ومع ما عُرف به - رضي الله عنه - من رفقه بالرعية، وبره بهم ولينه معهم، وخوفه من الله، وهذا كله يجعلنا نستبعد وقوع ذلك منه رضي الله عنه.

بعضُ الأحاديث الضعيفة في التوسل:

يَحتجُّ الصوفية ببعض الأحاديث الضعيفة و المكذوبة لتجويز التوسل البِدعي؛ وبالتالي هم يُريدون أن يُجوزوا دعاء غير الله ويُجوزوا الشرك بذلك، ومن أمثلتها:

الحديث الأول: عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا "من خرج من بيته إلى الصلاة، فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ... أقبل الله عليه بوجهه" [(٢)]

إسناده ضعيف، لأنه من رواية عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري.

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٦٤).
(٢) رواه أحمد واللفظ له وابن ماجة.

قال النووي في الأذكار: "وروينا في كتاب ابن السني معناه من رواية عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ، وعطية أيضاً ضعيف".[١]

وقال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله -: "وهذا الحديث في اسناده عطية العوفي، وفيه ضعف"[٢] .

وقال ابن حجر في (التقريب): "صدوق يخطئ كثيرًا، وكان شيعيًا مُدلِّسًا"[٣] .

وقال الذهبي في (الميزان): "تابعي شهير ضعيف.. وقال أحمد: ضعيف الحديث، وقال أحمد أيضًا: بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير، وكان يُكنيه بأبي سعيد، فيقول: قال أبو سعيد، قلت: يعني: يوهم أنه الخدري ...، وقال النسائي وجماعة: ضعيف".[٤]

ورواه النووي في الأذكار بإسناد آخر ليس فيه عطية العوفي، ولكن فيه الوازع بن نافع العقيلي، قال النووي في الأذكار: (حديث ضعيف، أحد رواته الوازع بن نافع العقيلي وهو متفق على ضعفه وأنه منكر الحديث).

وقال الذهبي في (الميزان): "قال ابن عدي: عامة ما يرويه الوازع غير محفوظ"[٥]

<u>الحديث الثاني:</u> عن أبي أمامة قال: "كان رسول الله ﷺ إذا أصبح وإذا أمسى دعا بهذا الدعاء: "اللهم أنت أحقُّ من ذكر وأحقُّ من عُبد ... أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض وبكل حق هو لكَ وبحق السائلين عليك...".

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠/٢٠٤): "رواه الطبراني، وفيه فَضَّال بن جبير، وهو ضعيف مجمع على ضعفه".

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (٣٤٦/٣-٣٤٧): "قال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة".

وقال الذهبي أيضًا في ميزان الاعتدال (٣٤٧/٣): "وقال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج به بحال؛ يروي أحاديث لا أصل لها"، وقال الذهبي أيضًا في نفس الصفحة: "وروى الكناني عن أبي حاتم الرازي قال: ضعيف الحديث".

قال الشيخ الألباني - رحمه الله -: "قلت: فالحديث شديد الضعف فلا يجوز الاستشهاد به".[٦]

(١) الأذكار - للنووي (٣٦).
(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢١٦).
(٣) تقريب التهذيب – لابن حجر (٣٣٣).
(٤) ميزان الاعتدال – للذهبي (٨٨/٣).
(٥) ميزان الاعتدال – للذهبي (٧٨/٥).
(٦) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني (٩٩).

الحديث الثالث: عن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هشام أم علي ... دعا أسامة بن زيد، وأبا أيوب الأنصاري، وعمر بن الخطاب، وغلامًا أسود يحفرون .... فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه فقال: "الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ... ووسِّع مُدخلها بحق نبيك والأنبياء اللذين من قبلي ...".

رواه الطبراني[1] ، ومن طريقه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (١٢١/٣): حدثنا أحمد بن حماد بن زغبة، قال: روح بن صلاح، قال: حدثنا سفيان الثوري عن عاصم الأحول، عن أنس بن مالك قال ... فذكره.

قال الطبراني: "تفرد به روح بن الصلاح".

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" حديث رقم (١٥٣٨٨): "وفيه روح بن صلاح، وثقه ابن حبان والحاكم، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح".

قال الألباني -رحمه الله –: "وفي قوله: (وبقية رجاله رجال الصحيح) نظرٌ رجيح؛ ذلك لأن زغبة هذا ليس من رجال الصحيح، بل لم يَروِ له إلا النسائي، أقول هذا مع العلم أنه في نفسه ثقةٌ".

بقي النظر في حال روح بن صلاح، وقد تفرَّد به كما قال الطبراني، فقد وثقه ابن حبان، والحاكم كما ذكر الهيثمي، ولكن قد ضعفه من قولهم أرجح من أمرهما لأمرين:

١. أنه جرح مقدم على التعديل بشرطه.
٢. أن ابن حبان متساهل في التوثيق، فإنه كثيرًا ما يوثق المجهولين... فقد ضعفه ابن عدي (١٠٠٥/٣) وقال ابن يونس: "رويت عنه مناكير"، وقال الدارقطني: ضعيف في الحديث، وقال ابن ماكولا: ضعفوه، وقال ابن عدي بعد أن أخرج له حديثين: وفي بعض حديثه نكارة.

الحديث الرابع: (لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه؟ قال: يا رب، لما خلقتني بيدك ونفخت فِيَّ من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم

(١) رواه الطبراني في "الكبير" (٣٥١/٢٤-٣٥٢)، و "الأوسط" (١٥٢/١-١٥٣).

العرش مكتوبًا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الأسماء إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليَّ، ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك).

وهذا حديث موضوع، أخرجه الحاكم في المستدرك، وكذا البيهقي في (باب: ما جاء فيما تحدث به ﷺ بنعمة ربه)[١] ، من طريق أبي الحارث عبدالله بن مسلم الفهري، حدثنا إسماعيل بن مسلمة، نبأ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب مرفوعًا.

وقال الحاكم: "صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب"، فتعقبه الذهبي بقوله: "بل موضوع وعبد الرحمن واهٍ وعبد الله بن مسلم الفهري لا أدري من هو".

والفهري هذا أورده الذهبي في "ميزان الاعتدال" (٤٤٩/٢)، وأورد هذا الحديث وقال عقبه: "خبر باطل رواه البيهقي في دلائل النبوة".

قال البيهقي: "تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف".

قال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله –: "ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أُنكر عليه، فإنه نفسه قد قال في كتاب (المدخل إلي معرفة الصحيح من السقيم): "عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصِنعة إلى الحمل فيها عليه"، قلت: وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يخلط كثيرًا".[٢]

<u>**الحديث الخامس:**</u> قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" (٥٧٥/٢): "وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار -وكان خازن عمر -فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتي الرجل في المنام فقيل له: ائت عمر ...." الحديث، وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة.

قال الألباني -رحمه الله -معلقًا على هذا الأثر: "قلت: والجواب من وجوه:

(١) دلائل النبوة (٤٨٨/٥).
(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٦٩).

<u>الأول:</u> عدم التسليم بصحة هذه القصة؛ لأن مالك الدار غير معروف العدالة والضبط، وهذان شرطان أساسيان في كل سندٍ صحيح كما تقرر في علم المصطلح، وقد أورده ابن أبي حاتم [١] ولم يذكر راويًا عنه غير أبي صالح هذا، ففيه إشعار بأنه مجهول، ويؤيده أن ابن أبي حاتم نفسه -مع سعة حفظه واطلاعه -لم يحكِ فيه توثيقًا فبقي على الجهالة، ولا ينافي هذا قول الحافظ: "... بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان..."،

لأننا نقول: إنه ليس نصًا في تصحيح جميع السند بل إلى أبي صالح فقط، ولولا ذلك لما ابتدأ هو الإسناد من عند أبي صالح، ولقال رأسًا: "عن مالك الدار ... وإسناده صحيح" ولكنه تعمَّد ذلك؛ ليلفت النظر إلى أن هاهنا شيئًا ينبغي النظر فيه، والعلماء إنما يفعلون ذلك لأسباب منها: أنهم قد لا يحضرهم ترجمة بعض الرواة، فلا يستجيزون لأنفسهم حذفَ السند كله، لما فيه من إيهام صحته، لاسيما عند الاستدلال به، بل يوردون مَن ما فيه موضع للنظر فيه، وهذا هو الذي صنعه الحافظ - رحمه الله تعالى - هنا، وكأنه يشير إلى تفرد أبي صالح السمان عن مالك الدار كما سبق نقله عن أبي حاتم، وهو يحيل بذلك إلى وجوب التثبت من حال مالك هذا أو يشير إلى جهالته والله أعلم، وهذا عِلمٌ دقيق لا يعرفه إلا من مارس هذه الصناعة ، ويؤيد ما ذهبت إليه أن الحافظ المنذري أورد في "الترغيب" [٢] قصةً أخرى من رواية مالك الدار عن عمر ثم قال: "رواه الطبراني في الكبير، ورواته إلى مالك الدار ثقات مشهورون ومالك الدار لا أعرفه" ، وكذا قال الهيثمي [٣] .

<u>الثاني:</u> أنها مخالفة لما ثبت في الشرع من استحباب إقامة صلاة الاستسقاء لاستنزال الغيث من السماء، كما ورد ذلك في أحاديث كثيرة، وأخذ به جماهير الأئمة، بل هي مخالفة لما أفادته الآية من الدعاء والاستغفار، وهي قوله تعالى في سورة نوح: "فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارًا * يرسل السماء عليكم مدرارًا..."، وهذا ما فعله عمر بن الخطاب حيث استسقى وتوسل بدعاء العباس - كما سبق بيانه -، وهكذا كانت عادة السلف الصالح كلما أصابهم القحط؛ أن يُصلوا ويدعوا ولم يُنقل عن أحد منهم مطلقًا أنه التجأ إلى قبر النبي ﷺ وطلب منه الدعاء للسُّقيا ولو كان ذلك مشروعًا لفعلوه ولو مرة واحدة، فإذا لم يفعلوه دل ذلك على عدم مشروعية ما جاء في القصة.

<u>الثالث:</u> هب أن القصة صحيحة فلا حجة فيها؛ لأن مدارها على رجل لم يُسمَّ فهو مجهول أيضًا، وتسميته بلالًا في رواية سيف لا يساوي شيئًا، لأن سيفًا هذا هو -ابن عمر التميمي -متفق على ضعفه عند المحدثين، بل قال ابن حبان فيه: "يروي الموضوعات عن الأثبات، وقالوا: إنه كان يضع الحديث"، فمن كان هذا شأنه لا تُقبل

(١) الجرح والتعديل (٤/١-٢١٣).
(٢) الترغيب والترهيب (٢/٤١-٤٢).
(٣) مجمع الزوائد (٣/١٢٥).

روايته ولا كرامة، لاسيما عند المخالفة[1] وذكر الذهبي عن سيف بن عمر التميمي هذا، في ميزان الاعتدال [2] قوله: "وروى مطّين عن يحيى: فلسٌ خيرٌ منه، وقال عنه أبوداود: ليس بشيءٍ ....".

الحديث السادس: "توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم"

وهذا الحديث لا أصل له، وقد نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: "وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث، مع أن جاهه عند الله تعالى أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين".[3]

الحديث السابع: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (.... وهذا كله نقله القاضي عياض من كتب أصحاب مالك المعروفة، ثم ذكر الحكاية بإسناد غريب منقطع رواها من غير واحد إجازة، قالوا: حدثنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهات قال: حدثنا أبو الحسن علي بن فهر، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرح، حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب، حدثنا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا ابن حميد، قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكًا في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد ؛ فإن الله أدب قومًا فقال تعالى: " لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي"، ومدح قومًا فقال: "إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله" ، وذم قومًا فقال: "إن الذين ينادونك من وراء الحجرات" ، وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًا، فاستكان لها أبو جعفر، فقال: يا أبا عبد الله، استقبلُ القبلةَ وأدعو؟ أم أستقبلُ رسولَ اللهِ ﷺ؟ فقال: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم - عليه السلام - إلى الله يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به؛ فيشفعك الله، قال الله تعالى: "ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا").

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى -: (قلت: وهذه الحكاية منقطعة، فإن محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكًا لاسيما في زمن أبي جعفر المنصور، فإن أبا جعفر توفي بمكة سنة ثمان وخمسين ومِئةً وتوفي مالك سنة تسع وسبعين ومِئةً ، وتوفي محمد بن حميد الرازي سنة ثمان وأربعين ومئتين، ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه، وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث، كذّبه أبو زرعة وابن وارة، وقال

(١) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني (١١٨-١٢٠).
(٢) ميزان الاعتدال (٢/٢٣٦-٢٣٧).
(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٩٧-١٩٨).

صالح بن محمد الأسدي، ما رأيت أحدًا أجرأ على الله منه، وأحذق بالكذب منه، وقال يعقوب بن شيبة: كثير المناكير، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن حبان: ينفرد عن الثقات بالمقلوبات ....) [(١)].

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال [(٢)] "وكذَّبه أبو زرعة ... وعن الكوسيح قال: أشهد أنه كذاب، فالقصة غير صحيحة.

الحديث الثامن: وكذلك الحديث الذي يُروى عن عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده: أن أبا بكر الصديق أتى النبي ﷺ فقال: إني أتعلم القرآن وتفلّت مني، فقال له رسول الله ﷺ:(قل: اللهم إني أسألك بمحمد نبيك، وبإبراهيم خليلك، وبموسي نجيك، وعيسى روحك وكلمتك، وبتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وزبور داود، وفرقان محمد، وبكل وحي أوحيته، وقضاء قضيته).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ساق هذا الحديث في " قاعدة جليلة" [(٣)] : (هذا الحديث ذكره رزين بن معاوية العبدري في جامعه ونقله ابن الأثير في " جامع الأصول" ، ولم يعْزُه لا هذا ولا هذا إلى كتاب من كتب المسلمين، لكنه قد رواه من صنف في عمل اليوم والليلة كابن السني وأبي نعيم ، وفي مثل هذه الكتب أحاديث كثيرة موضوعة لا يجوز الاعتماد عليها في الشريعة باتفاق العلماء،... ورواه أبو موسى المديني من حديث زيد بن الحباب عن عبد الملك بن هارون بن عنترة ... قلت : عبد الملك بن هارون بن عنترة من المعروفين بالكذب، قاله يحيى بن معين. وقال السعدي: دجَّالٌ كذَّابٌ، وقال أبو حاتم بن حباب: يضع الحديث، وقال النسائي: متروك، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال أحمد بن حنبل: ضعيف.

وقال ابن عدي: له أحاديث لا يتابعه عليها أحد، وقال الدارقطني: هو وأبوه ضعيفان، وقال الحاكم في كتاب [المدخل]: عبد الملك بن هارون بن عنترة الشيباني روى عن أبيه أحاديث موضوعة، وأخرجه أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب [الموضوعات]).

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١١١-١١٢).
(٢) ميزان الاعتدال (١٠٢/٤).
(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٠٧).

وقال الذهبي عنه في (ميزان الاعتدال):[١] (قال أحمد: عبد الملك ضعيف، وقال يحيى: كذاب، وقال أبو حاتم: متروك ذاهب الحديث، وقال ابن حبان: يضع الحديث ...).

الحديث التاسع: حديث ذكره موسى بن عبد الرحمن الصنعاني صاحب التفسير بإسناده عن ابن عباس مرفوعًا، أنه قال: (من سرَّه أن يوعيه الله حفظ القرآن وحفظ أصناف العلم؛ فليكتب هذا الدعاء في إناء نظيف، أو في صحف قوارير بعسل وزعفران وماء مطر، وليشربه على الريق، وليصم ثلاثة أيام، وليكن إفطاره

عليه، ويدعو به في أدبار صلواته: اللهم إني أسألك بأنك مسؤول ولم يُسأل مثلك ولا يُسأل مثلك، وأسألك بحق محمد نبيك، وإبراهيم خليلك، وموسى نجيك، وعيسى روحك وكلمتك ووجيهك).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-عقب ايراده هذا الحديث-"وموسى بن عبد الرحمن هذا من الكذابين، قال أبو أحمد ابن عدي فيه: منكر الحديث، وقال أبو حاتم ابن حبان: دجال يضع الحديث، وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتابًا في التفسير جمعه من كلام الكلبي ومقاتل".[٢]

ونقل عنه ابن عدي أحاديث من روايته، ثم قال بعدها "هذه الأحاديث بواطيل".[٣]

إذاً هذه الأحاديث كلها غير صحيحة لا يُستدل بها على هذا التوسل البدعي.

وهناك آثار رويت عن السلف وهي ضعيفة أيضًا لا يُعتد بها، ومنها:

حديث الأربعة الذين اجتمعوا عند الكعبة وسألوا، وهم: عبد الله ومصعب ابنا الزبير، وعبدالله بن عمر، وعبد الملك بن مروان، وذكره ابن أبي الدنيا في كتاب (مجابي الدعاء)، ورواه من طريق إسماعيل بن أبان الغنوي، عن سفيان الثوري، عن طارق بن عبد العزيز، عن الشعبي أنه قال: (لقد رأيت عجبًا! كنا بفناء الكعبة أنا وعبدالله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، ومصعب بن الزبير، وعبد الملك بن مروان، فقال القوم بعد أن فرغوا من حديثهم: ليقم كل رجل منكم، فليأخذ بالركن اليماني، وليسأل الله حاجته فإنه يُعطى من سعة، ثم قالوا: قم يا عبد الله بن الزبير، فإنك أول مولود في الإسلام بعد الهجرة، فقام فأخذ بالركن اليماني ثم قال: "اللهم إنك عظيم تُرجى لكل عظيم، أسألك بحرمة وجهك، وحرمة عرشك، وحرمة نبيك: ألا تميتني من الدنيا حتى توليني الحجاز، ويسلِّم عليَّ بالخلافة"، ثم جاء فجلس، ثم قام مصعب فأخذ بالركن اليماني ثم قال: "اللهم إنك رب كل شيْء ،

(١) ميزان الاعتدال (٥٨٠/٢).
(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٤٢).
(٣) ميزان الاعتدال (٤٠٤/٤-٤٠٥).

وإليك يصير كل شيْء ، أسألك بقدرتك على كل شيْء ، ألا تميتني من الدنيا حتى توليني العراق، وتزوجني سكينة بنت الحسين"، ثم قام عبد الملك بن مروان فأخذ بالركن اليماني ثم قال: "اللهم رب السموات السبع، ورب الأرض ذات النبت بعد القفر، أسألك بما سألك به عبادك المطيعون لأمرك، وأسألك بحقك على خلقك وبحق الطائفين حول عرشك ...الخ).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (قلت: وإسماعيل بن أبان الذي روى هذا عن سفيان الثوري كذاب، قال أحمد بن حنبل: كتبت عنه، ثم حدث بأحاديث موضوعه فتركناه ... وقال أبو حاتم: كذاب ...).[١]

وقال الذهبي: "إسماعيل بن أبان الغنوي الكوفي الحناط: كذبه يحيى بن معين، وقال أحمد بن حنبل: كتبنا عنه، عن هشام بن عروة ثم روى أحاديث موضوعة عن فِطْر وغيره، فتركناه ... قال ابن حبان: كان يضع الحديث على الثقات...) [٢]

وهنالك حكايات عن بعض الناس في التوسل البدعي وهي غير صحيحة أيضا مثل:

قال شيخ الإسلام -رحمة الله تعالى-: "ورُوي في ذلك أثر عن بعض السلف، مثل ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب (مجابي الدعاء) قال: حدثنا أبو هاشم، سمعت كثير بن محمد بن كثير بن رفاعة يقول: جاء رجل إلى عبد الملك بن سعيد بن أبجر فجس بطنه، فقال: بك داء لا يبرأ، قال: ما هو؟ قال: الدبيلة، قال: فتحول الرجل فقال:" الله، الله ربي لا أشرك به شيئًا، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمدٍ نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم تسليمًا، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك وربي يرحمني مما بي، قال: فجس بطنه فقال: قد برئت ما بك علة".

وهذا الأثر نقله ابن تيمية في (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة)[٣] ، وقد نقله بصيغة التمريض التي تدل على أنَّ ابن تيمية يضعف هذا الأثر، فقد قال: (ورُوِيَ في ذلك أثر عن بعض السلف مثل ما رواه...) ثم ساق القصة، مما يُوضح تضعيف ابن تيمية لها.

وقبل ذلك، ذكر ابن تيمية - رحمه الله - كلامًا يدل على تضعيفه لهذه الحكايات كلها بما فيها هذه الحكاية، حيث قال في بداية حكايته: "وفي الباب حكايات عن بعض الناس أنه رأى منامًا قيل له فيه: ادع بكذا وبكذا، ومثل هذا لا يجوز أن يكون دليلًا باتفاق العلماء، وقد ذكر بعض هذه من جمع في الأدعية، ورُوي في ذلك أثر

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٤٤-١٤٥).
(٢) ميزان الاعتدال (٢١٤/١).
(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٠٧).

عن بعض السلف مثل ما رواه ابن أبي الدنيا..." ثم ساق الحكاية. مما يدل دلالة واضحة على أن ابن تيمية أورده من أمثلة الآثار والحكايات التي لا تصح.

ومما يدل على ذلك أيضًا، قوله عند إيراد الحكاية: "وقد ذكر بعض هذه الحكايات من جمع في الأدعية ..." ثم ذكر الحكاية، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قد أصَّل قبل صفحات من هذا الكلام، أن هذه الكتب التي جمعت الأدعية والأذكار قد كثر فيها الأحاديث الموضوعة؛ لذلك لا يجوز الاعتماد عليها في الشريعة، ونقل

الاتفاق على ذلك، فقال شيخ الإسلام: "... لكنه قد رواه من صنف في عمل اليوم والليلة كابن السني، وأبي نعيم، وفي مثل هذه الكتب أحاديث كثيرة موضوعة لا يجوز الاعتماد عليها في الشريعة باتفاق العلماء"[(١)].

ولو فرضنا صحة القصة، فإن هذا الفعل من رجل لا يصلح أن يكون دليلًا؛ لأنه ليس كتابًا ولا سنةً، بل هو تصرف من رجل لم نؤمر باتباعه أبدًا؛ لاسيما وهو يخالف الكتاب والسنة، وقد قال رسول الله ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد".[(٢)]

أما كون الدعاء أُستجيب، فهذا أيضًا لا يدل على أنه سائغ في الشريعة، فقد قال شيخ الإسلام: (وليس مجرد كون الدعاء حصل به المقصود يدل على أنه سائغ في الشريعة؛ فإن كثيرًا من الناس يدعون من دون الله من الكواكب والمخلوقين ويحصل ما يحصل من غرضه ...).[(٣)] وصدق شيخ الإسلام-رحمه الله تعالى-، فالدين ليس تجارباً وإنما هو اتباع فليس كل من جرب شيئاً جعله سنة وشريعة تتبع فتضيع شريعة الله جل وعلا، ولكن العجيب أن هؤلاء الصوفية يأتون بهذه الآثار والحكايات التي فيها التوسل البدعي ليستدلوا بها على جواز الشرك بالله تعالى من دعاء غير الله والاستغاثة بغيره تعالى، فشتان بين مشرق ومغرب.

والخلاصة: أن التوسل المشروع ثلاثة أنواع:

توسل بأسماء الله وصفاته.

وتوسل بالعمل الصالح الذي قام به الداعي نفسه.

وتوسل بدعاء الرجل الصالح.

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٣٦).
(٢) رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).
(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٤٧).

وهذه الأنواع الثلاثة هي التي يدلُّ عليها الكتابُ والسنةُ وعمل الصحابة ـ رضي الله عنهم -. وقد أدخل الصوفية وغيرهم الشركَ ودعوا غير الله تعالى، واستغاثوا بغيره تعالى، بدعوى أن هذا هو التوسل، وكذبوا، فخلطوا بين التوسل وبين دعاء غير الله تعالى، فضلوا وأضلوا، مستدلين على ذلك بأحاديث ضعيفة ومكذوبة على رسول الله ﷺ، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (ومن كذب عليَّ مُتعمدًا فليتبوَّأ مقعده من النار)[1]، وتركوا الآيات المحكمة البينة في النهي عن دعاء غير الله تعالى والقرآن مَلِيْءٌ بهذا، وكذا السنة الصحيحة.

والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا الله،

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) رواه البخاري (١٢٩١).



الأحاديث الواردة في التحذير من الشرك وبيان خطره

جمعاً ودراسةً

إعداد

حسين بن غازي التويجري

أستاذ مشارك بقسم فقه السنة

بكلية الحديث بالجامعة الإسلامية

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الخامس ٢٠١٩م

الأحاديث الواردة في التحذير من الشرك وبيان خطره جمعاً ودراسةً

حسين بن غازي التويجري

قسم فقه السنة بكلية الحديث بالجامعة الإسلامية

hgtm29@gmail.com

ملخّص البحث :

يهدف هذا البحث إلى جمع الأحاديث الواردة في باب التحذير من الشرك وبيان خطره، والتي تذكر لفظ "الشرك" مع دراسة علميّة لتلك الأحاديث. وسلك الباحث منهج التتبّع في جمع أحاديث البحث من مصادر السنة المسندة، مع ترجمة رجال الإسناد ممن يقتضي المقام الترجمة لهم، وبيان معاني الكلمات الغريبة، و ذكر كلام شرّاح الحديث في بيان معنى الحديث، وتوجيههم له، وربّما ذُكر مع ذلك بعض الفوائد المتعلّقة بالحديث، إضافةً إلى ضبط الكلمات والأسماء المشكلة، والالتزام بعلامات الترقيم.

ينقسم البحث –بشكل عام– إلى مقدّمة ومبحثين وخاتمة. وتطرّق إلى تعريف الشرك، وأقسامه، وأحواله، والفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر، وذكر الشرك في القرآن. كما جمع أحاديث الباب تحت عناوين مهمة في باب التحذير من الشرك وبيان خطره، مثل: الشرك أكبر الموبقات، والشرك أظلم الظلم، والشرك أكبر الكبائر، والشرك أعظم الذنوب عند الله، والشرك سبب لدخول النار والتوحيد موجب لدخول الجنة، وذكر أمثلة الأقوال والأعمال الشركية.

واختتم الباحث بذكر النتائج التي توصّل إليها من خلال هذا البحث، ومن ذلك: أن الشرك الأكبر هو دعوة غير الله مع الله كالاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والأصغر هو جميع الأقوال والأفعال التي يتوصّل بها للشرك كالحلف بغير الله، وأن الشرك له حالان: ظاهر وخفي وذلك في كل قسم، وأن الشرك أكبر الموبقات، وأكبر الكبائر، وأظلم الظلم، إلى غير ذلك من النتائج.

ووضع الباحث فهرسًا للمصادر والمراجع وآخر للموضوعات.

الكلمات المفتاحية: الشرك، الأحاديث النبوية، الظلم، الكبائر، الجنة، النار.

The hadiths mentioned in the warning about polytheism and its danger, collected and studied

Hussein bin Ghazi Al-Tuwaijri
Department of Fiqh as-Sunnah, College of Hadith, Islamic University
hgtm29@gmail.com

Abstract

This research aims to collect the hadiths reported on warning against *Shirk* (associating partner with Allaah in acts of worship) and the explanation of its danger, the hadiths that specifically mentioned the word "*Shirk*", with a scholarly study of these hadiths. The researcher followed the tracking method in the collection of the hadiths of the research from the sources of Sunnah that reported them with chains of narrators, with the biography of the personalities in their chain of narrators whenever such is required, and clarifying the meanings of strange words, and the opinions of the commentators on the hadith were also mentioned in explaining the meaning of the hadith, and their interpretation, and perhaps some of the benefits related to the hadith might also be included in some cases. In addition to applying tone marks on certain ambiguous words and names, for the sake of clarification and adhering to punctuation marks.

The research is divided, in general, into an introduction, two topics, and a conclusion.

And it deals with the definition of *Shirk*, its divisions, its manifestations, and the difference between major *Shirk* and minor *Shirk*, and the mention of *Shirk* in the Qur'aan. Also, it compiles the hadiths on the topic under important topics on the issue of warning against *Shirk* and the explanation of its danger, topics like: *Shirk* is the biggest sin, *Shirk* is the biggest injustice, *Shirk* is the biggest of all major sins, *Shirk* is the biggest sin against Allaah, *Shirk* is the reason for entering hell-fire and *tawheed* (oneness of Allaah) is the reason for entering Jannah and examples on words and actions that are regarded *Shirk.*

The researcher concluded by mentioning the findings of the research, including: that the major *Shirk* is associating partner with Allaah, like calling for the help of dieties other than Allaah in what is not could not be granted by anyone other than Him, and the minor *Shirk* is all the sayings and deeds that leads to *Shirk* like vowing with things other than Allaah, and that *Shirk* It has two states: visible and hidden, in each of its two divisions, and that *Shirk* is the biggest of all crimes, the biggest of all major sins, the biggest injustice, among other results. The researcher prepared an index for the sources and references and another for the topics.

Keywords: polytheism, prophetic hadiths, injustice, major sins, heaven, fire.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (١)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ (٢)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ (٣)

أما بعد :

فقد خلقنا الله لغاية عظيمة، ومهمة جسيمة، ألا وهي عبادته وحده دون سواه،: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ (٤) ، ومن أجل تحقيق هذه المهمة على الوجه الأكمل، وإقامة الحجة على الخلق، أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ (٥) ، قال السعدي رحمه الله: "هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه،

---

(١) سورة آل عمران (١٠٢).

(٢) سورة النساء (١).

(٣) سورة الأحزاب (٧٠-٧١).

(٤) سورة الذاريات (٥٦).

(٥) سورة النحل (٣٦).

كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم"ا.هـ.

وخلق الله الخلق أسوياء على الفطرة وعلى التوحيد والسلامة من الشرك ودَرَنِه، فاجتالتهم شياطين الإنس والجن وحرفوهم عنها، إلى الشرك والضلالة، إلا من عصمه الله، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، وَيُنَصِّرَانِهِ. أَوْ يُمَجِّسَانِهِ."**(١) ، من أجل هذا كان الواجب على كل مكلف، أن يحذر من الشرك، ووسائله، وأن يفتش، بل يدقق في أقواله، وأفعاله وإراداته، هل هي سالمة من الشرك أم لا؟، وهذا هو نهج الأنبياء والصالحين الخوف على النفس والذرية من الشرك، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ (٢) ، قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله: "فإذا كان ابراهيم عليه السلام يسأل الله أن يجنبه ويجنب بنيه عبادة الأصنام فما ظنك بغيره كما قال ابراهيم التيمي ومن يأمن من البلاء بعد ابراهيم رواه ابن جرير(٣)..وهذا يوجب للقلب الحي أن يخاف من الشرك لا كما يقول الجهال إن الشرك لا يقع في هذه الأمة ولهذا أمنوا الشرك فوقعوا فيه"(٤)، بل لخطره وعظم مصيبته خافه علينا أرحم الخلق بالخلق صلى الله عليه وسلم بقوله:" **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟** قَالَ: قُلْنَا : بَلَى. **فَقَالَ: الشِّرْكُ الْخَفِيُّ: أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي ، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ"** (٥).ولخطر الشرك وعظم أمره، وأنه أظلم الظلم، جمعت الأحاديث الواردة في هذا الباب، والتي تذكرلفظ **الشرك**، في هذا البحث وسميته

(الأحاديث الواردة في التحذير من الشرك، وبيان خطره) جمعاً ودراسةً

(١) أخرجه البخاري (٢/٩٤، ١٣٥٨)، ومسلم (٤/٢٠٤٧، ٢٦٥٨).
(٢) سورة إبراهيم (٣٥).
(٣) جامع البيان (١٧/١٧).
(٤) تيسير العزيز الحميد ص٩٣.
(٥) سيأتي تخريجه ح ١٥.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة :

فالمقدمة ذكرت فيها أهمية هذا البحث، وخطة البحث، والمنهج الذي سرت عليه في جمع أحاديث الموضوع، وطريقة تخريج الأحاديث.

والمبحث الأول: تعريف الشرك، وذكر أقسامه، وأحواله، **ويحتوي على خمسة مطالب:**

المطلب الأول: تعريف الشرك.

المطلب الثاني: أقسام الشرك: ينقسم إلى قسمين أكبر وأصغر.

المطلب الثالث: أحوال الشرك ظاهر وخفي.

المطلب الرابع: الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر.

المطلب الخامس: ذكر الشرك في القرآن.

المبحث الثاني: الأحاديث الواردة في التحذير من الشرك، وبيان خطره:

ويحتوي على **عشرة مطالب:**

المطلب الأول: الشرك أكبر الموبقات.

المطلب الثاني: الشرك أظلم الظلم.

المطلب الثالث: الشرك أكبر الكبائر.

المطلب الرابع: الشرك أعظم الذنوب عند الله.

المطلب الخامس: الشرك سبب لدخول النار.

المطلب السادس: تخلي الله عن المشرك يوم القيامة، ورد أعماله، وعدم إثابته عليها.

المطلب السابع: الشرك موجب لدخول النار، والتوحيد موجب لدخول الجنة.

المطلب الثامن: مشروعية قول هذا الدعاء عند الخوف من الشرك.

المطلب التاسع: فضل التوحيد والسلامة من الشرك.

المطلب العاشر: ذكرأمثلة من الأقوال والأعمال الشركية.

أولاً: تحريم الرقى الشركية.

ثانياً: الطيرة من الشرك.

ثالثاً: الحلف بغير الله من الشرك.

رابعاً: تزيين الصلاة من أجل نظر الناس شرك.

خامساً: تعليق التميمة من الشرك.

سادساً: السحر من الشرك.

والخاتمة : ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، ثم وضعت فهرساً للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

منهج البحث :

أولاً : جمعت الأحاديث من مصادر السنة المسندة، على الطريقة التالية :

فإن كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما، اكتفيت بالعزو لهما، وربما عزوت إلى السنن الأربعة أو لغيرها من أجل فائدة إسنادية أو متنية.

فإن لم يكن الحديث بالصحيحين أو أحدهما، عزوته لأصحاب السنن الأربعة، مع الحكم عليه، وربما عزوته لغير السنن من أجل فائدة في الإسناد، أو في المتن.

فإن لم يكن في السنن الأربعة أو في أحدها خرجته من بقية الكتب مرتباً في العزو على سنة الوفاة، مع الحكم عليه، بعد ذكر المتابعات والشواهد إن احتاج الأمر إلى ذلك، ولا أستوعب جميع من أخرج الحديث، طلباً للاختصار.

أذكر ما وقفت عليه من أحكام أهل العلم على الحديث من غير قصد الاستيعاب.

إذا ثبت حديث الباب فلا أتوسع بذكر الشواهد.

ثانياً : الترجمة لرجال الإسناد ممن يقتضي المقام الترجمة لهم، على النحو التالي :

إذا كان الراوي من رجال الكتب الستة، فأكتفي بكلام الحافظ ابن حجر في التقريب، ما لم يظهر لي خلافه، فحينئذ أذكر بعضاً من كلام أئمة الجرح والتعديل في تأييد ما ظهر لي من حال هذا الراوي.

ب- إذا لم يكن الراوي من رجال التقريب، فإني أعرَّف به من مظانِّ ترجمته بإيجاز.

ثالثاً : بيان معاني الكلمات الغريبة.

رابعاً: أذكر كلام شراح الحديث في بيان معنى الحديث، وتوجيههم له، وربما ذكرت بعض الفوائد المتعلقة بالحديث.

خامساً: ضبط الكلمات والأسماء المشكلة.

سادساً: الالتزام بعلامات الترقيم.

وأسأل الله التوفيق والسداد، وأن يجعل أعمالنا صالحة، ولوجهه خالصة، وهذا وقت البدء بالمقصود، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

المبحث الأول: تعريف الشرك، وذكر أقسامه، وأحواله، ويحتوي على خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الشرك:

في اللغة: الشرك: بكسر الشين، وإسكان الراء تقول: شاركته في الأمر وشركته فيه أشركه شركاً، بكسر الأول وسكون الثاني، ويأتي: شركة، بفتح الأول وكسر الثاني فيها. ويقال: أشركته: أي جعلته شريكاً[(١)].

وله معان كثيرة منها: المشاركة، والمخالطة، والحظ والنصيب، والتسوية، والكفر:

قال ابن فارس: "الشركة هو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلاناً في الشيء، إذا صرت شريكه، وأشركت فلاناً، إذا جعلته شريكاً لك"[(٢)].

وقال ابن منظور: "الشَّركة والشَّرِكة سواء؛ مخالطة الشريكين، يقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا، وشارك أحدهما الآخر والشريك: المشارك، والشرك كالشريك، والجمع أشراك وشركاء"[(٣)].

وقال الأزهري: " شريك وأشراك، كما قالوا: يتيم وأيتام، ونصير وأنصار، والأشراك أيضاً جمع الشرك وهو النصيب، كما قال: قسم وأقسام"[(٤)].

وقال ابن منظور- أيضاً-: " طريق مشترك: أي يستوي فيه الناس، واسم مشترك: تستوي فيه معاني كثيرة.."[(٥)].

وقال الجوهري: "والشرك أيضاً: الكفر"[(٦)].

في الاصطلاح: سيأتي التعريف به عند ذكر أقسامه .

---

(١) الصحاح (١٥٩٣/٤)، والمصباح المنير ص١٦٣.
(٢) معجم مقاييس اللغة (٢٦٥/٣).
(٣) لسان العرب (٤٤٨/١٠).
(٤) تهذيب اللغة (١٣/١٠).
(٥) لسان العرب (٤٤٩/١٠).
(٦) الصحاح (١٥٩٣/٤).

المطلب الثاني: أقسام الشرك: ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الشرك الأكبر: دعوة غير الله معه[١]، وبعبارة أخرى: هو أن يجعل لله نداً يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه، أو يرجوه، أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعاً من خصائص الربوبية والإلهية [٢].

أو يقال: هوكل شرك أطلقه الشارع وكان متضمناً لخروج الإنسان عن دينه[٣].

ومن أمثلته: دعاء غير الله دعاء عبادة، أو دعاء مسألة، أو استغاثة بغير الله فيما لايقدر عليه إلا الله، أو نذر لغير الله ونحوه.

القسم الثاني: الشرك الأصغر: هوجميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك، كالغلو في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة، وكالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك[٤].

وبعبارة أضبط، هوكل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك ولكنه لا يخرج عن الملة[٥].

*****

(١) ثلاثة الأصول ص٨.
(٢) القول السديد ص٣١، وتفسير السعدي ص٢٩٧.
(٣) شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين ص٤٢.
(٤) القول السديد ص٣١.
(٥) شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين ص٤٢.

المطلب الثالث: أحوال الشرك:

جلي، وخفي ويقعان في كلٍ من القسمين السابقين، قال الشيخ ابن باز رحمه الله: "أما الشرك الخفي فإنه يعمهما، فيقع في الأكبر، كشرك المنافقين؛ لأنهم يخفون عقائدهم الباطلة، ويتظاهرون بالإسلام رياء، وخوفاً على أنفسهم، ويكون في الشرك الأصغر، كالرياء"(١).

*****

المطلب الرابع: الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

فالأكبر: يخرج صاحبه من الملة، ولايجتمع مع أصل الإيمان، ويحبط الأعمال جميعها، ومرتكبه خالد مخلد في النار، ولا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة منه

والأصغر: لا يخرج صاحبه من الإسلام، ويجتمع مع أصل الإيمان ويناقض كماله الواجب، وينقص ثواب العمل المصاحب له، وقد يحبطه إذا زاد وغلب ، ومرتكبه غير مخلد في النار، ويدخل تحت المشيئة في مغفرة الله للذنوب على قول، وقيل بل يدخل الموازنة(٢).

فائدة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والشرك نوعان أكبر وأصغر فمن خلص منهما وجبت له الجنة ومن مات على الشرك الأكبر وجبت له النار ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة فإن تلك الحسنات هي توحيد كثير مع يسير من الشرك الأصغر ومن خلص من الشرك الأكبر ولكن كبر شركه الأصغر حتى رجحت به سيئاته دخل النار، فالشرك يؤاخذ به العبد إذا كان أكبر أو كان كثيرًاً أصغر، فالأصغر القليل في جانب الإخلاص

---

(١) الدروس المهمة ص١١.

(٢) انظر: جواب في الحلف بغير الله ص٦، ومجموع الفتاوى (١٧/١٤٥) كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب الصلاة لابن القيم ص٥٩، والقول السديد ص٣١، وحاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٥١، وفتاوى اللجنة الدائمة (١/٧٤٦-٧٥٠).

الكثير لا يؤاخذ به، والخلاص من الأكبر ومن أكثر الأصغر الذي يجعل السيئات راجحة على الحسنات فصاحبه ناج ومن نجا من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ورجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة.."(١) .

*****

المطلب الخامس: ذكر الشرك في القرآن:

أولاً:

قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾(٢) .

قال السعدي رحمه الله: "يخبر تعالى: أنه لا يغفر لمن أشرك به أحدا من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، إذا اقتضت حكمتُه مغفرتَه.

فالذنوب التي دون الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسباباً كثيرة، كالحسنات الماحية والمصائب المكفرة في الدنيا، والبرزخ ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وبشفاعة الشافعين. ومن فوق ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد.

وهذا بخلاف الشرك فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده المصائب شيئا، ..

ولهذا حتم على صاحبه بالخلود بالعذاب وحرمان الثواب {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ} وهذه الآية الكريمة في حق غير التائب وأما

(١) تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء (٣٦٤/١).
(٢) النساء، آية (٤٨).

التائب فإنه يغفر له الشرك فما دونه كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [(١)]، أي لمن تاب إليه وأناب"[(٢)].

ثانياً:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[(٣)] .

قال ابن جرير رحمه الله:" إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، أن يسكنها في الآخرة، ومأواه النار"، يقول: ومرجعه ومكانه الذي يأوي إليه ويصير في معاده، من جعل لله شريكًا في عبادته نارُ جهنم وما للظالمين"، يقول: وليس لمن فعل غير ما أباح الله له، وعبد غير الذي له عبادة الخلق من أنصار"، ينصرونه يوم القيامة من الله، فينقذونه منه إذا أورده جهنم"[(٤)].

ثالثاً:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [(٥)] .

قال ابن كثيررحمه الله: "يقول تعالى مخبراً عن وصية لقمان لولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف؛ ولهذا أوصاه

(١) الزمر، آية (٥٣).
(٢) تفسير السعدي ص١٨١.
(٣) المائدة، آية (٧٢).
(٤) جامع البيان (١٠/٤٨٠).
(٥) لقمان، آية (١٣).

أولاً بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا، ثم قال محذراً له: {إن الشرك لظلم عظيم} أي: هو أعظم الظلم"(١) .

وقال السعدي رحمه الله: "أو قال له قولاً به يعظه بالأمر، والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، فأمره بالإخلاص، ونهاه عن الشرك، وبيَّن له السبب في ذلك فقال: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} ووجه كونه عظيماً أنه لا أفظع وأبشع ممن سَوَّى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسوَّى الذي لا يملك من الأمر شيئاً، بمن له الأمر كله، وسوَّى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوَّى من لم ينعم بمثقال ذرة من النعم، بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم، ودنياهم وأخراهم، وقلوبهم، وأبدانهم، إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء، وهل أعظم ظلماً ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، فجعلها في أخس المراتب جعلها عابدة لمن لا يسوى شيئا، فظلم نفسه ظلما كبيراً " (٢).

*****

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣٣٦/٦).

(٢) تفسيره ص٦٤٨.

المبحث الثاني: الأحاديث الواردة في التحذير من الشرك، وبيان خطره: ويحتوي على عشرة مطالب:

المطلب الأول: الشرك أكبر الموبقات:

١ – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ قَالَ : الشِّرْكُ بِاللهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ .**

أولاً: التخريج: أخرجه البخاري(١)، ومسلم(٢).

ثانياً: شرح ألفاظ الحديث:

اجْتَنِبُوا: ابعدوا، افتعال من الجنب، وهو أبلغ من لا تشركوا(٣).

الْمُوبِقَاتِ: بضم الميم وسكون الواو وكسر الموحدة بعدها قاف فألف ففوقية، أي: المهلكات، وسميت هذه الكبائر موبقات؛ لأنها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة من العذاب (٤).

فائدة: قال النووي رحمه الله: "وقال العلماء رحمهم الله : ولا انحصار للكبائر في عدد مذكور، وقد جاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه سئل عن الكبائر أسبع هي ؟ فقال : هي إلى سبعين، ويروى إلى سبعمائة، وأما قوله – صلى الله عليه وسلم – الكبائر سبع فالمراد به : من الكبائر سبع . فإن هذه الصيغة وإن كانت للعموم فهي مخصوصة بلا شك ، وإنما وقع الاقتصار على هذه السبع ، وفي الرواية

---

(١) الصحيح (١٠/٤، ٢٧٦٦).

(٢) الصحيح (٩٢/١، ٨٩).

(٣) شرح المشكاة للطيبي (٥٠٥/٢).

(٤) المفهم (٢٨٣/١)، وإرشاد الساري (٣٩/١٠).

الأخرى ثلاث[1] ، وفي الأخرى أربع[2] لكونها من أفحش الكبائر مع كثرة وقوعها لا سيما فيما كانت عليه الجاهلية ، ولم يذكر في بعضها ما ذكر في الأخرى ، وهذا مصرح بما ذكرته من أن المراد البعض، وقد جاء بعد هذا من الكبائر شتم الرجل والديه[3] ، وجاء في النميمة، وعدم الاستبراء من البول[4] ، أنهما من الكبائر . وجاء في غير مسلم من الكبائر اليمين الغموس[5]..."[6].

الشِّرْكُ بِاللهِ: بدأ به لعظم خطره، وأنه أكبر الكبائر، وأظلم الظلم، وأعظم العظائم[7].

وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ: إلا بالحق: أي هو القتل الذي أذن الله به، كالقصاص، والقتل على الردة، والرجم[8].

وَالْيَتِيمِ: هو من فقد أباه قبل البلوغ[9].

وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ: أي الفرار عن القتال يوم ازدحام الطائفتين، وإنما يكون كبيرة إذا فر إلى غير فئة، وإذا كان العدو ضعفي المسلمين[10].

وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ: المحصنات بكسر الصاد وفتحها والمراد بها هنا العفائف، وبالغافلات: الغافلات عن الفواحش وما قذفن به، ولا يختص بالمزوجات بل حكم البكر كذلك بالإجماع[11] .

---

(١) صحيح مسلم (٩١/١، ١٤٣)، من حديث أبي بكرة.
(٢) المصدر السابق من حديث أنسرقم (١٤٤).
(٣) المصدر السابق من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رقم (١٤٦).
(٤) المصدر السابق من حديث ابن عباس رقم (٢٩٢).
(٥) صحيح البخاري (١٣٧/٨، ٦٦٧٥) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.
(٦) المنهاج (٨٤/٢).
(٧) انظر: المفهم (٤٣/٢)، وعمدة القاري (٢١٦/١٣)، وبذل المجهود (٢٦/١٠).
(٨) إرشاد الساري (٣٨/١٠)، والتنوير (٣٦٥/١).
(٩) النهاية في غريب الحديث (٢٩٢/٥).
(١٠) المفهم (٢٨٤/١)، وإرشاد الساري (٢٢/٥).
(١١) المنهاج (٨٤/٢)، وفتح الباري (١٨١/١٢).

المطلب الثاني: الشرك أظلم الظلم:

٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتِ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾[١] **شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ :** ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [٢] .

أولاً: التخريج: أخرجه البخاري[٣]، ومسلم[٤].

ثانياً: شرح ألفاظ الحديث:

وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ: يلبسوا أي يخلطوا، وبظلم: أي بشرك وهو أعلى أنواع الظلم،... وفي المتن من الفوائد الحمل على العموم حتى يرد دليل الخصوص، وأن النكرة في سياق النفي تعم، وأن الخاص يقضي على العام، والمبين على المجمل، وأن اللفظ يحمل على خلاف ظاهره لمصلحة دفع التعارض، وأن درجات الظلم تتفاوت.. وأن من لم يشرك بالله شيئا فله الأمن وهو مهتد[٥] .

*****

المطلب الثالث: الشرك أكبر الكبائر:

٣-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - : **أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ ، كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا ، وَزَنَوْا وَأَكْثَرُوا ، فَأَتَوْا مُحَمَّدًا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ ، لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً ، فَنَزَلَ**﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ

(١) الأنعام (٨٢).
(٢) لقمان (١٣).
(٣) الصحيح (٤/٤١، ٣٣٦٠).
(٤) الصحيح (١/١١٤، ١٢٤).
(٥) فتح الباري (١/٨٨).

ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾ [١]
وَنَزَلَ:﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ ﴾[٢].

أولاً: التخريج: أخرجه البخاري[٣]، ومسلم[٤].

ثانياً: شرح ألفاظ الحديث:

لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ : أي: لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا قد كثرت ذنوبنا وتراكمت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها ولا سبيل يصرفها، فتبقون بسبب ذلك مصرين على العصيان، متزودين ما يغضب عليكم الرحمن، ولكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه وجوده، واعلموا أنه يغفر الذنوب جميعا من الشرك، والقتل، والزنا، والربا، والظلم، وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار. {إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} أي: وصفه المغفرة والرحمة، وصفان لازمان ذاتيان، لا تنفك ذاته عنهما، ولم تزل آثارهما سارية في الوجود، مالئة للموجود، تسح يداه من الخيرات آناء الليل والنهار، ويوالي النعم على العباد والفواضل في السر والجهار، والعطاء أحب إليه من المنع، والرحمة سبقت الغضب وغلبته،. ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسباب إن لم يأت بها العبد، فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمها وأجلها، بل لا سبب لها غيره، الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، والدعاء والتضرع والتأله والتعبد، فهلم إلى هذا السبب الأجل، والطريق الأعظم[٥] .

---

(١) الفرقان (٦٨).
(٢) الزمر (٥٣).
(٣) الصحيح (١٢٥/٦، ٤٨١٠).
(٤) الصحيح (١١٣/١، ١٢٢).
(٥) تفسير السعدي ص٧٢٧.

المطلب الرابع: الشرك أعظم الذنوب عند الله:

٤ – عَنْ عَبْدِ الله قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ الله ؟ قَالَ : "أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا ، وَهُوَ خَلَقَكَ ، قَالَ : قُلْتُ لَهُ : إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ . قَالَ: قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ ، قَالَ : قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ".

أولاً: التخريج: أخرجه البخاري[١]، ومسلم[٢].

ثانياً: شرح ألفاظ الحديث:

أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا : الند بكسر النون وتشديد الدال، بمعنى المثل، والشبه، والنظير، والضد[٣].

قال القرطبي رحمه الله: "ومعناه: أن اتخاذ الإنسان إلهاً غير خالقه المنعم عليه، مع علمه بأن ذلك المتخذ ليس هو الذي خلقه، ولا الذي أنعم عليه: من أقبح القبائح، وأعظم الجهالات؛ وعلى هذا فذلك أكبر الكبائر، وأعظم العظائم"[٤].

يَطْعَمَ مَعَكَ: بفتح الياء أي يأكل[٥].

أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ: حليلة: هي بالحاء المهملة وهي زوجته سميت بذلك لكونها تحل له، وقيل لكونها تحل معه، ومعنى تزاني: أى تزنى بها برضاها، وذلك يتضمن الزنى، وإفسادها على زوجها، واستمالة قلبها إلى الزاني وذلك أفحش، وهو مع امرأة الجار أشد قبحاً، وأعظم جرماً لأن الجار يتوقع من جاره الذب عنه وعن

---

(١) الصحيح (٦/١٨، ٤٤٧٧).
(٢) الصحيح (١/٩٠، ٨٦).
(٣) المنهاج (٢/٨٠)، والفتح (١٣/٤٩١).
(٤) المفهم (٢/٢٨٠).
(٥) المنهاج (٢/٨٠).

حريمه، ويأمن بوائقه، ويطمئن إليه، وقد أُمِر بإكرامه والإحسان إليه، فاذا قابل هذا كله بالزنى بامرأته، وإفسادها عليه مع تمكنه منها على وجه لا يتمكن غيره منه، كان في غاية من القبح"(١).

*****

المطلب الخامس: الشرك سبب لدخول النار:

٥– عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا : لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ . فَيَقُولُ : قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ ، أَنْ لَا تُشْرِكَ . أَحْسَبُهُ قَالَ : وَلَا أُدْخِلَكَ النَّارَ ، فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ"** .

أولاً: التخريج: أخرجه البخاري(٢)، ومسلم(٣).

ثانياً: شرح ألفاظ الحديث:

أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا: من الافتداء وهو خلاص نفسه من الذي وقع فيه بدفع ما يملكه(٤).

*****

المطلب السادس: تخلي الله عن المشرك يوم القيامة، ورد أعماله، وعدم إثابته عليها:

٦ –عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : **أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ.**

---

(١) المصدر السابق.
(٢) الصحيح (٤/١٣٣، ٣٣٣٤).
(٣) الصحيح (٤/٢٨٠٥،٢١٦٠).
(٤) عمدة القاري (١٥/٢١٤).

أولاً: التخريج: أخرجه مسلم[(١)].

ثانياً: شرح ألفاظ الحديث:

أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ: معناه أنا غني عن المشاركة؛ وغيرها، فمن عمل شيئاً لي ولغيري، لم أقبله، بل أتركه لذلك الغير، والمراد: أن عمل المرائي باطل، لاثواب فيه، ويأثم به[(٢)].

٧- عَنْ أَبِي سَعْدِ بْنِ أَبِي فَضَالَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ[(٣)] ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : **"إِذَا جَمَعَ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ، نَادَى مُنَادٍ : مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ للهِ أَحَدًا ، فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ ، فَإِنَّ اللهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ"** .

أولاً: التخريج: أخرجه الترمذي[(٤)]، وابن ماجه[(٥)]، وفي إسناده زياد بن ميناء، مقبول[(٦)]، وله شاهد من حديث أبي هريرة المتقدم[(٧)] ولاسيما الجملة الأخيرة منه، قال ابن المديني: "إسناد صالح يقبله القلب، ورب إسناد ينكره القلب، وزياد بن ميناء مجهول لا أعرفه"[(٨)]، وقال الترمذي: "هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث محمد بن بكر"، وحسنه الألباني[(٩)].

*****

(١) الصحيح (٤/٢٢٨٩، ٢٩٨٥).
(٢) المنهاج (١٨/١١٥).
(٣) الإصابة (٧/١٤٥).
(٤) الجامع (٥/١٦٥، ٣١٥٤).
(٥) السنن (٥/٢٩١، ٤٢٠٣).
(٦) التقريب (٢١٠٢).
(٧) ح ٦.
(٨) تهذيب الكمال (٩/٥٢١).
(٩) صحيح الترغيب (١/١٢٠، ٣٣)،

المطلب السابع: الشرك موجب لدخول النار، والتوحيد موجب لدخول الجنة:

٨- عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ . وَقُلْتُ أَنَا : مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ .**

أولاً: التخريج: أخرجه البخاري[١]، ومسلم[٢].

ثانياً: شرح ألفاظ الحديث:

وَقُلْتُ أَنَا : مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ: قال ابن حجر رحمه الله: " ولم تختلف الروايات في الصحيحين في أن المرفوع الوعيد، والموقوف الوعد.. وكأن ابن مسعود لم يبلغه حديث جابر.."[٣].

٩- عَنْ جَابِرٍ قَالَ : **أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا الْمُوجِبَتَانِ ؟ فَقَالَ : مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ .**

أولاً: التخريج: أخرجه مسلم[٤].

ثانياً: شرح ألفاظ الحديث:

الْمُوجِبَتَانِ: قال أبو نعيم رحمه الله: " الموجبتان الخصلتان اللتان توجبان الجنة النار"[٥] ، قال الشيخ محمد على آدم حفظه الله : " وفيه أن التوحيد موجب لدخول الجنّة، والشرك موجب لدخول النار.. والواجب هو ما أوجبه الله على نفسه لعباده فضلًا منه وكرمًا، لا أنه يجب عليه شيء، فتنبّه"[٦].

---

(١) الصحيح (٧١/٢، ١٢٣٨).
(٢) الصحيح (٩٤/١، ٩٢).
(٣) الفتح (١١١/٣)، وسيأتي حديث جابر بعده مباشرة.
(٤) الصحيح (٩٤/١، ٩٣).
(٥) المستخرج (١٦٨/١، ٢٦٧)،
(٦) البحر المحيط الثجاج (١٣١/٣).

المطلب الثامن: مشروعية قول هذا الدعاء عند الخوف من الشرك:

١٠ -عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : **الشِّرْكُ أَخْفَى فِي أُمَّتِي مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا قَالَ : فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ الله وَكَيْفَ النَّجَاءُ وَالْمَخْرَجُ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكَ بِشَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ بَرِئْتَ مِنْ قَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ وَصَغِيرِهِ . قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ الله . قَالَ :" قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ"** .

أولاً: التخريج: أخرجه الضياء(١) ، وأبو نعيم(٢) من طريق يحيى بن كثير البصري، عن الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن حازم، عن أبي بكر به، وفي إسناده يحيى بن كثير وهو ضعيف(٣)، قال الدارقطني: "ولا يصح عن إسماعيل، ولا عن الثوري، ويحيى بن كثير هذا متروك الحديث"(٤).

وقد تابع يحيى بن كثير: ليث بن أبي سليم القرشي مولاهم، وهو صدوق اختلط جداً ، ولم يتميز حديثه فترك(٥)، وقد اضطرب فيها كثيراً (٦) مما يدل على اختلاطه، فرواه مرة، عن رجل مجهول يقال له أبو محمد، عن معقل بن يسار، عن أبي بكر به(٧)، ومرة عن رجل مجهول يقال له أبو محمد، عن حذيفة، عن أبي بكر به، ومرة ثالثة: عن هذا الشيخ المجهول، وجعله من مسند معقل بن يسار.

(١) المختارة (١/١٥٠، ٦٢، ٦٣).
(٢) الحلية (٧/١١٢).
(٣) التقريب (٧٦٣١).
(٤) العلل (١/١٩٢).
(٥) التقريب (٥٦٨٥).
(٦) أخرج هذه الوجوه الثلاثة أبو يعلى في المسند (١/٦٠، ٥٩-٦٢).
(٧) والبخاري في الأدب المفرد (٧١٦)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/٧٢٣، ٩٨١).

وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعري أخرجه أحمد[١]، وابن أبي شيبة[٢]، والطبراني[٣] ، وفي إسناده أبو علي الكاهلي مجهول ذكره البخاري في التاريخ الكبير[٤]، وابن حبان في الثقات[٥] ولم يرو عنه سوى عبد الملك العرزمي، ولم يوثق، قال الهيثمي: "رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي، ووثقه ابن حبان"[٦].

وله شاهد من حديث عائشة بلفظ: " **الشِّرْكُ أَخْفَى فِي أُمَّتِي مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا**" أخرجه البزار[٧]، والحاكم[٨]، وأبو نعيم[٩] من طريق عبد الأعلى بن أعين، عن يحيى بن كثير البصري، عن عروة، عن عائشة مرفوعاً، لكن عبد الأعلى ابن أعين الشيباني مولاهم ضعيف[١٠]، وشيخه ضعيف كما تقدم في حديث أبي بكر، قال الدار قطني : "وعبد الأعلى بن أعين ضعيف الحديث، والحديث غير ثابت"[١١]، والحديث حسنه لغيره الألباني[١٢].

(١) المسند (٣٨٣/٣٢، ١٩٦٠٥).
(٢) المصنف (٧٠/٦، ٢٩٥٤٧).
(٣) المعجم الأوسط (١٠/٤، ٣٤٧٩).
(٤) التاريخ الكبير (٥٨/٩).
(٥) الثقات (٥٦٢/٥).
(٦) مجمع الزوائد (٣٨٤/١٠).
(٧) كشف الأستار (٢١٧/٤، ٣٥٦٦).
(٨) المستدرك (٢٩١/٢، ٣١٦٦).
(٩) الحلية (٣٦٨/٨).
(١٠) التقريب (٣٧٢٩).
(١١) العلل (١٩١/١٤).
(١٢) صحيح الأدب المفرد ص٣٦٥، وصحيح الترغيب والترهيب (١٢١/١).

ثانياً: شرح ألفاظ الحديث:

وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ: قال ابن القيم رحمه الله : "فهذا طلب الاستغفار مما يعلمه الله أنه ذنب، ولا يعلمه العبد"(١).

قال الغزالي رحمه الله : "ولذلك أي لخفائه عجز عن الوقوف على غوائله سماسرة العلماء فضلاً عن عامة العباد وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن مكائدها وإنما يبتلى به العلماء والعبّاد المشمرين عن ساق الجد بسلوك سبيل الآخرة فإنهم مهما جهدوا أنفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بقهرهم إياها على أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح بالخير وإظهار العلم والعمل فوجدت مخلصا عن ضيق المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم فنازعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق، وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله سبحانه.."(٢) .

المطلب التاسع: فضل التوحيد والسلامة من الشرك:

١١ –عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً .

---

(١) مدارج السالكين (١/٢٨٣).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/٢٧٥).

أولاً: التخريج: أخرجه مسلم[١].

ثانياً: شرح ألفاظ الحديث:

وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا: الشبر بكسر الشين ما بين طرفي الخنصر والإبهام، وجمعه أشبار[٢].

والذراع: من طرف المرفق إلى طرف الأصبع الوسطى[٣]، **وهو شبران**[٤].

والباع: قدر مد اليدين[٥] ، وهو طول ذراعي الإنسان وعضديه وعرض صدره، وذلك أربعة أذرع[٦].

وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً: الهرولة: هي الإسراع في المشي دون الهرولة[٧].

وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً: قراب: بضم القاف، وحكى بعضهم الكسر، ومعناه ملء الأرض، أو ما يقارب من ملئها [٨].

تنبيه مهم: قال النووي رحمه الله: "هذا الحديث من أحاديث الصفات ويستحيل إرادة ظاهره وقد سبق الكلام في أحاديث الصفات مرات ومعناه من تقرب إلي بطاعتي تقربت إليه برحمتي والتوفيق والإعانة وإن زاد زدت فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود والمراد أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه"[٩]، وقال ابن رجب رحمه الله: "ومن فهم من شيء من هذه النصوص تشبيها أو حلولاً أو

(١) الصحيح (٢٠٦٨/٤، ٢٦٨٧).
(٢) جمهرة اللغة (١٢٧٩/٣)، ومختار الصحاح ص١٦٠.
(٣) تاج العروس (٥/٢١).
(٤) فيض القدير (٧٦١/٣).
(٥) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٢٧/٣٠).
(٦) المنتقى (١٢/١)، ومطالع الأنوار على صحيح الآثار (٥٥٤/١).
(٧) مرقاة المفاتيح (١٥٤٣/٤).
(٨) إكمال المعلم (١٨٥/٨)، والنهاية لابن الأثير (٣٤/٤).
(٩) المنهاج (٣/١٧).

اتحاداً، فإنما أتي من جهله، وسوء فهمه عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والله ورسوله بريئان من ذلك كله، فسبحان من ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير"(١).

وقال صاحب مرعاة المفاتيح رحمه الله بعد ذكره لمن أول صفات الله الواردة بهذا الحديث وتعداد أسمائهم: "قلت لا حاجة إلى هذا التأويل والتفسير والصواب أن يحمل هذا الحديث كأمثاله على ظاهره فنؤمن به على ما يليق بعظمة الله تعالى كالمجيء والنزول ونحوهما وربنا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير والله أعلم"(٢) .

وقال الشيخ محمد على آدم حفظه الله: "لقد أجاد صاحب "المرعاة"، وأفاد، فهكذا ينبغي لشارح الحديث أن يكون مع ظواهر النصوص، إلا إذا وجد دليلاً صارفاً يصرفه عنها، ولا يوجد صارف في إجراء أحاديث الصفات على ظواهرها، إلا ما تخيّله المتأخرون الذين تأثّروا بأفكار أهل الكلام، ففسَّروها بالمعنى الذي يكون للمخلوق، ثم فرّوا من التشبيه، فأداهم ذلك إلى نفي معانيها، وهذا هو الخطأ المُبِين، فإن هذه الصفات إذا اتّصف بها الله -عَزَّ وَجَلَّ- تكون على المعنى اللائق به، فلا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ (٣) ، اللَّهُمَّ اهدنا فيمن هديت، اللَّهُمَّ أرنا الحقّ حقّاً، وارزقنا اتّباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، آمين"(٤).

لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً: شرط ثقيل في الوعد بحصول المغفرة، وهو السلامة من الشرك كثيره وقليله، صغيره وكبيره، ولا يسلم من ذلك إلا من

(١) جامع العلوم والحكم (١/١٣١).
(٢) مرعاة المفاتيح (٧/٣٨٧).
(٣) الشورى، آية (١١).
(٤) البحر المحيط الثجاج (٤٢/١٠٤)، وللاستزادة يراجع القواعد المثلى ص٦٩ لشيخنا محمد صالح العثيمين رحمه الله.

سلمه الله، وذلك هو القلب السليم. كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ *إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (١) ، (٢).

قال ابن رجب رحمه الله: " فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة لكن هذا مع مشيئة الله عز و جل فإن شاء غفر له وأن شاء أخذه بذنوبه ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة... فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله تعالى فيه وقام بشروطه بقلبه ولسانه وجوارحه او بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيما وإجلالا ومهابة وخشية وتوكلا وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر وربما قلبتها حسنات فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم فلو وضع منه ذرة على جبال الذنوب والخطايا لقلبها حسنات.."(٣).

*****

(١) الشعراء، الآيتان (٨٨-٨٩).

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٧٤.

(٣) جامع العلوم والحكم (٤١٧/٢).

المطلب العاشر: ذكر أمثلة من الأقوال والأعمال الشركية:

أولاً: تحريم الرقى الشركية:

١٢ –عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: **كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ، كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ .**

أولاً: التخريج: أخرجه مسلم[1].

ثانياً: شرح ألفاظ الحديث:

رُقَاكُمْ: بضم الراء جمع رقية [2]

مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ: فجازت الرُّقية من كل الآفات من الأمراض ، والجراح ، والقروح ، والحمة ، والعين ، وغير ذلك ؛ إذا كان الرُّقى بما يفهم ، ولم يكن فيه شرك ، ولا شيء ممنوع، وأفضل ذلك ، وأنفعه : ما كان بأسماء الله تعالى وكلامه ، وكلام الله رسوله ـ صلى الله عليه وسلم[3] ـ

ثانياً: الطيرة من الشرك:

١٣ –عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ، وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**" .

أولاً: التخريج: أخرجه أبو داود[4]، والترمذي[5]، وابن ماجه[6]، وكرر أبو داود الجملة الأولى ثلاث مرات، وإسناده صحيح، إلا أنه اختلف في لفظة "وما منا

(١) الصحيح (١٧٢٧/٤، ٢٢٠٠).
(٢) مرقاة الفاتيح (٢٨٧٠/٧).
(٣) المفهم (٦٥/١٨).
(٤) السنن (٢٤/٤، ٣٩١٠).
(٥) الجامع (١٦٠/٤، ١٦١٤).
(٦) السنن (١١٧٠/٢، ٣٥٣٨).

إلا.." فقال سليمان بن حرب أنها مدرجة من قول ابن مسعود[١]، وخالفه ابن القطان قائلاً: لاحجة على ذلك[٢]، وتبعه الألباني[٣]، ورجح الإدراج ابن حجر[٤]، والحديث صححه الترمذي، والحاكم[٥]، والألباني.

ثانياً: شرح ألفاظ الحديث:

الطِّيَرَةُ: بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن: هي التشاؤم بالشيء[٦] ، وأصله الشيء المكروه من قول أو فعل أو مرئي[٧].

شِرْكٌ: أي من أنواع الشرك، قال القرطبي رحمه الله : "وإنما كان يكره الطيرة لأنها من أعمال أهل الشرك، ولأنها تجلب ظن السوء بالله تعالى"[٨].

قال ابن حجر رحمه الله: "وإنما جعل ذلك شركاً لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعاً أو يدفع ضراً فكأنهم أشركوه مع الله تعالى"[٩].

وَمَا مِنَّا إِلَّا: معناه إلاّ من يعتريه التطير، وسبق إلى قلبه الكراهة فيه، فحذف اختصاراً للكلام واعتماداً على فهم السامع[١٠].

وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ: أي يزيل ذلك الوهم المكروه، بسبب الاعتماد على الله، والاستناد إليه سبحانه[١١].

*****

(١) العلل الكبير للترمذي (٤٨٥) نقلاً عن البخاري، عن شيخه سليمان بلال.
(٢) بيان الوهم والإيهام (١٨٧/٥، ٢٥٥٣).
(٣) الصحيحة (٤٢٩).
(٤) النكت (٨٢٧/٢).
(٥) المستدرك (١٨/١، ٤٣).
(٦) النهاية في غريب الحديث (١٥٢/٣).
(٧) المنهاج (٢١٩/١٤).
(٨) المفهم (٦٢٨/٥).
(٩) الفتح (٢١٣/١٠).
(١٠) معالم السنن (٢٣٢/٤).
(١١) مرقاة المفاتيح (٢٨٩٧/٧)، وتحفة الأحوذي (١٩٧/٥).

ثالثاً: الحلف بغير الله من الشرك:

١٤ –عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " **مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أشرك**"، وفي لفظ الترمذي: "**فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ** ".

أولاً: التخريج: أخرجه أبو داود[١]، والترمذي[٢] ، وإسناده صحيح، والحديث حسنه الترمذي، وصححه ابن الملقن[٣]، والألباني[٤].

ثانياً: شرح ألفاظ الحديث:

مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ: قال ابن عبد البر رحمه الله: "وفي هذا الحديث من الفقه، أنه لا يجوز الحلف بغير الله عز وجل في شيء من الأشياء، ولا على حال من الأحوال، وهذا أمر مجتمع عليه... أجمع العلماء على أن اليمين بغير الله مكروهة منهي عنها لا يجوز الحلف بها لأحد.."[٥] .

فائدة: قال ابن حجر رحمه الله: "قال العلماء السر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده وظاهر الحديث تخصيص الحلف بالله خاصة لكن قد اتفق الفقهاء على أن اليمين تنعقد بالله وذاته وصفاته العلية"[٦].

فَقَدْ أشرك: قال سليمان بن عبد الله رحمه الله: " وقال الجمهور: لا يكفر كفرًا ينقله عن الملة، لكنه من الشرك الأصغر.."[٧] ، **قلت**: نعم هو كذلك، ولكن إن كان يعتقد بالمحلوف به، ما لله من التعظيم والخوف فهو من الشرك الأكبر، كما بيّن رحمه

(١) السنن (٢١٧/٣، ٣٢٥١).
(٢) الجامع (١١٠/٤، ١٥٣٥).
(٣) البدر المنير (٢٥٨/٩).
(٤) إرواء الغليل (١٨٩/٨).
(٥) التمهيد (٣٦٦/١٤-٣٦٧).
(٦) الفتح (٥٣١/١١).
(٧) تيسير العزيز الحميد ص٥١٤.

الله بقوله: "..لكن الذي يفعله عباد القبور إذا طلبت من أحدهم اليمين بالله، أعطاك ما شئت من الأيمان صادقًا أو كاذبًا. فإذا طلبت منه اليمين بالشيخ أو تربته أو حياته، ونحو ذلك، لم يقدم على اليمين به إن كان كاذبًا. فهذا شرك أكبر بلا ريب، لأن المحلوف به عنده أخوف وأجل وأعظم من الله. وهذا ما بلغ إليه شرك عباد الأصنام"، وقال ابن حجر رحمه الله: "قال إمام الحرمين المذهب القطع بالكراهة، وجزم غيره بالتفصيل، فإن اعتقد في المحلوف فيه من التعظيم ما يعتقده في الله، حرم الحلف به، وكان بذلك الاعتقاد كافراً، وعليه يتنزل الحديث المذكور، وأما إذا حلف بغير الله لاعتقاده تعظيم المحلوف به على ما يليق به من التعظيم، فلا يكفر بذلك، ولا تنعقد يمينه.."[١] .

*****

رابعاً: تزيين الصلاة من أجل نظر الناس شرك:

١٥ -عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ ، فَقَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ قَالَ: قُلْنَا : بَلَى. فَقَالَ: الشِّرْكُ الْخَفِيُّ: أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي ، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ .

أولاً: التخريج: أخرجه ابن ماجه[٢]، وأحمد[٣]، والحاكم[٤]، وفي إسناده رُبيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري[٥] مقبول، وللحديث شاهد من حديث **شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ أَنَّهُ بَكَى ، فَقِيلَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ**

---

(١) الفتح (٥٣١/١١).
(٢) السنن (٢٩١/٥، ٤٢٠٣).
(٣) المسند (٣٥٥/١٧، ١١٢٥٢).
(٤) المستدرك (٣٢٩/٤، ٧٩٣٥).
(٥) التقريب (١٨٨١).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ، فَذَكَرْتُهُ فَأَبْكَانِي ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الشِّرْكَ ، وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، أَتُشْرِكُ أُمَّتُكَ مِنْ بَعْدِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ أَمَا إِنَّهُمْ لَا يَعْبُدُونَ شَمْسًا وَلَا قَمَرًا وَلَا حَجَرًا وَلَا وَثَنًا ، وَلَكِنْ يُرَاؤُونَ بِأَعْمَالِهِمْ ، وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ أَنْ يُصْبِحَ أَحَدُهُمْ صَائِمًا فَتَعْرِضَ لَهُ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاتِهِ فَيَتْرُكَ صَوْمَهُ .

أخرجه أحمد(١) ، والطبراني(٢)، والحاكم(٣) ، وقال الهيثمي: "فيه عبد الواحد بن زيد ضعيف"(٤) ، وله شاهد من حديث عبد الله بن زيد **قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " يَا نَعَايَا الْعَرَبِ، ثَلاثًا، إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الرِّيَاءَ وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ "**، أخرجه الضياء(٥)، وفي إسناده عبد الله بن بديل بن ورقاء صدوق يخطئ(٦) ، ويشهد له أيضاً حديث محمود بن لبيد الآتي بعده، وحديث أبي سعيد، صححه الحاكم، والهيثمي(٧)، وحسنه البوصيري(٨)، والألباني(٩).

١٦ –عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ قَالَ : خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ ؟ قَالَ : " يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي ، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ ، جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ.

---

(١) المسند (٣٤٦/٢٨، ١٧١٢٠).
(٢) المعجم الكبير (٢٨٤/٧، ٧١٤٤).
(٣) المستدرك (٣٣٠/٤، ٧٩٤٠).
(٤) مجمع الزوائد (٢٠٢/٣، ٥٢٢٦)، وانظر ترجمته في لسان الميزان (٢٩٠/٥).
(٥) المختارة (٣٧١/٩، ٣٤١).
(٦) التقريب (٣٢٢٤).
(٧) مجمع الزوائد (٣١٥/١).
(٨) مصباح الزجاجة (٢٣٧/٤).
(٩) صحيح الترغيب (١١٩/١).

أولاً: التخريج: أخرجه ابن أبي شيبة(١)، وابن خزيمة(٢)، وإسناده رجاله ثقات، والحديث صححه ابن خزيمة، وحسنه الذهبي(٣)، والألباني(٤).

ثانياً: شرح ألفاظ الحديث:

أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟: إنما كان الرياء كذلك، لخفائه وقوة الداعي إليه، وعسر التخلص منه لما يزينه الشيطان، والنفس الأمارة في قلب صاحبه(٥).

الشِّرْكُ الْخَفِيُّ: أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي ، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ: سمي الرياء شركًا خفيًا، لأن صاحبه يظهر أن عمله لله، ويخفي في قلبه أنه لغيره، وإنما تزين بإظهاره أنه لله بخلاف الشرك الجلي(٦).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: " أنه صلى الله عليه وسلم فسر الشرك الخفي بأن يصلي المرء لله، لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه"(٧).

فائدة: قال ابن القيم رحمه الله: "وأما الشرك في الإرادات والنيات، فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقل من ينجو منه، من أراد بعمله غير وجه الله، ونوى شيئا غير التقرب إليه، وطلب الجزاء منه، فقد أشرك في نيته وإرادته.

والإخلاص: أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ

---

(١) المصنف (٢/٨٤٠٣،٢٢٧).
(٢) الصحيح (١/٤٦٤، ٩٣٧).
(٣) المهذب في اختصار السنن الكبير (٢/٧٣٠، ٣١٧٠).
(٤) صحيح الترغيب (١/١١٩، ٣١).
(٥) تيسير العزيز الحميد ص٤٥٩.
(٦) تيسير العزيز الحميد ص٤٥٩.
(٧) كتاب التوحيد ص٩٩.

مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[١]، وهي ملة إبراهيم التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء"[٢].

*****

خامساً: تعليق التميمة من الشرك:

١٧ –عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ ، أَنَّهُ جَاءَ فِي رَكْبٍ عَشَرَةٍ إِلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – فَبَايَعَ تِسْعَةً وَأَمْسَكَ عَنْ بَيْعَةِ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، فَقَالُوا : مَا شَأْنُ هَذَا الرَّجُلِ لَا تُبَايِعُهُ ؟ فَقَالَ : " إِنَّ فِي عَضُدِهِ تَمِيمَةً " ، فَقَطَعَ الرَّجُلُ التَّمِيمَةَ ، فَبَايَعَهُ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – ثُمَّ قَالَ : مَنْ عَلَّقَ فَقَدْ أَشْرَكَ .

أولاً: التخريج: أخرجه أحمد[٣]، والحارث[٤]، والطبراني[٥]، والحاكم[٦]، وإسناده حسن فيه يزيد بن أبي منصور الأزدي لا بأس به[٧]، وصححه المنذري[٨]، والهيثمي[٩]، والألباني[١٠].

ثانياً: شرح ألفاظ الحديث:

إِنَّ فِي عَضُدِهِ تَمِيمَةً: والتميمة هي ما يعلق في الأعناق من القلائد سواء كانت من خرز أو غيره، خشية العين أو غيرها من أنواع البلاء[١١].

---

(١) سورة آل عمران (٨٥).
(٢) الجواب الكافي ص١٣٥.
(٣) المسند (٢٨/٦٣٦، ١٧٤٢٠).
(٤) بغية الباحث (٢/٦٠٠، ٥٦٣).
(٥) المعجم الكبير (١٧/٣١٩، ٨٨٥).
(٦) المستدرك (٤/٢١٩، ٧٥١٣).
(٧) التقريب (٧٨٨٣).
(٨) الترغيب (٤/١٥٧، ٥٢٤٢).
(٩) مجمع الزوائد (٥/١٧٥، ٨٣٩٩).
(١٠) صحيح الترغيب (٣/٣٤٨، ٣٤٥٥).
(١١) انظر: معالم السنن (٤/٢٢٠)، والتمهيد (١٧/٦٦٢).

قال الخطابي رحمه الله: "واعتقاد هذا الرأي جهل وضلال إذ لا مانع ولا دافع غير الله سبحانه..".

وقال ابن عبد البر رحمه الله: "وهذا كله تحذير ومنع مما كان أهل الجاهلية يصنعون من تعليق التمائم والقلائد يظنون أنها تقيهم وتصرف البلاء عنهم وذلك لا يصرفه إلا الله عز وجل وهو المعافي والمبتلي لا شريك له".

فائدة: قال الشيخ الألباني رحمه الله: " ومثلها الخرزات التي يضعها بعض السائقين أمامهم في السيارة يعلقونها على المرآة!، وبعضهم يعلق نعلاً في مقدمة السيارة أو في مؤخرتها! وغيرهم يعلقون نعل فرس في واجهة الدار أو الدكان! كل ذلك لدفع العين زعموا، وغير ذلك مما عم وطم بسبب الجهل بالتوحيد، وما ينافيه من الشركيات والوثنيات التي ما بعثت الرسل وأنزلت الكتب إلا من أجل إبطالها والقضاء عليها، فإلى الله المشتكى من جهل المسلمين اليوم، وبعدهم عن الدين"[(١)].

فائدة أخرى مهمة: قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: "اعلم أن العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته فقالت طائفة يجوز ذلك وهو قول عبدالله بن عمرو بن العاص وغيره وهو ظاهر ما روي عن عائشة وبه قال أبو جعفر الباقر وأحمد في رواية وحملوا الحديث على التمائم الشركية أما التي فيها القرآن وأسماء الله وصفاته فكالرقية بذلك قلت وهو ظاهر اختيار ابن القيم وقالت طائفة لا يجوز ذلك وبه قال ابن مسعود وابن عباس وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة بن عامر وابن عكيم رضي الله عنه وبه قال جماعة من التابعين منهم أصحاب ابن مسعود وأحمد في روايه اختارها كثير من أصحابه وجزم بها المتأخرون واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه فإن ظاهره العموم لم يفرق بين التي في القرآن وغيرها ... هذا اختلاف العلماء في تعليق القرآن وأسماء الله وصفاته فما ظنك بما حدث بعدهم من الرقى بأسماء الشياطين وغيرهم وتعليقها بل

---

(١) الصحيحة (١/٨٩٠، ٤٩٢).

والتعلق عليهم والاستعاذة بهم والذبح لهم وسؤالهم كشف الضر وجلب الخير مما هو شرك محض وهو غالب على كثير من الناس إلا من سلم الله فتأمل ما ذكره النبي صلى الله عليه و سلم وما كان عليه أصحابه والتابعون وما ذكره العلماء بعدهم في هذا الباب وغيره من أبواب الكتاب ثم انظر الى ما حدث في الخلوف المتأخرة يتبين لك دين الرسول صلى الله عليه و سلم وغربته الآن في كل شيء فالله المستعان"[(١)].

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله : "ولا شك أن منع ذلك أسد لذريعة الاعتقاد المحظور،لا سيما في زماننا هذا فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة المقدسة والإيمان في قلوبهم أكبر من الجبال، فلأن يكره في وقتنا هذا -وقت الفتن والمحن- أولى وأجدر بذلك، كيف وهم قد توصلوا بهذه الرخص إلى محض المحرمات وجعلوها حيلة ووسيلة إليها"[(٢)].

سادساً: السحر من الشرك:

١٨ -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ.**

أولاً: التخريج: أخرجه النسائي[(٣)]، والطبراني[(٤)]، وفي إسناده عباد بن منصور المنقري ليّن الحديث[(٥)]، والحسن لم يسمع من أبي هريرة[(٦)]، والحديث ضعفه ابن القيسراني[(٧)]، والذهبي[(٨)]، والألباني[(٩)] ، ووجه الشاهد من الحديث قوله: (ومن سحر فقد أشرك) يكفي في إثباته قَوْلُه تَعَالَىٰ:﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ

(١) تيسير العزيز الحميد ص١٣٧.
(٢) معارج القبول (٢/٥١٠).
(٣) السنن (٧/١٢٨، ٤٠٩٠).
(٤) المعجم الأوسط (٢/١٢٧، ١٤٦٩).
(٥) التقريب (٣١٤٩).
(٦) جامع التحصيل ص١٦٤.
(٧) ذخيرة الحفاظ (٥٤٣٠).
(٨) ميزان الاعتدال (٢/٣٧٨).
(٩) ضعيف الترغيب (١٧٨٨).

مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ ﴾ (١).

ثانياً: شرح ألفاظ الحديث:

مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ: دأب أهل السحر أَن أحدهم يَأْخُذ خيطا فيعقد عَلَيْهِ عقدَة وَيتكَلَّم عَلَيْهِ بِالسحرِ بنفث فَمن أَتَى بذلك فقد أَتَى بِعَمَل من أَعمال أهل السحر(٢).

والنفث: شبيه بالنفخ، وهو أقلّ من التفل؛ لأن التفل لا يكون إلا معه شيء من الريق(٣).

قال ابن القيم رحمه الله: "فإن النفاثات في العقد هن السواحر اللاتي يعقدن الخيوط وينفثن على كل عقدة حتى ينعقد ما يردن من السحر والنفث هو النفخ مع ريق وهو دون التفل وهو مرتبة بينهما والنفث فعل الساحر فإذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة نفخ في تلك العقد نفخا معه ريق فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر والأذى مقترن بالريق الممازج لذلك وقد تساعد هو والروح الشيطانية على أذى المسحور فيقع فيه السحر بإذن الله الكوني القدري لا الأمر الشرعي"(٤).

فَقَدْ سَحَرَ: أَي فقد أَتَى بِفعل من أَفعَال الْمُشْركين أَو لِأَنَّهُ قد يُفْضِي إِلَى الشّرك إِذا اعْتقد أَن لَهُ تاثيرا حَقِيقَة، وَقيل المُرَاد الشّرك الْخَفي بترك التَّوَكُّل والاعتماد على الله سُبْحَانَه(٥).

---

(١) البقرة آية (١٠٢).
(٢) حاشية السندي على النسائي (١١٢/٧).
(٣) النهاية في غريب الحديث (٨٨/٥).
(٤) بدائع الفوائد (٧٣٦/٢).
(٥) حاشية السندي على النسائي (١١٢/٧).

وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ: أي من تعلق قلبه شيئا بحيث يتوكل عليه ويرجوه وكله الله إلى ذلك الشيء فإن تعلق العبد على ربه واهه وسيده ومولاه رب كل شيء ومليكه وكله اليه فكفاه ووقاه وحفظه وتولاه ونعم المولى ونعم النصير كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [(١)]، ومن تعلق على السحر والشياطين وكله الله اليهم فأهلكوه في الدنيا والآخرة وبالجملة فمن توكل على غير الله كائناً من كان وكل اليه وأتاه الشر في الدنيا والآخرة من جهته مقابلة له بنقيض قصده وهذه سنة الله في عباده التي لا تبدل وعادته التي لا تحول أن من اطمأن إلى غيره أو وثق بسواه أو ركن إلى مخلوق يدبره أجرى الله تعالى له بسببه أو من جهته خلاف ما علق به أماله وهذا أمر معلوم بالنص والعيان ومن تأمل ذلك في أحوال الخلق بعين البصيرة النافذة رأى ذلك عيانا وفائدة هذه الجملة بعد ما قبلها الإشارة إلى أن الساحر متعلق على غير الله فإنه متعلق على الشياطين[(٢)].

فائدة: قال الشيخ محمد الأمين رحمه الله:" التحقيق في هذه المسألة هو التفصيل. فإن كان السحر مما يعظم فيه غير الله كالكواكب، والجن، وغير ذلك مما يؤدي إلى الكفر فهو كفر بلا نزاع، ومن هذا النوع سحر هاروت وماروت المذكور في سورة «البقرة» فإنه كفر بلا نزاع... وإن كان السحر لا يقتضي الكفر كالاستعانة بخواص بعض الأشياء من دهانات وغيرها فهو حرام حرمة شديدة ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر"[(٣)].

*****

(١) الزمر آية (٣٦).
(٢) تيسير العزيز الحميد ص٣٥٢.
(٣) أضواء البيان (٤/٥٠)، وللاستزادة راجع رسالة لشيخنا علي التويجري حفظه الله بعنوان: تبصير البشر بتحريم السحر فقد أجاد فيها وأفاد جزاه الله خيراً.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: فهذا ملخص للفوائد والحكم المستنبطة من هذا البحث

- الشرك نوعان أكبر وأصغر.
- الأكبر هو دعوة غير الله معه، كالاستغاثة بغير الله فيما لايقدر عليه إلا الله.
- الأصغرهو جميع الأقوال والأفعال التي يتوصل بها للشرك كالحلف بغير الله.
- الشرك لها حالان ظاهر وخفي وذلك في كل قسم.
- الأكبر يخرج صاحبه من الإسلام، ويخلده في النار، ويحبط عمله، ولايغفرالله لصاحبه.
- الأصغر: لايخرج من الملة، ولايخلد صاحبه في النار، وينقص أجر ما صاحبه من العمل، وقد يحبطه إذا كثر.
- تتابع الرسل والأنبياء عليهم السلام في التحذير من الشرك، والخوف منه.
- الشرك أكبرالموبقات، وأكبر الكبائر، وأظلم الظلم.
- من الشرك أن تجعل لله نداً وهو خلقك.
- لايقبل الله عملاً أشرك معه غيره، ولايثيب عليه.
- وجوب الجنة لمن لم يشرك بالله شيئاً.
- وجوب النار لمن أشرك بالله.
- تخلي الله عن المشركين يوم القيامة وأمرهم بطلب الثواب ممن أشركوهم مع الله.
- وجوب الحذر من الشرك حتى في الرقى.
- خفاء هذا الشرك يوجب شدة الحذر منه.
- دعاء يقيك من الشرك وهو اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ.

- الطيرة داخلة في الشرك، والسلامة منها بالتوكل على الله.
- من الشرك الحلف بغير الله وقد يكون أصغراً وهو الغالب، وقد يكون أكبراً.
- خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أمته الشرك الخفي أكثر من فتنة الدجال مع عظمها.
- من الشرك الخفي تزيين الصلاة من أجل نظر الناس إليه.
- تعليق التمائم من الشرك.
- من تعلق شيئاً وكله الله إليه.
- السحر من أنواع الشرك.
- مغفرة الله لمن لم يشرك به شيئاً.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لكاتبه وقارئه في الدنيا والآخرة، وأن يحفظنا وذرياتنا والمسلمين من الشرك كله أكبره وأصغره، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

●الإبانة الكبرى لابن بطة لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة، تحقيق رضا معطي وآخرون، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

●الأحاديث المختارة، لضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق: الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت ط٣/ ١٤٢٠هـ .

●إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

●الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط٣/ ١٤٠٩هـ.

●إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧/ ١٣٢٣هـ.

●إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٢/ ١٤٠٥هـ.

●الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر، تحقيق: عادل أحمد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١/ ١٤١٥هـ.

●أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة بيروت – لبنان، ط١٤١٥هـ.

●إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض، تحقيق: يحي إسماعيل، دار الوفاء – مصر، ط١/ ١٤١٩هـ.

●البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، لمحمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي، دار ابن الجوزي، ط١/ ١٤٢٦هـ.

●بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

●البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي الشافعي، تحقيق: مصطفى أبو الغيط، وآخرون، دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض، ط١/ ١٤٢٥هـ.
●بذل المجهود في حل سنن أبي داود، لخليل أحمد السهارنفوري، اعتني به: د.تقي الدين الندوي، الناشر: مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، الهند، ط١/ ١٤٢٧هـ.
●بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة لنور الدين الهيثمي تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري ، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة ، ط١ / ١٤١٣هـ.
●بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، لعلي بن محمد بن عبد الملك الكتامي، أبو الحسن ابن القطان، تحقيق: د. الحسين آيت سعيد، دار طيبة- الياش، ط١/ ١٤١٨هـ.
●تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، مطبعة حكومة الكويت ١٤٠٣هـ.
●التاريخ الكبير للإمام البخاري، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/ ١٤٢٢هـ.
●تبصير البشر بتحريم السحر، د. علي بن غازي التويجري، مكتبة النصيحة – المدينة المنورة، ط١/ ١٤٣٠هـ.
●تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد عبد الرحمن المباركفورى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢/ ١٤٢١هـ.
●تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢/ ١٤٢٠هـ.

●تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق:عبد العزيز بن محمد الخليفة، مكتبة الرشد – الرياض، ط١/ ١٤١٧هـ.
●تقريب التهذيب لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، ط١/ ١٤٠٦هـ.
●التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ط١٣٨٧هـ.
●التنوير شرح الجامع الصغير، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين الأمير، تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١/ ١٤٣٢هـ.
●تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للإمام المزي، تحقيق: بشار عواد، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤١٨هـ .
●تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١/ ٢٠٠١م.
●التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، دار النوادر، دمشق – سوريا، ط١/ ١٤٢٩هـ.
●تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.
●تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط١ / ١٤٢٠هـ .
●الثقات لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١/ ١٣٩٣هـ.

●ثلاثة الأصول وأدلتها - وشروط الصلاة - والقواعد الأربع، لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، طبعة وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤٢١هـ.

●جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠هـ.

●جامع التحصيل في أحكام المراسيل، لصلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب – بيروت، ط٢/ ١٤٠٧هـ.

●جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لابن رجب، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد، مكتبة العبيكان – الرياض، ط١٤١٨هـ.

●الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١/ ١٤٢٢ه.

●الجامع لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢/ ١٣٩٥هـ.

●جمهرة اللغة، لأبيبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط١/ ١٩٨٧م.

●الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء لابن قيم الجوزية، دار المعرفة – المغرب، ط١/ ١٤١٨هـ.

●جواب في الحلف بغير الله والصلاة إلى القبور، ويليه: فصل في الاستغاثة، لتقي الدين أبي العباس ابن تيمية الحراني طبعة الكويت، ١/ ١٤٣١هـ.

- ●حاشية السندي على سنن النسائي، لمحمد بن عبد الهادي السندي، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢/ ١٤٠٦هـ.
- ●حاشية كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني، ط٣/ ١٤٠٨هـ.
- ●حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/ ١٤٠٩هـ .
- ●الدروس المهمة لعامة الأمة، لعبد العزيز بن عبد الله بن باز، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط٤/ ١٤٢٣هـ.
- ●ذخيرة الحفاظ لأبي الفضل محمد بن طاهر القيسراني، تحقيق د. عبد الرحمن الفريوائي دار السلف – الرياض، ط١/ ١٤١٦هـ.
- ●سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض، ط١٤١٥هـ.
- ●السنن لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق : محمد محي الدين، المكتبة العصرية – صيدا ٠ بيروت.
- ●السنن لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار المعرفة ببيروت، ط٥/ ١٤٢٠هـ.
- ●السنن لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية .
- ●السنن لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق:شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط١/ ١٤٣٠هـ.
- ●شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١/ ١٤١٧هـ.

•شرح ثلاثة الأصول، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثريا للنشر، ط٤/ ١٤٢٤هـ.
•الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط٤/ ١٤٠٧ هـ .
•صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط٣/ ١٤٢٤هـ.
•صحيح الأدب المفرد للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، ط٤/ ١٤١٨هـ.
•صحيح الترغيب والترهيب للألباني، مكتبة المعارف – الرياض، ط١/ ١٤٢١هـ.
•الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
•الصلاة وأحكام تاركها، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، طبعة مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة.
•ضَعيفُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، لمحمد ناصر الدّين الألباني، مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض، ط١/ ١٤٢١هـ.
•علل الترمذي الكبير ترتيب أبي طالب القاضي، تحقيق: صبحي السامرائي وآخرون، عالم الكتب – بيروت، ط١٤٠٧هـ.
•العلل الواردة في الأحاديث للدار قطني، تحقيق: محفوظ الرحمن السلفي، دار طيبة – الرياض، ط١/ ١٤٠٥هـ.
•عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى ،دار إحياء التراث العربي – بيروت.
•فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى، جمع أحمد بن عبد الرزاق الدويش، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الرياض.

●فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح: محب الدين الخطيب، تعليق العلامة: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة – بيروت، ط ١٣٧٩هـ.
●فيض القدير لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط١ / ١٤١٥ هـ .
●القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٣/ ١٤٢١هـ.
●القول السديد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، تحقيق: المرتضى الزين أحمد، طبعة مجموعة التحف النفائس الدولية، ط٣.
●كتاب التوحيد (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب)، لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي ، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد وغيره، طبعة جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض.
●كشف الأستار على زوائد البزار على الكتب الستة لأبي بكر الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١/ ١٣٩٩هـ.
●لسان العرب لابن منظور، دار صادر – بيروت، ط١/ ١٩٩٧م.
●لسان الميزان لابن حجر، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر، ط١/ ٢٠٠٢م.
●مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ط١٤١٤هـ.
●مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ط١٤١٦هـ.

●مختار الصحاح، لزين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – بيروت، ط٥/ ١٤٢٠هـ.

●مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣/ ١٤١٦ ه.

●مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط٣/ ١٤٠٤هـ

●مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر- بيروت، ط١/ ١٤٢٢هـ.

●المستدرك على الصحيحين، للحاكم، تحقيق: عبد السلام علوش، دار المعرفة، ط١/ ١٤١٨هـ.

●المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق: محمد حسن، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/ ١٤١٧هـ.

●المسند لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢١هـ.

●المسند لأحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – جدة، ط٢/ ١٤١٠ هـ .

●المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ، المكتبة العلمية – بيروت.

●المصنف لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي- الهند ، ط٢/ ١٤٠٣هـ.

●معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود، دار ابن القيم – الدمام، ط١/ ١٤١٠هـ.

●معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود لأبي سليمان حمد بن محمد بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي ، المطبعة العلمية – حلب ، ط١ / ١٣٥١ هـ .

●المعجم الأوسط لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين – القاهرة .

●المعجم الكبير للطبراني ، تحقيق : حمدي عبدالمجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي- بيروت ، ط: ١٤٢٢هـ .

●معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، ط١٣٩٩هـ.

●المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب مستو وآخرون، دار ابن كثير – دمشق، ط١/ ١٤١٧هـ.

●المنتقى شرح الموطإ، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر، ط١/ ١٣٣٢هـ.

●المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢/ ١٣٩٢هـ.

●المهذب في اختصار السنن الكبير، لأبي عبد الله محمّد بن أحمد الذّهَبيّ الشَّافعيّ، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلميِ، بإشراف أبي تَميم يَاسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، ط١/ ١٤٢٢هـ.

●ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، تحقيق: علي محمد وفتحية علي، دار الفكر العربي.

●النكت على كتاب ابن الصلاح، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: ربيع بن هادي المدخلي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤٠٤هـ.
●النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ط ١٣٩٩هـ.



أوراق علمية(258)

موقف الشافعية المتأخرين من بدع القبور ومن الاستغاثة

وتحرير موقف الشيخين السبكي والهيتمي

إعداد
علاء حسن إسماعيل
باحث بمركز سلف للبحوث والدراسات

salaf center

جوال سلف : 00966565412942

المقدمة:

إن تمييز المسائل والأقوال المنسوبة إلى الآراء الفكرية والمذاهب العقدية، وتحرير أصولها وتصويرها تصويرًا دقيقًا لهو من أهمّ تحديات الجدل العقديّ المعاصر، لا سيما وقد دخلت على طوائف من الناس صنوف من البدع والشركيات، ويتأكد الأمر في الواقع المعاصر حيث انحسار العلم وفشوّ القلم؛ فلا يصلح -والحال كذلك- الإطلاقات من غير تحرير، ولا تكوين القناعات من غير تدبر ولا تفكير.

فإن العقول المُتلقّية متفاوتة، والقناعات المبنية على الإجماليات قد تؤدي إلى نوع شطط في المنهجية لدى بعض الأفراد، وظهور جماعات التكفير من جهة، وظهور الغلو في الشرك من جهة أخرى.

ومن هذه القضايا التي تحتاج إلى تحرير ومزيد بسط قضية بيان مذهب الشافعية في شرك القبور، وتحرير موقف الشيخين تقي الدين السُبكي وابن حجر الهيتمي -رحمهما الله- من الاستغاثة بغير الله، فإن البعض يظن أنهما يجيزان تلك الشركيات، وهذا أمر ليس بصحيح، ولا يُظَنّ بعلماء الأمة -مهما اختلفنا معهم في بعض آرائهم- أنهم يجوّزون الشرك الصريح المقطوع به. فقد دخل في المسألة نوع تساهل بسبب الإجمال، وبسببها ظهر من يُكفر العلماء من جهة، وظهر أيضا من يتعصّب لأقوالهم من جهة أخرى، وكلا الطرفين مذموم.

وقبل البدء يحسن بيان المراد بمفردات عنوانها، وذلك فيما يلي:

المراد بالشافعية المتأخرين:

الشافعية هم المعتنون بفقه الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه، وهم من أعلام هذه الأمة المحمّدية الذين أثرَوا الفقه الإسلامي بالمدوّنات الفقهية، والتحقيق في الأصول؛ لِما عُرف عن الشافعي بالبناء الفقهي الأصولي المعتمد على الحديث النبوي.

والمتأخرون من الشافعية قد يُراد بهم الفقهاء الذين قرروا معتمَد المذهب بصورته الحالية، وهو ما اعتمده ابن حجر الهيتميّ والرمليّ بحسب ما اتّفق عليه الشيخان النووي والرافعي حسب قواعد الترجيح المعلومة عند الشافعية.

وقد يُراد بمتأخري الشافعية: المصطلح العام ليضمّ كافة المتأخرين المنتسبين للشافعية من الفقهاء والمحدّثين والمفسّرين وغيرهم، وهذا المفهوم هو المراد من هذا البحث؛ لأنه يشمل هذا وذاك، ولِما فيه من دفع الشبهة عن جُملتهم.

ولما كان ثمة اعتقاد شائع عند الصوفية المعاصرين أنّ متأخّري الشافعية أجازوا الاستغاثة بغير الله، بناءً على كلامٍ مُجمل لبعضٍ منهم، حتى سمعنا من يقول: إن دعاء غير الله جائز على قول الشافعية! ولما انتشر اعتقاد شائع أن ابن تيمية شذّ عن الأمة وقال بشركية دعاء غير الله، وخالفه الجمهور= لزم بيان المسألة بعدلٍ وإنصاف، دفعا للاشتباه الحاصل في كلام هؤلاء الأعلام من الشافعية دون إفراطٍ أو تفريط.

بيان المراد ببدع القبور:

إن زيارة القبور مشروعة بالإجماع، وهي سُنة دعا إليها النبي صلى الله عليه وسلم وفعلها، فعن عبد الله بن بريدة، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا**»[1]، لكن ثمة فرق بين الزيارة الشرعية التي يُراد منها الاعتبار والدعاء للمتوفى والزيارة التي تخالف الهدي النبوي وتتضمّن البدع والشركيات، وفي ذلك صنّف الإمام محيي الدين البركوي الحنفي (٩٨١ه) مُصنفًا جليلًا أسماه: "زيارة القبور الشرعية والشركية" أبان فيه الفرق بين المقامين.

ولعل أشهر حديث متداوَل هو حديث الصحيحين: «**لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور**

---

(١) رواه مسلم (١٩٧٧).

أنبيائهم مساجد»[١]، وكذا ورد النهي عن تعظيم القبور بتعليق القناديل والسرج عليها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج)[٢].

والسبب في ذلك يعود إلى أن تعظيمها يشوب إخلاصَ القلب لله، والمسلم إنما جاء المسجدَ وقلبه معلَّق بالله، فوجود قبر مُعظَّم بداخل المسجد سيصرف جزءا من القلب إلى هذا القبر المعظَّم لا محالة، حتى وإن لم يدعُه من دون الله.

وكذا الأمر في اتخاذ السرج والقناديل على القبور بما يوحي بتعظيمها؛ لأجل ذات العلة المُشار إليها آنفًا، وهذا اللعن الوارد في الأحاديث في مجرد التعظيم وإيقاد القناديل عليها دون صرف شيءٍ من العبادة من الذبح والنذر أو اتخاذه وسيطًا بين العبد وبين الله، فكيف بمن صرف العبادة لأصحاب هذه القبور؟!

وينبغي هنا التنبيه إلى غلط ذكره بعض المعاصرين، وهو أن اتخاذ القبور مساجد ليست هي المساجد المبنية، وإنما معنى المساجد أي: السجود إلى القبور، وهذا التأويل غلط من قائله؛ وذلك لأن الأحاديث الأخرى صرحت ببناء المساجد، ومنه حديث في الصحيحين: «**أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا، ثم صوروا تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**»[٣].

(١) رواه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (٥٢٩).

(٢) رواه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٢٠٤٣)، ابن ماجه (١٥٧٥)، وقال الترمذي: "حديث حسن"، وصححه ابن حبان (٣١٧٩).

(٣) رواه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

المراد بالاستغاثة:

الاستغاثة: طلب الغَوْث، وهو التخليص من الشِّدة والنِّقمة، والعون على الفَكاك من الشدائد.

جاء في لسان العرب لابن منظور: "غوَّث الرجل واستغاث: صاح: واغوثاه، وتقول: ضُرِب فلان فغوَّث تغويثًا، قال: واغوثاه"(١).

والاستغاثة بالأحياء فيما يقدرون عليه جائزة ولا شيء فيها، كاستغاثة الغريق بمن ينقذه، أو استغاثة المريض بالطبيب، أو طلب خدمة من صديق.

وأما الاستغاثة الشركية -وهي المعنيَّة في البحث- فهي الاستغاثة بالأولياء والصالحين والملائكة والأحجار والطلب منهم ما هو من خصائص الألوهية؛ كإنزال المطر وشفاء المريض وإغاثة الملهوف وسعة الأرزاق ونحو ذلك.

موقف الشافعية المتأخرين من بدع القبور والاستغاثة:

لا يختلف موقف علماء الشافعية المتأخرين في هذه المسألة عن موقف غيرهم من علماء الأمة الإسلامية، فهم موافقون للإجماع في ذلك، ودونك بعض أقوالهم:

- **قال النووي (٦٧٦هـ)**: "قال العلماء: إنما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدًا خوفا من المبالغة في تعظيمه والافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية، ولما احتاجت الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كثر المسلمون وامتدّت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه -ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها مدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما- بنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله؛ لئلا يظهر في المسجد

---

(١) لسان العرب (١/ ٧٠٢).

فيصلي إليه العوام، ويؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليّين، وحرفوهما حتى التقيا؛ حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر؛ ولهذا قال في الحديث: (ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتَّخذ مسجدا)، والله تعالى أعلم بالصواب"[1].

وقول النووي السابق: "خوفا من المبالغة في تعظيمه والافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية" فيه ردّ على من يزعم أن المبالغة في تعظيم القبر الشريف لا تصِل إلى الكفر، فهذا النووي -وهو ركن الشافعية الركين- يصرِّح بذلك بما لا مزيد عليه.

ثم إنه يتبيّن بوضوح تعليل النووي لدخول القبر الشريف في المسجد النبوي بسبب التوسعة، وهو نفس تعليل العلماء السلفيين سواءً بسواء، بخلاف تعليل غيرهم ممن أهملوا هذه العلة والعذر الخاص، وجعلوا وجود القبر داخل المسجد النبوي دليلًا -في حد ذاته- على استحسان بناء المساجد على القبور.

- **وقالَ ابنُ الرِّفعة (٧١٠هـ)**: "ولا نزاعَ في أنه لو قالَ: أذبح للنبيِّ صلى الله عليه وسلم أو تقرُّبًا إليه أنه لا يحلُّ أكلُها، ونصَّ الشافعيُّ في الأم على أنه لو قالَ: أهللتُ بها لعيسى بن مريم حَرُمَ أكلُها"[2]. **وقد وافقه الدميري (٨٠٨هـ)** فقد حكى عن نص الشافعي رضي الله عنه أنه قال: "إذا قال: أذبح للنبي صلى الله عليه وسلم أو تقربا له أنه لا يحل أكلها"[3].

والمراد من ذلك أن الشافعية نصوا على أن الذبح للنبي صلى الله عليه وسلم هو ذبح لغير الله، ولا يحل أكل الذبيحة، فكيف يكون حكم الذبح لقبور الأولياء والصالحين؟! ومعلوم بضرورة العقل والشرع أنهم دونه في المنزلة.

---

(١) شرح صحيح مسلم (٥/ ١٢).

(٢) نقله الأذرعي في قوت المحتاج شرح المنهاج (١٠/ ٣٥)، وأقره عليه.

(٣) النجم الوهاج (٩/ ٤٧٢).

- **وقال الحافظ شمس الدين الذهبي (٧٤٨هـ)** في ترجمة السيدة نفيسة بنت أمير المؤمنين الحسن بن زيد بن الحسن بن علي رضي الله عنهما: "ولجَهَلَة المصريّين فيها اعتقاد يتجاوز الوصف، ولا يجوز **مما فيه من الشرك**، ويسجدون لها، ويلتمسون منها المغفرة، وكان ذلك من دسائس دعاة العبيدية"[1].

- **وذكر الحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ)** ترجمة السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد القرشية الهاشمية في حوادث سنة (٢٠٨هـ)، ونقل عن ابن خلِّكان أنَّه قال: "ولأهل مصر فيها اعتقاد"، ثم قال رحمه الله معلّقا: "وإلى الآن قد بالغ العامة في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثيرا جدّا، ولا سيما عوامّ مصر، فإنهم يُطلقون فيها **عبارات بشيعة مجازفة تؤدّي إلى الكفر والشرك**، وألفاظًا كثيرة ينبغي أن يعرفوا أنه لا تجوز... والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات، **وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتسوية القبور وطمسها**، والمغالاة في البشر حرام، ومن زعم أنها تفكّ من الخشب أو أنها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله فهو مشرك"[2].

- **ويقول الحافظ ابن كثيرٍ أيضًا متحدثًا** عن البكري الذي ردّ عليه ابن تيمية في كتابه (الاستغاثة): "له رد على الشيخ تقي الدين ابن تيمية في مسألة الاستغاثة بالمخلوقين، أضحك فيها على نفسه العقلاء، وشمت به فيها الأعداء؛ لأن مثله مثل ساقية صغيرة كدرة الماء لاطمَت بحرا عظيمًا صافي الماء قد مُلِئ درًّا وجوهرًا وحكمةً وعِلما، أو كرملة صغيرة أرادت زوال جبل شامخ عن محله حطما.... -إلى أن قال:- والمقصود أن الشيخ -يعني ابن تيمية- رد على البكري ونقَض قوله نقضا أجاد فيه وأفاد، وبين ما فيه من حقّ وباطل في مجلدة كبيرة، أبطل فيها أنواع الشرك الاعتقادي والعملي وما يتفرع منهما بالأدلة والبراهين القاطعة المقبولة التي تسرّ قلوب أهل السنة وتقرّ أعينهم

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٦).

(٢) البداية والنهاية (١٠/ ٢٦٢-٢٦٣).

عند سماعها، وتسود وجوه أهل الأهواء والبدع ويرهقها قتر وذلة، فرحم الله من قبِل الحقّ ونصره وردّ الباطل وخذله وأهله"[1].

- **وقال ابن النحاس الشافعي (٨١٤هـ):** "ومنها إيقادهم السرج عند الأحجار والأشجار والعيون والآبار، ويقولون: إنها تقبل النذرَ، وهذه كلها بدع شنيعة ومنكرات قبيحة تجب إزالتها ومحو أثرها، فإن أكثر الجهال يعتقدون أنها تنفع وتضرّ وتجلب وتدفع وتشفي المرض وتردّ الغائب إذا نذر لها، **وهذا شرك ومحادة لله تعالى** ولرسوله صلى الله عليه وسلم"[2].

- **وقال الحافظ الفقيه أبو زرعة العراقي (٨٢٦هـ):** "سُئلتُ عمن يزور الصالحين من الموتى فيقول عند قبر الواحد منهم: يا سيدي فلان أنا أستجير بك أو متوسل بك أن يحصل لي كذا وكذا..."، فأجاب بعد أن بيَّن أن زيارة القبو مندوبة، قال: "ولا امتناع في التوسل بالصالحين، فإنه ورد التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وبصلحاء أمته **وأما قوله: (أنا أطلب منك أن يحصل لي كذا وكذا) فمُنكر، فالطلب إنما هو من الله تعالى**، والتوسل إليه بالأعمال الصالحة أو بأصحابها أحياءً وأمواتا"[3].

فقد أجاب ولي الدين العراقي رحمه الله بجواز التوسّل، وبحرمة الطلب من المقبورين، ووصفه بالأمر المنكر.

- **وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)** جوابًا عن سؤال خاص بقبر السيدة نفيسة: "ذَكَر بعض أهل المعرفة أن هذا القبر الذي يُزار ليس قبرها، لكنها دُفِنت في تلك البُقعة بالاتفاق، وما زال

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة، لابن كثير (١/ ٥٠-٥٢).

(٢) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين (ص: ٥٢٢).

(٣) فتاوى الفقيه ولي الدين أبي زرعة العراقي (ص: ١٦٦-١٦٨).

قبرها مقصودًا بالزيارة، وقد غلا في ذلك بعض العوامّ بل كلّهم، **حتى إن بعضهم يقع في الكُفر وهو لا يشْعُر**، والله المستعان"[1].

وفي كلام ابن حجر رحمه الله تنبيهات:

١- أن كل العوام قد غلوا في القبر، فالوصف بالغلوّ في القبور ليس وصفًا مستهجَنًا كما يدَّعي بعض المتأخرين من الصوفية وغيرهم.

٢- أن بعض هؤلاء العوام يقعون في الكفر دون أن يشعروا، فلم يقل ابن حجر مثلًا: يجب استصحاب أصل الإسلام! ولا قال: مهما فعلوا فلا يمكن أن يقعوا في الكفر؛ لأنهم يشهدون الشهادتين!

ولو تأملت هذا -دون أي انطباع مُسبَق- لعلمت أن قول غلاة الصوفية والأشعرية المتأخرين بوجوب تأويل أفعال من يشهد الشهادتين هو قول فاسد عقلًا ونقلًا، وفيه إهدار لأبواب الردّة في كتب الفقه؛ إذ من المعلوم أن المرتدّ كان مسلما ثم كفر، كطوائف الباطنية، ومن أنكر آية من القرآن أو جحد معلوما من الدين بالضرورة. ولم يقل الفقهاء:يجب تأويل أفعالهم. نعم، قد يُعذر الفاعل لجهله حتى يُعلَّم، لكن هذا باب آخر غير الحكم على الفعل نفسه[2].

---

(١) ينظر: الجواهر والدرر، للسخاوي (ص: ٩٤٩).

(٢) وينبغي هنا التنبيه على خطأ فتوى منسوبة لابن حجر، ذكرها مُرسلةً الشيخ السجاعي الصوفي (١١٩٧هـ)، قال: "وقد سُئل الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني عن من قال: (شيء لله يا سيدي عبد القادر)، فقال له شخص: هذا شرك، فهل دعوى الإشراك خطأ من قائله؟... فأجاب بما حاصله: إن اعتقد القائل أن حصول الكائنات بإرادة الله تعالى ولم يقصد حقيقة الدعاء لم يُمنع، وكان الأولى أن يقول: أسأل الله وأتوسل بعبده فلان أن يقضي حاجتي، أما الإطلاق كون ذلك إشراكا فلا، إنما تكلم في ذلك الشيخ ابن تيمية....إلخ".
هذه الفتوى لا تثبت عن الحافظ ابن حجر؛ لأنها غير موجودة في كتبه، وقد ذكرها الشيخ السجاعي في شرح الوظيفة الزروقية (ص: ٨٨، ٨٩) من غير ذكر مصدر، وبينه وبين ابن حجر ٤٤٥ سنة وهي فترة طويلة جدًّا،

- **وقال تقي الدين المقريزي (٨٤٥هـ)**: "والناس في هذا الباب -أعني: زيارة القبور- على ثلاثة أقسام: قوم يزورون الموتى فيدعون لهم، وهذه هي الزّيارة الشرعيّة. وقوم يزورونهم يدعون بهم، فهؤلاء هم المشركون في الألوهيّة والمحبّة. وقوم يزورونهم فيدعونهم أنفسهم، وقد قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد**»، وهؤلاء هم المشركون في الربوبيّة. وقد حمى النبيّ صلى الله عليه وسلم جانب التّوحيد أعظم حماية؛ تحقيقًا لقوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}"[1].

وقال أيضًا: "وبالله إنّ الفتنة بهذا المكان [أي: المكان الذي يزعم بعضهم بأنه قبر أبي تراب النخشبي]، والمكان الآخر من حارة برجوان الذي يعرف بجعفر الصادق لعظيمة، فإنهما صارا كالأنصاب التي كانت تتخذها مشركو العرب، يلجأ إليهما سفهاء العامّة والنساء في أوقات الشدائد، ويُنزلون بهذين الموضعين كربهم وشدائدهم التي لا يُنزلها العبد إلا بالله ربه، ويسألون في هذين الموضعين ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى وحده، من وفاء الدين من غير جهة معينة، وطلب الولد ونحو ذلك، ويحملون النذور من الزيت وغيره إليهما، ظنا أن ذلك ينجيهم من المكاره، ويجلب إليهم المنافع، ولعمري إن هي إلّا كرّة خاسرة، ولله الحمد على السلامة"[2].

- **وقال الفقيه بدر الدين حسين بن عبد الرحمن الأهدل الشافعي الأشعري (٨٥٥هـ)** صاحب

ولا يصح -والحال كذلك- الإرسال، إنما يجب الإحالة إلى كتبه.

ويستبعَد صدور مثل هذه الفتوى عمَّن هو في زمان الحافظ؛ لأن ابن وهبان -رأس الأحناف في زمانه- (٧٦٨هـ) قال في منظومته -كما في حاشية الطحطاوي على الدر المختار (٦/ ٤٥٥)، ومجمع الأبحر للحلبي (٢/ ٥١٤)، وحاشية الإصباح للشرنبلالي (ص: ٤٥)-:

ومن قال: "شي لله" بعضٌ مُكفّر ** ويُخشى عليه الكفر بعضٌ يقرّر

فنقل ابن وهبان أن بعض العلماء يكفر قائل ذلك، والبعض الآخر يقول: يُخشى عليه الكفر. فكيف يخفى على ابن حجر العسقلاني تقريرات علماء زمانه؟!

(١) تجريد التوحيد المفيد (ص: ١٩-٢٠).

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٣/ ٩٤).

كتاب تحفة الزمن: "والاستغاثة بالمشايخ الأموات والأحياء مما أطبق عليه المتأخرون من المتصوّفة، ولم يُنقل عن السلف المتقدمين؛ لمعرفتهم بأنّ الاستغاثة بغير الله تعالى لا تجوز ولا تنفع، قال الله تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا} [الإسراء: ٥٦] وغير ذلك من الآيات. ولم يُنقل أن النبي صلى الله عليه وسلم أذِن لأحد من الصحابة رضي الله عنهم في الاستغاثة به في شدّةٍ قطّ، وكان حاضرًا يوم أُحد فلم يملك من الأمر شيئًا كما قال الله تعالى: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} [آل عمران: ١٢٨]، وإنما يُستشفع به إلى الله تعالى في تفريج الكرب وتسهيل الشدائد، وكذا بالصالحين من عباد الله، فاعلم ذلك ولا تتبع جهالات المتأخرين"[١].

- **وقال جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)**: "وهذه العلة التي من أجلها نهى الشارع التي **أوقعت الناس في الشرك الأكبر**.. ولهذا تجد أقواما كثيرة من الضالين يتضرّعون عند قبور الصالحين"[٢].

تنبيهات هامة فيما ورد عن العلماء:

التنبيه الأول: تحريم دعاء غير الله لا يعني نفي الشرك عنه:

الفقهاء أحيانًا يقولون عن دعاء غير الله: محرم أو منكر، ونحو ذلك من العبارات، فلا يعني ذلك أنه ليس من الشرك عندهم، وبيان ذلك: أن الفقيه في مقام بيان الحرام والحلال فقط، وليس شرطًا أن يُبيّن علة كل تحريمٍ يحكم به.

كما أن المحرمات والمنكرات تتضمّن الشركيات أيضا، فمعلوم عند الأصوليين: أن الأعم يستلزم مطلق الأخصّ وإن لم يستلزم الأخصّ عينا، وقد صرح الفقهاء -كما سبق- بعلة الشرك في مواضع عديدة، فبطل بذلك ما ادَّعوه.

---

(١) مطالب أهل القربة في شرح دعاء أبي حربة [مخطوط لوحة: ٨٣ ب، ص١٦٨]، وهذا المخطوط محفوظ بمكتبة الشيخ أحمد محمد يوسف حربة، وموجود في مخطوطات جامعة هارفارد برقم ١٧١٤

(٢) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (ص: ١٣٨).

وإنما نبهتُ على هذه المسألة لكثرة ما يُجادل به الخصوم من تلك العبارات المُجملة.

التنبيه الثاني: مسألة اعتقاد التأثير:

يذكر بعض الفقهاء أن الإنسان يكفر إذا اعتقد أن غير الله مؤثر، فيفهَم منها بعض المعاصرين أنه إذا دعاه بما لا يقدر عليه ولم يعتقد فيه التأثير بذاته لم يكفر!

وهذا خلل في فهم مقاصد العلماء، فإن قصدهم بتلك العبارة أن من اعتقد في الأولياء التأثير - وهو التصرف في الكون- فقد كفر، وهذا الاعتقاد إنما يُعرف من ظواهر الممارسات، كأن يدعوه بطلب الشفاء وإنزال المطر وفك الكربات في البر والبحر، ونحو ذلك مما لا يجوز صرفه إلا لله.

ومراد الفقهاء: أن من عُرف من حاله وممارساته وأقواله استلزام اعتقاد التأثير والتصرُّف، يكفر

ومما يؤكد هذا الفهم أنه قد مرَّ بنا كلام العلماء في الحكم بشركية الممارسات التي تحصل من العامة عند القبور ولم يتأولوا لهم؛ وذلك لأنه لا انفكاك -أساسًا- بين طلب ما لا يقدر عليه وبين اعتقاد التأثير في الولي، فكلاهما متلازمان.

ثم نقول: إن اعتقاد استقلالهم عن الله بالتأثير لا يقول به أحد، ولا حتى عباد الأوثان من المجوس والهندوس وغيرهم، فجميع الديانات لديها فلسفة "الإله الأعظم" الذي له التأثير المطلق، وبقية الأصنام لها تأثير جزئي تابع للإله الأعظم.

ويُقرر هذه الحقيقة محيي الدين شيخ زاده حيث يقول: "مَن يعبد هذه الأحجار المنحوتة في هذه الساعة لا يعبدها على اعتقاد أنّ لها تأثيرًا وتدبيرًا في انتظام أحوال هذا العالم السفلي؛ فإن بطلان ذلك معلوم ببديهة العقل، وما عُلم بطلانه ببديهة العقل لا يذهب إلى صحته الجمّ الغفير والقوم الكثير، فلا بد أن يكون لهم في عبادتها منشأ غلط"[1].

---

(١) حاشية الشيخ محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي (٤/ ٧٨).

ويقصد محيي الدين زادة أن اعتقاد التأثير أو التدبير في هذه الأصنام معلوم بطلانه في بديهة العقل، ووفق علم المنطق: أن المعلوم بالبديهة لا يذهب إلى صحته الجم الغفير من الناس، لا سيما وأن في كل أمة من الأمم العقلاء والمُفكرين والعلماء وغيرهم، فلا بد وأن لهم تأويلًا لدعاء هذه الأصنام، وهي أنها غير مؤثرة بذاتها، أو تشفع لهم عند الله ونحو ذلك من التبريرات.

ويقرر تلك الحقيقة أيضا السعد التفتازاني، فإنه ذكر أن عباد الأصنام لا يعتقدون التأثير في أصنامهم، قال: "فلهم في ذلك تأويلات باطلة"، ذكر خمسة تأويلات، ثم قال في الخامس: "الخامس أنه لما مات منهم من هو كامل المرتبة عند الله تعالى اتخذوا تمثالا على صورته، وعظموه تشفُّعًا إلى الله وتوسلًا"[1].

التنبيه الثالث: ما ورد من استغاثات في القصائد الشعرية:

قد وُجد لبعض العلماء المتأخرين بعض القصائد الشعرية في المديح النبوي، والتي استُدلّ بها على جواز الاستغاثة بغير الله، والرد على ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أساليب النداء في الأدب والشعر قد يُترخّص فيها ما لا يُترخص في غيرها، فلا يُراد حقيقة النداء، ومنه قول القائل يرثي أهل الأندلس بعدما أصبحت أطلالًا:

فيا ساكني تلك الديار كريمة ... سقى عهدكم مزن يصوب نميرها

فقد ينادي الشاعر الموتى ويُحاورهم بما يحتمله الخيال الأدبي والشعري، بل هذا يحصل خارج الشعر أيضًا، فقد يقول قائل عند قبر أبيه: يا أبت، أرأيت ما حلّ بي من بعدك! ولا يريد حقيقة النداء بالضرورة.

وكذا نقول في نداء الرسول صلى الله عليه وسلم مثل: "يا رسول الله، يا علم الهدى"، لا يُراد منه الطلب الصريح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "(يا محمد يا نبي الله) هذا وأمثاله نداء،

---

(١) شرح المقاصد (٣/ ٢٩).

يطلب به استحضار المنادى في القلب، فيخاطب المشهود بالقلب، كما يقول المصلي: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)، والإنسان يفعل مثل هذا كثيرا، يخاطب من يتصوّره في نفسه وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب"[١].

وفي هذا الأمر يخطئ بعض السلفيين حيث يجعلون مطلق النداء شركًا أكبر، وفي المقابل يستدلّ الصوفية بهذه الأشعار على جواز صرف العبادة لغير الله، والأمر لا هذا ولا ذاك.

فكثير من الناس يترخّص في الشعر ما لا يترخص في غيره؛ لما فيه من أساليب مجازية، وتقريرات العالم تؤخذ من كتبه التي خصّها لذلك، لا من كتاب خصّه بالشعر والأدب!

الوجه الثاني: أن أكثر العلماء ممن يستدلّون بقصائدهم لم نجد فيها طلبًا صريحًا، إنما غايتها التوسل أو التشفع به صلى الله عليه وسلم، وبعضهم يُصوّر استغاثته به يوم القيامة في أرض المحشر بأسلوبٍ أدبي وشعري، فيظن الظان أن هذا العالم يدعوه من دون الله!

إذن نستطيع أن نقول بوضوح: إن ما وُجد من أشياء ظاهرها استغاثة إنما أرادوا بها الاستغاثة به إلى الله، وبعضهم يريد استغاثة الناس به يوم القيامة ويُصوّر ذلك في قالب شعري، وهذا معنى صحيح إجمالًا، لكن يفهمه الصوفية أنه على خلاف مراد العالم، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كلامٍ جليل: "والناس المشهورون -أي: العلماء- قد يقول أحدهم من المسائل والدلائل ما هو حق أو فيه شُبهة حق، فإذا أخذ الجهال ذلك فغيَّروه صار فيه من الضلال ما هو من أعظم الإفك والمحال"[٢].

وهذه الأمور وإن كانت في قالب شعري قد لا يُراد بها حقيقتها كما ذكرنا، إلا أنها من الأمور الخاطئة التي لا يُوافقون عليها، وذلك لما تحتمله اللفظة من معان موهمة، وهذا الأمر ليس خاصًّا بالشافعية، بل هو أمر انتشر في المتأخرين، وفعله بعض الحنابلة كالشيخ يحيى الصرصري الحنبلي،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (٢ /٣١٩).

(٢) نقض المنطق (ص: ١٢٠).

يقول ابن تيمية: "ولهذا أنكرنا على الشيخ يحيى الصرصري ما يقوله في قصائده في مدح الرسول من الاستغاثة به مثل قوله: بك أستغيث وأستعين وأستنجد ونحو ذلك"[1].

وتقدير كلام الصرصري: أستغيث بك وأستنجد بك إلى الله، وحذف "إلى الله"، ولا يقصد ظاهر القول -كما يظن الصوفية المعاصرون-، ومع ذلك أنكره عليه ابن تيمية؛ لما تحتمله اللفظة من معان باطلة.

وقد سبق أن بيّنا أن الحافظ ابن كثير -وهو فقيه شافعي- يوافق ابن تيمية في هذه المسألة، وأن ما قرره في كتابه "الاستغاثة والرد على البكري" هو الحقّ، وجعل مخالفيه من المبتدعة الضُّلال، ومعلوم أنه إذا اختلف أهل العلم في مسألة ما بين حق وباطل وهدى وضلال فالواجب هو الرد إلى الله ورسوله؛ لأنه -والحال كذلك- لا يصحّ عقلًا صحّة القولين معًا.

تحرير مذهب التقي السبكي وابن حجر الهيتمي:

بداية نقول: لا ينبغي أن يَظُنَّ مسلم بعلماء الإسلام أنهم يجوّزون الشرك الصريح بالله كسؤال البدوي والجيلاني جلبَ الرزق والشفاء وغير ذلك، فإن هذا مما ينزه عنه المسلم العادي، فكيف بعالم مثل الهيتمي الذي ألف الزواجر والإعلام وغيرهما؟!

وقبل أن نحرر مذهبهما لا بدّ من بيان أمور:

الأمر الأول: أن ابن حجر الهيتمي يرى تكفير الداعي لغير الله فيما لا يقدر عليه، والاعتقاد في الأولياء، ونقل عبارة الفروع لابن مفلح في كتابه (الإعلام بقواطع الإسلام) وأقره عليها.

قال الهيتمي: "وحاصل عبارة الفروع أن مما يكون كفرًا جحد صفة له تعالى اتفق على إثباتها... **ومن ذلك أن يجعل بينه وبين الله تعالى وسائط يتوكّل عليهم ويدعوهم ويسألهم قالوا: إجماعا)**[2].

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٧١).

(٢) الإعلام بقواطع الإسلام (ص: ٢١٣).

ومعلوم أن ابن مفلح نقلها عن ابن تيمية، وتتابع الحنابلة على إيرادها في مصنفاتهم واعتمدوها، والهيتمي أقرهم على هذا الإجماع.

الأمر الثاني: أن ابن حجر الهيتمي يرى في (الزواجر) أن المساجد المبنية على الأضرحة يجب هدمها وهي أضر من مسجد الضرار.

قال: "الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتسعون: اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثانًا، والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها"[1].

وقال: "وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد أو بناؤها عليها. والقول بالكراهة محمول على غير ذلك؛ إذ لا يُظن بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم لعنُ فاعله، وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور، إذ هي أضر من مسجد الضرار"[2].

وعليه فهو لا يُقر أبدا ما يحصل عند أضرحة الأولياء، وإنما تجويزه الاستغاثة -بالمعنى الذي سوف نوضحه- إنما هو أمر خاصّ بالرسول حال زيارته. وهذا واضح من اسم كتابه (الجوهر المنظم في زيارة القبر المعظَّم) فهو خاص بزيارة القبر الكريم.

الأمر الثالث: أن الهيتمي يرى في (الجوهر المنظم) في معرض الكلام على منع التبرك: أن المبالغة في تعظيم قبر الرسول بما لم يأذن به الشرع تصل إلى الكفر.

فقال: "قال الحليمي وغيره من أئمتنا: يُكره إلصاق الظهر البطن بجدار القبر المُكرم. انتهى. وينبغي أن يُلحق بجداره الجدار الحائز عليه صلى الله عليه وسلم وكان القياس تحريمهما، لكن لما كان شأن ذلك عند فاعليه أنهم لا يفعلونه إلا لقصد التبرك به جهلًا بما يليق به من الأدب؛ اقتضى ذلك رفع الحرمة وإثبات الكراهة، ولا عبرة بذلك القصد في نفي الكراهة أيضًا زجرًا لهم عن التهجم

---

(١) الزواجر (١/ ١٢٠).

(٢) الزواجر (١/ ١٤٩).

عليه بما لم يؤذن لهم فيه. من ثم تعيّن على كل أحد ألا يُعظمه إلا بما أذن الله لأمته من جنسه مما يليق بالبشر، فإن مجاوزة ذلك تُفضي إلى الكفر والعياذ بالله"[1].

مفهوم الاستغاثة عند السبكي والهيتمي:

سنكتفي بما قاله السبكي؛ لأن الهيتمي ناقل لكلام السبكي بحروفه.

فمعنى الاستغاثة وأنواعها كما شرحها السُبكي هي:

النوع الأول: طلب الغوث بالدعاء، أي: مستغيثا لله عز وجل بمقام النبي صلى الله عليه وسلم، وهو التوسل، ولذلك سُميت استغاثة، ويُسميها السبكي الاستغاثة بالنبي أي: الاستغاثة بالله بالنبي، والباء هنا هي باء الاستعانة، وحذف المفعول به.

والتوسل أمر سائغ على مذهب كثير من أهل العلم، لكن ينبغي أن يُسمّى توسلا وليس استغاثة، والخطأ هنا في الاصطلاح.

يقول السبكي: "وقد تكون الاستغاثة بالنبي على وجه آخر، وهو أن يقول: استغثت اللهَ بالنبي، كما يقول: سألت الله بالنبي، فيرجع إلى النوع الأول من أنواع التوسل، ويصحّ قبل وجوده وبعد وجوده، وقد يحذف المفعول به ويقال: استغثتُ بالنبي صلى الله عليه وسلم، بهذا المعنى"[2].

النوع الثاني: طلب الغوث من صاحب القبر نفسه وهو نوعان:

أ- أن تطلب من النبي نفسه عند الزيارة الشفاعة والدعاء، وهي من البدع المُنكرة التي انتشرت في المتأخرين، لكنها ليست من الشرك الأكبر على الصحيح[3]، لما فيها من شبهة أن النبي حي في قبره

---

(١) الجوهر المنظم (ص: ١١٤، ١٣٣).

(٢) شفاء السقام (ص: ٣٨٥).

(٣) قال الشيخ ابن عثيمين في تعليقه على كتاب اقتضاء الصراط المستقيم: "سؤال الميت أن يسأل الله أو سؤال قضاء الحاجة = بينهما فرق، إذا سأل قضاء الحاجة فهذا شرك أكبر، وإذا سأله أن يسأل الله فهذا بدعة

ويسمع المصلي عليه، وحديث مالك الدار، وهذه الأدلة -على ضعفها- أقامت نوعَ شبهة، وبنوا عليها أن النبي صلى الله عليه وسلم قد يدعو للسائل.

يقول السبكي: "فيصح أن يقال: استغثت النبيَّ وأستغيث بالنبي بمعنى واحد، وهو طلب الغوث منه بالدعاء ونحوه، على النوعين السابقين في التوسل من غير فرق، وذلك في حياته وبعد موته. وقد تكون الاستغاثة بالنبي على وجه آخر، وهو أن يقول: استغثت الله بالنبي... ولا مانع من ذلك، فإن دعاء النبي لربه تعالى في هذه الحالة غير ممتنع، وقد وردت الأخبار على ما ذكرنا، ونذكر طرفا منه"[1].

ب- أن يطلب منه الأمر المقصود على سبيل التسبب بشرط أن يكون مما تحتمله اللغة العربية، واستدل السبكي بقوله: "أسألك مرافقتك في الجنة"، على اعتبار أن النبي صلى الله عليه وسلم سيدعو للسائل.

ولا بد على مذهبهما أن يكون السؤال مما تحتمله اللغة والمجاز العقلي كالمثال السابق تمامًا، فلا يجوز على مذهبهما أن يقال: "اشفني وعافني يا رسول الله"، ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله، ونص على ذلك السبكي في شفائه حيث قال: "ولا شك أن من أدب السؤال أن يكون المسئول مُمكنا.كذلك لا نسأل رسول الله ما لا يُمكن أن يجيب إليه"[2]

وضلالة".

وهذه المسألة مبسوطة في الإجابة عن سؤال طلب الدعاء من الأموات على موقع الشبكة الإسلامية:
https://www.islamweb.net/ar/fatwa/١٨٧٢٢٥/%D٨٪AF%D٨٪B٩٪D٨٪A٧٪D٨٪A١-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪A٣٪D٩٪٨٥٪D٩٪٨٨٪D٨٪A٧٪D٨٪AA-%D٨٪A٨٪D٩٪٨A%D٩٪٨٦-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٤٪D٨٪B١٪D٩٪٨٣-%D٩٪٨٨٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪A٧٪D٨٪A٨٪D٨٪AA%D٨٪AF%D٨٪A٧٪D٨٪B٩

(١) شفاء السقام (ص: ٣٨٠).

(٢) شفاء السقام (ص: ٣٨٥).

وإلى هنا انتهى تحرير مذهب الشيخين السبكي الهيتمي.

وَخلاصة رأيهما في المسألة وزبدته: أن الاستغاثة بالرسول ليست هي الطلب المباشر من الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما معناها: التوسل أو طلب الدعاء منه.

ولما كانت هذه المسألة الأخيرة -أعني طلب الدعاء- ظاهر لفظها شركيًّا وتؤول إلى الشرك، والعامة لا تُفرق بين الألفاظ ومجازاتها = كان الصواب ما عليه الجمهور، وهو تحريمها، وقد أخطأ فيها السبكي والهيتمي -غفر الله لهما- وإن كانا متأوّلين.

لذلك يقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: "ونحن كذلك لا نقول بكفر من صحَّت ديانته، وشهر صلاحه، وعلم ورعه وزهده، وحسنت سيرته، وبلغ من نصحه الأمّة ببذل نفسه لتدريس العلوم النافعة والتآليف فيها، وإن كان مخطئًا في هذه المسألة -أي: الاستغاثة بالرسول- أو غيرها؛ **كابن حجر الهيتمي**، فإنا نعرف كلامه في الدرّ المنظم، ولا ننكر سعة علمه؛ ولهذا نعتني بكتبه، كشرح الأربعين، والزواجر، وغيرها، ونعتمد على نقله إذا نقل؛ لأنه من جملة علماء المسلمين"[(١)].

ومما سبق نعلم أنهما لم يُجوّزا الاستغاثة بالأولياء، وإنما جوَّزا صورةً معينة من التوسل والتشفُّع، وخصّوها بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ لما له من حقّ الشفاعة التي أعطاه الله إياها، ومن هذا الباب الدقيق التبس الحقّ على الصوفية المتأخّرين والمعاصرين بناءً على كلامٍ مُشتبه لبعض العلماء، وبنّوا عليه الشركَ المحض، وظنّوا أنّ صرف العبادة لغير الله من مسائل الخلاف السائغ! ثم توسّعوا فيه ليشمل الاستغاثة بالأولياء والصالحين واستحسان بناء المساجد على القبور ونحو ذلك، ومعلوم أن البدعة تبدأ شبراً وتنتهي كُفرًا، والعياذ بالله تعالى.

ولا شك أنه لا يجوز أن تقول: "أستغيث بالرسول" حتى ولو قصدت الاستغاثة بدعائه، فإن الشرع الحنيف جاء بمراعاة الألفاظ المُجملة الموهمة، قال الله عز وجل: {لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٢٢٢).

انْظُرْنَا} [البقرة: ١٠٤].

وإذا أردتَ بيان ذلك بوضوح وجلاء، فانظر إلى كيفية تعامل النبي عليه الصلاة والسلام مع واقعة قول الجارية: "وفينا نبيّ يعلم ما في غد"، فنهاها النبي عليه الصلاة والسلام عن قولها، وقال لها: «**لا تقولي هذا، وارجعي إلى ما كنتِ تقولين**»[١].

مع أنه قد يكون لكلامها محمل صحيح، وهو أن النبي عليه الصلاة والسلام قد يعلم بعض الغيبيات بإطلاع الله له عليها، لكن لما كان ذلك قد يكون ذريعة إلى الفهم المغلوط، وإلى اختلاط مقام النبي عليه الصلاة والسلام بما يختصّ به الله تعالى نهى عنه لسد هذا الباب؛ حماية لجناب التوحيد، وحسما لمادة الشرك.

ومن ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم: «**لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضِّئ ربك، اسق ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي، أمتي، وليقل: فتاي، فتاتي، غلامي**»[٢].

ومن ذلك أيضا ما أُثر عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تعالى: {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا} قَالَ: "الأَنْدَادُ هُوَ: الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَيْلِ. وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: وَاللهِ، وَحَيَاتِكَ يَا فُلانَةُ، وَحَيَاتِي. وَيَقُولُ: لَوْلا كَلْبُهُ هَذَا لأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لأَتَى اللُّصُوصُ. وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلا اللهُ وَفُلَانٌ. لَا تَجْعَلْ فِيهَا فلان، فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ بِهِ شِرْكٌ"[٣]. مع أن هذا كله لا يكون شركا إلا إذا اعتقد القائل أن السبب مستقلّ بالتأثير، لكن لما كانت العبارة موهمة، وفيها من سوء الأدب مع الله تعالى تحاشاها السلف، ونهَوا عنها؛ حماية لجناب التوحيد، وحسمًا لمادة الشرك.

---

(١) رواه البخاري (٤٠٠١).

(٢) رواه البخاري (٢٥٥٢).

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (١/ ١٠٥).

وخلاصة مذهب الشافعية:

١- تحريم تعظيم القبور وبناء المساجد عليها.

٢- جواز التوسل بالصالحين إلى الله تعالى، وتحريم الاستغاثة بهم وجعلوه شركًا أكبر.

٣- حكموا عمليا على أن العامة يقعون في الشرك، وهذا خلاف ما يقرره القبورية من أنه يجب تأويل أفعالهم.

٤- السبكي والهيتمي قد وافقا الشافعية في جميع ما سبق، إلا أنهما جوّزا الاستغاثة بالرسول بمعنى التوسل به إلى الله تعالى أو سؤاله الدعاء، وهذه الأخيرة من البدع كما أسلفنا.

ومما سبق يتبيّن بجلاء موافقة الشافعية لبقية المذاهب الفقهية في تحريم بدع القبور بكافة أنواعها، واعتبار بعضها من الشرك الأكبر المخرج من الملة، وأنهم مطبقون على ذلك، ومخالفة بعضهم إنما هي مخالفة في أمورٍ مستثناه لا تنسحب لتكون أصلًا عاما أو قاعدة مطردة عند قائله.

وصلِّ اللهم على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلِّم.

التوسل المشروع والممنوع

عبد الله بن عبد الحميد الأثري

مصدر هذه المادة :





التوسل
المشروع والممنوع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد اتفق جمهور علماء أهل السنة والجماعة على شرعية التوسل، واستدلوا على ذلك بالآيات والأحاديث الصحيحة، إلا أن بعض المسلمين أشكل عليهم فهم كيفية التوسل الوارد في الكتاب والسنة وعمل سلف هذه الأمة، وفهموا منه مفاهيم خاطئة تتنافى مع مبادئ الإسلام وهدي نبيه ﷺ، واستدلوا على ذلك بأحاديث ضعيفة وموضوعة ؛ بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك حيث أوَّلوا الآيات الواردة في التوسل تأويلاً يتناسب مع فهمهم الخاطئ.

ومن المعلوم أننا إذا اختلفنا في فهم نصوص الكتاب والسنة فعلينا أن نرجع إلى فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، لأنهم أقرب الناس عهدًا بنصوص الوحيين الشريفين ، وهم أهل القرون المفضلة بشهادة النبي ﷺ؛ حيث قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**». **[البخاري]**

ومن هنا يجب على كل مسلم آمن بالله ورسوله ﷺ أن يجتنب الهوى؛ لأنه مضل عن سبيل الله ، وعليه أن يتبع ما كان عليه سلفنا الصالح. ومن هذا المنطلق أردت أن أوضح هذه المسألة الدقيقة التي كثر فيها الكلام ، وزلت فيها الأقدام على ما نراه عند أهل البدع

والأهواء ، فاستعنت بالله تعالى فجمعت ما أمكن من الأدلة الواردة في الكتاب والسنة حول موضوع التوسل. سائلين الله تعالى الإخلاص في النية والسداد في الرأي إنه جواد كريم.

تعريف التوسل:

التوسل لغة: السبب الموصل إلى المقصود، والتقرب إلى المطلوب، والتوصل إليه برغبة، وله معنى آخر هو المنزلة عند الملك والدرجة والقربة.

والوسيلة اصطلاحًا: هي اتخاذ سبب مشروع يُقـرِّبُ إلى الله تعالى، وعبادة يراد بها التوصل إلى رضوانه سبحانه، وبما شرعهُ على لسان رسوله ﷺ، لنيل المنزلة العالية عنده سبحانه وتعالى، أو لقضاء الحاجات بجلب نفع أو دفع ضر، أو للحصول على مرغوب في الدنيا والآخرة، والتوسل إلى الله لا يكون إلا بما شرعه تعالى.

الوسيلة مبناها ثلاثة أمور:

١- المتوسَّل إليه وهو الله سبحانه وتعالى ذو الفضل والكرم.

٢- الواسل أو المتوسِّل وهو العبد الضعيف المحتاج الراغب في قضاء حاجة له.

٣- المتوسَّل به وهو العمل الصالح المتقرَّب به إلى الله هو الوسيلة.

ولكي تكون الوسيلة نافعة يحصل بهذا القرب إلى الله وتقضي بها الحاجة، لابد من مراعاة هذه الشروط وتوفيرها لدى المتوسل وهي:

* أن يكون العبد المُتوسِّلُ إلى الله مؤمنًا صالحًا، وأن يقصد بعمله وجه الله.

* أن يكون العمل المُتوسَّل به مما شرع الله لعباده أن يتقربوا به إليه سبحانه.

* أن يكون العمل مشروعًا وموافقًا لسنة رسول الله ﷺ لا يزيد عليه ولا ينقص منه، ولا يفعله في غير زمانه ومكانه الذي شرع وحدد له.

ومن هنا نعلم بأن عمل غير المؤمنين لا يكون وسيلة ولا قربة، كما لا تكون البدعة قربةً إلى الله تعالى.

أنواع التوسل:

قسم علماء السنة التوسل إلى قسمين:

توسل مشروع، وتوسل ممنوع.

التوسل المشروع وأنواعه:

التوسل المشروع: هو التقرب إلى الله بما يحبه ويرضاه من العبادات الواجبة أو المستحبة سواء كانت أقوالاً أو أفعالاً أو اعتقادات.

أولاً– التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا: التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا من خير الوسائل وأعظمها وأنفعها للعبد، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ **[الأعراف: ١٨٠]** أي: ادعوا الله

متوسلين إلى بأسمائه الحسنى؛ فهذه تبين مشروعية التوســـل إلى الله باسم من أسمائه أو صفة من صفاته، وأن ذلك مما يحبه الله ويرضاه، ولذلك استعمله رسول الله ﷺ، فكان من المشروع لنا أن ندعوه بما دعا به رسوله ﷺ؛ وهكذا دعا الصحابة والتابعون وتابعوهم.

ثانيًا: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به الداعي: كـــأن يقول المسلم: اللهم بإيماني بك، ومحبتي لك واتباعي لرســـولك ﷺ وإيماني به أن تفرج عني. ومنه أن يذكر الداعي عملاً صالحًا له قام به قاصدًا به الله لا يريد به إلا وجه الله ويسأل الله به؛ كالإيمان بالله ، والصلاة ، والصيام ، والجهاد ، وتـــلاوة القـــرآن ، والـــذكر ، والصلاة على النبي ﷺ ، والاستغفار ، وفعل الخيرات مطلقًا ، وترك المحرمات. ودليل مشروعيته قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَـــا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ **[آل عمـــران: ١٦]**، ومـــن السنة ما تضمنته قصة أصحاب الغار التي كانت فيمن كان قبلنـــا؛ ثلاثة نفر دخلوا الغار وانطبقت عليهم الصخرة؛ فســـألوا بـــأرجى أعمالهم وتوسلوا بها إلى الله، ففرج الله عنـــهم وكشـــف كـــربهم **[والحديث متفق عليه]**.

ثالثًا: التوسل إلى الله بدعاء الصالحين: كأن يقع المسلم في ضيق شديد، ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله، فيحـــب أن يأخـــذ بسبب قوي إلى الله فيذهب إلى رجل صالح يعتقد فيه التقوى والعلم بالكتاب والسنة؛ فيطلب منه أن يدعو له ربه ليفرج عنـــه كربـــه ويزيل همه؛ فهذا النوع من التوسل المشروع دلت عليـــه الشـــريعة وأرشدت إليه؛ قال تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَـــبَقُونَا

بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]، وجاء قوله ﷺ: «**دعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب مستجابة**...» **[رواه مسلم]**. من ذلك أيضًا ما رواه أنس؛ «أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال: فيُسقون» **[البخاري]**، ومعنى قول عمر: أي إنا كنا نقصد نبينا ﷺ ونطلب منه أن يدعو لنا ونتقرب إلى الله بدعائه؛ والآن وقد انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى ولم يعد من الممكن أن يدعو لنا، فإننا نتوجه إلى عم نبينا العباس ونطلب منه أن يدعو لنا.

وهذه أنواع ثلاثة للتوسل المشروع وما عداها من التوسلات لم يرد فيه دليل تقوم به الحجة، وهذه الأنواع مختلفة الحكم، فمنها ما هو واجب كالتوسل بالأسماء والصفات والإيمان والتوحيد، ومنها ما هو مستحب كالتوسل بالأعمال الصالحة أو دعاء الصالحين.

ولذا كان واجبًا على المسلم أن يتوسل عند الشدائد إلى الله بالوسائل المشروعة، وأن يترك البدع والمعاصي خوفًا من الله وحياءً منه وطاعةً له.

التوسل الممنوع وأنواعه:

هو التقرب إلى الله بما لا يحبه ولا يرضاه من الأقوال والأفعال والاعتقادات.

وهذا النوع من التوسل قد أدى بكثير من المتوسلين إلى الغفلة عن التوسل الشرعي الذي ندب الله إليه ، فانصرفوا عنه ، وحرموا منه بسبب انشغالهم بالممنوع، فخابوا في سعيهم وخسروا.

والآن نذكر بعض أنواع التوسل الممنوع نصحًا للمسلمين وتبليغًا لرسالة الإسلام وتعريفًا بها.

أولاً – التوسل إلى الله تعالى بحق الأشخاص أو جاههم أو منزلتهم: من التوسل البدعي سؤال الله تعالى بجاه أحد من خلقه كقول أحدهم: (اللهم إني أسألك بجاه نبيك أو بجاه عبدك فلان). أو سؤال الله بحق نبيه، أو بحق أحد من عباده، وهذا النوع من التوسل لم يعرفه دين الإسلام. فلم يرد في كتاب الله الذي قال تعالى عنه: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ **[الأنعام: ٣٨]** ، ولا في سنة نبيه ﷺ التي قال أبو هريرة فيها: «علَّمنا رسول الله ﷺ كل شيء حتى الخراء» **[مسلم]**. ولا في فعل أصحابه، والذي أمر الإسلام به هو سؤال الله بأسمائه الحسنة وصفاته العليا، وهذا التوسل البدعي قد يؤدي بصاحبه إلى الشرك الأكبر ، وذلك إن اعتقد أن الله محتاج لواسطة كالأمير والحاكم؛ لأنه يشبِّه الخالق بالمخلوق، والله لا يقاس على خلقه؛ فإن رضاه عن عبد لا يحتاج فيه إلى الوسائط، وغضبه عليه لا تنفع فيه الوسائط.

واعلم أن المخلوق مهما كانت منزلته سواء كان ملكًا أو نبيًا أو رسولاً فلا يجوز لك أن تقيس الله عز وجل عليه؛ لأن المخلوق محتاج إلى الخالق، والله الخالق وحده وهو الغني الذي لا يحتاج إلى واسطة قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ * فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ **[النحل: ٧٣، ٧٤]**. ولذا فإن الصحابة عدلوا عن التوسل بالرسول ﷺ بعد موته إل العباس ليدعو

لهم، وليس معناه أنهم كانوا يقولون في دعائهم: اللهم بجاه نبيك اسقنا، ثم أصبحوا يقولون بعد وفاته ﷺ: اللهم بجاه العباس اسقنا؛ لأن مثل هذا الدعاء البدعي لم يتعلمه الصحابة من النبي ﷺ ، وليس له أصل في كتاب الله ولذلك لم يفعلوه، ولو كان التوسل بجاه أحد بعد موته ﷺ جائزًا لكان التوسل به أولى، وهذا نوع من التوسل: كشرك المشركين في العهد المكي، قال تعالى عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

واعلم رحمك الله: أنه إذا وقع التوسل بمخلوق أو بجاه مهما كانت منزلته مع اعتقاد أن له شيئًا من الأمر من جلب نفع أو دفع ضر؛ فهذا شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام والعياذ بالله.

ثانيًا – الدعاء والنذر والاستغاثة بالأولياء والصالحين: إن دعاء الصالحين والتوسل بجاههم والنذر لهم وهم أموات «ليس من دين الله في شيء بل هو من الشرك الأكبر ومناف للتوحيد، كقول أحدهم: يا سيدي فلان ومولاي فلان.. خذ بيدي وكن لي كذا.. وادع الله لي بكذا، أو أنا في حماك وأنا بك وبالله، فكل ذلك من الأقوال الشركية.

كذلك النذر للأموات ليس بوسيلة مشروعة، كقول أحدهم: يا سيدي فلان إن رزقني الله كذا أجعل لك كذا، ويا سيدي فلان أجعل لك كذا، أو إن تحصلت على كذا أجعل لك كذا أو أقدم لك كذا.. وكل هذا النذر يعتبر لغير الله، وعبادة قد صرفت لغيره تعالى، والإسلام بريء منه، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ

الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦]؛ إذ ليس من هدي النبي ﷺ وأصحابه والتابعين لهم الإقبال على غير الله ودعاؤهم أو بناء قباب عليهم أو بإيقاد الشموع على أضرحتهم.. وغيرها من الأعمال التي يقوم بها بعض الجهال؛ لأنهم يعتقدون بأن الدعاء يجب أن يصرف لله، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وعلمهم إمام الموحدين ﷺ بأن: «الدعاء هو العبادة» [رواه الترمذي]، فكيف تصرف الدعاء لغير الله وهو من خصائص الإلهية.

واعلم: أن هذه الأعمال كلها تتنافى مع كلمة التوحيد التي بُعث بها الأنبياء والمرسلون؛ وهو نفي العبادة عن كل أحد وإثباتها لله تعالى وحده لا شريك له، وبينوا بأن الله لا يتقبل من العمل إلا ما كان صالحًا وموافقًا لشرعه، والله يغفر كل شيء إلا الشرك قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

ثالثًا- الذبح على أرواح الأولياء والعكوف حول قبورهم:

إن ما يفعله بعض الجهلة من المسلمين وما تعارفوا عليه من الذبح على أضرحة الأولياء وعلى المشاهد وحول القباب في المواسم وغيرها من الأوقات، ونقل المرضى إليها والعكوف حولها والمبيت هناك والاستشفاع بأصحاب تلك الأضرحة والقبور ونداؤهم

وطلب الدعاء منهم والاستغاثة بهم، كل هذا يعتبر من البدع الضالة فلم يشرعها الله ، وإنما هو من عمل الجاهلية الأولى والشرك بـــالله تعالى في عبادته. وقد نهى الله عن هذا الشرك فقال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال أيضًا: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] وإن المصرّ على هـــذا الباطـــل والمقرّ عليه كلاهما سواء في الحكم، وهو الشرك بالله .

وإنك لتعجب حين ترى كثيرًا مـــن الجهلـــة المنتســـبين إلى الإسلام يتمسكون بهذه التوسلات البدعية ، ويُعرضون عن أنـــواع التوسلات المشروعة فلا يستعملون شيئًا منها مع ثبوتها في الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وتراهم بدلاً من ذلك يعمـــدون إلى أدعيـــة اخترعوها، وتوسلات ابتدعوها لم يشرعها الله عـــز وجـــل، ولم يستعملها الرسول ﷺ ولم تنقل عن سلف هذه الأمة.

إخوة الإسلام: نحن لم نتفرد بإنكار تلك التوسلات المبتدعة؛ بل هذا هو الأصل في الدين وما طرأ عليه من البدع هي الممنوعة؛ بل هذا هو مذهب الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة ومن تبعهم.

سبب انحراف المسلمين في هذا الأمر

* **السبب الأول:** والأهم في انحراف كثير مـــن المســـلمين في مسألة التوسل الممنوع هو التقليد، والتقليد معناه: الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه، وهذا ممنوع شرعًا، والمقلد هو الذي يقلد عالمًا بعينه، ولا يخرج عن أقواله ولو ثبت له عكـــس ذلـــك بالأدلـــة الشرعية.

ولقد ذمه الله تعالى ونهى عنه في كثير من الآيات قال تعـالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ **[البقرة: ١٧٠]**، وعلماء السلف والأئمة المجتهدون نهوا عن التقليد أيضًا؛ لأن التقليد أحد أسباب التنازع والضعف في صف المسلمين، والوحدة في الاتباع والرجوع في الخلاف إلى أمر الله وأمر رسوله ﷺ ؛ ولذلك لا نرى الصحابة يقلدون منهم أحدًا بعينه في جميع المسائل، وكذلك الأئمة الأربعة رحمهم الله لم يتعصبوا لآرائهم، وكانوا يتركون آراءهم لحديث رسول الله ﷺ، وكانوا ينهون غيرهم عن تقليدهم دون معرفة أدلتهم، وهم كانوا يفقهون معنى قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ **[الأعراف: ٣]**.

* **السبب الثاني**: الأخذ ببعض الآيات والأحاديث دون البعض، ومع ذلك فلا تدل على مرادهم ، ولا تُؤيِّدُ رأيهم بل لم يدركوا تفسيرها الصحيح، أو يؤولونه تأويلاً بعيدًا عن الحقيقة، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ **[المائدة: ٣٥]**، والمراد بالوسيلة هنا التقرب إلى الله تعالى بالطاعة والعمل بما يرضيه، وهذا لا خلاف فيه بين المفسرين، أما الاستدلال في هذه الآيات على إباحة الاستغاثة بغير الله؛ فهو تحريف كلام الله عن موضوعه؛ إذًا الوسيلة التي أمر الله بها هي طلب القربة إليه بالعمل الصالح وبما يرضيه، وهذا التفسير لا خلاف فيه بين المفسرين.

ومن الأحاديث التي التبس معناها الصحيح عليهم حديث توسل عمر بالعباس الذي سبق بيانه، وقالوا كان توسلاً بالذات لقرابته من الرسول ﷺ فنقول: وما شأن يزيد بن الأسود الجرشي الذي توسل به معاوية والمسلمون لإنزال المطر فدعا الجرشي الله لهم فاستجاب الله الدعاء وأنزل الغيث؟ وكذلك حديث الأعمى الذي قال للرسول ﷺ: (ادع الله أن يعافيني. فقال ﷺ: «**إن شئت دعوت.. وإن شئت صبرت وهو خير**» قال: فادعه فأمره النبي ﷺ أن يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضي اللهم شفعه فيَّ. فعاد وقد أبصر) ومعنى الحديث واضح بأنه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له، وأيضًا هو دعا الله أن يتقبل من رسوله ﷺ الدعاء، بقوله: اللهم شفعه فيَّ.

* **السبب الثالث** ؛ العمل بالأحاديث الضعيفة والموضوعة التي لا أصل لها بل تكون أحيانًا مخالفةً لأصل الدين. ونذكر مجموعة منها على سبيل المثال لا الحصر:

- (توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم) — (لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال: يا آدم وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه؟ قال: يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال: غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك) قال الإمام الذهبي في «الميزان»: خبر باطل وموضوع —

(من خرج من بيته إلى الصلاة، فقال: اللـــهم إني أســـألك بحـــق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا..) ضعيف، ضعفه شيخ الإسلام والذهبي.

وأخيرًا: فإن من الواجب على العبد الموحد أن يتجنب أنـــواع التوسل الممنوع لما في العمل به من الوقوع إما في الشرك الأكبر أو الأصغر أو البدعة المحرمة، ولأن ذلك من التعدي في الدعاء وهـــو كفيل بعدم الإجابة؛ لأن الله تعالى لا يقبل إلا ما وافق شرعه. كما ينبغي للموحد أن يحرص على الأدعية القرآنية والنبوية؛ لأنها أقرب للإجابة ولما في الدعاء بها من الأجر والثواب.

* الرجاء... اللهم إنا نسألك ونتقرب إليك بأسمائك الحســـنى وصفاتك العلى، وإيماننا بك ، وحبنا لنبيك نبي الرحمـــة ، واتباعًـــا لسنته ﷺ وبأعمالنا الصالحة التي ما أردت بها إلا وجهك الكـــريم- أن تجعلنا من عبادك الموحدين العاملين في سبيلك داعين بدعوتك، وعلى هدي نبيك ﷺ، وأن تثبتنا على الحق، وتنصرنا على أعدائنا؛ إنك سميع مجيب الدعوات، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آلـــه وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.



التوسل بين المشروع و المنع

الحي الحاضر لا بأس أنْ يسأل أنْ يشفع للسائل، كما كان الصحابة يسألون النبي ﷺ أنْ يشفع لهم إذا أجدبوا أنْ يستغيث لهم، وكما سأله الأعمى فأمره أنْ يسأل ربه أنْ يقبل شفاعة نبيه ﷺ، وأمره أنْ يتوضأ ويسأل ربه، فهذا لا بأس به، سؤال الأحياء أنْ يشفعوا لك، تقول: يا أخي ادع الله لي، اسأل الله لي، اشفع لي أن الله يشفيني، اشفع لي أن الله يرزقني، أن الله يمنحني زوجة صالحة، ذرية طيبة لا بأس، تقول لأخيك وهو يدعو ربه، يرفع يديه ويدعو ربه، اللهم اشف فلانًا، اللهم يسر أمره، اللهم ارزقه الزوجة الصالحة، اللهم ارزقه الذرية الطيبة لا بأس، كما كان الصحابة يسألون النبي ﷺ، وكما كان الصحابة أيضاً فيما بينهم، كل هذا لا بأس به، والنبي ﷺ قال لهم: إنّه يقدم عليكم رجل برّ بأمه، يقال له أويس القرني، كان برًّا بأمه، فمن لقيه منكم فليطلب منه أنْ يستغفر له، فهذا شيء لا بأس به و هو من المقبول عقلا لان الحي يسمع وله القدرة ان يدعوا الله
.

أما سؤال الأموات والاستغاثة بالأموات والنذر للأموات فشرك أكبر، هذا عمل الجاهلية، عمل قريش في جاهليتها وعمل غيرهم من الكفرة، سؤال الأموات وأصحاب القبور والاستغاثة بهم والاستعانة بهم هذا الشرك الأكبر، هذا عبادة غير الله التي قال فيها جل وعلا: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا [الجن:18]، وقال فيها سبحانه: وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ [المؤمنون:117]، ومن دعا الأنبياء أو دعا نبينا ﷺ بعد الموت أو استغاث بـعلي أوبالحسين أو بفاطمة أو بغيرهم فقد اتخذهم آلهة، جعلهم آلهة مع الله، قال الله جل وعلا: ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۝ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ[فاطر:13-14] سماه شركاً، وقال جل وعلا: وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ [الأحقاف:5-6]، فأخبر سبحانه أنّه لا أضل من هؤلاء؛ دعاة غير الله.

فالمقصود أنّ الواجب على المؤمن أنْ يحذر دعاء الأموات أو الغائبين كالملائكة أوالانبياء او الائمة من اهل البيت او الجن يدعوهم، يسأل جبرائيل أو إسرافيل أو علي او الحسين او جن البلاد الفلانية، هذا شرك أكبر، قال ... جل وعلا: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ [سبأ:40-41]، وقال جل وعلا في سورة الجن: وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا [الجن:6]، فالواجب الحذر، فلا يسأل الأموات ولا الغائبين من الملائكة ولا من الائمة وغيرهم، ولا يسأل الأصنام ولا الجمادات من الأشجار والأحجار والنجوم، يسأل الله وحده، يسأل الله، يستعين بالله، يستغيث بالله، قال تعالى: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ [الإسراء:23] وقال سبحانه: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ [غافر:60]، وقال جل وعلا: وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ [البينة:5]، وقال سبحانه: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ [البقرة:186]، وقال سبحانه: قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي [الأنعام:162]

يعني: ذبحي.وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [الأنعام:162-163] وقال سبحانه: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ[الكوثر:1-2]، وقال النبي ﷺ: إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وقال ﷺ: لعن الله من ذبح لغير الله، فهذه أمور عظيمة خطيرة، والجلوس عند القبور يدعو ربه عند القبور هذه وسيلة للشرك، كونه يجلس عندها يقرأ أو يدعو هذه وسيلة لا يجوز من وسائل الشرك، أما إذا دعا المقبور واستغاث به هذا هو الشرك الأكبر، هذا الذنب الذي لا يغفر إلا بالتوبة، أما الحي الحاضر تقول له: ادع الله لي، أو يسأل منه أن يعينه على كذا لا بأس، إذا كان حي حاضر قادر لا بأس كما ذكرنا سابقا ، والمشركون ما كانوا يعتقدون أنهّم يخلقون أو يرزقون لا، المشركون يعبدونهم؛ لأنّهم بزعمهم يشفعون لهم، يقربونهم إلى الله زلفى، هذا زعمهم ما كانوا يعتقدون فيهم أنّهم يخلقون أو يرزقون، قال الله جل وعلا: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ [الزخرف:87]، وقال سبحانه: قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ [يونس:31] يعني: قل لهم يا محمد. مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ [يونس:31] يعترفون بهذا، وقال جل وعلا: وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ [يونس:18]، ما قال يقولون: هؤلاء خالقونا أو رازقونا لا، وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ [يونس:18]، هم يعلمون أنّ الخلاق الرزاق هو الله سبحانه، وإنما يعبدون الأصنام؛ لأنّها تشفع لهم بزعمهم، وقد أبطلوا في هذا، وقال جل وعلا: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى [الزمر:3]، يعني يقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، قال الله جل وعلا: إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ [الزمر:3] سماهم كَذَبة وسماهم كَفَرة، كَذَبة ما يقربونهم إلى الله زلفى، وهم كَفَرة بهذا بدعائهم إياهم وذبحهم لهم ونذرهم لهم، هم كفرة بهذا، سواء كانوا أنبياء المعبودين أو صالحين أو ملائكة، من عبدهم كفر، باستغاثته بهم، بنذره لهم، بذبحه لهم، يقول: إنّهم يقربونه إلى الله زلفى، إنّهم يشفعون له، هذا دين المشركين، هذا دين عبّاد الأصنام، يزعمون أنّها تقربهم إلى الله وتشفع لهم، لا أنّها تخلق وترزق، فالذي يأتي قبر فلان ، أو قبر الحسين ، أو يأتي غيرهم يسألهم ويستغيث بهم هذا قد جعلهم آلهة مع الله، وهذا هو الشرك الأكبر، وهكذا إذا أتى قبر النبي ﷺ يدعوه يستغيث به هذا الشرك الأكبر.

الاستغاثة

الاستغاثة طلب الغوث لكشف كربة، أو جلب رزق،او شفاء مرض او نحو ذلك، فالقول في الاستغاثة كالقول في التوسُّل،

منه الجائز ومنه الممنوع،

اولا:

الاستغاثة الجائزة

الاستغاثة بالحي القادر جائزة(١)، ومن هذا النوع استغاثة الناس من كرب يوم القيامة بالأنبياء ليشفعوا لهم عند الله -، فهي استغاثة بحي قادر، ومثلما قال الله عن موسى في قصة موسى مع

القبطي: فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ [القصص:15] فأغاثه موسى وقتل القبطي، لأنّ موسى حي حاضر يسمع الكلام، وهكذا في الحرب، الإنسان مع إخوانه في الحرب في الجهاد يتعاونون في قتال الأعداء، هذا يعين بالسلاح وهذا يعين بالسوط، وهذا يعين بالفرس، وهذا يعين بالدرق.. إلى غير ذلك، وهكذا في الدنيا يتعاونون في المزرعة، يعينه في مزرعته، يعينه في بيعه وشرائه، حي قادر حاضر، يتعاونون في المزرعة، في البيع والشراء، في بناء البيت لا بأس، حي قادر حاضر لا بأس، أما ميت أو غائب فانه لا يستعان به، وإلا كان شركاً أكبر

ثانيا:

الاستغاثة الممنوعة

وأما الاستغاثة بالغائبين وبالأموات لكشف الشدائد وجلب المنافع فذلك من الشرك بالله، وهو الذي كان يفعله المشركون، فيستغيثون بالملائكة، وبالأنبياء، وكما يفعل النصارى وأشباههم من أهل الغلو في الصالحين.

كموالمشركون ما كانوا يعتقدون أنهّم يخلقون أو يرزقون لا، المشركون يعبدونهم؛ لأنّهم بزعمهم يشفعون لهم، يقربونهم إلى الله زلفى، هذا زعمهم ما كانوا يعتقدون فيهم أنّهم يخلقون أو يرزقون، قال الله جل وعلا: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ [الزخرف:87]، وقال سبحانه: قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ [يونس:31] يعني: قل لهم يا محمد. مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ [يونس:31] يعترفون بهذا، وقال جل وعلا: وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ [يونس:18]، ما قال يقولون: هؤلاء خالقونا أو رازقونا لا، وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ [يونس:18]، هم يعلمون أنّ الخلاق الرزاق هو الله سبحانه، وإنما يعبدون الأصنام؛ لأنّها تشفع لهم بزعمهم، وقد أبطلوا في هذا، وقال جل وعلا: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى [الزمر:3]، يعني يقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، قال الله جل وعلا: إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ [الزمر:3] سماهم كَذَبة وسماهم كَفَرة، كَذَبة ما يقربونهم إلى الله زلفى، وهم كَفَرة بهذا بدعائهم إياهم وذبحهم لهم ونذرهم لهم، هم كفرة بهذا، سواء كانوا أنبياء المعبودين أو صالحين أو ملائكة، من عبدهم كفر، باستغاثته بهم، بنذره لهم، بذبحه لهم، يقول: إنّهم يقربونه إلى الله زلفى، إنّهم يشفعون له، هذا دين المشركين، هذا دين عبّاد الأصنام، يزعمون أنّها تقربهم إلى الله وتشفع لهم، لا أنّها تخلق وترزق، فالذي يأتي قبر فلان ، أو قبر الحسين ، أو يأتي غيرهم يسألهم ويستغيث بهم هذا قد جعلهم آلهة مع الله، وهذا هو الشرك الأكبر، وهكذا إذا أتى قبر النبي ﷺ يدعوه يستغيث به هذا الشرك الأكبر.

التوسل البدعي

التوسُّل إلى الله بجاه النبي أو بحقه أو بحق الأنبياء، أو بجاه الأنبياء، أو أحد من الصالحين، كل ذلك من التوسُّل البدعي؛ لأنه توسُّل إلى الله بما لم يجعله الله وسيلة، وجاه النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والصالحين ليس وسيلة لأحد من الناس إلا لمن دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فإن ذلك ينفعه، أما من لم يدع له النبي فإنه لا معنى للتوسُّل إلى الله بجاهه.

وقول القائل: أسألك بجاه نبيك، أو بحقه أو بحق الحسين او بحق عبدك الصالح فلان، لا معنى له، ولا مناسبة فيه للمطلوب، فإن منـزلة العبد وجاهه وحقه إنما هو وسيلة له إلى الله سبحانه وتعالى وليست وسيلة لغيره، فهذا هو الفصل في هذا المقام، فيفرق بين من دعا له الرسول عليه الصلاة والسلام أو غيره من الأنبياء والصالحين، ومن لم يدع له، .

وأما ما ذكر من أن الرسول صلى الله عليه وسلم حيّ في قبره، او الائمة أنهم احياء فهذا ليس على إطلاقه، وليس كما يظن الجاهلون، بل إن الرسول حيّ حياة خاصة، وهي التي يعبر عنها العلماء بالحياة البرزخية، فله من الحياة البرزخية أكملها، ولكن هذا لا يقتضي أن يكون في هذه الحياة كحاله قبل موته صلى الله عليه وسلم فقد مات وفارق هذه الدنيا، فلهذا لم يكن الصحابة وال البيت رضوان الله عليهم يطلبون منه الدعاء، فضلًا عن أن يدعوه أو يستغيثوا به، بل ولا يسألونه عن مسائل الدين، فإنه في عالم آخر، ولا يعلم من أمر أمته إلا ما شاء الله أن يطلعه عليه، مثل عرض الصلاة والسلام



إهداء
الإدارة العامة للتوجيه والإرشاد بالمسجد الحرام

رسالة في التبرك والتوسل والقبور

ويليها بعض الفتاوى المهمة



لسماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله تعالى

haram.twjeh@hotmail.com

رسالة في

التبرك والتوسل والقبور

ويليها بعض الفتاوى المهمة





الطبعة السادسة

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م



المملكة العربية السعودية - الرياض

ص.ب ٢٤٥٧٦٠ الرمز البريدي ١١٣١٢

المقر الرئيسي - الروضة - ت: ١١٢٣١٣٠١٨

ت: ١١٤٧٩٢٠٤٢ (٣ خطوط) - ف: ١١٢٣٢٢٠٩٦

فرع السويدي - ت: ١١٤٢٦٧١٧٧ - ف: ١١٤٢٦٧٣٧٧

K.S.A / Riyadh 11312 P.O.Box: 245760

Rawdah / Tel.:112313018 Fax:112322096

Swaidi / Tel:114267177 Fax:114267377

الموقع الإلكتروني | www.madaralwatan.com

البريد الإلكتروني | pop@madaralwatan.com
madaralwatan@hotmail.com

رسالة في

التبرك والتوسل والقبور

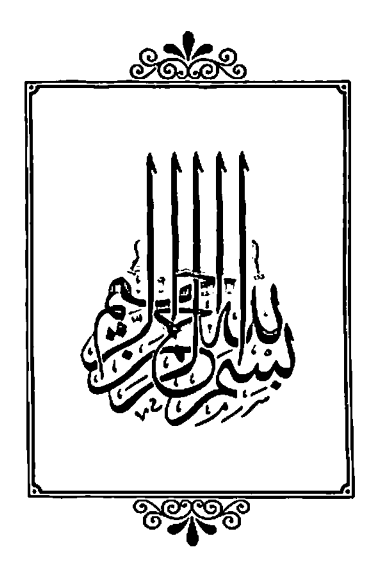
ويليها بعض الفتاوى المهمة

لسماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله تعالى




بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة المكرم الشيخ. . . .

منحني الله وإياه الفقه في الدين، وأعاذنا جميعاً من طريق المغضوب عليهم والضالين آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد وصلني كتابكم وصلكم الله بحبل الهدى والتوفيق، وجميع ما شرحتم كان معلوماً.

وقد وقع في كتابكم أمور تحتاج إلى كشف وإيضاح، وإزالة ما قد وقع لكم من الشبهة عملاً بقول النبي ﷺ: «الدين النصيحة». وقوله ﷺ: «من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله». وغيرهما من الأحاديث الكثيرة في هذا الباب.

وقد أرشد إلى ذلك مولانا سبحانه في قوله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾[1]. وقوله سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[١].

فأقول: ذكرتم في كتابكم ما نصه: (ومع احترامي وتقديري لجهودكم في هذا السبيل خطر ببالي بعض الملاحظات، أحببت أن أبديها لكم راجياً أن يكون فيها خير الإسلام والمسلمين، والاعتصام بحبل الله المتين في سبيل تقارب المسلمين، ووحدة صفوفهم في مجال العقيدة والشريعة.

أولاً: لاحظتكم تعبرون دائماً عن بعض ما شاع بين المسلمين من التبرك بآثار النبي ﷺ، وبعض الأولياء كمسح الجدران، والأبواب في الحرم النبوي الشريف وغيره شركاً وعبادة لغير الله. وكذلك طلب الحاجات منه ومنهم، ودعاؤهم وما إلى ذلك. إني أقول: هناك فرق بين ذلك، فطلب الحاجات من النبي ومن الأولياء باعتبارهم يقوضون الحاجات من دون الله أو مع الله، فهذا شرك جلي لا شك فيه، لكن الأعمال الشائعة بين

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

المسلمين، والتي لا ينهاهم عنها العلماء في شتى أنحاء العالم الإسلامي، من غير فرق بين مذهب وآخر، ليست هي في جوهرها طلباً للحاجات من النبي والأولياء، ولا اتخاذهم أرباباً من دون الله، بل مردّ ذلك كله ـ لو استثنينا عمل بعض الجهّال من العوام ـ إلى أحد أمرين: التبرك والتوسل بالنبي وآثاره، أو بغيره من المقربين إلى الله عز وجل.

أما التبرك بآثار النبي من غير طلب الحاجة منه، ولا دعائه، فمنشؤه الحب والشوق الأكيد، رجاء أن يعطيهم الله الخير، بالتقرب إلى نبيه، وإظهار المحبة له، وكذلك بآثار غيره من المقربين عند الله.

وإني لا أجد مسلماً يعتقد أن الباب والجدار يقضيان الحاجات، ولا أن النبي أو الولي يقضيها، بل لا يرجو بذلك إلا الله، إكراماً لنبيه، أو لأحد من أوليائه، أن يفيض الله عليه من بركاته. والتبرك بآثار النبي كما تعلمون ويعلمه كل من اطلع على سيرة النبي ﷺ، كان معمولاً به في عهد النبي، فكانوا يتبركون بماء وضوئه،

وثوبه وطعامه وشرابه وشعره. وكل شيء منه، ولم ينههم النبي عنه، ولعلكم تقولون: أجل كان هذا، وهو معمول به الآن بالنسبة إلى الأحياء من الأولياء والأتقياء لكنه خاص بالأحياء، دون الأموات لعدم وجود دليل على جوازه إلا في حال الحياة بالذات فأقول: هناك بعض الآثار تدل على أن الصحابة قد تبركوا بآثار النبي بعد مماته، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يمسح منبر النبي تبركاً به.

وهناك شواهد على أنهم كانوا يحتفظون بشَعْر النبي، كما كان الخلفاء العباسيون ومن بعدهم العثمانيون، يحتفظون بثوب النبي تبركاً به، ولاسيما في الحروب، ولم يمنعهم أحد من العلماء الكبار والفقهاء المعترف بفقههم ودينهم). انتهى المقصود من كلامكم.

والجواب: أن يقال: ما ذكرتم فيه تفصيل:

فأما التبرك بما مسَّ جسده عليه الصلاة والسلام من وضوء أو عرق أو شعر ونحو ذلك، فهذا أمر معروف وجائز عند الصحابة رضي الله عنهم، وأتباعهم بإحسان.

لما في ذلك من الخير والبركة. وهذا أقرهم النبي ﷺ عليه.

فأما التمسح بالأبواب والجدران والشبابيك ونحوها في المسجد الحرام أو المسجد النبوي، فبدعة لا أصل لها، والواجب تركها لأن العبادات توقيفية لا يجوز منها إلا ما أقره الشرع لقول النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». متفق على صحته، وفي رواية لمسلم وعلقها البخاري رحمه الله في صحيحه جازماً بها: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ يقول في خطبته يوم الجمعة: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة». والأحاديث في ذلك كثيرة.

فالواجب على المسلمين التقيد في ذلك بما شرعه الله كاستلام الحجر الأسود وتقبيله، واستلام الركن اليماني.

ولهذا صح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه

قال لما قبَّل الحجر الأسود: (إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك).

وبذلك يُعلم أن استلام بقية أركان الكعبة، وبقية الجدران والأعمدة غير مشروع لأن النبي ﷺ لم يفعله، ولم يرشد إليه، ولأن ذلك من وسائل الشرك. وهكذا الجدران والأعمدة والشبابيك وجدران الحجرة النبوية من باب أولى، لأن النبي ﷺ لم يشرع ذلك ولم يرشد إليه ولم يفعله أصحابه رضي الله عنهم.

وأما ما نُقِلَ عن ابن عمر رضي الله عنه، لم يوافقه عليه أبوه ولا غيره من أصحاب النبي ﷺ، وهم أعلم منه بهذا الأمر، وعلمهم موافق لما دلت عليه الأحاديث الصحيحة. وقد قطع عمر رضي الله عنه الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ في الحديبية لمَّا بلغه أن بعض الناس يذهبون إليها ويصلون عندها؛ خوفاً من الفتنة بها، وسدًّا للذريعة.

وأما دعاء الأنبياء والأولياء والاستغاثة بهم والنذر لهم

ونحو ذلك فهو الشرك الأكبر وهو الذي كان يفعله كفار قريش مع أصنامهم وأوثانهم، وهكذا بقية المشركين يقصدون بذلك أنها تشفع لهم عند الله، وتقربهم إليه زلفى، ولم يعتقدوا أنها هي التي تقضي حاجاتهم وتشفي مرضاهم وتنصرهم على عدوهم، كما بيَّن الله سبحانه ذلك عنهم في قوله سبحانه: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[1]. فرد عليهم سبحانه بقوله: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[2].

وقال عز وجل في سورة الزمر: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾[3]. فأبان سبحانه في هذه الآية الكريمة:

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٨.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٨.

(٣) سورة الزمر، الآيتان: ٢، ٣.

أن الكفار لم يقصدوا من آلهتهم أنهم يشفون مرضاهم، أو يقضون حوائجهم وإنما أرادوا منهم أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، فأكذبهم سبحانه ورد عليهم قولهم بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ سماهم كَذبة وكفاراً بهذا الأمر.

فالواجب على مثلكم تدبر هذا المقام وإعطاؤه ما يستحق من العناية. ويدل على كفرهم ـ أيضاً ـ بهذا الاعتقاد قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١١٧﴾[1] فسماهم في هذه الآية كفاراً وحكم عليهم بذلك لمجرد الدعاء لغير الله من الأنبياء والملائكة والجن وغيرهم.

ويدل على ذلك أيضاً قوله سبحانه في سورة فاطر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾[2]. فحكم سبحانه بهذه الآية على

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.

(٢) سورة فاطر، الآيتان: ١٣، ١٤.

أن دعاء المشركين لغير الله، من الأنبياء والأولياء، أو الملائكة أو الجن، أو الأصنام أو غير ذلك بأنه شرك، والآيات في هذا المعنى لمن تدبر كتاب الله كثيرة.

وننقل لك هنا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى ص ١٥٧ ج١ ما نصه: (والمشركون الذين وصفهم الله ورسوله بالشرك أصلهم صنفان: قوم نوح، وقوم إبراهيم. فقوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين ثم صوروا تماثيلهم، ثم عبدوهم، وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر وكل من هؤلاء يعبدون الجن، فإن الشياطين قد تخاطبهم، وتعينهم على أشياء، وقد يعتقدون أنهم يعبدون الملائكة، وإن كانوا في الحقيقة إنما يعبدون الجن، فإن الجن هم الذين يعينونهم، ويرضون بشركهم قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾[1].

(١) سورة سبأ، الآيتان: ٤٠، ٤١.

والملائكة لا تعينهم على الشر، لا في المحيا ولا في الممات، ولا يرضون بذلك، ولكن الشياطين قد تعينهم وتتصور لهم في صور الآدميين، فيرونهم بأعينهم ويقول أحدهم: أنا إبراهيم أنا المسيح، أنا محمد أنا الخضر أنا أبو بكر أنا عمر، أنا عثمان أنا علي أنا الشيخ فلان، وقد يقول بعضهم عن بعض هذا هو النبي فلان، أو هذا هو الخضر، ويكون أولئك كلهم جنًّا، يشهد بعضهم لبعض والجن كالإنس فمنهم الكافر، ومنهم الفاسق، ومنهم العابد الجاهل، فمنهم من يحب شيخاً فيتزَيَّ في صورته ويقول: أنا فلان، ويكون ذلك في برية ومكان قفر، فيطعم ذلك الشخص طعاماً ويسقيه شراباً أو يدله على الطريق أو يخبره ببعض الأمور الواقعة الغائبة، فيظن ذلك الرجل أن نفس الشيخ الميت أو الحي فعل ذلك، وقد يقول: هذا سر الشيخ وهذه رقيقته، وهذه حقيقته، أو هذا ملك جاء على صورته، وإنما يكون ذلك جنيًّا، فإن الملائكة لا تعين على الشرك والإفك، والإثم والعدوان

وقد قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾(١).

قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء؛ كالعزير والمسيح، فبيَّن الله تعالى أن الملائكة والأنبياء عباد الله. كما أن الذين يعبدونهم عباد الله، وبيَّن أنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه، ويتقربون إليه كما يفعل سائر عباده الصالحين.

والمشركون من هؤلاء قد يقولون: إنا نستشفع بهم، أي نطلب من الملائكة والأنبياء أن يشفعوا، فإذا أتينا قبر أحدهم طلبنا منه أن يشفع لنا فإذا صورنا تمثاله ـ والتماثيل إما مجسدة وإما تماثيل مصورة كما يصورها النصارى في كنائسهم ـ قالوا: فمقصودنا بهذه التماثيل تذكر أصحابها، وسيرهم ونحن نخاطب هذه التماثيل ومقصودنا خطاب أصحابها ليشفعوا لنا إلى الله فيقول

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٥٦، ٥٧.

أحدهم: يا سيدي فلان، أو يا سيدي جرجس أو بطرس، أو يا ستي الحنونة مريم أو يا سيدي الخليل أو موسى بن عمران أو غير ذلك اشفع لي إلى ربك.

وقد يخاطبون الميت عند قبره: سل لي ربك، أو يخاطبون الحي وهو غائب كما يخاطبونه لو كان حاضراً حيًّا وينشدون قصائد يقول أحدهم فيها: يا سيدي فلان أنا في حبك أنا في جوارك اشفع لي إلى الله، سل الله لنا أن ينصرنا على عدونا، سل الله أن يكشف عنا هذه الشدة، أشكو إليك كذا وكذا فسل الله أن يكشف هذه الكربة، أو يقول أحدهم: سل الله أن يغفر لي.

ومنهم من يتأول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[(١)]. ويقولون: إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته كنا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة. ويخالفون بذلك الإجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر المسلمين، فإن أحداً

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

منهم لم يطلب من النبي ﷺ بعد موته أن يشفع له، ولا سأله شيئاً، ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين في كتبهم وإنما ذكر ذلك من ذكره من متأخري الفقهاء، وحكموا حكاية مكذوبة على مالك رضي الله عنه، وسيأتي ذكرها، بسط الكلام عليها إن شاءالله تعالى.

فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم، وخطاب تماثيلهم. هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين، من غير أهل الكتاب، وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[1] إلى آخر ما ذكره رحمه الله في رسالته الجليلة المسماة: «القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة» قد أوضح فيها أنواع الشرك فراجعها إن شئت.

وقال أيضاً ـ رحمه الله ـ في رسالته إلى أتباع الشيخ

(١) سورة الشورى، الآية: ٢١.

عدي بن مسافر ص ٣١ ما نصه: (فصل: وكذلك الغلو في بعض المشايخ إما في الشيخ عدي، ويونس القني، أو الحلاج وغيرهم، بل الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونحوهم، بل الغلو في المسيح عليه السلام ونحوه، فكل من غلا في حي أو في رجل صالح كمثل علي رضي الله عنه أو عدي أو نحوه، أو في من يعتقد فيه الصلاح كالحلاج أو الحاكم الذي كان بمصر أو يونس القني ونحوهم. وجعل فيه نوعاً من الألوهية مثل أن يقول: كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده، أو يقول إذا ذبح شاة باسم سيدي. أو يعبده بالسجود له، أو لغيره أو يدعوه من دون الله تعالى مثل أن يقول: يا سيدي فلان اغفر لي أو ارحمني أو انصرني أو ارزقني أو أغثني أو أجرني أو توكلت عليك أو أنت حسبي أو أنا في حسبك أو نحو هذه الأقوال والأفعال التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قُتِل. فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لا شريك

له ولا نجعل مع الله إلهاً آخر.

والذين كانوا يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والكواكب والعزير والمسيح والملائكة واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ويغوث ويعوق ونسرا، وغير ذلك لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو أنها تُنزل المطر أو أنها تُنبت النبات وإنما كانوا يعبدون الأنبياء والملائكة والكواكب والجن والتماثيل المصورة لهؤلاء، أو يعبدون قبورهم، ويقولون إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى. ويقولون هم شفعاؤنا عند الله، فأرسل الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة. قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧ ﴾[1].

قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة فقال الله لهم: هؤلاء الذين تدعونهم

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٥٦، ٥٧.

يتقربون إليّ، كما تتقربون ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما تخافون عذابي.

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[1]. فأخبر سبحانه أن ما يدعى من دون الله ليس له مثقال ذرة في الملك ولا شريك في الملك وأنه ليس له في الخلق عون يستعين به وأنه لا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه).

إلى أن قال رحمه الله: (وعبادة الله وحده هي أصل الدين، وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب، فقال تعالى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن

(١) سورة سبأ، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

﴿رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾[1].

وكان النبي ﷺ يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى قال له رجل: ما شاء الله وشئت. فقال: «أجعلتني لله ندًا بل ما شاء الله وحده». وقال: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد». ونهى عن الحلف بغير الله تعالى فقال ﷺ: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت». وقال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك». وقال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم وإنما أنا عبدالله فقولوا عبدالله ورسوله».

ولهذا اتفق العلماء على أنه ليس لأحد أن يحلف بمخلوق كالكعبة ونحوها. ونهى النبي ﷺ عن السجود له، ولما سجد بعض أصحابه له نهى عن ذلك وقال: «لا يصلح السجود إلا لله». وقال: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها». وقال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «أرأيت لو مررت بقبري

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

أكنت ساجداً له؟» قال: لا، قال: «لا، فلا تسجد لي».
ونهى النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد وقال في مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

إلى أن قال رحمه الله: (ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المسجد على القبور ولا تُشرع الصلاة عند القبور، بل كثير من العلماء يقول الصلاة عندها باطلة).

إلى أن قال رحمه الله تعالى: (وذلك أن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كانت تعظيم القبور بالعبادة ونحوها، قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾[1]. قال طائفة من السلف: كانت هذه الأسماء لقوم صالحين فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم وعبدوها.

ولهذا اتفق العلماء على أن من سلَّم على النبي ﷺ

(١) سورة نوح، الآية: ٢٣.

عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها). انتهى المقصود من كلامه رحمه الله.

وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - في الجواب الكافي ص ١٥٦ ما نصه: (فصل: ويتبع هذا الشرك الشرك به سبحانه في الأفعال والأقوال والإرادات والنيات فالشرك في الأفعال كالسجود لغيره، والطواف بغير بيته، وحلق الرأس عبودية وخضوعاً لغيره، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمين الله في الأرض، وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها، وقد لعن النبي ﷺ من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلي لله فيها، فكيف بمن اتخذ القبور أوثاناً يعبدها من دون الله. ففي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وفي الصحيح عنه ﷺ: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد». وفي الصحيح أيضاً عنه ﷺ: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد

فإني أنهاكم عن ذلك».

وفي مسند الإمام أحمد رضي الله عنه وصحيح ابن حبان عنه ﷺ قال: «لعن الله زوّارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج». وقال: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». وقال: «إن من كان قبلكم كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة». فهذا حال من سجد لله في مسجد على قبر فكيف حال من سجد للقبر نفسه، وقد قال النبي ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد»). انتهى كلامه رحمه الله.

وبما ذكرنا في صدر هذا الجواب، وبما نقلناه عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وتلميذه العلامة ابن القيم رحمه الله يتضح لكم ولغيركم من القراء أن ما يفعله الجهال من الشيعة وغيرهم، عند القبور من دعاء أهلها والاستغاثة بهم والنذر لهم .والسجود لهم وتقبيل القبور طلباً لشفاعتهم أو نفعهم لمن قبّلها. كل ذلك من

الشرك الأكبر لكونه عبادة لهم، والعبادة حق لله وحده كما قال الله سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[2] الآية.

وقال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[3] إلى غير ذلك من الآيات التي سبق بعضها.

أما تقبيل الجدران، أو الشبابيك أو غيرها، واعتقاد أن ذلك عبادة لله، لا من أجل التقرب بذلك إلى المخلوق. فإن ذلك يسمى بدعة لكونه تقرباً لم يشرعه الله فدخل في عموم قول النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ». وفي قوله ﷺ: «إياكم ومُحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

وأما تقبيل الحجر الأسود، واستلامه واستلام الركن

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٢) سورة البينة، الآية: ٥.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

اليماني فكل ذلك عبادة لله وحده واقتداء بالنبي ﷺ لكونه فعل ذلك في حجة الوداع وقال: «خذوا عني مناسككم». وقد قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(١) الآية.

وأما التبرك بشعره ﷺ وعرقه ووضوئه، فلا حرج في ذلك كما تقدم لأنه عليه الصلاة والسلام أقر الصحابة عليه ولما جعل الله فيه من البركة، وهي من الله سبحانه، وهكذا ما جعل الله في ماء زمزم من البركة حيث قال ﷺ عن زمزم: «إنها مباركة وإنها طعام طعم وشفاء سقم».

والواجب على المسلمين الاتباع والتقيد بالشرع، والحذر من البدع القولية والعملية. ولهذا لم يتبرك الصحابة رضي الله عنهم بشَعْر الصديق رضي الله عنه، أو عرقه أو وضوئه ولا بشَعْر عمر أو عثمان أو علي أو عرقهم أو وضوئهم، ولا بعرق غيرهم من الصحابة، وشَعْره ووضوئه لعلمهم بأن هذا أمر خاص بالنبي ﷺ ولا يُقاس عليه غيره في ذلك، وقد قال الله عز وجل:

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾[1].

وقال كثير من الصحابة رضي الله عنهم: اتَّبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم.

وأما توسل عمر رضي الله عنه والصحابة بدعاء العباس في الاستسقاء وهكذا توسل معاوية رضي الله عنه في الاستسقاء بدعاء يزيد بن الأسود فذلك لا بأس به لأنه توسل بدعائهما وشفاعتهما ولا حرج في ذلك. ولهذا يجوز للمسلم أن يقول لأخيه: ادع الله لي وذلك دليل من عمل عمر والصحابة رضي الله عنهم ومعاوية رضي الله عنه على أنه لا يتوسل بالنبي ﷺ في الاستسقاء ولا غيره بعد وفاته ﷺ ولو كان ذلك جائزاً لما عدل عمر الفاروق والصحابة رضي الله عنهم عن التوسل به ﷺ إلى التوسل بدعاء العباس ولما عدل معاوية رضي الله عنه عن التوسل به ﷺ إلى التوسل بيزيد بن الأسود

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

وهذا شيء واضح بحمد الله.

وإنما يكون التوسل بالإيمان به ﷺ ومحبته والسير على منهاجه وتحكيم شريعته وطاعة أوامره، وترك نواهيه. هذا هو التوسل الشرعي به ﷺ بإجماع أهل السنة والجماعة وهو المراد بقول الله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[(١)].

وبما ذكرنا يُعلَم أن التوسل بجاهه ﷺ أو بذاته من البدع التي أحدثها الناس ولو كان ذلك خيراً لسبقنا إليه أصحاب النبي ﷺ لأنهم أعلم الناس بدينه وبحقه ﷺ ورضي الله عنهم.

وأما توسل الأعمى به ﷺ إلى الله سبحانه في رد بصره إليه فذلك توسل بدعائه وشفاعته حال حياته ﷺ ولهذا شفع له النبي ﷺ ودعا له.

والله المسؤول بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يمنحني وإياكم وسائر إخواننا الفقه في دينه والثبات عليه وأن يُصلح أحوال المسلمين في كل مكان وأن يمنحهم

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

الفقه في الدين وأن يولي عليهم خيارهم ويصلح قادتهم وأن يوفق جميع حكام المسلمين للفقه في الدين والحكم بشريعة الله سبحانه والتحاكم إليها وإلزام الشعوب بها والحذر مما يخالفها عملاً بقول الله عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[1]. وبقوله سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾[2]. إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٠.



المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد



التبرك المشروع والممنوع

تأليف

فضيلة الشيخ: محمد صفوت نور الدين

رحمه الله

التبرك المشروع والممنوع

تأليف

الشيخ/ محمد صفوت نور الدين

رحمه الله

وكالة المطبوعات والبحث العلمي

وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

المملكة العربية السعودية

١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

نور الدين ، محمد صفوت

التبرك المشروع والممنوع. / محمد صفوت نور الدين.- الرياض، ١٤٢٩هـ.

٧٢ ص - ١٢ × ١٧ سم

ردمك ٠-٦٣٤-٢٩-٩٩٦٠-٩٧٨

١- الإيمان (الإسلام) ٢- البدع في الإسلام أ- العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٢٩/٥٣٠٨

رقم الإيداع : ١٤٢٩/٥٣٠٨

ردمك ٠-٦٣٤-٢٩-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الرابعة

١٤٣٢ هـ

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فإن العقيدة هي القوة الدافعة فى حياة الأمم والأفراد ولقد كان الاعتقاد الصحيح عند المسلمين الأثر الواضح فى سلوكهم حيث سمعوا القرآن يتلى وفيه قصص الأمم السابقة وأيقنوا أن الله هو الذى سلب النار إحراقها عندما أُلقي فيها إبراهيم فكانت عليه برداً وسلاماً، وهو الذى سلب ماء البحر إغراقه عندما ضربه موسى بعصاه، وهو الذى طوى الأبعاد لمحمد ﷺ طياً فى إسرائه ومعراجه، وهو الذى جعل العجوز العقيم تلد بعد أن صار بعلها شيخاً كبيراً، وهو الذى أرقد أهل الكهف فى نومهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعاً وهو الذى رفع المسيح من بين يدى أعدائه وشبه لهم غيره، وهو الذى سلط القمل والضفادع والدم على آل فرعون، وهو الذى سلط الريح على ثمود، وهو الذى أرسل الطير الأبابيل على أصحاب الفيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول.

ولقد بعث الإيمان بالآخرة في قلوب المسلمين شجاعة خارقة للعادة وحنيناً غريباً إلى الجنة، واستهانة نادرة بالحياة؛ تمثلوا الآخرة فتجلت لهم الجنة بنعمائها كأنهم يرونها رأى العين فطاروا إليها وتجلت لهم النار بأهوالها كأنهم يرونها رأى العين فهربوا منها فراراً إلى الله يطلبون النجاة بالمسارعة في طاعته وامتثال أمره.

وها هي حياة الصحابة الأجلاء ومن بعدهم خير شاهد على ذلك.

عن أنس رضي الله عنه قال: بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء فخطب فقال: «عرضت عليّ الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر. ولو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه غطوا رؤوسهم ولهم خنين» (متفق عليه).

وعنه رضي الله عنه قال: «كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله

ﷺ فقال يا رسول الله .. إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيْرحاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله . قال: فقال رسول الله ﷺ: «بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح. وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين ، فقال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه (متفق عليه).

وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة قلت: بلى، قال هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وأتكشف فادع الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك» فقالت أصبر، فقالت إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف فدعا لها. (متفق عليه).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين. لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون

قال : اللهم إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال : يا سعد بن معاذ ! الجنة ورب النضر ، إني أجد ريحها من دون أحد ، قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، قال أنس : فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة بالرمح ، أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه .

قال أنس كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾

(متفق عليه) .

وقال ابن الكلبي : كان عمرو بن الجموح آخر الأنصار إسلاماً . ولما ندب رسول الله ﷺ الناس إلى بدر أراد الخروج معهم فمنعه بنوه بأمر رسول الله ﷺ لشدة عرجه فلما كان يوم أحد قال لبنيه : منعتموني الخروج إلى بدر فلا تمنعوني الخروج إلى أحد ، فقالوا : إن الله قد عذرك . فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه . والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي

هذه في الجنة. فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد عذرك الله ولا جهاد. وقال لبنيه: لا عليكم أن تمنعوه، لعل الله أن يرزقه الشهادة» فأخذ سلاحه وولى وقال: اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خائباً. فلما قتل يوم أحد. قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لقد رأيته يطأ في الجنة بعرجته» (أسد الغابة).

وروى «مسلم» أن أبا موسى الأشعري قال: - وهو بحضرة العدو -: قال رسول الله ﷺ: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف» فقال رجل رث الهيئة: يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم. قال: فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل.

وروى «مسلم» أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض». فقال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض. قال: نعم، قال: بخ بخ، قال: ما يحملك على قولك بخ بخ؟ قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: فإنك من أهلها، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل

منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل .

وأخرج ابن أبى الدنيا عن هشام بن حسان قال : خرجنا حجاجاً فنزلنا منزلاً في بعض الطريق فقرأ رجل كان معنا هذه الآية ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ فسمعته امرأة فقالت : أعد رحمك الله فأعادها . فقالت : خلفت في البيت سبعة أعبد ـ أى سبعة من العبيد الأرقاء - أشهدكم أنهم أحرار ، لكل باب واحد منهم .

وعن أنس : أن أبا طلحة قرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ قال : أرى ربى يستنفرني شاباً وشيخاً جهزوني ، فقال له بنوه : قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى قبض . ومع أبى بكر . ومع عمر فنحن نغزو عنك ، فقال جهزوني فجهزوه فركب البحر فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير .

(أسد الغابة)

وعن حبان بن زيد قال : نفرنا مع صفوان بن عمرو وكان والياً على حمص ، فلقيت شيخاً كبيراً هرماً قد سقط حاجباه على عينه من أهل دمشق على راحلته فيمن أغار ،

فأقبلت عليه فقلت : يا عم لقد أعذر الله إليك ، قال فرفع حاجبيه فقال : يا ابن أخي استنفرنا الله خفافاً وثقالاً إلا أنه من يحبه الله يبتليه ثم يعيده فيبقيه ، وإنما يبتلى الله من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يعبد إلا الله.

(أخرجه الطبري وأورده ابن كثير).

وقال الحسن البصري : إن المؤمنين قوم ذلت والله منهم الأسماع والأبصار والأبدان حتى حسبهم الجاهل مرضى وهم والله أصحاب القلوب ، ألا تراه يقول ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾ والله لقد كابدوا فى الدنيا حزناً شديداً وجرى عليهم ما جرى على من كان قبلهم والله ما أحزنهم ما أحزن الناس ولكن أبكاهم وأحزنهم الخوف من النار.

ونظر عمر بن عبد العزيز إلى رجل عنده متغير اللون. فقال له : ما الذى أرى بك ، قال : أسقام وأمراض يا أمير المؤمنين إن شاء الله . فأعاد عليه عمر ، فأعاد عليه الرجل مثل ذلك ثلاث مرات. فقال : إذا أبيت إلا أن أخبرك ، فإنى ذقت حلاوة الدنيا فصغر فى عيني زهرتها وملاعبها ، واستوى عندي حجارتها وذهبها ، ورأيت كأن الناس

يساقون إلى الجنة وأنا أساق إلى النار؛ فأسهرت لذلك ليلي وأظمأت له نهاري وكل ذلك صغير حقير في جنب عفو الله وثواب الله ـ عز وجل ـ وجنب عقابه.

فاللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل آمين(*).

(*) هذه المقدمة مستلة من إحدى افتتاحيات مجلة التوحيد وذلك لعام ١٤١٤هـ فرحم الله الشيخ فقد كان التوحيد ودفع وسائل الشرك من أهم أغراضه في دعوته ومقالاته.

التبرك المشروع والممنوع

عن أبي جحيفة عن أبيه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالأبطح في قبة حمراء من أدم وكان بالهاجرة، ورأيت بلالاً خرج فنادى بالصلاة، فجعلت أتتبع فاه ههنا وههنا بالأذان، ثم دخل فأخرج فضل وضوء رسول الله ﷺ، ورأيت الناس يبتدرون ذاك الوضوء، فمن أصاب منه شيئًا تمسح به، ومن لم يصب منه شيئًا أخذ من بلل يد صاحبه، ثم رأيت بلالاً دخل فأخذ عَنَزَةً فركزها بين يدي رسول الله ﷺ، وأقام الصلاة، وخرج النبي ﷺ في حلة حمراء مشمراً كأني أنظر إلى وبيص ساقيه، فركز العنزة، ثم صلى إلى العنزة بالناس الظهر ركعتين والعصر ركعتين، ورأيت الناس والدواب (وفي رواية: الحمار والمرأة) يمرون بين يدي العنزة (وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم). قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب من رائحة المسك. (متفق عليه).

كان ذلك في اليوم الذي يستعد فيه الحجيج الذين تأخروا مع رسول الله ﷺ في الحج إلى الثالث عشر من ذي الحجة ليرحلوا إلى ديارهم، وكذلك من التبرك بآثار النبي ﷺ ما كان في يوم العاشر من ذي الحجة بعد رمي جمرة العقبة والنحر، كما أخرج مسلم في كتاب الحج عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أتى منى فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال للحلاق: (خذ) وأشار إلى جانبه الأيمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس، ثم قال بالأيسر فصنع مثل ذلك، ثم قال: (ههنا أبو طلحة؟)، فأعطاه إياه.

قال النووي في شرحه لـ(مسلم): (في الحديث فوائد منها: التبرك بشعره ﷺ وجواز اقتنائه للتبرك).

التبرك بآثار النبي ﷺ:

وحديثنا حول التبرك بآثاره ﷺ، نوضح فيه التبرك المشروع، والتبرك الممنوع لوقوع كثير من الناس في الخلط بين الأمرين، والاستدلال على أحدهما بأدلة الآخر حتى وقع في ذلك بعض من ينتسبون للعلم، ثم نذكر التبرك بالصالحين وقياسهم على رسول الله ﷺ في ذلك، فنقول مستعينين بالله عز وجل.

التبرك بآثاره ﷺ ؛ بالآثار الجسمية كالشعر والعرق، وفضل ماء الوضوء واللعاب، والدم وما شابه ذلك، لا يتعدى إلى الآثار المكانية كالشجرة التي بايع تحتها، أو الأماكن التي صلى فيها، لذا كان قطع عمر رضي الله عنه للشجرة التي بايع تحتها لما تخلف إليها رجال يتعبدون تحتها، ونهى عن تتبع المواضع التي سجد فيها مع أن تتبع ابن عمر في ذلك إنما كان لتمام الاقتداء بالنبي ﷺ، أما نهي عمر رضي الله عنه فكان سدًا للذريعة؛ لكي لا يتخذها الناس مكان تَعَبُّد، فإذا تقادم العهد ومضى الزمان أفضى ذلك بهم إلى الوقوع في الشرك.

وإنما وقع كثير من الناس قديمًا وحديثًا في الشرك بسبب ذلك، فكان المسافر في الجاهلية يأخذ من أحجار البيت التي عند الكعبة فيطوف حولها، ويتمسح بها، لذا جاء الشرع بسدِّ الذريعة في التبرك بمثلها، حتى أن حديثي العهد بالإسلام لَمَّا طلبوا من النبي ﷺ يوم حنين أن يجعل لهم ذات أنواط قال لهم: (الله أكبر إنها السنن، قلتم والله كما قال بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا آلها كما لهم آلهة).

هذا وقد كتب بعض الصحافيين في جريدتي المدينة والجزيرة السعوديتين وغيرهما، يدعون المسئولين لإحياء وتجديد الأماكن الأثرية لتصبح مصدر دخل للبلاد، ويعلق على ذلك العلامة ابن باز في فتاويه (ج٣ ص٣٣٥) بقوله: (إن العناية بالآثار على الوجه الذي ذكر يؤدي إلى الشرك بالله جل وعلا، لأن النفوس ضعيفة مجبولة على التعلق بما تظن أنه يفيدها، والشرك بالله أنواعه كثيرة غالب الناس لا يدركها، والذي يقف عند هذه الآثار سواء كانت حقيقية أو مزعومة بلا حجة، يتضح له كيف يتمسح الجهلة بترابها وما فيها من أشجار أو أحجار، ويصلي عندها ويدعو من نسبت إليه ظنًّا منهم أن ذلك قربة إلى الله سبحانه لحصول الشفاعة وكشف الكربة، ويعين على هذا كثرة دعاة الضلال الذين تربت الوثنية في نفوسهم، والذين يستغلون مثل هذه الآثار لتضليل الناس وتزيين زيارتهم لهم حتى يحصل بسبب ذلك على بعض الكسب المادي، وليس هناك غالبًا من يخبر زوارها بأن المقصود العبرة فقط، بل الغالب العكس) (انتهى).

ويشرع في الحج والعمرة والزيارة وغيرهما:

الطواف بالبيت وتقبيل الحجر الأسود، أو استلامه باليد وتقبيلها، أو بأداة كالعصى وتقبيلها، وكذلك استلام الركن اليماني بغير تقبيل ولا استخدام بديل من عصى أو نحوها، أو إشارة إذا لم يستطع الوصول إليه لزحام أو عجز، أو غير ذلك.

ويسن الصلاة في الحجر وخلف مقام إبراهيم بغير استلام ولا تمسح، ويسن الشرب من زمزم والإفاضة منها على بعض الجسد، والدعاء والصلاة في أي موضع من المسجد مضاعفة الأجر، بل في كل مكة على الراجح من أقوال العلماء، ويشرع السعي بين الصفا والمروة والدعاء عليهما، والإسراع في بطن الوادي.

وكل ما سبق لا يقيد بوقت، إنما يشرع للمسلم دائماً في حج أو عمرة أو غيرها إلا السعي، فلا يكون إلا بعد طواف واجب، كما يشرع المبيت بمنى في ليلة عرفة وليالي التشريق الثلاث والوقوف بعرفة يوم عرفة وليلة النحر إلى الفجر والسنة النزول بعد غروب الشمس، ويشرع المبيت بمزدلفة وصلاة الفجر بها، والدعاء مستقبلا القبلة إلى شروق الشمس، كما يشرع في جمرة العقبة يوم النحر

والجمار الثلاث في أيام التشريق، ويشرع الدعاء عقب الجمرة الأولى والثانية في الأيام الثلاثة، وكل هذا لا يشرع في غير الحج.

أما في المدينة النبوية المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فيشرع السفر إلى المسجد النبوي والصلاة فيه، ويشرع قصد الروضة وهي بين المسجد والبيت لحديث النبي ﷺ: (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة)، كما يشرع زيارة قبر النبي ﷺ، وقبري صاحبيه: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما والسلام عليهما، ولا يشرع الدعاء ولا التمسح.

كما يسن زيارة مسجد قباء والصلاة فيه، وزيارة البقيع والسلام على أهله، والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة، ويسن زيارة شهداء أحد للسلام عليهم والدعاء والاستغفار لهم.

هذا وفي مكة المكرمة لا يجوز التمسح بالمقام وجدران الكعبة والكسوة، فهي من البدع المنكرة، ولا أصل لها في الشريعة فضلاً عن الطلب من الكعبة أو دعائها، فكل ذلك من البدع المنكرة، ولا يتبرك بزيارة مسجد في مكة غير

المسجد الحرام، وإنما يصلى فيها مع الناس بغير قصد إليها لشرفها وبركتها، وبعض المساجد يقصدها العوام ويفعلون عندها بعض الأعمال الشركية والبدعية مثل: مسجد الراية، ومسجد الجن، ومسجد الإجابة، ومسجد أبي بكر الصديق، ومسجد بيعة العقبة بمنى، وقد ذكر الهيثمي في كتابه (تحفة الزوار) جملة كبيرة من الأماكن المبتدعة التي يزورها أهل البدع والجهال، وكذلك لا يتبرك بالجبال كجبل حراء المسمى بجبل النور، ولا تشرع زيارة الغار ولا الصعود إليه ولا الصلاة عنده، وكذلك جبل ثور، ولا يشرع صعود جبل الرحمة بعرفات، ولا جبل أبي قبيس، ولا جبل ثبير، ولا يشرع التبرك بأي دار في مكة كدار خديجة، أو دار الأرقم.

أما في المدينة فلا يشرع التمسح بالجدران والأعمدة بالمسجد النبوي ولا غيره من جدران ولا أبواب ولا محاريب ولا منبر، وليس من القربات قصد المساجد بالمدينة غير المسجد النبوي وقباء، أما زيارة مسجد الجمعة، ومسجد القبلتين، ومسجد الإجابة، ومسجد الفتح، أو المساجد

السبعة، ومسجد الغمامة فهو من البدع، فلا يشرع فعله، وكذلك لا يشرع التبرك ببعض الجبال والآبار.

ولا يشرع شد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة للصلاة فيها، ولا يتمسح بتراب مسجد منها فضلاً عن غيرها، ولا بالأبواب أو النوافذ، ولا التقبيل لشئ فيها إلا الحجر الأسود فقط والبدع لا تقع تحت حصر، فما كان دون المشروع من هذه المشاعر فهو مبتدع.

وزيارة قبر النبي ﷺ بدون شد الرحال إليها من القربات المشروعة والأعمال الفاضلة، ولكن بعض الزائرين يقع في البدع والشرك بسؤاله ﷺ أو الاستغاثة به ونحو ذلك، ومن البدع استقبال القبر عند دعاء ربه، ومن أرذل البدع الطواف بالقبر أو التمسح به أو تقبيله، وكذلك إلصاق البطن أو الظهر بجدار الحجرة أو التبرك برؤية القبر من البدع المذمومة.

وقد قال النووي في (إيضاح المناسك): (يكره مسحه باليد وتقبيله - أي: القبر الشريف - بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ، هذا هو

الصواب، وهو الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه، وينبغي أن لا يغتر بكثير من العوام في مخالفتهم ذلك، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بأقوال العلماء ولا يلتفت إلى محدثات العوام وجهالاتهم، ولقد أحسن السيد الجليل أبو علي الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى في قوله ما معناه:

اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين.

ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهله وغفلته، لأن البركة إنما هي في ما وافق الشرع وأقوال العلماء، وكيف يبتغي الفضل في مخالفة الصواب؟).

وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، فقال:

(لا تجعلوا قبري عيداً)، وقال: (اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد).

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى:

من أعظم ما منَّ الله به على رسوله ﷺ وعلى أمته، أن استجاب منه دعاءه حيث دفن رسول الله ﷺ في بيته

بجانب مسجده فلا يقدر أحد أن يصل إلا إلى المسجد، والعبادة المشروعة في المسجد معروفة بخلاف ما لو كان قبره منفرداً عن المسجد)[1].

هذا والتبرك بقبره ﷺ والدعاء عنده لم يفعله أحد من الصحابة، ولا من التابعين، ولا أحد من أئمة الهدى.

وقال ابن وضاح ـ وهو من أئمة القرن الثالث الهجري ـ في كتاب (البدع والنهي عنها) (ص٤١):

(عن مروان بن سويد قال: خرجت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من مكة إلى المدينة، فلما أصبحنا صلى بنا الغداة، ثم رأى الناس يذهبون مذهباً فقال: أين يذهب هؤلاء؟ قيل: يا أمير المؤمنين! مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ هم يأتون يصلون فيه، فقال: (إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا، يتبعون آثار أنبيائهم، فيتخذونها كنائس وبيعاً، من أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل، ومن لا فليمض ولا يتعمدها).

قال ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» (ص٦٦):

(١) (الرد على الإخنائي) (ص١٠٢، ١٠٣).

﴿ ومعلوم أن مجرد زيارة قبره كالزيارة المعروفة للقبور غير ممكن، ولو كان في زيارة قبره عبادة زائدة للأمة لفتح باب الحجرة ومكنوا من فعل تلك العبادة عند قبره، وهم لم يمكنوا إلا من الدخول إلى مسجده، والذي يشرع في سائر المساجد لكن مسجده أفضل من سائرها غير المسجد الحرام.

وما يجده المسلم في قلبه من محبته والشوق إليه والأنس وذكر أحواله، فهو مشروع له في كل مكان، وليس في مجرد زيارة ظاهر الحجرة ما يوجب عبادة لا تفعل بدون ذلك، بل نهى عن أن يتخذ ذلك المكان عيداً، وأمر أن يصلى عليه حيث كان العبد ويسلم عليه، فلا يخص بيته وقبره بصلاة عليه ولا تسليم، فكيف بما ليس كذلك ؟ ﴾.

ثم قال: ﴿ وأما ما شرعه لهم من الصلاة والسلام عليه في كل مكان وأن لا يتخذوا بيته عيداً ولا مسجداً، ومنعهم من أن يدخلوا إليه ويزوروه كما تزار القبور، فهذا يوجب كمال توحيدهم للرب ـ تبارك وتعالى ـ وكمال إيمانهم بالرسول ﷺ ومحبته وتعظيمه حيث كانوا، واهتمامهم بما أمروا به من طاعته، فإن طاعته هي مدار السعادة وهي

الفارقة بين أولياء الله وأعدائه، وأهل الجنة وأهل النار، فأهل طاعته هم أولياء الله المتقون، وجنده المفلحون، وحزبه الغالبون، وأهل مخالفته ومعصيته بخلاف ذلك، والذين يقصدون الحج إلى قبره وقبر غيره، ويدعونهم ويتخذونهم أندادًا ؛ من أهل معصيته ومخالفته لا من أهل طاعته وموافقته، فهم في هذا الفعل من جنس أعدائه لا من جنس أوليائه وإن ظنوا أن هذا من موالاته ومحبته، كما يظن النصارى أن ما هم عليه من الغلو في المسيح والتبرك به من جنس محبته وموالاته، وكذلك دعاؤهم للأنبياء كإبراهيم وموسى وغيرهما عليهم السلام، ويظنون أن هذا من محبتهم وموالاتهم، وإنما هو من جنس معاداتهم، ولهذا يتبرءون منهم يوم القيامة، وكذلك الرسول ﷺ يتبرأ ممن عصاه وإن كان قصده تعظيمه والغلو فيه قال تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ(٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤-٢١٦]، فقد أمر الله المؤمنين أن يتبرءوا من كل معبود غير الله ، ومن كل من عبده، قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ

إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة: ٤]، ثم قال: ولهذا تجد العاكفين على قبور الأنبياء والصالحين من أبعد الناس عن سيرتهم ومتابعتهم، وإنما قصد جمهورهم للتآكل والترأس بهم، فيذكرون فضائلهم ليحصل لهم بذلك رئاسة أو مأكلة لا ليزدادوا لهم حبًّا وخيراً) (انتهى بتصرف).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم) (ص٦٤٤):

(فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم تستحب الشريعة ذلك فهو من المنكرات وبعضه أشد من بعض، سواء كانت البقعة شجرة أو عين ماء أو قناة جارية أو جبلاً أو مغارة، وسواء قصدها ليصلي عندها، أو ليدعو عندها، أو ليقرأ عندها، أو ليذكر الله سبحانه عندها، أو ليتنسك عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لا عينًا ولا نوعًا، وأقبح من ذلك أن ينذر لتلك البقعة دهنًا لتنور به، ويقال: إنها تقبل

النذر، كما يقول بعض الضالين، فإن هذا النذر نذر معصية بإتفاق العلماء، ولا يجوز الوفاء به).

ويقول ابن عثيمين في (القول المفيد) ج١ص١٩٤) :

(من التبرك الباطل : التبرك بالأماكن المباركة على غير ما ورد في الشرع كتقبيل أبواب المساجد، والتمسح بأعتابها، والاستشفاء بتربتها، ومثل ذلك التمسح بجدار الكعبة، أو مقام إبراهيم، وغير ذلك، ومن ذلك أيضًا الذهاب إلى القبور لا لقصد الزيارة، وإنما لقصد الدعاء عندها لأجل بركتها واعتقاد أن الدعاء عندها أفضل).

قال شيخ الإسلام في (الفتاوى) (ج١٧ ص٤٦٠) :

(وإنما المقصود أن أصل الشرك في العالم كان من عبادة البشر الصالحين وعبادة تماثيلهم، وهم المقصودون، لذلك سدَّ النبي ﷺ هذا الباب، ففي (صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال قبل أن يموت بخمس : (إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك)، وفي (الصحيحين) أنه ﷺ ذكر له كنيسة بأرض الحبشة وذكر من حسنها وتصاوير

فيها، فقال: (إن أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا عليه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة).

وفي (الصحيحين) أنه قال في مرض موته: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا). قالت عائشة رضي الله عنها: «ولولا ذلك لأبرز قبره».

ولما كان اتخاذ القبور مساجد، وبناء المساجد عليها محرماً، ولم يكن شيء من ذلك على عهد الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولم يعرف قط مسجد على قبر، وكان الخليل ـ عليه السلام ـ في المغارة التي دفن فيها وهي مسدودة لا أحد يدخل إليها، ولا تشد الصحابة الرحال لا إليه ولا إلى غيره من المقابر ـ فكان الصحابة يأتي من يأتي منهم إلى المسجد الأقصى يصلون فيه، ثم يرجعون لا يأتون مغارة الخليل ولا غيرها، وكانت مغارة مسدودة حتى استولى النصارى على الشام في أواخر المائة الرابعة، ففتحوا الباب، وجعلوا ذلك المكان كنيسة، ثم لما فتح المسلمون

البلاد اتخذه بعض الناس مسجداً، وأهل العلم ينكرون ذلك، والذي يرويه بعضهم في حديث الإسراء أنه قيل للنبي ﷺ: هذه طيبة انزل فصل، فنزل فصلى، هذا مكان أبيك انزل فصل، كذب موضوع لم يصل النبي ﷺ تلك الليلة إلا في المسجد الأقصى خاصة).

ويقول شيخ الإسلام أيضاً:

(ما كان أحد من الصحابة يذهب إلى الغار المذكور في القرآن للزيارة والصلاة فيه، ولا كانوا يذهبون إلى غار حراء - وهو المكان الذي كان يتعبد فيه قبل النبوة -، وفيه نزل عليه الوحي أولاً، فلم يكن هو ولا أصحابه يذهبون إلى غار حراء، وصلى النبي ﷺ بمقام إبراهيم ولم يستلمه، ولم يقبله، فدل ذلك على أن التمسح بحيطان الكعبة غير الركنين اليمانيين، وتقبيل شيء منهما غير الحجر الأسود ليس بسنة، ودل على أن استلام مقام إبراهيم وتقبيله ليس بسنة، وإذا كان هذا بنفس الكعبة ونفس مقام إبراهيم بها فمعلوم أن جميع المساجد حرمتها دون حرمة الكعبة، وأن مقام إبراهيم بالشام وغيرها وسائر مقامات الأنبياء دون

المقام الذي قال الله فيه: ﴿ واتَّخِذُواْ من مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥]، فعلم أن سائر المقامات لا تقصد للصلاة فيها، كما لا يحج إلى سائر المشاهد، ولا يتمسح بها، ولا يقبل شيءٌ من مقامات الأنبياء ولا المساجد ولا الصخرة، ولا غيرها، ولا يُقبل ما على وجه الأرض إلا الحجر الأسود.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع الفتاوى) (ج١٧ ص٤٦٣):

(ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان في سفر فرأى قومًا يتناوبون مكانًا للصلاة فقال: ما هذا ؟ فقالوا: هذا مكان صلى فيه رسول الله ﷺ، فقال: إنما هلك من كان قبلكم بهذا، إنهم اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد، من أدركته الصلاة فليصل، وإلا فليمض، وبلغه أن قومًا يذهبون إلى الشجرة التي بايع النبي ﷺ أصحابه تحتها، فأمر بقطعها، وأرسل إلى أبي موسى يذكر له أنه ظهر بتستر قبر دانيال، وعنده مصحف فيه أخبار ما سيكون، قد ذكر فيه أخبار المسلمين، وأنهم إذا أجدبوا كشفوا عن القبر فمطروا،

فأرسل إليه عمر يأمره أن يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً ويدفنه بالليل في واحد منها لئلا يعرفه الناس، لئلا يفتنوا به.

فاتخاذ القبور مساجد مما حرمه الله ورسوله، وإن لم يبن عليها مسجدٌ، فكان بناء المساجد عليها أعظم، كذلك قال العلماء: يحرم بناء المساجد على القبور، ويجب هدم كل مسجد بني على قبر، وإن كان الميت قد قبر في مسجد وقد طال مكثه سوي القبر حتى لا تظهر صورته.

وأيضاً فالنبي ﷺ لم يصل بمسجد إلا المسجد الحرام، ولم يأت للعبادات إلا المشاعر: منى ومزدلفة وعرفة. فلهذا كان أئمة العلماء على أنه لا يستحب أن يقصد مسجدٌ بمكة للصلاة غير المسجد الحرام، ولا تقصد بقعة للزيارة غير المشاعر التي قصدها رسول الله ﷺ، وإذا كان هذا في آثارهم، فكيف بالمقابر التي لعن رسول الله ﷺ من اتخذها مساجد، وأخبر أنهم شرار الخلق عند الله يوم القيامة.

وكذلك نَذْكُر الله ونَدْعُو بعرفات وبمزدلفة وبالصفا والمروة، وبين الجمرات وعند الرمي، ولا نقصد هذه البقاع

للصلاة، وأما غير المساجد ومشاعر الحج، فلا تقصد بقعة لا للصلاة ولا للذكر ولا للدعاء، بل يصلي المسلم حيث أدركته الصلاة لا حيث نهي، ويذكر الله ويدعوه حيث تيسر من غير قصد تخصيص بقعة بذلك).

يقول ابن عثيمين في (القول المفيد) (ج١ص١٩٥): (الأمكنة التي صلى فيها الرسول ﷺ اتفاقًا كأن يكون في سفر، ونحو ذلك ولم يقصد تخصيصها بالصلاة فيها، فإنه لا يشرع تتبعها والتقرب إلى الله بالصلاة فيها، لأنها لم تكن مقصودة لذاتها، ومن باب أولى الأماكن التي ارتبطت بحوادث نبوية كغار حراء، وغار ثور، وموقعة بدر، ومكان شجرة بيعة الرضوان التي يقال لها: شجرة الرضوان، فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فأوعدهم فيها وأمرهم بقطعها). ثم يقول: (ومن ذلك تخصيص أزمنة معينة بنوع من التعظيم والاحتفالات والعبادات كيوم مولد الرسول ﷺ ويوم الإسراء والمعراج، ويوم الهجرة، ويوم بدر، وفتح مكة، وغير ذلك كالتبرك بالأزمنة على هذا النحو من البدع).

ويقول رحمه الله تعالى: (ومن التبرك الباطل: التبرك بذوات الصالحين وآثارهم، فلم يؤثر عن أحد من الناس أنه تبرك بوضوء أبي بكر أو عرقه أو ثيابه أو ريقه، أو غير ذلك، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي، وإنما كان الصحابة يتبركون بوضوء النبي ﷺ وجسمه وعرقه وريقه وشعره وملابسه، وهذا خاص بالنبي ﷺ لا يجوز أن يقاس عليه أحد من الصالحين، ولو كانوا الخلفاء الراشدين، أو العشرة المبشرين فضلاً عن غيرهم، لأن التبرك عبادة مبناها على التوقيف والاتباع).

وفي (محاسن التأويل) عند الآية (رقم ١٣٩) من سورة الأعراف.

قال الرازي: (أجمع كل الأنبياء - عليهم السلام - على أن عبادة غير الله تعالى كفر سواء اعتقد في ذلك الغير كونه إلهاً للعالم، أو اعتقد أن عبادته تقرب إلى الله تعالى، لأن العبادة نهاية التعظيم، فلا تليق إلاَّ بمن يصدر منه غاية الإنعام، وهي بخلق الجسم والحياة والشهوة والقدرة والعقل

وخلق الأشياء المنتفع بها، والقادر على هذه الأشياء ليس إلا الله تعالى، فوجب أن لا تليق العبادة إلا به) (انتهى).

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم، يقال لها: (ذات أنواط)، فقالوا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فقال لهم رسول الله ﷺ: (سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده! لتركبن سنن من كان قبلكم)[2].

وقال الإمام أبو بكر الطرطوشي المالكي:

(انظروا - رحمكم الله - أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمونها، ويرجون البرء والشفاء من قِبَلِها، ويضربون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط فاقطعوها).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، وأحمد (٥ / ٢١٨) والحميدي (٢ / ٣٧٥)، وقال الترمذي: حسن صحيح

وقال الحافظ أبو شامة الشافعي في كتاب (البدع والحوادث).

(وقد عم الابتلاء بتزيين الشياطين للعامة تخليق الحيطان والعمد فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها، وهي من بين عيون وشجر وحائط وحجر، ثم شرح شجرة مخصوصة، فقال: ما أشبهها بذات أنواط التي في الحديث) محاسن التأويل (ج٧).

وقد ذكر ابن القيم في (إغاثة اللهفان) فصلاً بديعاً في حيل الشيطان على القبوريين، جاء فيه عن مفاسد اتخاذها أعياداً: الصلاة إليها والطواف بها وتقبيلها، واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها، والاستعانة بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية، وقضاء الدين، وتفريج الكرب، فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيداً، وقد نزلوا عن الدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا

الجباه على الأرض وقبلوها، وكشفوا الرءوس، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج، فتراهم حول القبر ركعًا سجدًا يبتغون فضلاً من الميت ورضوانًا.. (حتى قال): وكانت صلاتهم ونسكهم وقرباتهم لغير الله تعالى فلو رأيتهم يهنئ بعضهم بعضا (حتى قال): هذا ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم، إذ هي فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال، (ثم نقل ابن القيم عن ابن عقيل كلامًا في تعظيم القبور، فليراجع الفصل بتمامه في (إغاثة الله فان) (ج١ ص٢١٣)، وما بعدها).

وقال ابن تيمية: النذر لأولئك السدنة المجاورين في هذه البقاع التي لا فضل في الشريعة للمجاور بها نذر معصية، وفيه شبه من النذر لسدنة الصلبان والمجاورين عندهم أو لسدنة الأبداد التي بالهند والمجاورين عندها.

(وقال أيضًا): فإن تعظيم مكان لم يعظمه الشرع شر من تعظيم زمان لم يعظمه، فإن تعظيم الأجسام بالعبادة

عندها أقرب إلى عبادة الأوثان من تعظيم الزمان؛ حتى أن الذي ينبغي هو تجنب الصلاة فيها، وإن كان المصلي لا يقصد تعظيمها لئلا يكون ذلك ذريعة لتخصيصها بالصلاة فيها، كما ينهى عن الصلاة عند القبور، وإن لم يكن المصلي يقصد الصلاة لأجلها.

فصل
في ذكر بعض من صنف في هذا الموضوع والسبب في ذلك

حول هذا الموضوع كتب كثير من أهل العلم كتبًا قيمة منها:

١ - (التبرك أنواعه وأحكامه) للدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع، وهو كتاب كبير في أكثر من خمسمائة صفحة.

٢ - (التبرك المشروع والتبرك الممنوع) د. علي بن نفيع العلياني، وهو كتاب صغير يقع في قرابة مائة صفحة.

٣ - (غاية الأماني في الرد على النبهاني)، للعلامة محمد شكري الآلوسي، وهو يقع في مجلدين كبيرين.

٤ - (صيانه الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان)، للشيخ محمد بشير السهسواني الهندي، ويقع في أكثر من خمسمائة صفحة.

٥ - (مفاهيم يجب أن تصحح)، للشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، وهو مجلد كبير.

٦ - (التوسل أنواعه وأحكامه) للشيخ الألباني.

٧ - (التوسل والوسيلة) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٨ - (الصارم المنكي في الرد على السبكي) لابن عبد الهادي، وهو مجلد كبير.

٩ - (ما هكذا تعظم الآثار) للعلامة الشيخ عبد العزيز بن باز.

١٠ - (حوار مع المالكي) للقاضي عبد الله بن منيع.

فضلاً عن فصول في الكتب التي تحدثت عن البدع ككتاب أبي شامة، وكتاب (الاعتصام) للشاطبي، وكتاب (البدع) لابن وضَّاح، وفصول في كتب التفسير والحديث والسيرة والتاريخ وغيرها.

وذلك يدل على خطورة هذا الموضوع، وأنه باب واسع من أبواب الشرك. ومن عجائب ما نشر في ذلك كتاب ضخم بعنوان (رسائل الشافعي) للدكتور: سيد عويس الذي قام بتحليل الرسائل التي يحملها البريد إلى قبر الشافعي يستغيثون ويستنجدون به، ويقوم رجال البريد بتوصيلها، والكتاب يقع في قرابة ٤٠٠ صفحة، أما كتاب

(تحفة الزوار إلى قبر النبي المختار) وهو كتاب يحتج للبدع، ويدعو لها، وقد حققه شاب نابه أحسن في تعليقاته فقال في هامش (ص٢٤):

أولاً: ما استنبطه بعضهم بأنه يجوز تقبيل كل من يستحق من آدمي وغيره قياساً على مشروعية تقبيل الحجر الأسود هو قياس مردود مخالف للنص الشرعي، فإن قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند تقبيل الحجر الأسود: لولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك، فيه الدلالة على وجوب الوقوف عند النص الشرعي، وأنه لا يُقَبل إلا ما قبله النبي ﷺ ـ أو أذن في تقبيله وأباحه ـ وما لم يأت الإذن من الشارع ﷺ في تقبيله شيء، فوجب الكف عن تقبيله لا سيما أن الذي يقبل إنما يقبل تعبداً وتقرباً إلى الله، فإن العبادة مبناها على الاتباع، و (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد). وما أحسن ما نقله ابن حجر في (فتح الباري) في تقبيل عمر للحجر الأسود قال: قال شيخنا في (شرح الترمذي): فيه كراهة تقبيل ما لم يرد الشرع بتقبيله.

ثانيًا: أن إباحة تقبيل الصالحين هو فتح لباب الشرك على مصراعيه أمام عوام المسلمين وجهالهم لا سيما في هذه الأزمان التي قل فيها العلم، وفشا فيها الجهل، وبدأ فيها قبض العلماء الصالحين المتبعين للسنة، القائلين بها، والعاملين بمقتضاها، وقد حرص النبي ﷺ على سد كل ذريعة توصل إلى الشرك، وتؤدي إليه (حتى قال): والذين يقبلون قبور الصالحين - في معظمهم - يعتقدون فيها النفع والضر، وأن أصحاب هذه القبور لهم من التأثير بعد مماتهم في الأحوال التي تمر بالناس، وأنهم يستطيعون أو يساعدون على كشف الضر، وجلب النفع، وأن لهم بركة وجاهًا عند الله سبحانه وتعالى، ونحو ذلك مما هو من الشرك أو من مقدماته (انتهى).

هذا وللشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي، والد مؤسس جماعة الإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا رحمهما الله تعالى، كتاب فذ فريد في بابه اسمه (الفتح الرباني ترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني)، وشرحه (غاية الأماني) وكلاهما للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا

الساعاتي. وهو ناصر للعقيدة السلفية، وله في الكتاب كلام نفيس في موضوعنا هذا رأيت أن أنقله بنصه من الجزء الثالث والجزء الثاني عشر -رغم طول ذلك الكلام، ومع أن بعضه سيتكرر بعد، إلا أنني آمل أن يطلع الناس على الحق بكلام عالم معاصر أغفل الناس كتبه وعلمه الجليل.

والكتاب ومؤلفه يحتاجان إلى تعريف منصف، وترجمة وافية، ومن قرأ مقدمة الجزء الأول، وقرأ ما كتبه من عاش بعده من أبنائه في الجزء الثاني والعشرين عرف أموراً جليلة عن الشيخ.

والكتاب يقع في أربعة وعشرين جزءاً، مات الشيخ رحمه الله تعالى وقد انتهى إلى الجزء الثاني والعشرين من غاية الأماني عند ذكر فضائل جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، وكانت وفاته رحمه الله تعالى ظهر الأربعاء ٨ جمادي الأولى سنة ١٣٧٨ الموافق ١٩ نوفمبر ١٩٥٨ ميلادية، أي: بعد وفاة ولده الشيخ حسن البنا رحمه الله بقرابة عشرة أعوام. كانت حافلة بالجهود العلمية الواضحة، وقد بدأ رحمه الله في كتابه سنة ١٣٤٠ للهجرة، أي والشيخ حسن ابن ست سنين، وانتهى من تبييض الفتح

الرباني سنة ١٣٥٢ للهجرة. أي مكث أحد عشر عامًا هجريًا في ذلك.

قال الشيخ رحمه الله تعالى في (الفتح الرباني) (جـ٣ ص٧٣): -

أحاديث الباب تدل على تحريم اتخاذ المساجد على قبور الأنبياء والصالحين؛ لأن في الصلاة فيها استنانًا بسنة اليهود والنصارى. وقد نهينا عن التشبه بهم في العادات فما بالك بالعبادات. وقد لعنهم النبي ﷺ على هذا الاتخاذ.

فأحاديث الباب برهان قاطع لمواد النزاع، وحجة نيرة على كون هذه الأفعال جالبة للعن، واللعن أمارة الكبيرة المحرمة أشد التحريم، فمن اتخذ مسجداً رجاء بركته في العبادة، ومجاورة روح ذلك الميت، فقد شمله الحديث شمولاً واضحًا كشمس النهار، ومن توجه إليه في صلاته خاضعًا له. مستمداً منه، فلا شك أنه أشرك بالله، وخالف أمر رسول الله ﷺ في أحاديث الباب وما في معناها، ولم تشرع الزيارة في ملة الإسلام إلا للعبرة والزهد في الدنيا، وتذكّر الآخرة، والدعاء بالمغفرة للموتى، نسأل الله السلامة.

قال النووي رحمه الله : قال العلماء : إنما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفًا من المبالغة في تعظيمه، والافتتان به. فربما أدَّى ذلك إلى الكفر، كما جرى لكثير من الأمم الخالية، ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها مدفن رسول الله ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بنوا على القبر حيطانًا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد فيصلي إليه العوام، ويؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جدارين في ركني القبر الشماليين، وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر، ولهذا قال في الحديث - يعني حديث مسلم - (ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً).

وقال الشيخ - أيضًا - في (الفتح الرباني) (جـ١٢ ص٣٩) : ذكر بعض شراح البخاري عن بعض العلماء جواز تقبيل قبره ﷺ ومنبره وقبور الصالحين وأيديهم ؛ لأجل

التبرك بذلك قياساً على تقبيل الحجر الأسود، ولا أوافقهم على هذا، بل ما ورد فيه نص صحيح صريح عن الشارع قبلناه وعملنا بمقتضاه ومالا فلا.

نعم ورد أن بعض الصحابة قبَّل يد النبي ﷺ وبعضهم قبَّل جبهته، وقبَّل بعض التابعين يد بعض الصحابة، وسيأتي ذلك في أبواب المصافحة، وتقبيل اليد من كتاب الأدب إن شاء الله تعالى، وعلى هذا فيجوز تقبيل يد الصالحين والوالدين، ومن ترجى بركتهم. أما تقبيل قبره ﷺ ومنبره وقبور الصالحين فلم يرد أن أحداً من الصحابة أو التابعين فعل ذلك، بل ورد النهي عنه. فقد روى أبو داود بسند حسن من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)، ولهذا الحديث شواهد صادقة من أوجه مختلفة، منها: عن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجئ إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها، فيدعو فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: (لا تتخذوا قبري عيداً، ولا

بيوتكم قبوراً، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم)، رواه الضياء في (المختارة)، وأبو يعلى والقاضي إسماعيل[٣].

وقال سعيد بن منصور في «سننه»:

حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرني سهل بن سهيل قال: رآني الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال: هلم إلى العشاء، فقلت: لا أريده؛ فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إذا دخلت المسجد فسلم، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: (لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء، وفسر الحافظ ابن القيم العيد في قوله ﷺ: (لا تتخذوا قبري عيداً) بما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان مأخوذ من المعاودة والاعتياد، فإذا كان اسماً للمكان فهو المكان الذي

(٣) المختارة (٢ / ٤٩)، ومسند أبي يعلى (١ / ٣٦١)، وأخرجه أيضاً أحمد (٢ / ٣٦١)، وأبو داود (٢٠٤٢).

يقصد فيه الاجتماع والانتياب بالعبادة وبغيرها، كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعله الله تعالى عيداً للحنفاء ومثابة للناس، كما جعل أيام العيد منها عيداً، وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالإسلام أبطلها، وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر كما عوضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وسائر المشاعر اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ: معنى الحديث: لا تعطلوا البيوت من الصلاة فيها، والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة بالبيوت، ونهى عن تحريها عند القبور عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم من هذه الأمة، والعيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد، إما بعود السنة أو الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك، وقوله: (وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) يشير إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم عنه، فلا حاجة إلى اتخاذه عيداً. اهـ

وروى الشيخان، والإمام أحمد[٤] عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال في مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» تقول عائشة: يحذرهم مثل الذي صنعوا (وفي رواية) قالت عائشة: «ولو لا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً».

فهم دفنوه في حجرة عائشة بخلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحراء لئلا يصلي أحد على قبره ويتخذ مسجداً فيتخذ قبره وثناً، ومعلوم أن الأنبياء يدفنون حيث يموتون.

واتفق الأئمة على أنه لا يتمسح بقبر النبي ﷺ ولا يقبله، وهذا كله محافظة على التوحيد، فإن من أصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد كما قالت طائفة من السلف في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] قالوا: هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا على صورهم تماثيل ثم طال عليهم الأمد فعبدوها، وقد ذكر هذا المعنى في (الصحيحين) وعند

---

(٤) البخاري (١٣٢٤)، ومسلم (٥٢٩)، أحمد (٦/ ٣٤، ٨٠، ١٢١).

الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فقال رسول الله ﷺ : (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل يوم القيامة)، وذكره الإمام محمد ابن جرير في تفسيره عن غير واحد من السلف، انظر باب: «النهي عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد للتبرك والتعظيم» (صفحة ٧٣) من كتاب المساجد في الجزء الثالث من كتابنا هذا واقرأ أحكامه وكلام المحققين في ذلك.

وما جرَّ المصائب على عوام الناس، وغرس في أذهانهم أن الصالحين من أصحاب القبور ينفعون ويضرون حتى صاروا يشركونهم مع الله في الدعاء، ويطلبون منهم قضاء الحوائج، ودفع المصائب إلا تساهل معظم المتأخرين من العلماء، وذكر هذه البدع في كتبهم ولا أدري ما الذي ألجأهم إلى ذلك وأحاديث رسول الله ﷺ تحذر منه، أكان هؤلاء أعلم بسنة رسول الله ﷺ من عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث أمر بقطع الشجرة التي بويع تحتها

النبي ﷺ، فقطعها؛ لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها تبركًا، وما أمر عمر رضي الله عنه بقطعها إلا خوفًا من الافتتان بها.

وثبت عنه رضي الله عنه أنه رأى الناس في سفر يتبادرون إلى مكان، فسأل عن ذلك فقالوا: قد صلى فيه النبي ﷺ فقال عمر رضي الله عنه: من عرضت له الصلاة فليصل وإلا فليمض فإنما هلك أهل الكتاب؛ لأنهم تتبعوا آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعًا، وكره الإمام مالك رحمه الله تتبع الأماكن التي صلى فيها النبي ﷺ في طريقه من المدينة إلى مكة سنة حجة الوداع، والصلاة فيها تبركًا بأثره الشريف إلا في مسجد قباء لأنه ﷺ كان يأتيه راكبًا وماشيًا، مع أن الأماكن التي صلى فيها النبي ﷺ لا شيء في الصلاة فيها اقتداء به ﷺ وتبركًا بأثره، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يفعله، ولكن الإمام مالكًا رحمه الله بنى مذهبه على سد الذرائع فرأى أن التساهل في هذا، وإن كان جائزًا، يجر إلى مفسدة بعد تقادم العهد، كاعتقاد وجوب الصلاة في هذه الأماكن، وربما جر إلى أعظم من ذلك، فالاحتياط سد هذا الباب وعدم التساهل فيه، فإن الراعي

حول الحمى يوشك أن يقع فيه، انظر (صفحة ٩٩) في آخر أحكام باب صفة حج النبي ﷺ في الجزء الحادي عشر من هذا الكتاب، ففيه كلام في هذا المعنى، ولنقتصر على ذلك، لأن الكلام في هذا الباب يطول؛ ومن أراد أن يريح نفسه فعليه باتباع ما صح فيه الدليل والله يهدينا جميعاً إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل (انتهى من (الفتح الرباني).

مفهوم البركة

البركة: الزيادة والنماء وقد وردت مادتها في القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها ما خصه الله سبحانه وتعالى بمكان من الأرض كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأعراف: ١٣٧] ومنها ما خص الله سبحانه وتعالى بها رجالاً كما قال تعالى: ﴿ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ﴾ [هود: ٤٨]. ومنها ما جعله الله عز وجل في صفاته كما قال تعالى: ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [النور: ٦١].

فمن الأماكن المباركة: المساجد، خاصة المساجد الثلاثة، لذا فإن بركة المساجد تعم كل من صلى فيها فريضة بمضاعفة الثواب إلى خمس وعشرين أو سبع وعشرين ضعفاً وتزيد المساجد الثلاثة في هذه البركة فتضاعف بخمسمائة وألف ومائة ألف. ولا تتعدى هذه البركة إلى الجدران والأعمدة والتراب والحصى.

ومن الذوات المباركة: ذوات الأنبياء، فتحصل البركة لكل من تبع سنتهم، واقتدى بهم، وسار على هديهم، وعمل بالشرع الذي أنزل عليهم. كما تحصل البركة لمن حاز من آثارهم كشعر وعرق وريق أو غيره مع شرط الإيمان والاقتداء.

يقول الشيخ صالح آل الشيخ في كتابه: (هذه مفاهيمنا) ما ننقل منه ملخصاً:

البركة في ورودها في الكتاب والسنة قسمان:

الأول: بركة ذات، وأثرها أن يكون ما اتصل بتلك الذات مباركًا وهذا النوع للأنبياء والمرسلين لا يشركهم فيه غيرهم حتى أكابر الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي لا يشركونهم في هذه البركة.

ولا يتعدى أثر بركة الأنبياء إلا لمن كان مقتديًا بعمله منته بنهيه ولذا لم تتعد إلى الصحابة بركته ﷺ في معركة (أحد) حين خالفوا أمره وعصوه، هذا النوع من تعدي البركة قد انقطع بعد موت النبي ﷺ إلا ما كان من أجزاء ذاته باقيًا بيقين بعد موته عند أحد.

وقد ذهب ذلك المتيقن مع انقراض قرن الصحابة رضي الله عنهم.

الثاني: بركة عمل واتباع، وهي عامة لكل من وافق عمله سنة النبي ﷺ، فكل مسلم فيه بركة عمل مقدرة بقدر اتباعه، فالعالم بالسنة له بركة عمله والعامل بكتاب الله فيه بركة عمل. وهذه البركة لا تتعدى إلا بالأعمال لا بالذات، لذا قال أسيد بن حضير: (ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر)[5].

ومعلوم أن أسيد بن خضير وغيره لا يبتغي من أبي بكر وآله بركة ذاتٍ في شعره وعرقه وثوبه، وإنما هي بركة عمل وإيمان وتصديق ونصرة واتباع.

ومن ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها لما تزوج النبي ﷺ جويرية بنت الحارث قالت: «فما رأيت امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها»[6].

فهذه بركة عمل لتزوج النبي ﷺ بها فكان أن سبب ذلك عتق كثير في قومها (انتهى).

(٥) أخرجه البخاري (٣٢٧).

(٦) أخرجه أحمد (٦ / ٢٧٧)، وابن حبان في صحيحه (٤٠٥٤).

قال الألباني في (التوسل أنواعه وأحكامه):

لابد من الإشارة إلى أننا نؤمن بجواز التبرك بآثاره ﷺ ولا ننكره خلافًا لما يوهمه صنيع خصومنا، ولكن لهذا التبرك شروطًا منها: الإيمان الشرعي المقبول عند الله فمن لم يكن مسلمًا صادق الإسلام فلن يحقق الله له أي خير بتبركه هذا، كما يشترط للراغب في التبرك أن يكون حاصلاً على أثر من آثاره ﷺ ويستعمله، ونحن نعلم أن آثاره ﷺ من ثياب أو شعر أو فضلات قد فقدت وليس بإمكان أحد إثبات وجود شيء منها على وجه القطع واليقين، وإذا كان الأمر كذلك فإن التبرك بهذه الآثار يصبح أمرًا محضًا فلا ينبغي إطالة القول فيه.

حول أحاديث التبرك

جـاء في البـخـاري في الحـديث الطويل في صلح الحديبيـة : (ثم إن عـروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه قال : فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له. فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك. ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت مليكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسم محمداً ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده. وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً له وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها....)

[البخاري (٢٥٨١)] .

قال ابن حجر في (الفتح): لعل الصحابة فعلوا ذلك بحضرة عروة وبالغوا في ذلك إشارة منهم إلى الرد على ما خشيه من فرارهم وكأنهم قالوا بلسان الحال: من يحب إمامه هذه المحبة ويعظمه هذا التعظيم كيف يظن أنه يفر عنه ويسلمه لعدوه ؟! بل هم أشد اغتباطًا به وبدينه وبنصره من القبائل التي تراعي بعضها بعضًا بمجرد الرحم فيستفاد منه جواز التوصل إلى المقصود بكل طريق سائغ. (انتهى).

ومعنى هذا أن التبرك بمثل هذا مباح وإن كانت المبالغة فيه لشهود عروة بن مسعود الثقفي نائبًا عن قريش وهو وافد الملوك يعجبه أُبَّهة المُلك فواجهه النبي صلى الله عليه وسلم بالذي يعجبه والذي إذا حكاه لقريش لانوا إلى الصلح وعدلوا عن القتال.

ولقد كان موقف الحديبية حافلاً بمثل ذلك، فإنه عندما وفد إليهم من قبل قريش رجل من بني كنانة وهم قوم يعظمون البيت بعثوا الهدي في وجهه واستقبله الناس بالتلبية.

فلما رأى الرجل ذلك قال: سبحان الله!! ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدّوا عن البيت؟! فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت.

هذا وإن مواقف الجهاد وحضور العدو يكون فيها ما لا يكون في سواها من المواقف؛ فهذا أبو دجانة سماك بن خراش رضي الله عنه يسير يوم أحد بسيفه يتبختر أمام العدو، فقال رسول الله ﷺ: «إنها لمشية يبغضها الله ورسوله إلا في مثل هذا الموطن»[٧].

ومثل هذا حديث البخاري ومسلم[٨] عن أبي موسى رَضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال، فأتى النبي ﷺ أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ فقال: له: (أبشر). فقال: قد أكثرت عليَّ من أبشر. فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال: (رد البشرى، فاقبلا أنتما). قالا: قبلنا. ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه ثم قال:

(٧) انظر سير أعلام النبلاء (١/ ٢٤٤-٢٤٥).

(٨) البخاري (٤٠٧٣)، ومسلم (٢٤٩٧).

(اشربا منه، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا) فأخذا القدح ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر: أن أفضلا لأمكما، فأفضلا لها منه طائفة، فكأن ذلك كان في محضر كثير من حديثي العهد بالإسلام فأراد أن يريهم بأمر مباح منزلته عند أتباعه من المسلمين وكيف أنهم يستمعون لأمره ويعظمون قدره.

هذا وأحاديث التبرك بشعره وبوضوئه وقعت غالبها في مثل هذه المواقف كما حدث في أكبر جموعه شهوداً في حلق شعره في حجة الوداع بمنى وفي وضوئه بالأبطح حيث يجتمع الحجاج وحيث يستعدون للرحيل وفيهم من لم يسبق لهم رؤية النبي ﷺ.

هذا فإن كانت الآثار النبوية التي يتبرك بها قد انقطعت فإن رسول الله ﷺ يرشد إلى الأمر الذي لا ينقطع، فلقد أخرج البيهقي في [الشعب ١٥٣٣] عن عبد الرحمن بن أبي قراد أن النبي ﷺ توضأ يوماً فجعل أصحابه يتمسحون بوضوئه، فقال لهم النبي ﷺ: (ما يحملكم على هذا ؟) قالوا: حب الله ورسوله. فقال النبي ﷺ: (من سره أن

يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله فليصدق حديثه إذا حدث، وليؤد أمانته إذا اؤتمن وليحسن جوار من جاور)[٩].

(٩) قال الألباني في (مشكاة المصابيح) رقم (٤٩٩٠): حديث حسن، وخرجته في (الصحيحة) رقم (٢٩٩٨).

من أحاديث التبرك بالنبي ﷺ

١ـ عن عائشة رضي الله عنها : «أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث. فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها». أخرجه البخاري ومسلم.

٢ـ أخرج مسلم في كتاب الفضائل، باب قرب النبي عليه الصلاة والسلام من الناس وتبركهم به، عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها، فربما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها».

٣ـ أخرج مسلم في (صحيحه) كتاب «الحج» باب «السنة أن يرمي ثم ينحر»، عن أنس : «أن النبي ﷺ قال للحلاق: خذ وأشار إلى جانبه الأيمن ثم جعل يعطيه الناس فوزع الشعرة والشعرتين بين الناس ثم قال بالأيسر فصنع ثم قال: (ههنا أبو طلحة؟) فدفعه إلى أبي طلحة».

٤- روى مسلم في (صحيحه) عن أنس، عن أم سليم: «أن النبي ﷺ كان يأتيها فيقيل عندها فتبسط له نطعاً فيقيل عليه وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير فقال النبي ﷺ: (يا أم سليم ما هذا؟) قالت: عرقك أدوف - أي أخلط - به طيبي - وفي رواية نرجو بركته لصبياننا. قال: (أصبت).

٥- أخرج البخاري في (صحيحه) عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأة أهدت بردة للنبي ﷺ فأخذها فلبسها محتاجاً إليها فقال له رجل: يا رسول الله ما أحسن هذه فاكسنيها فقال: (نعم) فلما قام النبي ﷺ لامه أصحابه فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجاً إليها ثم سألته إياها وقد عرفت أنه لا يسأل شيئاً فيمنعه. فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ لعلي أكفن فيها.

٦- حديث أم عطية عند الشيخين في تكفين ابنة النبي ﷺ لما أعطاهم إزاره وقال: (أشعرنها إياها).

٧- حديث أبي أيوب الأنصاري عند مسلم في تتبعه موضع أصابع النبي ﷺ في الإناء بعد أكله منه.

٨ـ حديث سعد بن سعد عند الشيخين في قول ابن عباس لما استأذنه أن يعطي أشياخًا عن يساره الإناء بعد ما شرب منه فقال ابن عباس : لا أوثر بنصيبي منك أحداً.

٩ـ أخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : دعا رسول الله ﷺ بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه ثم قال : (اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا) فأخذا القدح ففعلا ما أمرهما به رسول الله ﷺ فنادتهما أم سلمة من وراء الستر : أفضلا لأمكما مما في إنائكما ، فأفضلا لها منه طائفة ، قال ابن حجر : والغرض منه (إيجاد البركة بريقه المبارك).

١٠ـ أخرج مسلم في (صحيحه) من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت عن جبة عندها : هذه كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها وكان النبي ﷺ يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفي بها.

بركة الصالحين

يقول ابن تيمية في (الفتاوى) ما ملخصه:

أما قول القائل (نحن في بركة فلان) فهذا الكلام صحيح باعتبار، باطل باعتبار، أما الصحيح فأن يراد أنه هدانا وعلمنا وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر. فحصل لنا الخير باتباعه وطاعته وأيضًا ببركة دعائه وصلاحه دفع الله الشر وحصل الرزق والنصر، ففي الحديث: (وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم) بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم، بل قد يدفع الله العذاب عن الكفار والفجار لئلا يصيب من بينهم من المؤمنين لقوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥]، وكذلك قول النبي ﷺ: (لولا ما في البيوت من النساء والذراري لأمرت بالصلاة فتقام ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة معنا فأحرق عليهم بيوتهم)، وكذلك ترك رجم الحامل حتى تضع جنينها. فبركات أولياء الله الصالحين باعتبار نفعهم للخلق بدعائهم إلى طاعة الله

وبدعائهم للخلق وبما ينزل الله من الرحمة ويدفع من العذاب بسببهم حق موجود.

وأما المعنى الباطل فمثل أن يريد الإشراك بالخلق: مثل أن يكون رجل مقبور بمكان فيظن أن الله يتولاهم لأجله وإن لم يقوموا بطاعة الله ورسوله، فهذا جهل. فقد كان رسول الله ﷺ سيد ولد آدم مدفونًا بالمدينة عام الحرة وقد أصاب أهل المدينة من القتل والنهب والخوف ما لا يعلمه إلا الله. وكان ذلك لأنهم بعد الخلفاء الراشدين أحدثوا أعمالاً أوجبت ذلك.

وكذلك الخليل ﷺ مدفون بالشام وقد استولى النصارى[١٠] على تلك البلاد قريبًا من مائة سنة، وكان أهلها في شر، وكذلك إذا ظن أن بركة الشخص تعود على من أشرك به وخرج عن طاعة الله ورسوله مثل أن يظن أن بركة السجود لغيره وتقبيل الأرض عنده ونحو ذلك يحصل له السعادة وإن لم يعمل بطاعة الله ورسوله.

---

(١٠) بل إن اليهود يدنسونها ويشيعون فيها الكفر والفواحش والمنكرات، ومعهم معظم العالم على كل من قاوم فحشهم وأنكر ذلك عليهم.

وكذلك إذا اعتقد أن ذلك الشخص يشفع له ويدخله الجنة بمجرد محبته وانتسابه إليه.

فهذه الأمور ونحوها مما فيه مخالفة الكتاب والسنة فهو من أحوال المشركين وأهل البدع باطل لا يجوز اعتقاده ولا اعتماده، والله سبحانه وتعالى أعلم. انتهى.

وقد بيَّن جانبًا من ذلك الشاطبي في (الاعتصام) في أوائل الجزء الثاني منه فليراجع لأهميته ونفاسته.

هذا والأدلة التي وردت في التبرك بآثار النبي ﷺ لا يقاس عليها غيره فلا يقال بجواز التبرك بالصالحين وآثارهم.

ويقول ابن باز في مجلة (صوت الأمة الهندية) عدد شعبان ١٤١٦ (ص ٢٢): والواجب على المسلمين الاتباع والتقيد بالشرع والحذر من البدع القولية والعملية ولهذا لم يتبرك الصحابة رضي الله عنهم بشعر الصديق رضي الله عنه أو عرقه أو وضوئه ولا بشعر عمر أو عثمان أو علي أو عرقهم أو وضوئهم ولا بعرق غيرهم من الصحابة ؛ لعلمهم بأن هذا أمر خاص بالنبي ﷺ ولا يقاس عليه غيره في ذلك.

وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

الغلو في الصالحين

أخرج البخاري في (صحيحه)[11] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صارت الأوثان التي كانت تعبد في قوم نوح في العرب بعد، أما وُد فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غُطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسخ العلم عبدت.

وأخرج أيضًا[12] عن عائشة رضي الله عنها: «أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا للنبي ﷺ فقال: (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة).

(١١) البخاري (٤٦٣٦).

(١٢) البخاري (٣٦٦٠).

وكان ذلك في مرض النبي ﷺ فانظر - رعاك الله وأرشدك - كيف كان السؤال عن كنيسة والأحاديث دالة على أن ذكرها كان ذكر إعجاب منها وأن اسمها مارية حيث في رواية (فذكرن من حسنها وتصاوير فيها فرفع النبي ﷺ رأسه فقال.... وذكر الحديث) .

وتدبر لتعلم أن ذلك الحكم لا يقبل النسخ فهو محكم من أهم محكمات الشريعة، وأنه ﷺ لم يقل بنوا على قبره كنيسة إنما قال: (مسجداً) ليعرف الناس أن هذه الأمة مشمولة بالنهي والتحريم.

ويدل على ذلك أيضًا حديث مسلم الذي أخرجه عن أبي هريرة وابن عباس وعائشة، ورواية عائشة: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) فلولا ذاك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً[١٣].

قال ابن حجر في (الفتح): فوجه التعليل أن الوعيد على ذلك يتناول من اتخذ قبورهم مساجد تعظيماً ومغالاة كما صنع أهل الجاهلية، وجرهم ذلك إلى عبادتهم. وتدبر

(١٣) مسلم (٥٢٩).

كيف أن ذلك كان تعليقًا على كنيسة عظيمة فلا يصح أن نفهم أن الصلاة على القبر بمعنى فوقه إنما بناء المسجد من أجل القبر أو الدفن في المسجد تعظيما لذلك الصالح(١٤).

هذا ولقد نهى رب العزة عن الغلو في الأنبياء على شرف منزلتهم فقال تعالى: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ [النساء: ١٧١]، ولقد جاء في الحديث(١٥) عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله).

لكن الشيطان وسوس للناس فشابهوا النصارى في غلوهم وشركهم في بناء المساجد على القبور، وصلوا فيها، وطافوا بتلك القبور واستغاثوا بها، وزعموا أنها تكشف الكربات وتقضي الحاجات، وظنوا أن الصلاة في هذه الأضرحة أفضل من الصلاة في المساجد.

---

(١٤) تنبيه: النبي ﷺ لم يدفن في مسجده ولا بني المسجد على قبره، راجع لذلك ما كتبه الشيخ محمد على عبد الرحيم رحمه الله بذلك الشأن.
قلت: وقد طبعت مقالته على لوحة كبيرة توضح كيف أدخل القبر في المسجد فراجعها فإنها نفيسة.

(١٥) أخرجه البخاري (٣٢٦١).

وفي حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»(١٦).

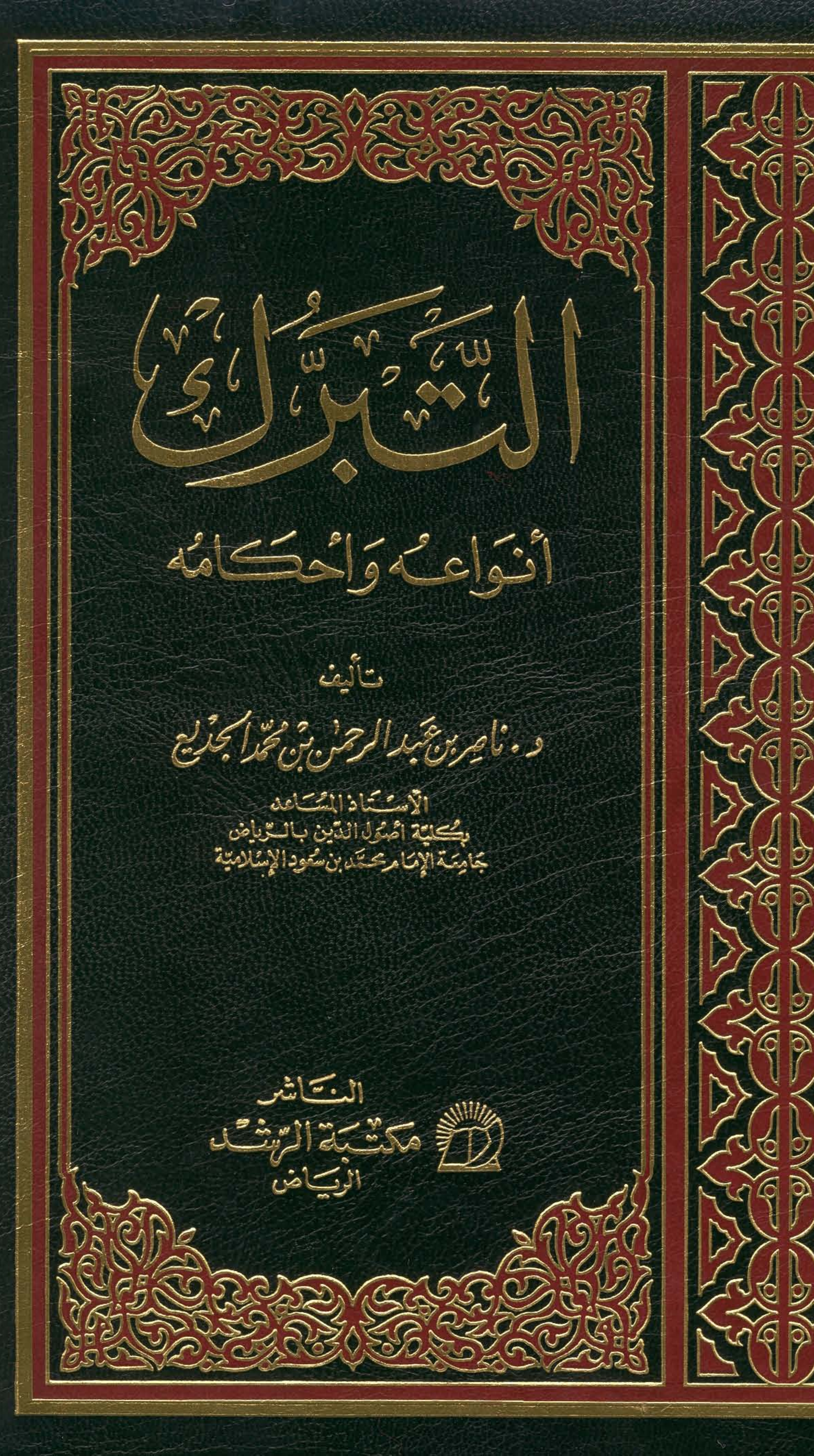
فإذا كان النهي قد ورد في الغلو في الأنبياء وفي خاتمهم ﷺ وهو صاحب المنزلة العالية العظيمة عند الله فكيف بغيره من الصالحين والأولياء فهي باب الشرك وسببه ولذا فإن الشرع جاء بحماية التوحيد والبعد عن الشرك، ولما كان ذلك الغلو في الصالحين تضافرت نصوص الشرع قرآنًا وسنة وكان عليها أقوال الأئمة في ذلك، لأن التوحيد والإخلاص والنهي عن الشرك أهم مقاصد الشريعة والله أعلم.

وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١٦) أخرجه النسائي (٥ / ٢٦٨)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٨٣).

الفهرس

الموضوع	الصفحة
١ ـ المقدمة	٣
٢ ـ التبرك المشروع والممنوع	١١
٣ ـ التبرك بآثار النبي ﷺ	١٢
٤ ـ في ذكر بعض من صنف في هذا الموضوع والسبب في ذلك	٣٥
٥ ـ مفهوم البركة	٤٩
٦ ـ حول أحاديث التبرك	٥٣
٧ ـ من أحاديث التبرك بالنبي ﷺ	٥٨
٨ ـ بركة الصالحين	٦١
٩ ـ الغلو في الصالحين	٦٥


التبرك
أنواعه وأحكامه
تأليف
د. ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع
الأستاذ المساعد
بكلية أصول الدين بالرياض
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الناشر
مكتبة الرشد
الرياض



التبرك

أنواعه وأحكامه

تأليف

د. ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع

الأستاذ المشارك
بكلية أصول الدين بالرياض
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الناشر
مكتبة الرشد
الرياض

أصل هـذا الكتاب رسالة تقدم بها المؤلف إلى كلية أصول الدين بجامعة الإمـام محمد بن سعود الإسلامية لنيل درجة (الدكتوراه) فـى قسـم العقيـدة والمـذاهـب المعاصـرة وقد منح هذه الدرجة العلمية مع مرتبة الشرف الأولى سنة ١٤١٠ هـ

الطبعة الخامسة
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

مكتبة الرشد للنشر والتوزيع

* المملكة العربية السعودية - الرياض - طريق الحجاز
ص ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١
فاكس ٤٥٧٢٣٨١



* فرع مكة المكرمة: - هاتف ٥٥٨٥٤٠١ - ٥٥٨٣٥٠٦
* فرع المدينة المنورة: - شارع أبي ذر الغفاري - هاتف ٨٣٤٠٦٠٠
* فرع القصيم بريدة طريق المدينة - هاتف ٣٢٤٢٢١٤
* فرع أبها: - شارع الملك فيصل هاتف ٢٣١٧٣٠٧
* فرع الدمام: - شارع ابن خلدون - هاتف ٨٢٨٢١٥٧

E-MAIL: alrushd@suhuf.net.sa
www.alrushd.com

تقـديم

الحمد لله يبارك في بعض عباده وبلاده وتبارك اسمه وتعالى جده وفضّل من شاء مما شاء في هذه الحياة أحمده سبحانه على ما أنعم وعلّم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه وأتباعهم إلى يوم الدين .

أما بعد : فهذه رسالة قيمة في موضوع له أهميته قام بتأليفها أحد الشباب الذين وفقهم الله وهداهم وأرشدهم إلى معرفة الحق واتباعه وقدمها لنيل درجة الدكتوراه وقد وقعت موقع الاعجاب وسدت مسدا كبيرا في موضوع جديد لم يعهد أن أحدا طرقه بالتوسع والاستيفاء لما يتعلق به . رغم ما وقع بسببه من التوسع الكثير ممن ينتمي إلى الإسلام مما يجر إلى الشرك أو يقرب منه فعبادة الأولياء والصالحين حدثت باسم التبرك بذواتهم وآثارهم وقبورهم بدء بالتمسح بأجسادهم وانتهى إلى دعائهم والهتاف بأسمائهم والاستغاثة بهم وطلب الحاجات منهم مما لا يقدر عليه ولا يملكه إلا الله تعالى ولم يقتصروا على ذوات الأولياء بل تجاوزوا ذلك إلى البقاع والأماكن والأشجار والأحجار التي أوهمهم الشيطان أن بها بركة وخير فأصبحت معابد معظمة في الكثير من البلاد الإسلامية .

ولقد وفق الله هذا الكاتب إلى استيفاء ما حدث من ذلك ومعالجته وتفنيد شبه أولئك المموهين الداعين إلى مثل تلك الأفعال وهكذا تطرق إلى ذكر التبرك المشروع وكل ما ورد ذكر البركة فيه من الذوات كقول عيسى عليه السلام (وجعلني مباركا أينما كنت) ومن المخلوقات والبقاع والأفعال والأزمنة ونحوها وبين آثار البركة التي وصفت بها وأن ذلك لا يوجب الغلو فيها ومجاوزة الحد المشروع في تلك المسميات المباركة بل إن البركة فيها من الله تعالى فهو الذي بارك في الأرض وقدر فيها أقواتها ولو شاء لنزع البركة منها فلم يحصل منها ما حصل إلى غير ذلك من مميزات هذه الرسالة القيمة التي عالجت موضوعاً شيقا تتشوف النفوس إلى إيفائه حقه وإلى النتيجة المطلوبة من وراء ذلك وسوف يجد القارىء فيها ما يبهج النفس ويزيل الغمة فنوصي بقراءتها وايضاح ما احتوت عليه ونشر محتواها وتلخيص المهم منها في مقالات ورسائل صغيرة ليمكن نشرها في الداخل والخارج وليعم نفعها في القريب والبعيد والله أعلم وأحكم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين

بسم الله الرحمن الرحيم

عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين
عضو إفتاء بالرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية
والافتاء والدعوة والارشاد

التاريخ ١١ / ١٠ / ١٤١١هـ
الموافق / / ١٩م

الحمد لله الذي بارك في بعض عباده وبلاده وتبارك اسمه وتعالى جده وفضّل من شاء بما شاء في هذه الحياة، أحمده سبحانه على ما أنعم وعلّم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأتباعهم إلى يوم الدين .

أما بعد: فهذه رسالة قيمة في موضوع له أهميته قام بتأليفها أحد الشباب الذين وفقهم الله للاهتمام وأرشدهم إلى معرفة الحق واتباعه وقدمها لنيل درجة الدكتوراه وقد وقعت موقع الإعجاب وسدت مسدا كبيرا في موضوع جديد لم يعهد أن أحدا طرقه بالتوسع والاستيفاء لما يتعلق به، رغم ما وقع بسببه من التوسع لدى الكثير ممن ينتمي إلى الإسلام مما يجر إلى الشرك أو يقرب منه فعبادة الأولياء والصالحين حدثت باسم التبرك بذواتهم وآثارهم وقبورهم بدءا بالتمسح بأجسادهم وانتهى إلى دعائهم والهتاف بأسمائهم والاستغاثة بهم وطلب الحاجات منهم مما لا يقدر عليه ولا يملكه إلا الله تعالى ولم يقتصروا على ذوات الأولياء بل تجاوزوا ذلك إلى البقاع والأماكن والأشجار والأحجار التي أوهمهم الشيطان أن بها بركة وخيرا فأصبحت معابد معظمة في الكثير من البلاد الإسلامية . ولقد وفق الله هذا الكاتب إلى استيفاء ما حدث من ذلك ومعالجته وتفنيد شبه أولئك المموهين الداعين إلى مثل تلك الأفعال وهكذا تطرق إلى ذكر التبرك المشروع وكل ما ورد ذكر البركة فيه من الذوات كقول عيسى عليه السلام (وجعلني مباركا أينما كنت) ومن المخلوقات والبقاع والأفعال والأزمنة وذكرها وبين آثار البركة التي وصفت بها تلك المسميات المباركة وأن ذلك لا يوجب الغلو فيها ومجاوزة الحد المشروع في هذه بل إن البركة فيها من الله تعالى فهو الذي بارك في الأرض وقدر فيها أقواتها ولو شاء لنزع البركة منها فلم يحصل منها ما حصل إلى غير ذلك من مميزات هذه الرسالة القيمة التي عالجت موضوعا مما تتشوف النفوس إلى إيفائه حقه وإلى النتيجة المطلوبة من وراء ذلك وسوف يجد القارئ فيها ما يبهج النفس ويزيل الغمة فنوصي بقراءتها وإيضاح ما احتوت عليه ونشر محتواها وتلخيص المهم منها في مقالات ورسائل صغيرة ليمكن نشرها في الداخل والخارج وليعم نفعها في القريب والبعيد والله أعلم وأحكم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين

تلفون العمل ٤٥٩٦٥٢٠ – المنزل ٤٢٥٣٠٥٠ – الريـــاض – المملكة العربية السعودية
Tel. Work 4596520, Res. 4253050, Riyadh, Saudi Arabia

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمَة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أمر باتباع صراطه المستقيم ، ونهى عن السبل المضلة ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، الذي تركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، والتابعين لهم إلى يوم الدين ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد :

فقد عقدت العزم على اختيار الكتابة في موضوع : (التبرك - أنواعه وأحكامه) لأسباب عديدة . أهمها ما يأتي :-

١ - عدم بحث هذا الموضوع في مؤلّف مستقل ، جامع لأطرافه ، وشامل لجزئياته - وذلك حسب علمي - ولا يوجد سوى كتابات متفرقة عن بعض جزئياته ، أو متناثرة في بطون الكتب المختلفة .

٢ - من المعلوم أن البركة من الأمور المطلوبة والمحبوبة ، ولكن البعض قد تجاوز الحد في طلبها وغلا في التماسها جهلا ومبالغة .

ومن هنا تبرز الحاجة الماسة إلى التعريف بحقيقة التبرك المشروع للاقتصار عليه ، وإلى بيان أصناف التبرك الممنوع لاجتنابه ، والحذر من الوقوع فيه .

٣ - انتشار التبرك الممنوع - على اختلاف أصنافه ومظاهره - في كثير من أنحاء العالم الإسلامي ، حتى أصبح شيئا مألوفا ، بل صار فعله من القربات في اعتقاد من يفعله .

فمعظم البلاد الإسلامية لا تخلو من مزارات القبور ، التي أصبحت مشاهد

مقدسة ، تُشد الرحال إليها ، ويُعكف عندها ، ويُطاف حولها ، ويُصلى ويُدعى عندها ، ويُتمسح بها ، ويُستشفى بترابها ، ويُدعى أصحابها من دون الله ، وبُنيت المساجد والقباب عليها ، وكذا الحال في آثار الأنبياء والصالحين ونحوها .

كما ابتُلي المسلمون بتعظيم ليلة المولد النبوي والتبرك بها ، واستحداث الاحتفال بها وبغيرها من المواسم والمناسبات الأخرى .

٤ - الآثار الخطيرة والمفاسد العظيمة التي يؤدي إليها التبرك الممنوع . وأعظمها الوقوع في الشرك الأكبر ، والابتداع ، واقتراف المعاصي ، وإضاعة الواجبات والسنن . وكل هذا ونحوه حاصل باسم التبرك وبسببه .

ولا ريب أن ذلك يقتضي طرق الموضوع ، وإيضاحه قدر الطاقة وحسب الاستطاعة .

٥ - تشجيع وتوجيه المشايخ وطلاب العلم الذين استشرتهم في بحث هذا الموضوع والكتابة فيه .

وهكذا تبين لنا مما تقدم أهمية الموضوع ، وأنه جدير بالبحث ، وحريّ بالدراسة والعناية .

* * *

خطة البحث :

لقد سار البحث في هذا الكتاب – بعد هذه المقدمة – بموجب المخطط الآتي :–

– التمهيد : ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : بيان أن الخير كله في يدي الله سبحانه وتعالى .

المبحث الثاني : اختصاص الله بعض خلقه بما شاء من الفضل والبركة .

المبحث الثالث : معاني (البركة) وما تصرف منها .

المبحث الرابع : انقسام التبرك إلى مشروع وممنوع .

– الباب الأول : أنواع الأمور المباركة .

ويحتوي على تمهيد وخمسة فصول :

تمهيد : في تقسيم البركة إلى دينية ودنيوية .

الفصل الأول : القرآن الكريم .

الفصل الثاني : المبارك من الأشخاص . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الرسول ﷺ .

المبحث الثاني : الأنبياء .

المبحث الثالث : الصالحون . وتحته مطلبان :

المطلب الأول : الملائكة .

المطلب الثاني : الصالحون من البشر .

الفصل الثالث : المساجد . وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : المسجد الحرام والمشاعر .

المبحث الثاني : مسجد النبي ﷺ وفضل المدينة .

المبحث الثالث : المسجد الأقصى .

المبحث الرابع : سائر المساجد .

الفصل الرابع : المبارك من الأزمنة . وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : رمضان .

المبحث الثاني : ليلة القدر .

المبحث الثالث : عشر ذي الحجة وأيام التشريق .

المبحث الرابع : الأشهر الحرم .

المبحث الخامس : الجمعة والاثنين والخميس .

المبحث السادس : وقت النزول الالهي .

الفصل الخامس : في أنواع أخرى مباركة . وهي ما يأتي :

١ – الشام . ٢ – اليمن . ٣ – المطر .

٤ – شجرة الزيتون . ٥ – اللبن . ٦ – الخيل

٧ – الغنم . ٨ – النخل .

– الباب الثاني : التبرك المشروع .

ويحتوى على أربعة فصول :

الفصل الأول : التبرك بذكر الله وتلاوة القرآن الكريم . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التبرك بذكر الله تعالى .

المبحث الثاني : التبرك بتلاوة القرآن الكريم .

المبحث الثالث : الرقية بذكر الله تعالى وبالقرآن الكريم .

الفصل الثاني : المشروع من التبرك بالنبي ﷺ وغيره من الصالحين . وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تبرك الصحابة به ﷺ في حياته .

المبحث الثاني : التبرك بآثاره ﷺ بعد وفاته .

المبحث الثالث : هل يقاس عليه ﷺ غيره من الصالحين ؟ .

المبحث الرابع : التبرك بمجالسة الصالحين .

الفصل الثالث : التبرك بشرب ماء زمزم . وفيه تمهيد ومبحثان :

تمهيد : في التعريف بزمزم .

المبحث الأول : خصائص ماء زمزم .

المبحث الثاني : صفة التبرك بشربه .

الفصل الرابع : التبرك بأمور أخرى . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : السحور .

المبحث الثاني : آداب في الطعام لنيل البركة .

المبحث الثالث : خصال حميدة تجلب البركة .

– الباب الثالث : التبرك الممنوع

ويحتوي على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التبرك بالنبي ﷺ بعد وفاته . وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : التبرك بقبره ﷺ وحكم زيارته .
المبحث الثاني : التبرك بالمواضع التي جلس أو صلى فيها .
المبحث الثالث : التبرك بليلة مولد الرسول ﷺ .
المبحث الرابع : التبرك بليلة الاسراء والمعراج ، وذكرى الهجرة ، ونحو ذلك . وتحته مطلبان :
المطلب الأول : التبرك بليلة الاسراء والمعراج .
المطلب الثاني : التبرك بذكرى الهجرة ونحوها .
الفصل الثاني : الممنوع من التبرك بالصالحين . وفيه ثلاثة مباحث :
المبحث الأول : التبرك بذواتهم وآثارهم ، ومواضع عبادتهم وإقامتهم .
المبحث الثاني : التبرك بقبورهم ، وحكم الزيارة .
المبحث الثالث : التبرك بموالدهم .
الفصل الثالث : التبرك ببعض الجبال والمواضع . وفيه خمسة مباحث :
المبحث الأول : حكم التبرك بتلك الجبال والمواضع .
المبحث الثاني : مايوجد منها بمكة المكرمة .
المبحث الثالث : ما يوجد منها بالمدينة المنورة .
المبحث الرابع : ما يوجد منها بالشام .
المبحث الخامس : التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها .
الباب الرابع : أسباب التبرك الممنوع ، وآثاره ، ومقاومته .
ويحتوي على ثلاثة فصول :
الفصل الأول : أسباب التبرك الممنوع . وفيه أربعة مباحث :
المبحث الأول : الجهل بالدين .
المبحث الثاني : الغلو في الصالحين .
المبحث الثالث : التشبه بالكفار .
المبحث الرابع : تعظيم الآثار .
الفصل الثاني : آثار التبرك الممنوع .
الفصل الثالث : وسائل مقاومة التبرك الممنوع .
الخاتمة وتتضمن استخلاص أهم نتائج البحث .
الفهارس : وتشتمل على فهارس للآيات ، والأحاديث ، والآثار ، وتراجم الأعلام ، والمصادر والمراجع ، والموضوعات .

منهجي في البحث :

بدأت موضوع البحث – بعد هذه المقدمة – بتمهيد اشتمل على أربعة مباحث . تُعد في نظري مدخلا مهما للبحث .

ثم خصصت الباب الأول لعرض أنواع الأمور المباركة الواردة في الكتاب والسنة ، والباب الثاني لتفصيل كيفية التبرك المشروع . موضحا المقصود والأسلوب المتبع في بداية كل باب منهما .

وأما الباب الثالث فيتعلق ببيان أصناف التبرك الممنوع .

وتضمن الباب الرابع شرح أسباب التبرك الممنوع ، وإيضاح آثاره الخطيرة ، وبيان الوسائل الممكنة لمقاومته .

وقد سلكت في إعداد هذا البحث وكتابته المنهج الآتي :–

١ – اجتهدت في تتبع واستقراء ما يدخل تحت كل من التبرك المشروع والتبرك الممنوع ، وما يتعلق بكل منهما من مسائل ، وترتيب ذلك وتحقيقه ، معتمدا في تقرير ذلك على الاستدلال بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة ، والتزام منهج السلف الصالح – من الصحابة والتابعين وأتباعهم – قولا أو فعلا أو تركا .

٢ – عقّبت على عرض كل صنف من أصناف التبرك الممنوع بإيراد أبرز أدلة وشبه المخالفين النقلية والعقلية ، ثم الرد عليها .

٣ – حرصت على الافادة من المصادر والمراجع القديمة لأصالتها ، وقد ألجأ أحيانا إلى المراجع الحديثة عند تعذر الحصول على المطلوب في المصادر القديمة .

ويلحق بالمراجع الحديثة : الصحف والمجلات المعاصرة . وقد أفدت منها أمورا قليلة هامة تتعلق بالبحث ولا توجد في غيرها . والحكمة ضالة المؤمن .

٤ – خرّجت الأحاديث والآثار الواردة في البحث من مراجعها .

وإذا كان الحديث في صحيح البخاري ومسلم أو في أحدهما اقتصرت على ذلك ، وإلا خرجته من كتب الأحاديث المعتمدة الأخرى ، مع نقل حكم العلماء عليه إن وجد .

٥ – ترجمت بإيجاز لمعظم الأعلام غير المشهورين عند أول مرة من ورود أسمائهم في صلب الكتاب ، وعند تكرار ذكرهم فإني لا أحيل إلى مكان الترجمة إلا نادرا ، اكتفاء بفهرس الأعلام .

٦ – شرحت الألفاظ الغامضة ، وعرّفت بالبلدان الغريبة الواردة في صلب الكتاب .

٧ – علّقت في الهامش على ما يستدعي ذلك ، مع تجنب الإطالة .

٨ – ما يحتاج إلى تشكيل من الآيات والأحاديث والأعلام والأماكن وغيرها ضبطته بالشكل بعد الرجوع إلى مظانّه .

ذلك ملخص منهجي في هذا البحث ، الذي يعلم الله تعالى كم قضيت لإعداده من وقت ، وبذلت في سبيله من جهد ، والذي رحلت من أجله إلى بعض البلدان – داخل المملكة وخارجها – لجمع مادته العلمية ، وللاطلاع على ما يتعلق به من المواضع التي يتبرك بها ، ومظاهر ذلك التبرك ، مع اعترافي بقصر باعي ، وقلة بضاعتي ، وحسبي أني بذلت جهدي وغاية طاقتي .

وختاما أحمد الله تعالى وأشكره – وهو المستحق للحمد دائما – الذي أعانني على إعداد هذا البحث ويسّر لي إنجازه .

كما لا يسعني إلا أن أشكر فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث وإبداء التوجيهات والنصائح ، فأسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء ، وأن يبارك في وقته وعمله .

وأشكر كلية أصول الدين التي هيأت لي كثيراً مما يتطلبه البحث .

وأشكر أيضا كل من قدم لي عونا ، أو أسدى إليّ يدا ، سواء في اختيار الموضوع ، أو إعداد خطة البحث ، أو إعارة بعض الكتب ، أو تقديم التوجيهات العلمية ، أو غير ذلك .

أدعو الله تعالى أن يجزي الجميع عني أحسن الجزاء ، إنه سميع مجيب .

هذا وأسأل الله جل وعلا أن ينفع بهذا الجهد المتواضع ، وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * *

التمهيد

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : بيان أن الخير كله في يدي الله سبحانه وتعالى .

المبحث الثاني : اختصاص الله بعض خلقه بما شاء من الفضل والبركة .

المبحث الثالث : معاني (البركة) وما تصرف منها

المبحث الرابع : انقسام التبرك إلى مشروع وممنوع .

المبحث الأول

بيان أن الخير كله في يدي الله سبحانه وتعالى

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾ (١) .

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره : « (بيدك الخير) أي كل ذلك بيدك وإليك ، لا يقدر على ذلك أحد ، لأنك على كل شيء قدير دون سائر خلقك ، ودون ما اتخذه المشركون من أهل الكتاب والأميين من العرب إلها وربا يعبدونه من دونك ، كالمسيح والأنداد التي اتخذها الأميون ربا » (٢) .

وأخرج الامام البخاري رحمه الله في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : يقول الله تعالى : « يا آدم . فيقول : لبيك وسعديك ، والخير في يديك . فيقول : أخرج بعث النار . قال وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين » (٣) الحديث .

وأخرج الامام مسلم رحمه الله في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال : « وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض » إلى أن قال : « لبيك وسعديك ، والخير كله في يديك ،

---

(١) سورة آل عمران (٢٦) .

(٢) تفسير الطبري ٢٢٢/٣ ، ٢٢٣ .

(٣) صحيح البخاري ١٠٩/٤ كتاب الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج .

والشر ليس إليك [١] ، أنا بك وإليك [٢] ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك » [٣] الحديث .

مما تقدم من النصوص يظهر لنا جليًّا أن الخير كله في يدي الله سبحانه وتعالى دون سائر خلقه فهو القادر على كل شيء .

وهناك نصوص أخرى تدل على أن النعم – وهي من أنواع الخير – هي من الله تبارك وتعالى أنعم بها على خلقه ، وتفضل بها عليهم وأنها لا تعد ولا تحصى لكثرتها ، وأن الناس مفتقرون إلى ربهم . فمن ذلك في القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ [٤] ، وقوله ﴿ قل إن الفضل بيد الله ﴾ [٥] وقوله ﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ [٦] ، وقوله ﴿ وإن تعدو نعمة الله لا تحصوها ﴾ [٧] ، وقوله ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾ [٨] ، وقوله ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ [٩] ، وقوله ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ﴾ [١٠] .

---

(١) في عدم إضافة الشر ونسبته إلى الله تعالى – مع أن الله تعالى هو الخالق والمقدر لكل شيء من خير أو شر – بل إما بطريق العموم أو يضاف إلى السبب ، أو يحذف فاعله . في ذلك إرشاد إلى الأدب مع الله عز وجل ، وأيضا فالشر في بعض المخلوقات نسبة إضافية ، فإنه سبحانه لايخلق شرا محضا من جميع الوجوه ؛ ففعله وقضاؤه وقدره خير كله .

انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٥٩/٦ ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٨/١٤ ، شفاء العليل ص ١٧٩ ، مدارج السالكين ١٩٩/٢ ، بدائع الفوائد لابن القيم ٢١٠/٢ ، ٢١٤ .

(٢) أي التجائي وانتمائي إليك وتوفيقي بك . شرح النووي لصحيح مسلم ١٥٩/٦ .

(٣) صحيح مسلم ٥٣٤/١ ، كتاب صلاة المسافرين ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه .

(٤) سورة النحل (٥٣) .

(٥) سورة آل عمران (٧٣) .

(٦) سورة لقمان (٢٠) .

(٧) سورة ابراهيم (٣٤) ، وسورة النحل (١٨) .

(٨) سورة النحل (٩٦) .

(٩) سورة الذاريات (٥٨) .

(١٠) سورة فاطر (١٥) .

وجاء في الحديث الشريف فيما أخرجه البخاري عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ في الدعاء سيد الاستغفار : « أبوء [١] لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي » [٢] .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن تلبية رسول الله ﷺ : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » [٣] .

وجاء في صحيح مسلم : كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه يقول في دبر كل صلاة حين يسلم : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... له النعمة وله الفضل ، وله الثناء الحسن ... » ويقول : « كان رسول الله ﷺ يهلّل بهن دُبُر كل صلاة » [٤] .

وإذا كانت الخيرات والنعم – في الدنيا والآخرة – من فضل الله سبحانه وتعالى على عباده ، فإن ثبوتها ودوامها للناس ، وكثرتها وزيادتها – كل ذلك من الله سبحانه وتعالى وهو ما يسمى بالبركة [٥] .

فالبركة كلها لله تعالى ومنه ، وهو المبارِك جل وعلا .

وقد وصف الله نفسه بـ (تبارك) وهذا لا يصلح إلا له عز وجل ، وهو وصف مختص به تعالى ، فهو سبحانه المتبارك [٦] .

ومن معاني (تبارك) مجيء الخيرات كلها من عنده سبحانه [٧] .

---

(١) أي ألتزم وأرجع وأقر . من كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٥٩/١ .

(٢) انظر صحيح البخاري ١٤٥/٧ ، كتاب الدعوات ، باب أفضل الاستغفار .

(٣) صحيح البخاري ١٤٧/٢ ، كتاب الحج ، باب التلبية ، وصحيح مسلم ٨٤١/٢ كتاب الحج ، باب التلبية .

(٤) صحيح مسلم ٤١٥/١ ، ٤١٦ ، كتاب المساجد ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة ومعنى (يهلّل بهن) أي يرفع بهن صوته .

(٥) راجع المبحث الثالث من هذا التمهيد (معاني البركة) .

(٦) من كتاب بدائع الفوائد لابن القيم ١٨٥/٢ بتصرف .

(٧) انظر معاني (تبارك) ضمن المبحث الثالث (معاني البركة) .

وقد أوضح الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه (بدائع الفوائد) عندما بحث مسألة تحية الإسلام (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) أوضح الحكمة في إضافة الرحمة والبركة إلى الله تعالى ، وتجريد السلام عن هذه الاضافة .

فمما ذكره : أن الرحمة والبركة لا يضافان إلا إلى الله وحده ، ولهذا لا يقال (رحمتي وبركتي عليكم) ويقال (سلام مني عليكم ، وسلام من فلان على فلان) وأن الرحمة والبركة أتم من مجرد السلامة ، فإن السلامة تبعيد عن الشر ، وأما الرحمة والبركة فتحصيل للخير وإدامة له وتثبيت وتنمية ، وهذا أكمل ، فإنه هو المقصود لذاته ، والأول وسيلة إليه [١] .

ومما يدل في القرآن الكريم على أن البركة من الله سبحانه وتعالى قوله جل وعلا في قصة نوح عليه السلام ﴿ قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك ﴾ [٢] .

وقوله تعالى : ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت [٣] ﴾ [٤] .

ولم يرد لفظ (بركات) في القرآن الكريم إلا مسندا لله عز وجل .

وكذا لفظ (باركنا) ولفظ (بارك) .

وأيضا فإن اسم المفعول (مبارَك) لا يطلق على شيء إلا لايجاد الله سبحانه البركة فيه ، كما في قوله تعالى عن عيسى عليه السلام ﴿ وجعلني مباركا أينما كنت ﴾ [٥] ، وقوله تعالى : ﴿ فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند

---

(١) انظر بدائع الفوائد ١٨١/٢ ، ١٨٢ .

(٢) سورة هود (٤٨) .

(٣) المقصود بهم إبراهيم عليه السلام وأهل بيته .

وهل هذا خبر أو دعاء ؟ يقول القرطبي رحمه الله : كونه إخبارا أشرف ، لأن ذلك يقتضي حصول الرحمة والبركة لهم ، فالمعنى : أوصل الله لكم رحمته وبركته أهل البيت ، وكونه دعاءً إنما يقتضي أنه أمر يُرتجى ولم يُتحصل بعد (تفسير القرطبي ٧١/٩) .

وانظر ما ذكره ابن القيم رحمه الله عن بركات وخصائص أهل هذا البيت في كتابه جلاء الافهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ص ١٨٢ فما بعدها .

(٤) سورة هود (٧٣) .

(٥) سورة مريم (٣١) .

الله مباركة طيبة ﴾ [١] .

ونحو ذلك في أحاديث المصطفى ﷺ .

ومن الأدلة الصريحة في السنة ما ثبت في صحيح البخاري من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا مع النبي ﷺ في سفر فقلّ الماء ، فأدخل النبي ﷺ يده في إناء فيه ماء قليل ثم قال : « حيّ على الطهور المبارَك ، والبركة من الله » فنبع الماء من بين أصابعه ﷺ [٢] .

وأيضا فإن جميع صيغ الدعاء بحصول البركة لا تُسند إلا لله تبارك وتعالى .

وأحب أن أختتم هذا المبحث بكلام جميل ومفيد للامام ابن القيم مبينا حاجة الموجودات إلى الخالق ، وعظيم نعمة الله وخيره وبركته على خلقه أجمعين .

يقول رحمه الله تعالى : كل كمال وخير في الموجودات فهو مستفاد من خير الله تعالى وكماله في نفسه ، وهي تستمد منه وهو لا يستمد منها ، وهي فقيرة إليه وهو غني عنها ، كل منها يسأله كماله . فالملائكة تسأله ما لا حياة لها إلا به ، وإعانته على ذكره وشكره وحسن عبادته ، وتنفيذ أوامره ، والقيام بما جعل إليهم من مصالح العالم العلوي والسفلي وتسأله أن يغفر لبني آدم ، والرسل تسأله أن يعينهم على أداء رسالاته وتبليغها ، وأن ينصرهم على أعدائهم ، وغير ذلك من مصالحهم في معاشهم ومعادهم ، وبنو آدم كلهم يسألونه مصالحهم على تنوعها واختلافها ، والحيوان كله يسأله رزقه وغذاءه وقوته وما يقيمه ، والشجر والنبات يسأله غذاءه وما يكمل به ، والكون كله يسأله إمداده بقاِله وحالِه ﴿ يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن ﴾ [٣] فأكف جميع العالم ممتدة إليه بالطلب والسؤال ، ويده مبسوطة لهم بالعطاء والنوال (يمينه ملأى لا يغيضها نفقة ، سحّاءُ الليلَ والنهارَ) [٤] وعطاؤه

---

(١) سورة النور (٦١) .

(٢) انظر صحيح البخاري ١٧١/٤ ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام .
وانظر أيضا صحيح البخاري ٢٥٢/٦ ، كتاب الأشربة ، باب شرب البركة والماء المبارك .

(٣) سورة الرحمن (٢٩) .

(٤) قطعة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه المخرج في الصحيحين .

وخيره مبذول للأبرار والفجار ، له كل كمال ، ومنه كل خير ، له الحمد كله ، وله الثناء كله ، وبيده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، تبارك اسمه ، وتباركت أوصافه ، وتباركت أفعاله ، وتباركت ذاته ، فالبركة كلها له ومنه ، لا يتعاظمه خير سُئله ، ولا تنقص خزائنة على كثرة عطائه وبذله [(١)] . ا هـ .

فلله الحمد أولا وآخرا على خيراته الجزيلة ، وبركاته الدائمة ، ونعمه الوفيرة ، الظاهرة والباطنة ، وله الفضل وحده في ذلك كله تبارك وتعالى .

* * *

= انظر صحيح البخاري ٢١٣/٥ كتاب التفسير ، سورة هود ١١ ، باب قوله وكان عرشه على الماء ، وصحيح مسلم ٦٩١/٢ كتاب الزكاة ، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخَلَف .

ومعنى (سحّاء) أي دائمة الصب والهطل بالعطاء ، والليل والنهار منصوبان على الظرف . من كتاب النهاية لابن الأثير ٣٤٥/٢ ، ٣٤٦ .

(١) من كتاب شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم ص ١٨٣ ، ١٨٤ بتصرف .

وانظر كتابه الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٥٧ .

المبحث الثاني

اختصاص الله بعض خلقه بما شاء من الفضل والبركة

حيث إن الله تعالى بيده الخير كله ، وأن النعم والخيرات الوفيرة منه جل وعلا ، والبركة كلها له ، فهو سبحانه وتعالى يختص بعض خلقه بما يشاء من الخير والفضل والبركة ، كالرسل والأنبياء والملائكة وبعض الصالحين .

ومما يدل على ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ (1) .

وقوله تعالى عن إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام ﴿ وإنهم عندنا لمن المصطَفين الأخيار ﴾ (2) .

وقوله تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينت وأيدناه بروح القدس ﴾ (3) .

وقوله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين ، وباركنا عليه وعلى إسحق ﴾ (4) .

وقوله تعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا ، وجعلني مباركا أينما كنت ﴾ (5) .

وقوله تعالى ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ (6) .

وقوله ﴿ وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ (7) .

---

(1) سورة آل عمران (٣٣) .
(2) سورة ص (٤٧) .
(3) سورة البقرة (٢٥٣) .
(4) سورة الصافات (١١٣) .
(5) سورة مريم (٣٠ ، ٣١) .
(6) سورة الحج (٧٥) .
(7) سورة آل عمران (٤٢) .

وقوله ﴿ يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ﴾ [(١)] .

وقوله ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾ [(٢)] .

وقوله ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ [(٣)] .

وقوله ﴿ قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ، يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ [(٤)] .

وقوله ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ [(٥)] .

وكما فضّل الله تعالى واصطفى بعضا من الذوات من المخلوقات . فكذلك فضّل بعض الأماكن على بعض وبارك فيها ، مثل مكة والمدينة والمسجد الأقصى ، وفضّل أيضا بعض الأزمنة على بعض ، كشهر رمضان ، وليلة القدر ، وعشر ذي الحجة ، والأشهر الحرم ، ويوم الجمعة ، ونحو ذلك ، وأيضا فقد أوجد البركة في بعض الأشياء ، كالمطر والسحور [(٦)] .

وإذا كانت البركة كلها لله تعالى ومنه ، فهو المبارِك ، ومن ألقى عليه بركته فهو المبارَك ، ولهذا كان كتابه مباركا ، ورسوله مباركا ، وبيته مباركا ، والأزمنة التي

---

(١) سورة البقرة (٤٧ ، ١٢٢) .
(٢) سورة الإسراء (٢١) .
(٣) سورة الإسراء (٧٠) .
(٤) سورة آل عمران (٧٣ ، ٧٤) .
(٥) سورة الحديد (٢٩) .
(٦) الأدلة على تفضيل الله تعالى لهذه الأمور سأذكرها بالتفصيل – إن شاء الله – في الباب الأول (أنواع الأمور المباركة) .

شرّفها واختصها عن غيرها مباركة ، وليلة القدر مباركة ، وما حول المسجد الأقصى مبارك ، وأرض الشام وصفها بالبركة في أربعة مواضع من كتابه أو خمسة ، فهو المتبارِك في ذاته ، الذي يُبارِك فيمن شاء من خلقه وعليه ، فيصير بذلك مبارَكا [١] .

ولله جل وعلا المشيئة المطلقة في كل شيء ، وهو سبحانه المنفرد بالخلق والاختيار من المخلوقات كما قال تعالى ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ماكان لهم الخيرة ﴾ [٢] .

وقد أفاض الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في بيان مدلول هذه الآية في كتابه القيم (زاد المعاد) .

فمما ذكره : أن المراد بالاختيار هنا : الاجتباء والاصطفاء ، فهو اختيار بعد الخلق ، وأن أصح القولين الوقف على قوله « ويختار » ويكون قوله ﴿ ما كان لهم الخيرة ﴾ نفيا [٣] ، أي ليس هذا الاختيار إليهم بل هو إلى الخالق وحده ، فكما أنه المنفرد بالخلق ، فهو المنفرد بالاختيار منه ، فليس لأحد أن يخلق ولا أن يختار سواه ، فإنه سبحانه أعلم بمواقع اختياره ، ومحالِّ رضاه ، وما يصلح للاختيار مما لا يصلح له ، وغيره لا يشاركه في ذلك بوجه [٤] .

وفي موضع آخر أبان رحمه الله السبب في هذا الاصطفاء والاختيار حيث قال : « فذوات ما اختاره واصطفاه ، من الأعيان والأماكن والأشخاص وغيرها ، مشتملة على صفات وأمور قائمة بها ليست لغيرها ، ولأجلها اصطفاها الله وهو سبحانه الذي فضّلها بتلك الصفات ، وخصّها بالاختيار ، فهذا خلقه ، وهذا اختياره » [٥] .

---

(١) من كتاب بدائع الفوائد لابن القيم ١٨٦/٢ ، ١٨٧ بتصرف .

(٢) سورة القصص (٦٨) .

(٣) القول الثاني أن (ما) هنا موصولة ، وهي مفعول (يختار) أي ويختار الذي لهم الخيرة . وممن رجح القول الأول القرطبي (الجامع لأحكام القرآن ٣٠٥/١٣) وابن كثير (تفسير ابن كثير ٣٩٨/٣) والشوكاني (فتح القدير ١٨٢/٤) .

(٤) من كتاب زاد المعاد ٣٩/١ بتصرف .

(٥) المرجع السابق ٥٣/١ . وانظر الصفحات الآتية ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ .

وهو بهذا يرد على من سوّى بين الأعيان والأفعال ، والأزمان والأماكن ، وأن التفضيل في ذلك لأمور خارجة عن الذات والصفات القائمة بها .

ومما أورده في الرد على هؤلاء قوله : « والله سبحانه وتعالى قد رد هذا القول الباطل بقوله تعالى ﴿ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نُؤتى مثل ما أوتي رسل الله ﴾ (١) ، قال الله تعالى ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ (١) أي ليس كل أحد أهلا ولا صالحا لتحمل رسالته ، بل لها محال مخصوصة لا تليق إلا بها ، ولا تصلح إلا لها ، والله أعلم بهذه المحال منكم . ولو كانت الذوات متساوية كما قال هؤلاء ، لم يكن في ذلك رد عليهم » (٢) .

فالحاصل أن الفضل والبركة والخيرات التي توجد في بعض المخلوقات ، من الذوات أو الأماكن وغيرها ، كل هذا من فضل الله تبارك وتعالى ، اختص به هذه المخلوقات على ما عداها ، لحكمة يعلمها سبحانه ، ولصفات اختصت بها ، أودعها الله تعالى فيها ﴿ قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ﴾ (٣) .

* * *

---

(١) سورة الأنعام (١٢٤) .

(٢) المرجع السابق ٥٣/١ .

(٣) سورة آل عمران (٧٣) .

المبحث الثالث
معاني (البركة) وما تصرف منها

أولا : في اللغة العربية :-

١ - أصل البركة الثبوت واللزوم .

جاء في كتاب (معجم مقاييس اللغة) : « بَرَكَ : الباء والراء والكاف أصل واحد ، وهو ثبات الشيء ، ثم يتفرع فروعا يقارب بعضها بعضا . يقال : برك البعير يبرُك بروكا ، قال الخليل [1] : البَرْك : يقع على ما برك من الجِمال والنُّوق على الماء أو بالفلاة ، من حر الشمس أو الشِّبع ، الواحد بارِك ، والأُنثى بارِكة ... وقال أبو الخطاب [2] : البرْك : الإبل الكثيرة تشرب ثم تَبرُك في العَطَن [1] » [2] .

وفي كتاب (المفردات) للراغب الأصفهاني [3] رحمه الله « بَرَكَ البعير ألقى

---

(١) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي من أئمة اللغة والعروض والنحو . له بدائع لم يسبق إليها فقد استنبط علم العروض واستخرج خمسة عشر بحرا للشعر وصنف كتاب العين في اللغة ، وكان خيرًا متواضعا ، فيه زهد وتعفف . توفي سنة ١٧٠ هـ وقيل سنة ١٧٥ هـ .

انظر العبر في خبر من غبر للذهبي ٢٠٧/١ ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح الحنبلي ٢٧٥/١ ، الأعلام للزركلي ٣١٤/٢ .

(٢) هو عبد الحميد بن عبد المجيد أبو الخطاب البصري المعروف بالأخفش الكبير ، من كبار العلماء بالعربية ، أخذ عنه أبو عبيدة وسيبويه ، له أشياء غريبة ينفرد بنقلها عن العرب ، توفي سنة ١٧٧ هـ .

انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٢٣/٧ ، شذرات الذهب ٣٦/٢ ، الأعلام ٢٨٨/٣ .

(٣) العَطَن : هو مَبرَك الابل حول الحوض ، وإعطانها أن تُحبس عند الماء بعد الوِرد .

انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣٥٢/٤ ، القاموس المحيط ٢٥٤/٣ بترتيب الزاوي .

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢٢٧/١ ، ٢٢٨ ، وانظر لسان العرب ٣٩٦/١٠ مادة (برك) .

(٥) هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني أو الأصبهاني الملقب بالراغب ، من الأدباء والحكماء ، وهو صاحب تصانيف منها : المفردات ، وكتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة ، ومحاضرات الأدباء ، وكتاب في الاعتقاد . توفي سنة ٥٠٢ هـ وقيل غير ذلك .

انظر سير أعلام النبلاء ٢٠/١٨ ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ٣٦/١ ، الأعلام ٢٥٥/٢ .

رُكَبَه ، واعتُبر منه معنى الملزوم فقيل : ابتركوا في الحرب ، أي ثبتوا ولازموا موضع الحرب » [١] .

وفي الصحاح « كل شيء ثبت وأقام فقد بَرَكَ ... والبَرْك أيضا : الصدر ، فإذا أدخلْت عليه الهاء كسرت وقلت بِرْكة ... والبِرْكة أيضا كالحوض ، والجمع البِرَكُ ، ويقال سميت بذلك لإقامة الماء فيها ... والبَرَاكاء : الثبات في الحرب والجد ، وأصله من البُرُوك » [٢] .

٢ – وتطلق البركة أيضا على النماء والزيادة .

جاء في كتاب جمهرة اللغة « يقال : لا بارك الله فيه : أي لا نمّاه » [٣] .

وفي معجم مقاييس اللغة « قال الخليل : البركة من الزيادة والنماء » [٤] .

٣ – قال الفرّاء [٥] في قول الله تعالى ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴾ [٦] قال : « البركات : السعادة » [٧] .

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٤٤ .

(٢) الصحاح للجوهري ١٥٧٤/٤ ، ١٥٧٥ ، وانظر القاموس المحيط ٢٥٨/١ ترتيب الزاوي ، النهاية لابن الأثير ١٢٠/١ .

(٣) جمهرة اللغة لابن دريد ٢٧٢/١ .

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢٣٠/١ ، وانظر تهذيب اللغة للأزهري ٢٣١/١٠ ، الصحاح للجوهري ١٥٧٥/٤ ، المفردات للراغب الأصفهاني ص ٤٤ ، النهاية لابن الأثير ١٢٠/١ ، لسان العرب ٣٩٥/١٠ ، المصباح المنير ٤٥/١ .

(٥) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي أبو زكريا الكوفي النحوي صاحب الكسائي ، يعرف بالفرّاء لأنه كان يفري الكلام كما قيل ، وهو إمام أهل الكوفة وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب . كان يقال : الفراء أمير المؤمنين في النحو ، له تصانيف عديدة منها : معاني القرآن ، المذكر والمؤنث ، مشكل اللغة . مات بطريق الحج سنة ٢٠٧ هـ .

انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٤٩/١٤ ، الأنساب للسمعاني ٢٤٧/٩ ، سير أعلام النبلاء ١١٨/١٠ ، الأعلام ١٤٥/٨ .

(٦) سورة هود (٧٣) .

(٧) معاني القرآن للفرّاء ٢٣/٢ ، وانظر القاموس المحيط ٢٥٨/١ بترتيب الزاوي .

وقال أبو منصور الأزهري [١] بعد ذكره هذا القول : « وكذلك قوله في التشهد (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) [٢] لأن من أسعده الله بما أسعد به النبي ﷺ فقد نال السعادة المباركة الدائمة » [٣] .

وأما معنى السعادة فهي التوفيق للخير .

جاء في لسان العرب « وإذا قيل أسعد الله العبد وسَعَدَه فمعناه : وفقه الله لما يرضيه عنه ، فيسعَد بذلك سعادة » [٤] .

التبريك :-

التبريك : هو الدعاء للإنسان وغيره بالبركة .

يقال : برّكت عليه تبريكا أى قلت : بارك الله عليك [٥] .

وفي النهاية : « وفي حديث أم سليم [٦] (فحنّكه [٧] وبرّك

---

(١) هو محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري أبو منصور الهروي اللغوي النحوي الشافعي ، كان رأسا في اللغة والفقه ثقة ثبتا ديِّنا ، له عدة تصانيف . منها : تهذيب اللغة ، وكتاب التفسير ، وعلل القراءات ، وكتاب شرح أسماء الله الحسنى ، وغيرها . توفي سنة ٣٧٠ هـ .

انظر سير أعلام النبلاء ٣١٥/١٦ ، العبر ١٣٥/٢ ، شذرات الذهب ٧٢/٣ ، هدية العارفين – أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون – لإسماعيل البغدادي ٤٩/٦ .

(٢) قطعة من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه المخرج في الصحيحين . انظر صحيح البخاري ٦٠/٢ كتاب أبواب العمل في الصلاة ، باب من سمى قوما أو سلم في الصلاة على غيره مواجهة وهو لا يعلم ، وصحيح مسلم ٣٠٢/١ كتاب الصلاة ، باب التشهد في الصلاة .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري ٢٣٢/١٠ ، وانظر كتاب القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي ص ٨٨ .

(٤) لسان العرب ٢١٤/٣ ، وانظر المفردات للراغب ص ٢٣٢.

(٥) تهذيب اللغة للأزهري ٢٣١/١٠ ، وانظر الصحاح ١٥٧٥/٤ ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢٣٠/١ .

(٦) هي أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد الانصارية ، اختلف في اسمها فقيل سهلة وقيل رميلة وقيل رميثة وقيل مليكة وقيل الغميصاء أو الرميصاء ، كانت تحت مالك بن النضر في الجاهلية فولدت له أنس ابن مالك ، فلما مات تزوجها أبو طلحة فولدت له أبا عمير وعبد الله ، كانت من أفاضل النساء ، وروت عن النبي ﷺ عدة أحاديث ، توفيت نحو سنة ٣٠ هـ .

انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٤٤١/٤ ، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٣٤٥/٦ ، سير أعلام النبلاء ٣٠٤/٢ ، الأعلام ٣٣/٣ .

(٧) التحنيك : أن يمضغ المحنك التمر أو ما في معناه حتى تصير التمرة مائعة بحيث تبتلع ، ثم يفتح فم المولود ويضعها فيه ليدخل شيء منها جوفه .

عليه) [١] أي دعا له بالبركة » [٢] .

وجاء في الصحاح : « يقال : بارك الله لك وفيك وعليك ، وباركك . وقال تعالى ﴿ أن بورك من في النار [٣] ﴾[٤] » .

وفي لسان العرب « بارك الله الشيء ، وبارك فيه وعليه : وضع فيه البركة ، وطعام بَريك كأنه مبارَك » [٥] .

والمبارَك وصف لوجود البركة في الشيء .

قال في المصباح المنير : « بارك الله تعالى فيه فهو مبارَك ، والأصل مبارَك فيه » [٦] اهـ . ومبارَك [٧] مفعول بارَك [٨] .

معنى (تبارك) :-

قال ابن دريد [٩] : « وتبارك لا يوصف به إلا الله تبارك وتعالى [١٠] ،

= انظر شرح النووي لصحيح مسلم ١٢٢/١٤ .

(١) قطعة من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما . فقد هاجرت إلى الرسول ﷺ بالمدينة وهي حبلى بعبد الله بن الزبير فولدته بقباء . قالت : ثم أتيت رسول الله ﷺ فوضعه في حجرة ، ثم دعا له بتمرة فمضغها ، ثم تفل في فيه ، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ، ثم حنّكه بالتمرة ، ثم دعا له وبرّك عليه ...) الحديث . وفي الباب أحاديث أخرى .

انظر : صحيح البخاري ٢١٦/٦ كتاب العقيقة ، باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه وتحنيكه ، وصحيح مسلم ١٦٩١/٣ كتاب الآداب ، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته ، وحمله إلى صالح يحنكه .

ولم أجد في حديث أم سليم لفظ (وبرك عليه) كما ذكر ابن الأثير رحمه الله ، والذي فيه هو تحنيك الرسول ﷺ لابنها عبد الله فقط .

(٢) النهاية لابن الأثير ١٢٠/١ .

(٣) سورة النمل (٨) .

(٤) الصحاح للجوهري ١٥٧٥/٤ .

(٥) لسان العرب ٣٩٥/١٠ .

(٦) المصباح المنير للفيومي ٤٥/١ .

(٧) الشائع عند كثير من الناس إطلاق لفظ (مبروك) موضع (مبارَك) .

(٨) انظر بدائع الفوائد لابن القيم ١٨٥/٢ .

(٩) هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية أبو بكر الأزدي نزيل بغداد ، من أئمة اللغة والأدب والشعر ، كان واسع الحفظ ، له عدة تصانيف منها : جمهرة اللغة ، المقصور والممدود ، ذخائر الحكمة . توفي سنة ٣٢١ هـ .

انظر تاريخ بغداد ١٩٥/٢ ، طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي ١٤٥/٢ ، الأعلام ٨٠/٦ .

(١٠) انظر تفسير ابن عطية : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٧٧/٧ .

ولا يقال تبارك فلان في معنى عَظُم ، هذه صفة لا تنبغي إلا لله عز وجل » [١] .

وقد اختلف أهل اللغة في بيان معناها على عدة أقوال :-

١ - قال الزجّاج [٢] : (تبارك) : تعالى وتعاظم ، وقال الليث [٣] في تفسير تبارك الله : تمجيد وتعظيم ، وسئل أبو العباس [٤] عن تفسير تبارك الله فقال : ارتفع ، والمتبارِك المرتفع . وقال الأزهري : ومعنى بركة الله : علوٌّ على كل حال [٥] .

وقال ابن دريد عن تفسير (تبارك الله) بالعلو : « لأن البركة في الشيء النماء بعد النقصان ، وهذه صفة منفية عن الله عز وجل » [٦] .

٢ - وقال أبو بكر [٧] : معنى تبارك : تقدّس . أي تطهر ، والمقدّس المطهَّر [٨] .

---

(١) جمهرة اللغة ٢٧٣/١ ، وانظر القاموس ٢٥٨/١ بترتيب الزاوي .

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن السَّري بن سهل أبو إسحق البغدادي النحوي ، كان يشتغل بالزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب . له عدة تصانيف . منها : معاني القرآن ، الاشتقاق ، النوادر . مات سنة ٣١١ هـ وقيل غير ذلك .

انظر تاريخ بغداد ٨٩/٦ ، الأنساب ٢٥٧/٦ ، سير أعلام النبلاء ٣٦٠/١٤ ، شذرات الذهب ٢٥٩/٢ .

(٣) هو الليث بن المظفر بن نصر بن يسار الخراساني ، ويقال : الليث بن نصر . صاحب الخليل بن أحمد ، وأحد من أخذ عنه النحو واللغة وروى عنه ، وكان الخليل قد عمل من كتاب العين (باب العين) فأحب الليث أن يَنفُق سوق الخليل فصنف باقي الكتاب وسمى نفسه الخليل . قال عنه ابن المعتز : كان من أكتب الناس في زمانه ، بارعا في الأدب بصيرا بالشعر والغريب والنحو . وقال الأزهري : كان رجلا صالحا .

انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ٤٣/٩ ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ٢٧٠/٢ .

(٤) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري أبو العباس . المعروف بالمبرد ، إمام أهل النحو وأحد أئمة الأدب ، وصاحب التصانيف التي منها : الكامل ، شرح لامية العرب ، نسب عدنان وقحطان ، توفي آخر سنة ٢٨٥ هـ .

انظر تاريخ بغداد ٣٨٠/٣ ، العبر للذهبي ٤١٠/١ ، شذرات الذهب ١٩٠/٢ ، الأعلام ١٤٤/٧ .

(٥) من تهذيب اللغة للأزهري ٢٣٠/١٠ ، ٢٣١ ، بتصرف .

(٦) جمهرة اللغة ٢٧٢/١ ، ٢٧٣ .

(٧) هو محمد بن السَّري بن سهل البغدادي أبو بكر . المعروف بابن السراج . كان أحد أئمة الأدب والعربية ، أخذ عن المبرد وغيره ، له مصنفات . منها : شرح كتاب سيبويه ، الشعر والشعراء ، الموجز في النحو . توفي سنة ٣١٦ هـ .

انظر تاريخ بغداد ٣١٩/٥ ، شذرات الذهب ٢٧٣/٢ ، الأعلام ١٣٦/٦ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١٨٥/٢ .

(٨) تهذيب اللغة ٢٣١/١٠ .

٣ – وقال الزجّاج في موضع آخر : تبارك تفاعل من البركة . كذلك يقول أهل اللغة ، وقال : ومعنى البركة : الكثرة في كل خير [(١)] .

وفي ذلك قال ابن دريد : « تبارك الله كأنه تفاعل من البركة ، وليس من النماء . وإنما هو راجع إلى الجلال والعظمة » [(٢)] .

٤ – وقال الجوهري [(٣)] : « تبارك الله أي بارَك ، مثل قاتَل وتَقاتَل ، إلا أن فاعَل يتعدى وتَفاعَل لا يتعدى » [(٤)] .

٥ – وقال ابن الأنباري [(٥)] : تبارك الله أي يُتبرك باسمه في كل أمر [(٦)] .

ومعنى تبارك بالشيء : أي تفاءل به . كما جاء في لسان العرب [(٧)] .

التـــبرك :-

التبرك مصدر تبرَّك يتبرَّك تبرُّكا ، وهو طلب البركة ، والتبرك بالشيء طلب البركة بواسطته .

---

(١) تهذيب اللغة ٢٢٨/١٠ .

(٢) جمهرة اللغة ٢٧٣/١ .

(٣) هو إسماعيل بن حماد الجوهري التركي الفارابي أبو نصر . أحد أئمة اللغة ، كان جيد الحفظ ، وكان يحب الأسفار والتغرب ، له عدة تصانيف . منها : كتاب الصحاح في اللغة وهو أشهرها ، وكتاب في العروض ، ومقدمة في النحو . توفي سنة ٣٨٣ هـ .

انظر معجم البلدان لياقوت ٢٢٥/٤ ، سير أعلام النبلاء ٨٠/١٧ ، كشف الظنون ١٠٧١/٢ ، شذرات الذهب ١٤٢/٣ .

(٤) الصحاح ١٥٧٥/٤ .

(٥) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر ابن الأنباري النحوي اللغوي . من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظا ، قال أبو بكر الخطيب : كان صدوقا ديِّنا من أهل السنة ، صنف كتبا كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث . توفي سنة ٨٢٣ هـ ببغداد وله ٥٧ سنة .

انظر تاريخ بغداد ١٨١/٣ ، الأنساب للسمعاني ٣٥٥/١ ، سير أعلام النبلاء ٢٧٤/١٥ ، تذكرة الحفاظ ٨٤٢/٣ ، شذرات الذهب ٣١٥/٢ .

(٦) تهذيب اللغة ٢٢٨/١٠ .

(٧) انظر لسان العرب : ٣٩٦/١ .

جاء في بعض كتب اللغة « تبركتُ به : أي تيمّنت به » [٣] .

« واليُمْن : البركة ، وقد يَمُن فلان على قومه فهو ميمون ، إذا صار مبارَكا عليهم ... وتَيمنت به : تبركت » [٤] .

« ويقال فلان يُتَيمن برأيه : أي يُتبرك به » [٥] .

وقال ابن الأثير : « وقد تكرر ذكر (اليُمْن) في الحديث ، وهو البركة ، وضده الشؤم ... » [٦] .

ويظهر مما تقدم أن البركة واليُمْن لفظان مترادفان .

ثانيا : في القرآن الكريم :-

وردت لفظة (البركة) وما تصرف منها في القرآن الكريم أربعا وثلاثين مرة ، في اثنتين وثلاثين آية ، على ثمان صيغ ، هي (بارَك - بارَكنا - بُورك - تبارك - بركات - بركاته - مُبارَك - مُبارَكة) .

وبعد تأمل تلك الآيات وتفاسيرها تبين أن المقصود بالبركة وما يتصرف منها ما يأتي :-

١ - ثبوت الخير ودوامه : وهذا يتفق مع المعنى اللغوي الأول للبركة (الثبوت واللزوم) .

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله في (المفردات في غريب القرآن) : « والبركة : ثبوت الخير الإلهي في الشيء ، قال تعالى ﴿ لفتحنا عليهم بركات من السماء

---

(١) الصحاح ٤/١٥٧٥ ، اللسان ١٠/٣٩٦ ، وانظر القاموس المحيط ١/٢٦٠ ترتيب الزاوي .

(٢) من كتاب الصحاح ٦/٣٢٢ مادة (يمن) .

(٣) لسان العرب ١٣/٤٥٨ .

(٤) النهاية لابن الأثير ٥/٣٠٢

والأرض ﴾ [١] وسمي بذلك لثبوت الخير فيه ثبوت الماء في البِركة ، والمبارَك مافيه ذلك الخير » [٢] .

وقال الخازن [٣] رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية : « فبركات السماء المطر ، وبركات الأرض النبات والثمار ، وجميع ما فيها من الخيرات والأنعام والأرزاق ، والأمن ، والسلامة من الآفات ، وكل ذلك من فضل الله تعالى وإحسانه على عباده ، وأصل البركة : ثبوت الخير الإلهي في الشيء ، وسُمي المطر بركة لثبوت البركة فيه ، وكذا ثبوت البركة في نبات الأرض لأنه نشأ عن بركات السماء وهي المطر » [٤] .

وقال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى : « ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ﴾ [٥] أي التي جعلنا فيها الخير ثابتا دائما لأهلها » [٦] .

٢ – كثرة الخير وزيادته : وهذا يتفق مع المعنى اللغوي الثاني للبركة (النماء والزيادة) .

قال الإمام القرطبي في تفسيره لقوله تعالى ﴿ إن أول بيت وُضع للناس للذي ببكة مباركا ﴾ [٧] جعله مباركا لتضاعف العمل فيه ، فالبركة كثرة الخير [٨] .

ومما قال الإمام ابن القيم رحمه الله في سبب جمع البركة ، وإفراد السلام والرحمة في التحية : « وأما البركة فإنها لما كان مسماها كثرة الخير ، واستمراره شيئا بعد

---

(١) سورة الأعراف (٩٦) .

(٢) المفردات ص ٤٤ .

(٣) هو علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي أبو الحسن علاء الدين المعروف بالخازن ، من علماء التفسير والحديث ومن فقهاء الشافعية . من مصنفاته (لباب التأويل في معاني التنزيل) يعرف بتفسير الخازن ، عدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام ، مقبول المنقول . توفي سنة ٧٤١ هـ .
انظر كشف الظنون ١٥٤٠/٢ ، شذرات الذهب ١٣١/٦ ، الأعلام ٥/٥ .

(٤) تفسير الخازن ٢٦٦/٢ ، وانظر تفسير البغوي ١٨٣/٢ .

(٥) سورة الأعراف (١٣٧) .

(٦) تفسير الطبري ٤٣/٩ .

(٧) سورة آل عمران (٩٦) .

(٨) تفسير القرطبي ١٣٩/٤ .

شيء ، كلما انقضى منه فرد خلفه فرد آخر ، فهو خير مستمر ، يتعاقب الأفراد على الدوام شيئا بعد شيء ، كان لفظ الجمع أولى بها لدلالته على المعنى المقصود بها ، ولهذا جاءت في القرآن كذلك في قوله تعالى ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴾ [١] فأفرد الرحمة وجمع البركة ، وكذلك في السلام في التشهد (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته [٢]) [٣] .

وجاء في كتاب أضواء البيان للشنقيطي [٤] رحمه الله : ﴿ وهذا ذكر مبارك أنزلناه ﴾ [٥] أي كثير البركات والخيرات لأن فيه خير الدنيا والآخرة [٦] .

وقد اكتفيت بنماذج فقط لأقوال المفسرين ، وسأبحث إن شاء الله موضوع الأمور المباركة بالتفصيل في الباب الأول .

معنى (تبارك) :-

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم تسع مرات ، وكلها مسندة إلى الله تبارك وتعالى [٧] فلا يوصف بها إلا الله .

وأما الآيات التي وردت فيها فهي ما يأتي :-

قوله تعالى : ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل والنهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات

---

(١) سورة هود (٧٣) .

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٧ .

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم ١٨٢/٢ ، ١٨٣ .

(٤) هو الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي العلامة الأصولي المفسر اللغوي الحافظ ، المالكي مذهبا صاحب التصانيف . ومنها : أضواء البيان في تفسير القرآن ، منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز ، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ، آداب البحث والمناظرة . توفي بمكة سنة ١٣٩٣ هـ .

انظر مشاهير علماء نجد وغيرهم للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، الأعلام ٤٥/٦ ، أضواء البيان للشنقيطي آخر الجزء العاشر ألحقت فيه ترجمة له أعدها تلميذه عطية محمد سالم .

(٦) كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥٨٧/٤ ، وانظر كتاب تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٢٤/٩ في تفسير قوله تعالى : ﴿ لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ الأعراف ٩٦ .

(٧) وكذا في الأحاديث الشريفة . انظر مثلا المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ١٧٤/١ .

بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ [١] . وقوله ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ إلى قوله ﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ [٢] .

وقوله ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ [٣] .

وقوله ﴿ تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا ﴾ [٤] .

وقوله ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ﴾ [٥] .

وقوله ﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ﴾ [٦] .

وقوله ﴿ وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون ﴾[٧] .

وقوله ﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام ﴾ [٨] .

وقوله ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴾ [٩] .

وأما معنى (تبارك) فقد تقدم قريبا أقوال أهل اللغة في معانيها [١٠] ، وقد أورد جملة منها بعضُ المفسرين [١١] .

---

(١) سورة الأعراف (٥٤) .
(٢) سورة المؤمنون (١٢ ، ١٣ ، ١٤) .
(٣) سورة الفرقان (١) .
(٤) سورة الفرقان (١٠) .
(٥) سورة الفرقان (٦١) .
(٦) سورة غافر (٦٤) .
(٧) سورة الزخرف (٨٥) .
(٨) سورة الرحمن (٧٨) .
(٩) سورة الملك (١) .
(١٠) راجع ص ٢٨ فما بعدها .
(١١) انظر مثلا الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٣/٧ ، زاد المسير لابن الجوزي ٢١٤/٣ .

ومنهم من فسّر (تبارك الله) بمعنيي البركة في القرآن الكريم اللذين سبقا .

جاء في تفسير الرازي [١] لقوله تعالى ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ [٢] .

« البركة لها تفسيران : أحدهما : البقاء والثبات ، والثاني : كثرة الآثار الفاضلة والنتائج الشريفة ، وكلا التفسيرين لا يليق إلا بالحق سبحانه وتعالى ، فإن حملته على الثبات والدوام فالثابت والدائم هو الله تعالى ... وإن فسرنا البركة بكثرة الآثار الفاضلة فالكل بهذا التفسير من الله ... » [٣] .

وقد أورد ابن القيم أقوال السلف فيها في كتابه (بدائع الفوائد) ثم قال : « وحقيقة اللفظة : أن البركة كثرة الخير ودوامه ، ولا أحد أحق بذلك وصفا وفعلا منه تبارك وتعالى ، وتفسير السلف يدور على هذين المعنيين ، وهما متلازمان » .

ثم قال مرجحا أن معنى (تبارك) أقرب إلى الوصف من الفعل : « لكن الأليق باللفظة معنى الوصف لا الفعل ، فإنه فعل لازم ، مثل تعالى وتقدس وتعاظم . ومثل هذه الألفاظ ليس معناها أنه جعل غيره عاليا ولا قدوسا ولا عظيما ، هذا مما لا يحتمله اللفظ بوجه .. فكذلك (تبارك) لا يصح أن يكون معناها : بارك في غيره ، وأين أحدهما من الآخر لفظا ومعنى ؟ هذا لازم وهذا متعد » [٤] .

وقد بحث ابن القيم أيضا رحمه الله هذه المسألة في كتابه (جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام) .

---

(١) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين القرشي التيمي البكري أبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي ، أحد الفقهاء الشافعية ، وصاحب التصانيف العديدة . ومنها : تفسير القرآن ، عصمة الأنبياء ، المحصول في علم الأصول ، شرح أسماء الله الحسنى وغيرها ، ذُكر أنه رجع عن مذهب الكلام آخر عمره . توفي سنة ٦٠٦ هـ .

انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٣/٥ ، البداية والنهاية لابن كثير ٥٥/١٣ ، شذرات الذهب ٢١/٥ ، الأعلام ٣١٣/٦ .

(٢) سورة الأعراف (٥٤) .

(٣) تفسير الرازي ١١٩/١٤ .

(٤) بدائع الفوائد ١٨٦/٢ .

وبما ذكره مرجحا رأيه فيها : هذا الثناء في حقه تعالى إنما هو لوصف رجع إليه ، كتعالى ، فإنه تفاعل من العلو ، ولهذا يُقرن بين هذين اللفظين ، فيقال (تبارك وتعالى) ، وفي دعاء القنوت (تباركت وتعاليت) [١] .

وهذا اللفظ قد ذكره الله سبحانه في المواضع التي أثنى فيها على نفسه بالجلال والعظمة ، والأفعال الدالة على ربوبيته وإلهيته وحكمته ، وسائر صفات كماله ، وأنه سبحانه قد أسند التبارك إلى اسمه كما قال ﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ﴾ [٢] وفي حديث الاستفتاح (تبارك اسمك وتعالى جدك [٣]) [٤] .

وقد أورد رحمه الله تعالى أقوال العلماء من أهل اللغة والتفسير ، واختتم ذلك بقوله « فتباركه سبحانه يجمع هذا كله : دوام وجوده ، وكثرة خيره ، ومجده وعلوه ، وعظمته وتقدسه ، ومجيء الخيرات كلها من عنده وتبريكه على من شاء من خلقه ، وهذا هو المعهود من ألفاظ القرآن أنها تكون دالة على جملة معان ، فيعبر هذا عن بعضها وهذا عن بعضها ، واللفظ يجمع ذلك كله » [٥] .

ومما تقدم تبين أن لفظة (تبارك) لا تصلح أن تسند إلى غير الله سبحانه وتعالى ، وأنها تشتمل على عدة معان جليلة وعظيمة .

---

(١) قطعة من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه من دعاء الرسول ﷺ في استفتاح الصلاة . وأخرج هذا الحديث مسلم في صحيحه ٥٣٥/١ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه .

(٢) سورة الرحمن (٧٨) .

(٣) قطعة من حديث استفتاح الصلاة ؛ أخرجه أصحاب السنن وغيرهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وغيره . انظر (سنن أبي داود مع بذل المجهود) ٥١٢/٤ كتاب الصلاة ، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك ، سنن الترمذي ٩/٢ كتاب الصلاة ، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة (قال أحمد شاكر : حديث صحيح ص ١١ هـ ٤) ، سنن النسائي ١٣٢/٢ كتاب افتتاح الصلاة ، باب الدعاء بين التكبير والقراءة ، سنن ابن ماجه ٢٦٤/١ كتاب إقامة الصلاة ، باب افتتاح الصلاة ، مسند الإمام أحمد ٥٠/٣ ، ٦٩ ، سنن الدارمي ٢٨٢/١ كتاب الصلاة ، باب ما يقال بعد افتتاح الصلاة .

(٤) انظر جلاء الأفهام ص ١٧٨ — ١٨٠ .

(٥) المرجع السابق ص (١٨٠) ، وانظر كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي ٣٩/٣ .

ثالثا : في الحديث الشريف :-

وردت لفظة (البركة) وما تصرف منها في مواضع كثيرة من أحاديث الرسول ﷺ تقارب مائة وثلاثين مرة [١] ، بصيغ متعددة . منها : بركّ : أي دعا بالبركة [٢] .

ومنها : بارك ، بُورك ، يبارِك ، بارِك ، مبارَك ، مبارَكة ، مبارَكات .

ومنها : تبارك ، تباركْت . كقوله ﷺ (تباركْت ذا الجلال والاكرام) [٣] .

ومنها : البركة . وقد تضاف أو تجمع . وقد وردت هذه حوالي ستين مرة .

ومعنى البركة في أحاديث الرسول ﷺ هو معناها نفسه في القرآن الكريم ، أي ثبوت الخير ودوامه ، أو كثرة الخير وزيادته ، أو هما معا .

قال ابن الأثير [٤] رحمه الله عند شرحه ما جاء في حديث الصلاة على النبي ﷺ : « (وبارِك على محمد وعلى آل محمد) [٥] أي أثبِت له وأدِم ما أعطيته من

---

(١) راجع إن شئت : المعجم المفرس لألفاظ الحديث النبوي ١/١٧٣ - ١٧٦ .

(٢) انظر النهاية لابن الأثير ١/١٢٠ .

(٣) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم عن ثوبان رضي الله عنه ونصه : كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا . وقال : (اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت ذا الجلال والإكرام) .

صحيح مسلم ١/٤١٤ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة ، وبيان صفته . وأخرجه مسلم أيضا عن عائشة رضي الله عنها بنحوه .

(٤) هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزَري مجد الدين أبو السعادات ، كان فقيها محدثا أديبا نحويا . له تصانيف عديدة . منها : النهاية ، جامع الأصول في أحاديث الرسول ، الشافي في شرح مسند الشافعي ، المصطفى المختار في الأدعية والأذكار ، وغيرها . توفي سنة ٦٠٦ هـ .

انظر معجم البلدان ٢/١٣٨ ، طبقات الشافية الكبرى ٥/١٥٣ ، شذرات الذهب ٥/٢٢ ، الأعلام ٥/٢٧٢ .

(٥) جزء من حديث أخرجه الشيخان في صحيحيهما عن كعب بن عجزة رضي الله عنه ، وغيره من الصحابة رضي الله عنهم . انظر صحيح البخاري ٤/١١٨ كتاب الأنبياء ، ١٠ - باب حدثنا موسى بن اسماعيل ، وصحيح مسلم ١/٣٠٥ كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد .

التشريف والكرامة ، وهو من برَك البعير إذا ناخ في موضع فلزمه ، وتطلق البركة أيضا على الزيادة . والأصل الأول » [1] .

وقال ابن القيم رحمه الله : « فهذا الدعاء يتضمن إعطاءه من الخير ما أعطاه لآل إبراهيم وإدامته وثبوته له ، ومضاعفته له وزيادته ، هذا حقيقة البركة » [2] .

ومن شواهد الحديث الشريف على أنه يُقصد بالبركة كثرة الخير : قصة جويرية بنت الحارث بن المصطلق رضي الله عنها حين أعتق الصحابة رضي الله عنهم سباياهم من غزوة بني المصطلق ؛ لما تزوج الرسول ﷺ بها ، فقد قالت عائشة رضي الله عنها : « فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها ، أعتق في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق » [3] .

وبهذا ينتهي الكلام عن مبحث معاني (البركة) وما تصرف منها .

* * *

(١) النهاية لابن الأثير ١/١٢٠ . وانظر شرح النووي لصحيح مسلم ٤/١٦٦ .

(٢) جلاء الأفهام لابن القيم ص ١٨١ .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في سننه . انظر (سنن أبي داود مع بذل المجهود ١٦/٢٦٦ ، كتاب العتق ، باب بيع المكاتب إذا فسخت المكاتبة) والإمام أحمد في مسنده ٦/٢٧٧ .

المبحث الرابع

انقسام التبرك إلى مشروع وممنوع

سبق أن أوضحنا في المبحث السابق أن التبرك هو طلب البركة ، والتبرك بالشيء طلب البركة بواسطته ، وأن البركة في القرآن والسنة : ثبوت الخير ودوامه ، أو كثرة الخير وزيادته ، أو اجتماعهما معا .

فيمكن أن نقول بأن معنى التبرك بشيء ما : طلب حصول الخير بمقاربة ذلك وملابسته .

ولكن هل يجوز فعل هذا التبرك مطلقا ؟ .

والجواب بالنفي ، حيث إن الشارع الحكيم قد أبان الأمور والأشياء التي يستحب أو يجب طلب البركة منها ، والتماس كثرة الخير عن طريقها ، وخاصة أن طلب الخير والحرص عليه مما يحث عليه ديننا الحنيف .

وما عدا تلك الأشياء فلا يجوز التبرك به ؛ لأن ما ليس بمشروع في الدين فهو ممنوع ، وأيضا فقد وردت أدلة شرعية في تحريم ومنع بعض صوره وأشكاله ، وقد يصل حكم التبرك الممنوع إلى حد الشرك .

وسيأتي - بإذن الله تعالى - توضيح قسمي التبرك ، مع بيان الأحكام والأدلة بالتفصيل في الأبواب التالية .

والخلاصة : أن التبرك مشروع في الإسلام ، ولكن ليس مشروعا على الاطلاق ، بل منه ما هو ممنوع .

الباب الأول
أنواع الأمور المباركة
ويحتوي على تمهيد وخمسة فصول :

التمهيد : في تقسيم البركة إلى دينية ودنيوية .
الفصل الأول : القرآن الكريم .
الفصل الثاني : المبارك من الأشخاص .
الفصل الثالث : المســـاجد .
الفصل الرابع : المبارك من الأزمنة .
الفصل الخامس : في أنواع أخرى مباركة .

تمهيـــد

في تقسيم البركة إلى دينية ودنيوية

سبق أن عرفنا أن البركة في الشرع هي ثبوت الخير ودوامه ، وكثرة الخير وزيادته .

فهل هذا الخير الحاصل هو من جهة الدين ، أو من جهة الدنيا ؟ .

لا ريب أنه إما أن يشتمل عليهما معا ، أو على أحدهما .

فالبركة إذن إما دينية ، أو دنيوية ، وهي أيضا بقسميها إما حسية أو معنوية .

ومن المعلوم أن الأمور المباركة كثيرة ومتنوعة .

ومن الأمثلة على مافيه البركة الدينية والدنيوية معا من الأمور المباركة : القرآن الكريم ، فإن فيه خيري الدنيا والآخرة .

ومن ذلك : الرسول ﷺ ، حيث إنه يحصل بسبب طاعته واتباعه الكثير من الأجر والمزيد من الثواب ، وأيضا ما يحصل للصحابة رضي الله عنهم من الخير الدنيوي ، من تبركهم به في حياته ، أو بشيء من آثاره .

ومن ذلك أيضا : مجالسة الصالحين ، ورمضان ، والسحور ، وغير ذلك .

ومن أمثلة ما توجد فيه البركة الدينية : المساجد الثلاثة : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ﷺ ، والمسجد الأقصى .

ومن أمثلة ما توجد فيه البركة الدنيوية : المطر ، حيث يشرب الناس منه ، وكذا الأنعام وسائر الدواب ، وتنبت الثمار والأشجار ، وتكثر الخيرات .

ومن ذلك أيضا : اللبن ، والغنم ، وغير ذلك .

وفي بداية هذا الباب لابد من بيان التنبيهات الآتية :-

١ - حرصت على استيعاب ذكر الأمور المباركة الواردة في الكتاب والسنة - ما استطعت إلى ذلك سبيلا - موضحا حقيقة البركة في كل واحد منها .

٢ - أوردت بعض الأمور المباركة ، التي لم ينص الشرع عليها صراحة ، وإنما عُرفت بركتها من خلال خصائصها أو آثارها - لاقتضاء المقام ذلك .

٣ - لم أستوعب ذكر الأمور المباركة التي لم يرد فيها نص صريح بالبركة ، مع وجود البركة فيها ، لكثرتها ، ولعدم الإطالة ؛ فإن جميع شرائع الدين مثلا مباركة في الدين والدنيا ، كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونحو ذلك ، كما أن هناك من الأمور الدنيوية ماهو مبارك أيضا بركة دنيوية ، كالعسل ، ونحوه مما لم أذكره .

٤ - البركة الدنيوية إذا لم تستعمل في طاعة الله تعالى ولم يتقوّ بها على ذلك فليست في الحقيقة بركة ، وإنما هي نقمة .

* * *

الفصل الأول
القــــرآن الكريــــم

الأدلة على بركة القرآن الكريم :-

وصف الله تبارك وتعالى كتابه الكريم الذي أنزله على عبده ورسوله نبينا محمد ﷺ بأنه مبارك في أربعة مواضع من آيات القرآن الكريم ، وهي ما يأتي :

١ - قوله الله تعالى ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها ، والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ﴾ (١) .

٢ - وقوله ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾ (٢) .

٣ - وقوله ﴿ وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون ﴾ (٣) .

٤ - وقوله ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾ (٤) .

وقد عرفنا أن البركة هي ثبوت الخير ودوامه ، وكثرة الخير وزيادته ، وهكذا القرآن الكريم .

قال صاحب (كتاب روح المعاني) (٥) في تفسير قوله تعالى « مبارك » :

---

(١) سورة الأنعام (٩٢) .

(٢) سورة الأنعام (١٥٥) .

(٣) سورة الأنبياء (٥٠) .

(٤) سورة ص (٢٩) .

(٥) هو محمود بن عبد الله شهاب الدين أبو الثناء الألوسي الحسيني العلامة اللغوي الأديب ، من العادة إلى الاصلاح ، وصاحب مؤلفات كثيرة . منها : كتابه في التفسير (روح المعاني) ، الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية ، نزهة الألباب وغرائب الاغتراب ، الرسالة اللاهورية ، نشوة المدام في العودة إلى دار السلام توفي ببغداد سنة ١٢٧٠ هـ .

انظر جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص ٤٣ ، الأعلام ١٧٦/٧ .

« كثير الفائدة والنفع ، لاشتماله على منافع الدارين ، وعلوم الأولين والآخرين » [١] .

وقال الشنقيطي رحمه الله في (أضواء البيان) : « أي كثير البركات والخيرات ؛ لأن فيه خير الدنيا والآخرة » [٢] .

وجاء في تفسير الرازي « قال أهل المعاني : كتاب مبارك : أي كثير خيره ، دائم بركته ، يبشر بالثواب والمغفرة ، ويزجر عن القبيح والمعصية » [٣] .

وقال ابن القيم رحمه الله : « وهو أحق أن يسمى مباركا من كل شيء ، لكثرة خيره ومنافعه ، ووجوه البركة فيه » [٤] .

فضائل القرآن الكريم :-

للقرآن الكريم فضائل عديدة ، ومنافع جليلة ، وخيرات كثيرة دينية ودنيوية .

ولذا سماه الله تعالى ووصفه بعدة أسماء وصفات [٥] شريفة وعظيمة .

وهذه الفضائل والمنافع والخيرات هي من علامات بركته ، ومن مجالاتها .

وأبرز فضائل القرآن الكريم [٦] هي ما يأتي :

١ - القرآن كلام الله حقيقة ، منزل من عنده عز وجل .

قال تعالى ﴿ وإن أحد من المشركين استبارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾[٧].
والآيات الدالة على تنزيل القرآن الكريم كثيرة ، تقدم بعضها .

---

(١) روح المعاني للألوسي ٢٢١/٧ .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن ٥٨٧/٤ .

(٣) تفسير الرازي ٨٠/١٣ .

(٤) جلاء الأفهام ص ١٧٨ .

(٥) انظر لمعرفة هذه الأسماء والصفات كتاب الهدى والبيان في أسماء القرآن للشيخ صالح البليهي ، وهو في جزئين ، وقد ذكر للقرآن الكريم ستة وأربعين اسما مع توضيحها وشرحها والاستدلال لها .

(٦) اقتبست هذه الفضائل وأدلتها من كتاب عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص ٢٠٤ - ٢٠٦ . وكتاب الهدى والبيان بجزئيه للبليهي . مع التصرف .

(٧) سورة التوبة (٦) .

٢ – أنه حق وجاء بالحق ودعا إليه .

قال تعالى ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضِل عليها وما أنا عليكم بوكيل ﴾ (١) .

وقال ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ﴾ (٢) .

وقال ﴿ وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (٣) .

٣ – هو مفرّق بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام .

قال تعالى ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ (٤) .

وقال سبحانه وتعالى ﴿ تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ (٥) .

٤ – هو هدى موصل إلى كل خير ، وهاد إلى سعادة الدارين .

قال سبحانه وتعالى ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ (٦) .

وقال ﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ﴾ (٧) .

وقال جلا وعلا ﴿ قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزّله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ﴾ (٨) .

---

(١) سورة يونس (١٠٨) .
(٢) سورة الإسراء (١٠٥) .
(٣) سورة فصلت (٤٢) .
(٤) سورة البقرة (٢٨٥) .
(٥) سورة الفرقان (١) .
(٦) سورة التوبة (٣٣) .
(٧) سورة آل عمران (١٣٨) .
(٨) سورة البقرة (٩٧) .

وقال تبارك وتعالى حكاية عن الجن ﴿ إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ﴾ (١) .

قال فخر الدين الرازي – وهو من المشهورين بالاشتغال في علم الكلام – عند تفسيره لقوله الله تعالى ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك ﴾ (٢) .

« جرت سنة الله تعالى بأن الباحث عنه والمتمسك به يحصل له عز الدنيا وسعادة الآخرة ، وأنا قد نقلت أنواعا من العلوم النقلية والعقلية ، فلم يحصل لي بسبب شيء من العلوم من أنواع السعادات في الدين والدنيا مثل ما حصل بسبب خدمة هذا العلم » (٣) .

٥ – التبيان والبيان لكل شيء يحتاجه الإنسان دنيا وأخرى .

قال جل وعلا ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ﴾ (٤) .

وقال ﴿ لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ (٥) .

وقال تبارك وتعالى ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ﴾ (٦) .

ففي القرآن الكريم تعريف بالله سبحانه وتعالى وبأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتوضيح لأمور العقيدة الإسلامية ، وأحكام العبادات والمعاملات والأخلاق ، والشؤون الاجتماعية والاقتصادية ، وكل ما يحتاجه البشر في كل زمان ومكان ، وبيان لأحكام المعاد والبعث والنشور والحساب والجزاء والعقاب وغير ذلك (٧) .

---

(١) سورة الجن (١) .
(٢) سورة الأنعام (٩٢) .
(٣) تفسير الرازي ١٨٠/١٣ .
(٤) سورة النحل (٨٩) .
(٥) سورة النور (٤٦) .
(٦) سورة الأعراف (٥٢) .
(٧) انظر لمعرفة ميزة هذا القرآن الكريم على غيره من الكتب الإلهية الأخرى في بيانه : تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ١٥٩/١ ، ١٦٠ .

٦ - القرآن الكريم رحمة من الله تعالى لعباده .

قال تبارك وتعالى ﴿ ... فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة ﴾ [١] .

وقال ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ [٢] .

وقال تعالى ﴿ تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين ﴾ [٣] .

٧ - القرآن نور كاشف لجميع الظلمات ، مبين للحقائق .

قال سبحانه وتعالى ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا ﴾ [٤] .

وقال ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ [٥] .

٨ - هو بشير للمؤمنين بخيري الدنيا والآخرة ، ونذير للكفار والمخالفين بالعذاب .

قال جل وعلا ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً إليما ﴾ [٦] .

وقال ﴿ فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لُدا [٧] ﴾ [٨] .

---

(١) سورة الأنعام (١٥٧) .

(٢) سورة الأعراف (٥٢) .

(٣) سورة لقمان (٣) .

(٤) سورة النساء (١٧٤) .

(٥) سورة المائدة (١٦) .

(٦) سورة الإسراء (٩ ، ١٠) .

(٧) أي عوجا عن الحق ، مائلين إلى الباطل . وقيل غير ذلك .
انظر تفسير ابن كثير ١٤١/٣ .

(٨) سورة مريم (٩٧) .

وقال سبحانه وتعالى ﴿ كتاب فُصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا ﴾ [(١)] .

وقال ﴿ وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ﴾ [(٢)] .

٩ – شفاء من أمراض القلوب والأبدان لمن آمن بآياته وعمل بأحكامه .

قال تعالى ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ [(٣)] .

وقال ﴿ ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ﴾ [(٤)] .

وقال سبحانه وتعالى ﴿ وننزِّل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾ [(٥)] .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله عن شفاء القرآن الكريم لأمراض القلب [(٦)] :

« **جماع أمراض القلب هي أمراض الشبهات والشهوات . والقرآن شفاء للنوعين .**

ففيه من البينات والبراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل ، فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه ... فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك ، ولكن ذلك موقوف على فهمه ومعرفة المراد منه ... وأما شفاؤه لمرضى الشهوات فذلك بما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة

---

(١) سورة فصلت (٤) .

(٢) سورة الأحقاف (١٢) .

(٣) سورة يونس (٥٧) .

(٤) سورة فصلت (٤٤) .

(٥) سورة الإسراء (٨٢) .

(٦) أما بيان شفاء القرآن الكريم لأمراض الأبدان فسيكون الكلام عنه إن شاء الله في الباب الثاني عند مبحث (الرقية بذكر الله تعالى وقراءة القرآن الكريم) .

بالترغيب والترهيب ، والتزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة ، والأمثال والقصص التي فيها أنواع العبر والاستبصار ، فيرغب القلب والسليم إذا أبصر ذلك فيما ينفعه في معاشه ومعاده ، ويرغب عما يضره ، فيصير القلب محبا للرشد مبغضا للغي » [١] ... الخ .

١٠ - هو الروح اللازمة للحياة النافعة .

قال تعالى ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾ [٢] .

١١ - هو خير عام لكل من آمن به وعمل بما فيه .

قال سبحانه ﴿ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا ﴾ [٣] .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : « أي أنزل خيرا ، أي رحمة وبركة لمن اتبعه وآمن به » [٤] .

ومن فضائل هذا القرآن العظيم ما يحصل لقارئه من الأجر العظيم والثواب الجزيل [٥] .

ومن الآيات التي تدل على عظم هذا القرآن وعلوه وشرفه قول الباري سبحانه ﴿ وإنه في أم الكتاب لدينا لعليّ حكيم ﴾ [٦] .

وأم الكتاب هو اللوح المحفوظ . جاء في تفسير ابن كثير : (لعليّ) أي ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل (حكيم) أي محكم بريء من اللبس والزيغ . وهذا

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم ١/٤٤ ، ٤٥ .
(٢) سورة الشورى (٥٢) .
(٣) سورة النحل (٣٠) .
(٤) تفسير ابن كثير ٢/٥٦٨ .
(٥) سأتكلم عن هذا مفصلا إن شاء الله في الباب الثاني عند مبحث (التبرك بتلاوة القرآن الكريم) .
(٦) سورة الزخرف (٤) .

تنبيه على شرفه وفضله ، كما قال تبارك وتعالى ﴿ إنه لقرآن كريم ، في كتاب مكنون ، لا يمسه إلا المطهرون ، تنزيل من رب العالمين [١] ﴾ [٢] .

وقوله ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ﴾ [٣] .

مما تقدم وغيره يتبين لنا عظم الفضائل التي يحتوي عليها هذا الكتاب الكريم ، وكثرة الخيرات المتنوعة التي جاء بها ، ولهذا كان مباركا .

علو القرآن على سائر كتب الله :-

للقرآن الكريم منزلة عالية بين سائر كتب الله المنزلة – وإن كان الكل كلام الله تبارك وتعالى – ويمكن أن نجمل ذلك بما يلي :

١ – القرآن ناسخ للكتب السابقة ومهيمن عليها .

قال تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ﴾ [٤] .

والمعنى : أن القرآن صار شاهدا بصحة الكتب المنزلة ، ومقررا لما فيها مما لم ينسخ ، وناسخا لما خالفه منها ، ورقيبا عليها ، وحافظا لما فيها من أصول الشرائع ، وغالبا لها لكونه المرجع في المحكم والمنسوخ ، ومؤتمنا عليها لكونه مشتملا على ماهو معمول به منها وما هو متروك [٥] .

٢ – القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله من كل تحريف أو زيادة أو نقص ، وهذه مزية عظيمة .

---

(١) سورة الواقعة (٧٧ – ٨٠) .
(٢) انظر تفسير ابن كثير ١٢٣/٤ .
(٣) سورة الحشر (٢١) .
(٤) سورة المائدة (٤٨) .
(٥) فتح القدير للشوكاني ٤٨/٢ .

قال تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (١) .

بخلاف الكتب الأخرى فلا يوجد منها كتاب سالم من التحريف والتبديل .

٣ – عموم دعوة القرآن الكريم – آخر الكتب المنزلة – لجميع الناس في أي زمان أو مكان ، وذلك لعموم رسالة المنزل عليه ﷺ وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين .

قال تعالى ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ (٢) .

وقال ﴿ وأُوحي إلّي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ (٣) ﴾ (٤) .

بخلاف الكتب التي سبقته ، فانها كانت خاصة في المكان والزمان ولا عموم فيها (٥) .

ولا شك أن تلك الميزات الشريفة لهذا القرآن العظيم على الكتب الأخرى من شواهد بركته .

إعجاز القرآن الكريم :–

القرآن هو المعجزة العظمى والآية الكبرى التي اختص بها الرسول ﷺ دون غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وقد تحدى به الرسول ﷺ العرب مع أنه نزل بلسانهم ، وأنهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان ، فعجزوا عن معارضته بمثله .

فهو معجز من جهة اللفظ ، ومن جهة النظم ، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى ، ومن جهة المعاني التي أمر بها ، والتي أخبر بها عن الله تعالى

---

(١) سورة الحجر (٩) .

(٢) سورة الفرقان (١) .

(٣) أي وهو نذير لكل من بلغه . انظر تفسير ابن كثير ١٢٧/٢ .

(٤) سورة الأنعام (١٩) .

(٥) كتاب عقيدة المؤمن للجزائري ص ٢٠٢ ، وانظر كتاب التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي ص ٣١ .

وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك ، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي والغيب المستقبل ، وما أخبر به عن المعاد ، وما فيه من الأحكام العادلة والأمثال المضروبة وغير ذلك من وجوه الإعجاز [١] .

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » [٢] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في كتاب (فضائل القرآن) بعد أن أورد هذا الحديث : « في هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أعطيها نبي من الأنبياء ، وعلى كل كتاب أنزله ، وذلك أن معنى الحديث : ما من نبي إلا أعطي – أي من المعجزات – ما آمن عليه البشر ، أي ما كان دليلا على تصديقه فيما جاءهم به ، واتبعه من اتبعه من البشر ، ثم لما مات الأنبياء لم تبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما شاهدوه في زمانه .

وأما الرسول الخاتم للرسالة محمد ﷺ فإنما كان معظم ما آتاه الله وحيا منه إليه منقولا إلى الناس بالتواتر ، ففي كل حين هو كما أنزل . فلهذا قال : (فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا) وكذلك وقع . فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء لعموم رسالته ودوامها إلى قيام الساعة واستمرار معجزاته ... » الخ [٣] .

وهكذا فإن اعجاز هذا القرآن بتلك الوجوه العديدة ، واستمرار ذلك إلى قيام الساعة ، وما ينتج عنه من كثرة الأتباع ، إن في ذلك علامة بارزة على بركة هذا الكتاب الكريم وكثرة خيراته .

وأكتفي بهذا القدر فيما يتعلق ببركة هذا القرآن العظيم ، وفضله وشرفه وعلو قدره ومنزلته ، سائلا المولى تبارك وتعالى أن يوفق المسلمين جميعا للعمل به والتحاكم إليه ، والانتفاع بعلومه وتشريعاته وآدابه ، حتى تحصل لهم السعادة في الدنيا والآخرة .

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ١٧٦/١ ، ١٧٧ بتصرف .
وانظر إن شئت كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٢٥٨/١ – ٢٨٠ .

(٢) أخرجه البخاري ٩٧/٦ كتاب فضائل القرآن ، باب كيف نزل الوحي ، ومسلم ١٣٤/١ كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس .

(٣) انظر فضائل القرآن لابن كثير (٩) .

الفصل الثانـــي
المبارك من الأشخاص

المبحث الأول
الرســـول ﷺ

فضل الرســـول ﷺ :-

لا يشك مسلم أن نبينا محمدا ﷺ أفضل الأنبياء وسيد الأولين والآخرين .

ذلك أن الله تعالى اختاره من بين سائر خلقه ، واصطفاه من البشر كلهم ليكون أفضل أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام ، وسيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام ، وهذا فضل الله تبارك وتعالى يؤتيه من يشاء .

ومما يدل [1] على هذا : ما رواه الامام مسلم عن واثلة بن الأسقع [2] رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » [3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد [4] ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفّع » [5] .

---

(١) لمعرفة الأدلة على فضائل النبي ﷺ في القرآن الكريم يمكن الرجوع إلى كتاب : دلالة القرآن المبين على أن النبي أفضل العالمين ، لمؤلفه أبي الفضل عبد الله بن محمد الغماري .

(٢) هو واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر الكناني الليثي ، أسلم قبل تبوك وشهدها ، وكان من أصحاب الصفّة ، ثم نزل الشام وشهد فتح دمشق وحمص وغيرهما . مات سنة ٨٣ هـ وقيل سنة ٨٥ هـ بدمشق وهو آخر من مات بها من الصحابة .
انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٥٩٠/٣ ، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٦٥٢/٤ .

(٣) صحيح مسلم ١٧٨٢/٤ كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي ﷺ .

(٤) قال العز بن عبد السلام رحمه الله : السيد من اتصف بالصفات العلية والأخلاق السنية ، وهذا مشعر بأنه أفضل منهم في الدارين .... الخ . من كتابه : منية السول في تفضيل الرسول ﷺ ص ١٨ .

(٥) صحيح مسلم ١٧٨٢/٤ كتاب الفضائل ، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق .

قال الإمام النووي رحمه الله : « أما قوله ﷺ : (يوم القيامة) – مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة – فسبب التقييد أن في يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد ، ولا يبقى منازع ولا معاند ونحوه ، بخلاف الدنيا ؛ فقد نازعه فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين ... الخ » [١] .

ولنبينا محمد عليه الصلاة والسلام فضائل عظيمة ، ومزايا كريمة ، أنعم الله تعالى عليه بها فزادته شرفا وفضلا وبركة .

ومن هذه الفضائل الجليلة : عظمة أخلاقه ﷺ .

فقد شهد الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ في كتابه العزيز بهذا الشيء حيث قال تبارك وتعالى ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ [٢] .

وجاء في صحيح مسلم أن سعد بن هشام بن عامر [٣] رضي الله عنه سأل عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : ألست تقرأ القرآن ؟ قال : بلى . قالت : « فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن » [٤] .

نعم فنبينا عليه الصلاة والسلام قد تأدب بآداب القرآن الكريم ، الذي يأمر بفعل كل طيب وجميل ، وينهى عن كل عيب وقبيح .

ولقد عُرف ﷺ بأخلاقه الفاضلة الحميدة ، ومعاملاته الطيبة الشريفة حتى قبل بعثته ، فقد اشتهر عند قريش بأنه الصادق الأمين ، بل كان ﷺ دائم السؤال لله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق ، وأن يبعده عن مساوئها ، فاستجاب الله تعالى دعاءه ، فكان أحسن الناس أخلاقا .

---

(١) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٣٧/١٥ .

(٢) سورة ن (٤) .

(٣) هو سعد بن هشام بن عامر الأنصاري المدني ، روى عن عائشة وأبي هريرة ، وكان ثقة ، قتل بأرض مكران بالهند غازيا .

انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٩٦/٤ ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ٢٨٠/١ تهذيب التهذيب ٤٨٢/٣ .

(٤) قطعة من الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٥١٣/١ كتاب صلاة المسافرين ، باب جامع صلاة الليل .

ولن أطيل في عرض محاسن أخلاقه [1] عليه الصلاة والسلام لشهرتها ، ولأن المقام سيطول .

وإذا كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقا ، فإنه ﷺ كان أيضا أحسنهم خَلقا [2] .

ومن فضائله عليه الصلاة والسلام : سيرته الحميدة ، وطاعته الحسنة لربه تبارك وتعالى ، فقد بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح للأمة وجاهد في الله حق جهاده ، وقد شهد له بذلك خير القرون من أمته عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنهم .

ومن فضائله ﷺ : بركاته الكثيرة المتنوعة .

وسأفرد بحث ذلك في الفقرة التالية .

أنواع بركاته ﷺ :-

يمكن تنويع بركات الرسول ﷺ إلى نوعين هما :

بركات معنوية ، وبركات حسية .

١ - البركات المعنوية :-

والمقصود بها ما يحصل من بركات رسالته ﷺ على أتباعه في الدنيا والآخرة ، ويمكن بيان ذلك بتوضيح أهداف رسالته ﷺ ومزاياها .

---

(١) للاستزادة يمكن الرجوع إلى الكتب الآتية :
١ - كتاب أخلاق النبي ﷺ وآدابه للحافظ أبي الشيخ الأصبهاني .
٢ - كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٥٤/١ - ١٦٤ .
٣ - كتاب عظمة الرسول ﷺ لمؤلفه محمد عطية الأبراشي ، وغيرها .

(٢) مما يدل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن البراء رضي الله عنه أنه قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجها ، وأحسنه خلقا ، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير) .
صحيح البخاري ١٦٥/٤ كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ ، وصحيح مسلم ١٨١٩/٤ كتاب الفضائل ، باب صفة النبي ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجها .
أما قوله (وأحسنه) فقال أبو حاتم وغيره : هكذا تقوله العرب - وأحسنه - يريدون وأحسنهم ، ولكن لا يتكلمون به ، وإنما يقولون أجمل الناس وأحسنه . من كتاب شرح النووي لصحيح مسلم ٩٢/١٥ .

أهداف رسالته ﷺ :-

١ - يقول سبحانه وتعالى مبينا الغرض من إرسال نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (١) .

قال ابن كثير رحمه الله : « أي أرسله رحمة لهم كلهم ، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ، ومن ردّها وجحدها خسر الدنيا والآخرة .. » (٢) الخ .

ويقول العز بن عبد السلام (٣) رحمه الله : « إن الله أرسله رحمة للعالمين ، فأمهل عصاة أمته ولم يعاجلهم إبقاء عليهم ، بخلاف من تقدمه من الأنبياء ، فإنهم لما كذبوا عُوجلوا بذنوبهم » (٤) .

فمن آمن بالنبي ﷺ وأطاعه حصل على سعادة الدنيا ، ثم على سعادة الآخرة في الجنة - نسأل الله تعالى من فضله - وذلك ببركة اتباع الرسول ﷺ .

٢ - أعظم أهداف هذه الرسالة المباركة إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، بدعوتهم إلى عبادة الله وحده مخلصين له الدين ، وترك ما يضاد ذلك من جميع أنواع الشرك والكفر والوثنية ، ثم بيان الأحكام التشريعية من عبادات ومعاملات .

٣ - ومن أهداف وغايات هذه الرسالة ما ذكره الله تعالى واصفا نبيه عليه

---

(١) سورة الأنبياء (١٠٧) .

(٢) تفسير ابن كثير ٢٠٢/٣ .

(٣) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي أبو محمد عز الدين الملقب بسلطان العلماء . من كبار فقهاء الشافعية . كان ورعا آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر ، له تصانيف . منها : التفسير الكبير ، الإلمام في أدلة الأحكام ، الفرق بين الإيمان والإسلام .

توفي سنة ٦٦٠ هـ .

انظر طبقات الشافعية الكبرى ٨٠/٥ ، البداية والنهاية ٢٣٤/١٣ ، طبقات الشافعية للحسيني ٢٢٢ ، شذرات الذهب ٣٠١/٥ ، الأعلام ٢١/٤ .

(٤) رسالة منية السول في تفضيل الرسول ﷺ للإمام عز الدين بن عبد السلام ص ٣٢ .

الصلاة والسلام وما يدعو إليه بقوله تبارك وتعالى ﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحل لهم الطيبات ويُحرّم عليهم الخبائث ﴾ [١] الآية .

٤ – ومن أهدافها أيضا الدعوة إلى مكارم الأخلاق وتربية الناس عليها ، وترك الرذائل والمنكرات وتنفير الناس منها ، وكذلك الدعوة إلى كل مافيه اصلاح المجتمع وتنظيم شؤونه ، ونشر العدل بين أفراده .

وعلى سبيل الإجمال فرسالة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام تدعو إلى كل خير وتنهى عن كل شر﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾[٢] .

وإذا تأملنا هذه الأهداف والمقاصد للرسالة وغيرها يتضح لنا جليا عِظم بركة هذه الرسالة المحمدية على الناس .

مزايـــــاها :-

كما أن لرسالة الرسول ﷺ أهدافا سامية وغايات جليلة فهي أيضا تختص بمزايا عظيمة تزيد من فضلها وبركتها ، ويمكن أن نجملها فيما يأتي :

١ – اختص صاحب هذه الرسالة عليه الصلاة والسلام بخصائص شريفة تميز بها عن غيره من إخوانه الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

أ) من أبرزها أنه خاتم الأنبياء والمرسلين كما قال تعالى ﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ [٣] .

والأدلة من السنة على ذلك مشهورة ومتواترة [٤] .

---

(١) سورة الأنبياء (١٥٧) .
(٢) سورة التوبة (٣٣) ، سورة الفتح (٢٨) ، سورة الصف (٩) .
(٣) سورة الأحزاب (٤٠) .
(٤) انظر كتاب عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية لأحمد بن سعد الغامدي . ويحسن هنا أن أذكر دليلا واحدا من السنة ، يشتمل على عدة خصائص ، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (فُضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت =

فليس بعده عليه الصلاة والسلام نبي .

ب) ومنها عموم رسالته ﷺ إلى الإنس والجن جميعا في كل زمان ومكان . قال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ (١) .

وقال تبارك وتعالى ﴿ وإذا صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ﴾ إلى قوله ﴿ أولئك في ضلال مبين ﴾ (٢) .

وهذا أمر معلوم من دين الإسلام بالضرورة .

ولقد كان من قبله من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يُبعثون إلى أقوامهم خاصة .

ج) ومنها إكرام الله تعالى له بمعجزات كثيرة وعظيمة ، ذكر بعض العلماء أنها تزيد على الألف ومائتين (٣) .

وأعظم معجزاته ﷺ التي اختص بها : كتاب الله تعالى « القرآن الكريم » الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تكفل الله بحفظه وبقائه هدى ونورا ورحمة للناس أجمعين .

يقول العز بن عبد السلام رحمه الله أثناء عرضه لوجوه تفضيل الله تعالى لنبينا محمد ﷺ : (ومنها : أن معجزة كل نبي تصرّمت وانقضت ، ومعجزة سيد الأولين والآخرين ، وهي القرآن العظيم باقية إلى يوم الدين ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (٤) ﴾ (٥) .

= بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون) صحيح مسلم ٣٧١/١ كتاب المساجد ومواضع الصلاة .

(١) سورة سبأ (٢٨) .

(٢) سورة الأحقاف (٢٩ - ٣٢) .

(٣) ممن ذكر ذلك الإمام النووي في مقدمته لشرح صحيح الإمام مسلم ٢/١ .
ولمعرفة المعجزات يمكن الرجوع إلى الكتب التي ألفت في سيرة المصطفى ﷺ ودلائل نبوته وهي كثيرة جدا ومشهورة .

(٤) سورة الحجر (١٥) .

(٥) من كتاب منية السول في تفضيل الرسول ﷺ ص ٢٢ .

ولما كان عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء والمرسلين ، ودعوته عامة للثقلين في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة ، والقرآن الكريم آخر الكتب والناسخ لها ، وإعجازه مستمر ، ودين الاسلام آخر الأديان ، فلا يقبل الله تعالى دينا سواه – كان أتباع الرسول ﷺ أكثر من أتباع الأنبياء والمرسلين قبله عليهم الصلاة والسلام .

ولذا قال الرسول ﷺ : « أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة » (١) .

٢ – اختصت أمة الرسول ﷺ أيضا عمن قبلها بخصائص عظيمة ونعم جليلة زادتها شرفا ورفعة وخيرا ، وكل هذا ببركة نبيها صلوات الله وسلامه عليه ، فهي في أصلها إكرام من الله تبارك وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام .

ومن أبرز هذه الخصائص ما يأتي :–

أ) جُعلت هذه الأمة خير الأمم . كما قال تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (٢) . وقال ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا (٣) لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ (٤) .

ب) السهولة واليسر في التشريع ، ورفع الحرج والمشقة عن هذه الأمة .

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ (٥) ويقول ﴿ هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ (٦) ويقول تعالى ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ﴾(٧) .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٨٨/١ كتاب الإيمان ، باب قوى النبي ﷺ (أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا) .
وشطر الحديث الباقي (وأنا أول من يقرع باب الجنة) .

(٢) سورة آل عمران (١١٠) .

(٣) الوسط : أي الخيار والأجود والعدل . انظر تفسير ابن كثير ١٩١/١ .

(٤) سورة البقرة (١٤٣) .

(٥) سورة البقرة (١٨٥) .

(٦) سورة الحج (٧٨) .

(٧) سورة البقرة (٢٨٦) .

وهذا أمر بارز في هذه الشريعة السمحة ، ذات الأحكام المرنة ، الصالحة لكل زمان ومكان ، فهي أكمل الشرائع وأفضلها ولله الحمد والمنة .

ج) تفضيل الله تعالى لهذه الأمة في الآخرة بخصائص عديدة .

منها أنهم أول من يدخل الجنة ، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة ... » [١] الحديث .

ومنها أن أمته نصف أهل الجنة كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال : « أتحبون أنكم ربع أهل الجنة ؟ » فقلنا : نعم يا رسول الله . فقال : « أتحبون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ » قالوا : نعم يارسول الله ، قال « إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، ما أنتم في سواكم من الأمم إلا كالشعرة السوداء في الثور الأبيض ، أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود » [٢] .

ومنها أن الله تعالى يعطي هذه الأمة من الثواب والأجر أكثر مما يعطي غيرها من الأمم السابقة ، مع أنها أقل عملا ، كما ورد ذلك في حديث القراريط [٣] .

وأكتفي بهذا في بيان مزايا وخصائص [٤] رسالة الرسول ﷺ المباركة .

ولعلي قد وفقت في إيضاح البركات المعنوية الحاصلة من رسالة المصطفى صلوات الله تعالى وسلامه عليه .

---

(١) صحيح مسلم ٥٨٥/٢ كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة .

(٢) صحيح البخاري ١٩٥/٧ كتاب الرقاق ، باب كيف الحشر ، صحيح مسلم ٢٠١/١ كتاب الإيمان ، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة ، واللفظ لمسلم .

(٣) انظر هذا الحديث في صحيح البخاري ١٤٥/٤ كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني اسرائيل ، ورواه ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) من أراد التوسع في معرفة خصائص الرسول ﷺ وخصائص أمته فليرجع إلى كتاب الخصائص للسيوطي من ص ١٨٤ إلى ص ٢٢٩ ، وكتاب (عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل) تأليف خليل إبراهيم ملا خاطر .

٢ – البركات الحسية :–

وهي على نوعين : بركة في أفعاله ، وبركة في ذاته وآثاره الحسية المنفصلة منه ﷺ .

أولا : البركة في أفعاله ، مما أكرمه الله تعالى به من خوارق العادات ، التي حصل منها الخير الكثير والنفع العظيم محسوسا ومشاهدا .

ولقد ورد من هذا النوع أمثلة كثيرة جدا من الأحاديث الصحيحة ، وسأكتفي بذكر نماذج فقط مما رواه الصحابة رضي الله عنهم في هذا الأمر ، على النحو التالي :–

١ – تكثير الرسول ﷺ الماء ونبعه من بين أصابعه الشريفة :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : « عطش الناس يوم الحديبية ، والنبي ﷺ بين يديه ركوة [1] ، فتوضأ ، فجَهَشَ [2] الناس نحوه ، فقال : « ما لكم ؟ » قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا مابين يديك ، فوضع يده في الركوة ، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا . قيل لجابر : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة » [3] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر . فالتمس الناس الوَضوء فلم يجدوه ، فأُتي رسول الله ﷺ بوَضوء ، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده ، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه . قال : فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم » [4] . متفق عليه .

---

(١) الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء . النهاية ٢٦١/٢ .

(٢) جاء في النهاية (٣٢٢/١) الجَهْشُ : أن يفزع الإنسان إلى الإنسان ويلجأ إليه ، وهو مع ذلك يريد البكاء ، كما يفزع الصبي إلى أمه وأبيه .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١٧٠/٤ كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٥٠/١ كتاب الوضوء ، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة ، ومسلم في صحيحه ١٧٨٣/٤ ، كتاب الفضائل ، باب معجزات النبي ﷺ .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة [١] ، ولا شك أن هذا وأمثاله بقدرة الباري جل وعلا ، الذي لا يعجزه شيء سبحانه وتعالى .

٢ – تكثيره الطعام ﷺ :

روى البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى في صحيحيهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال أبو طلحة لأم سليم [٢] : قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ فقالت : نعم ، فأخرجت أقراصا من شعير ، ثم أخذت خمارا لها فلفّت الخبز ببعضه ثم دسّته تحت ثوبي وردتني [٣] ببعضه ، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ : فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ جالسا في المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال رسول الله ﷺ « أرسلك أبو طلحة ؟ » فقلت : نعم . فقال : « الطعام ؟ » فقلت : نعم . فقال رسول الله ﷺ لمن معه : « قوموا » قال : فانطلق وانطلقت بين أيديهم ، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أم سليم ، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس ، وليس عندنا ما نطعمهم ، فقالت : الله ورسوله أعلم . قال : فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ ، فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخلا ، فقال رسول الله ﷺ « هلمي . ما عندك يا أم سليم » فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله ﷺ ففت ، وعصرت عليه أم سليم عِكة لها فأدمته [٤] ، ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول . ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال :

---

(١) من أراد المزيد فليرجع مثلا إلى كتاب دلائل النبوة للفريابي من ص ٥٥ إلى ص ٧٩ ، وكتاب الشفا للقاضي عياض ٢٨٥/١ – ٢٩٠ فصل في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته .

(٢) تقدمت ترجمتها ص ٢٧ (وهي) زوجة أبي طلحة رضي الله عنه ، واسمه زيد بن سهل الأنصاري ، وأم أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) أي جعلت أم سليم رضي الله عنها بعض خمارها رداء على رأس أنس رضي الله عنه .

(٤) أي خلطته ، وجعلت فيه إداما يؤكل (النهاية ٣١/١) والعِكة : وعاء من جلود مستدير يتخذ للسمن خاصة (النهاية ٢٨٤/٣) .

« ائذن لعشرة » حتى أكل القوم كلهم وشبعوا ، والقوم سبعون رجلا أو ثمانون » [١] متفق عليه .

وفي رواية لمسلم « ثم أكل رسول الله ﷺ وأكل أهل البيت ، وأفضلوا ما أبلغوا جيرانهم » [٢] .

وروى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أو [٣] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : لما كان غزوة تبوك ، أصاب الناس مجاعة . قالوا : يارسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا [٤] فأكلنا وادّهنا [٥] . فقال رسول الله ﷺ : (افعلوا) قال : فجاء عمر فقال : يا رسول الله إن فعلت قلّ الظهر [٦] ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة ، لعل الله أن يجعل في ذلك [٧] ، فقال رسول الله ﷺ : (نعم) . قال : فدعا بنِطع [٨] فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم . قال : فجعل الرجل يجيء بكف ذرة . قال : ويجيء الآخر بكف تمر . قال : ويجيء الآخر بكسرة . حتى اجتمع على النِّطع من ذلك شيء يسير . قال : فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ، ثم قال : « خذوا ما في أوعيتكم » قال : فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملؤوه . قال :

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٧٠/٤ كتاب المناقب ، باب علامات النبوة ، ومسلم في صحيحه ١٦١٢/٣ كتاب الأشربة ، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك .

(٢) صحيح مسلم ١٦١٤/٣ .

(٣) هذا الشك حصل من أحد رواة السند وهو الأعمش رحمه الله كما نص عليه في سند الحديث .

(٤) النواضح : الإبل التي يستقى عليها ، واحدها ناضح (النهاية ٦٩/٥) .

(٥) قال بعض العلماء : ليس المقصود ما هو المعروف من الادهان ، وإنما معناه اتخذنا دهنا من شحومها . انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٣٢٥/١ .

(٦) الظهر : الإبل التي يحمل عليها وتركب . من كتاب النهاية لابن الأثير ١٦٦/٣ .

(٧) فيه محذوف تقديره : يجعل في ذلك بركة أو خيرا أو نحو ذلك ، وحذف المفعول به لأنه فضلة ، من كتاب شرح النووي لصحيح مسلم ٢٢٥/١ .

(٨) النطع : بساط يتخذ من الأديم (القاموس المحيط ٣٩١/٤ بترتيب الزاوي) .

فأكلوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلة ، فقال رسول الله ﷺ : « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد ، غير شاك فيحجب عن الجنة »[١] .

وروى الامام مسلم أيضا رحمه الله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي ﷺ يستطعمه فأطعمه شر وَسق[٢] شعير ، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله ، فأتى النبي ﷺ فقال : « لو لم تكله لأكلتم منه ، ولقام لكم »[٣] .

قال بعض العلماء عن الحكمة في أن الشعير فني حين كاله : إن كيله مضاد للتسليم والتوكل على رزق الله تعالى ، ويتضمن التدبير والأخذ بالحول والقوة ، وتكلف الاحاطة بأسرار حكم الله تعالى وفضله ، فعوقب فاعله بزواله[٤] .

٣ - إبراؤه المرضى وذوي العاهات :

فمن ذلك إبراؤه عليه الصلاة والسلام عيني علي بن أبي طالب رضي الله عنه بتوفيق الله تعالى .

فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول يوم خيبر : « لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه » ، فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى ، فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى فقال : « أين علي ؟ »

---

(١) صحيح مسلم ٥٦/١ كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا .

وانظر إن شئت قصة إطعامه ﷺ عددا عظيما من الناس من شاة واحدة - في صحيح البخاري ١٤١/٣ كتاب الهبة ، باب قبول الهدية من المشركين .

وانظر كذلك قصصا وأخبارا أخرى في كتاب دلائل النبوة للفريابي من ص ٢٩ إلى ص ٥٣ ، وكتاب الشفا للقاضي عياض ٢٩١/١ - ٢٩٨ .

(٢) الوَسق : مقداره ستون صاعا (النهاية ١٨٥/٥) .

(٣) صحيح مسلم ١٧٨٤/٤ كتاب الفضائل ، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق .

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ٤١/١٥ ، ٤٢ بتصرف .

فقيل : يشتكي عينيه ، فأمر فدعي له ، فبصق في عينيه فبرأ مكانه ، حتى كأنه لم يكن به شيء ... » [(١)] الحديث .

ومن ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه من قصة عبد الله بن عتيك رضي الله عنه حين انكسرت ساقه ، فعصبها بعمامة ، وانتهى إلى النبي ﷺ فقال له : « ابسط رجلك ، يقول عبد الله : فبسطت رجلي ، فمسحها فكأنها لم أشتكها قط » [(٢)] .

٤ – بركته ﷺ في إجابة الله تعالى لدعائه :

من ذلك دعاؤه عليه الصلاة والسلام لأنس بن مالك رضي الله عنه حينما طلبت منه أمه ذلك بقوله ﷺ : « اللهم أكثر ماله وولده » قال أنس : « فوالله إن مالي لكثير ، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادُّون على نحو المائة اليوم » [(٣)] أخرجه مسلم .

وفي هذا الشأن يقول الإمام القرطبي رحمه الله : كان ﷺ كلما دعا الله في شيء أجابه فيه ، وظهرت بركات دعوته على المدعو له ، وعلى أهله وبنيه [(٤)] .

ومن ذلك دعاؤه ﷺ لبعير جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، فقد روى أنه غزا مع رسول الله ﷺ وقال : فتلاحق بي النبي ﷺ وأنا على ناضح لنا قد أعيا فلا يكاد يسير ، فقال لي « ما لبعيرك » قلت : عَيِي . قال : « فتخلف رسول الله

---

(١) صحيح البخاري ٥/٤ كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام ، وصحيح مسلم ١٨٧٢/٤ كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) انظر صحيح البخاري ٢٧/٥ كتاب المغازي ، باب قتل أبي رافع ، والحديث رواه البراء بن عازب رضي الله عنه .

وللمزيد من مثل هذه الأحوال انظر كتاب الشفا للقاضي عياض ٣٢١/١ – ٣٢٥ .

(٣) صحيح مسلم ١٩٢٩/٤ كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) من كتاب الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للإمام القرطبي ص ٣٦٧ . وقد ساق رحمه الله جملة مما روي من إجابة دعوته عليه الصلاة والسلام تحت عنوان : فصل في إجابة دعائه ﷺ . انظر المرجع السابق من ص ٣٦٧ إلى ص ٣٧٠ .

ﷺ فزجره ودعا له ، فما زال بين يدي الإبل قدامها يسير ، فقال لي ، « كيف ترى بعيرك ؟ » قلت : « بخير ، قد أصابته بركتك » [١] الحديث .

ومن أمثلة ذلك أيضا إجابة الله تعالى له في استسقائه ، ثم بكشف المطر حين شكوا إليه كثرته .

فقد أخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « أصابت الناس سَنة [٢] على عهد رسول الله ﷺ ، فبينا رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة قام أعرابي فقال : يارسول الله هلك المال وجاع العيال ، فادع الله أن يسقينا ، قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قَزَعة [٣] ، قال : فثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته . قال : فمطرنا يومنا ذلك ، وفي الغد ومن بعد الغد ، والذي يليه إلى الجمعة الأخرى ، فقام ذلك الأعرابي ، أو رجل غيره فقال : يا رسول الله تهدم البناء ، وغرق المال فادع الله لنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال : « اللهم حوالينا ولا علينا » قال فما جعل يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا تفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجَوبة [٤] ، حتى سال الوادي – وادي قناة [٥] – شهرا ، قال : فلم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود [٦] » [٧] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٤ كتاب الجهاد والسير ، باب استئذان الرجل الإمام ، ومسلم في صحيحه ١٠٨٩/٢ كتاب الرضاع ، باب استحباب نكاح البكر . واللفظ للبخاري .

(٢) السنة بالفتح : الجدب والقطح . انظر النهاية ٤١٣/٤ .

(٣) القزعة : القطعة من الغيم ، وجمعها قزع (النهاية ٥٩/٤) .

(٤) الجوبة بالفتح : هي الحفرة المستديرة الواسعة ، وكل منفتق بلا بناء : جوبة ، أي حتى صار الغيم والسحاب محيطا بآفاق المدينة . من كتاب النهاية لابن الأثير ٣١٠/١ .

(٥) أحد الأودية المشهورة بالمدينة عليه حرث وزرع قيل : سمي قناة لأن تُبّعا لما عزا المدينة نزل به فلما انتقل عن منزله قال : هذه قناة الأرض . وسيل هذا الوادي يأتي من الطائف ، ويمر على أصل قبور الشهداء بأحد . معجم البلدان ٤٠١/٤ ، وفاء الوفاء للسمهودي ١٠٧٤/٣ باختصار .

(٦) الجود : المطر الواسع الغزير (النهاية ٣١٢/١) .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٢/٢ كتاب الاستسقاء ، باب من تمطر في المطر حتى يتحادر عليه لحيته ، ومسلم في صحيحه ٦١٢/٢ كتاب الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء . واللفظ للبخاري .

وأكتفي بهذا [١] مما نقله صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم ، للدلالة على ماتفضل الله تعالى عليه وأكرمه به من بركات أعماله صلوات الله وسلامه عليه .

ثانيا : النوع الثاني من البركات الحسية للرسول ﷺ : البركة في ذاته وآثاره عليه الصلاة والسلام .

والمقصود بهذا تبرك الصحابة رضي الله عنهم به ﷺ في حياته ، وبآثاره بعد وفاته .

وسأبحث هذا النوع بإذن الله تعالى في الباب الثاني [٢] (التبرك المشروع) .

ومن خلال تأمل أنواع بركات الرسول عليه الصلاة والسلام اتضح أنها تشتمل على البركة الدينية والدنيوية ، وأن البركات المعنوية أقرب إلى البركة الدينية ، كما أن البركات الحسية أقرب إلى البركة الدنيوية ، وأن الرسول ﷺ مبارك في ذاته ، وفي أفعاله ، وفي آثاره ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

(١) لمن أراد مزيد الاطلاع في هذا الباب فليرجع إلى الكتب الآتية :
١ - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للبيهقي ٨٣/٦ - ٢٥٧ .
٢ - كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٢٨٥/١ - ٣٣٥ .
٣ - الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام للقرطبي ص ٣٥ - ٣٧٣ .
٤ - الخصائص الكبرى للسيوطي ٤٠/٢ - ٨٥ ، ١٦٢ ، ١٧٧ .

(٢) ص ٢٤٣ فما بعدها (الفصل الثاني : المبحث الأول والثاني) .

المبحث الثانـــي

الأنبيـــاء

تكلمت في المبحث السابق عن أفضل الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ ، وسأتكلم في هذا المبحث عن جملة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

تفاضل الأنبياء والرسل :-

أ) الفرق بين النبي والرسول :

اتفق جمهور العلماء رحمهم الله على وجود الفرق بين النبي والرسول . ولكنهم اختلفوا بعد ذلك في تعيين المراد بكل واحد منهما [1] ، ولن أستطرد في بيان تلك الآراء وأدلتها ، لكنني سأقتصر على اختيار أوسط هذه الآراء – من وجهة نظري – وهو ما اعتمده شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه (النبوات) .

قال رحمه الله تعالى موضحا رأيه فى هذه المسألة : « النبى هو الذي ينبئه الله ، وهو ينبيء بما أنبأ الله ، فإن أُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول ، وأما إذا كان يعمل بالشريعة قبله ، ولم يُرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول ، قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيّته ﴾ [2] وقوله ﴿ من رسول ولا نبي ﴾ فذكر إرسالا يعم النوعين ، وقد خص أحدهما بأنه رسول ، فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله كنوح » .

وقال : « فالأنبياء ينبئهم الله فيخبرهم بأمره ونهيه وخبره ، وهم ينبئون المؤمنين بما أنبأهم الله به من الخبر والأمر والنهي » وقال أيضا : « فقوله » وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ﴾ دليل على أن النبي مرسل ، ولا يسمى رسولا عند

---

(١) راجع إن شئت تفسير روح المعاني للألوسي ١٧/١٧٢ ، ١٧٣ .
(٢) سورة الحج (٥٢) .

الاطلاق ، لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه ، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق كالعالم ، ولهذا قال النبي ﷺ : « العلماء ورثة الأنبياء » (١) وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة ، فإن يوسف كان رسولاً وكان على ملة إبراهيم ، وداود وسليمان كانا رسولين ، وكانا على شريعة التوراة » (٢) .

والحاصل في تعريف النبي والرسول : أن الرسول من أوحي إليه ، وأُرسل إلى قوم مخالفين يدعوهم إلى شريعة جديدة ، وقد يتبع شريعة من قبله . وأن النبي من أوحي اليه ، وبُعث في قوم مؤمنين يدعوهم إلى شرع من قبله ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وكما ذكر العلماء : بين النبي والرسول عموم وخصوص مطلق ، فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا (٣) .

ب) التفاضل بين الأنبياء والرسل :

قال ابن كثير رحمه الله : « لا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء » (٤) .

وقال السفاريني : (٥) « الرسول أفضل من النبي إجماعا ، لتميزه بالرسالة التي هي أفضل من النبوة » (٦) .

---

(١) قطعة من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أخرجه أبو داود في سننه (سنن أبي داود مع بذل المجهود ٣٢٧/١٥ كتاب العلم ، باب فضل العلم) والترمذي في سننه ٤٨/٥ كتاب العلم ، باب فضل الفقه على العبادة ، وابن ماجه في سننه ٨١/١ المقدمة ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، والدارمي في سننه ٩٨/١ ، المقدمة ، باب في فضل العلم والعالم ، وأحمد في مسنده ١٩٦/٥ وفي آخره (وإن الأنبياء لم يورّثوا دينارا ولا درهما ، إنما ورّثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) .

(٢) من كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٣) من كتاب لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٤٩/١ .

(٤) تفسير ابن كثير ٤٧/٣ .

(٥) هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني النابلسي الحنبلي من علماء الحديث والأصول والأدب ، من تصانيفه (لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية) في العقيدة ، تحبير الوفا في سيرة المصطفى ، التحقيق في بطلان التلفيق . توفي سنة ١١٨٨ هـ .

انظر تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي ٤٦٨/١ ، الأعلام ١٤/٦ .

(٦) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٤٩/١ ، ٥٠ .

ثم إن الرسل بتفاضلون أيضا ، كما قال تعالى ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ﴾ [١] .

وقد ثبت أن أولي العزم من الرسل أفضل من غيرهم [٢] ، وهم الذين ذكرهم الله تعالى بقوله ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ﴾ [٣] .

وقوله ﴿ شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصّينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ [٤] .

وأفضل هؤلاء وغيرهم هو الرسول محمد ﷺ ، كما تقدم .

وأما عدد الأنبياء والمرسلين فكثير ، ذكر الله تعالى في كتابه الكريم منهم خمسة وعشرين . وقد قال تبارك وتعالى : ﴿ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ﴾ [٥] .

وعلى كل حال فيجب الايمان بجميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾[٦] .

بركات الأنبياء وفضائلهم :-

لا شك أن أنبياء الله تعالى ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أفضل

---

(١) سورة البقرة (٨٧) .
(٢) انظر تفسير ابن كثير ٤٧/٣ .
(٣) سورة الأحزاب (٧) .
(٤) سورة الشورى (١٣) .
(٥) سورة النساء (١٦٤) .
(٦) سورة البقرة (٢٨٥) .

الناس [١] كما قال تعالى ﴿ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ، ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ، وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ﴾ [٢] .

وقد اصطفاهم الله تعالى من بين خلقه لتبليغ دعوته إليهم ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ [٣] ففضلهم عظيم وبركاتهم كثيرة ، بعثهم الله تعالى رحمة للعالمين .

وتتجلى بركات الأنبياء وفضائلهم بما يأتى :-

١ - ما تميزوا به من فضائل الأخلاق وحسن السيرة :

اشتهر الأنبياء والمرسلون بالأخلاق الفاضلة العالية ، وبالسيرة الحسنة الكريمة ، فهم أكمل الناس خُلقا وخَلقا .

فالنبوة أجلّ مراتب الحياة الانسانية ، وأعظم منازل المقربين عند الله ، والله تعالى في جلال عزه وكبرياء قدسه لا يصطفي لنبوته ورسالته من الناس إلا أكملهم عقولا ، وأقواهم نفوسا ، وأنورهم قلوبا ، وأثبتهم جأشا ، وأقدرهم على القيام بحق ما اختيروا له من النبوة والرسالة [٤] .

فالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يتصفون بالأمانة في أقوالهم وأعمالهم ، فلا خيانة فيهم أبدا ، جاء في أكثر من آية في القرآن الكريم على لسان بعض الرسل

---

(١) حكى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله اتفاق الأمة على ذلك وعضده ببعض الأدلة . انظر مجموع الفتاوى ٢٢١/٢٣ .

(٢) سورة الأنعام (٨٣ - ٨٦) .

(٣) سورة الحج (٧٥) .

(٤) من كتاب محمد رسول الله ﷺ لمؤلفه محمد الصادق إبراهيم عرجون ص ٣٠٥ بتصرف .

﴿ إني لكم رسول أمين ﴾ [١] وجاء على لسان هود عليه السلام ﴿ أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴾ [٢] .

وهم معصومون عن كبائر الذنوب [٣] وعن التحريف والخطأ في تبليغ أمر الله تعالى للناس .

ومن صفاتهم عليهم الصلاة والسلام الصدق ، فالكذب يستحيل عليهم ، فإن الرسول إذا عُرف بالكذب على غير الله لم يسلّم له الناس بدعوى الرسالة .

ومن وظائف الرسل التبليغ المبين ، فقد بلّغوا ما أمرهم الله بتبليغه وما ائتمنهم الله عليه ، وبيّنوه بيانا شافيا ، ولم يكتموا عن أممهم شيئا ، فما اختارهم الله لحمل رسالته إلا ليقوموا بتبليغ شرائعه لخلقه [٤] ، قال تعالى ﴿ فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ [٥] .

وقد صبروا وصابروا لتبليغ الناس مبشرين ومنذرين ، ونصحوا أممهم وجاهدوا في ذلك ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى ، فصلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ولا يخفى أن القرآن الكريم قد ذكر لنا بعضا من أوصاف الأنبياء والمرسلين الحميدة ، وجوانب من سيرهم وقصصهم المجيدة ، وقد أرشدنا الله تعالى إلى الاقتداء بهم بقوله ﴿ لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ [٦] .

٢ - بركة دعوتهم للآخرين :

سبق أن عرضنا في المبحث السابق أهداف رسالة الرسول الخاتم محمد ﷺ ، وهي لا تختلف عن أهداف رسالة ودعوة من قبله من اخوانه الأنبياء والمرسلين .

---

(١) سورة الشعراء (١٠٧ ، ١٢٥ ، ١٤٣ ، ١٦٢ ، ١٧٨) ، سورة الدخان (١٨) .
(٢) سورة الأعراف (٦٨) .
(٣) راجع مثلا مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣١٩/٤ .
(٤) من كتاب عقيدة المؤمن للجزائري ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ، وكتاب العقيدة الإسلامية للميداني ص ٣٧٨ - ٣٩١ بتصرف .
(٥) سورة النحل (٣٥) .
(٦) سورة الممتحنة (٦) .

فقد بعث الله تعالى الأنبياء جميعا رحمة للعالمين ، فمن آمن بهم حصل على سعادة الدنيا ونعيم الآخرة ببركة اتباعهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وجميع الأنبياء يدعون إلى اخلاص العبادة لله وحده وعدم الإشراك معه ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (١) .

وهم يوضحون شرائع الله تعالى لخلقه ، داعين إلى الاصلاح ، آمرين بالخير ومحاسن الأخلاق ، ناهين عن الشر والسوء والمظالم والفواحش (٢) .

أخرج الامام مسلم رحمه الله عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم .. » (٣) الحديث .

وإذا تأملنا آثار دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام للناس ونتائجها وجدنا أنها تحمل الهدى والنور للبشرية ، والخير الوافر في الدنيا والآخرة ، وهذا من دلائل عظم بركاتهم على غيرهم بتوفيق الله تبارك وتعالى .

يقول الله جل وعلا في شأن التوراة المنزلة على رسوله موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ﴾ (٤) .

ويقول سبحانه وتعالى في شأن الإنجيل المنزل علي رسوله عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ﴾ (٥) .

ثم إننا نلحظ مدى حاجة الناس العظيمة في أي زمان أو مكان لأناس

---

(١) سورة النحل (٣٦) .

(٢) للمزيد من معرفة أهداف ووظائف الأنبياء . انظر كتاب الرسل والرسالات لعمر الأشقر ص ٤٣ – ٥٥ .

(٣) أخرجه الامام مسلم في صحيحه ١٤٧٢/٣ كتاب الإمارة ، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول . وهذا الحديث طويل .

(٤) سورة المائدة (٤٤) .

(٥) سورة المائدة (٤٦) .

يرشدونهم ويوجهونهم ، ويعرّفونهم بخالقهم ومعبودهم ، فاقتضت رحمة الباري سبحانه وتعالى إرسال الرسل والأنبياء إلى خلقه ، فالحمد لله أولا وآخرا .

٣ - ما أجرى الله عليهم من الخير الدنيوي :

لقد كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أصحاب خير وبركة على الناس دائما في دنياهم وأخراهم .

ومن بركاتهم الدنيوية - عدا ما تقدم منها في بركات دعوتهم - مما أكرمهم الله تعالى به مما ذكر في القرآن الكريم ، وخاصة ما كان منها خارقا للعادة ما يأتي :-

١ - نجاة نوح عليه السلام ومن آمن معه من الطوفان بعدما ركبوا في السفينة التي أوحى الله تعالى إليه بصناعتها ، وإغراق جميع الباقين وهم الكفار ، قال تعالى في آخر هذه القصة ﴿ قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك ﴾ (١) .

٢ - تسخير الله تعالى الريح لسليمان عليه السلام تجري بأمره حيث أراد من البلاد ، وكذا تسخير الشياطين له للبناء واستخراج ما في البحار من اللالىء والجواهر ، وكف شر الشياطين الآخرين حين تمردوا وعصوا سليمان ، حيث قُيدوا بالأغلال . قال تعالى في شأن سليمان عليه السلام ﴿ فسخرنا له الريح تجري بأمره رُخاء (٢) حيث أصاب ، والشياطين كل بنّاء وغوّاص ، وآخرين مقرّنين في الأصفاد ﴾ (٣) .

٣ - إنعام الله تعالى على رسوله عيس عليه السلام ببعض النعم .

جاء في القرآن الكريم في سورة مريم على لسان عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا ، وجعلني مباركا أينما كنت ﴾ (٤)

---

(١) سورة هود (٤٨) .

(٢) الرخاء : اللينة . من قولهم شيء رخو . من كتاب المفردات للأصفهاني ص ١٩٢ .

(٣) سورة ص (٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨) .

(٤) سورة مريم (٣٠ ، ٣١) .

ومعنى مباركا أي نفّاعا للعباد ، معلما للخير ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر حيثما كنت [(١)] .

فمن بركاته عليه السلام ظهور الثمرة من النخلة لأمه مريم ، ونبع الماء من تحتها . قال تعالى ﴿ فناداها من تحتها ألاّ تحزني قد جعل ربك تحتك سريّا [(٢)] ، وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيّا ، فكلي واشربي وقرّي عينا ﴾ [(٣)] .

ومنها إبراء الأكمه [(٤)] والأبرص بإذن الله تعالى ، كما قال جل وعلا ﴿ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك ﴾ إلى قوله ﴿ وتبريء الأكمه والأبرص بإذني ﴾ [(٥)] .

قال الشوكاني رحمه الله تعالى : كان عيسى عليه السلام يبريء من أمراض عدة ، كما اشتمل عليه الانجيل ، وإنما خص الله سبحانه هذين المرضين بالذكر لأنهما لا يبرآن فى الغالب بالمداواة [(٦)] .

ومن بركات عيسى عليه السلام إنزال المائدة من السماء – على القول بإنزالها – إجابة من الله تعالى لدعائه حين طلبها منه الحواريون .

وقد ذكر الله تعالى هذه القصة فى سورة المائدة بقوله عز من قائل ﴿ إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا

---

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي ٥/٢٢٩ ، فتح القدير للشوكاني ٣/٣٣٢ .

(٢) قال جمهور المفسرين : السري النهر الصغير ، والمعنى قد جعل ربك تحت قدمك نهرا . انظر فتح القدير للشوكاني ٣/٣٢٩ .

(٣) سورة مريم (٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦) .

(٤) الأكمه : قيل الذي يولد أعمى ، وقيل الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل ، وقيل غير ذلك ، والبرص معروف وهو بياض يظهر في الجلد . من تفسير ابن كثير ١/٣٦٥ ، فتح القدير للشوكاني ١/٣٤٢ .

(٥) سورة المائدة (١١٠) .

(٦) فتح القدير للشوكاني ١/٣٤٢ أورد المؤلف ذلك عند تفسيره لآية آل عمران (٤٩) ﴿ وأبرىء الأكمه والأبرص ﴾ .

ونكون عليها من الشاهدين ، قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين ، قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ (١) .

وتفاصيل خبر المائدة موجود في كتب التفسير .

وأختم هذا المبحث بكلام جميل لشمس الدين ابن القيم حول بركات الرسل وفضلهم .

قال رحمه الله تعالى « ويكفي في فضلهم وشرفهم أن الله سبحانه وتعالى اختصهم بوحيه ، وجعلهم أمناء على رسالته ، وواسطة بينه وبين عباده ، وخصهم بأنواع كراماته : فمنهم من اتخذه خليلا ، ومنهم من كلمه تكليما ، ومنهم من رفعه مكانا عليا على سائرهم درجات ، ولم يجعل لعباده وصولا إليه إلا من طريقهم ، ولا دخولا إلى جنته إلا خلفهم ، ولم يكرم أحدا منهم بكرامة إلا على أيديهم ، فهم أقرب الخلق إليه وسيلة ، وأرفعهم عنده درجة ، وأحبهم إليه وأكرمهم عليه ، وبالجملة فخير الدنيا والآخرة إنما ناله العباد على أيديهم ، وبهم عرف الله ، وبهم عبد وأطيع ، وبهم حصلت محابه في الأرض » (٢) .

والحاصل أنه يجب علينا الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، من عرفناه منهم ومن لم نعرفه ، والإيمان بأنهم بلّغوا جميع ما أرسلوا به بلاغا مبينا ، وكذا اعتقاد بركتهم وأفضليتهم على غيرهم ، ومحبتهم ، وأنهم قد خُتموا بأفضلهم محمد ﷺ ، وأنه يجب علينا طاعته ، واتباع شرعه ، فهو ناسخ لما قبله ، والله الموفق .

* * *

---

(١) سورة المائدة (١١٢ - ١١٥) .

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ص ٦١٣ ، ٦١٤ .

المبحث الثالث

الصالحون

المطلب الأول

الملائكة

صفات الملائكة الخلْقية :-

سأذكر باذن الله تعالى بعضا من صفات الملائكة الخلْقية اعتمادا على نصوص الكتاب والسنة حتى يتضح لنا شيء عن حقيقتهم .

فمما ورد من صفاتهم الخلْقية ما يأتي :

١ - خلقهم من نور :

فقد روى الامام مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : « خُلقت الملائكة من نور ، وخُلق الجان من مارج من نار ، وخُلق آدم مما وصف لكم » [١] .

٢ - وجود أجنحة لهم :

فقد أخبر الله تعالى أن الملائكة مخلوقات ذوات أجنحة ، وعددها يتفاوت ، فمنهم من له جنحان ، ومنهم من له ثلاثة ، ومنهم من له أكثر من ذلك . قال تعالى ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾ [٢] .

---

(١) صحيح مسلم ٢٢٩٤/٤ كتاب الزهد والرقائق ، باب في أحاديث متفرقة .

(٢) سورة فاطر (١) .

وجاء في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح » [١] .

٣ - قدرتهم الخارقة :

وهب الله تعالى ملائكته قدرة كبيرة فوق قدرة البشر ، كقطع المسافات الشاسعة في طرفه عين ، مثل الصعود والهبوط بين السماوات والأرض دون تأثر بجاذبية أو تصادم ، وكان السائل يأتي إلى الرسول ﷺ فلا يكاد يفرغ من سؤاله حتى يأتيه جبريل بالجواب من رب العزة [٢] .

٤ - تنزههم عن بعض الأعراض البشرية :

الملائكة مُنزّهون عن بعض الأعراض البشرية ، كالأكل والمرض والنوم والتعب ، فقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على ذلك بدلالة الالتزام ، إذ أخبر الله تعالى عن الملائكة أنهم ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفتُرون ﴾ [٣] ولازم ذلك أنهم لا ينامون ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتعبون [٤] ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقد جاء في القرآن الكريم في قصة الملائكة الذين جاءوا إبراهيم عليه السلام في صورة بشر أنهم لم يأكلوا طعامه الذي قدمه لهم .

وأما عدد الملائكة فكثير جدا لا يعلمه إلا الله ، حيث يقول تبارك وتعالى ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ [٥] . وقد ثبت في الصحيحين في حديث الإسراء أن جبريل عليه السلام أجاب النبي ﷺ عن سؤاله عن البيت المعمور الذي في

---

(١) صحيح البخاري ٥١/٦ كتاب التفسير ، تفسير سورة النجم باب : فكان قاب قوسين أو أدنى ، وصحيح مسلم ١٥٨/١ كتاب الإيمان ، باب ذكر سدرة المنتهى .

(٢) انظر كتاب العقيدة الإسلامية وأسسها للميداني ص ٢٦٧ - ٢٧٣ ، عالم الملائكة الأبرار للأشقر ص ٩ - ٢٢ .

(٣) سورة الأنبياء (٢٠) .

(٤) عقيدة المؤمن للجزائري ص ١٦٦ - ١٦٧ بتصرف .

(٥) سورة المدثر (٣١) .

السماء السابعة ، فقال : « هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم » [١] .

وهناك أخبار أخرى تفيد كثرة أعدادهم [٢] ، ومنها ما يتعلق بتعدد أعمالهم ووظائفهم كما سيأتي .

بركاتهم وفضائلهم :-

يمكن بيان ذلك فيما يأتي :

أولا : ما يتصفون به من الأخلاق الكريمة :

يتصف الملائكة بجملة من الصفات الخُلُقية الرائعة الكريمة التي منها ما يلي :-

١ - الطاعة التامة لله تعالى :

فهم في طاعة لله تعالى ومبادرة وامتثال لأمره ، لا يعرفون المعصية ، كما قال الله عنهم ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [٣] وهم يتأدبون مع الله تعالى لا يتقدمون بين يديه بأمر ، ولا يشفعون لأحد عنده إلا بعد رضاه تبارك وتعالى ، كما قال ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ [٤] . ونلاحظ هنا أن الله تعالى وصفهم بأنهم عباد مكرمون ثناء لهم وتكريما ، وردا على من جعلهم أولاد الرحمن .

وهم أيضا يسبحون ربهم دائما من غير انقطاع ، كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وله

---

(١) جزء من حديث الإسراء أخرجه البخاري في صحيحه ٤/٧٨ كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، ومسلم في صحيحه ١/١٥٠ كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات ، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه ، واللفظ لمسلم .

(٢) انظر في ذلك مثلا كتاب الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي ص ١١ - ١٦ .

(٣) سورة التحريم (٦) .

(٤) سورة الأنبياء (٢٦ - ٢٨) .

من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون [١] ، يسبحون الليل والنهار لا يفتُرون ﴾ [٢] .

٢ - الخوف من الله تبارك وتعالى وإن كانوا لا يعصون ربهم .

قال سبحانه وتعالى ﴿ ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ﴾ [٣] وقال ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [٤] .

٣ - الحياء : وهو من أخلاق الملائكة التي أخبرنا الرسول ﷺ بها ، كما جاء في صحيح مسلم أنه ﷺ قال : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة » [٥] والمقصود بالرجل هذا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

٤ - وصفهم الله تعالى بأنهم كرام بررة بقوله ﴿ بأيدي سفرة ، كرام بررة ﴾ [٦] والسفرة الملائكة الذين هم سفراء الله إلى أنبيائه .

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى ﴿ كرام بررة ﴾ أي خلقهم كريم حسن شريف ، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة [٧] .

٥ - وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بست صفات شريفة على سبيل المدح والثناء ، حيث قال سبحانه ﴿ إنه لقول رسول كريم ، ذي قوة عند ذي العرش مكين ، مطاع ثم أمين ﴾ [٨] ، وهذا من دلائل أفضليته ، وفي آية أخرى خصه الله تعالى بالذكر ، وقدمه في الترتيب على سائر الملائكة ، حيث قال سبحانه وتعالى

---

(١) أي لا يعيون ، يقال : حسر واستحسر إذا تعب وأعيا ، وقيل لا ينقطعون عن العبادة . من تفسير البغوي ٢٤١/٣ .

(٢) سورة الأنبياء (١٩ ، ٢٠) .

(٣) سورة الرعد (١٣) .

(٤) سورة النحل (٥٠) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ١٨٦٦/٤ كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٦) سورة عبس (١٥ ، ١٦) .

(٧) تفسير ابن كثير ٤٧٢/٤ .

(٨) سورة التكوير (١٩ ، ٢٠ ، ٢١) .

﴿ فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ [١] . وغير ذلك من صفاتهم الخلقية [٢] .

ثانيا : ما يقومون به من الوظائف العظيمة والأعمال الجليلة :

أناط الله تعالى بالملائكة على اختلاف أصنافهم وظائف جليلة يؤدونها على أكمل وجه ، وبيان ذلك فيما يأتي :

١ - أكابر الملائكة : ومن هؤلاء جبريل عليه السلام ، ويسمى روح القدس أيضا ، فهو صاحب الوحي إلى الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، الذي به حياة القلوب والأرواح ، كما قال جل وعلا ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ [٣] .

ومنهم ميكائيل ، الموكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان ، ومنهم إسرافيل ، الموكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم .

وقد صح أن النبي ﷺ كان يستفتح بهذا الدعاء في قيام الليل (اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) [٤] .

وفي هذا ما يشعر بأهمية هؤلاء الأملاك الثلاثة وعظم شأنهم . ومنهم ملك الموت الموكل بقبض الأرواح ، قال تعالى ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكل بكم ﴾ [٥] .

---

(١) سورة التحريم (٤) .

(٢) انظر الكتب الآتية : العقيدة الإسلامية للميداني ص ٢٧٠ - ٢٧٢ ، عالم الملائكة الأبرار للأشقر ص ١٩ ، ٢٠ ، العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

(٣) سورة الشعراء (١٩٢ - ١٩٤) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٥٣٤/١ كتاب صلاة المسافرين ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

(٥) سورة السجدة (١١) .

٢ – حملة العرش : أي عرش الرحمن عز وجل ، كما قال تعالى ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ [١] .

٣ – ملائكة الجنة : يقول الله تعالى ﴿ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ [٢] .

٤ – ملائكة النار : قال تعالى ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ﴾ [٣] .

٥ – الموكلون ببني آدم : وأعمال هؤلاء الملائكة على نوعين :

النوع الأول : ما يتعلق ببني آدم عموما (أي المؤمن منهم والكافر) ومن ذلك ما يأتي :–

أ) نفخ الأرواح في الأجنّة ، وكتابة الآجال والأرزاق والأعمال والشقاوة أو السعادة ، كما ورد ذلك في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يُرسل الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد » [٤] الحديث .

ب) كتابة أعمال البشر الحسنة والسيئة ، وإحصاؤها عليهم . قال تعالى ﴿ وإنّ عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ، يعلمون ما تفعلون ﴾ [٥] .

---

(١) سورة الحاقة (١٧) .

(٢) سورة الرعد (٢٣ ، ٢٤) .

(٣) سورة المدثر (٣١) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٧٨/٤ كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، ومسلم ٢٠٣٦/٤ كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ، واللفظ لمسلم .

(٥) سورة الانفطار (١٠ – ١٢) .

ج) حفظ الانسان من الشيطان والعاهات والآفات . قال تعالى ﴿ له معقّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ (١) فلا يصيب الإنسان شيء من الأذي إلا ما كان قضاء وقدرا .

د) قبض الأرواح ، والموكل بهذا ملك الموت وأعوانه ، كما قال تعالى ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفّته رسلنا وهم لا يفرّطون (٢) ﴾ (٣) .

النوع الثاني : ما يتعلق بالمؤمنين فقط .

ومن ذلك ما يأتي :-

أ) محبة الملائكة للمؤمنين : فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال : إني أحبّ فلانا فأحبّه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلانا فأحبّوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض (٤) » (٥) .

ب) صلاتهم على المؤمنين : أخبرنا ﷺ تعالى أن الملائكة تصلي على الرسول ﷺ ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى ﴾ (٦) وتصلي على المؤمنين أيضا ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ (٧) . والصلاة من الملائكة للمؤمنين بمعنى الدعاء والاستغفار لهم .

---

(١) سورة الرعد (١١) .

(٢) سورة الأنعام (٦١) .

(٣) انظر الكتب الآتية : إغاثة اللهفان لابن القيم ١٢٥/٢ - ١٢٨ ، العقيدة الإسلامية وأسسها للميداني ص ٢٧٤ - ٢٧٩ ، عقيدة المؤمن للجزائري ص ١٦١ - ١٦٥ .

(٤) أي يوضع له الحب في قلوب الناس ، فتميل إليه القلوب وترضى عنه . من كتاب شرح صحيح مسلم للنووي ١٨٤/١٦ .

(٥) صحيح البخاري ٨٣/٧ كتاب الأدب ، باب المقة من الله (أي المحبة) ، وصحيح مسلم ٢٠٣٠/٤ كتاب البر والصلة والآداب ، باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده .

(٦) سورة الأحزاب (٥٦) .

(٧) سورة الأحزاب (٤٣) .

وقد أخبرنا الرسول ﷺ في أحايث عديدة عن صلاة الملائكة على أصحاب بعض الأعمال الصالحة .

ج) استغفارهم للمؤمنين ودعاؤهم لهم . قال تعالى ﴿ تكاد السموات يتفطّرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم ﴾ [(١)] ، وقال ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعتَ كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم ، وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ﴾ [(٢)] .

بل إن الملائكة عليهم السلام يؤمّنون على دعاء المؤمن إذا دعا لأخيه بظهر الغيب ، وبهذا يكون الدعاء أقرب للاجابة . فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قالت الملائكة آمين ، ولك بمثل » [(٣)] .

د) شهودهم مجالس العلم وحِلق الذكر : ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا : هلمّوا إلى حاجتكم . قال : فيحفّونهم [(٤)] بأجنحتهم إلى السماء الدنيا » [(٥)] الحديث ، وفي رواية مسلم « حتى يملؤا ما بينهم وبين السماء الدنيا » .

---

(١) سورة الشورى (٥) .

(٢) سورة غافر (٧ – ٩) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (سنن أبي داود مع بذل المجهود ٣٩٠/٧) كتاب الصلاة ، باب الدعاء بظهر الغيب ، وابن ماجه في سننه ٩٦٧/٢ كتاب المناسك ، باب فضل دعاء الحاج ، بنحوه مع زيادة (دعوة المرء مستجابة لأخيه بظهر الغيب) .

(٤) أي يطوفون بهم ويدورون حولهم . من كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٠٨/١ .

(٥) صحيح البخاري ١٦٨/٧ كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله عز وجل ، وصحيح مسلم ٢٠٦٩/٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل مجالس الذكر ، واللفظ للبخاري .

وفي صحيح مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » [(١)] .

هـ) تنزّلهم عند قراءة المؤمن القرآن الكريم : ويشهد لهذا قصة استماع الملائكة لقراءة أسيد بن حضير رضي الله عنه المروية في الصحيحين [(٢)] .

و) قتالهم مع المؤمنين ، وتثبيتهم في حروبهم : فقد أمدّ الله تعالى المؤمنين بأعداد كثيرة من الملائكة في معركة بدر مثلا ، حيث يقول الله تعالى ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني مُمدّكم بألف من الملائكة مردفين [(٣)] ، وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾ [(٤)] ، وقال تعالى ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدّكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم [(٥)] هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مُسوّمين [(٦)] ﴾ [(٧)] .

إلى غير ذلك من وظائفهم ، التي تعد بلا شك من بركاتهم الظاهرة على المؤمنين .

---

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٢٠٧٤/٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر .

(٢) انظر صحيح البخاري ١٠٦/٦ كتاب فضائل القرآن ، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن ، وصحيح مسلم ٥٤٨/١ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب نزول السكينة لقراءة القرآن .

(٣) أي متتابعين ، وقيل (مردفين) لكم أي نجدة لكم ومدد . انظر تفسير ابن كثير ٢٩١/٢ .

(٤) سورة الأنفال (٩ ، ١٠) .

(٥) أي من وجههم أو من غضبهم . انظر تفسير البغوي ٣٤٨/١ .

(٦) سورة آل عمران (١٢٤ ، ١٢٥) . ومعنى (مسوّمين) : أي معلمين والمراد : سوّموا خيلهم ، وعلى قراءة فتح الواو : المراد أنفسهم ، والتسويم الإعلام من السومة وهي العلامة . انظر تفسير البغوي ٣٤٩/١ .

(٧) عالم الملائكة الأبرار للأشقر باختصار . انظر الصفحات ص ٥٢ - ٦٧ .

٦ - الموكَّلون بأمور أخرى في هذا العالم :

جاء في كتاب إغاثة اللهفان : « كل حركة في السموات والأرض من حركات الأفلاك والنجوم ، والشمس والقمر ، والسحاب ، والنبات والحيوان ، فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسموات والأرض ، كما قال تعالى ﴿ فالمدبرات أمرا ﴾ [١] ، وقال ﴿ فالمقسمات أمرا ﴾ [٢] ، وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة ، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات ، وأنه سبحانه وكّل بالجبال ملائكة ، ووكّل بالسحاب والمطر ملائكة ... » [٣] الخ .

إلى غير ذلك من أعمال الملائكة الجليلة ووظائفهم العديدة [٤] التي لا يحصيها إلا الله تبارك وتعالى .

موقف المؤمن من الملائكة :-

لاشك أن الإيمان بالملائكة من أركان الإيمان ، فيجب علينا الإيمان بجميع الملائكة على اختلاف أصنافهم ووظائفهم وأعمالهم ، فهم من المخلوقات الغيبية التى أمرنا الله تعالى بالإيمان بها .

ويجب أن ندرك أن ما تقوم به الملائكة إنما هو بعلم الله سبحانه وتعالى وإرادته وقدرته ، فليس لهم قدرة مستقلة .

ولفظ (الملك) يشعر بأنه رسول منفذ لأمر غيره ، فليس لهم من الأمر شيء بل الأمر لله الواحد القهار ، وهم ينفذون أمره [٥] ﴿ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعلمون ﴾ [٦] .

---

(١) سورة النازعات (٥) .

(٢) سورة الذاريات (٤) .

(٣) إغاثة اللهفان لابن القيم ١٢٥/٢ .

(٤) للسيوطي رحمه الله تعالى كتاب باسم : الحبائك في أخبار الملائك . تكلم فيه بتفصيل عن أصناف الملائكة ووظائفهم وما يتعلق بهم .

(٥) إغاثة اللهفان لابن القيم ١٢٧/٢ .

(٦) سورة الأنبياء (٢٧) .

ولهذا يضيف التدبير إلى الملائكة تارة ، لكونهم هم المباشرين للتدبير كقوله ﴿ فالمدبرات أمرا ﴾ [١] ويضيف التدبير إليه كقوله تعالى ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ﴾ [٢] . كما أضاف التّوفّي إليهم تارة كقوله ﴿ توفته رسلنا ﴾ [٣] وإليه تارة كقوله ﴿ الله يتوفى الأنفس ﴾ ونظائره [٤] .

آثـــار وثمرات الإيمان بالملائكة :-

الإيمان بالملائكة ، تلك المخلوقات الفاضلة ، الصالحة المباركة – فضلا عن كونه طاعة لله تعالى – يُثمر ثمرات جليلة ، ويُنتج آثارا نافعة ، منها ما يأتي :-

١ – العلم بعظمة الله تعالى وقوته وسلطانه ، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق .

٢ – شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم ، حيث وكّل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم ، وكتابة أعمالهم ، وغير ذلك من مصالحهم .

٣ – محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى وطاعته [٥] .

٤ – تنمية الشعور بالمسؤولية ، ودوام المراقبة لله تعالى ، لأن المسلم أينما ذهب فإن في قرارة نفسه أن هناك ملائكة ترافقه ، وتحصي عليه كل حركة من حركاته .

٥ – حث المؤمن على التشبه بهم في طاعة لله تعالى وتطبيق شرعه ، فهو عندما يعلم أنهم يصاحبونه دائما ، فإنه يرعى حق صحبتهم له بالتزام آداب الشريعة [٦] .

---

(١) سورة النازعات (٥) .

(٢) سورة يونس (٣) .

(٣) سورة الأنعام (٦١) .

(٤) إغاثة اللهفان ١٣٠/٢ بتصرف .

(٥) من رسالة (نبذة في العقيدة الإسلامية) ضمن رسائل في العقيدة للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ص ٢٠ .

(٦) من كتاب العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ بتصرف .

٦ - الإكثار من الأعمال الصالحة التي تصلح نفوسنا وتقرب الملائكة منا ، ففي قرب الملائكة خير عظيم ، ولو استمر العباد في حالة عالية من السمو الروحي لوصلوا إلى درجة مشاهدة الملائكة ومصافحتهم ، كما ورد ذلك [١] في الحديث الصحيح [٢] .

٧ - الابتعاد عن الذنوب والمعاصي امتثالا لنهي الله عنها ، ولأنها مما يؤذي الملائكة ، أو يبعدها ، وكذا ترك بعض المؤذيات ، كالروائح الكريهة لاسيما عند الصلاة [٣] .

وفي ختام هذا المطلب لعله اتضح لنا ما يدل على بركة الملائكة وفضلهم ، والثمرات المجنية من الايمان بهم ، عليهم جميعا صلوات الله وسلامه .

* * *

---

(١) من عالم الملائكة الأبرار للأشقر ص ٤٦ ، ٥٨ بتصرف .

(٢) انظر صحيح مسلم ٢١٠٦/٤ كتاب التوبة ، باب فضل دوام الذكر .

(٣) انظر لمزيد من التفصيل مع بيان الأدلة كتاب عالم الملائكة الأبرار للأشقر ص ٦٨ ، ٦٩ ، وكتاب الإيمان بالملائكة عليهم السلام لعبد الله سراج الدين ص ٢٠٨ - ٢١١ .

المطلب الثاني
الصالحون من البشر

المراد بالصالحين :

قال فى معجم مقاييس اللغة : الصاد واللام والحاء يدل على خلاف الفساد [1] .

وقال ابن الجوزي رحمه الله : الصالحون اسم لكل من صلحت سريرته وعلانيته [2] ، وقيل : الصارفون أعمارهم في طاعة الله تعالى ، وأموالهم فى مرضاته سبحانه [3] ، وقيل غير ذلك .

وعلى أي حال فهذه التعريفات تدل على أنهم المؤمنون ، أصحاب الأعمال الصالحة ، القائمون بحقوق الله تعالى وحقوق عباده ، المستقيمة أحوالهم .

وبناء على هذا فلفظ (الصالحون) عام يشمل الأنبيا والملائكة [4] ، وقد تقدم الكلام عليهم ، فالذي يعنينا في هذا المطلب من عداهم من صالحي البشر .

وقد يسمى الصالحون بالأولياء ، أو أولياء الله « لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه ، فأحبوا ما يحب ، وأبغضوا ما يبغض ، ورضوا بما يرضي ، وسخطوا بما يسخط ، وأمروا بما يأمر ، ونهوا عما نهى » [5] .

بركات الصالحين وفضائلهم :-

يمكن بيان ذلك فيما يأتي :-

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣٠٤/٣ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ١٢٧/٢ .

(٣) من روح المعاني للألوسي ٧٨/٥ .

(٤) راجع زاد المسير ١٢٧/٢ عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ النساء : ٦٩ .

(٥) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ٦ .

أولا : ما عرفوا به من الاستقامة :

يشتهر الصالحون بأنهم مستقيمون في جميع أحوالهم ، فهم مطيعون لربهم تبارك وتعالى ، ومطيعون لرسوله ﷺ ، مع الإخلاص في العبادة لله تعالى ، والصواب في أعمالهم .

ولا شك أن من عمل بهذه الطاعة تحصّل على بركتها وثمرتها ، وذلك هو الخير الدنيوي والأخروي [١] ، كما قال تعالى ﴿ فإما يأتينكم منّي هدى فمن اتبع هداي فلا يضلّ ولا يشقى ﴾ [٢] .

قال ابن عباس رضي الله عنه : لا يضلّ في الدنيا ولا يشقى في الآخرة [٣] .

وعما أعده الله تعالى لعباده الصالحين في الآخرة : جاء في الحديث القدسي المخرّج في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » [٤] الحديث .

ومما يتحلّى به الصالحون حسن الخلق ، تلك الخصلة الحميدة التي لا تخفى آثارها الطيبة في الدنيا بين الناس ، ولا يخفى ما أعده الله تعالى لأصحابها في الآخرة من الثواب الجزيل .

ولو تتبعنا لفظة (الصالحون) ومشتقاتها – التي وردت كثيرا في الكتاب والسنة – لوجدنا أنها لا تساق إلا في مجال المدح والثناء والتشريف .

---

(١) راجع كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص ٩ – ١١ .

(٢) سورة طه (١٢٣) .

(٣) تفسير ابن كثير ١٦٩/٣ .

(٤) صحيح البخاري ٢١/٦ كتاب تفسير القرآن – تفسير سورة تنزيل (السجدة) – باب قوله تعالى : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم ﴾ السجدة : ١٧ ، وصحيح مسلم ٢١٧٤/٤ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، الحديث رقم (٤) .

ثانيا : المنافع الحاصلة بسببهم :

للصالحين بتوفيق الله تعالى ثم ببركتهم منافع دينية ودنيوية لغيرهم ، حتى للكفار . ومن ذلك ما يأتي :-

١ - انتفاع الناس بأعمالهم ، ولهذا الأمر عدة طرق :

أ) منها دعوة الناس جميعا إلى الله سبحانه وتعالى ، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتوجيه الناس إلى الخير وإعانتهم عليه ، والقيام بواجب النصيحة .

ب) تعريف المؤمنين بدينهم وبأحكامه وتشريعاته وآدابه ، وهذا يقوم به العلماء منهم ، كما ورد في الحديث الشريف أن « العلماء ورثة الأنبياء » (١) .

ج) الإحسان إلى الآخرين بما يستطيعونه من بذل المال وغيره ، والمساعدة بأي وسيلة .

د) الدعاء للناس ولاسيما المؤمنين منهم ، فهم يدعون للكفار بالهداية ، وللمؤمنين بالتوفيق والصلاح ومغفرة الذنوب ونحو ذلك ، ولا يخفى الأثر العظيم النافع للدعاء دنيا وأخرى ، خاصة إذا صدر من الصالحين الأتقياء .

وهكذا فمنافع الصالحين لغيرهم عديدة ، وهذا يدل على بركتهم .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : « النافع هو المبارك ، وأنفع الأشياء أبركها ، والمبارك من الناس - أينما كان - هو الذي يُنتفع به حيث حل » (٢) .

٢ - حصول الخير والبركة في معايش المسلمين وأرزاقهم ، والنصر على الأعداء ببركة طاعة الصالحين (٣) وصلاحهم ودعائهم (٤) .

---

(١) تقدم تخريج هذا الحديث ص ٧١ .

(٢) من كتاب الطب النبوي لابن القيم ص ١٢٤ ، وانظر كتابه الوابل الصيب أيضا ص ١٥٨ .

(٣) مقابل هذا : المعاصي ، فلها آثار سيئة وعواقب وخيمة ، منها محق بركة الدين والدنيا - مالم يتب منها - انظر إن شئت الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص ٥٦ ، ٥٧ فقد أوضح هذه المسألة رحمه الله ، وانظر أيضا كتابه زاد المعاد ٣٦٢/٤ فما بعدها .

(٤) لشيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه إجابة قيّمة - أفدت منها - عن سؤال يتعلق ببركة الأشخاص الصالحين . انظر مجموع الفتاوى ١١٣/١١ - ١١٥ ، ٩٦/٢٧ .

قال تعالى ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ [١] .

وجاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال : « هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم » [٢] وفي رواية النسائي « إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها ، وبدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم » [٣] .

قال بعض العلماء : سبب تخصيص الضعفاء لأنهم أشد إخلاصا في الدعاء ، وأكثر خشوعا في العبادة ، لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا [٤] .

ومما يلحق بهذا من بركات الصالحين : ما تقرر في الدين من أحكام شرعية ، فيها رخصة ويسر على المسلمين ، ببركة بعضهم .

ومثال ذلك نزول آية الرخصة في التيمم [٥] بفضل الله تعالى ، ثم ببركة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

وفي هذا قال أسيد بن الحضير رضي الله عنه : « ماهي بأول بركتكم يا آل أبي بكر » [٦] .

٣ - دفع الله تعالى الشرور والنقم والعذاب عن الناس ببركة صلاحهم ودعائهم .

قال سبحانه وتعالى ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾ [٣] .

---

(١) سورة الأعراف : ٩٦ .

(٢) صحيح البخاري ٢٢٥/٣ كتاب الجهاد والسير ، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب . والحديث رواه مصعب بن سعد رضي الله عنه .

(٣) سنن النسائي ٤٥/٦ كتاب الجهاد ، باب الاستنصار بالضعيف .

(٤) من كتاب فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٨٩/٦ بتصرف .

(٥) وهي قوله تعالى : ﴿ وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ﴾ الآية . سورة النساء : ٤٣ ، سورة المائدة : ٦ .

(٦) انظر هذا الحديث مع قصته في صحيح البخاري ٨٦/١ كتاب التيمم ، الباب الأول ، صحيح مسلم ٢٧٩/١ كتاب الحيض ، باب التيمم .

(٧) سورة هود (١١٧) .

ولذا قالت زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها حين أخبرها الرسول ﷺ باقتراب بعض الفتن ، قالت رضي الله عنها : « يارسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ فقال : نعم ، إذا كثر الخبث [١] » [٢] .

ومعنى الحديث أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام وإن كان هناك صالحون [٣] .

ويقول الرسول ﷺ : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمّهم الله بعقاب منه » [٤] وفي رواية « إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيّروه .. » [٥] .

ويفهم من هذا الحديث أن من أسباب رفع العقاب عن الناس تغيير المنكر ، وهو من سمات الصالحين .

ورفع العذاب عن الناس بهذه البركة قد يشمل الكفار والعصاة إذا كانوا بين أظهر المؤمنين .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « قد يدفع الله العذاب عن الكفار والفجار لئلا يصيب مَن بينهم من المؤمنين ممن لا يستحق العذاب ، ومنه قوله تعالى

---

(١) فسره الجمهور بالفسوق والفجور ، وقيل : المراد الزنا خاصة ، وقيل أولاد الزنا ، والظاهر أنه المعاصي مطلقا . من كتاب شرح النووي لصحيح مسلم ٣/١٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٠٤/٨ كتاب الفتن ، باب يأجوج ومأجوج ، ومسلم في صحيحه ٢٢٠٨/٤ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج .

(٣) من كتاب شرح النووي لصحيح مسلم ٤/١٨ .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (سنن أبي داود مع بذل المجهود ٢٦٧/١٧ كتاب الفتن ، باب في الأمر والنهي) والترمذي في سننه ٤٦٧/٤ كتاب الفتن ، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر ، وقال حديث صحيح ، وابن حبان في صحيحه . انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان للفارسي ٢٦٢/١ وهذا الحديث رواه أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

(٥) هذه الرواية أخرجها ابن ماجه في سننه ١٣٢٧/٢ كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإمام أحمد في مسنده ٢/١ ، وابن حبان في صحيحه . انظر ترتيب صحيح ابن حبان للفارسي ٢٦١/١ .

﴿ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ﴾ إلى قوله ﴿ لو تزيّلوا [١] لعذّبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما ﴾ [٢] فلولا الضعفاء المؤمنون الذين كانوا بمكة بين ظهراني الكفار عذب الله الكفار » [٣] الخ .

ومنافع المسلمين الصالحين عديدة ، وخيرهم كثير ، ونفعهم مستمر حتى بعد موتهم ، كما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » أخرجه مسلم [٤] .

وكما أن الأولاد الصالحين تتعدى بركاتهم إلى آبائهم بعد موتهم بالدعاء ، فإن الآباء الصالحين يُلحق الله تعالى بهم ذرياتهم المؤمنين في منزلتهم وإن لم يبلغوا عملهم ، تكرمة لآبائهم ، ولتقر أعينهم بأبنائهم ، وذلك بفضل الله تبارك وتعالى وكرمه وامتنانه ، ثم ببركة عمل آبائهم [٥] ، كما قال جل وعلا ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم [٦] من عملهم من شيء ﴾ . وهذا من أعظم البركات الحاصلة من الصالحين بعد موتهم .

ولكثرة منافع المؤمن وعموم بركته فقد شبه المصطفى ﷺ النخلة – لكثرة منافعها – بالمسلم بقوله : « إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم » [٧] .

---

(١) أي لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم . من تفسير ابن كثير ١٩٤/٤ .

(٢) سورة الفتح (٢٥) .

(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١١٣/١١ ، ١١٤ .

(٤) صحيح مسلم ١٢٥٥/٣ كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته .

(٥) انظر تفسير البغوي ٢٣٨/٤ ، وتفسير ابن كثير ٢٤٢/٤ ، ٢٤٣ .

وانظر تفسير ابن كثير (١٠٠/٣) قول الله تعالى في سورة الكهف عن قصة الغلامين اليتيمين (وكان أبوهما صالحا) آية ٨٢ .

(٦) أي ما نقصناهم يعني الآباء . من تفسير البغوي ٢٣٩/٤ .

(٧) انظر الحديث بتمامه في صحيح البخاري ٢١١/٦ كتاب الأطعمة ، باب أكل الجُمّار . والحديث رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

ثالثا : ما يجريه الله تعالى على أيدي بعضهم من الكرامات في الدنيا ، إكراما لهم وتأييدا للرسول الذين هم من أتباعه :

الكرامات جمع كرامة ، وتعرف بأنها أمر خارق للعادة ، يظهره الله على يد عبد صالح ومتبع للسنة [١] .

والتصديق بكرامات أولياء الله الصالحين ، وما يجريه الله تعالى على أيديهم من خوارق العادات : من أصول أهل السنة والجماعة [٢] .

وقد حصل من ذلك الشيء الكثير ، وقد أثبت القرآن الكريم والسنة النبوية وقوع جملة منها ، وكذا الأخبار المأثورة عن الصحابة أو التابعين ثم من بعدهم ، وإلى قيام الساعة .

ومن أمثلة هذه الكرامات ما يأتي :-

١ - قصة أصحاب الكهف المشهورة التي ذكرت في القرآن الكريم في سورة الكهف ، وهؤلاء هم فتية مؤمنون صالحون فرّوا بدينهم من ظلم ملكهم ، ولجؤا إلى كهف في بعض الجبال ، فأنامهم الله تعالى ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا .

٢ - كرامة مريم عليها السلام في وجود الرزق عندها في محرابها دون أن يأتيها به بشر ، كما قال تعالى ﴿ وكفّلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ [٣] .

٣ - قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فدعوا ربهم ، وتوسلوا إليه بصالح أعمالهم ، فانفرجت الصخرة بقدرة الله تعالى وتوفيقه ، والقصة مذكورة في الصحيحين [٤] .

---

(١) انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ٦٢ ، لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٣٩٢/٢ .

(٢) انظر العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٩ .

(٣) سورة آل عمران (٣٧) .

(٤) انظر صحيح البخاري ١٤٦/٤ كتاب الأنبياء ، باب حديث الغار ، صحيح مسلم ٢٠٩٩/٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال .

٤ – قصة عابد بني إسرائيل واسمه (جريج) لما اتهم بالزنا تكلم صبي رضيع ببراءته ، كما في صحيح البخاري (١) .

٥ – تكثير الطعام الذي قُدم في دار بني بكر الصديق رضي الله عنه إلى أضيافه ، كما ورد ذلك في الصحيحين (٢) .

٦ – إضاءة عصا الرجلين من أصحاب النبي ﷺ حين خرجا من عنده في ليلة مظلمة ، كما ورد ذلك في صحيح البخاري (٣) .

٧ – استجابة الله تعالى لدعوة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على من ظلمه ، كما في صحيح البخاري (٤) .

٨ – وجود العنب عند خبيب بن عدي الأنصاري رضي الله عنه حين كان أسيرا عند المشركين بمكة وليس بها يومئذ عنب ، كما جاء ذلك في صحيح البخاري (٥) .

وهناك أخبار أخرى من الكرامات عن بعض التابعين ، ومن بعدهم (٦) .

---

(١) انظر صحيح البخاري ١٤٠/٤ كتاب الأنبياء ، باب (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) .

(٢) انظر صحيح البخاري ١٧٢/٤ كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، وصحيح مسلم ١٦٢٨/٣ كتاب الأشربة ، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره .

(٣) انظر صحيح البخاري ٢٢٨/٤ كتاب مناقب الأنصار ، باب مناقب أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما .

(٤) انظر صحيح البخاري ١٨٣/١ كتاب الأذان ، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر .

(٥) انظر صحيح البخاري ٢٨/٤ كتاب الجهاد ، باب هل يستأسر الرجل ، ومن لم يستأسر ، ومن ركع ركعتين عند القتل .

(٦) انظر في ذلك مثلا كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ١٢٩ – ١٣٢ . ومن أراد المزيد من معرفة كرامات الصالحين عموما فليرجع إلى كتاب رياض الصالحين للنووي ص ٤١٤ – ٤٢٠ ، وكتاب الفرقان بين كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ١٢٥ – ١٣٢ ، وغيرها .

وفي وقتنا الحاضر تواترت أخبار الرواة الثقات عن حصول عدة كرامات مختلفة للمجاهدين المؤمنين في بلاد الأفغان في حربهم ضد الشيوعيين [١] .

وهذه الكرامات التي أشرت إليها ، ونظائرها مما لم يذكر ، لا ريب أن حصولها لأصحابها بتوفيق الله تعالى وبفضله ومنّه ، ثم ببركة إيمانهم بالله تبارك وتعالى وصلاحهم وتقواهم .

وعلى سبيل الاجمال ، فقد أثنى الله تعالى على الصالحين من عباده ، وعلى أعمالهم الصالحة المباركة ، حتى أنه شرع للمسلم في صلاته أن يسلم عليهم في كل تشهد قائلا : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » [٢] ، وأخبر الرسول ﷺ أن « الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » [٣] .

وأحب أن أنبه في ختام هذا المبحث على أن الصالحين يتفاضلون في المنزلة — كما هو معلوم — فليسوا على مرتبة واحدة ، فأفضل أمة محمد ﷺ — مثلا — القرن الأول ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، فالصحابة رضي الله عنهم أفضل من التابعين ، وهؤلاء أفضل من أتباعهم ، وهؤلاء أفضل ممن بعدهم ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضل الأمة بعد الرسول ﷺ ، ثم بقية الخلفاء الراشدين ، وهكذا .

وعلى أي حال فإن المؤمن الصالح كلما ازداد إيمانا واتباعا وصلاحا زادت أفضليته ، وعلت مرتبته ، وعظمت بركته .

وإلى هنا أكتفي ببحث ما يتعلق ببركة الصالحين ، جعلنا الله تعالى منهم .

* * *

---

(١) من أراد الاطلاع على شيء من كرامات المجاهدين الأفغان فليرجع — على سبيل المثال — إلى كتاب آيات الرحمن في جهاد الأفغان للدكتور عبد الله عزام رحمه الله فقد روى فيه كثيرا مما حصل من كراماتهم ، نصرهم الله تعالى في تلك البلاد.

(٢) قطعة من حديث التشهد أخرجه البخاري في صحيحه ٢٠٢/١ كتاب الأذان ، باب التشهد في الآخرة ، ومسلم في صحيحه ٣٠٢/١ كتاب الصلاة ، باب التشهد في الصلاة ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ١٠٩٠/٢ كتاب الرضاع ، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

الفصل الثالث
المســـاجد

المبحث الأول
المسجد الحرام والمشاعر

المراد بالمسجد الحرام :

ذكر الله تعالى المسجد الحرام في كتابه الكريم في خمسة عشر موضعا [١] . وأما المراد بالمسجد الحرام فإن له أربع استعمالات :

أحدها : أنه الكعبة . لقوله تعالى ﴿ فَوَلِّ وجهَكَ شطرَ المسجِدِ الحرامِ ﴾ [٢] .

الثاني : الكعبة وما حولها من المسجد . لقوله تعالى ﴿ سُبحانَ الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ﴾ [٣] على قول من رأى أن المراد به نفس المسجد ، وأن الاسراء بالرسول ﷺ كان من الحجر .

الثالث : جميع مكة . لقوله تعالى ﴿ لتدخلن المسجد الحرام ﴾ [٤] .

الرابع : جميع الحرم الذي يحرم صيده [٥] . ومنه قوله تعالى ﴿ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ﴾ [٦] وقوله ﴿ إلا الذين عاهدتم عند المسجد

---

(١) انظر كتاب إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ص ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) سورة البقرة (١٥٠) .

(٣) سورة الإسراء (١) .

(٤) سورة الفتح (٢٧) .

(٥) انظر لمعرفة حدود الحرم كتاب إعلام الساجد ص ٦٣ – ٦٥ .

(٦) سورة التوبة (٢٨) .

الحرام ﴾ (١) وعهدهم إنما كان بالحديبية ، وهي من الحرم (٢) .

فضائل المسجد الحرام وبركاته :

من فضائل المسجد الحرام والبركات التي يشتمل عليها ما يأتي :–

١ – فضل الصلاة فيه :

جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » (٣) .

وفي رواية لمسلم « أفضل من ألف صلاة » (٤) .

وروى الإمام أحمد وغيره عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما مثل هذا الحديث بزيادة « وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في هذا » (٥) .

أي أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في المساجد الأخرى – عدا مسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى – كما ورد ذلك صريحا في بعض الأحاديث (٦) .

---

(١) سورة التوبة (٧) .

(٢) من كتاب الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف لابن ظهيرة القرشي ص ١٧٦ – ١٧٧ بتصرف واختصار ، مع ملاحظة وجود خلاف في هذه الأقوال ، وانظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١٥٢/٤ .

(٣) صحيح البخاري ٥٦/٢ كتاب وباب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، وصحيح مسلم ١٠١٢/٢ كتاب الحج ، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة .

(٤) انظر صحيح مسلم ١٠١٢/٢ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/٤ .

وقال النووي : « رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده والبيهقي وغيرهما باسناد حسن » شرح النووي لصحيح مسلم ١٦٤/٩ ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٧٢/٣) .

(٦) انظر مثلا : سنن ابن ماجه ٤٥٠/١ ، ٤٥١ كتاب إقامة الصلاة ، باب ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ ، ومسند الإمام أحمد ٣٤٣/٣ ، وقد صحح المنذري إسناديهما (الترغيب والترهيب ٢١٤/٢) ، وراجع كتاب إعلام الساجد بأحكام المساجد ص ١١٥ – ١١٩ .

وهل يختص تضعيف الصلاة بنفس المسجد الحرام (الكعبة وما حولها من المسجد) ، أو يعم جميع مكة من المنازل والشعاب وغير ذلك ، أم يعم جميع الحرم الذي يحرم صيده ؟ في ذلك خلاف بين العلماء [١] .

وعلى أي حال فإن الصلاة في المسجد المحيط بالكعبة – مهما كثرت صفوفه – أفضل من الصلاة في المساجد والمواضع الأخرى بمكة ، أو بسائر الحرم ، للقرب من الكعبة ، ولكثرة الجماعة .

وفضل الصلاة في المسجد الحرام لا يختص بالفريضة ، بل يعم الفرض والنفل جميعا ، على الصحيح [٢] .

كما أن التضعيف يرجع إلى الثواب ، ولا يتعداه إلى الإجزاء عن الفوائت ، كما نص عليه العلماء [٣] .

وهذا الثواب العظيم من أعظم البركات التي شرف الله بها هذا المسجد الحرام .

٢ – فضل الأعمال الصالحة فيه :

من ذلك الطواف بالبيت العتيق ، وقد رويت عدة أحاديث في بعض السنن [٤] تدل على عظم فضل الطواف والحث على الإكثار منه ، والطواف من الأمور التي تميز بها المسجد الحرام .

---

(١) عمدة القاري ٢٥٧/٧ ، وانظر تفصيل أقوال العلماء في هذه المسألة في كتاب إعلام الساجد ص ١١٩ – ١٢٤ .

(٢) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ١٦٤/٩ .

(٣) انظر المرجع السابق ١٦٦/٩ .

(٤) انظر : ١) سنن الترمذي ٢١٩/٣ كتاب الحج ، باب ما جاء في فضل الطواف .

٢) سنن النسائي ٢٢١/٥ كتاب الحج ، باب ذكر الفضل في الطواف بالبيت .

٣) سنن ابن ماجه ٩٨٥/٢ كتاب المناسك ، باب فضل الطواف

٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٤٨٩/١ كتاب المناسك .

ومن خصائص هذا المسجد المبارك : إباحة الطواف والصلاة في كل وقت .

فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يا بني عبد مناف [١] لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار » [٢] .

وقد قال بإباحة الصلاة بعد الطواف في كل وقت جمهور الصحابة ومن بعدهم استنادا على هذا الحديث ، ومنهم من كره ذلك ، أخذا بعموم النهي عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر [٣] .

وقد نص بعض العلماء ومنهم الامام الزركشي [٤] رحمه الله في كتابه الجليل (إعلام الساجد بأحكام المساجد) على أن التضعيف لا يختص بالصلاة ، بل يعم سائر الطاعات كذلك ، قياسا على ما ثبت في الصلاة ، فألحق به ما في معناه من أعمال البر ، واستشهد الزركشي رحمه الله على ذلك ببعض الأحاديث والآثار [٥] . والله تعالى أعلم .

---

(١) هو عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي ، من أجداد رسول الله ﷺ ، قيل أن اسمه المغيرة وعبد مناف لقبه ، وبنوه هم : المطلب وهاشم وعبد شمس ونوفل وأبو عمرو وأبو عبيد (الأعلام للزركلي ١٦٦/٤) وكانت لهم السقاية والرفادة والقيادة في مكة . انظر أخبار مكة للأزرقي ١٠٩/٢ ، ١١٠ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٢٣٠/٣ كتاب الحج ، باب ماجاء في الصلاة بعد العصر وبعد الصبح لمن يطوف ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح ، والنسائي في سننه ٢٢٣/٥ كتاب الحج ، باب إباحة الطواف في كل الأوقات ، وابن ماجه في سننه ٣٩٨/١ كتبا إقامة الصلاة ، باب ماجاء في الرخصة في الصلاة بمكة في كل وقت ، والدارمي في سننه ٧٠/٢ كتاب المناسك ، باب الطواف في غير وقت الصلاة ، وابن حبان في صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٤٦/٣) .

(٣) فتح الباري ٤٨٨/٣ ، وانظر سنن الترمذي ٢٢٠/٣ ، ٢٢١ .

(٤) هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله بدر الدين الشافعي الإمام العلامة المحدث الأصولي الفقيه الأديب ، له تصانيف كثيرة في عدة فنون منها : إعلام الساجد بأحكام المساجد ، الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة ، البرهان في علوم القرآن ، البحر المحيط في أصول الفقه ، خادم الرافعي والروضة في فروع فقه الشافعية . توفي سنة ٧٩٤ هـ .

انظر شذرات الذهب ٣٣٥/٦ ، هدية العارفين ١٧٤/٦ ، الأعلام ٦٠/٦ .

(٥) انظر إعلام الساجد ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

٣ - من فضائله أنه أول مسجد وضع في الأرض :

ففي الصحيحين عن أبي ذر [١] رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله : « أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ قال : « المسجد الحرام » قلت : ثم أي ؟ قال : « المسجد الأقصى » قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة ، وأينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد » [٢] .

٤ - ومن مزايا المسجد الحرام جواز شد الرحال إليه :

ولا يشترك معه في هذا الحكم إلا مسجد الرسول ﷺ بالمدينة ، والمسجد الأقصى ببيت المقدس ، كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، ومسجد الحرام ، ومسجد الأقصى » [٣] .

بل كما ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن شد الرحال إلى المسجد الحرام فرض [٤] ، ولغيره [٥] مما يستحب ولا يجب [٦] .

وقال رحمه الله عن البلد الحرام (مكة) : « وليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي إليها ، والطواف بالبيت الذي فيه غيرها » [٧] . إلى غير ذلك من فضائل وبركات المسجد الحرام ، أفضل بقاع الأرض .

---

(١) هو جندب بن جنادة بن سفيان أبو ذر الغفاري ، وقد اختلف في اسمه ونسبه ، أسلم والنبي ﷺ بمكة فكان رابع من أسلم ، وقد اشتهر بزهده وصدقه ، وكان لا تأخذه في الحق لومة لائم . توفي بالربذة سنة ٣٢هـ .

انظر حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني ١٥٦/١ ، أسد الغابة ٣٥٧/١ ، الإصابة ٦٣/٤ ، تهذيب التهذيب ٩٠/١٢ .

(٢) صحيح البخاري ١٣٦/٤ كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب ﴾ ، وصحيح مسلم ٣٧٠/١ كتاب وباب المساجد ومواضع الصلاة . واللفظ لمسلم .

(٣) صحيح البخاري ٥٦/٢ كتاب وباب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، وصحيح مسلم ١٠١٤/٢ كتاب الحج ، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، واللفظ لمسلم .

وانظر لبيان سبب تخصيص هذه المساجد الثلاثة بجواز شد الرحل إليها : كتاب الجواب الباهر في زوار المقابر لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٤٠ - ٤٢ .

(٤) أي لأجل الحج والعمرة ، على من استطاع .

(٥) مقصوده كما يظهر : هما المسجدان الآخران بالمدينة وبيت المقدس .

(٦) زاد المعاد ٤٨/١ .

(٧) المرجع السابق ٤٨/١ .

المشاعر المقدسة داخل المسجد الحرام وخارجه :

المقصود بالمشاعر : مواضع مناسك الحج ، والمعالم التي ندب الله إليها وأمر بالقيام بها ، وهي جمع مشعر ، ومنه سمي المشعر الحرام بمزدلفة ، لأنه مَعلَم وموضع للعبادة .

وأما الشعائر فهي أعمال الحج ومناسكه وعلاماته ، جمع شعيرة كالوقوف ، والطواف ، والسعي ، والرمي ، ونحو ذلك ، وكذا كل ما جعل علما لطاعة الله يسمى شعيرة [١] .

والآن سأذكر أهم المشاعر المقدسة مع بيان شيء من فضلها وما يشرع عندها فيما يأتي :-

أولا : الكعبة [٢] :

وتقع وسط المسجد الحرام تقريبا ، وهي قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

ومنها حِجر اسماعيل عليه السلام ، وهو الحائط وما بداخله الواقع شمالي الكعبة ، على شكل نصف دائرة .

ومما تتضمنه الكعبة : الحجر الأسود .

ويشرع استلامه وتقبيله مع التكبير أثناء الطواف في أول كل شوط إن تيسر ذلك ، فإن شق استلامه وتقبيله استلمه بيده وقبل يده ، فإن شق ذلك أشار إليه ، ولا يزاحم أحدا لتقبيله لما فيه من الايذاء .

ومما ورد في فضل الحجر الأسود ما أخرجه الترمذي وصححه ، وابن خزيمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « نزل الحجر الأسود من الجنة ، وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم » [٣] .

---

(١) انظر الكتب الآتية : الصحاح للجوهري ٦٩٨/٢ ، لسان العرب ٤١٤/٤ المصباح المنير ٣١٥/١ .

(٢) انظر في سبب تسميتها بهذا الاسم : تفسير البغوي ٦٨/٢ .

(٣) سنن الترمذي ٢٢٦/٣ كتاب الحج ، باب ما جاء في فضل الحجر الأسود والركن والمقام ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وصحيح ابن خزيمة ٢٢٠/٤ كتاب المناسك ، باب ذكر العلة التي من سببها اسودّ الحجر .

ومما تتضمنه الكعبة أيضا : الركن اليماني ، وهو ركن الكعبة الواقع غرب الحجر الأسود .

ويشرع استلام الركن اليماني في كل شوط دون تقبيل ، فإن لم يتمكن من استلامه فلا يشير إليه .

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله عن فضل الحجر الأسود والركن اليماني ومزيتهما : « ليس على وجه الأرض موضع يُشرع تقبيله واستلامه ، وتُحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود ، والركن اليماني » [١] .

وسأفرد بإذن الله تعالى لبركة الكعبة مبحثا خاصا عقب تمام الكلام عن المشاعر المقدسة .

ثانيا : مقام إبراهيم :

وهو الحجر الذي كان يقف عليه إبراهيم عليه السلام أثناء بناء الكعبة [٢] .

وتشرع الصلاة خلفه إن أمكن مستقبلا القبلة ، بعد كل طواف ركعتين ، يقرأ في الأولى بعد الفاتحة : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ وفي الثانية : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ والحكمة في تخصيص قراءة هاتين السورتين هنا والله أعلم : استحضار عظمة الله تعالى ، وإشعار النفس أن الطواف بالكعبة ليس عبادة لها ، وإنما هو عبادة لله الأحد الصمد الذي لا يستحق العبادة أحد سواه جل وعلا .

وقد جاء في تفسير ابن كثير أن هذا المقام كان ملصقا بجدار الكعبة قديما ، فأخّره عمر بن الخطاب رضي الله عنه للضرورة ، ولم ينكر عليه ذلك أحد من الصحابة رضي الله عنهم [٣] .

---

(١) زاد المعاد ٤٨/١ .
(٢) انظر تفسير ابن كثير ١٧١/١ .
(٣) المرجع السابق ١٧١/١ بتصرف .

ثالثا : بئر زمزم :

وسيأتي الكلام في هذا مفصلا في الفصل الثالث من الباب الثاني من هذه الرسالة بإذن الله تعالى .

رابعا : الصفا والمروة :

وهما جبلان بمكة ، شرقي الكعبة .

ويقصدان للسعي بينهما في الحج أو العمرة ، قال تعالى ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم [(١)] ﴾ [(٢)] .

خامسا : منى :

سميت بذلك لما يُمنى بها من الدماء أي يُراق ، وحدُّها من مهبط العقبة إلى وادي مُحَسِّر [(٣)] .

وتُقصد أيام الحج . فقط لأداء ما يتعلق بها من أحكامه ، كالمبيت والرمي والذبح .

ويقال : إن من آياتها أنها تتسع بأهلها كما يتسع الرحم للولد [(٤)] . والله أعلم .

---

(١) سورة البقرة (١٥٨) .

(٢) للإمام ابن كثير رحمه الله تنبيه جميل فيما ينبغي للساعي بين الصفا والمروة أن يعمله - بعد أن ساق قصة هاجر زوج إبراهيم عليه السلام وترددها بين الصفا والمروة في طلب الماء لولدها .
انظر ذلك في تفسيره : ٢٠/١ ، ٢١ .

(٣) معجم البلدان ١٩٨/٥ ، ١٩٩ بتصرف .
وأما مُحَسِّر فهو برزخ بين منى ومزدلفة لا من هذه ولا من هذه ، وهو من الحرم وليس بمشعر ، وسمي بذلك لأن فيل أصحاب الفيل حسر فيه : أي أعيا وانقطع من الذهاب إلى مكة ، وقد أهلكهم الله ، كما قص الله تعالى ذلك في سورة الفيل . من كتاب زاد المعاد لابن القيم ٢٥٦/٢ بتصرف .

(٤) انظر أخبار مكة للأزرقي ١٧٩/٢ ، إعلام الساجد للزركشي ص ٧٠ .

سادسا : رحاب عرفات :

وحدها من الجبل المشرف على بطن عُرَنَة [١] إلى جبال عرفة [٢] . وعرفات ليست من الحرم فهي في الحل [٣] .

وتُقصد يوم عرفة فقط – وهو اليوم التاسع من شهر ذي الحجة – للوقوف فيها والذكر والدعاء .

ويقف الحاج عند الصخرات ، أسفل جبل الرحمة – في وسط عرفات – إن تيسر له ذلك ، وإلا فعرفة كلها موقف .

وقد ذكر الله تعالى عرفات في القرآن الكريم بقوله ﴿ فإذا أفضتم من عرفات ﴾ [٤] الآية .

سابعا : رحاب مزدلفة :

وحدها من مُحَسِّر إلى أنصاب الحرم [٥] .

وتقصد ليلة النحر بعد الانصراف من عرفات للمبيت بها ، وذكر الله تعالى والدعاء عند المشعر الحرام – وهو جبل في وسط مزدلفة – قال تعالى ﴿ فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين ﴾ [٦] .

---

(١) عُرَنَة : برزخ بين عرفة ومزدلفة ، وهي في الحل وليست بمشعر . من كتاب زاد المعاد لابن القيم ٢٥٦/٢ .

(٢) معجم البلدان ١٠٤/٤ ، وللمزيد راجع أخبار مكة للأزرقي ١٩٤/٢ .

(٣) معجم البلدان ١٩٨/٥ ، إعلام الساجد ص ٧٢ .

(٤) سورة البقرة (١٩٨) .

(٥) من كتاب معجم البلدان ١٩٨/٥ ، وفي سبب تسميتها بمزدلفة أقوال كثيرة : انظر هذا الكتاب ١٢٠/٥ ، ١٢١ .

(٦) سورة البقرة (١٩٨) .

وعلى وجه العموم فالدعاء مشروع في رحاب هذه المشاعر الطيبة المباركة ، وحري بالاجابة .

قال الشوكاني رحمه الله عن فضل الدعاء في هذه الأماكن ونحوها : « في هذه المواضع المباركة مزيد اختصاص ، فقد يكون ما لها من الشرف والبركة مقتضيا لعود بركتها على الداعي فيها ، وفضل الله واسع ، وعطاؤه جم ، وكما في حديث « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » [١] فجعل جليس أولئك القوم مثلهم مع أنه ليس منهم ، وإنما عادت عليه بركتهم فصار كواحد منهم ، فلا يبعد أن تكون المواضع المباركة هكذا ، فيصير الكائن فيها الداعي لربه عندها مشمولا بالبركة التي جعلها الله فيها ، فلا يشقى حينئذ بعدم قبول دعائه » [٢] اهـ .

وما عدا هذه المشاعر فلا يشرع قصده أو التعبد عنده ، لأن ذلك من البدع ، إذ التقرب إلى الله تعالى لا يجوز إلا بما شرعه سبحانه وتعالى ، مع أن هذه المشاعر لا تقصد لأداء العبادة إلا على الوجه المشروع في الكيفية والزمان وغير ذلك [٣] ، كما تقدمت الاشارة إليه .

وسأفرد بإذن الله تعالى ما يتعلق بالتبرك الممنوع ببعض الجبال والمواضع في مكة المكرمة وغيرها بفصل خاص في الباب الثالث .

بركة البيت الحرام :

لا شك أن البيت الحرام - أي الكعبة - هو أول بيت وضعه الله تعالى للناس ، للصلاة والطواف والحج وغيرها من العبادات ، وأن الله تعالى جعله مباركا .

---

(١) قطعة من حديث أبي هريرة المتفق عليه ، وسيرد نص الحديث كاملا ص ٢٧٢ ، وقد تقدم تخريج أوله ص ٨٦ .

(٢) تحفة الذاكرين للشوكاني ص ٤٤ بتصرف . وانظر الرد على البكري لابن تيمية ص ٢٧٩ ، إعلام الساجد ص ١١٠ .

(٣) أفدت في الكتابة عن هذه المشاعر المقدسة - عدا ما سبق - من كتاب هداية الناسك إلى أهم المناسك للشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله ، ومن رسالة صغيرة أصدرتها الأمانة العامة للتوعية الإسلامية في الحج عام ١٤٠٥ هـ بعنوان : وصايا لضيوف الرحمن ص ٩ - ١٢ بقلم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز .

قال تبارك وتعالى ﴿ إن أول بيت وُضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ [١] .

وقد أبان المفسرون رحمهم الله المقصود ببركة هذا البيت ، أو أسباب وجودها .

فقال الطبري : لأن الطواف به مغفرة للذنوب [٢] .

وقال القرطبي : جعله مباركا لتضاعف العمل فيه ، فالبركة كثرة الخير [٣] .

وقال الشوكاني : البركة كثرة الخير لمن يستقر فيه أو يقصده ، أي الثواب المتضاعف [٤] .

وأفاض أبو عبد الله الرازي في بيان ذلك ، حيث فسر معنى البركة في هذا البيت الحرام عن طريق معنييهما وهما : النمو والتزايد والبقاء والدوام .

فعلى المعنى الأول : المقصود زيادة ثواب الطاعات ، كما في الصلاة بالمسجد الحرام ، وأما الحج فقال عليه الصلاة والسلام : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » [٥] وفي حديث آخر « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » [٦] ومعلوم أنه لا أكثر بركة مما يجلب المغفرة والرحمة .

ثم أشار إلى وجه آخر ذكره أحد العلماء ، وهو قوله : يجوز أن تكون بركته

---

(١) سورة آل عمران (٩٦) .

(٢) تفسير الطبري ١٠/٤ .

(٣) تفسير القرطبي ١٣٩/٤ .

(٤) تفسير الشوكاني ٣٦٢/١ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ١٤١/٢ كتاب الحج ، باب فضل الحج المبرور ، ومسلم في صحيحه ٩٨٣/٢ كتاب الحج ، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ١٩٨/٢ كتاب العمرة ، باب وجوب العمرة وفضلها . ومسلم في صحيحه ٩٨٣/٢ كتاب الحج ، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وهذا هو الشطر الثاني للحديث .

والشطر الأول له « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما » .

ما ذكر في قوله تعالى ﴿ يجبى إليه ثمرات كل شيء ﴾ [(١)] والمقصود كثرة الأرزاق والثمار المجلوبة للحرم [(٢)] .

وعلى المعنى الثاني قال الرازي : « وأما إن فسرنا البركة بالدوام فهو أيضا كذلك ، لأنه لا تنفك الكعبة من الطائفين والعاكفين والركع السجود ، وأيضا الأرض كرة ، وإذا كان كذلك فكل وقت يمكن أن يفرض فهو صبح لقوم ، وظهر لثان ، وعصر لثالث ، ومغرب لرابع ، وعشاء لخامس ، ومتى كان الأمر كذلك لم تكن الكعبة منفكة قط عن توجه قوم إليها من طرف من أطراف العالم لأداء فرض الصلاة ، فكان الدوام حاصلا من هذه الجهة ، وأيضا بقاء الكعبة على هذه الحالة ألوفا من السنين دوام أيضا » [(٣)] .

وقال الشيخ عبد الرحمن الدوسري [(٤)] رحمه الله : « من صفات هذا البيت المبارك أنه « هدى للعالمين » ففيه هداية لجميع الناس باستقبال المصلين له من كل جهة في مشارق الأرض ومغاربها ، إذ كل من استعمل عقله الفطري حين ينظر إلى اتجاه المصلين يستدل بذلك على وجود الله ، وعلى صدق رسوله عليه الصلاة والسلام » [(٥)] ا هـ .

وقال تعالى ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ﴾ [(٦)] ومعنى تسمية

---

(١) سورة القصص (٥٧) .

(٢) انظر في تفصيل ما خص الله تعالى به مكة من الخيرات والأرزاق كتاب رحلة ابن جبير ص ٩٦ - ١٠٠ .

(٣) من كتاب التفسير الكبير لأبي عبد الله الرازي ١٤٨/٨ ، ١٤٩ بتصرف .
وانظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٧/٤ .

(٤) هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن خلف الدوسري الداعية المشهور ، له عدة مصنفات أشهرها تفسيره الذي أسماه (صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم) ، ومنها الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة ، إيضاح الغوامض من علم الفرائض ، الأسلحة التي انتصر بها اليهود ، فلسفة أركان الاسلام . توفي سنة ١٣٨٩ هـ .
انظر ترجمته في مقدمة تفسيره (صفوة الآثار) الجزء الأول .

(٥) من كتاب صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم للدوسري ٢٣٨/٤ .

(٦) سورة المائدة (٩٧) .

البيت بأنه حرام : أنه حرم أن يُصاد عنده ، وأن يُختلى ما عنده من الخلا [١] ، وأن يُعضد شجره [٢] ، وعظمت حرمته ، والمراد بتحريم البيت سائر الحرم [٣] .

وقال البغوي [٤] رحمه الله في معنى قوله تعالى ﴿ قياما للناس ﴾ أي قواما لهم في أمر دينهم ودنياهم ، أما الدين لأن به يقوم الحج والمناسك ، وأما الدنيا فبما يُجبى إليه من الثمرات ، وكانوا يأمنون فيه ، فلا يتعرض لهم أحد في الحرم ، قال الله تعالى ﴿ أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويُتخطف الناس من حولهم [٥] ﴾ [٦] .

ولما تحتوي عليه هذه البقاع المقدسة من الفضل العظيم والبركة ، كما تقدم ، كانت مكة – ذلك البلد الأمين المبارك – أفضل البقاع [٧] وأحبها إلى الله تعالى ، كما روى عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري [٨] رضي الله عنه قائلا : رأيت رسول الله

---

(١) الخلا : النبات الرطب الرقيق ما دام رطبا ، واختلاؤه قطعه . من كتاب النهاية لابن الأثير ٧٥/٢ .

(٢) ورد تحريم مكة على لسان الرسول ﷺ في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما . انظر : صحيح البخاري ١٥٧/٢ كتاب الحج ، باب فضل الحرم ، وصحيح مسلم ٩٨٦/٢ كتاب الحج ، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها ، إلا لمنشد على الدوام . ومعنى يُعضد شجره : أي يُقطع .

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ٤٢٩/٢ .

(٤) هو الحسين بن مسعود بن محمد ابن الفراء البغوي الشافعي أبو محمد الملقب بمحيي السنة الإمام العلامة الحافظ ، كان إماما في التفسير والحديث والفقه ، وكان زاهدا ورعا ، وله تصانيف عديدة . منها تفسيره المسمى (معالم التنزيل) ، وشرح السنة ، الجمع بين الصحيحين ، وكتاب التهذيب في الفقه ، قال الإمام الذهبي (بورك له في تصانيفه ، ورزق فيها القبول التام لحسن قصده وصدق نيته) توفي بمرو الروذ سنة ٥١٦ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٩ ، تذكرة الحفاظ ١٢٥٧/٤ ، طبقات الشافعية الكبرى ٢١٤/٤ ، طبقات المفسرين للسيوطي ص ٤٩ ، شذرات الذهب ٤٨/٤ .

(٥) سورة العنكبوت (٦٧) .

(٦) تفسير البغوي ٦٨/٢ بتصرف .

(٧) هذا مذهب الجمهور ، والمشهور عن مالك وأصحابه تفضيل المدينة على مكة . راجع فتح الباري ٦٧/٣ ، ٦٨ .

(٨) عبد الله بن عدي بن الحمراء القرشي الزهري يكنى أبا عمر وأبا عمرو ، له صحبة ، ومن مسلمة الفتح ، سكن المدينة .

انظر أسد الغابة ٢٣٢/٣ ، الإصابة ٣٣٧/٢ ، تهذيب التهذيب ٣١٨/٥ .

ﷺ وهو على ناقته ، واقفا بالحَزْوَرة [١] يقول : « والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت » [٢] .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد كلام تقدم عن خصائص مكة : « وقد ظهر سر هذا التفضيل والاختصاص في انجذاب الأفئدة ، وهوى القلوب وانعطافها ومحبتها لهذا البلد الأمين ، فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد .. ولهذا أخبر سبحانه أنه مثابة للناس [٣] ، أي يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار ، ولا يقضون منه وطرا ، بل كلما ازدادوا له زيارة ، ازدادوا له اشتياقا » وقال : « وهذا كله سر إضافته إليه سبحانه وتعالى بقوله ﴿ وطهِّر بيتي ﴾ [٤] فاقتضت هذه الاضافة الخاصة من هذا الاجلال والتعظيم والمحبة ما اقتضته .. » [٥] الخ .

وهكذا لعله تبين لنا فيما سبق ما للمسجد الحرام وسائر المشاعر المقدسة ، ولمكة عموما ، من الفضل العظيم والبركة الظاهرة في الدين والدنيا ، وما تختص به هذه المواضع من التعظيم والتقديس والتشريف ، وكذلك بركة الأعمال الصالحة حولها ، كالصلاة والحج والذكر والدعاء ، وما في ذلك من الثواب العظيم المضاعف ، ومغفرة الذنوب . وذلك كله من فضل الله تبارك وتعالى .

* * *

---

(١) الحَزْورة : الرابية الصغيرة (القاموس المحيط ٦٣١/١) قال الأزرقي : كانت سوق مكة ثم دخلت في المسجد الحرام . ثم ساق الأزرقي هذا الحديث . انظر أخبار مكة ٢٩٤/٢ ، ٢٩٥ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٧٢٢/٥ كتاب المناقب ، باب فضل مكة ، وقال : حديث حسن غريب صحيح ، وابن ماجه في سننه ١٠٣٧/٢ كتاب المناسك ، باب فضل مكة . والإمام أحمد في مسنده ٣٠٥/٤ ، والدارمي في سننه ٢٣٩/٢ كتاب السير ، باب إخراج النبي ﷺ من مكة ، والحاكم في مستدركه على الصحيحين ٧/٣ وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩/٦) .

(٣) قال تعالى : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس ﴾ سورة البقرة (١٢٥) .

(٤) سورة الحج (٢٦) .

(٥) زاد المعاد ٥١/١ ، ٥٢ .

المبحث الثاني
مسجد النبي ﷺ وفضل المدينة

بركة مسجد النبي ﷺ وفضله :

هذا المسجد أنشأه الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم – بعد مسجد قباء – حين وصوله إلى المدينة مهاجرا من مكة .

ومن بركات هذا المسجد وفضائله ما يأتي :–

١ – فضل الصلاة فيه ، فقد تقدم قول الرسول ﷺ : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » (١) متفق عليه . قال النووي رحمه الله : « هذه الفضيلة مختصة بنفس مسجده ﷺ الذي كان في زمانه ، دون ما زيد فيه بعده ، فينبغي أن يحرص المصلي على ذلك » (٢) .

ومعتمده في هذا : الاشارة بقوله « في مسجدي هذا » (٣) .

لكن ذهب غيره إلى أنه لو وُسع ثبتت له هذه الفضيلة ، كما في مسجد مكة إذا وُسع (٤) . وأن فائدة الاضافة : الدلالة على اختصاصه دون غيره من مساجد المدينة ، لا أنها للاحتراز عما يُزاد فيه (٥) .

---

(١) سبق تخريجه ص ١٠٢ .

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم ٦٦/٩ . وممن رجح هذا الرأي من المتأخرين : الصنعاني . انظر سبل السلام ١٤١/٢ .

(٣) إعلام الساجد ص ٢٤٧ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٤٧ ، وانظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٦/٢٦ .

(٥) سبل السلام للصنعاني ٤٤١/٢ . وقد استشهد أصحاب هذا الرأي ببعض الأحاديث والآثار ، ومع أنها لا تخلو من ضعف إلا أنه يستأنس بها .

ولعل هذا الرأي هو الصواب ، لما تقدم ، ولأن ازدياد عدد المصلين يقتضي الزيادة في بناء المسجد ، ولا سيما المساجد الثلاثة التي يحرص المسلمون على الصلاة فيها ويشدون الرحال إليها ، وفضل الله تبارك وتعالى واسع . وقد زيد في بناء وتوسعة مسجد الرسول ﷺ بعد العمارة الأولى تسع مرات (١) ، أولها كانت في وقت الرسول ﷺ ، وآخرها ما يجري العمل به في هذا الوقت .

٢ – فضل ما بين بيت الرسول ﷺ ومنبره ، وفضل منبره :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما بين بيتي (٢) ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي » (٣) رواه البخاري ومسلم .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في بيان خلاصة أقوال العلماء في معناه : « أي كروضة من رياض الجنة ، في نزول الرحمة وحصول السعادة ، بما يحصل من ملازمة حلق الذكر لاسيما في عهده ﷺ فيكون تشبيها بغير أداة ، أو المعنى أن العبادة فيها تؤدي إلى الجنة فيكون مجازا ، أو هو على ظاهره ، والمراد أنه روضة حقيقية ، بأن ينتقل ذلك الموضع بعينه في الآخرة إلى الجنة » (٤) .

وعلى أي حال فإنه يستحب الحرص على الصلاة ونحوها فى هذه الروضة الشريفة (٥) ، بدون إيذاء للآخرين ، أو مضايقة .

---

(١) انظر إن شئت التفصيل في معرفة هذه الزيادات للمسجد كتاب أشهر المساجد في الإسلام ٢٠١/١ – ٢٢٢ تأليف سيد عبد المجيد بكر ، وكتاب المسجد النبوي عبر التاريخ للدكتور محمد السيد الوكيل .

(٢) لقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على أن هذا هو الثابت في الصحيحين ، ولكن بعضهم رواه بالمعنى فقال (قبري) ثم قال : وهو ﷺ حين قال هذا القول لم يكن قد قُبر بعد صلوات الله وسلامه عليه .

انظر كتابه قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ١٧٢ .

(٣) صحيح البخاري ٥٧/٢ كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، باب فضل ما بين القبر والمنبر ، وصحيح مسلم ١٠١١/٢ كتاب الحج ، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة .

(٤) فتح الباري ١٠٠/٤ ، وقد نقل الحافظ هنا عن بعضهم تحديد المسافة ما بين المنبر والبيت . وانظر كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودي ٤٢٩/٢ – ٤٣٩ .

(٥) هذا في غير الصلاة المكتوبة ، وإلا فإن الصفوف الأولى أفضل .

وقوله ﷺ : « ومنبري على حوضي » قال أكثر العلماء : المراد منبره بعينه الذي كان في الدنيا ، ومعنى ذلك أن قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد صاحبه الحوض ويقتضي شربه منه ، وقيل : إن له هناك منبرا على حوضه [١] ، والله أعلم .

٣ - اختصاصه بجواز شد الرحل إليه مع المسجدين الآخرين ، كما تقدم [٢] ، بل تستحب زيارته ، والصلاة فيه .

كما يستحب لمن زار هذا المسجد أو كان قريبا منه : زيارة قبر الرسول ﷺ [٣] وقبري صاحبيه أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

فضائل المدينة :

تشتمل المدينة [٤] على عدة فضائل وبركات عظيمة - عدا ما تقدم من فضل وبركة مسجد الرسول ﷺ - بفضل الله تبارك وتعالى ، ثم ببركة ساكنها عليه الصلاة والسلام .

فمن ذلك ما يأتي :-

١ - فضل مسجد قباء [٥] ، وفضل الصلاة فيه ، وزيارته .

هو أول مسجد بُني في المدينة على الاطلاق [٦] .

وقد جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « كان النبي ﷺ

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ١٦٢/٩ بتصرف .

(٢) راجع ص ١٠٥ .

(٣) سيأتي إن شاء الله تعالى بسط القول في حكم هذه المسألة ص ٣٢٠ فما بعدها .

(٤) لمعرفة أسماء المدينة انظر كتاب أعلام الساجد ص ٢٣٢ - ٢٣٦ ولمعرفة حدود حرمها انظر ص ٢٢٦ - ٢٢٩ من هذا الكتاب .

(٥) قباء : كانت ضاحية في جنوب المدينة ، قال ياقوت الحموي : وأصله اسم بئر هناك عرفت القرية بها (معجم البلدان ٣٠١/٤) وهي الآن داخل المدينة .

(٦) انظر كتاب تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ٣٣٨ .

يأتي قباء راكبا وماشيا » وفي رواية بزيادة « فيصلي فيه ركعتين » (١) .

وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تطهر في بيته ، ثم أتى مسجد قباء وصلى فيه صلاة ، كان له كأجر عمرة » (٢) .

وعلى هذا فيستحب لمن في المدينة أو لزائرها أن يزور مسجد قباء ويصلي فيه اقتداء بالنبي ﷺ ، ورجاء الحصول على هذا الثواب العظيم .

ولا يقصد إنشاء السفر إلى مسجد قباء – مع وجود هذا الفضل المذكور – لاختصاص جواز ذلك بالمساجد الثلاثة فقط كما سبق .

وقد قال بعض العلماء : قوله ﷺ : « من تطهر في بيته ، ثم أتى مسجد قباء » تنبيه على أنه لا يُشرع قصده بشد الرحال ، بل إنما يأتيه الرجل من بيته الذي يصلح أن يتطهر فيه ، ثم يأتيه فيقصده ، كما يقصد الرجل مسجد مصره دون المساجد التي يسافر إليها (٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « ولهذا لو نذر السفر إلى مسجد قباء لم يوف بنذره ، عند الأئمة الأربعة وغيرهم ، بخلاف المسجد الحرام ، فإنه يجب الوفاء بالنذر إليه باتفاقهم ، وكذلك مسجد المدينة ، وبيت المقدس ، في أصح قوليهم » (٤) .

٢ – دعاء النبي ﷺ بالبركة للمدينة :

في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) صحيح البخاري ٥٧/٢ كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، باب إتيان مسجد قباء راكبا وماشيا ، وصحيح مسلم ١٠١٦/٢ كتاب الحج ، باب فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه وزيارته . وفي رواية لهما « كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت » .

(٢) أخرجه النسائي في سننه ٣٧/٢ كتاب المساجد ، في فضل مسجد قباء والصلاة فيه ، وأخرجه ابن ماجه في سننه ٤٥٣/١ كتاب إقامة الصلاة ، باب ماجاء في الصلاة في مسجد قباء ، والإمام أحمد في مسنده ٤٨٧/٣ ، والحاكم في مستدركه على الصحيحين ١٢/٣ وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ٨٠٥/٢ .

(٤) تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ٣٣٩ .

« اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة »[١] . قال ابن حجر رحمه الله في معنى هذه البركة : « أي من بركة الدنيا ، بقرينة قوله في الحديث الآخر : « اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا »[٢] ويحتمل أن يريد ما هو أعم من ذلك »[٣] .

والذي يظهر لي أن المراد الدعاء بعموم البركة الدينية والدنيوية ، ويؤيد ذلك ما سيأتي من ذكر فضائل المدينة وخيراتها الشاملة للدين والدنيا ، ودعاء النبي ﷺ لها ولأهلها بذلك .

وقد نبه الحافظ ابن حجر رحمه الله في مسألة تضعيف بركة المدينة على مكة أنه يستثنى من ذلك ما خرج بدليل ، كتضعيف الصلاة بمكة[٤] .

٣ - وجود البركة في صاع أهل المدينة ومدهم وثمرهم ، لدعاء النبي ﷺ لهم بذلك .

في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله أن النبي ﷺ قال : « اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم »[٥] وزاد مسلم « وبارك لهم في مكيالهم »[٦] .

وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان الناس إذا رأوا الثمر جاءوا به إلى النبي ﷺ ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال : « اللهم بارك لنا في ثمرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ، وبارك لنا في مدنا »[٧] الحديث .

---

(١) صحيح البخاري ٢٢٤/٢ كتاب فضائل المدينة ، باب المدينة تنفي الخبث ، وصحيح مسلم ٩٩٤/٢ كتاب الحج ، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة .

(٢) سيأتي ذكره قريبا .

(٣) فتح الباري ٩٨/٤ .

(٤) المرجع السابق ٩٨/٤ .

(٥) قطعة من حديث أنس بن مالك في صحيح البخاري ٢٠٧/٦ كتاب الأطعمة ، باب الحيس ، وصحيح مسلم ٩٩٤/٢ كتاب الحج ، باب فضل المدينة .

(٦) انظر المرجع السابق : صحيح مسلم .

(٧) صحيح مسلم ١٠٠٠/٢ كتاب الحج ، باب فضل المدينة ، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة .

ووردت أحاديث أخرى مشابهة لهذه الأحاديث .

وأما معنى البركة هنا : فقد نقل الإمام النووي رحمه الله عن القاضي عياض رحمه الله آراء العلماء في ذلك كما يأتي :

يحتمل أن تكون هذه البركة دينية ، وهي ما يتعلق بهذه المقادير من حقوق الله تعالى في الزكاة والكفارات ، فتكون بمعنى الثبات والبقاء لها .

ويحتمل أن تكون دنيوية ، من تكثير الكيل بهذه الأكيال حتى يكفى منه مالا يكفي من غيره في غير المدينة ، أو ترجع البركة إلى التصرف بها في التجارة ، أو تكون الزيادة فيما يكال بها لا تساع عيشهم وكثرته بعد ضيقه ، لما فتح الله عليهم بلاد الخصب كالشام والعراق ، فاتسع عيشهم حتى صارت هذه البركة في الكيل نفسه فزاد مدهم .

ثم قال النووي : والظاهر من هذا كله أن البركة في نفس المكيل في المدينة بحيث يكفي المد فيها لمن لا يكفيه في غيرها ، والله أعلم [(١)] .

ولعل الأقرب أن المقصود هنا والله أعلم : الدعاء بالبركة الدنيوية العامة في هذه الأشياء من الثمار والمطعومات ، خاصة المكيل منها ، وهي غالبا أقواتهم ، أما البركة الدينية فبعيدة ، ولم يرد ما يشير إلى قصدها في هذه النصوص وأمثالها .

٤ - فضل تمر عجوة المدينة ومنافعه :

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من تصبّح [(٢)] سبع تمرات عجوة [(٣)] ، لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر » [(٤)] رواه البخاري ومسلم .

---

(١) من كتاب شرح النووي لصحيح مسلم ١٤٢/٩ باختصار .

(٢) أي تناول ذلك صباحا .

(٣) قال ابن الأثير : العجوة : نوع من تمر المدينة ، أكبر من الصيحاني - من أنواع تمرها - يضرب إلى السواد ، من غرس النبي ﷺ . (النهاية ١٨٨/٣) .

وقال ابن القيم : من أنفع ثمار الحجاز على الاطلاق ، وهو صنف كريم ملزّز متين الجسم والقوة ، من ألين التمر وأطيبه وألذه . (الطب النبوي ص ٢٦٣) .

(٤) صحيح البخاري ٣١/٧ كتاب الطب ، باب الدواء بالعجوة للسحر ، وصحيح مسلم ١٦١٨/٣ كتاب الأشربة ، باب فضل تمر المدينة .

وفي رواية لمسلم . « من أكل سبع تمرات مما بين لا بتيها [١] حين يصبح لم يضره سم حتى يمسي » [٢] .

وفي رواية لمسلم أيضا عن عائشة رضي الله عنها « إن في عجوة العالية [٣] شفاء ... » [٤] .

وفي بعض السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه « العجوة من الجنة ، وهي شفاء من السم » [٥] .

قال النووي رحمه الله : « في هذه الأحاديث فضيلة تمر المدينة وعجوتها ، وفضيلة التصبح بسبع تمرات منه » ثم قال : « وتخصيص عجوة المدينة دون غيرها ، وعدد السبع من الأمور التي علمها الشارع ، ولا نعلم نحن حكمتها [٦] ، فيجب الإيمان بها واعتقاد فضلها ... وهذا كأعداد الصلوات ، ونُصُب الزكاة وغيرها » [٧] اهـ .

وقيل : كون العجوة تنفع من السم والسحر ، إنما هو ببركة دعوة النبي ﷺ لتمر المدينة ، ولا لخاصية فيه [٨] .

وهو رأي وجيه ، فقد دعا النبي ﷺ للمدينة بالبركة ، ولثمارها كما سبق ، فلعل هذا من ثمرات دعوته عليه الصلاة والسلام . والذي يفهم من كلام ابن القيم رحمه الله في هذه المسألة أنه لا مانع من الخصوصية ، وأن للأرض خواص وطبائع ، يقارب اختلافها اختلاف طبائع الانسان [٩] . والله تعالى أعلم .

---

(١) قال ابن الأثير : اللابة : الحرة ، وهي الأرض ذات الحجارة السود التي قد أُلبستها لكثرتها ، وجمعها لابات ، والمدينة بين حرتين عظيمتين . من كتاب النهاية ٢٧٤/٤ باختصار .

(٢) انظر صحيح مسلم ١٦١٨/٣ .

(٣) العالية : ضيعة بينها وبين المدينة أربعة أميال ، وقيل ثلاثة ، وذلك أدناها ، وأبعدها ثمانية أميال . معجم البلدان ١٦٦/٤ ، وانظر وفاء الوفاء للسمهودي ١٢٦٠/٤ فما بعدها .

(٤) صحيح مسلم ١٦١٩/٣ كتاب الأشربة ، باب فضل تمر المدينة .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه ٤٠٠/٤ كتاب الطب ، باب ما جاء في الكمأة والعجوة ، وقال حديث حسن ، وابن ماجه ١١٤٣/٢ كتاب الطب ، باب الكمأة والعجوة ، والإمام أحمد في مسنده ٣٠١/٢ والدارمي في سننه ٣٣٩/٢ كتاب الرقاق ، باب في العجوة .

(٦) انظر كتاب الطب النبوي لابن القيم ص ٧٧ ، ٧٨ .

(٧) شرح النووي لصحيح مسلم ٣/١٤ .

(٨) شرح السنة للبغوي ٣٣٦/١١ ، فتح الباري ٢٣٩/١٠ بتصرف .

(٩) انظر كتاب الطب النبوي لابن القيم ص ٧٧ .

٥ - رفع الوباء والحمى عن المدينة ببركة دعائه ﷺ .

أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنهما قالت : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي أوبأ أرض الله فقال : « اللهم حبِّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا ، وصححها لنا ، وانقل حماها إلى الجحفة [(١)] » [(٢)] .

قال بعضهم : إنما دعا النبي ﷺ بنقل الحمى إلى الجحفة لأنها دار شرك ، وقيل : كان أهل الجحفة إذ ذاك يهودا [(٣)] .

قال النووي رحمه الله : في هذا الحديث علم من أعلام نبوة نبينا ﷺ ، فإن الجحفة من يومئذ مجتنبة ، ولا يشرب أحد من مائها إلا حُمّ [(٤)] .

٦ - حماية المدينة من دخول الطاعون والدجال اليها :

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « على أنقاب [(٥)] المدينة ملائكة ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » [(٦)] .

قال الزركشي : وقد أظهر الله صدق رسوله ﷺ ، فإنه لم يسمع من النقلة ، ولا من غيرهم من يقول : إنه وقع بالمدينة طاعون عام ، وذلك ببركة دعائه ﷺ حيث قال : « اللهم صحِّحها لنا [(٧)] » [(٨)] .

---

(١) الجحفة : قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة ، وهي ميقات أهل مصر والشام ، سميت بذلك لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام . من كتاب معجم البلدان ١١١/٢ .

(٢) صحيح البخاري ٢٢٤/٢ ، ٢٢٥ كتاب فضائل المدينة ، باب رقم (١٢) ، وصحيح مسلم ١٠٠٣/٢ كتاب الحج ، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها ، واللفظ للبخاري مع اختصار قول عائشة رضي الله عنهما .

(٣) انظر إعلام الساجد للزركشي ص ٢٥٤ .

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم ١٥٠/٩ ، وانظر المرجع السابق .

(٥) الأنقاب : جمع نقب وهو الطريق بين الجبلين (من كتاب النهاية لابن الأثير ١٠٢/٥) . وقال الأخفش : أنقاب المدينة طرقها وفجاجها . من كتاب أعلام الساجد للزركشي ص ٢٥٤ .

(٦) صحيح البخاري ٢٢٣/٢ كتاب فضائل المدينة ، باب لا يدخل الدجال المدينة ، وصحيح مسلم ١٠٠٥/٢ كتاب الحج ، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها .

(٧) تقدم تخريجه قريبا .

(٨) إعلام الساجد ص ٢٥٥ .

٧ - معاقبة الله تعالى من أراد أهل المدينة بسوء :

في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء » (١) .

وقد تكلم العلماء في بيان معنى هذا الحديث وأمثاله ، وهل هذا الحكم ثابت في الدنيا أو الآخرة (٢) ؟ .

٨ - فضل سكنى المدينة والبقاء بها :

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رسول الله ﷺ قال : « لا يصبر على لأواء (٣) المدينة وشدتها أحد من أمتي إلا كنت له شفيعا يوم القيامة أو شهيدا » (٤) .

قال العلماء عن هذا الحديث ونحوه : إن فيها دلالات ظاهرة على فضل سكنى المدينة ، والصبر على شدائدها وضيق العيش فيها ، وأن هذا الفضل باق مستمر إلى يوم القيامة (٥) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ، فإني أشفع لمن يموت بها » (٦) .

قال الزركشي : يستحب الانقطاع بالمدينة ليحصل له الموت بها . وقال : كان المهاجرون إلى المدينة يكرهون أن يموتوا بغيرها ، ويسألون الله عز وجل أن يتوفاهم بها (٧) .

---

(١) صحيح البخاري ٢٢٢/٢ كتاب فضائل المدينة ، باب إثم من كاد أهل المدينة ، وصحيح مسلم ١٠٠٨/٢ كتاب الحج ، باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله ، واللفظ لمسلم .

(٢) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ١٣٨/٩ ، كتاب إعلام الساجد ص ٢٥٧ .

(٣) اللأواء : الشدة وضيق المعيشة . من كتاب النهاية لابن الأثير ٢٢١/٤ .

(٤) صحيح مسلم ١٠٠٤/٢ كتاب الحج ، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها . وانظر الأحاديث الأخرى المماثلة في صحيح مسلم ١٠٠١/٢ - ١٠٠٥ .

(٥) شرح النووي لصحيح مسلم ١٥١/٩ بتصرف .

(٦) أخرجه الترمذي في سننه ٩١٧/٥ كتاب المناقب ، باب في فضل المدينة ، وقال حديث حسن ، وابن ماجه في سننه ١٠٣٩/٢ كتاب المناسك ، باب فضل المدينة بلفظ (فإني أشهد لمن مات بها) ، والإمام أحمد في مسنده ١٠٤/٢ ، وابن حبان في صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٢١/٦) .

(٧) إعلام الساجد ص ٢٤٨ .

وفي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول : « اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ » [١] .

٩ - تحريم الرسول ﷺ المدينة ، وتحريم صيدها وشجرها .

في الصحيحين عن عبد الله بن زيد [٢] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن إبراهيم حرّم مكة ودعا لها ، وحرّمت المدينة كما حرّم إبراهيم مكة ... » [٣] .

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن إبراهيم حرّم مكة ، واني حرّمت المدينة ما بين لابتيها [٤] ، لا يُقطع عضاهها [٥] ، ولا يُصاد صيدها » [٦] .

وفي الصحيحين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : ما عندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة ، وفيها قال النبي ﷺ : « المدينة حرام ما بين عَير إلى ثور [٧] ، فمن أحدث فيها حدثا ، أو آوى محدثا ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ... » [٨] .

---

(١) صحيح البخاري ٢٢٥/٢ كتاب فضائل المدينة باب رقم (١٢) .

(٢) هو عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب الأنصاري الخزرجي أبو محمد . شهد أحدا وغيرها ، وروى عن النبي ﷺ عدة أحاديث . قتل يوم الحرة سنة ٦٣ هـ .
انظر أسد الغابة ١٤٦/٣ ، الإصابة ٣٠٥/٢ ، تهذيب التهذيب ٢٢٣/٥ .

(٣) صحيح البخاري ٢٢/٣ كتاب البيوع ، باب بركة صاع النبي ﷺ ومده ، وصحيح مسلم ٩٩١/٢ كتاب الحج ، باب فضل المدينة .

(٤) تثنية لابة وهي الحرة – تقدم قريبا بيان معناها – والمقصود ما بين الحرة الشرقية والغربية للمدينة .

(٥) العضاه : كل شجر عظيم له شوك ، والواحدة عضة أو عضاهة . من كتاب النهاية لابن الأثير ٢٥٥/٣ .

(٦) صحيح مسلم ٩٩٢/٢ كتاب الحج ، باب فضل المدينة .

(٧) اسما جبلين من جبال المدينة ، أما عَير بفتح العين فجبل كبير مشهور يقع بجنوبي المدينة قرب ذي الحليفة ، وأما ثور فجبل صغير أحمر يقع شمال أحد . فهما يحدان حرم المدينة جنوبا وشمالا (من كتاب وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى للسمهودي ٩٢/١ ، وكتاب آثار المدينة المنورة لعبد القدوس الأنصاري ص ٢٠٥) وقد قال النووي رحمه الله عن أحاديث حدود حرم المدينة (الأحاديث كلها متفقة : فما بين لابتيها بيان لحد حرمها من جهتي المشرق والمغرب ، وما بين جبليها بيان لحده من جهة الجنوب والشمال) من كتاب شرح النووي لصحيح مسلم ١٤٣/٩ .

(٨) صحيح البخاري ١٠/٧ كتاب الفرائض ، باب إثم من تبرأ من مواليه ، وصحيح مسلم ٩٩٥/٢ كتاب الحج ، باب فضل المدينة .

ومما يلحق بفضائل المدينة وبركاتها : فضل وادي العقيق [١] – القريب منها – وبركته ، واستحباب الصلاة فيه .

فقد روى البخاري رحمه الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ بوادي العقيق يقول : أتاني الليلة آت من ربي فقال : صلِّ في هذا الوادي المبارك .. » [٢] .

وروى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أُتي في مُعرّسه [٣] بذي الحليفة [٤] في بطن الوادي ، فقيل له : « إنك ببطحاء مباركة » [٥] .

إلى غير ذلك من فضائل المدينة وبركاتها .

ولاشتمال المدينة على هذه البركات والفضائل الدينية والدنيوية وغيرها ، فقد استحبت المجاورة بها ، كما استحبت في مكة ، مع مراعاة الحرص على عدم الوقوع في المحذورات ، ومن لم يتمكن من المجاورة فلا يترك الزيارة ، حتى لا يفوته هذا الخير العظيم .

* * *

---

(١) جاء في كتاب معجم البلدان لياقوت (١٣٨/٤ ، ١٣٩) : يقال لكل مسيل ماء شقه السيل في الأرض عقيق ، وفي بلاد العرب أربعة أعقة وهي أودية عادية شقتها السيول ، ومنها عقيق بناحية المدينة فيه عيون ونخل ، وهو ببطن وادي ذي الحليفة .

ولمعرفة حدود هذا الوادي وأخباره انظر كتاب أخبار الوادي المبارك (العقيق) لمؤلفه محمد محمد حسن شراب .

(٢) صحيح البخاري ١٤٤/٢ كتاب الحج ، باب قول النبي ﷺ (العقيق واد مبارك) .

(٣) التعريس : نزول المسافر آخر الليل نزلة للنوم والاستراحة ، والمُعرّس : موضع التعريس ، وبه سمي معرس ذي الحليفة ، عرس به النبي ﷺ وصلى فيه الصبح ثم رحل . من كتاب النهاية لابن الأثير ٢٠٦/٣ .

(٤) هو الميقات المدني ، يعرف اليوم بآبار علي أو أبيار علي . انظر معجم البلدان ٢٩٥/٢ ، ووفاء الوفا ١٠٠٢/٣ .

(٥) صحيح البخاري ١٤٤/٢ كتاب الحج ، باب قول النبي ﷺ (العقيق واد مبارك) ، وصحيح مسلم ٩٨١/٢ كتاب الحج ، باب التعريس بذي الحليفة والصلاة بها إذا صدر من الحج أو العمرة .

المبحث الثالث

المسجد الأقصى

فضائل المسجد الأقصى وبركاته :

سمي هذا المسجد بالأقصى لبعد المسافة بينه وبين الكعبة ، وقيل في الزمن ، وقيل لأنه لم يكن وراءه موضع عبادة ، وقيل لبعده عن الأقذار والخبائث ، وقيل هو أقصى بالنسبة إلى مسجد المدينة لأنه بعيد من مكة ، وبيت المقدس أبعد منه (١) .

وأقرب هذه الأقوال هو الأول .

ويسمى المسجد الأقصى ببيت المَقْدس (٢) ، أي المكان الذي يطهر فيه من الذنوب ، والمقدس : المطهر ، أو بيت مكان الطهارة ، وتطهيره : إخلاؤه من الأصنام وإبعاده منها (٣) .

وقد كان المسجد الأقصى القبلة الأولى للمسلمين قبل أن يتحولوا عنها إلى الكعبة بأمر من الله سبحانه وتعالى .

ولهذا المسجد فضائل وبركات عديدة ، منها ما يأتي :-

١ - فضل الصلاة فيه ومضاعفتها :

وقد اختلفت روايات الأحاديث في مقدار مضاعفة الصلاة فيه .

---

(١) من كتاب تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد لأبي بكر الجراعي ص ١٧٥ .

(٢) له أسماء أخرى تزيد على العشرين . انظر المرجع السابق ص ١٨٤ - ١٨٦ .

(٣) إعلام الساجد للزركشي ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ بتصرف .

فروي أن الصلاة فيه بخمسمائة صلاة [١] ، وهي أرجح الروايات ، وروي بألف صلاة [٢] ، وروي بخمسين ألف [٣] ، وروي بغير ذلك [٤] .

وروى النسائي وابن ماجه والإمام أحمد وغيرهم من عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لما فرغ سليمان بن داود عليهما السلام من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثا : سأله حكما يصادف حكمه [٥] فأعطاه إياه ، وسأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه ، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد – يعني بيت المقدس – خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه ، فنحن نرجو أن يكون الله عز وجل قد أعطاه إياه » [٦] .

وأما تحديد موضع هذا المسجد ، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

---

(١) انظر كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي ٢١٣/١ كتاب الصلاة ، باب الصلاة في المساجد الثلاثة .

وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) ٧/٤ عن هذه الرواية : رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات ، وفي بعضهم كلام ، وهو حديث حسن .

والذي يظهر من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ترجيح هذه الرواية (انظر مجموع الفتاوى ٨/٢٧) . وكذا تلميذه ابن القيم . انظر كتابه المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص ٩٣ .

(٢) انظر سنن ابن ماجه ٤٥١/١ كتاب إقامة الصلاة ، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس ، ومسند الإمام أحمد ٤٦٣/٦ .

(٣) انظر سنن ابن ماجه ٤٥٣/١ كتاب إقامة الصلاة ، باب ماجاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس .

وقد قال ابن القيم تعليقا على متن هذه الرواية : (وهذا محال ، لأن مسجد الرسول ﷺ أفضل منه ، والصلاة فيه تفضل على غيره بألف صلاة) من كتاب المنار المنيف ص ٩٣ ، وقال الإمام الذهبي : (هذا منكر جدا) انظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٥٢٠/٤ .

قلت : وكذا الحكم في رواية (ألف صلاة) السابقة لأن فيها مساواة لمسجد الرسول ﷺ .

(٤) راجع اعلام الساجد ص ٢٨٨ ، تحفة الراكع والساجد ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(٥) أي يوافق حكم الله تعالى .

(٦) سنن النسائي ٣٤/٢ كتاب المساجد ، باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه ، سنن ابن ماجه ٤٥١/١ كتاب إقامة الصلاة ، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس ، المسند للإمام أحمد ١٧٦/٢ ، المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢٣٤/٢ كتاب التفسير ، تفسير سورة ص ، صحيح ابن حبان ٧٦/٣ بترتيب الفارسي ، وقد صححه ابن القيم في كتابه : المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص ٩١ ، ٩٢ .

« المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام ، وقد صار بعض الناس يسمي الأقصى : المصلي الذي بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مقدمه » ثم قال رحمه الله : « والصلاة في هذا المصلى الذي بناه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر المسجد .. » [١] الخ .

وأحب هنا أن أنبه على أنه من الخطأ وصف المسجد الأقصى بأنه حرم ، أو ثالث الحرمين ، كما هو شائع ، ولم ينقل عن أحد من علماء المسلمين أنه أطلق عليه ذلك ، وإنما الحرم بمكة والمدينة خاصة ، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية [٢] رحمه الله .

٢ - استحباب زيارته حتى لو شد الرحال إليه ، كما تقدم الدليل على ذلك قريبا [٣] .

وقد اتفق علماء المسلمين على استحباب السفر إلى بيت المقدس ، للعبادة المشروعة فيه ، كالصلاة ، والدعاء ، والذكر ، وقراءة القرآن ، والاعتكاف [٤] .

٣ - إخبار الله تعالى بأن البركة حوله . قال تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾ [٥] . والمراد بالبركة هنا : البركة الدنيوية . أي جعلنا حوله البركة لسكانه في معايشهم ، وأقواتهم ، وحروثهم ، وغروسهم [٦] ، فقد أجرى الله حوله الأنهار وأنبت الثمار [٧] .

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ٦١/٢ (الرسالة الثالثة : في زيارة بيت المقدس) .

(٢) انظر مجموعة الرسائل الكبرى ٦٤/٢ ، وكتاب اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ٨٠٩/٢ .

(٣) راجع ص ١٠٥ .

(٤) مجموعة الرسائل الكبرى ٥٧/٢ .

(٥) سورة الاسراء (١) .

(٦) تفسير الطبري ١٧/١٥ .

(٧) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٥/٥ .

وقيل : البركة الدينية أيضا لأنه مقر الأنبياء والصالحين ، ومهبط الملائكة (١) .

ويدخل فيما حوله من هذه البركة أكثر بلاد الشام (٢) .

٤ – من فضائله ومزاياه أنه ثاني مسجد وضع في الأرض بعد المسجد الحرام ، وأنه ليس بينهما إلا أربعون سنة ، كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه المخرج في الصحيحين ، والذي تقدم قريبا (٣) .

٥ – الاسراء بالرسول ﷺ إليه ، ثم عروجه منه إلى السماء ، كما قال تبارك وتعالى ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾ (٤) .

وفي ختام الكتابة عن بركات المسجد الأقصى وفضائله ، أسأل المولى العلي القدير ، أن يعين المسلمين ويوفقهم لتخليص هذا المسجد المبارك من أيدي اليهود المغتصبين ، حتى يستطيعوا أداء العبادة فيه بيسر وطمأنينة إنه سميع مجيب .

* * *

---

(١) المرجع السابق ٥/٥ وكتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١٢/١٠ ، وانظر كتاب بيت المقدس وما حوله للدكتور محمد عثمان شبير ص ١٣ – ٣٣ .

(٢) انظر كتاب نور المسرى في تفسير آية الإسراء لأبي شامة المقدسي ص ٨٩ .

(٣) راجع ص ١٠٥ .

(٤) سورة الإسراء (١) .

المبحث الرابع
سائر المساجد

فضائل المساجد وبركاتها :

سبق أن تكلمت عن فضائل وبركات المساجد الثلاثة وما حولها ، وبينت مزاياها على غيرها من المساجد ، وسأتكلم الآن عن فضائل وبركات المساجد عموما .

فمن ذلك ما يأتي :-

١ - **المساجد بيوت الله تعالى في الأرض** ، قال ﷺ : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله .. » [١] الحديث .

ولهذا فهي أشرف البقاع وأفضلها . كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : « أحب البلاد إلى الله مساجدها ... » [٢] .

٢ - **أداء المسلمين الصلوات المفروضة جماعة كل يوم في المساجد** ، وبعض صلوات النوافل جماعة أيضا كصلاة الكسوف ، أو التراويح ، أو فرادى كتحية المسجد ، وما بين الأذان والإقامة ، وبقية النوافل والسنن .

ولا يخفى ما لأداء الصلاة جماعة في المسجد من فوائد ومنافع دينية ودنيوية .

٣ - **أداء المسلمين لكثير من العبادات البدنية والقلبية في المساجد** . والتي يتحصلون منها على الأجر العظيم والثواب الجزيل .

---

(١) تقدم تخريجه ص ٨٧ .

(٢) صحيح مسلم ٤٦٤/١ كتاب المساجد ، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح ، وفضل المساجد .

ومن تلك العبادات ذكر الله تبارك وتعالى كما قال سبحانه ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويُذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ (١) .

وذكر الله جل وعلا منه ماهو مقيد ، كالتسبيح والتكبير والتهليل أدبار الصلوات ، ومطلق ، وهو ما يفعل كل وقت .

ويدخل فى الذكر دعاء الله تعالى بنوعيه : دعاء العبادة ، ودعاء المسألة .

ومنها : قراءة القرآن والاجتماع لتدارسه ، يقول عليه الصلاة والسلام عن ما لهؤلاء من التكريم والفضل : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » (٢) أخرجه مسلم .

ومنها : الاعتكاف في المساجد ، وخاصة العشر الأواخر من رمضان .

ومن العبادات أيضا في المساجد : الأذان ، والصلاة على الجنائز ، والاستماع لخطبة الجمعة ، وللموعظة ، وغير ذلك من العبادات والأعمال الصالحة التي تؤدى في المساجد .

٤ – **فضل السعي إلى المسجد وملازمته** ، وما في ذلك من الثواب العظيم .

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نُزُلا (٣) كلما غدا أو راح » (٤) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أيضا رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من تطهّر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ، ليقضي فريضة من

---

(١) سورة النور (٣٦ ، ٣٧) .

(٢) تقدم تخريجه ص ٨٧ .

(٣) النُزُل : ما يُهيأ للضيف عند قدومه . من كتاب شرح النووى لصحيح مسلم ١٧٠/٥ .

(٤) صحيح البخاري ١٦١/١ كتاب الأذان ، باب فضل من غدا إلى المسجد ومن راح ، وصحيح مسلم ٤٦٣/١ كتاب المساجد ، باب المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا وترفع به الدرجات .

فرائض الله ، كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة ، والأخرى ترفع درجة »[١]
والأحاديث في هذا كثيرة .

وفي فضل ملازمة المسجد أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة أيضا رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « .. والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه ، يقولون : اللهم ارحمه ، اللهم اغفر له ، اللهم تب عليه ، ما لم يؤذ فيه ، ما لم يحدث فيه »[٢] .

ولا ريب أن إكثار المسلم من الجلوس في المسجد يهيء له التزود من أعمال الخير الصالحة ، فضلا عن دعاء الملائكة له .

بل إن تعلق القلب في المسجد يثيب الله عليه في الآخرة ، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... » ومنهم « رجل قلبه معلق في المساجد »[٣] .

قال النووي رحمه الله : « ومعناه شديد الحب لها ، والملازمة للجماعة فيها ، وليس معناه دوام القعود في المسجد »[٤] .

٥ – **من بركات المساجد** أن أغلب شؤون المسلمين كانت تؤدى فيها .

فقد كانت المساجد مدارس[٥] تخرج منها العلماء والقادة من السلف

---

(١) صحيح مسلم ٤٦٢/١ كتاب المساجد ، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات .

(٢) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري في صحيحه ١٢٣/١ كتاب الصلاة ، باب الصلاة في مسجد السوق ، ومسلم في صحيحه ٤٥٩/١ كتاب المساجد ، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة ، واللفظ لمسلم .

(٣) قطعة من حديث أبي هريرة المخرج في الصحيحين : صحيح البخاري ١٦١/١ كتاب الأذان ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، وفضل المساجد ، وصحيح مسلم ٧١٥/٢ كتاب الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة .

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم ١٢١/٧ .

(٥) للتعليم في المساجد مزايا حسنة على التعليم في المدارس . راجع كتاب دور المسجد في التربية لمؤلفه عبد الله بن أحمد القادري ص ٧٧ ، ٧٨ .

الصالح ، وكان المسجد دارا للفتوى ، ومحكمة للقضاء ، ورباطا يأوي إليه المحتاجون ، وكان المنطلق منه للجهاد ، والدعوة ، ونشر الدين ، وغير ذلك من وظائف المسجد المتعددة [١] ، ومن المعلوم أن الرسول ﷺ قد شرع في بناء المسجد ، فور وصوله إلى المدينة ، مهاجرا إليها من مكة ، مما يدل على أهمية المسجد في الإسلام .

٦ - **فضل بناء المساجد** : لاحتواء المساجد على تلك الفضائل والبركات المتقدمة وغيرها ، فقد أثنى الله تعالى على عمار المساجد بقوله ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم والآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ [٢] .

وكذلك فقد وعد الله تعالى من بنى مسجدا لله محتسبا الأجر العظيم في الجنة .

ففي الصحيحين عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من بنى مسجدا لله بنى الله له في الجنة مثله » وقال أحد رجال السند : حسبت أنه قال : « يبتغي به وجه الله » [٣] . ولهذا فعلى الذين يبنون المساجد ، أو يشاركون في عمارتها ، أن يكون قصدهم الأخلاص ، وطلب مرضاة الله تعالى ، حتى يحوزوا الأجر والثواب .

ولا يخفى أن للمسجد آدابا جليلة ، وأحكاما عظيمة [٤] ، تليق بمكانته وأهميته .

وفي نهاية الكلام عن بركة المساجد ، تلك البقاع الطاهرة ، أرجو أن نتفهّم أهميتها ، وحقيقة وظائفها الشاملة ، ونعمل بذلك ، حتى نحصل على بركاتها ومنافعها ، وفي ذلك مصلحة لنا في حياتنا الدنيا وفي الآخرة ، سائلا المولى العلي القدير الأعانة والتوفيق .

* * *

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٥٩ - ٩٠ فقد توسع مؤلفه في بيان وظائف المسجد وشمولها لمصالح الدنيا والآخرة .

(٢) سورة التوبة (١٨) .

(٣) صحيح البخاري ١١٦/١ كتاب الصلاة ، باب من بنى مسجدا ، وصحيح مسلم ٣٧٨/١ كتاب المساجد ، باب فضل بناء المساجد والحث عليها .

(٤) انظر مثلا تفاصيل هذه الآداب والأحكام في كتاب إعلام الساجد للزركشي ص ٣٠١ - ٤٠٧ ، وكتاب تحفة الراكع والساجد للجراعي ص ١٩٨ - ٢٩٢ .

الفصل الرابع
المبارك من الأزمنة

المبحث الأول
رمضـــان

وجوب صيام رمضان :

قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم ﴾ إلى قوله ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [(١)] . وقال ﷺ : « بُني الإسلام على خمس » [(٢)] وذكر منها صوم رمضان . وقد أجمع المسلمون على وجوب صيام شهر رمضان .

واختلف في تسمية هذا الشهر (رمضان) فقيل : لأنه تُرمَض فيه الذنوب أي تُحرق ، والرمضاء شدة الحر [(٣)] ، وقيل : لأن العرب لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها ، فوافق هذا الشهر أيام رَمْض الحر فسمي بذلك [(٤)] .

بركات رمضان وفضائله :

لهذا الشهر بركات كثيرة وفضائل ومزايا عديدة ليست لغيره من الشهور .

---

(١) سورة البقرة (١٨٣ ، ١٨٤) .

(٢) جزء من حديث أخرجه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما .

انظر صحيح البخاري ٨/١ كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : (بني الإسلام على خمس) ، صحيح مسلم ٤٥/١ كتاب الإيمان ، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام .

(٣) فتح الباري ١١٣/٤ .

(٤) الصحاح للجوهري ١٠٨١/٣ بتصرف .

ويمكن بيان ذلك بما يأتي :-

أولا : من بركات شهر رمضان أن صيامه سبب لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات .

فقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا (١) غُفر له ما تقدم من ذنبه » (٢) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول : « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » (٣) .

ثانيا : فيه ليلة خير من ألف شهر ، هي ليلة القدر . وسيأتي الكلام عنها قريبا في مبحث خاص .

ثالثا : ما جاء من الأحاديث الشريفة التي تبين فضل هذا الشهر المبارك ومزيته علي غيره .

ومنها ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا جاء رمضان فُتحت أبواب الجنة ، وغُلقت أبواب النار ، وصُفدت (٤) الشياطين » (٥) .

وفي رواية للنسائي والامام أحمد زيادة « أتاكم رمضان شهر مبارك » (٦) .

---

(١) المراد بالإيمان الاعتقاد بفرضية صومه ، وبالاحتساب طلب الثواب من الله تعالى ، بأن يصومه رغبة في ثوابه ، طيبة نفسه بذلك ، غير مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه . من كتاب فتح الباري ١١٥/٤ .

(٢) صحيح البخاري ٢٢٨/٢ كتاب الصوم ، باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية ، صحيح مسلم ٥٢٤/١ كتاب صلاة المسافرين ، باب الترغيب في قيام رمضان .

(٣) صحيح مسلم ٢٠٩/١ كتاب الطهارة ، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ... الخ .

(٤) أي شدت وأوثقت بالأغلال . من كتاب النهاية لابن الأثير ٣٥/٣ .

(٥) صحيح البخاري ٢٢٧/٢ كتاب الصوم ، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان . صحيح مسلم ٧٥٨/٢ كتاب الصيام ، باب فضل شهر رمضان ، واللفظ لمسلم .

(٦) سنن النسائي ١٢٩/٤ كتاب الصيام ، باب فضل شهر رمضان ، مسند الإمام أحمد ٢٣٠/٢ . قال الألباني : وهو حديث جيد لشواهده (مشكاة المصابيح ٦١٢/١) .

رابعا : من بركات هذا الشهر ما يحصل من الفضائل والمنافع الدينية والدنيوية من الصيام ، وهي كثيرة ، فمنها :-

أ) **الفضائل الدينية :**

١ - **التقوى :**

قال سبحانه وتعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (١) .

وقال ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه المروى فى الصحيحين « والصيام جُنة ، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إني امرؤ صائم » (٢) .

ومعنى قوله (الصيام جنة) : أي وقاية لصاحبه من النار يوم القيامة ، ومن أهواء النفس والمنكرات في الحياة الدنيا (٣) .

وقد أرشد الرسول ﷺ الصائم إلى ترك القول البذيء الفاحش ، والعمل الرديء ، وإلى ترك الغضب . وهذا الخلق الطيب للصائم يعينه على التقوى ، تلك الخصلة الحميدة .

٢ - **مضاعفة الأجر** . لما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي (٤) وأنا أجزي به .. » (٥) . وفي رواية للإمام مسلم « كل عمل ابن آدم يضاعف ، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله عز وجل : إلا الصوم ، فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه من أجلي » (٦) .

---

(١) سورة البقرة (١٨٣) .

(٢) صحيح البخاري ٢٢٨/٢ كتاب الصوم ، باب هل يقول إنى صائم ، وصحيح مسلم ٨٠٧/٢ كتاب الصيام ، باب فضل الصيام .

(٣) انظر فتح الباري ١٠٤/٤ .

(٤) لمعرفة وجه اختصاص الصيام بإضافته إلى الله تعالى من بين سائر الأعمال : انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٢٩/٨ ، لطائف المعارف لابن رجب ص ١٦٠ ، فتح الباري لابن حجر ١٠٧/٤ .

(٥) جزء من حديث أبي هريرة رضى الله عنه المتفق عليه ، الذي سبق تخريجه قريباً عند إيراد بعضه .

(٦) صحيح مسلم ٨٠٧/٢ كتاب الصيام ، باب فضل الصيام .

قال الإمام النووي رحمه الله : « قوله تعالى (وأنا أجزي به) بيان لعظم فضله وكثرة ثوابه ، لأن الكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى عظم قدر الجزاء وسعة العطاء »[١] .

٣ – أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك ، كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم : « والذي نفس محمد بيده لخَلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك »[٢] .

والخَلوف : تغير رائحة الفم من آثار الصيام ، فكانت طيبة عند الله سبحانه ومحبوبة له ، وهذا دليل على عظيم شأن الصيام عند الله ، حتى ان الشيء المكروه المستخبث عند الناس يكون محبوبا عند الله وطيبا ، لكونه نشأ عن طاعته بالصيام[٣] .

٤ – أن للصائم فرحتين يفرحهما ، كما قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح ، وإذا لقي ربه فرح بصومه »[٤] .

٥ – اختصاص الصائمين بالدخول من باب الريان في الجنة . يدل على ذلك حديث سهل بن سعد رضي الله عنه المتفق عليه عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنة بابا يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم »[٥] الحديث .

ب) المنافع التربوية والاجتماعية :

١ – منها التعويد على الصبر وعلى الشدائد والمصائب .

ويسمى شهر رمضان شهر الصبر ، وأصل الصبر الحبس ، ففي الصوم حبس النفس عن المطاعم وبعض اللذات[٦] . وفي هذا تقوية لارادة الصائم .

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ٢٩/٨ .
(٢) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي سبق تخريجه .
(٣) من كتاب مجالس شهر رمضان للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ١٠ بتصرف .
(٤) الجزء الأخير من حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم ، الذي سبق تخريجه قريبا .
(٥) صحيح البخاري ٢٢٦/٢ كتاب الصوم ، باب الريان للصائمين ، صحيح مسلم ٨٠٨/٢ كتاب الصيام ، باب فضل الصيام .
(٦) شرح السنة للبغوي ٢١٩/٦ باختصار .

٢ – تهذيب الأخلاق .

فقد ثبت عن الرسول ﷺ أنه قال : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » [(١)] .

فحقيقة الصوم أن تصوم العينان عن النظر إلى المحرمات ، والسمع عما نهى الله عنه ، واللسان عن قول الزور والفحش ونحوه ، والجوارح كلها عن تناول الحرام .

وفي الصوم تعليم الأفراد المساواة بين الفقراء والأغنياء ، والاحسان إلى الفقراء والمساكين .

ج) الفوائد الصحية :

١ – منها تخليص البدن من شحومه المتراكمة – ولا سيما أبدان المترفين – والتي تغدو مرضا صعبا عندما تزداد ، ذلك المرض هو داء السمنة ، فالجوع أحسن الوسائل المجدية في معالجة السمنة .

٢ – طرح الفضلات والسموم المتراكمة ، والرطوبات الضارة ، وتخفيف وارد الدسم على الشرايين ، والوقاية من إصابتها بالتصلب .

٣ – تأثير الصيام الجيد على الكثير من الأمراض ، ومنها أمراض جهاز الهضم ، وارتفاع ضغط الدم ، والاضطرابات النفسية والعاطفية [(٢)] .

فللصيام تأثير عجيب في حفظ الصحة ، لا سيما إذا كان باعتدال وقصد في أفضل أوقاته شرعا ، وحاجة البدن إليه طبعا ، كما أشار إليه ابن القيم رحمه الله في كتاب (الطب النبوي) [(٣)] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٢٨/٢ كتاب الصوم ، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) من كتاب تفسير المنار ١٤٨/٢ ، وكتاب صوموا تصحوا للشيخ سعيد الأحمري : ١٦ ، ١٨ بتصرف ، والكتب والمجلات الطبية التي تتحدث عن فوائد الصيام الصحية كثيرة .

(٣) انظر الطب النبوي ص ٢٥٨ .

ولقد اهتم الأطباء في الغرب باستخدام الصيام كوسيلة ناجحة من وسائل العلاج ، فقد قال بعضهم : « إن فائدة الجوع في العلاج قد تفوق بمرات استخدام الأدوية » [١] .

وقال آخر : « إن صيام شهر واحد في السنة يذهب بالفضلات الميتة في البدن مدة سنة » [٢] .

هذه أبرز منافع الصيام وبركاته في الدنيا والآخرة ، الذي فرض الله منه على المسلمين شهرا واحدا كل سنة ، هو شهر رمضان المبارك .

خامسا : من بركاته عظم فضل الأعمال الصالحة فيه ، والترغيب فيها ، منها ما يأتي :-

١ - قيام الليل :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يُرغّب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة ، فيقول : « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه » فتوفي الرسول ﷺ والأمر على ذلك ، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر ، وصدرا من خلافة عمر على ذلك » [٣] .

وقد صلى رسول الله ﷺ التراويح بأصحابه رضي الله عنهم ، ثم تركها خشية أن تفترض ، ثم رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يجمع الناس عليها في المسجد [٤] .

ولا زالت هذه الشعيرة باقية إلى اليوم ولله الحمد .

وكان ﷺ يجتهد في العبادة من صلاة ودعاء ونحوه في ليالي العشر الأواخر .

---

(١) من كتاب صوموا تصحوا للأحمري ص ١٧ .

(٢) تفسير المنار ١٤٨/٢ .

(٣) أخرجه الامام مسلم في صحيحة ٥٢٣/١ كتاب صلاة المسافرين ، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح .

(٤) انظر الأحاديث الدالة على ذلك في صحيح البخاري ٢٥٢/٢ كتاب صلاة التراويح ، باب فضل من قام رمضان ، وصحيح مسلم ٥٢٤/١ كتاب صلاة المسافرين ، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان النبي ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشد المئزر [(١)] » [(٢)] .

٢ - الصدقة :

أخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، فإذا لقيه كان أجود بالخير من الريح المرسلة » [(٣)] .

ويستفاد من هذا الحديث استحباب إكثار الجود والصدقات لاسيما في شهر رمضان المبارك .

٣ - تلاوة القرآن الكريم :

يستحب الاكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان ، فقد أنزل القرآن الكريم في هذا الشهر ، ولقد كان النبي ﷺ يقرأ القرآن مع جبريل في كل رمضان مرة ، كما ثبت في حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه « وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن » [(٤)] .

وكان السلف الصالح رضي الله عنهم يكثرون من تلاوة القرآن في الصلاة وغيرها [(٥)] .

---

(١) اختلف العلماء في معنى شد المئزر : فقيل هو الاجتهاد في العبادات زيادة على عادته ﷺ في غيره ، ومعناه التشمير في العبادات ، وقيل : هو كناية عن اعتزال النساء للاشتغال بالعبادات . من شرح النووي لصحيح مسلم ٧١/٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٥٥/٢ كتاب فضل ليلة القدر ، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان ، ومسلم في صحيحه ٨٣٢/٢ كتاب الاعتكاف ، باب الاجتهاد في العشر الأواخر ، واللفظ لمسلم .

(٣) صحيح البخاري ٢٢٨/٢ كتاب الصوم ، باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان ، وصحيح مسلم ١٨٠٣/٤ كتاب الفضائل ، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة ، وقد نقلت الحديث مختصرا .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٢٨/٢ كتاب الصيام ، باب أجود ما كان النبي ﷺ في رمضان ، ومسلم في صحيحه ١٨٠٣/٤ كتاب الفضائل ، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة ، واللفظ للبخاري .

(٥) انظر كتاب مجالس شهر رمضان لابن عثيمين ص ٢٤ .

٤ – الاعتكاف :

وهو ملازمة المسجد للعبادة تقربا إلى الله تعالى .

وقد كان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان . ففي حديث عائشة رضي الله عنها « أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، حتى توفاه الله ، ثم اعتكف أزواجه من بعده » [(١)] .

ولا شك أن الاعتكاف يعين صاحبه على التفرغ للعبادة والقرب من الله جل وعلا ، ولا سيما أوقات المواسم الشريفة كشهر رمضان ، أو العشر الأواخر منه .

٥ – العمرة :

ومما يدل على فضلها في رمضان قول النبي ﷺ للمرأة الأنصارية [(٢)] التي فاتها الحج معه عليه الصلاة والسلام : « فإذا جاء رمضان فاعتمري ، فإن عمرة فيه تعدل حجة » وفي رواية « تقضي حجة ، أو حجة معي » [(٣)] .

والمقصود أنها تعدل الحجة في الثواب ، لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض [(٤)] .

سادسا : من بركات هذا الشهر ما حدث فيه من الأمور الشريفة :

إن أهم الأمور العظيمة النافعة التي حصلت في هذا الشهر المبارك نزول القرآن الكريم ، كما قال تعالى ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ [(٥)] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/٢٥٥ كتاب الاعتكاف ، باب الاعتكاف في العشر الأواخر ، ومسلم في صحيحه ٢/٨٣١ كتاب الاعتكاف ، باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان .

(٢) انظر ما قيل عن اسم هذه المرأة في كتاب فتح الباري ٣/٦٠٣ ، ٦٠٤ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/٢٠٠ كتاب العمرة ، باب عمرة في رمضان ، ومسلم في صحيحه ٢/٩١٨ كتاب الحج ، باب فضل العمرة في رمضان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما واللفظ لمسلم .

(٤) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٩/٢ ، فتح الباري ٣/٦٠٤ .

(٥) سورة البقرة (١٨٥) .

ومن أبرز الأحداث النافعة الأخرى ما يأتي :-

١ - غزوة بدر الكبرى ، التي تسمى يوم الفرقان ، فرّق الله تعالى فيها بين الحق والباطل فنصر الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكافرة التي تفوقها عددا وعدة . وكان هذا في السنة الثانية للهجرة .

٢ - فتح مكة . فقد أنعم الله تعالى على المؤمنين بهذا الفتح المبارك ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وصارت مكة دار إسلام بعد أن كانت معقل الشرك والمشركين . وكان ذلك في السنة الثامنة للهجرة .

٣ - معركة حطين : سنة ٥٨٤ هـ وقد اندحر الصليبيون فيها ، وأحرز صلاح الدين الأيوبي انتصارات كبيرة ، فأعاد للمسلمين حقهم ، واستعاد بيت المقدس .

٤ - عين جالوت . تلك المعركة الحاسمة التي انتصر فيها المسلمون على جيوش التتار ، الذين كانوا يستهدفون القضاء على المسلمين ، وكانت تلك المعركة سنة ٦٥٨ هـ .

وبعد أن عرضنا مجمل الفضائل العديدة التي يتميز بها شهر رمضان ، والبركات الكثيرة التي يحتوي عليها - لا يسعني إلا أن أدعو اخواني المسلمين لينهلوا من هذه الفضائل ، ويلتمسوا تلك البركات ، تحقيقا لأمر الله تعالى ، واقتداء بنبيه المصطفى ﷺ ، وصحابته الكرام رضي الله عنهم ، وسلف هذه الأمة الأخيار ، وتحصيلا للمنافع الدينية والدنيوية والخيرات الواسعة .

° ° °

المبحث الثاني

ليلة القدر

سبب تسميتها (ليلة القدر) :

اختلف العلماء رحمهم الله في ذلك على أقوال :

١ – منها أن الله تعالى يقدر فيها الأرزاق والآجال والحوادث كلها للسنة الآتية ، وأن الملائكة تكتب ذلك .

٢ – ومنها عظم القدر والشرف والشأن لهذه الليلة لنزول القرآن فيها ، أو لما يقع فيها من نزول الملائكة ، أو لما ينزل فيها من البركة والرحمة والمغفرة .

٣ – ومنها أنها تكسب من أحياها قدرا عظيما لم يكن له قبل ذلك ، وتزيده شرفا عند الله تعالى .

وقيل غير ذلك [١] .

بركات ليلة القدر وفضائلها :

هذه الليلة هي أفضل الليالي ، شرّفها الله تعالى على غيرها ، فهي ليلة مباركة ، كما قال جل وعلا ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾[٢] .

يقول القرطبي رحمه الله : « وصفها بالبركة لما ينزل الله فيها على عباده من البركات والخيرات والثواب » [٣] .

---

(١) من كتاب ليلة القدر لأحمد العراقي ص ٢٢ ، ٢٣ ، وكتاب نيل الأوطار للشوكاني ٣٦٢/٤ بتصرف .

(٢) سورة الدخان (٣) .

(٣) تفسير القرطبي ١٢٦/١٦ .

فليلة القدر المباركة تشتمل على فضائل عظيمة وخيرات كثيرة . منها ما يأتي :-

١ - يُفرق في هذه الليلة كل أمر حكيم .

لقد أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله ﴿ فيها يُفرق كل أمر حكيم ﴾ [(١)] . ومعنى « يفرق » أى يفصل . و« حكيم » أى محكم . قال ابن عباس رضى الله عنهما : « يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ماهو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال حتى الحجاج » [(٢)] .

٢ - مضاعفة العمل فيها ومغفرة ذنوب من قامها .

قال تبارك وتعالى في سورة القدر ﴿ وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ [(٣)] . قال المفسرون : معناه عمل صالح في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيه ليلة القدر [(٤)] . وهذا فضل عظيم ، ورحمة من الله لعباده ، وبركة عظيمة ظاهرة لهذه الليلة .

وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي أخرجه الشيخان عن أبي هريرة : « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه » [(٥)] . والقيام يكون بالصلاة والذكر والدعاء وقراءة القرآن ، ونحو ذلك من وجوه الخير .

٣ - إنزال القرآن الكريم فيها .

فمن فضائلها وبركاتها أن القرآن الكريم - الذي فيه هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة - قد أُنزل فيها .

قال تبارك وتعالى ﴿ حم ، والكتاب المبين ، إنا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾ [(٦)] .

---

(١) سورة الدخان (٤) .
(٢) تفسير البغوي ١٤٨/٤ .
(٣) سورة القدر (٢ ، ٣) .
(٤) المصدر السابق ٥١٢/٤ .
(٥) صحيح البخاري ٢٢٨/٢ كتاب الصوم ، باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية ، صحيح مسلم ٥٢٤/١ كتاب صلاة المسافرين ، باب الترغيب في قيام رمضان .
(٦) سورة الدخان (١ ، ٢ ، ٣) .

وقال ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ (١) .

قيل : إن المراد إنزال القرآن ليلة القدر جملة واحدة ، ثم أنزل منجما على النبي ﷺ .

وقيل : المقصود ابتداء إنزال القرآن ليلة القدر (٢) . والله أعلم .

٤ - من بركات هذه الليلة تنزل الملائكة فيها .

قال تعالى في سورة القدر ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها ﴾ (٣) .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : « أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها ، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة ، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ، ويحيطون بحلق الذكر ، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيما له » (٤) .

والروح هو جبريل عند جمهور المفسرين ، أي تتنزل الملائكة ومعهم جبريل ، وخُص بالذكر تعظيما له وتشريفا لشأنه (٥) .

٥ - هي سلام ، وكلها خير ليس فيها شر .

قال تعالى ﴿ سلام هي ﴾ (٦) .

وقيل في معنى السلام : أنه لا يحدث فيها داء ، ولا يُرسَل فيها شيطان ، وقيل : معناه الخير والبركة (٧) . فهي خير كلها ليس فيها شر إلى مطلع الفجر ، وقيل : المراد تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد (٨) . والله أعلم .

هذه أبرز بركات هذه الليلة الشريفة وفضائلها العظيمة .

---

(١) سورة القدر (١) .
(٢) من كتاب ليلة القدر للعراقي ص ٢٠ ، ٢١ بتصرف .
(٣) سورة القدر (٤) .
(٤) تفسير ابن كثير ٥٣٢/٤ .
(٥) فتح القدير للشوكاني ٤٧٢/٥ .
(٦) سورة القدر (٥) .
(٧) زاد المسير لابن الجوزي ١٩٤/٩ .
(٨) تفسير ابن كثير ٥٣٢/٤ .

متى تكون ليلة القدر ؟

جمهور العلماء على أن هذه الليلة مختصة في رمضان [(١)] ، لقوله تعالى ﴿ شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن ﴾ [(٢)] ، وقوله ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ [(٣)] .

لكنهم اختلفوا في تعيينها في هذا الشهر .

والراجح ، والذي عليه الجمهور أنها في العشر الأواخر ، وفي أوتارها خاصة [(٤)] .

ومما يدل على ذلك أمر الرسول ﷺ لصحابته رضي الله عنهم بالتماسها في هذا الوقت ، فقد أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « تحرّوا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان » [(٥)] .

وأيضا اهتمام الرسول ﷺ بهذه العشر ، والاعتكاف فيها ، وإحياء لياليها بالعبادة .

وهناك أقوال أخرى للعلماء في تحديد وقت ليلة القدر تزيد على أربعين قولا [(٦)] .

وأصح علامات ليلة القدر أن الشمس تطلع في صبيحتها لاشعاع لها [(٧)] .

---

(١) زاد المسير ١٨٣/٩ .

(٢) سورة البقرة (١٨٤) .

(٣) سورة القدر (١) .

(٤) انظر المرجع السابق ١٨٣/٩ ، ١٨٤ .

(٥) صحيح البخاري ٢٥٤/٢ كتاب الصوم ، باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر .

(٦) انظر هذه الأقوال في فتح الباري ٢١٣/٤ فما بعدها .

(٧) كتاب ليلة القدر للعراقي ص ٥٤ ، وانظر صحيح مسلم ٨٢٨/٢ حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه .

وأخفيت هذه الليلة عن الناس والله أعلم ليعظموا جميع ليالي رمضان ، ويجتهدوا فيها رجاء إصابتها حتى يكثر ثوابهم .

قال ابن الجوزي [١] رحمه الله : « فأما الحكمة في إخفائها : فليتحقق اجتهاد العباد في ليالي رمضان طمعا في إدراكها كما أخفى ساعة الجمعة ... » [٢] الخ .

فجدير بالمسلمين أن يتحروا وقتها حتى يوافقوها ، وأن يعظموها ويحيوها بالعبادة ، ويتضرعوا إلى الله تعالى بالدعاء والذكر والاستغفار ، وأن يتعرضوا لنفحات الله فيها حتى يحضوا برضى المولى الكريم ، وبجزيل عطائه وثوابه .

* * *

---

(١) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي أبو الفرج الحنبلي الإمام العلامة الحافظ المفسر الواعظ ، صاحب التصانيف الكثيرة في أنواع العلم ، ومنها : تفسيره المشهور بزاد المسير ، جامع المسانيد ، المنتظم في التاريخ ، تلبيس ابليس ، ذم الهوى ، الأذكياء ، الموضوعات . توفي سنة ٥٩٧ هـ .

انظر سير أعلام النبلاء ٣٦٥/٢١ ، تذكرة الحفاظ ١٣٤٢/٤ ، البداية والنهاية ٢٨/١٣ ، شذرات الذهب ٣٢٩/٤ ، الأعلام ٣١٦/٣ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ١٨٩/٩ ، وانظر أيضا كتاب مجالس رمضان لابن عثيمين ص ١٠٧ .

المبحث الثالث
عشر ذي الحجة وأيام التشريق

فضائل وبركات عشر ذي الحجة :

المقصود بهذه العشر : العشر الأول من شهر ذي الحجة . وقد أقسم الله تعالى بها في قوله ﴿ والفجر ، وليال عشر ﴾ (١) على قول أكثر العلماء وهو اختيار ابن جرير الطبري (٢) ، وابن كثير (٣) رحمهما الله تعالى .

وتشتمل هذه الأيام على عدة فضائل وبركات يمكن بيانها فيما يأتي :-

١ - فضل العمل الصالح في هذه الأيام على غيرها من أيام السنة :

فقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « ما العمل في أيام أفضل منها في هذا العشر ، قالوا : ولا الجهاد ، قال : ولا الجهاد ، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء » (٤) .

وقد استدل بهذا الحديث على فضل صيام عشر ذي الحجة ، لاندراج الصوم في العمل ، ما عدا يوم العيد فإن صومه محرم (٥) .

ويشرع التكبير في هذه الأيام . جاء في صحيح البخاري تعليقا « كان

---

(١) سورة الفجر (١ ، ٢) .

(٢) انظر تفسير الطبري ١٦٩/٣٠ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٥٠٦/٤ .

(٤) صحيح البخاري ٧/٢ كتاب العيدين ، باب فضل العمل في أيام التشريق .

(٥) فتح الباري لابن حجر ٤٦٠/٢ بتصرف .

ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبّران ، ويكبّر الناس بتكبيرهما » [١] .

٢ - فضل اليوم التاسع منها خاصة ، وهو يوم عرفة :

وفي هذا اليوم يقف الحجاج بعرفات ، والوقوف ركن عظيم من أركان الحج . ولهذا اليوم فضل عظيم وبركات كثيرة .

من ذلك أن الله تعالى يكفر ذنوب [٢] من صامه سنتين ، فعن أبي قتادة [٣] الأنصاري رضي الله أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم عرفة فقال : « يكفّر السنة الماضية والباقية » رواه مسلم [٤] .

ويستحب صيامه لغير أهل عرفة ، فقد كان من هديه ﷺ الأفطار بعرفة يوم عرفة [٥] .

قال ابن القيم رحمه الله : « وقد ذكر لفطره بعرفة عدة حكم ، منها أنه أقوى على الدعاء ، ومنها أن الفطر في السفر أفضل في فرض الصوم ، فكيف بنفله .. » وقال : « وكان شيخنا [٦] رحمه الله يسلك مسلكا آخر ، وهو أنه يوم عيد لأهل عرفة [٧] لاجتماعهم فيه ، كاجتماع الناس يوم العيد ، وهذا الاجتماع يختص بمن بعرفة دون أهل الآفاق ... » [٨] الخ .

---

(١) صحيح البخاري ٧/٢ كتاب العيدين ، باب فضل العمل في أيام التشريق .

(٢) المراد بها الصغائر فقط . انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٥١/٨ .

(٣) هو الحارث بن ربعي بن بلدمة الأنصاري الخزرجي السلمي أبو قتادة ، روى عن النبي ﷺ ، وشهد أحدا وما بعدها من المشاهد .

توفي سنة ٥٤ هـ . انظر أسد الغابة ٢٥٠/٥ ، الإصابة ١٥٧/٤ ، تهذيب التهذيب ٢٠٥/١٢ .

(٤) صحيح مسلم ٨١٩/٢ كتاب الصيام ، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس . وهو جزء من حديث أبي قتادة رضي الله عنه .

(٥) ثبت ذلك عنه ﷺ في الصحيحين . انظر صحيح البخاري ١٧٣/٢ كتاب الحج ، باب صوم يوم عرفة ، وصحيح مسلم ٧٩١/٢ كتاب الصيام باب استحباب الفطر للحاج يوم عرفة .

(٦) هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

(٧) سيأتي قريبا ذكر الحديث الدال على ذلك .

(٨) زاد المعاد لابن القيم ٧٧/٢ ، ٧٨ ، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٤٤٧/١ ، ٤٤٨ .

ومن بركات يوم عرفة : كثرة من يعتقهم الله تعالى في ذلك اليوم ، ودنوه عز وجل فيه إلى السماء الدنيا ، ومباهاته الملائكة بالحجاج .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله تعالى فيه عبدا من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول : ما أراد هؤلاء ؟ » رواه مسلم [١] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم عرفة إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول : انظروا إلى عبادي أتوني شُعثا غُبرا ، ضاحين [٢] من كل فج عميق [٣] ، أُشهدكم أني قد غفرت لهم » [٤] الحديث .

٣ - فضل اليوم العاشر منها ، وهو عيد الأضحى ، ويسمى يوم النحر :

ومما جاء في فضل هذا اليوم وعظمه ما رواه عبد الله بن قرط [٥] رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « أعظم الأيام عند الله يوم النحر ، ثم يوم القَرّ [٦] ... » [٧] الحديث .

---

(١) صحيح مسلم ٩٨٣/٢ كتاب الحج ، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة .

(٢) ضاحين : أي بارزين للشمس ، غير مستترين منها . انظر النهاية لابن الأثير ٧٧/٣ .

(٣) أي طريق بعيد أو طويل . انظر النهاية ٤١٢/٣ ، القاموس المحيط ٣١٣/٣ بترتيب الزاوي .

(٤) أخرجه الإمام ابن خزيمة في صحيحه ٢٦٣/٤ كتاب المناسك ، باب تباهي الله أهل السماء بأهل عرفات ، وابن حبان في صحيحه ٦٢/٦ بترتيب الفارسي ، والإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤٣٩/٣ ، والإمام البغوي في شرح السنة ١٥٩/٧ كتاب الحج ، باب فضل يوم عرفة .

(٥) هو عبد الله بن قرط الأزدي الشمالي . كان أميرا على حمص من قبل أبي عبيدة ، شهد اليرموك وفتح دمشق . قتل سنة ٥٦ هـ .

انظر أسد الغابة ٢٦٠/٣ ، الإصابة ٣٥٠/٢ ، تهذيب التهذيب ٣٦١/٥ .

(٦) هو اليوم الحادي عشر الذي يلي يوم النحر لأن الناس يَقِرّون فيه بمنى بعد أن فرغوا من طواف الإفاضة والنحر واستراحوا . من كتاب بذل المجهود في حل أبي داود ٣٦١/٨ .

(٧) أخرجه أبو داود في سننه (سنن أبي داود مع بذل المجهود ٣٦١/٨) كتاب المناسك ، باب في الهدي إذا عطب قبل أن يبلغ ، والإمام أحمد في مسنده ٣٥٠/٤ ، والحاكم في المستدرك ٢٢١/٤ وقال : صحيح إسناده ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

ويسمى يوم الحج الأكبر ، كما قال تعالى : ﴿ وأذان من الله ورسوله إلى يوم الحج الأكبر ﴾ [١] وسماه الرسول ﷺ بذلك أيضا [٢] ، لأن معظم أعمال ومناسكه تؤدى فيه ، كذبح القرابين ، وحلق الرؤوس ، ورمي الجمار ، وال بالبيت [٣] .

وفي هذا اليوم المبارك يجتمع المسلمون لأداء صلاة العيد وسماع الخطبة .. النساء يشرع لهن الخروج لذلك [٤] ، كما في الصحيحين أن أم عطية [٥] رض عنها قالت : « كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد حتى نخرج البكر من خدرها ، نخرج الحيّض فيكنّ خلف الناس ، فيكبّرن بتكبيرهم ، ويدعون بدعائهم ، بركة ذلك اليوم وطهرته » [٦] .

قال الحافظ ابن حجر عن القصد من حضور النساء حتى غير المكلفة « إظهار شعار الإسلام بالمبالغة في الاجتماع ، ولتعم الجميع البركة » [٧] .

---

(١) سورة التوبة (٣) .

(٢) انظر سنن أبي داود مع بذل المجهود ٢٥٤/٩ كتاب المناسك ، باب يوم الحج الأكبر . و القيم عن إسناده : (أصح اسناد) زاد المعاد ٥٥/١ ، وانظر سنن ابن ماجه ١٠١٦/٢ كتاب المناسك الخطبة يوم النحر .

(٣) زاد المعاد لابن القيم ٥٤/١ بتصرف .

(٤) قال ابن حجر رحمه الله : الأولى أن يخص ذلك بمن يؤمن عليها وبها الفتنة ، ولا يتر حضورها محذور ، ولا تزاحم الرجال في الطرق ولا في المجامع (فتح الباري ٤٧١/٢) وأقول : لابد هذه الضوابط ، فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

(٥) هي نسيبة بنت الحارث وقيل بنت كعب الأنصارية ، من فقهاء الصحابة ، سكنت ال كانت تغزو مع رسول الله ﷺ تداوي الجرحى ، وكانت تغسل الموتى ، عاشت إلى حدود سنة
انظر أسد الغابة ٣٦٧/٦ ، سير أعلام النبلاء ٣١٨/٢ ، الإصابة ٤٥٥/٤ ، تهذيب ٤٥٥/١٢ .

(٦) صحيح البخاري ٧/٢ كتاب العيدين ، باب التكبير أيام منى ، وإذا غدا إلى عرفة ، و مسلم ٦٠٦/٢ كتاب صلاة العيدين ، باب ذكر إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى وشهود مفارقات للرجال .

(٧) فتح الباري ٤٧٠/٢ .

وفي هذا اليوم وما بعده من أيام التشريق يتقرب المسلمون إلى الله تعالى بذبح الأضاحي من بهيمة الأنعام ، والأضحية شعيرة عظيمة من شعائر الاسلام .

وأما اليوم الثامن من هذه العشر فيسمى يوم التروية [1] ، ويستحب فيه الاحرام بالحج والخروج إلى منى .

وبهذا يتبين لنا فضل هذه الأيام العشر وما تشتمل عليه من الفضل والخير والبركة .

ولكن هل هذه العشر أفضل من العشر الأواخر من رمضان ؟

لقد أجاب عن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بجواب شاف حيث قال : « أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان ، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة » [2] .

وقال تلميذه ابن القيم رحمه الله : « يدل عليه أن ليالي العشر من رمضان إنما فُضّلت باعتبار ليلة القدر ، وهي من الليالي ، وعشر ذي الحجة إنما فضّل باعتبار أيامه ، إذ فيه يوم النحر ، ويوم عرفة ، ويوم التروية » [3] .

فضل أيام التشريق :

أيام التشريق هي ثلاثة أيام بعد يوم النحر ، سميت بذلك لتشريق الناس لحوم الأضاحي فيها ، وهو تقديدها ونشرها [4] .

قال الله تعالى : ﴿ واذكروا الله في أيام معدودات ﴾ [5] .

قال ابن عباس رضي الله عنه : الأيام المعدودات أيام التشريق [6] .

---

(١) سمي يوم التروية بذلك لأنهم كانوا يرتوون فيه من الماء لما بعده ، أي يسقون ويستقون . من كتاب النهاية لابن الأثير ٢/٢٨٠ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٥/٢٨٧ .

(٣) زاد المعاد ١/٥٧ .

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم ٨/١٧ .

(٥) سورة البقرة (٢٠٣) .

(٦) ذكره البخاري تعليقا في صحيحه ١/٧ كتاب العيدين ، باب فضل العمل في أيام التشريق .

وفي صحيح مسلم عن نبيشة الهذلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيام التشريق أيام أكل وشرب » . وفي رواية بزيادة « وذكر لله » [١] .

ولهذا فقد ورد النهي عن صيام هذه الأيام إلا لمن لم يجد الهدي [٢] .

وجاء في السنن عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الاسلام ، وهي أيام أكل وشرب » [٣] .

فأيام التشريق من المواسم العظيمة الفاضلة ، ويستحب فيها الاكثار من ذكر الله تبارك وتعالى .

قال ابن رجب [٤] رحمه الله : « في قول النبي ﷺ انها « أيام أكل وشرب وذكر لله » إشارة إلى أن الأكل في أيام الأعياد والشرب ، إنما يستعان به على ذكر الله تعالى وطاعته ، وذلك من تمام شكر النعمة أن يستعان بها على الطاعات ... » [٥] .

---

(١) صحيح مسلم ٢/٨٠٠ كتاب الصيام ، باب تحريم صوم أيام التشريق .

(٢) انظر الأدلة على ذلك في صحيح البخاري ٢/٢٥٠ كتاب الصوم ، باب صوم أيام التشريق ، وسنن أبي داود مع بذل المجهود ١١/٢١٩ كتاب الصيام ، باب صيام أيام التشريق ، المسند للإمام أحمد بن حنبل ٣/٥١٣ .

(٣) سنن أبي داود مع بذل المجهود ١١/٢٧١ كتاب الصوم ، باب صيام أيام التشريق ، وسنن الترمذي ٣/١٤٣ ، ١٤٤ كتاب الصوم ، باب ما جاء في كراهية الصوم في أيام التشريق ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح ، وسنن النسائي ٥/٢٥٢ كتاب الصيام ، ومسند الإمام أحمد ٤/١٥٢ ، والمستدرك للحاكم ١/٤٣٤ كتاب الصوم ، وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي

(٤) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي أبو الفرج زين الدين الإمام الحافظ المحدث الفقه الواعظ ، له مصنفات عديدة منها شرح جامع الترمذي ، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، لطائف المعارف ، ذيل طبقات الحنابلة ، أهوال القبور . توفي سنة ٧٩٥ هـ .

انظر شذرات الذهب ٦/٣٣٩ ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٤٠ ، ذيل طبقات الحفاظ للذهبي تأليف السيوطي ص ٣٦٧ ، الأعلام ٣/٢٩٥ .

(٥) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب ص ٣٠٣ .

ويشرع التكبير لفعل الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من السلف [١] ، وهو من أنواع [٢] ذكر الله عز وجل .

وأما وقت التكبير فللعلماء في ذلك أقوال ، أصحها وأشهرها أنه من صبح يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق [٣] .

ومما يدل على شرف أيام التشريق : وقوع بقية أعمال الحج فيها ، فهي أيام منى ، وأيام رمي الجمار ، وأيام الذبح ، وغير ذلك .

وأفضل أيام التشريق أولها كما في الحديث المتقدم قريبا « أعظم الأيام عند الله يوم النحر ، ثم يوم القَر » [٤] وسمي بذلك لأن أهل منى يستقرون فيه .

وبهذا ينتهي الكلام عن فضائل وبركات عشر ذي الحجة وأيام التشريق .

* * *

---

(١) انظر صحيح البخاري ٧/٢ كتاب العيدين ، باب التكبير أيام منى وإذا غدا إلى عرفة .

(٢) لمعرفة الأنواع الأخرى راجع مثلا لطائف المعارف لابن رجب ص ٣٠١ ، ٣٠٢ .

(٣) من تفسير ابن كثير ٢٤٦/١ ، وفتح الباري لابن حجر ٤٦٢/٢ ، ولمعرفة صفة التكبير يراجع مثلا كتاب عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ٢٩٣/٦ .

(٤) راجع ص ١٥١ .

المبحث الرابع
الأشهر الحرم

معنى حرمة الأشهر الحرم :

الأشهر الحرم هي ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ، اختصها الله تعالى بالحرمة واصطفاها من بين سائر الأشهر .

قال تعالى ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ﴾ (١)

روى ابن جرير الطبري رحمه الله بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما في شأن تعظيم الله لحرمة هذه الأشهر قوله : « جعلهن حراما ، وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم ، والعمل الصالح والأجر أعظم » (٢)

وكانت العرب في الجاهلية تحرِّم هذه الأشهر وتعظمها وتحرم القتال فيها .

قال ابن كثير رحمه الله : إنما كانت الأشهر المحرمة أربعة ، ثلاثة سرد وواحد فرد ، لأجل أداء مناسك الحج والعمرة ، فحرم قبل أشهر الحج شهرا وهو ذو القعدة ، لأنهم يقعدون فيه عن القتال ، وحرم شهر ذي الحجة ، لأنهم يوقعون فيه الحج ، ويشتغلون فيه بأداء المناسك ، وحرم بعده شهرا آخر وهو المحرم ، ليرجعوا فيه إلى أقصى بلادهم آمنين ، وحرم رجب في وسط الحول لأجل زيارة البيت والاعتمار به لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب فيزوره ثم يعود إلى وطنه آمنا (٣) .

---

(١) سورة التوبة (٣٦) .

(٢) تفسير الطبري ١٢٦/١٠ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣٥٦/٢

ومما جاء في القرآن الكريم في شأن هذه الأشهر الحرم قول الله تعالى : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ﴾ [١] .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحلّو شعائر الله ولا الشهر الحرام ﴾ [٢] .

قال الحافظ ابن كثير : « يعني بذلك تحريمه ، والاعتراف بتعظيمه ، وترك ما نهي الله عن تعاطيه فيه ، من ابتداء القتال ، وتأكيد اجتناب المحارم ... » [٣] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام ﴾ [٤] .

قال البغوي رحمه الله : « أراد أنه جعل الأشهر الحرم قياما للناس يأمنون فيها القتال » [٥] .

وفي الصحيحين عن أبي بكرة [٦] رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الزمان قد استدار [٧] كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر

---

(١) سورة البقرة (٢١٧) .

(٢) سورة المائدة (٢) .

(٣) تفسير ابن كثير ٢/٥ .

(٤) سورة المائدة (٩٧) .

(٥) تفسير البغوي ٢/٦٨ ، وانظر زاد المسير ٢/٤٣٠ .

(٦) هو نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو أبو بكرة الثقفي ، وقيل هو ابن مسروح مولى الحارث بن كلدة ، تدلّى إلى الرسول ﷺ من حصن الطائف في (بكرة) فاشتهر بأبي بكرة ، وأسلم وأعتقه رسول الله ﷺ يومئذ ، وكان من فضلاء الصحابة وسكن البصرة وأنجب أولادا لهم شهرة ، توفي بالبصرة سنة ٥٠ هـ وقيل بعد ذلك .

انظر أسد الغابة ٥/٣٨ ، الإصابة ٣/٥٤٢ ، تهذيب التهذيب ١٠/٤٦٩ .

(٧) قال العلماء : كانوا في الجاهلية يخالفون بين أشهر السنة بالتحليل والتحريم ، والتقديم والتأخير ، لأسباب تعرض لهم ، منها استعجال الحرب فيستحلون الشهر الحرام ، ثم يحرمون بدله شهرا غيره ، فتتحول في ذلك شهور السنة وتتبدل ، فإذا أتى على ذلك عدة من السنين استدار الزمان وعاد الأمر إلى أصله ، فاتفق وقوع حجة النبي ﷺ عند ذلك . من فتح الباري لابن حجر ٨/٣٢٥ بتصرف .

شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ، شهر مضر [١] ، الذي بين جمادى وشعبان » [٢] الحديث .

ويرى جماعة من السلف أن حكم تحريم القتال في هذه الأشهر الحرم ثابت ومستمر للأدلة المتقدمة .

ويرى آخرون أن النهي عن قتال المشركين في الأشهر الحرم منسوخ بقوله تعالى : ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾ [٣] .

وقد رجح هذا الرأي الإمام ابن جرير الطبري [٤] رحمه الله ، وقال عنه ابن كثير رحمه الله : « هو الأشهر » [٥] . والله تعالى أعلم .

بركات الأشهر الحرم وفضائلها :

تقدم بيان شرف هذه الأشهر على غيرها وعظم حرمتها ، وسأذكر الآن الفضائل والبركات التي يشتمل عليها كل شهر فيما يأتي :-

١ - **شهر ذي القعدة** : هو أحد أشهر الحج التي قال الله تعالى فيها : ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ [٦] وهي التي لا يصح الاحرام بالحج إلا فيها على الصحيح [٧] .

---

(١) قيل في سبب هذا التقييد : أنه كان بين بني مضروبين ربيعة اختلاف في رجب ، فكانت مضر تجعله هذا الشهر المعروف الآن ، وكانت ربيعة تجعله رمضان . انظر شرح النووي لصحيح مسلم ١٦٨/١١ .

(٢) صحيح البخاري ١٨٥/٨ كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ . وصحيح مسلم ١٣٠٥/٣ كتاب القسامة ، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال .

(٣) سورة التوبة (٣٦) .

(٤) انظر تفسير الطبري ٣٥٣/٢ ، ٣٥٤ .

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٥/٢ ، ٣٥٦ .

(٦) سورة البقرة (١٩٧) .

(٧) انظر تفسير ابن كثير ٢٣٦/١ ، ٢٣٧ .

وأشهر الحج هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة .

ومن خصائص هذا الشهر أن عُمَر النبي ﷺ الأربع كلها كانت فيه ، سوى عمرته التي قرنها بحجته ، مع أنه ﷺ أحرم بها أيضا في ذي القعدة ، وفعلها في ذي الحجة مع حجته [١] .

وقد وجه ابن القيم ذلك بأن العمرة في أشهر الحج نظير وقوع الحج في أشهره ، وهذه الأشهر قد خصها الله تعالى بهذه العبادة ، وجعلها وقتا لها ، والعمرة حج أصغر ، فأولى الأزمنة بها أشهر الحج ، وذو القعدة أوسطها [٢] . اهـ .

ولهذا روي عن طائفة من السلف استحباب العمرة في ذي القعدة [٣] .

لكن ذلك لا يعني أن العمرة في ذي القعدة أفضل من العمرة في رمضان ، فقد تقدم [٤] ما يدل على عظم فضلها .

ومن مزايا هذا الشهر أيضا أن الثلاثين ليلة التي واعد الله فيها موسى عليه السلام لتكليمه هي في شهر ذى القعدة ، والعشر هي عشر ذي الحجة على قول أكثر المفسرين [٥] كما قال تعالى : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ﴾ [٦] .

٢ - **شهر ذي الحجة** : من فضائل هذا الشهر وبركاته أن أعمال الحج ومناسكه تؤدى فيه ، تلك الشعيرة العظيمة من شعائر الدين .

ومنها أنه يتضمن عشرة أيام فاضلة مباركة في أوله ، وثلاثة أيام بعدها ، وهي أيام التشريق الشريفة ، كما سبق بيان ذلك مفصلا في المبحث الماضي .

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص ٢٧٤ ، وانظر زاد المعاد لابن القيم ٩٣/٢ .

(٢) زاد المعاد ٩٦/٢ .

(٣) لطائف المعارف ص ٢٧٥ .

(٤) راجع ص ١٤٢ وانظر زاد المعاد ٩٥/٢ ، ٩٦ فقد فصل القول في هذه المسألة .

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٢٤٤/٢ .

(٦) سورة الأعراف (١٤٢) .

٣ - شهر المحرم : من فضائل هذا الشهر وبركاته ما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ... » [١] .

قال ابن رجب رحمه الله : « سمى النبي ﷺ المحرم شهر الله ، وإضافته إلى الله تدل على شرفه وفضله ، فإن الله تعالى لا يضيف إليه إلا خواص مخلوقاته ... » [٢] الخ .

وقد قيد بعض العلماء أفضلية صيام هذا الشهر بأن المراد أنه أفضل شهر تطوع بصيامه كاملا بعد رمضان ، لأن التطوع بصيام بعض الأيام مثل يوم عرفة ، أو ستة أيام من شوال أفضل من التطوع بصيام بعض أيام المحرم [٣] .

ومن بركات هذا الشهر المحرم أن اليوم العاشر منه هو يوم عاشوراء ، ذلك اليوم الشريف المبارك .

ولهذا اليوم حرمة قديمة ، حيث أنجى الله تعالى فيه عبده ونبيه موسى عليه الصلاة والسلام وقومه ، وأغرق عدوه فرعون وجنوده .

وقد صام موسى عليه الصلاة والسلام هذا اليوم شكراً لله عز وجل ، وكانت قريش تصومه في الجاهلية ، وكانت اليهود أيضا تصومه ، وقد كان صيامه واجبا قبل فرض رمضان على رأي أكثر العلماء [٤] ، ثم صار مستحبا ، كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية ، وكان رسول الله ﷺ يصومه ، فلما هاجر إلى المدينة صامه ، وأمر الناس بصيامه ، فلما فُرض شهر رمضان قال : « من شاء صامه ، ومن شاء تركه » [٥] .

---

(١) صحيح مسلم ٨٢١/٢ كتاب الصيام ، باب فضل صوم المحرم .

(٢) لطائف المعارف ص ٣٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٩ بتصرف .

(٤) راجع فتح الباري ٢٤٧/٤ .

(٥) صحيح البخاري ٢٥٠/٢ كتاب الصوم ، باب صوم يوم عاشوراء ، صحيح مسلم ٧٩٢/٢ كتاب الصيام ، باب صوم يوم عاشوراء .

وفيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود صياما ، يوم عاشوراء ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « ما هذا اليوم الذي تصومونه ؟ » ، فقالوا : هذا يوم عظيم ، أنجى الله فيه موسى وقومه ، وغرّق فرعون وقومه ، فصامه موسى شكرا ، فنحن نصومه ، فقال رسول الله ﷺ : « فنحن أحق وأولى بموسى منكم » فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه (١) .

وفي صيام هذا اليوم فضل عظيم حيث إن صيامه يكفّر السنة الماضية ، كما في صحيح مسلم . من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم عاشوراء فقال : « يكفّر السنة الماضية » (٢) .

وقال جماعة من العلماء : يستحب صوم التاسع مع العاشر ، لأن النبي ﷺ صام العاشر ، ونوى صيام التاسع (٣) .

قال النووي رحمه الله : ولعل السبب أن لا يتشبه باليهود في إفراد العاشر (٤) .

ولا يشرع في هذا اليوم شيء غير الصيام ، لكن البعض قد أحدث فيه أمورا لا أصل لها ، أو أنها تعتمد على أحاديث موضوعة أو ضعيفة .

فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن من الحوادث المنكرة ما أحدثه بعض أهل الأهواء – وهم الرافضة – في يوم عاشوراء من التعطش والتحزن ، وغير ذلك من الأمور المحدثة (٥) التي لم يشرعها الله تعالى ولا رسوله ﷺ ، ولا أحد من

---

(١) صحيح البخاري ٢٥١/٢ كتاب الصوم ، باب صوم يوم عاشوراء ، وصحيح مسلم ٧٩٦/٢ كتاب الصيام ، باب صوم يوم عاشوراء . واللفظ لمسلم .

(٢) صحيح مسلم ٨١٩/٢ كتاب الصيام ، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس .

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم ١٣/٨ ، وانظر الدليل على هذه المسألة في حديث ابن عباس رضي الله عنهما المخرج في صحيح مسلم ٧٩٨/٢ كتاب الصيام ، باب أي يوم يصام في عاشوراء .

(٤) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ١٢/٨ ، ١٣ .

(٥) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٢٠٢/٨ .

السلف ، لا من أهل بيت رسول الله ﷺ ، ولا من غيرهم ، وأن مصيبة قتل الحسين [١] يجب أن تُتلقى بما تُتلقى به المصائب من الاسترجاع المشروع [٢] .

كما ذكر أيضا أن بعض الناس قد أحدث فيه أشياء مستندة إلى أحاديث موضوعة لا أصل لها ، مثل فضل الاغتسال فيه ، أو التكحل ، أو المصافحة ونحو ذلك ، أو إظهار الفرح والسرور ، وتوسيع النفقات فيه .

وقد عُلل غلوّ بعض المنتسبين للعلم في تعظيم هذا اليوم بأنه قد يكون لمقابلة الروافض الذين اتخذوا هذا اليوم مأتما [٣] .

٤ - **شهر رجب** : هو أحد الأشهر الحرم .

وقد روي أن النبي ﷺ كان إذا دخل رجب قال : « اللهم بارك لنا في رجب وشعبان ، وبلّغنا رمضان » [٤] .

قال ابن تيمية رحمه الله - بعد أن ساق هذا الحديث - : « لم يثبت عن النبي ﷺ في فضل رجب حديث آخر ، بل عامة الأحاديث المأثورة فيه عن النبي ﷺ كذب ... » [٥] الخ .

---

(١) هو الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب القرشي أبو عبد الله ، سبط رسول الله ﷺ وريحانته . كان كثير العبادة ، وقد قتل بكربلاء بالعراق يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ رضي الله تعالى عنه .
انظر أسد الغابة ٤٩٥/١ ، سير أعلام النبلاء ٢٨٠/٣ ، البداية والنهاية ١١٧/٨ ، الإصابة ٣٣١/١ ، شذرات الذهب ٦٦/١ .

(٢) بأن يقال : (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ٦٢٠/٢ - ٦٢٤ بتصرف .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٥٩/١ عن أنس بن مالك رضي الله عنه وأخرجه البزار في مسنده ، انظر كشف الأستار عن زوائد البزار ٤٥٧/١ كتاب الصيام باب فضل شهر رمضان ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٠/٣ (رواه البزار والطبراني في الأوسط ، وفيه زائدة بن أبي الرقاد وفيه كلام وقد وثق) ، وقال ابن حجر في رسالته : تبيين العجب بما ورد في فضل رجب ص ٨ ، ٩ : هو حديث ليس بالقوي .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ٦٢٤/٢ .

وقد وضع أهل البدع أحاديث كثيرة في فضل هذا الشهر المحرم ، وخصوصية بعض العبادات فيه ، كالصلاة والصيام .

وممن نبه على هذا الحافظ ابن حجر العسقلاني في رسالته (تبيين العجب بما ورد في فضل رجب) ، وقد قال رحمه الله في هذه الرسالة : « لم يرد في فضل شهر رجب ولا في صيامه ، ولا في صيام شيء منه معين ، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة » [١] ثم ساق عامة الأحاديث المروية في ذلك مع بيان الحكم عليها .

وقال ابن رجب رحمه الله : « لم يصح في شهر رجب صلاة مخصوصة [٢] تختص به » وقال : « لم يصح في فضل صوم رجب بخصوصه شيء عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه » [٣] .

ولذا فقد كره أكثر السلف إفراد رجب بالصيام [٤] .

وقد فصل أبو بكر الطرطوشي [٥] هذه المسألة بقوله : يكره صومه على أحد ثلاثة أوجه : أحدها أنه إذا خصه المسلمون بالصوم في كل عام حسب العوام أنه فرض كرمضان ، أو أنه سنة ثابتة خصّه الرسول عليه الصلاة والسلام بالصوم كالسنن الراتبة ، أو الصوم فيه مخصوص بفضل ثواب على سائر الشهور ، جار مجرى

---

(١) رسالة تبيين العجب ص ٣ .

(٢) مما اشتهر من ذلك : صلاة الرغائب ليلة أول جمعة من رجب . قال ابن القيم رحمه الله عن أحاديثها : (كلها كذب مختلق على رسول الله ﷺ) انظر كتابه : المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص ٩٥ متنا وحاشية .

(٣) لطائف المعارف ص ١٢٣ ، وانظر المنار المنيف ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٤) انظر كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٦٢٥/٢ ، وكتاب الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي ص ٨١ .

(٥) هو محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان الفهري أبو بكر الأندلسي الطرطوشي الفقيه المالكي ، كان إماما عالما صالحا زاهدا ورعا ، تفقه في بلاده ثم رحل إلى المشرق ، من تصانيفه : الحوادث والبدع ، سراج الملوك ، بر الوالدين . توفي بالاسكندرية سنة ٥٢٠ هـ .
انظر معجم البلدان ٣٠/٤ ، الأنساب ٢٣٥/٨ ، سير أعلام النبلاء ٤٩٠/١٩ ، الأعلام ١٣٣/٧

صوم عاشوراء . ثم قال : ولو كان من باب الفضائل لسنّه عليه الصلاة والسلام ، أو فعله ، ولا هو فرض ولا سنة باتفاق ، فلم يبق لتخصيصه بالصيام وجه . ثم قال : فإن أحب امرؤ أن يصومه على وجه تؤمن فيه الذريعة وانتشار الأمر ، حتى لا يعد فرضا أو سنة ، فلا بأس بذلك (١) . أ هـ .

وأما العمرة في رجب فقد ذكر ابن رجب أنها مستحبة عند كثير من السلف ، ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعائشة رضي الله عنها (٢) ، والله أعلم .

وإلى هنا ينتهي الكلام عن بركة الأشهر الحرم .

* * *

---

(١) الحوادث والبدع للطرطوشي ص ١٣٤ ، ١٣٥ باختصار .

(٢) انظر لطائف المعارف ص ١٢٦ .

المبحث الخامس

الجمعة والاثنين والخميس

فضائل يوم الجمعة وبركاته :

هذا اليوم أفضل أيام الأسبوع ، وهو يوم مبارك ، اختص الله تعالى به المسلمين من بين سائر الأمم .

ومن فضائل هذا اليوم العظيم وبركاته ما يأتي :-

١ - وردت عدة أحاديث في بيان فضل هذا اليوم وشرفه . منها ما أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة » [١] .

وعن أبي هريرة وحذيفة [٢] رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة » [٣] الحديث .

وغير ذلك من الأحاديث الدالة على عظم فضل هذا اليوم ومزيته على غيره .

---

(١) صحيح مسلم ٢/٥٨٥ كتاب الجمعة ، باب فضل يوم الجمعة .

(٢) هو حذيفة بن اليمان واسم اليمان حسل ويقال حسيل بن جابر بن عمرو العبسي من نجباء أصحاب رسول الله ﷺ ، وهو صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين ، كان يسأل النبي ﷺ عن الشر ليتجنبه ، شهد مع النبي ﷺ أحدا ، وشهد فتوح العراق ، توفي بالمدائن سنة ٣٦ هـ .

انظر أسد الغابة ١/٤٦٨ ، سير أعلام النبلاء ٢/٣٦١ ، الإصابة ١/٣١٦ ، تهذيب التهذيب ٢/٢١٩ .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٢/٢٨٦ كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة .

٢ – من بركات هذا اليوم أن فيه ساعة الاجابة . ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال : « فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم ، وهو قائم يصلي ، يسأل الله تعالى شيئا ، إلا أعطاه إياه » وأشار بيده يقلّلها [١] .

وقد اختلف أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في هذه الساعة ، هل هي باقية أو رفعت ؟ وعلى البقاء اختلفوا في تحديد وقتها على أكثر من ثلاثين قولا ، نقلها الحافظ ابن حجر رحمه الله مع أدلتها [٢] .

وأرجح هذه الأقوال قولان تضمنتهما الأحاديث الثابتة [٣] :

الأول : أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة . ومن أدلته ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي بردة بن أبي موسى الأشعري [٤] رضي الله عنهما أن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال له : أسمعت أباك يحدث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة ؟ قال : قلت : نعم . سمعته يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة » [٥] .

وممن رجح هذا القول الإمام النووي رحمه الله ، بل إنه قال : « هو الصحيح ، بل الصواب » [٦] ، وقد حدد السيوطي رحمه الله أنها عند إقامة الصلاة [٧] .

---

(١) صحيح البخاري ٢٢٤/١ كتاب الجمعة ، باب الساعة التي في يوم الجمعة ، صحيح مسلم ٥٨٤/٢ كتاب الجمعة ، باب الساعة التي في يوم الجمعة .

(٢) انظر فتح الباري ٤١٦/٢ – ٤٢١ .

(٣) انظر زاد المعاد لابن القيم ٣٨٩/١ – ٣٩٤ ، فتح الباري لابن حجر ٤٢٠/٢ – ٤٢٢ .

(٤) هو عامر بن أبي موسى عبد الله بن قيس أبو بردة الأشعري ، وقيل اسمه الحارث ، وقيل اسمه كنيته . كان قاضيا على الكوفة وكان ثقة كثير الحديث . وله مكارم ومآثر مشهورة . توفي بالكوفة سنة ١٠٣ هـ وقيل بعدها .

انظر وفيات الأعيان ٣١٦/٣ ، تهذيب التهذيب ١٨/١٢ ، الأعلام ٢٥٣/٣ .

(٥) صحيح مسلم ٥٨٤/٢ كتاب الجمعة ، باب في الساعة التي في يوم الجمعة .

(٦) شرح النووي لصحيح مسلم ١٤٠/٦ ، ١٤١ .

(٧) رسالة (نور اللمعة في خصائص الجمعة) للسيوطي ، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ٢١٠/١ .

الثاني : أنها آخر ساعة بعد العصر . ومن أدلته ما رواه بعض أصحاب السنن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة ، لا يوجد فيها عبد مسلم يسأل الله شيئا إلا آتاه إياه ، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر » (١) .

وممن رجح هذا القول الإمام ابن القيم رحمه الله وقال : وهذا قول أكثر السلف ، وعليه أكثر الأحاديث (٢) .

وقد ذكر بعض العلماء أن الحكمة في اخفاء هذه الساعة حث العباد على الاجتهاد في الطلب ، والاكثار من الدعاء ، واستيعاب الوقت بالعبادة رجاء مصادفتها (٣) .

٣ – ومن بركات هذا اليوم أن من أدى صلاة الجمعة ملتزما بآدابها غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى . كما في صحيح البخاري عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « لا يغتسل رجل يوم الجمعة ، ويتطهر ما استطاع من طهر ، ويدّهن من دهنه ، أو يمسّ من طيب بيته ، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلي ما كتب له ، ثم ينصت إذا تكلم الإمام ، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى » (٤) .

وفي صحيح مسلم زيادة ثلاثة أيام أيضا ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من اغتسل ، ثم أتى الجمعة ، فصلى ما قُدّر له ، ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته ، ثم يصلي معه ، غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى ، وفضل ثلاثة أيام » (٥) .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (سنن أبي داود مع بذل المجهود ١٢/٦) كتاب الصلاة ، باب الإجابة أية ساعة هي في يوم الجمعة ، والنسائي في سننه ٩٩/٣ ، ١٠٠ كتاب الجمعة ، والحاكم في مستدركه ٢٧٩/١ وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي . وحسّن ابن حجر اسناد الحديث . انظر فتح الباري ٤٢٠/٢ .

(٢) زاد المعاد ٣٨٩/١ ، ٣٩٤ .

(٣) فتح الباري ٤١٧/٢ بتصرف .

(٤) صحيح البخاري ٢١٣/١ كتاب الجمعة ، باب الدهن للجمعة .

(٥) صحيح مسلم ٥٨٧/٢ كتاب الجمعة ، باب فضل من استمع وأنصت في الخطبة .

وقد تقدم – في المبحث الأول – حديث الرسول ﷺ « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » (١) .

وظاهر هذا الحديث اشتراط اجتناب الكبائر لتكفير الذنوب الصغائر .

٤ – ومن بركاته أيضا ما يحصل من الفضل العظيم لمن بكّر بالذهاب إلى المسجد للجمعة . ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ، ثم راح فكأنما قرّب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرّب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرّب كبشا أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرّب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرّب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » (٢) .

٥ – ومن بركات يوم الجمعة أنه يوم اجتماع المسلمين في مساجدهم الكبيرة ، لحضور الصلاة ، والانصات لخطبتي الجمعة قبلها ، اللتين تشتملان على توجيه المسلمين وتعليمهم ووعظهم ، وما في كل ذلك من المنافع الدينية والدنيوية .

ولهذا اليوم خصائص شريفة ، ذكر منها ابن القيم رحمه الله ثلاثا وثلاثين (٣) ، وأوصلها السيوطي رحمه الله إلى مائة خصوصية وواحدة ، في رسالته (نور اللمعة في خصائص الجمعة) لكن بعضها لا يستند إلا على أحاديث ضعيفة .

وحري بالمسلم أن يغتنم هذا اليوم الشريف المبارك ، بأداء العبادات الواجبة فيه والمستحبة (٤) ، ويتفرغ لها ، حتى يحصل على الثواب العظيم والأجر الجزيل .

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٣٦ .

(٢) صحيح البخاري ٢١٣/١ كتاب الجمعة ، باب فضل الجمعة ، وصحيح مسلم ٥٨٧/٢ كتاب الجمعة ، باب فضل التهجير يوم الجمعة . واللفظ للبخاري .

(٣) انظر زاد المعاد ٣٧٥/١ – ٤٢٥ .

(٤) أنبه هنا على أن الصيام يكره يوم الجمعة إذا كان على وجه التخصيص له . انظر تفصيل هذه المسألة مع أدلتها في كتاب زاد المعاد ٤١٦/١ – ٤٢٠ .

فضائل يومي الاثنين والخميس وما فيهما من البركة :

١ – من الفضائل والبركات أن أبواب الجنة تُفتح هذين اليومين ، فيُغفر للمؤمنين ما عدا المتشاحنين منهم . يدل على هذا ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس ، فيُغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا ، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء [١] ، فيقال : أنظِروا [٢] هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا » [٣] .

٢ – ومنها أن أعمال الناس تُعرض في هذين اليومين على الله تبارك وتعالى .

كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « تُعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين : يوم الاثنين ويوم الخميس ، فيُغفر لكل عبد مؤمن ، إلا عبدا بينه وبين أخيه شحناء ... » [٤] الحديث .

فعلى هذا ينبغي للمسلم أن يبتعد عن معاداة أخيه المسلم أو مقاطعته أو هجرانه ، ونحو ذلك من الخصال الذميمة ، حتى لا يفوت على نفسه ذلك الخير العظيم من الله تعالى .

٣ – ومن فضائلهما أن النبي ﷺ كان يحرص على صيامهما كما في بعض السنن عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يتحرى [٥] صوم الاثنين والخميس » [٦] .

---

(١) الشحناء : العداوة (من كتاب النهاية لابن الأثير ٤/٤٤٩) .

(٢) أي أخروهما . من كتاب شرح النووي لصحيح مسلم ١٦/١٢٣ .

(٣) صحيح مسلم ٤/١٩٨٧ كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن الشحناء والتهاجر .

(٤) صحيح مسلم ٤/١٩٨٨ الكتاب والباب السابقان .

(٥) التحرّي : القصد والاجتهاد في الطلب ، والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول . من كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/٣٧٦ .

(٦) أخرجه الترمذي في سننه ٣/١٢١ كتاب الصوم ، باب ما جاء في صوم يوم الاثنين والخميس ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب ، وأخرجه النسائي في سننه ٤/٢٠٢ كتاب الصيام ، باب صوم النبي ﷺ ، وابن ماجه في سننه ١/٥٥٣ كتاب الصيام ، باب صيام يوم الاثنين والخميس ، والإمام أحمد في مسنده ٦/١٠٦ ، ورمز له السيوطي بأنه حسن (الجامع الصغير ٢/١١٥)

وقد علل الرسول ﷺ ذلك بقوله : « تعرض الأعمال يوم الأثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم » (١) رواه الترمذي وغيره .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين ؟ فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم بعثت – أو أنزل عليّ – فيه » (٢) .

قال الصنعاني (٣) رحمه الله : « ولا منافاة بين التعليلين » (٤) .

وبناء على هذه الأحاديث فيستحب للمسلم صيام هذين اليومين تطوعا .

٤ – ومن فضائل يوم الخميس أن غالب أسفار النبي ﷺ في هذا اليوم ، وأنه يحب أن يخرج للسفر يوم الخميس . كما ثبت في صحيح البخاري أن كعب بن مالك رضي الله عنه كان يقول : « لقلّما كان رسول الله ﷺ يخرج إذا خرج في سفر إلا يوم الخميس » وفي رواية أخرى عن كعب رضي الله عنه : « أن النبي ﷺ خرج يوم الخميس في غزوة تبوك ، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس » (٥) .

وبهذا ينتهي مبحث بركة الجمعة والاثنين والخميس .

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ١٢٢/٣ كتاب الصوم ، باب ماجاء في صوم يوم الاثنين والخميس ، عن أبي هريرة ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب ، وله شاهد عند أبي داود . انظر (سنن أبي داود مع بذل المجهود ٣٠٤/١١ كتاب الصيام ، باب صوم الاثنين والخميس) وأخرجه النسائي في سننه ٢٠٢/٤ كتاب الصيام ، باب صوم النبي ﷺ ، وابن خزيمة في صحيحه ٢٩٩/٣ كتاب الصيام ، باب استحباب صوم يوم الاثنين والخميس لأن الأعمال فيهما تعرض على الله عز وجل ، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه .

(٢) جزء من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٨١٩/٢ كتاب الصيام ، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وصوم يوم عرفة وعاشوراء ، والاثنين والخميس .

(٣) هو محمد بن اسماعيل بن صلاح بن محمد الكحلاني ثم الصنعاني أبو ابراهيم عز الدين المعروف بالأمير . العلامة والمحقق . صاحب التصانيف العديدة ومنها : سبل السلام شرح بلوغ المرام ، تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد ، الرد على من قال بوحدة الوجود ، وله قصيدة مشهورة في مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وما دعا إليه . توفي بصنعاء سنة ١١٨٢ هـ .

انظر عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ٥٣/١ ، هدية العارفين ٣٣٨/٦ ، الأعلام ٣٨/٦

(٤) انظر سبل السلام للصنعاني ٣٣٠/٢ .

(٥) صحيح البخاري ٦/٤ كتاب الجهاد والسير ، باب من أراد غزوة فورّى بغيرها ، ومن أحب الخروج يوم الخميس .

المبحث السادس

وقت النزول الإلهي

مذهب أهل السنة في النزول :

يثبت أهل السنة والجماعة نزول الرب سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا نزولا حقيقيا [1] – بدون تشبيه بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف – لورود ذلك في الأخبار الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ [2] .

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » [3] .

وحديث النزول من الأحاديث المتواترة . وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى من الصحابة تسعة وعشرين نفسا كلهم رووا حديث النزول [4] .

---

(١) انظر مثلا في بيان أن النزول الإلهي حقيقة وليس مجازا كتاب مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ٢/٢١٧ فما بعدها .

(٢) لمزيد المعرفة عن مسألة النزول راجع مثلا : كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/٢٨٩ – ٣٢٧ ، كتاب الشريعة للآجري ٣٠٦ – ٣١٤ ، كتاب النزول للدارقطني ، كتاب شرح حديث النزول لابن تيمية .

(٣) صحيح البخاري ٨/١٩٧ كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ ، وصحيح مسلم ١/٥٢١ كتاب صلاة المسافرين ، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه .

(٤) مختصر الصواعق المرسلة ٢/٢٣٢ .

متى وقت النزول ؟

اختلفت روايات أحاديث النزول الالهي كل ليلة في تحديد وقته . فمنها رواية حديث أبي هريرة المتقدم ، الدال على أنه في الثلث الأخير ، وهي أصح الروايات كما سيأتي .

وهناك روايات أخرى مخالفة .

وقد سلك العلماء في توجيه ذلك سبيل الترجيح ، أو الجمع بين الروايات .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : لم تختلف الروايات عن الزهري [١] في تعيين الوقت ، واختلفت الروايات عن أبي هريرة وغيره قال الترمذي : « رواية أبي هريرة أصح الروايات في ذلك » [٢] ويقوّي ذلك أن الروايات المخالفة اختلف فيها على رواتها .

وسلك بعضهم طريق الجمع ، وذلك أن الروايات انحصرت في ستة أشياء :
أولها : حين يبقى ثلث الليل الآخر . ثانيها : إذا مضى ثلث الليل الأول .
ثالثها : الثلث الأول أو النصف . رابعها : النصف . خامسها : النصف أو الثلث الأخير . سادسها : الاطلاق .

فأما الروايات المطلقة فهي محمولة على المقيدة ، وأما التي بأو : فإن كانت أو للشك فالمجزوم به مقدم على المشكوك فيه ، وإن كانت للتردد بين حالين فيجمع بذلك بين الروايات بأن ذلك يقع بحسب اختلاف الأحوال ، لكون أوقات الليل تختلف في الزمان وفي الآفاق باختلاف تقدم دخول الليل عند قوم وتأخره عند قوم .

وقال بعضهم : يحتمل أن النزول يقع في الثلث الأول ، والقول يقع في النصف وفي الثلث الثاني .

---

(١) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب أبو بكر القرشي الزهري المدني نزيل الشام ، الإمام العالم حافظ زمانه ، روي أنه حفظ القرآن الكريم في ثمانين ليلة ، توفي سنة ١٢٤ هـ .
انظر سير أعلام النبلاء ٣٢٦/٥ ، تذكرة الحفاظ ١٠٨/١ ، وفيات الأعيان ١٧٧/٤ ، البداية والنهاية ٣٤٠/٩ ، شذرات الذهب ١٦٢/١ .

(٢) انظر سنن الترمذي ٣٠٩/٢ .

وقيل : يحمل على أن ذلك يقع في جميع الأوقات التي وردت بها الأخبار ، ويحمل على أن النبي ﷺ أعلم بأحد الأمور في وقت فأخبر به ثم أعلم به في وقت آخر فأخبر به ، فنقل الصحابة ذلك عنه ، والله أعلم (١) .

فضل وقت النزول وبركته :

يمكن بيان ذلك فيما يأتي :–

١ – أنه وقت استجابة لدعاء الداعين ، وإعطاء حوائج السائلين ، في أمور الدنيا والآخرة ، كما تدل عليه أحاديث النزول .

وقد ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن في الليل لساعة ، لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة » (٢) .

ولعل ساعة الإجابة هذه توافق وقت النزول الإلهي الذي يستجاب فيه الدعاء ، والعلم عند الله تعالى .

وأما سبب عدم إجابة كثير من الداعين في هذا الوقت ، فقد أجاب عنه الامام العيني (٣) رحمه الله بقوله : « إنما ذاك لوقوع الخلل في شرط من شروط الدعاء ، مثل الاحتراز في المطعم والمشرب والملبس ، أو لاستعجال الداعي ، أو يكون الدعاء بإثم أو قطيعة رحم ، أو تحصل الإجابة ويتأخر المطلوب إلى وقت آخر يريد الله وقوع الإجابة فيه ، إما في الدنيا وإما في الآخرة » (٤) .

---

(١) فتح الباري ٣١/٣ بتصرف يسير ، وانظر : شرح حديث النزول لابن تيمية ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، مختصر الصواعق المرسلة ٢٣٢/٢ .

(٢) صحيح مسلم ٥٢١/١ كتاب صلاة المسافرين ، باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء .

(٣) هو محمود بن أحمد بن موسى أبو محمد بدر الدين العيني الحنفي الإمام المحدث المؤرخ اللغوي ، أقام بمصر وولي في القاهرة الحسبة والقضاء ، ثم عكف على التدريس والتصنيف . من كتبه : عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، مباني الأخبار في شرح معاني الآثار ، المقاصد النحوية . توفي سنة ٨٥٥ هـ .
انظر شذرات الذهب ٢٨٦/٧ ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية لمحمد عبد الحي اللكنوي ص ٢٠٧ ، الأعلام ١٦٣/٧ .

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٠١/٧ .

٢ - أن هذا الوقت المبارك هو وقت مغفرة للمستغفرين ، فقد تكفل الله تعالى بذلك ، كما في حديث النزول .

وأيضا فقد مدح الله تعالى في كتابه الكريم المستغفرين بالأسحار بقوله تبارك وتعالى : ﴿ والمستغفرين بالأسحار ﴾ (١) وقوله : ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ (٢) . وقد قيل : ان يعقوب عليه السلام لما قال لبنيه ﴿ سوف أستغفر لكم ربي ﴾ (٣) أنه أخّرهم إلى وقت السحر (٤) ، وهو آخر الليل .

وكفى بما تقدم فضلا وبركة لهذا الوقت الشريف .

ولذا كان السلف الصالح رحمهم الله تعالى يفضّلون صلاة آخر الليل على أوله (٥) ، تحريا لوقت النزول ، فآخر الليل أفضل أوقات التطوع بالصلاة .

ولا شك أن ما يوجد عند قوّام آخر الليل من حلاوة المناجاة ، ولذة العبادة ، وطيب الدعاء ، ونحو ذلك ، إنما هو من آثار النزول الالهي (٦) .

ومن الآثار الطيبة أيضا صدق الرؤيا الواقعة هذا الوقت ، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أصدق الرؤيا بالأسحار » (٧) .

---

(١) سورة آل عمران (١٧) .

(٢) سورة الذاريات (١٨) .

(٣) سورة يوسف (٩٨) .

(٤) تفسير ابن كثير ٣٥٤/١ .

(٥) كتاب الشريعة للآجري ص ٣٠٩ بتصرف .

(٦) شرح حديث النزول لابن تيمية ص ٣٨ بتصرف .

(٧) أخرجه الترمذي في سننه ٥٣٤/٤ كتاب الرؤيا ، باب قوله ﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا ﴾ ، والدارمي في سننه ١٢٥/٢ كتاب الرؤيا ، باب أصدق الرؤيا بالأسحار ، والإمام أحمد في مسنده ٢٩/٣ ، والحاكم في المستدرك ٣٩٢/٤ وقال : (هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي ، ورمز له السيوطي بأنه صحيح (الجامع الصغير ٤٣/١) .

قال ابن القيم : « وأصدق الرؤيا : رؤيا الأسحار ، فإنه وقت النزول الالهي ، واقتراب الرحمة والمغفرة ، وسكون الشياطين » [١] .

وقد تقدم عند الكلام عن فضل يوم عرفة [٢] أن الله تعالى ينزل في هذا اليوم إلى السماء الدنيا ، وأنه يباهي الملائكة بالحجاج ، وكثرة من يعتقهم الله تعالى في هذا اليوم .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا آثار ذلك : « من المعلوم أن الحجيج عشية عرفة ينزل على قلوبهم من الإيمان والرحمة والنور والبركة ما لا يمكن التعبير عنه » [٣] .

وبهذا تنتهي مباحث هذا الفصل (المبارك من الأزمنة) . فلنغتنم تلك الأوقات الفاضلة المباركة بما يعود علينا بالنفع في الدين والدنيا ويضاعف أعمالنا الصالحة . نسأل الله تعالى التوفيق .

* * *

---

(١) مدارج السالكين ٥٢/١ .

(٢) انظر ص ١٥١ .

(٣) شرح حديث النزول ص ٣٩

الفصل الخامس
في أنواع أخرى مباركة

١ - الشـــام

الدليل على بركة الشام :

جاء في القرآن الكريم ما يدل على بركة بلاد الشام [١] في عدة آيات كريمة .

قال تعالى في شأن انتقال بني اسرائيل إلى الشام : ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ﴾ [٢] .

وقال تبارك وتعالى مخبرا عن هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام إليها : ﴿ ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾ [٣] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها ﴾ [٤] .

وقال تعالى في قصة سبأ [٥] : ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة ﴾ [٦] .

---

(١) الأصل همز الألف أي (الشأم) وقد لا يهمز . انظر كتاب معجم ما استعجم للبكري ٣٧٣/٢ . وقد تذكر وتؤنث ، وبلاد الشام هي الأرض الواقعة شرق البحر الأبيض المتوسط ، بين البحر غربا ونهر الفرات شرقا ، وجزيرة العرب جنوبا وجبال طوروس شمالا . من كتاب معجم البلدان ٣١٢/٣ وكتاب العالم الاسلامي - المنطقة العربية - لمحمود شاكر ص ١٦٥ .

(٢) سورة الأعراف (١٣٧) .

(٣) سورة الأنبياء (٧١) .

(٤) سورة الأنبياء (٨١) .

(٥) المراد بسبأ هنا : القبيلة التي هم من أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (زاد المسير لابن الجوزي ٤٤٣/٦) انظر ترجمته في كتاب الأعلام للزركلي ٧٦/٣ .

(٦) سورة سبأ (١٨) .

وقال جل وعلا : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾ (١) .

وقد ذكر المفسرون أن المراد بالمكان المبارك في هذه الآيات هو بلاد الشام . وأما المقصود بالبركة في هذه الآيات : بركة الدنيا ، وذلك بكثرة الأقوات والثمار والأنهار ، ووجود الخصب وسعة الأرزاق (٢) .

وقيل البركة الدينية أيضا ، لأنها مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي (٣) . والذي يظهر أن البركة هنا تتناول البركة في الدين ، والبركة في الدنيا ، فكلاهما معلوم لاريب فيه (٤) .

فضائل الشام وبركاته :

لبلاد الشام فضائل وبركات عديدة خصها الله تعالى بها – عدا ما تقدم من تفسير مباركة الله تعالى لها – فمن ذلك ما يأتي :–

١ – وجود المسجد الأقصى في فلسطين بالشام ، وقد تقدم الكلام عن فضائله وبركاته (٥) .

٢ – دعاء النبي ﷺ بالبركة للشام . ففي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ذكر النبي ﷺ : « اللهم بارك لنا في شأمنا ، اللهم بارك لنا في يمننا ... » (٦) الحديث .

---

(١) سورة الإسراء (١) .

(٢) انظر تفسير الطبري ١٧/١٥ ، تفسير البغوي ١٩٤/٢ ، نور المسرى في تفسير آية الإسراء لأبي شامة المقدسي ص ٨٩ ، روح المعاني للألوسي ٣٧/٩ .

(٣) انظر تفسير البغوي ٦٢/٣ ، ٢٥١ ، نور المسرى للمقدسي ص ٨٩ ، فتح القدير للشوكاني ٤١٦/٣ .

(٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٤/٢٧ .

(٥) راجع المبحث الثالث من الفصل الثالث ص ١٢٦ فما بعدها .

(٦) صحيح البخاري ٩٥/٨ كتاب الفتن ، باب قول النبي ﷺ الفتنة من قبل المشرق .

٣ – أن في أرض الشام جبل الطور [١] ، الذي نادى الله تبارك وتعالى نبيه موسى عليه الصلاة والسلام وهو عليه ، كما قال تعالى في قصته : ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًا ﴾ [٢] .

وقال في موضع آخر ﴿ فلما أتاها نودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ﴾ [٣] .

قال الإمام البغوي : « جعلها الله مباركة لأن الله كلم موسى هناك وبعثه نبيا » [٤] . وقد أقسم الله تعالى بالطور في سورة (الطور) وسورة (التين) .

٤ – وورد في فضل الشام عدة أحاديث شريفة : فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : « طوبى للشام » فقلنا : لأي شيء ذلك ؟ فقال : « لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه » [٥] .

وعن عبد الله بن حوالة [٦] رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودا مجندة ، جند بالشام ، وجند باليمن ، وجند بالعراق » فقال ابن حوالة : خِر [٧] لي يا رسول الله إن أدركت ذلك ، فقال :

---

(١) جبل ببيت المقدس سمي بطور بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، ويقال لجميع بلاد الشام الطور . انظر معجم البلدان ٤٧/٤ ، معجم ما استعجم للبكري ٨٩٧/٣ .

(٢) سورة مريم (٥٢) .

(٣) سورة القصص (٣٠) .

(٤) تفسير البغوي ٤٤٤/٣ .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه ٧٣٤/٥ كتاب المناقب ، باب فضل الشام واليمن ، وقال (حديث حسن) ، والإمام أحمد في مسنده ١٨٥/٥ ، والحاكم في المستدرك ٢٢٩/٢ كتاب التفسير ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وابن حبان في صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٢٠٦/٩) وقال المنذري : رواه ابن حبان في صحيحه والطبراني بإسناد صحيح (الترغيب والترهيب ٦٣/٤) ، ورمز له السيوطي بأنه صحيح (الجامع الصغير ٥٥/٢) .

(٦) هو عبد الله بن حوالة الأزدي أبو حوالة وقيل أبو محمد ، له صحبة ، روى عن النبي ﷺ ، توفي بالشام سنة ٥٨ هـ وقيل سنة ٨٠ هـ .

انظر أسد الغابة ١١٥/٣ ، الإصابة ٢٩٢/٢ ، تهذيب التهذيب ١٩٤/٥ .

(٧) بكسر الخاء أي اختر لي حدا ألزمه . من كتاب بذل المجهود في حل أبي داود للسهارنفوري ٣٨٠/١١ .

« عليك بالشام فإنها خيرة الله [١] من أرضه ، يجتبى إليها خيرته من عباده ، فأما إذا أبيتم فعليكم بيَمنكم ، واسقوا من غُدُركم [٢] ، فإن الله توكل لي بالشام [٣] وأهله » [٤] .

وقد يشكل على هذا الحديث – ونحوه من أحاديث تفضيل الشام ، وفضل الإقامة فيه – ما تقدم لنا في فضائل المدينة واستحباب السكنى بها .

ولعل الأوجه في الجمع : أن فضيلة المدينة عامة في كل الأوقات ، وأن فضل الإقامة في الشام خاص بآخر الزمان [٥] .

وقد نقل بعضهم اتفاق العلماء على أن الشام أفضل البقاع بعد مكة والمدينة [٦] .

وأكتفي بهذا في بيان فضائل وبركات بلاد الشام .

* * *

---

(١) أي مختارة الله من بلاده . والمعنى : اختارها الله من جميع الأرض للإقامة في آخر الزمان . المرجع السابق .

(٢) غدر جمع غدير أي القطعة من الماء يغادرها السيل . انظر لسان العرب ٥/٩ .

(٣) أى بأمر الشام وحفظ أهله من بأس الكفرة واستيلائهم . بذل المجهود ٣٨٠/١١ ، ٣٨١ .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (سنن أبي داود مع بذل المجهود ٣٧٩/١١ ، ٣٨٠ كتاب الجهاد ، باب في سكنى الشام) وقال ابن القيم : وذكره أبو داود بإسناد صحيح (اعلام الموقعين عن رب العالمين ٤٠٨/٤) ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ١١٠/٤ ، والحاكم في المستدرك ٥١٠/٤ ، وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٥) انظر كتاب بذل المجهود في حل أبي داود ٣٧٨/١١ تعليق الكاندهولي رقم (١) . وللمزيد من التفصيل راجع إجابة شيخ الإسلام ابن تيمية على سؤال في حكم تفضيل الإقامة في الشام على غيره – في مجموع الفتاوى ٣٩/٢٧ – ٤٧ .

(٦) نقله الشيخ عبد الوهاب بن عمر الحسيني الشافعي في كتابه (الروض المغرّس في فضائل البيت المقدّس) وهو مخطوط ، فانظر كتاب (فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة) للدكتور محمود إبراهيم ص ٤٥٣ . فقد نقل فيه نصوصا اختارها من إحدى عشرة مخطوطة مع التحقيق والدراسة . وهي تتضمن فضائل الشام وما ورد فيه .

٢ – اليمن

فضائل اليمن [١] وبركاته :

١ – دعاء النبي ﷺ بالبركة لليمن . فقد تقدم قريبا قول النبي ﷺ : « اللهم بارك لنا في شأمنا ، اللهم بارك لنا في يمننا » .

٢ – وردت عدة أحاديث تدل على فضل اليمن وأهله . منها ما تقدم قريبا أن النبي ﷺ أمر باللجوء إلى اليمن لمن أبى القصد إلى الشام عند حدوث الفتن بقوله : « فأما إذا أبيتم فعليكم بيمنكم » .

ومنها ما رواه الشيخان عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري [٢] رضي الله عنه « أن النبي ﷺ قال : « الإيمان ههنا » وأشار بيده إلى اليمن ... » [٣] الحديث .

وأيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « أتاكم أهل اليمن هم أرّق أفئدة وألين قلوبا [٤] ، الإيمان يمان والحكمة يمانية ... » الحديث . وفي رواية « الفقه يمان ... » [٥] .

---

(١) قال الإمام أبو عبد الله البخاري رحمه الله : سميت اليمن لأنها عن يمين الكعبة ، والشأم عن يسار الكعبة ، والمشأمة الميسرة ، واليد اليسرى الشؤمى . (صحيح البخاري ١٥٤/٤ ، ١٥٥) .

وتسمى اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها . من كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني ص ٦ .

(٢) هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري أبو مسعود البدري ، قيل إنه نزل ماء ببدر فنسب إليه ، شهد أحدا وما بعدها ، ونزل الكوفة ، وكان من أصحاب علي رضي الله عنه . توفي بالكوفة سنة ٤٠ هـ ، وقيل غير ذلك .

انظر أسد الغابة ٥٥٤/٣ ، الإصابة ٤٨٣/٢ ، تهذيب التهذيب ٢٤٧/٧ .

(٣) صحيح البخاري ١٢٢/٥ كتاب المغازي ، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن ، وصحيح مسلم ٧١/١ كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ، ورجحان أهل اليمن فيه .

(٤) قيل : هما قريبان من السواء ، كرر ذكرهما لاختلاف اللفظين تأكيدا ، والمراد بلين القلوب : سرعة خلوص الإيمان إلى قلوبهم ، ويقال : إن الفؤاد غشاء القلب ، والقلب حبته وسويداؤه ، فإذا رقّ الغشاء أسرع نفوذ الشيء إلى ما وراءه . من كتاب شرح السنة للإمام البغوي ٢٠١/١٤ ، ٢٠٢ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ١٢٢/٥ كتاب المغازي ، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن ، ومسلم في صحيحه ٧٢/١ ، ٧٣ كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ، ورجحان أهل اليمن فيه .

وقد ذكر ابن الصلاح [١] رحمه الله تعالى أن سبب التفضيل إذعان أهل اليمن إلى الإيمان من غير كبير مشقة على المسلمين ، بخلاف أهل المشرق وغيرهم . كما أن من اتصف بشيء وقوي قيامه به نسب إليه ، إشعارا بكمال حاله فيه ، وقال : ولا يلزم من ذلك نفي الإيمان عن غيرهم [٢] .

وقال الإمام البغوي رحمه الله : في الحديث ثناء على أهل اليمن لإسراعهم إلى الإيمان ، وحسن قبولهم إياه [٣] .

* * *

---

(١) هو عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) بن عثمان الكردي الشهرزوري الموصلي الشافعي أبو عمرو المعروف بابن الصلاح الإمام الحافظ ، كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه ، وكان زاهدا ورعا ، قال عنه الذهبي : (كان متين الديانة ، سلفي الجملة ، صحيح النحلة) ، له تصانيف عديدة منها : معرفة أنواع علم الحديث – يعرف بمقدمة ابن الصلاح – الفتاوى ، أدب المفتي والمستفتي ، طبقات الشافعية . توفي بدمشق سنة ٦٤٣ هـ .

انظر سير أعلام النبلاء ١٤٠/٢٣ ، طبقات الشافعية الكبرى ١٣٧/٥ ، شذرات الذهب ٢٢١/٥ ، الأعلام ٢٠٧/٤ .

(٢) انظر فتح الباري ٥٣٢/٦ وللمزيد من معرفة شرح الحديث انظر المرجع السابق ٩٩/٨ ، ١٠٠ .

(٣) شرح السنة للإمام البغوي ٢٠١/١٤ .

٣ - المطـــر

الأدلة على بركة المطر :

قال الله تعالى : ﴿ ونزلنا من السماء ماء مباركا ﴾ [١] أي كثير الخير والبركة [٢] .

وقال جل وعلا : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ [٣] .

قال ابن كثير رحمه الله : « أي قطر السماء ونبات الأرض » [٤] .

وأخرج الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين . ينزل الله الغيث فيقولون : الكوكب كذا وكذا » وفي رواية « بكوكب كذا وكذا » [٥] .

بركات المطر ومنافعه :

منها شرب الناس منه ، وسقي الأنعام والدواب ، وإنبات الثمار والأشجار والأعشاب .

فالماء لا يستغني عنه كائن حي كما قال تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ [٦] .

---

(١) سورة ق (٩) .

(٢) تفسير البغوي ٢٢١/٤ ، تفسير القرطبي ٦/١٧ .

(٣) سورة الأعراف (٩٦) .

(٤) تفسير ابن كثير ٢٣٤/٢ . وفي تفسير الخازن ٢٦٦/٢ (سمي المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه ، وكذا ثبوت البركة في نبات الأرض لأنه نشأ عن بركات السماء وهي المطر) .

(٥) صحيح مسلم ٨٤/١ كتاب الإيمان ، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .

(٦) سورة الأنبياء (٣٠) .

قال الإمام ابن جرير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : « وأحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كل شيء » [١] .

فالمطر ينتفع منه الناس في أكثر شؤونهم .

وقد وصف الله تبارك وتعالى منافع وبركات نعمة إنزال المطر على خلقه في عدة آيات من كتابه الكريم .

منها قوله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون [٢] ، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ [٣] .

وقوله : ﴿ وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا ، لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسيّ كثيرا ، ولقد صرّفناه بينهم ليذّكّروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا ﴾ [٤] .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد [٥] ، والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ﴾ [٦] .

وقد سمى الله تعالى المطر طهورا ورحمة ، كما سبق ، وسماه أيضا رزقا بقوله : ﴿ وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها ﴾ [٧] . قال الإمام البغوي رحمه الله : « يعني الغيث الذي هو سبب أرزاق العباد » [٨] .

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/١٧ .

(٢) أي ترعون فيه أنعامكم ، ومنه الإبل السائمة ، والسوم الرعي . انظر تفسير ابن كثير ٥٦٥/٢ .

(٣) سورة النحل (١٠ ، ١١) .

(٤) سورة الفرقان (٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠) .

(٥) أي البر والشعير وسائر الحبوب التي تحصد . من تفسير البغوي ٢٢١/٤ .

(٦) سورة ق (٩ ، ١٠ ، ١١) .

(٧) سورة الجاثية (٥) .

(٨) تفسير البغوي ١٥٧/٤ .

ولما تقدم من بيان منافع المطر ، والخيرات الكثيرة الناتجة منه كان المطر مباركا .

ولذا شرع الاستسقاء عند حصول الجدب وانعدام المطر كما هو معلوم .

ما يشرع عند نزول المطر :

يشرع عند نزوله أن يقول : اللهم اجعله صيّبا نافعا . لحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى المطر قال : « اللهم صيّبا نافعا » [١] أخرجه البخاري .

ويقول أيضا : مطرنا بفضل الله ورحمته . لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوما على أثر مطر أصابهم من الليل : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : « الله ورسوله أعلم » قال : « قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مُطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب ، وأما من قال : مُطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب » [٢] .

ويستحب أيضا أن يتعرض للمطر عند نزوله ، ويخرج رحله وثيابه ليصيبها المطر .

يدل على ذلك ماجاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في استسقاء الرسول ﷺ يوم الجمعة وفيه : « ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته » [٣] .

وما جاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك أيضا رضي الله عنه أنه قال : أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر . قال : فحسر [٤] رسول الله ﷺ ثوبه حتى

---

(١) صحيح البخاري ٢١/٢ كتاب الاستسقاء ، باب ما يقال إذا مطرت .

(٢) صحيح البخاري ٢٣/٢ كتاب الاستسقاء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ الواقعة (٨٢) ، وصحيح مسلم ٨٣/١ كتاب الإيمان ، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء . كلاهما عن زيد بن خالد الجهني .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم ، واللفظ للبخاري ، والحديث سبق تخريجه كاملا ص ٦٨ .

(٤) أي كشف بعض بدنه . شرح النووي لصحيح مسلم ١٩٥/٦ .

أصابه من المطر . فقلنا : يارسول الله لم صنعت هذا ؟ قال : « لأنه حديث عهد بربه تعالى » [(١)] .

وقد روى الامام البخاري في (الأدب المفرد) أن ابن عباس رضي الله عنهما كان إذا مطرت السماء يقول : يا جارية ، أخرجي سرجي ، أخرجي ثيابي . ويقول : ﴿ ونزلنا من السماء ماء مباركا[(٢)] ﴾ [(٣)] .

وبهذا ينتهي الكلام عن بركة المطر .

* * *

---

(١) صحيح مسلم ٦١٥/٢ كتاب صلاة الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء .

(٢) سورة ق (٩) .

(٣) كتاب الأدب المفرد للبخاري ص ٥٤٢ . باب التيمن بالمطر .

٤ - شجرة الزيتون

الأدلة على بركتها :

قال سبحانه وتعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ إلى قوله : ﴿ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية [١] يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ﴾ [٢] .

وفي الحديث عن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كلوا الزيت وادّهنوا به ، فإنه من شجرة مباركة » [٣] أخرجه الترمذي وغيره . وفي رواية لابن ماجه بلفظ « ائتدموا بالزيت » [٤] . وفي رواية الدارمي « كلوا الزيت فإنه مبارك » [٥] .

منافع هذه الشجرة وبركاتها :

قال تعالى في سياق ذكر ما امتن به على عباده من النعم : ﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ [٦] للآكلين ﴾ [٧] .

يقول الإمام القرطبي رحمه الله : « أفردها بالذكر لعظيم منافعها في أرض الشام والحجاز وغيرهما من البلاد ، وقلة تعاهدها بالسقي والحفر وغير ذلك من المراعاة في سائر الأشجار » [٨] .

---

(١) أي أنها في مستوى من الأرض في مكان فسيح باد ظاهر للشمس تقرعه من أول النهار إلى آخره ، وهذا أصفى لزيتها وألطف . من كتاب تفسير ابن كثير ٢٩٢/٣ .

(٢) سورة النور (٣٥) .

(٣) سنن الترمذي ٢٨٥/٤ كتاب الأطعمة ، باب ما جاء في أكل الزيت ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤٩٧/٣ ، والحاكم في المستدرك ٣٩٨/٢ كتاب التفسير وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٤) سنن ابن ماجه ١١٠٣/٢ كتاب الأطعمة ، باب الزيت . عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٥) سنن الدارمي ١٠٢/٢ كتاب الأطعمة ، باب فضل الزيت .

(٦) أي أدم ، والمعنى : أن فيها ما ينتفع به من الدهن والاصطباغ . من تفسير ابن كثير ٢٤٤/٣ .

(٧) سورة المؤمنون (٢٠) .

(٨) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١٤/١٢ .

فلشجرة الزيتون منافع وبركات عديدة .

منها الأكل ، فهي من الفواكه ، وزيتها يُؤتدم به ، ويُنتفع به في الدهن والاصطباغ ، كما تقدم في النصوص السابقة ، وزيتها أيضا يُسرج به ، فهو أضوأ وأصفى الأدهان [١] .

ويستعمل حطب هذه الشجرة للوقود [٢] .

كما أن للزيتون فوائد طبية عظيمة [٣] .

وقد ذكر من مزاياها أنها شجرة تورق من أعلاها إلى أسفلها ، وأن زيتها لا يحتاج في استخراجه إلى اعصار ، بل كل أحد يستخرجه بسهولة [٤] .

* * *

---

(١) تفسير البغوي ٣/٣٤٦ ، زاد المسير لابن الجوزي ٦/٤٣ .

(٢) زاد المسير ٦/٤٣ .

(٣) ممن ذكر هذه الفوائد الإمام ابن القيم في كتاب الطب النبوي ص ٢٤٤ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/٢٥٨ . وللمزيد تراجع الكتب الطبية الخاصة بالتداوي بالنبات .

(٤) تفسير البغوي ٣/٣٤٦ ، زاد المسير لابن الجوزي ٦/٤٣ بتصرف .

٥ - اللبـــــن

الدليل على بركة اللبن :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أُتي بلبن قال : « بركة أو بركتان ... » قالها ثلاثا [١] .

منافع اللبن وبركاته :

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ﴾ [٢] أي لذيذا هنيئا لا يغص به من شربه [٣] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من أطعمه الله طعاما فليقل : اللهم بارك لنا فيه ، وأطعمنا خيرا منه ، ومن سقاه الله لبنا فليقل : اللهم بارك لنا فيه ، وزدنا منه ، فإني لا أعلم ما يجزىء عن الطعام والشراب إلا اللبن » [٤] .

قال القرطبي في تفسيره تعليقا على هذا الحديث : قال علماؤنا : فكيف لا يكون ذلك . وهو أول ما يغتذي به الانسان ، وتنمي به الجثث والأبدان ، فهو قوت خلي عن المفاسد ، به قوام الأجسام ، وقد جعله الله تعالى علامة لجبريل على

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١١٠٣/٢ كتاب الأطعمة ، باب اللبن ، وانظر (مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ٨٧/٣) ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٤٥/٦ بلفظ (كم في البيت ؟ بركة أو بركتين) وقال صاحب الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (١١٥/١٧) : سنده جيد .

(٢) سورة النحل (٦٦) .

(٣) تفسير البغوي ٧٥/٣ ، تفسير القرطبي ١٢٦/١٠ .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (سنن أبي داود مع بذل المجهود ٦٢/١٦ كتاب الأشربة ، باب ما يقول إذا شرب اللبن) ، والترمذي في سننه ٥٠٧/٥ كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا أكل طعاما ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن . وأخرجه ابن ماجه في سننه ١١٠٣/٢ كتاب الأطعمة ، باب اللبن ، والإمام أحمد في مسنده ٢٢٥/١ .

هداية هذه الأمة التي هي خير الأمم ، فقال ﷺ في الصحيح : « .. فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال لي جبريل : اخترت الفطرة ، أما إنك لو اخترت الخمر غوت أمتك » (١) .

وقال أيضا رحمه الله : « ثم إن في الدعاء بالزيادة منه علامة الخصب ، وظهور الخيرات ، وكثرة البركات ، فهو مبارك كله » (٢) ا.هـ .

وقد دل حديث ابن عباس رضي الله عنهما على أن أفضل الطعام والشراب اللبن ، ولذلك لم يقل في اللبن : وأطعمنا خيرا منه ، بل قال : (وزدنا منه) (٣) .

قال ابن القيم رحمه الله : اللبن أنفع المشروبات للبدن الانساني ، لما اجتمع فيه من التغذية والدموية ، ولاعتياده حال الطفولية ، وموافقته للفطرة الأصلية ، ثم ذكر حديث البخاري المتقدم (٤) .

ومنافع اللبن وبركته لا تخفى .

* * *

---

(١) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ١٢٥/٤ كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ .

(٢) تفسير القرطبي ١٢٧/١٠ .

(٣) من كتاب بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني لأحمد بن عبد الرحمن البنا ٨٨/١٧ . بتصرف يسير .

(٤) انظر الطب النبوي ص ٣٠١ .

٦ - الخيـــل

الدليل على بركة الخيل :

روى الشيخان عن أنس بن ماللك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « البركة في نواصي [١] الخيل » [٢] .

فضائل الخيل وبركاتها :

ورد في فضل الخيل وبركتها ومنافعها عدة نصوص من الكتاب والسنة .

ومن أهم المنافع والفضائل أن ارتباط الخيل واقتناءها للجهاد في سبيل الله – لا للرياء ونحوه – من الأمور المشروعة ، وفيه خير في الدنيا وأجر عظيم في الآخرة .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ [٣] الآية .

وثبت في الصحيحين عن عروة البارقي [٤] رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة : الأجر والمغنم » [٥] أي الأجر في الآخرة مع الغنيمة في الدنيا ، وذلك إنما يكون من الخيل بالجهاد [٦] .

---

(١) جمع ناصية وهي الشعر المسترسل على الجبهة . قال العلماء : ويحتمل أن يكون كنّى بالناصية عن جميع ذات الفرس كما يقال فلان مبارك الناصية ، ويحتمل أن تكون الناصية خُصت بذلك لكونها المقدم منها إشارة إلى أن الفضل في الاقدام بها على العدو دون المؤخر ، لما فيه من الإشارة إلى الادبار . وقيل غير ذلك . راجع شرح النووي لصحيح مسلم ١٦/١٣ ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ٥٥/٦ ، ٥٦ .

(٢) صحيح البخاري ٢١٥/٣ كتاب الجهاد ، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، وصحيح مسلم ١٤٩٤/٣ كتاب الإمارة ، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة .

(٣) سورة الأنفال (٦٠) .

(٤) هو عروة بن الجعد أو ابن أبي الجعد الأزدي البارقي ، له صحبة ، وروى عن النبي ﷺ ، كان فيمن حضر فتوح الشام ونزلها ، ثم سيّره عثمان إلى الكوفة .

انظر أسد الغابة ٥٢٣/٣ ، الإصابة ٤٦٨/٢ ، تهذيب التهذيب ١٧٨/٧ .

(٥) صحيح البخاري ٢١٦/٣ كتاب الجهاد ، باب الجهاد ماضى مع البر والفاجر ، وصحيح مسلم ١٤٩٣/٣ كتاب الإمارة ، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة .

(٦) انظر فتح الباري لابن حجر ٥٦/٦ .

وقال ابن عبد البر [١] رحمه الله : في الحديث إشارة إلى تفضيل الخيل على غيرها من الدواب لأنه لم يأت عنه ﷺ في شيء غيرها مثل هذا القول [٢] .

وجاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده فإن شبعه وريّه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة » [٣] .

وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة [٤] .

ومن منافع الخيل : الركوب والزينة . قال تعالى : ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ﴾ [٥] .

والصحيح إباحة أكل لحوم الخيل [٦] .

وقد امتدح الله تعالى الخيل في سورة العاديات وأقسم بها .

وكان الرسول ﷺ يحب الخيل ويهتم بها ، فقد روى النسائي عن أنس

---

(١) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر أبو عمر النمري القرطبي المالكي الإمام العلامة حافظ المغرب وصاحب التصانيف ، كان فقيها محدثا عابدا دينا ثقة متقنا متبحرا . من تصانيفه : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، جامع بيان العلم وفضله ، الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار . توفي بمدينة شاطبة بالأندلس سنة ٤٦٣ هـ .

انظر وفيات الأعيان ٦٦/٧ ، سير أعلام النبلاء ١٥٣/٨ ، تذكرة الحفاظ ١١٢٨/٣ ، شذرات الذهب ٣١٤/٣ .

(٢) نقل هذا القول الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله في كتابه فتح الباري ٥٦/٦ .

(٣) صحيح البخاري ٢١٦/٣ كتاب الجهاد ، باب من احتبس فرسا .

(٤) للمزيد انظر مثلا كتاب الترغيب والترهيب للمنذري ٢٥٨/٢ - ٢٦٥ .

(٥) سورة النحل (٨) .

(٦) راجع تفسير الطبري ٨٣/١٤ ، تفسير القرطبي ٧٦/١٠ ، تفسير ابن كثير ٥٦٣/٢ ، تفسير الشوكاني ١٤٩/٣ فقد رجح أصحابها جميعا إباحة الأكل مع مناقشة القول الثاني (تحريم الأكل) . والخلاف في هذا المسألة مبسوط في موضعه من كتب الحديث والفقه .

ابن مالك رضي الله عنه أنه قال : « لم يكن شيء أحب إلى رسول الله ﷺ بعد النساء من الخيل » (١) .

وقد اعتنى السلف الصالح من المسلمين بالخيل وأكرموها وأحبوها ، وحرصوا على معرفة أنسابها وأخبارها .

فحري بالمسلمين المحافظة على الخيل ، والاكثار منها ، وإعدادها للجهاد خاصة ، فقد أخبرنا عليه الصلاة والسلام أن بركة الخيل وخيرها مستمر إلى يوم القيامة ، وهذا لا يعني الاعتماد عليها فقط ، وترك وسائل الحرب العصرية المناسبة ، لدخولها في عموم قوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ (٢) .

* * *

---

(١) سنن النسائي ٢١٨/٦ كتاب الخيل ، باب حب الخيل ، وأخرجه أيضا الإمام أحمد في مسنده : ٢٧/٥ عن معقل بن يسار رضي الله عنه . وقال المنذري : رواته ثقات (الترغيب والترهيب ٢٦٣/٢) .

(٢) سورة الأنفال (٦٠) .

٧ - الغنـــم

الدليل على بركة الغنم :

عن أم هانيء [١] رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها : « اتخذي غنماً ، فإن فيها بركة » [٢] .

وجاء في حديث عروة البارقي رضي الله عنه « ... والغنم بركة ... » [٣] . وفي حديث البراء بن عازب [٤] رضي الله عنه : سئل رسول الله ﷺ عن الصلاة في مرابض الغنم فقال : « صلوا فيها [٥] ، فإن فيها بركة » [٦] .

بركة الغنم ومنافعها :

في الأحاديث المتقدمة ونحوها حث من الرسول ﷺ على اتخاذ الغنم وتربيتها لوجود البركة الدنيوية فيها ، فقد بارك الله تعالى في نتاجها ، فالملاحظ سرعة تكاثر أولادها ، مع كثرة ما يؤكل منها أو يموت ، كما أن لها منافع أخرى معروفة .

---

(١) هي أم هانيء بنت أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب القرشية الهاشمية بنت عم النبي ﷺ . اختلف في اسمها فقيل هند وقيل فاطمة وقيل فاختة ، أسلمت عام فتح مكة ، وروت عن النبي ﷺ عدة أحاديث . ماتت في خلافة معاوية رضي الله عنه .

انظر أسد الغابة ٤٠٤/٦ ، الإصابة ٤٧٩/٤ ، تهذيب التهذيب ٦٢٥/٢ .

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ٧٧٣/٢ كتاب التجارات ، باب اتخاذ الماشية . وفي كتاب مصباح الزجاجة للبوصيري (٢٠٦/٢) : اسناده صحيح ورجاله ثقات . وأخرج الحديث الإمام أحمد في مسنده ٤٢٤/٦ بلفظ (اتخذوا الغنم ...) ، ورمز له السيوطي بأنه حسن (الجامع الصغير ٧/١) .

(٣) سنن ابن ماجه ٧٧٣/٢ كتاب التجارات ، باب اتخاذ الماشية . وفي مصباح الزجاجة (٢٠٦/٢) : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٤) هو البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري الأوسي يكنى أبا عماره وقيل أبا عمرو . غزا مع الرسول ﷺ أربع عشرة غزوة ، وروى عنه جملة من الأحاديث ، مات بالكوفة سنة ٧٢ هـ .

انظر أسد الغابة ٢٠٥/١ ، الإصابة ١٤٦/١ ، تهذيب التهذيب ٤٢٥/١ .

(٥) الأمر بالصلاة في مرابض الغنم أمر إباحة وليس للوجوب بالاتفاق ، وهذا مقابل المنع من ذلك في الإبل أول الحديث . انظر : نيل الأوطار للشوكاني ١٤١/٢ .

(٦) جزء من حديث أخرجه أبو داود في سننه ٩٨/٢ كتاب الطهارة ، باب الوضوء من لحوم الإبل ، والإمام أحمد في مسنده : ٢٨٨/٤ .

وقد ذكر الإمام القرطبي رحمه الله من وجوه البركة في الغنم « ما فيها من اللباس والطعام والشراب ، وكثرة الأولاد ، فإنها تلد في العام ثلاث مرات ، إلى ما يتبعها من السكينة ، وتحمل صاحبها عليه من خفض الجناح ولين الجانب »[١] .

* * *

(١) تفسير القرطبي ٨٠/١٠ .

٨ - النخـــل

الدليل على بركة النخل :

أخرج البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : بينما نحن عند النبي ﷺ جلوس إذ أتي بجُمّار [١] نخلة ، فقال النبي ﷺ : « إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم » فظننت أنه يعني النخلة ، فأردت أن أقول : هي النخلة يارسول الله ، ثم التفتّ فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم فسكتّ ، فقال النبي ﷺ : « هي النخلة » [٢] .

بركات النخلة ومنافعها :

سأكتفي لهذا ببعض ما أورده ابن القيم شارحا الحديث المتقدم .

قال رحمه الله : بركة النخلة تتضمن كثرة خيرها ، ودوام ظلها ، وطيب ثمرها ، ووجوده على الدوام ، وثمرها يؤكل رطبا ويابسا وبلحا ويانعا ، وهو غذاء ودواء ، وقوت وحلوى ، وشراب وفاكهة ، وجذوعها للبناء والآلات والأواني ، ويُتخذ من خوصها : الحصر والمكاتل والأواني والمراوح وغير ذلك ، ومن ليفها الحبال وغيرها ، ونواها علف للأبل ، ويدخل في الأدوية والأكحال ، ثم جمال ثمرتها ونباتها ، وحسن هيأتها ، وبهجة منظرها ، وحسن نضد ثمرها ، ومسرة النفوس عند رؤيته ، فرؤيتها مذكرة لفاطرها وخالقها وبديع صنعته وكمال قدرته .

إلى أن قال : ولا شيء أشبه بها من الرجل المؤمن : إذ هو خير كله ، ونفع ظاهر وباطن [٣] .

---

(١) الجُمّار : جمع جُمّارة ، وهي قلب النخلة وشحمتها . من كتاب النهاية لابن الأثير ٢٩٤/١ .

(٢) صحيح البخاري ٢١١/٦ كتاب الأطعمة ، باب أكل الجمار . وقد تقدم تخريج بعض هذا الحديث ص ٩٦ .

(٣) الطب النبوي ص ٣١١ بتصرف يسير .

ومما ورد في منفعة تمر النخل وبركته ، ما جاء عن سلمان بن عامر [١] رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر ، فإنه بركة ... » [٢] الحديث .

ولا ريب أن للتمر منافع مشهورة ، وقد اكتشف فيه الطب الحديث فوائد صحية هامة .

وإلى هنا ينتهي الباب الأول ، الخاص ببيان الأمور المباركة ، وقد عرضتها على سبيل الأجمال ، ما لم يقتض الأمر البسط والتفصيل .

وفي ختام هذا الباب أدعو إلى الانتفاع من جميع الأمور المباركة بما يناسب كل واحد منها . والله الموفق .

* * *

---

(١) هو سلمان بن عامر بن أوس الضبي ، له صحبة ، وروى عن النبي ﷺ . قال مسلم : لم يكن في الصحابة ضبي غيره . نزل البصرة وتوفي بها في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وقيل إنه عاش إلى خلافة معاوية رضي الله عنه .

انظر أسد الغابة ٢٦٤/٢ ، الإصابة ٦٠/٢ ، تهذيب التهذيب ١٣٧/٤ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (سنن أبي داود مع بذل المجهود ١٥٨/١١ كتاب الصيام ، باب مايفطر عليه) والترمذي في سننه ٤٦/٣ كتاب الزكاة ، باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة . وقال : حديث حسن ، وابن ماجه في سننه ٥٤٢/١ كتاب الصيام باب ما جاء على ما يستحب الفطر ، والدارمي في سننه ٧/٢ كتاب الصوم ، باب ما يستحب الافطار عليه ، والإمام أحمد في مسنده ١٧/٤ .

ولم يذكر (فإنه بركة) غير الترمذي ، ورمز له السيوطي بأنه صحيح (الجامع الصغير ٢٠/١) ، وقال الألباني (إسنادهم صحيح) مشكاة المصابيح للتبريزي ٦٢١/١ هـ (١) .

الباب الثاني

التبرك المشروع

ويحتوي على أربعة فصول :

الفصل الأول : التبرك بذكر الله ، وتلاوة القرآن الكريم .

الفصل الثاني : المشروع من التبرك بالنبي ﷺ وغيره من الصالحين .

الفصل الثالث : التبرك بشرب ماء زمزم .

الفصل الرابع : التبرك بأمور أخرى .

توطئة :

تقدم في الباب السابق عرض مجمل الأمور المباركة مع بيان وجوه بركتها . وهذا الباب سيختص ببيان الأمور التي يشرع التبرك بها ، وطريقته بالتفصيل ، وبيان الأدلة .

ومعنى التبرك المشروع : أي الذي شرعه الله تعالى أو رسوله ﷺ ، وهو إما أن يكون واجبا أو مستحبا أو مباحا .

وأحب أن أنبه هنا إلى أن الأمور المباركة في الباب الأول لا تحتاج إلى تفصيل في بيان كيفية التبرك ، لوضوحه ، كالصلاة في المساجد الثلاثة أو غيرها ، ومثل الصيام لرمضان أو غيره ، ومثل الأكل أو الشرب لبعض الأشياء المباركة ، ونحو ذلك .

وأما ما يحتاج منها إلى تفصيل فقد ذكرت هناك وجه بركته (كونه مباركا) وهنا سوف أفصل كيفية التبرك به .

وقد أضفت أمورا أخرى لم ترد في الباب السابق .

الفصل الأول
التبرك بذكر الله ، وتلاوة القرآن الكريم

المبحث الأول
التبرك بذكر الله تعالى

بما أن حقيقة البركة ثبوت الخير ودوامه ، وكثرة الخير وزيادته ، وأن الخير كله الديني والدنيوي في يدي الله سبحانه وتعالى – كما تقدم توضيحه في التمهيد – فلا تطلب البركة إلا منه تبارك وتعالى ، أو مما أودع هو فيه البركة ، وعلى الوجه المشروع ، فإن من وسائل طلب البركة منه سبحانه وتعالى التبرك بذكره عز وجل .

وذكر الله سبحانه وتعالى يكون بالقلب ، ويكون باللسان ، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعا (١) ، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل (٢) ، لأن ذكر القلب يثمر المعرفة ، ويثير المحبة والحياء ، ويبعث على المخافة ، ويدعو إلى المراقبة (٣) .

أنواع الذكر :

ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه (الوابل الصيب) عند بيان أنواع الذكر ما يأتي :

---

(١) قال ابن حجر رحمه الله : (فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائص عنه ازداد كمالا ، فإن وقع ذلك في عمل صالح مهما فُرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالاً ، فإن صحح التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ في الكمال) فتح الباري ٢٠٩/١١ .

(٢) من كتاب الأذكار للنووي ص ٦ .

(٣) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب للإمام ابن القيم ص ١٩٠ .

الذكر نوعان :

أحدهما : ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته ، والثناء عليه بها ، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى .

وهذا أيضا نوعان : أحدهما : إنشاء الثناء عليه بها من الذكر .

وهذا النوع هو المذكور في الأحاديث ، نحو (سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر) ، و(سبحان الله وبحمده) ، و (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير) ، ونحو ذلك ، فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء وأعمه ، نحو (سبحان الله عدد خلقه) فهذا أفضل من مجرد (سبحان الله) . وقولك : (الحمد لله عدد ما خلق في السماء ، وعدد ما خلق في الأرض وعدد ما بينهما ، وعدد ما هو خالق) أفضل من مجرد قولك (الحمد لله) .

ثم استشهد على هذا ببعض الأحاديث الشريفة .

ثم قال : النوع الثاني : الخبر عن الرب تبارك وتعالى بأحكام أسمائه وصفاته ، نحو قولك : الله عز وجل يسمع أصوات عباده ، ويرى حركاتهم ، ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم ، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم ، وهو على كل شيء قدير ، ونحو ذلك .

ثم قال رحمه الله : وأفضل هذا النوع : الثناء عليه بما أثني به على نفسه ، وبما أثني به عليه رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل .

ثم ذكر فروعا أخرى لهذا النوع ، ثم قال :

والنوع الثاني من الذكر : ذكر أمره ونهيه وأحكامه .

وهو أيضا نوعان : أحدهما : ذكره بذلك إخبارا عنه بأنه أمر بكذا ، ونهى عن كذا ، وأحب كذا ، وسخط كذا ، ورضي كذا .

والثاني : ذكره عند أمره فيبادر إليه ، وعند نهيه فيهرب منه . وقال أيضا : ومن

ذكره سبحانه وتعالى : ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه ، ومواقع فضله على عبيده . فهذه خمسة أنواع [١] اهـ .

والحاصل أن ذكر الله تعالى يتنوع إلى ذكر أسمائه تعالى وصفاته ، إنشاء أو خبرا ، وذكر أمره ونهيه وأحكامه قولا أو عملا ، وذكر إنعامه وإحسانه على خلقه .

فيمكن إذن طلب البركة بقسميها عن طريق هذه الأنواع ونحوها .

وقد أرشدنا الرسول ﷺ إلى صيغ الذكر والأوراد التي يشرع قولها ، وهي إما مطلقة أو مقيدة بمحل أو زمان أو مكان ، كالأذكار المشروعة في الصلاة أو بعدها ، والأذان ، والحج ، ومختلف العبادات ، ومثل أذكار اليوم والليلة ، وهي مشهورة ، كأذكار الصباح والمساء والنوم والركوب واللباس ونحو ذلك ، وكذا الأمور العارضة المختلفة ، وسائر أحوال المسلم .

وصيغ الأذكار موجودة في كتب السنة ، وأفردها بعض العلماء في كتب مستقلة ، من أشهرها وأوفاها كتاب (الأذكار) للامام النووي رحمه الله تعالى .

وأما حكم هذه الأذكار فيختلف ، فمنها ماهو واجب ، كبعض أذكار الصلاة ، مثل التسبيح في الركوع أو السجود ، وغير ذلك مما لا يخفى ، ومنها ماهو سنة ، وهذا الصنف أكثر من الأول .

تسمية الله نوع من الذكر :

مما يلحق بالذكر : تسمية الله تعالى في ابتداء الأقوال أو الأفعال .

وتسن التسمية عند ابتداء كل قول أو عمل [٢] ، أى أن يقول الشخص (بسم الله) .

---

(١) الوابل الصيب ص ١٨٧ - ١٩٠ بتصرف واختصار .

(٢) انظر تفسير القرطبي ٩٧/١ ، تفسير ابن كثير ١٩/١ ، وقد عنون البخاري رحمه الله في صحيحه : باب التسمية على كل حال وعند الوقاع . في كتاب الوضوء . انظر صحيح البخاري ٤٤/١ .

ومعنى ذلك : أبدأ بتسمية الله تعالى قبل قولي أو قبل فعلي [١] .

ومن الحكمة فى هذا جلب البركة الدينية أو الدنيوية لهذه الأشياء ، واندفاع المفاسد والشرور عنها بفضل الله تعالى واعانته .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله بعد أن عرض أمثلة لهذه الأشياء : « فالمشروع ذكر اسم الله في الشروع في ذلك كله تبركا وتيمنا ، واستعانة على الاتمام والتقبل » [٢] .

ومن أمثلة الأمور التي تشرع التسمية فيها : التسمية على الذبيحة والصيد .

قال تعالى : ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق ﴾ [٣] وقال ﴿ فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ﴾ [٤] .

ومنها : التسمية عند الوضوء والغسل والتيمم [٥] ، وعند دخول المسجد أو الخروج منه .

ومن الأمثلة أيضا التسمية عند الأكل والشرب ، لما في الصحيحين عن عمر ابن أبي سلمة [٦] رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا غلام سم الله وكل بيمينك ... » [٧] .

---

(١) انظر تفسير الطبري ٥١/١ وما بعدها ، بدائع الفوائد لابن القيم ٢٥١/١ .

(٢) تفسير ابن كثير ١٩/١ .

(٣) سورة الأنعام (١٢١) .

(٤) سورة المائدة (٤) .

(٥) أكثر العلماء جعل التسمية عند هذه الأشياء واجبة ، ومنهم من فرق بين النسيان وعدمه . وللاستزادة من معرفة أحكام هذه المسائل وأدلتها يرجع إلى مظانها في كتب التفسير والحديث والفقه .

(٦) هو عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني ، ربيب النبي ﷺ فأمه أم سلمة زوج النبي ﷺ ، ولي البحرين زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . توفي بالمدينة سنة ٨٣ هـ . انظر أسد الغابة ٦٨٠/٣ ، الإصابة ٥١٢/٢ ، تهذيب التهذيب ٤٥٦/٧ .

(٧) صحيح البخاري ١٩٦/٦ كتاب الأطعمة ، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ، وصحيح مسلم ١٥٩٩/٣ كتاب الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما .

وفي بعض السنن عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا أكل أحدكم طعاما فليقل بسم الله ، فإن نسي في أوله فليقل : بسم الله في أوله وآخره » [١] .

ومنها : التسمية عند دخول المنزل أو الخروج منه ، وعند النوم ، وعند الجماع ، وغير ذلك [٢] .

كما أن البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) تشرع عند قراءة أول كل سورة من سور القرآن الكريم ، ما عدا سورة براءة [٣] .

وقد ذكر بعض العلماء أن من دواعي ذلك : التبرك بها [٤] .

كما قد اتفقت الأمة على كتبها في أوائل الكتب والرسائل [٥] .

الصلاة على النبي ﷺ :

ومما يلحق بذكر الله تعالى أيضا : الصلاة على نبينا محمد ﷺ ، فهي متضمنة لذكر الله تعالى وشكره ، ومعرفة إنعامه على عبيده بإرساله ﷺ [٦] .

وهي واجبة في التشهد الأخير في الصلاة – بالصيغة المعروفة – على الصحيح من قولي العلماء [٧] .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ١٣٩/٤ كتاب الأطعمة ، باب التسمية على الطعام ، والترمذي في سننه ٢٨٨/٤ كتاب الأطعمة ، باب ما جاء في التسمية على الطعام ، وقال حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في سننه ١٠٨٧/٢ كتاب الأطعمة ، باب التسمية عند الطعام ، والإمام أحمد في مسنده ٢٠٨/٦ ، والدارمي في سننه ، ٩٤/٢ كتاب الأطعمة ، باب في التسمية على الطعام ، والحاكم في المستدرك ١٠٨/٤ كتاب الأطعمة ، وقال حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٢) الأدلة على هذه الأمور ونحوها موجودة في كتب الأذكار ونحوها .

(٣) انظر أسباب ذلك في تفسير ابن كثير ٣٣٢/٢ .

(٤) من تفسير القرطبي ٩٥/١ .

(٥) المرجع السابق ، وانظر تفسير الطبري ١٥٠/١ ، ويرجع أيضاً إلى كتاب (البسملة) لإبراهيم بن محمد الطبيعي ص ٢٩ – ٣٢ فقد أورد مواضع وجوب البسملة واستحبابها وصيغها .

(٦) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ص ٢٧٠ .

(٧) انظر مثلا المرجع السابق لابن القيم ص ١٩٣ – ٢١٦ فقد عرض أدلة الفريقين وما عليها من الاعتراضات مرجحا الوجوب .

وهي مشروعة في مواطن عديدة ، وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أربعين موطنا بأدلتها في كتابه (جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام)[١] .

ومنها الصلاة عليه ﷺ عند ذكره[٢] ، وفي أول الدعاء وخاتمته ، ويوم الجمعة ، وغير ذلك .

ومن أدلة مشروعيتها قوله تعالى ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾[٣] .

والأحاديث في الترغيب فيها ، والاكثار منها ، وبيان فضلها كثيرة[٤] .

وأذكر منها ما رواه الإمام مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشرا »[٥] .

وجاء في بعض السنن عن أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ « صلى الله عليه عشر صلوات ، وحط عنه عشر خطيئات »[٦] .

صلة الدعاء بالذكر :

توجد صلة قوية بين الدعاء والذكر ، حيث إن دعاء الله تعالى مصاحب لذكره ، فهو سؤال العبد ربه حاجته من أمور الدنيا أو الآخرة بلسان الحال والمقال .

---

(١) انظر ص ١٥٥ - ٢١٠ من هذا الكتاب .

(٢) بعض العلماء أوجبها هنا . انظر تحقيق هذه المسألة في المرجع السابق ص ٢٢٩ - ٢٤٠ ، وكذا تشرع كتابة الصلاة عليه ﷺ عند الكتابة . قال ابن كثير (استحب أهل الكتابة أن يكرر الكاتب الصلاة على النبي ﷺ كلما كتبه) تفسير ابن كثير ٥١٧/٣ .

(٣) سورة الأحزاب (٥٦) .

(٤) انظر مثلا : كتاب الأذكار للنووي ص ٩٦ - ١٠٠ ، وكتاب تحفة الذاكرين للشوكاني ص ٢٤ - ٣١ ، وانظر كتاب جلاء الأفهام لابن القيم فقد ذكر أربعين فائدة وثمرة حاصلة بالصلاة عليه ﷺ .

(٥) صحيح مسلم ٣٠٦/١ كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد .

(٦) أخرجه النسائي في سننه ٥٠/٣ كتاب السهو ، بزيادة (ورفعت له عشر درجات) ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٠٢/٣ ، والحاكم في المستدرك ٥٥٠/١ وقال : حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ١٣٠/٢ بترتيب الفارسي .

فالدعاء إذن يتضمن الذكر ، ولذا تسمى الأدعية أذكارا للتغليب .

ومما يحسن بيانه هنا أنه كلما كثر ذكر الله تعالى والثناء عليه في الدعاء فهو أفضل وأحرى للاجابة .

قال ابن القيم رحمه الله : « المستحب في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله تعالى ، والثناء عليه ، ويصلي على النبي ﷺ بين يدي حاجته ، ثم يسأل حاجته » [١] ثم ذكر الشواهد على ذلك .

ولذا كان التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى ، أو صفة من صفاته العليا في الدعاء ، من أنواع التوسل المشروع ، كأن يقول المسلم في دعائه : اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم ، اللطيف الخبير أن تعافيني ، أو يقول : أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي [٢] .

والدليل على مشروعية هذا التوسل قول الله تبارك وتعالى ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ [٣] .

ومن الأدلة والشواهد عليه ما ذكره الله تعالى من دعاء سليمان عليه السلام حيث قال ﴿ رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه ، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ [٤] .

ومن الأدلة من السنة ما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول : « اللهم إني أعوذ بعزتك ، لا إله إلا أنت ، أن تُضلّني ... » [٥] .

---

(١) انظر الوابل الصيب ص ١٩١ - ١٩٥ .

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ص ٢٩ .

(٣) سورة الأعراف (١٨٠) .

(٤) سورة النمل (١٩) .

(٥) صحيح البخاري ١٦٧/٨ كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ ، وصحيح مسلم ٢٠٨٦/٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر مالم يعمل ، واللفظ لمسلم .

وما روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض فيّ حكمك ، عدل فيّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري ، وجلاء حزني وذهاب همي ، إلا أذهب الله همّه وحزنه ، وأبدله مكانه فرجا »[١] الحديث .

وبعد عرضت أنواع الذكر بشيء من البسط ، لأجل أن تتضح كيفية التبرك بذكر الله تعالى ، يحسن الآن أن أختتم هذا المبحث ببيان وجوه البركة في ذكر الله سبحانه وتعالى .

بركات الذكر وفضائله :-

لذكر الله تعالى فضائل عظيمة وبركات كثيرة ، دينية ودنيوية .

(أ) فمن البركات الدنيوية ما يأتي :-

١ - اطمئنان القلب وزوال الخوف عنه ، كما قال تعالى ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾[٢] .

٢ - الذكر يعطي الذاكر قوة ، حتى انه ليفعل مع الذكر ما لا يطيق فعله بدونه .

وقد علّم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعليا رضي الله تعالى عنهما أن يسبّحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثا وثلاثين ، ويحمدا ثلاثا وثلاثين ، ويكبرا أربعا وثلاثين ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٩١/١ ، والحاكم في المستدرك ٥٠٩/١ ، وابن حبان في صحيحه ١٦٠/٢ (بترتيب الفارسي) واللفظ لأحمد . وصححه الألباني . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٧٦/١ - ١٨١ .

ومن أراد المزيد من الأدلة فليرجع إلى كتاب التوسل للألباني ص ٢٩ - ٣٢ .

(٢) سورة الرعد (٢٨) .

لمّا سألته الخادم ، وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة ، فعلمها ذلك وقال : « فهو خير لكما من خادم » (١) .

فقيل : إن من داوم على ذلك وجد قوة في بدنه مغنية عن خادم (٢) .

وذكر ابن القيم رحمه الله أن كلمة « لا حول ولا قوة إلا بالله » لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة ، وتحمل المشاق . وأورد شواهد على ذلك (٣) .

٣ – من منافع الاستغفار الدنيوية ما جاء في قول الله تعالى في سورة نوح ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾ (٤) . وقول الرسول ﷺ فيما رواه عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ، ومن كل همّ فرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب » (٥) .

٤ – من بركات الذكر الدنيوية الرقية باسم الله تعالى ، وبالأذكار الشرعية للاستشفاء والعلاج .

ولأهمية هذه المسألة فسأفرد لها مبحثا مستقلا يلي المبحث الثاني تحت عنوان (الرقية بذكر الله تعالى ، وبالقرآن الكريم) .

(ب) ومن البركات الدينية ما يأتي :–

١ – مغفرة الذنوب ومضاعفة الأجر .

والأحاديث في هذا كثيرة جدا ، أنقل منها ما يأتي :

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من

---

(١) انظر الحديث في صحيح البخاري ٢٠٨/٤ كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب مناقب علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، وصحيح مسلم ٢٠٩١/٤ كتاب الذكر ، باب التسبيح أول النهار وعند النوم ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) الوابل الصيب لابن القيم ص ١٦٤ ، ١٦٥ باختصار .

(٣) انظر المرجع السابق ص ١٦٥ – ١٦٧ .

(٤) سورة نوح (١٠ ، ١١ ، ١٢) .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ١٧٨/٢ كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار ، وابن ماجه في سننه ١٢٥٤/٢ كتاب الأدب ، باب الاستغفار .

قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، في يوم مائة مرة ، كانت له عِدْلَ عشر رقاب ، وكُتبت له مائة حسنة ، ومُحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك » (١) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول ﷺ « من سبّح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين ، فتلك تسعة وتسعون ، وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر » (٢) .

وفي صحيح البخاري عن شداد بن أوس (٣) رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « سيد الاستغفار : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أبوء (٤) لك بنعمتك ، وأبوء لك بذنبي ، فاغفر لي ؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، إذا قال حين يمسي فمات دخل الجنة ، أو كان من أهل الجنة ، وإذا قال حين يصبح فمات من يومه مثله » (٥) .

٢ – ومن المنافع الدينية أيضا أن مجالس الذكر من أسباب نزول السكينة وغشيان الرحمة ، وحفوف الملائكة . فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة

---

(١) صحيح البخاري ١٦٧/٧ كتاب الدعوات ، باب فضل التهليل ، وصحيح مسلم ٢٠٧١/٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء .

(٢) صحيح مسلم ٤١٨/١ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة ، وبيان صفته .

(٣) هو شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري الخزرجي ، كان كثير العبادة والورع والخوف من الله تعالى ، وممن أُوتي العلم والحلم . توفي بالشام سنة ٦٤ هـ وقيل غير ذلك .

انظر أسد الغابة ٣٥٥/٢ ، الإصابة ١٣٨/٢ ، تهذيب التهذيب ٣١٥/٤ .

(٤) أي ألتزم وأرجع وأقر ، وأصل البواء اللزوم . النهاية لابن الأثير ١٥٩/١ .

(٥) صحيح البخاري ١٥٠/٧ كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا أصبح .

وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حَفّتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » (١) .

(ج) **ومن البركات الدينية والدنيوية معا لذكر الله عز وجل أنه حصن منيع من الشياطين وشرورهم .**

والأحاديث الدالة على هذا كثيرة ، ومنها ما يأتي :

جاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا دخل الرجل بيته ، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله ، قال الشيطان : أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء » (٢) .

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال : باسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدا » (٣) .

وفي بعض السنن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا دخل أحدهم الخلاء أن يقول : بسم الله » (٤) .

---

(١) صحيح مسلم ٢٠٧٤/٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر .

(٢) صحيح مسلم ١٥٩٨/٣ كتاب الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما .

(٣) صحيح البخاري ١٤١/٦ كتاب النكاح ، باب مايقول الرجل إذا أتى أهله ، وصحيح مسلم ١٠٥٨/٢ كتاب النكاح ، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع ، واللفظ لمسلم .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ٥٠٤/٢ كتاب الصلاة ، باب ما ذكر من التسمية عند دخول الخلاء ، وابن ماجه في سننه ١٠٩/١ كتاب الطهارة ، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء ، وأخرجه البغوي في شرح السنة ٣٧٨/١ . وقد صححه الألباني . انظر كتاب ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ٨٨/١ .

ثم إن الدعاء له ثمرات ونتائج طيبة في الدنيا والآخرة .

ومما يدل على فضل الذكر أيضا : أن المقصود بالطاعات كلها إقامة ذكر الله عز وجل ، فهو سر الطاعات وروحها [١] .

إلى غير ذلك من الفضائل العظيمة والبركات العديدة لذكر الله عز وجل [٢] . ولذا « كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه » [٣] كما روت ذلك عائشة رضي الله عنها .

فحري بنا المداومة على ذكر الله تعالى بأنواعه ، وفي مواطنه ، والتقيد بالأذكار المشروعة ، طاعة لله تعالى ، واتباعا لرسوله ﷺ ، ورجاء نيل الفضائل الجليلة ، والبركات الكثيرة ، والخيرات الوفيرة لذكر الله تعالى في الدنيا والآخرة .

* * *

---

(١) من كتاب مدارج السالكين لابن القيم ٤٢٦/٢ ، وانظر التفصيل في كتابه الوابل الصيب ص ١٥٩ – ١٦٢ ، وانظر أيضا فتح الباري ٢٠٩/١١ ، ٢١٠ .

(٢) ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الوابل الصيب ص ٩١ – ١٨٧ أكثر من سبعين فائدة للذكر .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٨٢/١ كتاب الحيض ، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها .

المبحث الثاني
التبرك بتلاوة القرآن الكريم

تقدم في أول الباب السابق بيان مجمل فضائل القرآن الكريم وبركاته ، وأما الآن فسأقتصر على بحث مسألة (التبرك بتلاوة القرآن الكريم) وما يتبع هذه المسألة أو يتفرع عنها .

بركات التلاوة وفضائلها :

قال سبحانه وتعالى آمرا بتلاوة كتابه الكريم ﴿ واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدّل لكلماته ﴾ [(١)] .

وقال رسوله ﷺ « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه » [(٢)] .

رواه الإمام مسلم من حديث أبي أمامة الباهلي [(٣)] رضي الله عنه .

وقال جل وعلا في بيان فضل تلاوة القرآن المجيد ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ﴾ [(٤)] .

---

(١) سورة الكهف (٢٧) .

(٢) أخرجه مسلم ٥٥٣/١ كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة .

(٣) هو صدي بن عجلان بن الحارث أبو أمامة الباهلي السهمي ، كان من المكثرين في الرواية ، سكن مصر ثم انتقل منها فسكن حمص من الشام ومات بها سنة ٨١ هـ وقيل سنة ٨٦ هـ .

انظر أسد الغابة ٣٩٨/٢ ، ١٦/٥ ، الإصابة ١٧٥/٢ ، تهذيب التهذيب ٤٢٠/٤ .

(٤) سورة فاطر (٢٩ ، ٣٠) .

وأما الأحاديث في ذلك فكثيرة جدا .

منها ما جاء في حديث عقبة بن عامر [(١)] رضي الله عنه ، المخرج في صحيح مسلم وفيه قوله ﷺ : « أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين ، وثلاث خير له من ثلاث ، وأربع خير له من أربع ، ومن أعدادهن من الإبل » [(٢)] .

ومنها ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المخرج في صحيح مسلم أيضا وفيه « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » [(٣)] .

وقد ثبت في الصحيحين دنو الملائكة واستماعهم لقراءة أسيد بن حضير [(٤)] رضي الله عنه .

وروى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » [(٥)] .

---

(١) هو عقبة بن عامر بن عبس الجهني روى عن الرسول ﷺ كثيرا وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين ، كان من أهل الصفة ، وكان قارئا عالما بالفرائض والفقه فصيح اللسان شاعرا وهو أحد من جمع القرآن ، وشهد فتوح الشام ، مات في خلافة معاوية رضي الله عنه .

انظر حلية الأولياء ٨/١ ، أسد الغابة ٥٥٠/٣ ، الإصابة ٤٨٢/٢ ، تهذيب التهذيب ٢٤٢/٧ .

(٢) صحيح مسلم ٥٥٣/١ كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه .

(٣) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم ، وقد تقدم تخريجه ص ٨٧ .

(٤) انظر صحيح البخاري ١٠٦/٦ كتاب فضائل القرآن ، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن ، وصحيح مسلم ٥٤٨/١ كتاب صلاة المسافرين ، باب نزول السكينة لقراءة القرآن .

(٥) أخرجه الترمذي ١٧٥/٥ كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر ، وقال الترمذي رحمه الله : هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه الدارمي في سننه موقوفا ٤٢٩/٢ كتاب فضائل القرآن ، والحديث صححه الألباني . انظر صحيح الجامع الصغير ٣٤٠/٥ .

وأخيرا أذكر المثل الذي ضربه نبينا ﷺ لمن يقرأ القرآن أو يتركه ، مؤمنا كان أو منافقا .

فقد روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجّة [١] ، ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة ، لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ، ليس لها ريح وطعمها مر » [٢] .

هذا مجمل فضائل وبركات تلاوة القرآن الكريم الدينية .

ومن البركات والمصالح الدنيوية : الاستشفاء به والانتفاع من الرقية ببعض سوره وآياته .

وسيأتي الكلام على ذلك مفصلا ضمن المبحث الثالث إن شاء الله .

وهذه الفضائل والبركات الدنيوية والأخروية المتقدمة ، وغيرها مما أعده الله تعالى من الخير العظيم والأجر الجزيل لقراء كتابه تشمل جميع آيات القرآن الكريم .

وقد وردت السنة بتخصيص بعض سوره وآياته بالفضل كما هو مشهور .

من ذلك سورة الفاتحة التي لا تصح الصلاة إلا بها .

ومثل سورتي البقرة وآل عمران اللتين قال فيهما النبي ﷺ فيما أخرجه الامام مسلم : « اقرأوا الزهراوين [٣] : البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان [٤] ، أو كأنهم فِرقان من طير صواف ، تحاجان عن أصحابهما » .

---

(١) انظر ما قاله بعض العلماء في الحكمة من تخصيص الأترجة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والريح كالتفاحة مثلا ، في كتاب فتح الباري لابن حجر ٦٦/٩ ، ٦٧ .

(٢) صحيح البخاري ١١٥/٦ كتاب فضائل القرآن ، باب اثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به ، وصحيح مسلم ٥٤٩/١ كتاب صلاة المسافرين ، باب فضيلة حافظ القرآن ، واللفظ لمسلم .

(٣) أي المنيرتين ، واحدتهما زهراء : أي بيضاء نيرة . من كتاب النهاية لابن الأثير ٣٢١/٢ بتصرف .

(٤) الغياية : كل شيء أظل الانسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها (النهاية لابن الأثير ٤٠٣/٣) .

وقال ﷺ بعد ذلك في شأن سورة البقرة « اقرأوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة [(١)] » [(٢)] .

ومن بركات سورة البقرة أن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه ، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ [(٣)] .

وفي هذه السورة أيضا آية الكرسي التي هي أعظم آية في كتاب الله تعالى ، والتي تشتمل على بركات وفضائل خاصة في الدنيا والآخرة [(٤)] .

وأيضا فإن الآيتين الأخيرتين من هذه السورة لهما فضل عظيم .

ومن السور المخصصة بالفضيلة أيضا سورة الاخلاص ، وسورتا المعوذتين ، وغيرها [(٥)] .

آداب تلاوة القرآن الكريم :

بعد أن عرفنا ما تتضمنه تلاوة القرآن المجيد من بركات عظيمة وفضائل قيمة ، سأشير الآن إلى أهم الآداب المشروعة عند التلاوة ، حتى نتمكن من الحصول على بركاتها وفضائلها ، فيتم المقصود بإذن الله تعالى وتوفيقه ، ولئلا نحرم شيئا من ذلك .

---

(١) جاء في صحيح مسلم بعد نهاية هذا الحديث (قال معاوية – أحد رجال اسناد الحديث –: بلغني أن البطلة : السحرة) .

(٢) جزء من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٥٥٣/١ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة .

(٣) انظر صحيح مسلم ٥٣٩/١ كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد .

(٤) من المؤلفات الخاصة بهذه الآية ما نقله يوسف البدري عن تفسير السيوطي رحمه الله (الدر المنثور) بعنوان (آية الكرسي : معانيها وفضائلها) . مع التقديم والتعليق .

(٥) لمعرفة ما يتعلق بالسور والآيات الخاصة بالفضل انظر مثلا : كتاب شرح السنة للإمام البغوي ٤٤٤/٤ – ٤٨٠ ، تحفة الذاكرين للشوكاني ص ٢٦٣ – ٢٧٧ وسيأتي في المبحث التالي مزيد بيان .

إن من أهم الآداب في التلاوة : إخلاص النية لله عز وجل [١] ، كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ [٢] وتلاوة القرآن من العبادات الفاضلة ، كما تقدم .

وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى ... » [٣] .

قال الإمام النووي رحمه الله عند كلامه على آداب قاريء القرآن : « وينبغي أن لا يقصد به توصلا إلى غرض من أغراض الدنيا من مال أو رياسة أو وجاهة ، أو ارتفاع على أقرانه ، أو ثناء عند الناس ، أو صرف وجوه الناس إليه ، أو نحو ذلك ... » الخ [٤] .

ومن الآداب الهامة عند التلاوة : التدبر وحضور القلب والخشوع .

ولا شك أن من أهم المطالب أن يكون القاريء في حال قراءته متدبرا متفهما لما يقرأ ، لأن الله تعالى أنزل كتابه للتدبر والتذكر ، كما قال جل وعلا ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾ [٥] فالقاريء يدور مع القرآن الكريم حيث دار ، ائتمارا عند الأمر ، وانتهاء عند النهي ، وخوفا عند الخوف ، ورجاء عند الرجاء ، واستغفارا عند آيات الاستغفار ، واتعاظا عند آيات الوعظ ، واعتبارا عند آيات القصص ، واعتقادا وإيمانا في آيات الإيمان والعقيدة [٦] .

ولهذا درج السلف الصالح رضي الله عنهم على ذلك يتعلمون القرآن ، ويصدقون به ، ويطبقون أحكامه تطبيقا تاما عن عقيدة راسخة [٧] .

---

(١) من كتاب التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ١٥ بتصرف .

(٢) سورة البينة (٥) .

(٣) صحيح البخاري ٢/١ كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، وصحيح مسلم ١٥١٥/٣ كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ (إنما الأعمال بالنية) .

(٤) من كتاب التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ١٨ .

(٥) سورة ص (٢٩) .

(٦) من كتاب تلاوة القرآن المجيد : فضائلها ، آدابها ، خصائصها ، لعبد الله سراج الدين ص ٧٦ ، ٧٨ بتصرف .

(٧) من كتاب مجالس شهر رمضان لابن عثيمين ص ٥٤ .

وهناك آداب أخرى للتلاوة معروفة ومهمة ، كالترتيل وتحسين الصوت ، والاستعاذة في أول التلاوة ، وغير ذلك [١] .

فينبغي أن يحافظ المسلم على تلاوة كتاب الله الكريم بآدابها وأحكامها ، ليلا ونهارا ، سفرا وحضرا ، فهي آكد الأذكار [٢] ، وقد كانت لسلفنا الصالح رضي الله عنهم عادات حميدة في القدر الذي يختمون فيه [٣] ، تدل على مدى حرصهم على الاكثار من قراءة كتاب الله تعالى .

قال الإمام النووي بعدما ساق نماذج من المدد التي كان السلف يختم بها القرآن الكريم . قال رحمه الله تعالى : والمختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص ، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف ، فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم ما يقرأ ، وكذا من كان مشغولا بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ، ومصالح المسلمين العامة ، فليقتصر على قدر لا يحصل له بسببه إخلال بما هو مرصد له ، ومن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه ، من غير خروج إلى حد الملل أو الهذرمة في القراءة [٤] .

وهذا تفصيل جيد في رأيي .

وأحب هنا أن أنبه على خطر الإعراض عن تلاوة القرآن الكريم ، أو تعريضه أو بعض آياته للنسيان ، أو استبدال قراءة الصحف والمجلات ونحوها به ، لا سيما وقد تيسرت السبل الآن لتعلم القرآن الكريم وتعليمه والحمد لله ، وأن من لا يستطيع قراءته في المصحف لأي سبب فليستمع من غيره مباشرة ، أو من خلال الأشرطة المسجلة للقراء المنتشرة .

نسأل الله تعالى أن يرزقنا تلاوة القرآن الكريم حق تلاوته ، وأن يجعلنا ممن يقيم حدوده وحروفه ، وأن يوفقنا لنيل بركاته في الدنيا والآخرة إنه سميع مجيب .

---

(١) للمزيد من معرفة آداب التلاوة يرجع إلى كتاب التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي ، وكتاب التذكار في أفضل الأذكار للإمام القرطبي ، ونحوهما .

(٢) عقد ابن القيم رحمه الله في كتابه (الوابل الصيب ص ١٩٦ - ١٩٩) فصلا خاصا بالموازنة والمفاضلة بين قراءة القرآن والذكر والدعاء ، وهو مبحث نفيس .

(٣) الأذكار للنووي ص ٨٥ بتصرف .

(٤) المرجع السابق ص ٨٦ بتصرف .

المبحث الثالث

الرقية بذكر الله تعالى ، وبالقرآن الكريم

معنى الرقية :

جاء في كتاب (المصباح المنير) : رقيته أرقيه رقيا « من باب رمى » : عوّذته بالله ، والاسم « الرقيا » على « فعلى » والمرة « رقية » ، والجمع « رقى » [١] .

وفي كتاب (الصحاح) : تقول منه : استرقيته فرقاني رقية فهو راق [٢] . وعرّف ابن الأثير رحمه الله الرقية بقوله : « العُوذة التي يرقي بها صاحب الآفة ، كالحمى والصرع ، وغير ذلك من الآفات » [٣] .

حكم الرقية وشروطها :

تشرع الرقية بالقرآن الكريم ، أو بأسماء الله تعالى وصفاته ، أو بالأذكار المشروعة .

وقد أجمع العلماء على جواز الرقية – إذا كانت على الوجه المذكور آنفا – بشرط أن تكون باللسان العربي ، أو بما يعرف معناه من غيره ، وأن يعتقد أن الرقية سبب لا تأثير له إلا بتقدير الله تعالى [٤] .

---

(١) المصباح المنير للفيومي ٢٣٦/١ .

(٢) الصحاح للجوهري ٢٣٦١/٦ .

(٣) النهاية لابن الأثير ٢٥٤/٢ .

(٤) انظر شرح السنة للبغوي ١٥٩/١٢ ، فتح الباري لابن حجر ١٩٥/١٠ ، وانظر مجلة البحوث الإسلامية الصادرة في الرياض عدد ١٢ ص ١٠١ .

ومما يدل على جواز الرقية بشروطها قول الرسول ﷺ لما سئل عن الرق : « اعرضوا عليّ رقاكم ، لا بأس بالرق ، ما لم يكن فيه شرك »[١] أخرجه مسلم .

والرقى المنهي عنها الموصوفة بكونها شركا ، كما جاء في حديث « إن الرقى والتمائم[٢] والتِّولة[٣] شرك »[٤] هي ما تحتوي على الشرك بالله تعالى ، من دعاء غير الله ، أو الاستغاثة والاستعاذة به ، كالرقى بأسماء الملائكة أو الأنبياء ، أو الجن ، ونحو ذلك .

أما الرقى بالقرآن الكريم ، أو أسماء الله تعالى وصفاته ، ودعائه ، والاستعاذة به وحده لا شريك له فليست شركا ، بل ولا ممنوعة ، بل مستحبة[٥] أو جائزة[٦] .

---

(١) صحيح مسلم ١٧٢٧/٤ كتاب السلام ، باب لا بأس بالرق مالم يكن فيه شرك ، عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه .

(٢) التمائم جمع تميمة . وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين بزعمهم (من كتاب شرح السنة للبغوي ١٥٨/١٢ ، وكتاب النهاية لابن الأثير ١٩٧/١) وقال مؤلف تيسير العزيز الحميد : الصحيح أن ما علق لدفع العين وغيرها فهو تميمة من أي شيء كان (انظر ص ١١٢ ، ١١٣ من ذلك الكتاب) .

(٣) التولة : شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها ، والزوج إلى امرأته (كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٣٠) وهو ضرب من السحر (شرح السنة للبغوي ١٥٨/١٢) ، وانظر الترغيب والترهيب للمنذري ٣١٠/٤ .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ٢١٢/٤ كتاب الطب ، باب في التمائم ، وابن ماجه في سننه ١١٦٦/٢ كتاب الطب ، باب تعليق التمائم ، وابن حبان في صحيحه ٦٣٠/٧ كتاب الرق والتمائم ، والإمام أحمد في مسنده ٣٨١/١ ، والحاكم في المستدرك ٢١٧/٤ وقال حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، ورمز له السيوطي بأنه صحيح (الجامع الصغير ٨٠/١) .

وانظر للمزيد من معرفة تخريج هذا الحديث : كتاب النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد ص ٥٩ ، ٦٠ .

وقد روى الحديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، وفيه قصة .

(٥) قال الخطابي رحمه الله : ما كان من الرقي مفهوم المعنى ، وكان فيه ذكر الله تعالى فإنه مستحب متبرك به (معالم السنن للخطابي – شرح سنن أبي داود – ٢١٢/٤) وقال النووي رحمه الله : الرقى بآيات القرآن وبالأذكار المعروفة لا نهي فيه بل هو سنة (شرح النووي لصحيح مسلم ١٦٩/١٤) .

(٦) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ١٣٥ بتصرف .

وبما يدل على استحباب الرقية قوله عليه الصلاة والسلام لما سئل عن الرقى : « من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل » (١) .

ولا شك أن في رقيا المسلم أخاه إحسانا إليه ونفعا ظاهرا ، كما أن رقيته نفسه نافعة .

فتشرع الرقية الالهية لكل شكوى من الأمراض والآفات .

وأما حديث عمران بن حصين (٢) « لا رقية إلا من عين (٣) أو حُمة (٤) » (٥) فأجيب بأن معنى الحصر فيه أنهما أصل كل ما يحتاج إلى الرقية ، فيلتحق بالعين جواز رقية من به خبل أو مس ونحو ذلك ، لاشتراكها في كونها تنشأ عن أحوال شيطانية من إنسي أو جني ، ويلتحق بالسم كل ما عرض للبدن من قرح ونحوه من المواد السمية ، وقد وقع عند أبي داود في حديث أنس رضي الله عنه مثل حديث عمران وزيادة (أو دم) (٦) ، وفي صحيح مسلم عن أنس أيضا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٧٢٦/٤ كتاب السلام ، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة . عن جابر بن عبد الله عنه .

(٢) هو عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي أسلم عام خيبر وغزا مع رسول الله ﷺ عدة غزوات ، بعثة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى البصرة ليفقه أهلها ، وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم . توفي بالبصرة سنة ٥٢ هـ .

انظر أسد الغابة ٧٧٨/٣ ، الإصابة ٢٧/٣ ، تهذيب التهذيب ١٢٦/٨ .

(٣) العين : إصابة العائن غيره بعينه ، يقال للمصاب : معين . من كتاب النهاية لابن الأثير ٣٣٢/٣ ، ولمعرفة هدي النبي ﷺ في علاج المصاب بالعين . انظر كتاب الطب النبوي لابن القيم ص ١٢٧ - ١٣٦ .

(٤) الحمة : سم ذوات السموم ، وقد تسمى إبرة العقرب والزنبور حمة لأنها مجرى السم (معالم السنن للخطابي ٢١٣/٤) .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ٢١٣/٤ كتاب في الطب ، باب في التمائم ، والترمذي في سننه ٣٩٤/٤ كتاب الطب ، باب ما جاء في الرخصة في الرقية ، والإمام أحمد في مسنده ٤٣٦/٤ ، وأخرجه عن بريدة بن حصيب مرفوعا ابن ماجه في سننه ١١٦١/٢ كتاب الطب ، باب ما رخص فيه من الرقي ، وعن بريدة موقوفا الإمام مسلم في صحيحه ٩٩/١ كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ..

(٦) انظر سنن أبي داود ٢١٦/٤ كتاب الطب ، باب ما جاء في الرقي ، وقد أخرجه أيضا الحاكم في المستدرك ٤١٣/٤ وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

قال : « رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين والحمة والنملة [١] » [٢] ، ويدل على ذلك أيضا سائر أحاديث الرقى الخاصة والعامة [٣] .

وقيل : المراد بالحصر معنى الأفضل ، أي لا رقية أنفع وأولى منها في العين والحمة ، وليس المراد نفي جواز الرقية في غيرهما [٤] .

ولأجل أن تتضح صفة الرقية الشرعية وكيفيتها سأذكر الآن نماذج للرقى بذكر الله تعالى ، ثم للرقى بالقرآن الكريم ، استنادا على النصوص الصحيحة من السنة النبوية .

نماذج للرقية بذكر الله تعالى :

تقدم أن الرقية تشرع إذا كانت بأسماء الله تعالى وصفاته ، أو بدعائه ، أو بالاستعاذة به وحده لا شريك له ، وسأعرض نماذج للرقى بهذه الأمور .

فمن الأمثلة لرقية المريض الأحاديث الآتية :

ثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال : يا محمد اشتكيت ؟ فقال : (نعم) قال : « باسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك ، باسم الله أرقيك » [٥] .

وفي صحيح مسلم أيضا عن عثمان بن أبي العاص الثقفي [٦] رضي الله عنه

---

(١) النملة : قروح تخرج في الجنب (النهاية لابن الأثير ١٢٠/٥) سمي هذا الداء (نملة) لأن صاحبه يحس في مكانه كأن نملة تدب عليه وتعضه (الطب النبوي لابن القيم ص ١٤٤) .

(٢) صحيح مسلم ١٧٢٥/٤ كتاب السلام ، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة .

(٣) فتح الباري ١٩٦/١٠ بتصرف .

(٤) انظر المرجع السابق ١٩٦/١٠ ، وانظر شرح السنة للبغوي ١٦٢/١٢ ، الطب النبوي لابن القيم ص ١٣٧ .

(٥) صحيح مسلم ١٧١٨/٤ كتاب السلام ، باب الطب والمرض والرقى .

(٦) هو عثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي أبو عبد الله ، وفد على رسول الله ﷺ مع وفد =

أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعا يجده في جسده منذ أسلم ، فقال له رسول الله ﷺ : « ضع يدك على الذي تألم من جسدك ، وقل : باسم الله ، ثلاثا ، وقل سبع مرات : أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » (١) وفي بعض السنن زيادة « قال : ففعلت ذلك ، فأذهب الله عز وجل ما كان بي ، فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم » (٢) .

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعوّذ بعض أهله : يمسح بيده اليمنى ويقول : « اللهم رب الناس ، أذهب الباس (٣) واشفه وأنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سَقَما » (٤) .

وفي الصحيحين أيضا عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى الانسان الشيء منه ، أو كانت به قرحة أو جرح ، قال النبي ﷺ بأصبعه هكذا – ووضع سفيان (٥) سبابته بالأرض ثم رفعها – « باسم الله ، تربة أرضنا (٦) ، بريقة بعضنا (٧) ، يشفى به سقيمنا ، بإذن ربنا » (٨) .

= ثقيف فأسلم ، واستعمله الرسول ﷺ على الطائف وأقره أبو بكر ثم عمر ثم استعمله عمر على عمان والبحرين ثم سكن البصرة حتى مات بها في خلافة معاوية .

انظر أسد الغابة ٤٧٥/٣ ، الاصابة ٤٥٣/٢ ، تهذيب التهذيب ١٢٨/٧ .

(١) صحيح مسلم ١٧٢٨/٤ كتاب السلام ، باب استحباب وضع يده على موضع الالم مع الدعاء .

(٢) سنن أبي داود ٢١٧/٤ كتاب الطب ، باب كيف الرق ، وسنن الترمذي ٤٠٨/٤ كتاب الطب ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٣) الباس أصله بالهمز فحذفت الهمزة للمؤاخاة ، والبأس : الشدة والعذاب ، من كتاب عمدة القاري للعيني ٢٦٨/٢١ .

(٤) صحيح البخاري ٢٤/٧ كتاب الطب ، باب رقية النبي ﷺ ، وصحيح مسلم ١٧٢٢/٤ كتاب السلام ، باب استحباب رقية المريض ، واللفظ للبخاري .

(٥) هو سفيان بن عيينة – كما صرح به في الروايات الأخرى للحديث – وهو الإمام المشهور رحمه الله تعالى .

(٦) قال جمهور العلماء : المراد بأرضنا هنا جملة الأرض ، وقيل : أرض المدينة خاصة لبركتها . من كتاب شرح النووي لصحيح مسلم ١٨٤/١٤ .

(٧) قال النووي رحمه الله : الريقة أقل من الريق ، ومعنى الحديث : أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة ، ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء ، فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل ، ويقول هذا الكلام في حال المسح ، والله أعلم . المرجع السابق ١٨٤/١٤ .

(٨) صحيح البخاري ٢٤/٧ كتاب الطب ، باب رقية النبي ﷺ ، وصحيح مسلم ١٧٢٤/٤ ، كتاب السلام ، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة ، واللفظ لمسلم .

ومن التعوذات المشروعة النافعة بإذن الله تعالى : الاستعاذة بالله عز وجل والالتجاء به من الشيطان الرجيم في كثير من الأحوال ، ومنها عند قراءة القرآن الكريم ، وعند الوسوسة ، وعند الغضب ، وعند دخول الخلاء ، وعند الجماع وغير ذلك .

وقد أمرنا الله تعالى بالاستعاذة به من الشيطان ، وأرشدنا رسوله عليه الصلاة والسلام إلى ذلك بعدة صيغ .

وقد تقدم (في المبحث الأول) عند بيان فضائل وبركات ذكر الله عز وجل ، أنه حصن منيع من الشياطين وشرورهم .

كما تشرع الاستعاذة بالله وحده من شرور المخلوقات عامة وخاصة .

فمثال الأول ما ثبت في صحيح مسلم عن خولة بنت حكيم السلمية [١] أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من نزل منزلا ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات ، من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » [٢] .

ومثال الثاني الاستعاذة بالله تعالى من شر الرؤيا المكروهة ، كما في الصحيحين عن أبي سلمة [٣] رضي الله عنه قال : سمعت أبا قتادة [٤] رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الرؤيا من الله ، والحلم من الشيطان ، فإذا رأى أحدكم شيئا يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات ، وليتعوذ بالله من شرها ، فإنها لن

---

(١) هي خولة بنت حكيم بن أمية السلمية امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه قال بعضهم إنها هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ ، وكانت امرأة صالحة .

انظر أسد الغابة ٩٣/٦ ، الإصابة ٢٨٣/٤ ، تهذيب التهذيب ٤١٥/١٢ .

(٢) صحيح مسلم ٢٠٨٠/٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره .

(٣) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني التابعي الحافظ ، قيل اسمه عبد الله وقيل اسماعيل وقيل اسمه كنيته . كان من كبار أئمة التابعين غزير العلم ثقة عالما . توفي سنة ٩٤ هـ وقيل ١٠٤ هـ .

انظر سير أعلام النبلاء ٢٨٧/٤ ، تذكرة الحفاظ ٦٣/١ ، تهذيب التهذيب ١١٥/١٢ .

(٤) هو أبو قتادة بن ربعي الأنصاري ، تقدمت ترجمته ص ١٥٠ .

تضره » قال أبو سلمة : « إن كنت لأرى الرؤيا أثقل عليّ من جبل : فما هو إلا أن سمعت بهذا الحديث ، فما أباليها » [١] .

ونحو ذلك من التعوذات النبوية المأثورة [٢] .

والاستعاذة من أنواع العبادة ، فلا تصرف إلا لله وحده لا شريك له .

نماذج للرقية بالقرآن الكريم :

سأعرض نماذج للرقى ببعض سور القرآن الكريم أو آياته - التي فعلها الرسول ﷺ ، أو أذن فيها ، أو أرشد إليها بقوله عليه الصلاة والسلام . فمن ذلك ما يأتي :

١ - الرقية بفاتحة الكتاب :

في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يَقروهم ، فبينما هم كذلك إذ لُدغ سيد أولئك ، فقالوا : هل معكم من دواء أو راق ، فقالوا : إنكم لم تَقرونا ، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعلا ، فجعلوا لهم قطيعا من الشاء ، فجعل يقرأ بأم القرآن ، ويجمع بزاقه ويتفل ، فبرأ ، فأتوا بالشاء ، فقالوا : لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ ، فسألوه ، فضحك وقال : « وما أدراك أنها رقية ، خذوها واضربوا لي بسهم » [٣] .

قال ابن القيم رحمه الله : « تضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللديغ بقراءة الفاتحة عليه ، فأغنته عن الدواء ، وربما بلغت من شفائه ما لم يبلغه الدواء ،

---

(١) صحيح البخاري ٢٤/٧ كتاب الطب ، باب النفث في الرقية ، وصحيح مسلم ١٧٧١/٤ كتاب الرؤيا ، واللفظ لمسلم .

(٢) راجع إن شئت صحيح البخاري ١٥٧/٧ - ١٦١ كتاب الدعوات ، صحيح مسلم ٢٠٧٨/٤ - ٢٠٨٩ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار .

(٣) صحيح البخاري ٢٢/٧ كتاب الطب ، باب الرقى بفاتحة الكتاب ، وصحيح مسلم ١٧٢٧/٤ كتاب السلام ، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار ، واللفظ للبخاري .

هذا مع كون المحل غير قابل ، إما لكون هؤلاء الحي غير مسلمين ، أو أهل بخل ولؤم ، فكيف إذا كان المحل قابلا » [١] .

وفي موضع آخر لما ذكر خواص هذه السورة المباركة قال رحمه الله : « وحقيق بسورة هذا بعض شأنها : أن يستشفى بها من الأدواء ، ويرقى بها اللديغ » ثم قال : « وبالجملة ، فما تضمنته الفاتحة : من إخلاص العبودية ، والثناء على الله ، وتفويض الأمر كله إليه ، والاستعانة به والتوكل عليه ، وسؤاله مجامع النعم كلها ، وهي الهداية التي تجلب النعم ، وتدفع النقم ، من أعظم الأدوية الشافية الكافية » [٢] .

ويحكي لنا ابن القيم رحمه الله تجربته الناجحة بالاستشفاء بسورة الفاتحة قائلا : « وأما شهادة التجارب بذلك فهي أكثر من أن تذكر ، وذلك في كل زمان ، وقد جربت أنا من ذلك في نفسي وفي غيري أمورا عجيبة ، ولا سيما مدة المقام بمكة ، فإنه كان يعرض لي آلام مزعجة ، بحيث تكاد تقطع الحركة مني ، وذلك في أثناء الطواف وغيره ، فأبادر إلى قراءة الفاتحة وأمسح بها على محل الألم ، فكأنه حصاة تسقط ، جربت ذلك مرارا عديدة » [٣] .

٢ – الرقية بالمعوّذات :

في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها « أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ، ومسح عنه بيده ، فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث ، وأمسح بيد النبي ﷺ عنه » [٤] .

وفي رواية لمسلم « كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات ... » [٥] .

---

(١) مدارج السالكين ٥٥/١ .

(٢) الطب النبوي ص ١٣٩ .

(٣) مدارج السالكين ٥٧/١ ، ٥٨ .

(٤) صحيح البخاري ١٣٩/٥ كتاب المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، صحيح مسلم ١٧٢٣/٤ كتاب السلام ، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث ، واللفظ للبخاري .

(٥) صحيح مسلم ١٧٢٣/٤ .

والمراد بالمعوذات سورة الفلق وسورة الناس ، والجمع باعتبار أن أقل الجمع اثنان ، أو باعتبار أن المراد الكلمات التي يقع التعوذ بها من السورتين ، ويحتمل أن المراد بالمعوّذات هاتان السورتان مع سورة الإخلاص [١] ، وأطلق ذلك تغليبا [٢] .

٣ – الرقية ببعض الآيات الكريمة :

منها آية الكرسي ، فقد ثبت في صحيح البخاري أن من قرأها لا يزال معه من الله حافظ ، ولا يَقرَبُه شيطان حتى يصبح [٣] .

ولهذه الآية المباركة شأن عظيم في الاحتراز من الشياطين ودفع أذاهم وشرورهم .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « جرّب المجربون – الذين لا يحصون كثرة – أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته ، فإن لها تأثيرا عظيما في دفع الشيطان عن نفس الانسان وعن المصروع ، وعن من تعينه الشياطين ، مثل أهل الظلم والغضب ، وأهل الشهوة والطرب ، وأرباب السماع والمكاء [٤] والتصدية [٥] ، إذا قرئت عليهم بصدق دفعت الشياطين ، وبطلت الأمور التي يخيلها الشيطان » [٦] الخ .

ومنها الآيتان من آخر سورة البقرة ، فقد ثبت في الصحيحين عن أبي مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه » [٧] .

---

(١) جاء في رواية أخرى للحديث في صحيح البخاري أن الرسول ﷺ نفث في كفيه بقل هو الله أحد وبالمعوذتين جميعا . انظر صحيح البخاري ٢٥/٧ كتاب الطب ، باب النفث في الرقية .

(٢) فتح الباري ١٣١/٨ ، ١٣٢ بتصرف .

(٣) انظر صحيح البخاري ١٠٤/٦ كتاب فضائل القرآن ، باب فضل البقرة ، وفي الحديث قصة لراويه أبو هريرة رضي الله عنه .

(٤) المكاء : الصفير (الصحاح للجوهري ٢٤٩٥/٦) .

(٥) التصدية : التصفيق (الصحاح للجوهري ٢٣٩٩/٦) .

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥٥/١٩ .

(٧) صحيح البخاري ١٠٤/٦ كتاب فضائل القرآن باب فضل البقرة ، وصحيح مسلم ٥٥٥/١ كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة ، واللفظ للبخاري .

وأما معنى (كفتاه) فقد قال النووي رحمه الله : « قيل معناه : كفتاه من قيام الليل ، وقيل من الشيطان ، وقيل من الآفات ، ويحتمل من الجميع » [١] .

وقد تقدم قريبا في بيان فضل سورة البقرة : أن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه ، وأنها لا يستطيعها البطلة ، وهم السحرة .

وما ذكرته من الاستشفاء بسور القرآن الكريم وآياته هو من البركات الدنيوية للقرآن الكريم وقراءته ، كما قال تعالى ﴿ وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ [٢] وقال ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ﴾ [٣] .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : « فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية ، وأدواء الدنيا والآخرة ، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به ، وإذا أحسن العليل التداوي به ، ووضعه على دائه بصدق وإيمان ، وقبول تام ، واعتقاد جازم ، واستيفاء شروطه لم يقاومه الداء أبدا » .

ثم يقول موضحا الأثر العظيم للقرآن : « وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء ، الذي لو نزل على الجبال لصدعها ، أو على الأرض لقطعها ؟ فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه ، لمن رزقه الله فهما في كتابه » [٤] اهـ .

وهكذا فإن الرقية بذكر الله عز وجل أو بكتابه الكريم من أعظم أسباب العلاج والشفاء للكثير من الأمراض الحسية والمعنوية ، ومن الآفات النازلة بالناس ، بل إنها من أسباب الوقاية أيضا وحفظ الصحة [٥] ، لكن أثرها يتناسب مع قوة إيمان الراقي وضعفه ، كما ذكر ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى عن شأن الدعوات والعوذ أنها بحسب قوة إيمان قائلها ، وقوة نفسه واستعداده ، وقوة توكله وثبات قلبه ، وأنها سلاح ، والسلاح بضاربه [٦] .

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ٩١/٦ ، ٩٢ ، وانظر فتح الباري لابن حجر ٥٦/٩ .
(٢) سورة الاسراء (٨٢) .
(٣) سورة فصلت (٤٢) .
(٤) الطب النبوي لابن القيم ص ٢٧٢ .
(٥) تقدم نماذج لهذا مثل بعض أحوال الاستعاذة ، وقراءة آية الكرسي احترازا من شرور الشياطين وغير ذلك .
(٦) الطب النبوي لابن القيم ص ١٣٣ بتصرف .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في موضع آخر مبينا منافع الرقى الشرعية ، وتميزها عن الأدوية الأخرى :

« اعلم أن الأدوية الالهية تنفع من الداء بعد حصوله ، وتمنع من وقوعه ، وإن وقع : لم يقع وقوعا مضرا وإن كان مؤذيا ، والأدوية الطبيعية إنما تنفع بعد حصول الداء ، فالتعوذات والأذكار : إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب ، وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها ، بحسب كمال المتعوذ وقوته وضعفه ، فالرقى والعوذ تستعمل لحفظ الصحة ، ولإزالة المرض » (١) .

ومع هذا النفع العظيم والبركة الظاهرة لهذه الرقى الشرعية إلا أن الكثير من المسلمين اليوم – للأسف – قد غفل عن الانتفاع بها ، مع أنه لو لم يكن فيها إلا فضل الالتجاء إلى الله تعالى والاستعانة به ، وصرف عبادة الدعاء له وحده ، وفضل تلاوة كتابه الكريم ، والاقتداء برسوله ﷺ في فعل الرقى – لكفى هذا فقط انتفاعا ومصلحة .

أحكام مهمة :-

سأذكر فيما يأتي أحكام مسائل مهمة تتعلق بهذا المبحث ، و لتمام الفائدة .

١ – حكم قراءة القرآن في الماء ثم صبه على المريض :

إذا كانت الرقية بالقرآن الكريم أو الأذكار الصحيحة مشروعة للمريض وشبهه – على نحو ما تقدم – سواء كانت الرقية من المصاب لنفسه ، أو من غيره – فهل يجوز أيضا قراءة شيء من القرآن الكريم في الماء ، ثم يصب على المريض أو يشربه تبركا واستشفاء ؟

جاء في سنن أبي داود وصحيح ابن حبان أن الرسول ﷺ قرأ في ماء لثابت ابن قيس بن شماس رضي الله عنه ، وكان مريضا ، ثم صبه عليه (٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٢) سنن أبي داود ٢١٤/٤ كتاب الطب ، باب ماجاء في الرقى ، وصحيح ابن حبان ٦٢٣/٧ كتاب الطب ، ذكر الخبر المدحض قول من نفى جواز اتخاذ النشرة للأعلاء . واسناد الحديث صحيح .

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت لا ترى بأسا أن يُعوذ في الماء ، ثم يُصب على المريض [١] ، وأنها كانت تقرأ بالمعوذتين في إناء ثم تأمر أن يصب على المريض [٢] .

ووصف ابن القيم رحمه الله رقياه بالفاتحة قائلا : « كنت أتعالج بها ، آخذ شربة من ماء زمزم ، وأقرؤها عليها مرارا ، ثم أشربه ، فوجدت بذلك البرء التام ، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع ، فأنتفع بها غاية الانتفاع » [٣] .

ونص على جواز ذلك سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله بقوله : « ... وكذلك الرقية في الماء لا بأس بها ، وذلك بأن يقرأ في الماء ويشربه المريض ، أو يُصب عليه ، فقد فعل ذلك النبي ﷺ .. وكان السلف يفعلون ذلك ، فلا بأس به » [٤] .

وبهذا يتبين لنا جواز ذلك الفعل ، والله تعالى أعلم .

٢ - حكم كتابة القرآن أو الذكر في إناء ثم شربه :-

أي هل يجوز كتابة شيء من القرآن الكريم أو الذكر المشروع في إناء ، ثم يغسل ويسقى المريض للتبرك والاستشفاء ؟ .

اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في حكم ذلك : فقال جماعة من السلف لا بأس به [٥] ، وكرهه بعضهم [٦] .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في كتابه المصنف في الأحاديث والآثار ٣٨٦/٧ .

(٢) تفسير القرطبي ٣١٨/١٠ .

(٣) زاد المعاد ١٧٨/٤ .

(٤) من مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز ٥٢/١ .

(٥) ومن هؤلاء مجاهد وأبو قلابة (انظر : المصنف لابن أبي شيبة ٣٨٦/٧) والحسن والأوزاعي (التبيان للنووي ص ١٢٧) وانظر شرح السنة للبغوي ١٦٦/١٢ .

(٦) ومن هؤلاء النخعي وابن سيرين . من كتاب شرح السنة للبغوي ١٦٦/١٢ ، وانظر المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة ٣٨٧/٧ .

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أمر أن يكتب لامرأة تعسر عليها ولادتها آيتين من القرآن وكلمات ، ثم يُغسل وتُسقى [١] .

وروي أن أبا قلابة [٢] رحمه الله كتب كتابا من القرآن ، ثم غسله بماء وسقاه رجلا كان به وجع [٣] .

وممن أفتى بجواز ذلك من العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال : « ويجوز أن يُكتب للمصاب وغيره من المرضى شيء من كتاب الله وذكره ، بالمداد المباح ، ويُغسل ويُسقى ، كما نص على ذلك أحمد وغيره » [٤] .

ثم استشهد على هذا بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عند عسر الولادة على المرأة .

ثم ذكر عن عبد الله بن أحمد [٥] رحمه الله أنه قال : « رأيت أبي يكتب للمرأة في جام [٦] أو شيء نظيف » [٧] .

---

(١) انظر المنصف لابن أبي شيبة ٣٨٥/٧ ، عمل اليوم والليلة لابن السني ص ٢٣١ ، وراجع أيضا مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٦٤/١٩ ، ٦٥ .

(٢) هو عبد الله بن زيد بن عمرو أبو قلابة البصري أحد الأعلام كان ثقة كثير الحديث ، أريد على القضاء بالبصرة فهرب إلى الشام ومات بها سنة ١٠٦ هـ وقيل غير ذلك .

انظر حلية الأولياء ٢٨٢/٢ ، تذكرة الحفاظ ٩٤/١ ، تهذيب التهذيب ٢٢٤/٥ ، الأعلام ٨٨/٤ .

(٣) شرح السنة للبغوي ١٦٦/١٢ ، وانظر ما جاء في كتاب تيسير العزيز الحميد ص ٣٦٨ عن النشرة الجائزة لحل السحر عن المسحور .

(٤) مجموع الفتاوى ٦٤/١٩ ، وانظر كتاب الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح ٤٥٥/٢ ، ٤٥٦ .

(٥) هو عبد الله بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الرحمن الشيباني البغدادي الإمام الحافظ محدث العراق . روى عن أبيه شيئا كثيرا من جملته (المسند) كله ، والزهد . وكان ثقة ثبتا فهما . توفي سنة ٢٩٠ هـ . انظر تاريخ بغداد ٣٧٥/٩ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١٨٠/١ ، سير أعلام النبلاء ٥١٦/١٣ ، تذكرة الحفاظ ٦٦٥/٢ ، شذرات الذهب ٢٠٣/٢ .

(٦) الجام : اناء للشراب والطعام من فضة أو نحوها ، وهي مؤنثة ، ومن الألفاظ المعربة ، وقد غلب استعمالها في قدح الشراب . من كتاب المعجم الوسيط لجماعة من العلماء ١٤٩/١ .

(٧) انظر مجموع الفتاوى ٦٤/١٩ ، ٦٥ .

وفي موضع آخر علق ابن تيمية رحمه الله على فعل ابن عباس هذا بقوله : « وهذا يقتضي أن لذلك بركة » [١] .

وكذلك فقد أشار ابن القيم رحمه الله إلى أن هذا رأي لجماعة من السلف ، موردا شيئا من أقوالهم ، وذلك في معرض سياقه علاج المصاب بالعين [٢] . وممن أفتى بجواز ذلك من المتأخرين سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ، فقد قال إجابة عن سؤال في هذه المسألة : « لا يظهر في جواز ذلك بأس » ثم ساق كلام ابن القيم - المشار إليه آنفا - [٣] .

وكذا سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز وفقه الله ، فقد أفتى أنه لا حرج في ذلك إذا كان القائم به من المعروفين بالخير والاستقامة [٤] .

وعلى أي حال ، فالذي يظهر لي أن الأولى ترك هذا العمل ، والاكتفاء بالرقية الشرعية المباشرة ، فعليها عمل الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم كما سلف بيانه مفصلا .

وهذا ما أفتى به أعضاء اللجنة الدائمة للبحوث والافتاء في هذه البلاد ، في معرض إجابتهم عن سؤال حول هذه المسألة .

وهذا نص الإجابة « .. أما كتابة سورة أو آيات من القرآن في لوح أو طين أو قرطاس ، وغسله بماء أو زعفران أو غيرهما ، وشرب تلك الغسالة رجاء بركة ، أو استفادة علم ، أو كسب مال أو صحة وعافية ونحو ذلك ، فلم نعلم عن النبي ﷺ أنه فعله لنفسه أو غيره ، ولا أنه أذن فيه لأحد من الصحابة ، أو رخص فيه

---

(١) المرجع السابق ٥٩٩/١٢ .

(٢) انظر الطب النبوي لابن القيم ص ١٣٣ - ١٣٤ ، وانظر أيضا ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ فقد ذكر نماذج لما يكتب لبعض الأمراض .

(٣) انظر فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ٩٤/١ .

(٤) انظر مجلة الدعوة الصادرة في الرياض عدد ٩٩٧ في ١٣ شوال عام ١٤٠٥ هـ ص ٢٧ .

لأمته ، مع وجود الدواعي التي تدعو إلى ذلك ، ولم يثبت في أثر صحيح – فيما علمنا – عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أنه فعل ذلك أو رخص فيه [١] .

وعلى هذا فالأولى تركه ، وأن يستغنى عنه بما ثبت في الشريعة من الرقية بالقرآن وأسماء الله الحسنى ، وما صح من الأذكار والأدعية النبوية ونحوها – مما يعرف معناه ولا شائبة للشرك فيه – وليتقرب إلى الله بما شرع رجاء للمثوبة ، وأن يفرج الله كربته ، ويكشف غمته ، ويرزقه العلم النافع ، ففي ذلك الكفاية ، ومن استغنى بما شرع الله أغناه الله عما سواه ، والله الموفق » [٢] .

٣ – حكم كتابة آيات القرآن على عضو المريض :–

أي هل يجوز أن يكتب بعض آيات القرآن الكريم . على عضو المريض الذي أصابه وجع ، تبركا بالقرآن الكريم واستشفاء .

لقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى ما يفيد جواز ذلك ، وأن شيخه ابن تيمية رحمه الله تعالى قد فعله بنفسه ولغيره .

فقد قال عما يكتب لمرض الرعاف مثلا : « كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يكتب على جبهته ﴿ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر ﴾ [٣] وسمعته يقول : كتبتها لغير واحد فبرأ . وقال : ولا يجوز كتابتها بدم الراعف ، كما يفعله الجهال ، فإن الدم نجس ، فلا يجوز أن يكتب به كلام الله تعالى » [٤] .

---

(١) نصت اللجنة في إجابة أخرى على أن ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك لم يصح عنه (انظر مجلة البحوث الإسلامية الصادرة في الرياض عدد ٢١ عام ١٤٠٨ هـ ص ٤٦ – ٤٨) .
وعند مراجعة أثر ابن عباس تبين أن في سنده ابن أبي ليلى ، وهو صدوق سيء الحفظ جدا ، كما في تقريب التهذيب لابن حجر ١٨٤/٢ ، وفيه أيضا الحكم بن عتيبة قد عنعن ، وقال عنه ابن حجر : ربما دلس . انظر تقريب التهذيب ١٩٢/١ .

(٢) مجلة البحوث الإسلامية عدد ١٢ عام ١٤٠٥ هـ ص ١٠٢ .

(٣) سورة هود (٤٤) .

(٤) زاد المعاد لابن القيم ٣٥٨/٤ .

ثم أورد ابن القيم رحمه الله نماذج لما يكتب من الآيات على الأعضاء المريضة ، لبعض الأوجاع [١] .

والملاحظ أن ابن القيم رحمه الله لم يذكر دليلاً على الجواز لا من الكتاب ولا من السنة ولا فعل السلف سوى ما ذكره عن شيخه رحمه الله .

لذا فإن الذي أراه فى هذه المسألة أنها كالمسألة السابقة ، فالأولى ترك ذلك الفعل ، والاقتصار على الرقية الشرعية الثابتة .

٤ - حكم تعليق التمائم من القرآن أو الأذكار للتبرك :-

التمائم : جمع تميمة ، وهي ما يعلق على المرضى أو الأطفال أو البهائم ، لدفع العين أو غيرها من الآفات بأى شيء كان [٢] .

وحكم تعليق التمائم أو الحروز - إذا لم تكن من القرآن أو الأذكار - حرام ، بل هو من أنواع الشرك . ويدل على ذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه « إن الرقى والتمائم والتولة شرك » [٣] وحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه « من علق تميمة فقد أشرك » [٤] ونحو ذلك من الأحاديث .

وإنما جعلها شركا ، لأنهم أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة عليهم ، فطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه [٥] .

---

(١) المرجع السابق ٣٥٨/٤ ، ٣٥٩ .

(٢) النهاية لابن الأثير ١٩٧/١ ، تفسير القرطبي ٣١٩/١٠ ، تيسير العزيز الحميد ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٣) تقدم تخريجه ص ٢٢٢ .

(٤) أخرج هذا الحديث الإمام أحمد ١٥٦/٤ ، وقال المنذري : رواة أحمد ثقات (الترغيب والترهيب ٣٠٧/٤) وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢١٩/٤ ، وقال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات (مجمع الزوائد للهيثمي ١٠٣/٥) . وللحديث قصة هي أن الرسول ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد فقالوا : يارسول الله بايعت تسعة وتركت هذا . فقال : إن عليه تميمة ، فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال : (من علق تميمة فقد أشرك) .

(٥) النهاية لابن الأثير ١٩٨/١ .

لكن إذا كان المعلق من القرآن الكريم أو الأدعية المباحة تبركا واستشفاء ، فقد اختلف العلماء في حكمه .

جاء في كتاب تيسير العزيز الحميد : اعلم أن العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته .

فقلت طائفة : يجوز ذلك [١] ، وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره [٢] ، وهو ظاهر ما روي عن عائشة [٣] ، وبه قال أحمد [٤] في رواية .

وحملوا الحديث على التمائم الشركية ، أما التي فيها القرآن وأسماء الله وصفاته ، فكالرقية بذلك .

وقالت طائفة : لا يجوز ذلك ، وبه قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما ، وبه قال جماعة من التابعين ، منهم أصحاب ابن مسعود [٥] ، وأحمد [٦] في رواية اختارها كثير من أصحابه ، وجزم بها المتأخرون .

واحتجوا بهذا الحديث [٧] ، وما في معناه [٨] ، فإن ظاهره العموم ، لم يفرق بين التي في القرآن وغيرها ، بخلاف الرقى ، فقد فرق [٩] فيها ، ويؤيد ذلك أن الصحابة الذين رووا الحديث فهموا العموم كما تقدم عن ابن مسعود . [١٠] . اهـ .

وذكر هؤلاء أيضا وجهين لعدم جواز ذلك :

---

(١) اشترط بعض هؤلاء أن يكون التعليق بعد نزول البلاء . انظر تفسير القرطبي ٣١٩/١٠ ، ٣٢٠ .

(٢) انظر المصنف لابن أبي شيبة ٣٩٦/٧ - ٣٩٨ باب من رخص في تعليق التعاويذ .

(٣) لعل المقصود بهذا ما رواه الحاكم في المستدرك ٤١٨/٤ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (التمائم ما علق قبل نزول البلاء ، وما علق بعده فليس بتميمة) .

(٤) انظر الآداب الشرعية لابن مفلح ٤٦٠/٢ .

(٥) انظر المصنف لابن أبي شيبة ٣٧٣/٧ ، ٣٧٤ .

(٦) انظر الآداب الشرعية ٤٥٩/٢ .

(٧) أي حديث (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) .

(٨) كحديث (من علق تميمة فقد أشرك) .

(٩) أي ورد ما يبيح الرقية الشرعية بالقرآن والأدعية ، بخلاف التمائم .

(١٠) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ١٣٧ باختصار .

أحدهما : سد الذريعة ، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك [١] .

وفي هذا يقول الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي [٢] رحمه الله : « ولا شك أن منع ذلك أسد لذريعة الاعتقاد المحظور ، لا سيما فى زماننا هذا ، فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة ... والايمان في قلوبهم أكبر من الجبال ، فلأن يكره في وقتنا هذا – وقت الفتن والمحن – أولى وأجدر بذلك ، كيف وهم قد توصلوا بهذه الرخص إلى محض المحرمات ، وجعلوها حيلة ووسيلة إليها ، فمن ذلك أنهم يكتبون في التعاويذ آية أو سورة أو بسملة أو نحو ذلك ، ثم يضعون تحتها من الطلاسم الشيطانية ما لا يعرفه إلا من اطلع على كتبهم ، ومنها أنهم يصرفون قلوب العامة عن التوكل على الله عز وجل إلى أن تتعلق قلوبهم بما كتبوه [٣] .. » الخ .

والثاني : صون القرآن عن إهانته ، إذ قد يحمل غالبا على غير طهارة ، أو حال قضاء الحاجة [٤] .

يقول سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في معرض كلامه عن التمائم وأعمال أصحابها : « ثم ههنا شؤم يقعون فيه ، وهو أنهم بعض الأحيان يتخذون مصحفا صغيرا تميمة ، فيدخلون به المحال القذرة ، فيجعلون المصحف كالأمتعة ،

---

(١) فتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٩٦ .

(٢) هو حافظ بن أحمد بن علي الحكمي العالم المحقق بدأ في طلب العلم صغيرا وختم القرآن في الثانية عشرة من عمره ، وتلقى أكثر علومه على الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي ، وقال عنه شيخه : لم يكن له نظير في التحصيل والتأليف والتعليم والادارة . وقد عين مديرا للمعهد العلمي بسامطة – إحدى مدن منطقة جازان – سنة ١٣٧٤ هـ ، وهو يجيد قول الشعر وكتابه النثر معا ، له عدة مؤلفات في علوم مختلفة . منها : معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد ، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ، اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون ، وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول ، منظومة في أصول الفقه . توفي بمكة في حج عام ١٣٧٧ هـ .

انظر كتاب مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٤٤١ ، الأعلام ١٥٩/٢ .

(٣) معارج القبول لحافظ الحكمي ٣٨٢/١ .

(٤) من كتاب أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة لحافظ الحكمي ص ١٣٥ ، وانظر المجيد ص ٩٦ .

وكفى بهذا القول [١] ضعفا أن يكون من فروعه اتخاذ مصحف يعلق في الرقبة ، ويعلقه الجنب والحائض » [٢] .

وبناء على ما تقدم ، فإن القول بمنع تعليق التمائم المذكورة هو الأقرب ، وهو الأحوط – والله أعلم – ويستغنى عن ذلك بالرقية الشرعية الثابتة .

٥ – حكم كتابة أو تعليق الآيات أو الأذكار على الجدران ونحوها للتبرك :–

لقد نص جماعة من علماء السلف رحمهم الله – عند كلامهم على الآداب الخاصة بالقرآن الكريم – على كراهة كتابة القرآن الكريم على الجدران ، في المساجد وغيرها ، أو على الثياب ونحوها [٣] ، على سبيل الاطلاق ، ولم يستثنوا ما كان من ذلك للتبرك .

وبناء على هذا فإن كتابة آيات القرآن الكريم على الجدران ونحوها ، أو كتابتها على أوراق أو ألواح أو أوان ونحوها ، ثم تعلق لقصد التبرك بجلب خير أو دفع ضر ، فإن هذا التبرك بالقرآن على هذا الوجه ليس مشروعا بل هو أمر مبتدع ، ومخالف لهدي الرسول ﷺ ، وهدي الصحابة ، وأئمة السلف رضي الله عنهم [٤] .

وكذا إذا كان هذا المكتوب أو المعلق من الأذكار الشرعية – كالأحاديث النبوية ، أو أسماء الله تعالى وصفاته – لقصد التبرك بها ، فهذا لا ينبغي أيضا [٥] .

---

(١) يقصد قول المجيزين للتمائم من القرآن الكريم .

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ٩٩/١ .

(٣) انظر الكتب الآتية :

شرح السنة للبغوي ٥٢٩/٤ ، الحوادث والبدع للطرطوشي ص ١٠١ ، المغني لابن قدامة ٩/٧ ، ١٠ ، التذكار للقرطبي ص ١٢٠ ، التبيان للنووي ص ١٢٧ ، تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين لابن النحاس ص ٢٦٤ .

(٤) باختصار من جواب اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء في هذه البلاد عن سؤال حول حكم تعليق آيات القرآن على الجدران .

وانظر أيضا خطبة للشيخ محمد بن صالح العثيمين حول هذا الموضوع ، وقد طبعا معا في رسالة مستقلة في ثماني صفحات ، وقد عمم فيهما حكم منع التعليق لأي غرض كان .

(٥) انظر جواب اللجنة الدائمة للبحوث والافتاء ، الآنف الذكر في الهامش الماضي .

وقد نص بعض العلماء على كراهة كتابة ذكر الله تعالى على الجدران والثياب ونحوها [١] . وإذا كان التبرك بالقرآن الكريم على هذا الوجه غير مشروع كما سلف ، فإن التبرك بالأذكار غير مشروع من باب أولى ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

٦ - حكم وضع المصحف في مكان للتبرك :-

أي أن يوضع المصحف الشريف - كبيرا كان أو خفيفا - في موضع ما للتبرك بالقرآن الكريم لجلب خير أو دفع آفة ، مثل وضعه داخل السيارة أو الطائرة ونحوهما لمنع الحوادث ، أو طرد الشيطان ، أو دفع العين ، ونحو ذلك .

أو أن يوضع المصحف عند واجهة المتجر مثلا تبركا به لاستجلاب الرزق ، ونحو ذلك من المواضع الأخرى [٢] .

وهذه الأعمال منتشرة في بعض البلدان الإسلامية ، وقد رأيتها بنفسي [٣] ، بل قد رأيت المصاحف موضوعة في القباب المبنية على القبور [٤] تبركا بالقرآن الكريم .

أما حكم هذا العمل فهو مقارب لحكم المسألة السابقة ، حيث إن فيه مخالفة أيضا لهدي الرسول ﷺ ، وصحابته رضي الله عنهم والأئمة من بعدهم ، فيكون غير مشروع كما يظهر ، على ضوء ما تقدم ، بل إن حكم هذا أشد ، لا سيما وقد انتشر طبع المصاحف بأحجام صغيرة جدا ، إلى درجة عدم إمكان القراءة فيها [٥] ،

---

(١) انظر شرح السنة للبغوي ٥٢٩/٤ ، التبيان للنووي ص ١٢٧ .

(٢) كوضع النائم المصحف عند وسادته لمنع الأحلام المزعجة ، أو وضع المصحف على الميت قبل دفنه تبركا .

(٣) شاهدت ذلك في مصر مثلا حين زيارتي لها سنة ١٤٠٧ هـ ، ومن أبرز هذه الأعمال وضع المصحف في السيارات ، خاصة سيارات الأجرة ، حيث يوضع في أعلى مقدمة السيارة ، وأحيانا يوضع مصحفان كبير وخفيف ، ورأيت هذا أيضا في تركيا سنة ١٤٠٧ هـ .

(٤) ومنها قبر الحسين والسيدة زينب بالقاهرة ، وقبر (السيد) البدوي بطنطا في مصر .

(٥) لقد أصبح اقتناء أصغر حجم للمصحف مجالا للتنافس والتفاخر عند بعض الناس فقد قرأت في صحيفة الرياض (عدد ٧٢٢٣ في ١٥ شعبان ١٤٠٨ هـ الصفحة الأخيرة) خبرا بعنوان - أصغر مصحف في العالم - مفاده ظهور ادعاءات في كل من إيران وبولندا ويوغوسلافيا بوجود أصغر نسخة للقرآن في =

أو بأحجام كبيرة جدا ، بحيث لا تقصد للقراءة ، فهي للبركة فحسب ، ولا شك أن في هذا تلاعبا بكتاب الله الكريم .

فالتبرك بالقرآن المجيد ليس على مثل هذه الصور المبتدعة ، إنما بتلاوته ، وتدبره ، والعمل بما فيه ، والاستشفاء به على الطريقة المشروعة .

وبهذا ينتهي هذا الفصل بفضل الله تعالى .

* * *

= العالم ، ولكن عائلة في دبي هي التي لديها نسخة أصغر حيث يبلغ طوله ٨ر١ سنتمتر وعرضه ٤ر١ سنتمتر فقط وكتب بخط اليد ! .

الفصل الثانـــي

المشروع من التبرك بالنبي ﷺ وغيره من الصالحين

المبحث الأول

تبرك الصحابة به ﷺ في حياته

سبق أن عرضت في الباب الأول [1] أنواع بركات الرسول ﷺ ، وأنها نوعان (معنوية وحسية) .

وقد أوضحت هناك أن البركات الحسية على نوعين : بركة في أفعاله ﷺ مما أكرمه الله تعالى به من خوارق العادات ، حصل منها خير كثير ، ونفع عظيم محسوس ، عارضا لنماذج من هذا النوع .

والنوع الثاني : بركة في ذاته وآثاره الحسية المنفصلة منه ﷺ .

وقد أرجأت بحث هذا النوع إلى هنا لارتباطه بهذا الباب .

وإن مما لا شك فيه أن نبينا محمدا ﷺ مبارك في ذاته وآثاره ، كما كان مباركا في أفعاله عليه الصلاة والسلام .

وهذا مما أكرم الله تعالى به أنبياءه ورسله جميعا عليهم الصلاة والسلام .

« ولا شك أن آثار رسول الله ﷺ – صفوة خلق الله وأفضل النبيين – أثبت وجودا ، وأشهر ذكرا ، وأظهر بركة ، فهي أولى بذلك وأحرى » [2] .

---

(١) راجع ص ٥٧ فما بعدها من هذا الكتاب .

(٢) من كتاب تبرك الصحابة بآثار رسول الله ﷺ وبيان فضله العظيم لمحمد طاهر الكردي ص ٦ .

ولهذا فإن صحابة الرسول ﷺ ورضي الله عنهم تبركوا بذاته عليه الصلاة والسلام ، وبآثاره الحسية المنفصلة منه ﷺ في حياته ، وأقرّهم ﷺ على ذلك ولم ينكر عليهم ، ثم إنهم رضي الله عنهم تبركوا ومن بعدهم من سلف هذه الأمة الصالح بآثار الرسول ﷺ بعد وفاته ، مما يدل على مشروعية هذا التبرك .

وينبغي أن يعلم أنه لا يصاحب هذا التبرك – من جهة الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح – شيء يعارض أو يناقض توحيد الألوهية أو الربوبية ، وأن هذا الفعل ليس من باب الغلو المذموم ، وإلا لنبه على ذلك الرسول ﷺ صحابته رضي الله عنهم ، كما نهاهم عن بعض الألفاظ الشركية [١] ، وحذّرهم من ألفاظ الغلو [٢] .

فينظر إذن إلى هذا على أنه تكريم وتشريف من الخالق سبحانه وتعالى لصفوة خلقه في بدنه ، وما ينفصل عنه من آثاره الحسية ، حيث وضع تبارك وتعالى في ذلك كله الخير والبركة .

نماذج من تبرك الصحابة بالرسول ﷺ في حياته :–

سأذكر الآن نماذج مما نقل إلينا نقلا صحيحا من الأخبار والآثار عن تبرك جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم بنبينا محمد ﷺ أثناء حياته ، بذاته الكريمة ، أو بآثاره الشريفة ﷺ ، على النحو التالي :

أ) تبرك الصحابة رضي الله عنهم بأعضاء جسده ﷺ .

مما يدل على بركة أعضاء جسده الشريف ﷺ ما روته عائشة رضي الله عنها « أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات ، وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها » [٣] .

---

(١) انظر أمثلة هذا في كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١١٢ باب قول ماشاء الله وشئت .

(٢) انظر أمثلة هذا في المرجع السابق ص ١٤٦ باب ماجاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٢/٧ كتاب الطب ، باب الرقى بالقرآن والمعوذات ، ومسلم في صحيحه ١٧٢٣/٤ كتاب السلام ، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث ، واللفظ لمسلم .

ومما ورد عن تبرك الصحابة رضي الله تعالى عنهم بيده الشريفة ﷺ ما ثبت عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : « كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء ، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها ، فربما جاءوه في الغداة الباردة ، فيغمس يده فيها » (١) .

وما ثبت عن أبي جحيفة (٢) رضي الله عنه أنه قال : « خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة (٣) إلى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين » وفيه « وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم » قال : « فأخذت بيده فوضعتها على وجهي ، فإذا هي أبرد من الثلج ، وأطيب رائحة من المسك » (٤) .

وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على تقبيل يده ﷺ (٥) .

كما أنهم أيضا يحرصون على مس أي موضع من جسده ﷺ وتقبيله كلما أمكن ذلك للتبرك وغيره .

ومن هذا ما روى أبو داود في سننه أن أسيد بن حضير رضي الله عنه بينما هو يحدث القوم — وكان فيه مزاح — طعنه النبي ﷺ في خاصرته بعود ، فقال : أصبرني (٦) ، قال : « اصطبر » قال : إن عليك قميصا وليس علي قميص ، فرفع

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٨١٢/٤ كتاب الفضائل ، باب قرب النبي عليه الصلاة والسلام من الناس وتبركهم به .

(٢) هو وهب بن عبد الله بن مسلم أبو جحيفة السوائي . نزل الكوفة وكان من صغار الصحابة . تولى شرطة الكوفة زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان علي يحبه ويسميه وهب الخير . توفي سنة ٧٤ هـ وقيل غير ذلك .

انظر أسد الغابة ٤٨/٥ ، الإصابة ٦٠٦/٣ ، تهذيب التهذيب ١٦٤/١١ .

(٣) الهاجرة : اشتداد الحر نصف النهار (النهاية ٢٤٦/٥) لأن الناس يستكنون في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا (القاموس المحيط ٤٨٢/٤) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ١٦٥/٤ كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ .

(٥) لمعرفة الأدلة على هذه المسألة : انظر مثلا كتاب الرخصة في تقبيل اليد لأبي بكر المقرىء ، الصفحات التالية : ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧١ وغيرها .

(٦) أي اقدني من نفسك ، من كتاب معالم السنن للخطابي ٣٩٤/٥ .

النبي ﷺ عن قميصه فاحتضنه ، وأخذ يقبّل كشحه [١] ، قال : « إنما أردت هذا يارسول الله » [٢] .

ب) تبركهم بما انفصل منه ﷺ :-

١ - التبرك بشعر النبي ﷺ :

ثبت أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتبركون بشعر النبي ﷺ ، وأنه قد أقرهم على ذلك ، بل إنه ﷺ وزعه عليهم .

ففي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ أتى منى ، فأتى الجمرة فرماها ، ثم أتى منزله بمنى ونحر ، ثم قال للحلاق « خذ » وأشار إلى جانبه الأيمن ، ثم الأيسر ، ثم جعل يعطيه الناس » .

وفي رواية « فبدأ بالشق الأيمن ، فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ، ثم قال بالأيسر فصنع به مثل ذلك ، ثم قال : « ههنا أبو طلحة » [٣] فدفعه إلى أبي طلحة » [٤] .

قال النووي رحمه الله تعالى : « من فوائد الحديث التبرك بشعره ﷺ ، وجواز اقتنائه للتبرك » [٥] .

وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على اقتناء شعره الشريف عليه الصلاة والسلام .

---

(١) الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف . من كتاب القاموس المحيط ٥٣/٤ بترتيب الزاوي .

(٢) سنن أبي داود ٣٩٤/٥ كتاب الأدب ، باب في قبلة الجسد ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢٨٨/٣ وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وللمزيد من الأدلة يراجع مثلا كتاب تبرك الصحابة بآثار رسول الله ﷺ لمحمد طاهر الكردي ص ٦٦ - ٧١ .

(٣) هو زيد بن سهل بن الأسود الأنصاري أبو طلحة المدني شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وهو أحد النقباء ، كان زوج أم سليم أم أنس بن مالك ، توفي بالمدينة سنة ٣٤ هـ وقيل غير ذلك .

انظر أسد الغابة ١٨١/٥ ، الإصابة ٥٤٩/١ ، تهذيب التهذيب ٤١٤/٣ .

(٤) صحيح مسلم ٩٤٧/٢ كتاب الحج ، باب [illegible] النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق ، والابتداء في الحلق بالجانب الأيمن م

(٥) شرح النووي لصحيح

ففي صحيح مسلم أيضا عن أنس رضي الله عنه قال : « لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه ، وأطاف به أصحابه ، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل » [(١)] .

وقد ذكر النووي من أحكام هذا الحديث : تبرك الصحابة بشعر الرسول ﷺ الكريم ، وإكرامهم إياه أن يقع منه إلا في يد رجل سبق إليه [(٢)] .

ولعل حرص الصحابة رضي الله عنهم على ذلك في حجة الوداع لاظهار مدى حبهم للنبي ﷺ وتعظيمهم له على مرأى جموع الحجاج .

٢ - التبرك بريق النبي ﷺ .

في الصحيحين عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها هاجرت إلى رسول الله ﷺ وهي حبلى بعبد الله بن الزبير . قالت : « فأتيت المدينة فنزلت بقباء ، فولدته بقباء ، ثم أتيت رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ، ثم دعا بتمرة فمضغها ، ثم تفل في فيه ، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ... ثم حنكه بالتمرة » [(٣)] الحديث .

وجاء في صحيح البخاري في حديث صلح الحديبية أن عروة بن مسعود الثقفي [(٤)] رضي الله عنه قال عن أصحاب النبي ﷺ : « فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ... » [(٥)] .

قال ابن حجر رحمه الله معلقاِ على فعل الصحابة رضي الله عنهم هذا ونحوه في هذا الغزوة مع الرسول ﷺ : « ولعل الصحابة فعلوا ذلك بحضرة عروة ، وبالغوا في

---

(١) صحيح مسلم ١٨١٢/٤ كتاب الفضائل ، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به .

(٢) من كتاب شرح النووي لصحيح مسلم ٨٢/١٥ .

(٣) صحيح البخاري ٢١٦/٦ كتاب العقيقة ، باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه وتحنيكه ، وصحيح مسلم ١٦٩١/٣ كتاب الآداب ، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته .

(٤) كان عروة مندوبا لقريش لدى المسلمين في غزوة الحديبية قبل أن يسلم .

(٥) جزء من حديث صلح الحديبية الطويل أخرجه البخاري في صحيحه ١٨٠/٣ كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب وكتابة الشروط .

ذلك ، إشارة منهم إلى الرد على ما خشيه من فرارهم ، وكأنهم قالوا بلسان الحال : من يحب إمامه هذه المحبة ، ويعظمه هذا التعظيم ، كيف يُظن به أن يفرّ عنه ويسلمه لعدوه ؟ بل هم أشد اغتباطا به وبدينه وبنصره من القبائل التي يراعي بعضها بعضا بمجرد الرحم » [١] .

٣ – التبرك بعرق النبي ﷺ .

جاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم [٢] فينام على فراشها وليست فيه ، قال : فجاء ذات يوم فنام على فراشها ، فأُتيت فقيل لها : هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك ، قال : فجاءت وقد عرق ، واستنقع [٣] عرقه على قطعة أديم على الفراش ، ففتحت عتيدتها [٤] ، فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ، ففزع النبي ﷺ فقال : « وما تصنعين يا أم سليم ؟ » فقالت : يارسول الله نرجو بركته لصبياننا ، قال : « أصبت » [٥] .

ج) تبركهم بما لبسه أو لمسه أو فضل منه ﷺ :–

١ – التبرك بثياب النبي ﷺ :

جاء في صحيح البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : « جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة [٦] ، فقال سهل للقوم : أتدرون ما البردة ؟ فقال القوم :

---

(١) فتح الباري ٣٤١/٥ .

(٢) هي أم سليم بنت ملحان الأنصارية ، اشتهرت بكنيتها ، وهي أم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ . تقدمت ترجمتها ص ٢٧ وانظر عن مسألة دخول الرسول ﷺ بيت أم سليم كتاب شرح النووي لصحيح مسلم ٨٧/١٥ ، الإصابة ٤٤٢/٤ .

(٣) المعنى : اجتمع عرقه ﷺ . جاء في الصحاح للجوهري ١٢٩٢/٣ ، ١٢٩٤ (النقع : محبس الماء ، وكذلك ما اجتمع في البئر منه .. واستنقع الماء في الغدير : أي اجتمع وثبت) .

(٤) العتيدة : الحقة يكون فيها طيب الرجل والعروس . من كتاب القاموس المحيط ١٤٦/٣ بترتيب الزاوي .

(٥) صحيح مسلم ١٨١٥/٤ كتاب الفضائل ، باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به .

(٦) البردة : كساء كانت العرب تلتحف به فيه خطوط . من كتاب عمدة القاري للعيني ٦٢/٨ .

هي شملة ، فقال سهل : هي شملة منسوجة ، فيها حاشيتها ، فقالت : يا رسول الله أكسوك هذه ، فأخذها النبي ﷺ محتاجا إليها فلبسها ، فرآها عليه رجل من الصحابة فقال : يارسول الله ما أحسن هذه ، فاكسنيها ، فقال : «نعم» فلما قام النبي ﷺ لامه أصحابه فقالوا : ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجا إليها ، ثم سألته إياها ، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئا فيمنعه ، فقال : رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ لعلي أُكفن فيها » (١) .

وثبت في الصحيحين أن الرسول ﷺ أعطى اللاتي يغسّلن ابنته إزاره وقال : « أشعِرنها إياه » (٢) .

قال النووي رحمه الله تعالى : معنى « أشعرنها إياه » : اجعلنه شعارا لها ، وهو الثوب الذي يلي الجسد ، سمي شعارا لأنه يلي شعر الجسد ، ثم قال : « والحكمة في إشعارها به تبريكها » (٣) .

٢ - التبرك بمواضع أصابع النبي ﷺ .

جاء في صحيح مسلم في حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه « فكان يصنع للنبي ﷺ طعاما ، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه ، فيتتبع موضع أصابعه » (٤) .

٣ - التبرك بفضل شرب النبي ﷺ .

في الصحيحين عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ أتي بشراب ، فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ ، فقال للغلام :

---

(١) صحيح البخاري ٨٢/٧ كتاب الأدب ، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل .

(٢) أخرج الحديث البخاري في صحيحه ٧٣/٢ كتاب الجنائز ، باب ما يستحب أن يغسل وترا ، ومسلم في صحيحه ٦٤٧/٢ كتاب الجنائز ، باب في غسل الميت ، عن أم عطية رضي الله عنها ، واسم بنت الرسول ﷺ زينب ، كما في بعض الروايات .

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم ٣/٧ .

(٤) جزء من حديث أبي أيوب رضي الله عنه أخرجه مسلم في صحيحه ١٦٢٣/٣ كتاب الأشربة ، باب إباحة أكل الثوم .

« أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟ » فقال الغلام : لا والله ، لا أوثر بنصيبي منك أحدا . قال : فتلّه [١] رسول الله ﷺ في يده » [٢] .

٤ – التبرك بماء وضوئه ﷺ .

جاء في الصحيحين عن أبي جحيفة رضي الله عنه أنه قال : « خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة ، فأتي بوضوء فتوضأ ، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون به » [٣] .

وأما المقصود بفضل وضوئه ﷺ فقد قال ابن حجر رحمه الله تعالى : « كأنهم اقتسموا الماء الذي فضل عنه ، ويحتمل أن يكونوا تناولوا ما سال من أعضاء وضوئه ﷺ » [٤] . وجاء في صحيح البخاري في حديث صلح الحديبية أن عروة ابن مسعود الثقفي رضي الله عنه قال عن أصحاب النبي ﷺ : « وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه » [٥] .

بل إن الرسول ﷺ أرشد أصحابه رضي الله عنهم أحيانا إلى شيء من هذا ، وساعدهم عليه .

ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : « دعا رسول الله ﷺ بقدح فيه ماء ، فغسل يديه ووجهه فيه ، ومجّ فيه ، ثم قال : « اشربا [٦]

---

(١) أي ألقاه (النهاية لابن الأثير ١/١٩٥) وأما الغلام فهو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . انظر كتاب شرح النووي لصحيح مسلم ١٣/٢٠١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٢٤٩ كتاب الأشربة ، باب هل يستأذن الرجل من عن يمينه في الشرب ليعطي الأكبر ، ومسلم في صحيحه ٣/١٦٠٤ كتاب الأشربة باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدىء .

(٣) صحيح البخاري ١/٥٥ كتاب الوضوء ، باب استعمال فضل وضوء الناس ، واللفظ له ، وصحيح مسلم ١/٣٦٠ ، ٣٦١ كتاب الصلاة ، باب سترة المصلي .

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١/٢٩٥ .

(٥) جزء من حديث صلح الحديبية الطويل تقدم تخريج بعضه قريبا ص (٢٤٧) .

(٦) هما أبو موسى الأشعري وبلال رضي الله عنهما كما في أول الحديث .

منه ، وأفرِغا على وجوهكما ونحوركما ، وأبشرا » فأخذا القدح ، ففعلا ما أمرهما به رسول الله ﷺ ، فنادتهما أم سلمة من وراء الستر : أفضلا لأمكما مما في إنائكما ، فأفضلا لها منه طائفة » (١) .

وفيهما أيضا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : « جاء رسول الله ﷺ يعودني وأنا مريض لا أعقل ، فتوضأ وصب عليّ من وضوئه فعقلت » الحديث (٢) .

تلك نماذج لتبرك الصحابة رضي الله عنهم بالنبي ﷺ في حياته ، وسأفرد مبحثا تاليا خاصا بالتبرك بآثاره ﷺ بعد وفاته .

* * *

---

(١) جزء من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أخرجه البخاري في صحيحه ١٠٣/٥ كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف ، ومسلم في صحيحه ١٩٤٣/٤ كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين رضي الله عنهما .

(٢) صحيح البخاري ٥٦/١ كتاب الوضوء ، باب صب النبي ﷺ وضوءه على المغمى عليه ، وصحيح مسلم ١٢٣٥/٣ كتاب الفرائض ، باب ميراث الكلالة .

المبحث الثاني

التبرك بآثاره ﷺ بعد وفاته

تقدم فى المبحث السابق بيان تبرك الصحابة رضي الله عنهم بذات النبي ﷺ وآثاره في حياته .

وهذا المبحث سيقتصر على بيان التبرك بآثار النبي ﷺ بعد وفاته ، من قبل الصحابة رضي الله عنهم ، ثم من جهة التابعين رحمهم الله ، ثم من بعدهم .

ذلك أنه بعد وفاته عليه الصلاة والسلام لم يبق من التبرك به - على الوجه المذكور في المبحث السابق - سوى التبرك بآثاره ﷺ .

والمراد بآثار الرسول ﷺ الآثار الحسية المنفصلة منه ﷺ ، كالشعر ونحوه ، أو الأشياء التي استعملها ﷺ وبقيت بعده ، كالثياب والآنية والنعل ونحو ذلك .

نماذج من تبرك الصحابة بآثار الرسول ﷺ بعد وفاته :-

عقد الامام البخاري رحمه الله في صحيحه - كتاب فرض الخمس - بابا بعنوان : باب ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه ، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته ، ومن شعره ونعله وآنيته مما تبرك أصحابه وغيرهم بعد وفاته [1] .

ثم ساق البخاري جملة من أحاديث هذا الباب ، وسأذكر الآن بعضا منها .

---

(١) صحيح البخاري ٤/٤٦ .

عن عيسى بن طهمان [١] قال : « أخرج إلينا أنس نعلين جرداوين [٢] ، لهما قِبالان [٣] ، فحدثني ثابت البناني [٤] بعد عن أنس : أنهما نعلا النبي ﷺ » [٥] .

وعن أبي بردة [٦] قال : أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها كساء مُلبّدا [٧] ، وقالت : « في هذا نُزع روح النبي ﷺ » وفي رواية أخرى « أخرجت إلينا عائشة إزارا غليظا مما يصنع باليمن ، وكساء من هذه التي يدعونها الملبدة » [٨] .

وأخرج البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه أيضا في موضع آخر عن عاصم الأحول [٩] قال : رأيت قدح النبي ﷺ عند أنس بن مالك ، وكان قد انصدع ، فسلسله بفضة ، قال أنس : « لقد سقيت رسول الله ﷺ في هذا القدح أكثر من كذا وكذا » [١٠] .

---

(١) هو عيسى بن طهمان بن رامة الجشمي أبو بكر الكوفي أصله من البصرة . وثقه أبو داود وغيره . مات قبل سنة ١٦٠ هـ .
انظر الجرح والتعديل ٢٨٠/٣ ، ميزان الاعتدال ٣١٤/٣ ، تهذيب التهذيب ٢١٥/٨ .

(٢) الأجرد : الذي ليس على بدنه شعر ، فمعنى جرداوين أي لا شعر عليهما . من كتاب النهاية لابن الأثير ٢٥٦/١ بتصرف .

(٣) القِبال : زمام النعل ، وهو السير الذي يكون بين الأصبعين . من كتاب النهاية لابن الأثير ٨/٤ .

(٤) هو ثابت بن أسلم البناني أبو محمد البصري الإمام القدوة ، كان من أئمة العلم والعمل ، ومن المكثرين لقراءة القرآن وللصيام . توفي سنة ١٢٧ هـ وقيل ١٢٣ هـ وقد جاوز ثمانين سنة .
انظر سير أعلام النبلاء ٢٢٠/٥ ، تذكرة الحفاظ ١٢٥/١ ، تهذيب التهذيب ٢/٢ ، شذرات الذهب ١٤٩/١

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ٤٧/٤ كتاب فرض الخمس ، باب ما ذكر من درع النبي ﷺ .. الخ .

(٦) هو أبو بردة بن أبي موسى الأشعري . تقدمت ترجمته ص ١٦٦ .

(٧) جاء في كتاب النهاية لابن الأثير ٢٢٤/٤ (ملبدا : أي مرقعا ... وقيل : الملبد : الذي ثخن وسطه وصفق حتى صار يشبه اللبدة) .

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه ٤٧/٤ كتاب فرض الخمس ، باب ما ذكر من درع النبي ﷺ ... الخ ، وأخرجه مسلم في صحيحه أيضا ١٦٤٩/٣ ، كتاب اللباس والزينة ، باب التواضع في اللباس .. الخ . واللفظ للبخاري .

(٩) هو عاصم بن سليمان الأحول أبو عبد الرحمن البصري كان حافظا مكثرا . قال سفيان الثوري حفاظ الناس أربعة وذكره منهم . تولى الحسبة في المكاييل والأوزان بالكوفة ، وتولى القضاء بالمدائن زمن أبي جعفر المنصور .
مات سنة ١٤٢ هـ .
انظر الجرح والتعديل ١٤٣/٦ ، تذكرة الحفاظ ١٤٩/١ ، تهذيب التهذيب ٤٢/٥ .

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٥٢/٦ كتاب الأشربة ، باب الشرب من قدح النبي ﷺ وآنيته .

وجاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى أن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أخرجت جبة طيالسة [١] ، وقالت : « هذه كانت عند عائشة حتى قُبضت ، فلما قُبضت قبضتها ، وكان النبي ﷺ يلبسها ، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها » [٢] .

نماذج من تبرك التابعين بآثار الرسول ﷺ بعد وفاته :-

لم يقتصر التبرك بآثار المصطفى ﷺ بعد وفاته على الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، بل نقل عن بعض التابعين أيضا رحمهم الله تعالى ما يدل على وقوع هذا التبرك المشروع .

وسأورد الآن نماذج مما صح نقله في هذا الباب عن جمع من التابعين رحمهم الله تعالى .

فمن ذلك حرصهم على اقتناء شعر الرسول ﷺ ، المحفوظ عند بعض الصحابة رضي الله عنهم للتبرك به .

ففي صحيح البخارى رحمه الله تعالى عن ابن سيرين [٣] رحمه الله تعالى أنه قال : قلت لعبيدة [٤] : « عندنا من شعر النبي ﷺ ، أصبناه من قبل أنس ،

---

(١) جبة مضاف وطيالسة مضاف إليه . وهو جمع طيلسان ، فارسي معرب ، أصله تالسان ، والطيلسان : الأسود . من كتاب القاموس المحيط ٨٧/٣ بترتيب الزاوي ، ولسان العرب ١٢٤/٦ ، ١٢٥ مادة (طلس) .

(٢) جزء من حديث عبد الله مولى أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أخرجه مسلم في صحيحه ١٦٤١/٣ كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء .. الخ .

(٣) هو محمد بن سيرين بن أبي عمرة البصري أبو بكر إمام وقته . مولى أنس بن مالك . قال الذهبي : كان فقيها إماما غزير العلم ثقة ثبتا علامة في التعبير ، رأسا في الورع . توفي سنة ١١٠ هـ .
انظر سير أعلام النبلاء ٦٠٦/٤ ، تذكرة الحفاظ ٧٧/١ ، تهذيب التهذيب ٢١٤/٩ .

(٤) هو عبيدة بن عمرو السلماني المرادي أبو عمرو الكوفي أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين باليمن ولم يلقه ، كان يوازي شريحا في القضاء . قال ابن سيرين : ما رأيت رجلا أشد توقيا من عبيدة . مات على الصحيح سنة ٧٢ هـ .
انظر الجرح والتعديل ٩١/٦ ، تذكرة الحفاظ ٥٠/١ ، تهذيب التهذيب ٨٤/٧ .

أو من قبل أهل أنس » فقال : « لأن تكون عندي شعرة منه أحب إليّ من الدنيا وما فيها » [١] .

وكانوا يتبركون بالشعرات الكريمة عند إصابتهم بالعين ونحوها .

ففي صحيح البخاري عن عثمان بن عبد الله بن موهب [٢] رضي الله عنه قال : « أرسلني أهلي إلى أم سلمة - زوج النبي ﷺ - بقدح من ماء ...فيه شعر من شعر النبي ﷺ ، وكان إذا أصاب الانسان عين أو شيء بعث إليها مِخضبه [٣] ... » [٤] .

قال ابن حجر رحمه الله : « والمراد أنه كان من اشتكى أرسل إناء إلى أم سلمة ، فتجعل فيه تلك الشعرات وتغسلها فيه ، وتعيده ، فيشربه صاحب الاناء ، أو يغتسل به استشفاء بها فتحصل له بركتها » [٥] .

كما كان التابعون رحمهم الله تعالى يتبركون بالشرب في قدح النبي ﷺ .

فقد عقد الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه - كتاب الأشربة - بابا بعنوان « باب الشرب من قدح النبي ﷺ وآنيته » ثم ذكر هذا القول تعليقا : وقال أبو بردة [٦] : قال لي عبد الله بن سلام : « ألا أسقيك في قدح شرب النبي ﷺ فيه ؟ » [٧] .

ثم روى البخاري في هذا الباب حديثين فقط .

---

(١) صحيح البخاري ٥٠/١ كتاب الوضوء ، باب الماء الذي يغسل به شعر الانسان .

(٢) هو عثمان بن عبد الله بن موهب التيمي أبو عبد الله المدني الأعرج ، وقد ينسب إلى جده ، أصله مديني وكان بالعراق . مات سنة ١٦٠ هـ .

انظر الجرح والتعديل ١٥٥/٦ ، تهذيب التهذيب ١٣٢/٧ .

(٣) جاء في القاموس ٦٨/٢ : المخضب : المركن . بكسر الميم . وفي فتح الباري ٣٥٣/١٠ : هو من جملة الآنية .

(٤) صحيح البخاري ٥٧/٧ كتاب اللباس ، باب ما يذكر في الشيب .

(٥) فتح الباري ٣٥٣/١٠ .

(٦) هو أبو بردة بن موسى الأشعري ، تقدمت ترجمته ص ١٦٦ .

(٧) صحيح البخاري ٢٥١/٦ ، ٢٥٢ .

وسأذكر أحدهما ، وهو المروي عن أبي حازم [١] رحمه الله عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، وفيه أن سهل بن سعد سقى الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم بقدح ، قال أبو حازم : « فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه » وقال : « ثم استوهبه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك فوهبه له » [٢] .

وفي موضع آخر من صحيح البخاري ، روى عن عاصم الأحول [٣] رحمه الله أنه قال في شأن قدح النبي ﷺ — الموجود عند أنس بن مالك رضي الله عنه —: « رأيت القدح وشربت فيه » [٤] .

هل يوجد شيء من آثار الرسول ﷺ في العصر الحاضر ؟

قبل الاجابة عن هذا السؤال أحب أن أنبه على أن حكم التبرك بآثار الرسول ﷺ باق على مشروعيته ، لا يقتصر على الصحابة رضي الله عنهم أو التابعين فقط رحمهم الله تعالى ، فإن بركة آثار الرسول ﷺ باقية فيها ، وليس هناك ما يرفعها .

وإجابة عن السؤال الآنف الذكر لابد من بيان الأمور الآتية :—

أولا : جاء في صحيح البخاري رحمه الله عن عمرو بن الحارث رضي الله عنه أنه قال : « ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهما ولا دينارا ، ولا عبدا ولا أمة ، ولا شيئا ، إلا بغلته البيضاء ، وسلاحه ، وأرضا جعلها صدقة » [٥] .

---

(١) هو سلمة بن دينار أبو حازم الأعرج التمار المدني القاضي مولى الأسود بن سفيان . كان ثقة عابدا كثير الحديث . مات في خلافة أبي جعفر المنصور بعد سنة ١٤٠ هـ .

انظر تهذيب التهذيب ١٤٣/٤ ، تقريب التهذيب ٣١٦/١ .

(٢) صحيح البخاري ٢٥٢/٦ كتاب الأشربة ، باب الشرب من قدح النبي ﷺ وآنيته .

(٣) تقدمت ترجمته قريبا ص ٢٥٣ .

(٤) صحيح البخاري ٤٦/٤ كتاب فرض الخمس ، باب ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه ... الخ .

(٥) صحيح البخاري ١٨٦/٣ ، كتاب الوصايا ، الباب الأول ، وانظر السيرة النبوية لابن كثير ٥٦٠/٤ فما بعدها .

ولا شك أن هذا يدل على قلة ما خلّفه الرسول ﷺ بعد موته من أدواته الخاصة [١] .

ثانيا : وردت أخبار عديدة بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعين رحمهم الله ، إلى يومنا هذا تدل على حصول هذا التبرك بآثار المصطفى ﷺ ، من قبل بعض الخلفاء والعلماء والصالحين [٢] ، وإن كان بعض هذه الأخبار ليس صحيحا ، وهذا إما بسبب ضعف في روايته ، أو لعدم صحة نسبة الأثر ذاته إلى الرسول ﷺ ، وهذا هو الأكثر .

قال صاحب كتاب (الآثار النبوية) [٣] بعد أن سرد الآثار المنسوبة إلى النبي ﷺ وغيره ، بالقسطنطينية [٤] – عاصمة الخلافة العثمانية :– « لا يخفى أن بعض هذه الآثار محتمل الصحة ، غير أنا لم نر أحدا من الثقات ذكرها بإثبات أو نفي ، فالله سبحانه أعلم بها ، وبعضها لا يسعنا أن نكتم ما يخامر النفس فيها من الريب ويتنازعها من الشكوك » [٥] الخ .

ثالثا : ثبوت فقدان الكثير من آثار الرسول ﷺ على مدى الأيام والقرون ، بسبب الضياع ، أو الحروب والفتن ، وغير ذلك .

ومن الأمثلة على هذا ما يأتي :–

---

(١) لمعرفة تركة الرسول ﷺ على وجه التفصيل وما آلت إليه يمكن الرجوع إلى كتاب : تركة النبي ﷺ والسبل التي وجّهها فيها للإمام حماد بن إسحاق بن إسماعيل المتوفى سنة ٢٦٧ هـ .

(٢) لمعرفة هذه الأخبار يمكن مراجعة الكتب الآتية على سبيل المثال :

سير أعلام النبلاء للذهبي ٢١٢/١١ ، ٢٥٠ ، ٣٣٧ ، كتاب الآثار النبوية لأحمد تيمور باشا ، كتاب تبرك الصحابة بآثار الرسول ﷺ ص ٥٨ – ٦٤ .

(٣) هو أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور المؤرخ والأديب المصري . اشتهر بأحمد تيمور باشا ، وله مؤلفات عديدة توفي سنة ١٣٤٨ هـ .

انظر الأعلام ١٠٠/١ .

(٤) هي مدينة كبيرة بتركيا تعرف الآن باسم (استانبول) كان قد عمرها ملك من ملوك الروم يقال له (قسطنطين) فسميت باسمه . انظر معجم البلدان ٣٤٧/٤ .

(٥) من كتاب الآثار النبوية لأحمد تيمور باشا ص ٧٨ .

١ – جاء في صحيحي البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « اتخذ رسول الله ﷺ خاتما من ورِق [(١)] فكان في يده ، ثم كان في يد أبي بكر ، ثم كان في يد عمر ، ثم كان في يد عثمان ، حتى وقع منه في بئر أَرِيس [(٢)] ، نقشه – محمد رسول الله – » [(٣)] .

٢ – فقدان البردة والقضيب [(٤)] فى آخر الدولة العباسية حين أحرقهما التتار عند غزوهم لبغداد سنة ٦٥٦ هـ [(٥)] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى : « وقد توارث بنو العباس هذه البردة خلفا عن سلف ، وكان الخليفة يلبسها يوم العيد على كتفيه ، ويأخذ القضيب المنسوب إليه صلوات الله وسلامه عليه في إحدى يديه ، فيخرج وعليه من السكينة والوقار ما يصدع به القلوب ، ويبهر به الأبصار » [(٦)] .

٣ – ذهاب نعلين ينسبان إلى النبي ﷺ في فتنة تيمورلنك [(٧)] بدمشق سنة ٨٠٣ هـ [(٨)] .

---

(١) الورِق هو الفضة .

(٢) بئر أريس : بفتح الهمزة وكسر الراء . بئر معروفة من أعذب آبار المدينة ، تقع في قباء ، نسبة إلى رجل من يهود يقال له (أريس) .
انظر وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ٩٤٣/٣ فما بعدها .

(٣) صحيح البخاري ٥٣/٧ كتاب اللباس ، باب نقش الخاتم ، صحيح مسلم ١٦٥٦/٣ كتاب اللباس والزينة ، باب لبس النبي ﷺ خاتما من ورق نقشه – محمد رسول الله – ولبس الخلفاء له من بعده .

(٤) المراد بالقضيب هنا : العود المقطوع من الشجر . جاء في لسان العرب ٦٧٨/١ : أصل القضب القطع ، والقضيب الغصن ، وكل نبت من الأغصان يقضب ، وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله المتوفى سنة ٥٩٧ هـ في كتابه (الوفا بأحوال المصطفى) ٦٧٠/٢ : (كان له قضيب ، وهو اليوم عند الخلفاء) .

(٥) من كتاب الآثار النبوية لأحمد تيمور باشا ص ٢٧ – ٣٠ وقد أفاض المؤلف في بيان مصير البردة والقضيب نقلا عن كتب التاريخ ، وانظر إن شئت شرحا لوقعة التتار : كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٦٧ – ٤٧٦ وغيره .

(٦) من كتاب البداية والنهاية لابن كثير ٨/٦ .

(٧) هو ابن مؤسس مملكة المغول الثانية (ترغاي) ومعنى تيمور : الحديد ، واللنك : الأعرج . سمي بذلك لاصابته بسهم بالحرب في صباه ، وقد حكم ولاية ما وراء النهر ، وكان عهده كله حروب وفضائع ، وقد زحف بعساكره إلى دمشق سنة ٨٠٣ هـ فحل بأهلها من المصائب – من قتل سكانها وسبي نسائها وأولادها ، وإحراق مصانعها وبيوتها ، ونهب أموالها – ما لايوصف . انظر كتاب خطط الشام لمحمد كرد علي ١٥٥/٢ – ١٧٥ .

(٨) فتح المتعال في مدح النعال لأحمد بن محمد المقري ص ٣٦٣ باختصار .

ومن الأسباب أيضا لفقدان الآثار النبوية وصية بعض من عنده شيء منها أن يكفن فيه إن كان لباسا ، كما تقدم قريبا في حديث سهل بن سعد [١] رضي الله عنه ، أو يوصي بأن يدفن معه بعد موته ، إن كان ذلك الأثر شعرات مثلا [٢] .

رابعا : يلحظ كثرة ادعاء وجود وامتلاك شعرات منسوبة إلى الرسول ﷺ في كثير من البلدان الاسلامية [٣] في العصور المتأخرة ، حتى قيل إن في القسطنطينية وحدها ثلاثا وأربعين شعرة سنة ١٣٢٧ هـ ، ثم أهدي منها خمس وعشرون وبقي ثماني عشرة [٤] .

ولذا قال مؤلف كتاب (الآثار النبوية) بعد أن ذكر أخبار التبرك بشعرات الرسول ﷺ من قبل أصحابه رضي الله عنهم : « فما صح من الشعرات التي تداولها الناس بعد ذلك فإنما وصل إليهم مما قُسم بين الأصحاب رضي الله عنهم ، غير أن الصعوبة في معرفة صحيحها من زائفها » [٥] .

وهناك عناية بحفظ تلك الشعرات المنسوبة إلى الرسول ﷺ من قبل من يدّعي ذلك ، حيث إنها تحفظ في صناديق أو قوارير وتُلفّ بقطع من الحرير ونحوه .

على أنه في بعض الأماكن يحتفل بإخراجها – على طريقة خاصة – مرة واحدة أو أكثر كل عام ، في بعض المواسم [٦] ، كليلة ٢٧ من رمضان ، أو ليلة النصف من شعبان مثلا [٧] .

---

(١) راجع ص ٢٤٨ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٣٧/١١ ، الآثار النبوية لأحمد تيمور باشا ص ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ .

(٣) من الأمثلة على ذلك : القاهرة ، دمشق ، بيت المقدس ، عكا ، حيفا وغيرها .
انظر كتاب الآثار النبوية لأحمد تيمور باشا ص ٨٩ – ٩٦ .

(٤) انظر الآثار النبوية ص ٩١ .

(٥) المرجع السابق ص ٨٢ .

(٦) لا شك أن التبرك على هذه الطريقة – إن صح ثبوت الشعرات – مخالف لهدي السلف الصالح .

(٧) انظر الآثار النبوية ص ٩١ – ٩٣ ، ٩٥ ، وكتاب تبرك الصحابة بآثار رسول الله ﷺ للكردي ص ٥٨ – ٦٠ ، وكتاب تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين لأحمد بن حجر البنعلي ص ١٦٨ – ١٧٠ .

ومن خلال ما تقدم فإن ما يدّعى الآن عند بعض الأشخاص ، أو في بعض المواضع من وجود بعض الآثار النبوية ، كالشعرات أو النعال وغيرها – موضع شك ، فيحتاج في إثبات صحة نسبته إلى الرسول ﷺ إلى برهان قاطع ، يزيل الشك الوارد ، ولكن أين ذلك ؟ .

يقول محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله : « ونحن نعلم أن آثاره ﷺ ، من ثياب ، أو شعر ، أو فضلات ، قد فقدت ، وليس بإمكان أحد إثبات وجود شيء منها على وجه القطع واليقين » (١) لا سيما مع مرور أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان على وجود تلك الآثار النبوية ، ومع إمكان الكذب في ادعاء نسبتها إلى الرسول ﷺ للحصول على بعض الأغراض ، كما وضعت الأحاديث ونسبت إلى الرسول ﷺ كذبا وزورا .

وعلى أي حال فإن التبرك الأسمى والأعلى بالرسول ﷺ هو اتباع ما أثر عنه من قول أو فعل ، والاقتداء به ، والسير على منهاجه ظاهرا وباطنا ، وإن في هذا الخير كله ، كما تقدم بيانه عند ذكر البركات المعنوية له ﷺ (٢) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « كان أهل المدينة لما قدم عليهم النبي ﷺ في بركته لما آمنوا به وأطاعوه ، فببركة ذلك حصل لهم سعادة الدنيا والآخرة ، بل كل مؤمن آمن بالرسول وأطاعه حصل له من بركة الرسول بسبب إيمانه وطاعته من خير الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله » (٣) .

* * *

---

(١) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ص ١٤٦ ، وانظر كتاب أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة لأحمد بن يحيى النجمي ص ٣٠٩ ، وكتاب هذه مفاهيمنا لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ ص ٢٠٤ .

(٢) راجع ص ٥٧ فما بعدها من هذا الكتاب .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١٣/١١ .

المبحث الثالث

هل يقاس عليه ﷺ غيره من الصالحين ؟

تقدم في المبحثين الماضيين بيان مشروعية التبرك بذات الرسول ﷺ في حياته ، وبآثاره في حياته وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام ، مع ذكر أدلة ذلك وشواهده .

وإذا كان الرسول ﷺ يجوز التبرك به على هذا الوجه ، فهل يجوز هذا التبرك أيضا بغيره من الصالحين ، قياسا عليه ﷺ ؟ هذا ما سأتناوله في هذا المبحث بإذن الله تعالى .

هل فعل الصحابة ذلك التبرك مع غيره ﷺ ؟

إذا كان أصل دليل المسألة الماضية هو فعل الصحابة رضي الله عنهم معه ﷺ ، وإقراره ﷺ إياهم على ذلك ، بل أمره ﷺ إياهم بذلك أحيانا كما سلف بيانه ، فهل وُجد هذا التبرك عند الصحابة رضي الله عنهم مع غيره ﷺ ؟ وهل أمرهم الرسول ﷺ بذلك وأرشدهم إليه ؟

الحق أنه لم يُؤثر عن النبي ﷺ أنه أمر بالتبرك بغيره من الصحابة رضي الله عنهم أو غيرهم ، سواء بذواتهم أو بآثارهم ، أو أرشد إلى شيء من ذلك . وكذا فلم يُنقل حصول هذا النوع من التبرك من قبل الصحابة رضي الله عنهم بغيره ﷺ ، لا في حياته ﷺ ولا بعد مماته عليه الصلاة والسلام .

لم يفعله الصحابة مع السابقين منهم إلى الإسلام وفضلائهم مثلا ، ومنهم الخلفاء الراشدون – وهم أفضل الصحابة – وبقية العشرة المبشرين بالجنة ، وغيرهم .

قال الإمام الشاطبي [١] بعد أن أشار إلى ثبوت تبرك الصحابة رضي الله عنهم بالنبي ﷺ وبآثاره ، مناقشا مسألة إمكان التبرك أيضا بالصالحين وبآثارهم – وهو من المحققين القلائل الذين تطرقوا لهذه المسألة .

قال رحمه الله تعالى : « الصحابة رضي الله عنهم بعد موته عليه الصلاة والسلام لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه ، إذ لم يترك النبي ﷺ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فهو كان خليفته ، ولم يفعل به شيء من ذلك ، ولا عمر رضي الله عنه ، وهو كان أفضل الأمة بعده ، ثم كذلك عثمان ، ثم علي ، ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة ، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركا تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها [٢] ، بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي ﷺ ، فهو إذا اجماع منهم على ترك تلك الأشياء » [٣] .

ما سبب ترك الصحابة رضي الله عنهم هذا التبرك مع بعضهم ؟

إذ لم يثبت حصول ذلك النوع من التبرك من جهة الصحابة رضي الله عنهم مع بعضهم – وهم أفضل القرون – كما قرره الشاطبي – رحمه الله تعالى – وغيره [٤] ، مع وجود مقتضيات هذا التبرك – طلب الخير والشفاء والبركة – وتوفر أسبابه ، حيث الصحابة السابقين ، والعشرة المبشرين رضي الله عنهم جميعا .

كما أن الوفود التي كانت تبعث خارج المدينة لبعض المهمات – ومنهم كبار

---

(١) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الأصولي الحافظ المالكي المشهور بالشاطبي . من تصانيفه : الموافقات في أصول الفقه ، الاعتصام ، المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية . مات سنة ٧٩٠ هـ .

انظر الأعلام ٧٥/١ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١١٨/١ .

(٢) يقصد التبرك بالشعر والثياب وفضل الوضوء ونحو ذلك .

(٣) الاعتصام للشاطبي ٨/٢ ، ٩ .

(٤) من هؤلاء ابن رجب رحمه الله . انظر كتابه : الحكم الجديرة بالاذاعة من قول النبي ﷺ (بُعثت بين يدي الساعة) ص ٥٥ .

الصحابة – لم يحصل التبرك بهم من قبل من بعثوا إليهم ، مع بعد الرسول ﷺ عنهم في حياته .

إذا كان الأمر كذلك ، ما سبب إجماعهم على ترك هذا التبرك إذن ؟ ولماذا لم يفعلوه مع بعضهم كما كانوا يفعلونه مع النبي ﷺ ؟

إن السبب الرئيس في ترك الصحابة رضي الله عنهم ذلك التبرك مع بعضهم – والله أعلم – هو اعتقاد اختصاص الرسول ﷺ به دون سواه – ما عدا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام –.

فقد اختص الله تبارك وتعالى الأنبياء والمرسلين بخصائص شريفة ، لا توجد في غيرهم ، ومنها وجود البركة في ذواتهم وآثارهم تشريفا وتكريما .

فذوات الأشخاص وصفاتهم غير متساوية [١] ، كما قال الله تعالى : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ [٢] والأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أفضل الناس .

وقد اصطفى الله تعالى أنبياءه ، واجتباهم من بين سائر البشر ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴾ [٣] وتميّزهم عن غيرهم بخصائص كثيرة أمر مشهور لا ينكر .

فهذا ونحوه هو الذي جعلهم يختلفون عن أولياء الله تعالى الصالحين ، في هذه المسألة وغيرها .

ومع عظم فضل هؤلاء ورفعة قدرهم ، إلا أن مرتبتهم دون مرتبة الأنبياء والمرسلين ، ولا يمكن أن يبلغوا درجتهم في الفضل والثواب وغير ذلك [٤] .

ولا شك أن النبي محمد ﷺ هو أفضل الأنبياء والمرسلين ، وأعظمهم بركة .

---

(١) راجع إن شئت المبحث الثاني من التمهيد لهذا الكتاب (اختصاص الله بعض خلقه بما شاء من الفضل والبركة) .

(٢) سورة الأنعام (١٢٤) .

(٣) سورة القصص (٦٨) .

(٤) خالف في هذا بعض الصوفية حيث يفضلون الأولياء على الأنبياء . راجع مثلا كتاب شرح العقيدة الطحاوية لعلي ابن أبي العز ص ٤٩٣ – ٤٩٥ .

قال الشاطبي بعدما أثبت إجماع الصحابة رضي الله عنهم على ترك ذلك التبرك فيما بينهم – مع فعلهم له مع النبي ﷺ – قال رحمه الله تعالى مبينا أحد وجهي هذا التبرك : « أن يعتقدوا فيه الاختصاص ، وأن مرتبة النبوة يسع فيها ذلك كله ، للقطع بوجود ما التمسوا من البركة والخير ، لأنه عليه الصلاة والسلام كان نورا كله ... فمن التمس منه نورا وجده على أي جهة التمسه ، بخلاف غيره من الأمة – وإن حصل له من نور الاقتداء به ، والاهتداء بهديه ما شاء الله [1] – لا يبلغ مبلغه ، على حال توازيه في مرتبته ، ولا تقاربه ، فصار هذا النوع مختصا به كاختصاصه بنكاح مازاد على الأربع ، وإحلال بضع الواهبة نفسها له ، وعدم وجوب القسْم على الزوجات ، وشبه ذلك » .

ثم قال رحمه الله مبينا حكم ذلك التبرك بغيره ﷺ بناء على هذا الوجه : « فعلى هذا المأخذ : لا يصح لمن بعده الاقتداء به في التبرك على أحد تلك الوجوه ونحوها ، ومن اقتدى به كان اقتداؤه بدعة ، كما كان الاقتداء به في الزيادة على أربع نسوة بدعة » [2] .

وذكر في موضع آخر ما يرجح هذا الوجه « وهو اطباقهم – أي الصحابة – على الترك ، إذ لو كان اعتقادهم التشريع [3] لعمل به بعضهم بعده ، أو عملوا به ولو في بعض الأحوال ، إما وقوفا مع أصل المشروعية ، وإما بناء على اعتقاد انتفاء العلة الموجبة للامتناع » [4] .

وقال الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى في معرض سياقه للنهي عن المبالغة في تعظيم الأولياء الصالحين ، وتنزيلهم منزلة الأنبياء : « وكذلك التبرك بالآثار ، فإنما كان يفعله الصحابة مع النبي ﷺ ، ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم ... ولا يفعله التابعون

---

(١) يشير بهذا إلى البركة المعنوية للمؤمنين الصالحين الحاصلة بسبب اتباعهم للرسول ﷺ .

(٢) الاعتصام للشاطبي ٢/٩ .

(٣) أي اعتقادهم أن هذا التبرك مشروع .

(٤) المرجع السابق ٢/١٠ .

مع الصحابة ، مع علو قدرهم ، فدل على أن هذا لا يفعل إلا مع النبي ﷺ ، مثل التبرك بوضوئه ، وفضلاته ، وشعره ، وشرب فضل شرابه وطعامه » [١] اهـ .

حكم قياس الصالحين على النبي ﷺ :-

١ – مما سبق يتبين أن ما رآه بعض العلماء [٢] من قياس الصالحين على الرسول ﷺ في جواز التبرك بذواتهم وآثارهم غير صحيح .

أ) فإن إجماع الصحابة رضي الله عنهم علي ترك التبرك بالذوات والآثار مع غير النبي ﷺ – مع وجود مقتضياته – يدل على أن هذا من خصائصه ﷺ حيث إن الله تعالى اختص نبيه بجعل البركة في ذاته وآثاره ، تكريما وتشريفا لصفوة خلقه عليه الصلاة والسلام .

ولو كان ذلك الفعل مشروعا لسارعوا إلى فعله ، ولم يُجمعوا على تركه ، فهم أحرص الناس على فعل الخير .

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ تعليقا على قول بعض شراح الحديث « لا بأس بالتبرك بآثار الصالحين » إذا مروا بذكر شعر النبي ﷺ ونحوه .

قال رحمه الله : « وهذا غلط ظاهر ، لا يوافقهم عليه أهل العلم والحق ، وذلك أنه ما ورد إلا في حق النبي ﷺ ، فأبو بكر وعمر وذو النورين عثمان وعلي ، وبقية العشرة المبشرين بالجنة ، وبقية البدريين ، وأهل بيعة الرضوان ، ما فعل السلف هذا مع واحد منهم ، أفيكون هذا منهم نقصا في تعظيم الخلفاء التعظيم اللائق بهم ، أو أنهم لا يلتمسون ما ينفعهم . فاقتصارهم على النبي ﷺ يدل على أنه من خصائص النبي ﷺ ... » [٣] .

---

(١) من كتاب الحكم الجديرة بالإذاعة من قول الله ﷺ (بعثت بين يدي الساعة) لابن رجب ص ٥٥ .

(٢) من هؤلاء العلماء مثلا النووي رحمه الله . انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٣/٧ ، ٤٤/١٤ . وابن حجر العسقلاني رحمه الله . انظر فتح الباري ١٢٩/٣ ، ١٣٠ ، ١٤٤ ، ٣٤١/٥ .

(٣) من مجموع فتاوى ورسائل ابن ابراهيم ١٠٣/١ ، ١٠٤ ، وانظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ١٠٦ .

ب) ومما يؤكد اختصاص النبي ﷺ بهذا التبرك أن التابعين رحمهم الله تعالى قد ساروا على نهج الصحابة رضي الله عنهم في هذا الباب ، فلم ينقل عنهم وقوع هذا التبرك مع الصحابة رضي الله عنهم – كما سبق – ولا فعله التابعون مع فضلائهم وقادتهم في العلم والدين (١) ، و هكذا من بعدهم من أئمة الدين .

ج) ومما يؤكد الاختصاص أيضا أنه لم يرد دليل شرعي على أن غير النبي ﷺ مثله في التبرك بأجزاء ذاته وآثاره ، فهو خاص به كغيره من خصائصه (٢) .

د) ولا شك أن اختصاص النبي ﷺ بهذا التبرك يدل على عدم جواز قياس الصالحين عليه ﷺ بجامع الفضل ، وأن هذا الأمر قاصر عليه ﷺ لا يتعداه إلى غيره .

فقد أجمع العلماء على أنه إذا ثبتت الخصوصية في حق النبي ﷺ فإنها تقتضي أن حكم غيره ليس كحكمه ، إذ لو كان حكمه حكم غيره لما كان للاختصاص معنى (٣) .

٢ – لا يجوز قياس الصالحين وغيرهم على النبي ﷺ في جواز هذا التبرك سدا للذريعة .

ولا ريب أن سد الذرائع قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة الاسلامية . فمن وجوه موانع القياس هنا سد الذرائع ، خوفا من أن يفضي ذلك إلى الغلو فيمن يتبرك به من الصالحين .

يقول الشاطبي رحمه الله في بيان هذه العلة : « لأن العامة لا تقتصر في ذلك على حد ، بل تتجاوز فيه الحدود ، وتبالغ بجهلها في التماس البركة ، حتى يداخلها

---

(١) انظر كتاب فتح المجيد ص ١٠٦ ، وكتاب الدين الخالص لمحمد صديق حسن ٢/٢٥٠ .

(٢) من كتاب هذه مفاهيمنا لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ ص ٢٠٩ بتصرف .

(٣) من كتاب أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية للدكتور محمد سليمان الأشقر ص ٢٧٧ بتصرف .

للمتبرّك به تعظيم يخرج به عن الحد ، فربما اعتقد في المتبرك به ما ليس منه ... » [١] .

وقد يؤدي هذا التبرك بسبب الغلو والتعظيم إلى حد الشرك [٢] ، فيكون ذريعة إليه ، كما قال ابن رجب رحمه الله حينما تكلم عن المنع من هذا التبرك ونحوه : « وفي الجملة ، فهذه الأشياء فتنة للمعظِّم والمعظَّم ، لما يُخشى عليه من الغلو المدخل في البدعة ، وربما يترقي إلى نوع من الشرك » [٣] .

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله عند مناقشته من أجاز هذا التبرك : لو أذن فيه على وجه البركة ، من غير اعتقاد ذاتي ، فهو سبب يوقع في التعلق على غير الله ، والشريعة جاءت بسد أبواب الشرك [٤] .

وكما أن هذا التبرك فتنة للمعظِّم ، فقد يكون أيضا فتنة للمعظَّم نفسه ، كما أشار إليه ابن رجب آنفا .

فإن فعل هذا التبرك مع غيره ﷺ لا يؤمن أن يفتنه ، وتعجبه نفسه ، فيورثه العجب والكبر والرياء [٥] ، وتزكية النفس ، وكل هذا من محرمات أفعال القلوب [٦] . إلى غير ذلك من المفاسد الأخرى المترتبة على هذا التبرك .

مسألة : لا يصح أن يحتج بامكان حصول تلك المفاسد من الغلو وأنواع الشرك مع التبرك بالنبي ﷺ ، وذلك لمجيء النصوص الشرعية بجواز ذلك والأمر به في

---

(١) الاعتصام للشاطبي ٩/٢ ، وقد ذكر الشاطبي احتمال أن الصحابة تركوا التبرك فيما بينهم من باب سد الذرائع .

(٢) لقد حكي عن أصحاب الحلاج أنهم بالغوا في التبرك به ، حتى كانوا يتمسحون ببوله ويتبخرون بعذرته ، حتى ادعوا فيه الالهية . انظر الاعتصام للشاطبي ١٠/٢ .

(٣) من كتاب الحكم الجديرة بالإذاعة لابن رجب ص ٥٥ .

(٤) من فتاوى ورسائل ابن إبراهيم ١٠٤/١ بتصرف ، وانظر كتاب فتح المجيد ص ١٠٦ ، ورسالة الشرك مظاهره لمبارك بن محمد الميلي ص ٩٣ ، وكتاب الدين الخالص لمحمد صديق حسن ٢٥٠/٢ .

(٥) من كتاب تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد تأليف الشيخ سليمان ابن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ١٥٤ .

(٦) من كتاب هذه مفاهيمنا ص ٢١٠ .

حقه ﷺ خاصة [١] ، مع العلم بوجوب عدم مصاحبة هذا التبرك مع الرسول ﷺ شيء من الغلو أو الشرك [٢] .

وممن نص على منع قياس الصالحين على الرسول ﷺ – فيما سبق – من العلماء المعاصرين : سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز . حيث قال تعليقا على رأي ابن حجر العسقلاني رحمه الله جواز التبرك بآثار الصالحين ، قياسا على ما ورد في بعض الأحاديث من تبرك الصحابة بالرسول ﷺ .

قال وفقه الله تعالى : التبرك بآثار الصالحين غير جائز ، وإنما يجوز ذلك بالنبي ﷺ خاصة ، لما جعل الله في جسده وما ماسه من البركة ، وأما غيره فلا يقاس عليه لوجهين :

أحدهما : أن الصحابة رضي الله عنهم لم يفعلوا ذلك مع غير النبي ﷺ ، ولو كان خيرا لسبقونا إليه .

الوجه الثاني : سد ذريعة الشرك ، لأن جواز التبرك بآثار الصالحين يفضي إلى الغلو فيهم ، وعبادتهم من دون الله ، فوجب المنع من ذلك [٣] .

وهكذا تبين لنا عدم جواز قياس الصالحين على النبي ﷺ ، وعليه فلا يجوز التبرك بذوات الصالحين أو بآثارهم ، فضلا عن غيرهم ، وأن تعظيم الشيء والتبرك به لا يجوز إلا بدليل شرعي ، والله تعالى أعلم .

* * *

---

(١) من كتاب الكواشف الجلية عن معاني الواسطية لعبد العزيز بن محمد السلمان ص ٧٤٦ بتصرف .

(٢) راجع ص ٢٤٤ من هذا الكتاب .

(٣) انظر فتح الباري ٣/١٣٠ هـ (١) ، ١٤٤ هـ (١) .

المبحث الرابع
التبرك بمجالسة الصالحين

تقدم لنا في المبحث الماضي أن التبرك بذوات الصالحين أو بآثارهم ليس مشروعا ، وإذا كان هذا النوع من التبرك بالصالحين ليس مشروعا ، فليس معنى ذلك أنه لا يشرع التبرك بالصالحين مطلقا .

ولقد سبق أن عرضت في الباب الأول [1] أوجه بركات الصالحين ، وما يتميزون به من الفضائل ، وما يحصل بسببهم من المنافع .

وهنا سوف أوضح كيفية التبرك المشروع بالصالحين من جهة غيرهم ، وهذا ما يتضمنه عنوان هذا المبحث (التبرك بمجالسة الصالحين) .

أوجه التبرك بمجالسة الصالحين :–

مما لا ريب فيه أن مجالسة الصالحين – أهل الايمان والتقوى والطاعة – فيها من الخير والبركة والنفع الشيء العظيم .

ويمكن التبرك بمجالسة الصالحين من عدة أوجه :

أحدها : الانتفاع بعلمهم :

من أجلّ صفات العلماء الصالحين تعليم غيرهم ، لذا فإن من جالسهم واجتمع بهم سيتحصل على العلم النافع بتوفيق الله تعالى .

---

(١) راجع ص ٩١ وما بعدها من هذا الكتاب .

والمسلم بحاجة إلى معرفة أحكام دينه ، حتى يعبد ربه على بصيرة ، ولن يتحصل على ذلك إلا عن طريق العلماء الصالحين ، فإن « العلماء ورثة الأنبياء » [١] .

وكان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يحرصون على سؤال النبي ﷺ ما يجهلهم ، ودرج على هذا من بعدهم من السلف الصالح في سؤال أئمتهم وعلمائهم .

وإذا عرفنا أن مسائل أحكام الشريعة متفرعة ومتعددة ، وأن هذه الشريعة يحكم بها إلى قيام الساعة ، مع تعاقب الزمان وعموم المكان ، علمنا شدة الحاجة إلى علماء يبينون للناس الحق ويعرفونهم بأمور الدين ، والأرض لا تخلو من هؤلاء في كل زمان ولله الحمد .

« ولا ريب أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول ﷺ إيمانا عاما مجملا ، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ على التفصيل فرض على الكفاية » [٢] .

والترغيب في العلم الشرعي وطلبه وتعليمه ، وفضل ذلك أمر مشهور [٣] .
« ولولا العلماء لصار الناس كالبهائم ، فببركة العلم خرجوا من حد البهيمية إلى حد الإنسانية » [٤] .

وللحصول على بركة العلم الدينية والدنيوية لابد من الالتزام بآداب طلبه وهي آداب معروفة ، أعلاها إخلاص النية لله عز وجل في طلب العلم .

الوجه الثاني : الاستماع إلى وعظهم ونصائحهم :

لا تقتصر بركة الصالحين على التعريف بالدين وتعليم أحكامه لغيرهم كما سلف ، وإنما ينتفع أيضا بوعظهم ونصحهم لغيرهم .

---

(١) قطعة من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، تقدم تخريجه ص ٧١ .
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣١٢/٣ .
(٣) انظر الكتب المؤلفة في هذا الموضوع . مثل كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر وغيره .
(٤) من كتاب اللمع في الحوادث والبدع لابن التركماني ص ٥ .

وهذا داخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الله تعالى ، والنصيحة للخلق ، وكل ذلك من أوصاف الصالحين الحميدة .

فمن صحب الصالحين وخالطهم أو جاورهم سينتفع بنصائحهم في الترغيب في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ ، والتحذير من الوقوع في المعاصي والأضرار ، والإرشاد إلى الآداب الحسنة ومكارم الأخلاق ، والإعانة على فعل الخير ، والتذكير بما أعده الله تعالى في الجنة لأوليائه ، وما توعّد به في النار لأعدائه ، والذكرى تنفع المؤمنين .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : « من بركة الرجل أن يكون معلما للخير ، داعيا إلى الله ، مذكرا به ، مرغبا في طاعته ، ومن خلا من هذا فقد خلا من البركة ، ومحقت بركة لقائه ، والاجتماع به » [1] .

الوجه الثالث : الانتفاع بدعائهم [2] :

من منافع وبركات الصالحين على أنفسهم وعلى غيرهم دعاء الله تبارك وتعالى وسؤاله من خيري الدنيا والآخرة .

والدعاء شأنه عظيم ، وهو نوع جليل من أنواع العبادة لله عز وجل ، يحتاج إليه المسلم في سائر أحواله ، وفي الرخاء والشدة ، وقد تكفل الله تعالى بإجابة من دعاه ، وللدعاء آداب ، ولإجابته أسباب ، مذكورة في مواضعها .

والمقصود هنا أن دعاء الصالحين المتقين له ثمرات نافعة ، وآثار طيبة في الدنيا والآخرة – بإذن الله تبارك وتعالى – لهم أنفسهم ولغيرهم من إخوانهم المؤمنين .

ويمكن الحصول على بركة هذا الدعاء في مجالسة هؤلاء الصالحين ، فقلّما تخلو مجالسهم من الدعاء لله عز وجل بالخير والصلاح والتوفيق ، والمغفرة والرحمة لمن حضر تلك المجالس .

---

(١) رسالة إلى كل مسلم لابن القيم ص ٥ ، ٦ بتصرف .

(٢) أشار إلى هذه الأوجه الثلاثة باختصار أبو بكر الجزائري في كتابه عقيدة المؤمن ص ١٤٠ .

كما يمكن الحصول على بركة دعاء الصالحين أيضا عن طريق طلب الدعاء من أحدهم [(١)] ، خاصة عند وقوع المسلم في ضيق شديد ، أو مرض ، أو مصيبة ، فيطلب منه أن يدعو ربه ليفرج عنه كربه ، أو يشفيه من مرضه ، وهذا يعتبر من أنواع التوسل المشروع [(٢)] .

الوجه الرابع : التحصل على فضل مجالس الذكر لمن جالس الصالحين الذاكرين الله تعالى وإن لم يشاركهم :

هذا وجه آخر يُجنى من ثمرات مجالسة الصالحين ، وهو من البركات الأخروية العظيمة .

ودليل ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارةً فُضلا [(٣)] ، يتّبعون مجالس الذكر ، فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم ، وحفّ بعضهم بعضا بأجنحتهم ، حتى يملؤا ما بينهم وبين السماء الدنيا ، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء ، قال : فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم : من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عباد لك في الأرض ، يسبحونك ويكبّرونك ويهلّلونك ويحمدونك ويسألونك ، قال : وماذا يسألوني ؟ قالوا : يسألونك جنتك ، قال : وهل رأوا جنّتي ؟ قالوا : لا أي رب ، قال : فكيف لو رأوا جنتي ؟ قالوا : ويستجيرونك ، قال : وممّ يستجيرونني ؟ قالوا : من نارك يارب ، قال : وهل رأوا ناري ؟ قالوا : لا ، قال : فكيف لو رأوا ناري ؟ قالوا : ويستغفرونك ، قال : فيقول : قد غفرت لهم ، فأعطيتهم ما سألوا ،

---

(١) انظر شواهد ذلك عند الصحابة رضي الله عنهم في كتاب حياة الصحابة للكاندهلوي ٤/٩٣ - ٩٥ .

(٢) من كتاب التوسل للألباني ص ٣٨ ، وراجع إن شئت أدلة هذا النوع ص ٣٨ - ٤٣ من هذا الكتاب .

(٣) جاء في كتاب (النهاية لابن الأثير ٣/٤٥٥) فضلا : أي زيادة عن الملائكة المرتبين مع الخلائق . ويروى بسكون الضاد وضمها ، قال بعضهم : والسكون أكثر وأصوب ، وهما مصدر بمعنى الفضلة والزيادة .

وأجرتهم مما استجاروا ، قال : فيقولون : رب فيهم فلان عبد خطّاء ، إنما مرّ فجلس معهم ، قال : فيقول : وله غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » (١) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : « في الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين ، وفضل الاجتماع على ذلك ، وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله تعالى به عليهم إكراما لهم ، ولو لم يشاركهم في أصل الذكر » (٢) .

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله : « جعل جليس أولئك القوم مثلهم مع أنه ليس منهم ، وإنما عادت عليه بركتهم فصار كواحد منهم » (٣) .

وقد وردت أحاديث أخرى في بيان فضل مجالس الذكر وشرفها (٤) .

ولذا كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يحرصون على إقامتها ، وقد ثبت أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان يقول للرجل من إخوانه : « اجلس بنا فلنؤمن ساعة (٥) ، فيجلسان فيذكران الله ويحمدانه » (٦) .

وأما المراد بمجالس الذكر : فقد أفاد ابن حجر رحمه الله – استنادا على مجموع روايات حديث أبي هريرة الآنف الذكر – أنها هي التي تشتمل على ذكر الله

---

(١) تقدم تخريج هذا الحديث ص ٨٦ عند ورود أوله ، ولفظ الحديث هنا لمسلم .

(٢) فتح الباري ٢١٣/١١ .

(٣) تحفة الذاكرين ص ٤٤ .

(٤) لمعرفة جملة من هذه الأحاديث : انظر مثلا كتاب الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب لابن القيم ص ١٥٦ – ١٥٨ تحفة الذاكرين ص ٤٣ .

(٥) المقصود هنا زيادة الايمان هذا الوقت ، فإن ما يحصل في مجلس الذكر من الازدياد من الأعمال الصالحة من أسباب زيادة الايمان .

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان ص ٣٥ ، وقد صحح سنده الحافظ ابن حجر . انظر فتح الباري ٤٨/١ .

وفي رواية لابن أبي شيبة بلفظ (اجلسوا بنا نؤمن ساعة ، يعني نذكر الله) . وأخرج هذه الرواية أيضا أبو عبيد القاسم بن سلّام في كتاب الإيمان ص ٧٢ بلفظ (اجلس بنا ...) .

وقال الألباني عند تخريجه لهذا الأثر في هذين الكتابين : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

وقد ذكر البخاري هذا الأثر تعليقا في صحيحه ٨/١ كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ (بني الإسلام على خمس) بلفظ (اجلس بنا نؤمن ساعة) .

تعالى بأنواع الذكر الواردة ، من تسبيح وتكبير وغيرهما ، وعلى تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى ، وعلى الدعاء بخيري الدنيا والآخرة . وقال : والأشبه اختصاص ذلك بما تقدم ، وإن كانت قراءة الحديث النبوي ، ومدارسة العلم الشرعي والمناظرة فيه من جملة ما يدخل تحت مسمى ذكر الله تعالى [١] .

تلك أبرز وجوه التبرك بمجالسة الصالحين ، وقد ظهر لنا جليا من خلالها أن في مجالسة الصالحين ، والاختلاط بهم ، والاجتماع معهم منافع جليلة ، وبركات عديدة في الدين والدنيا .

لذا جاء الحث على صحبة الأخيار ومجالسة الصالحين ، في الكتاب والسنة ، والترغيب في ذلك .

فمن القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ﴾ [٢] .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : « أي اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ، ويسألونه بكرة وعشيا من عباد الله ، سواء كانوا فقراء أو أغنياء ، أو أقوياء أو ضعفاء » [٣] .

وفي السنة النبوية أحاديث كثيرة في هذا الباب .

فمنها ما جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يُحذيك [٤] ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحا طيبة [٥] ،

---

(١) فتح الباري ص ٢١٢ بتصرف واختصار .

(٢) سورة الكهف (٢٨) .

(٣) تفسير ابن كثير ٨١/٣ .

(٤) أي يعطيك . انظر النهاية لابن الأثير ٣٥٨/١ .

(٥) يقول الشيخ ابن سعدي رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث : أقل ما تستفيده من الجليس الصالح – وهي فائدة لا يستهان بها – أن تنكفّ بسببه عن السيئات والمعاصي ، رعاية للصحبة ، ومنافسة في الخير ، وترفعا عن الشر .... الخ . انظر كتابه بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار ص ١٧٨ .

ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة » [١] .

وما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تصاحب إلا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك إلا تقي [٢] » [٣] .

ووردت أحاديث أخرى في بيان فضل زيارة أهل الخير والصلاح [٤] .

فينبغي للعاقل ألا يفوت عليه التماس تلك البركات والمنافع عن طريق مجالسة ولئك الصالحين الفضلاء وملازمتهم ، والاستماع إلى أقوالهم الطيبة ، ومشاهدة أعمالهم الصالحة ، ثم الاقتداء بهم في ذلك . وهذه الفوائد لا تحصل أبدا لمن صاحب الأشرار ، بل الحاصل ضد ذلك .

وأختتم هذا المبحث بالتنبيه على أمور مهمة في هذا الموضوع .

تنبيهات :

١ – اشتراط اتباع الصالحين للسنة .

يشترط في التبرك بمجالسة الصالحين أن يكون الصالحون متبعين لسنة الرسول

---

(١) صحيح البخاري ١٦/٣ كتاب البيوع ، باب في العطار وبيع المسك ، وصحيح مسلم ٢٠٢٦/٤ كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء ، واللفظ لمسلم .

(٢) قال الخطابي رحمه الله : حذّر من صحبة من ليس بتقي ، وزجر عن مخالطته ومؤاكلته ، فإن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب (معالم السنن ١٦٨/٥) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ١٦٧/٥ كتاب الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس ، والترمذي في سننه ٦٠٠/٤ كتاب الزهد ، باب ماجاء في صحبة المؤمن ، وقال : حديث حسن .

وقال النووي : رواه أبو داود والترمذي بإسناد لابأس به (رياض الصالحين ص ١٣٣) .

وأخرجه ابن حبان في صحيحه ٣٨٣/١ كتاب البر والإحسان ، ذكر الأمر للمرء أن لا يصحب إلا الصالحين ولا ينفق إلا عليهم .

وفي رواية أخرى له بلفظ (لا تصحب) .

وبهذا اللفظ أيضا أخرجه الحاكم في المستدرك ١٢٨/٤ كتاب الأطعمة ، وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

وأخرجه الدارمي في سننه ١٠٣/٢ كتاب الأطعمة ، والإمام أحمد في المسند ١٠٣/١ .

(٤) راجع مثلا كتاب رياض الصالحين للإمام النووي ص ١٣٢ .

ﷺ قولا وفعلا ، وملتزمين بها ، حتى نحصل على ما أكرمهم الله تعالى به من الفضائل والبركات . قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ (١) .

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله : هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية ، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتّبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد (٢) » (٣) .

فلا بد إذن من التحري في معرفة هؤلاء ، والنظر في تصرفاتهم ، ووزنها بميزان الشرع .

فمثلا لا بد في مجالس الذكر أن تنعقد على الوجه الشرعي ، فلا تشتمل على ألفاظ مبتدعة ، ولا أفعال مخالفة للسنة كالرقص ونحوه مما يوجد عند بعض المبتدعة .

ومن المعلوم أنه ليس كل من يدّعي الولاية والصلاح صادقاً في دعواه ، فإن بعضهم قد يستعمل ذلك لمنافع شخصية من جاه أو مال أو نحو ذلك ، فإن مثل هؤلاء لا خير فيهم ولا بركة عندهم ، فلا تحل مجالستهم (٤) .

٢ - إذا كان المطلوب تحقق الاتباع عند الرجل الصالح كما تقدم ، فإنه لا عبرة إذن بالجنس أو اللون أو المكان .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية موضحا ذلك : « الفضل الحقيقي هو اتباع ما بعث الله به محمدا ﷺ من الإيمان والعلم باطنا وظاهرا ، فكل من كان فيه أمكن كان أفضل ، والفضل إنما هو بالأسماء المحمودة في الكتاب والسنة ، مثل الاسلام

---

(١) سورة آل عمران (٣١) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١٣٤٣/٣ كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور .

(٣) تفسير ابن كثير ٣٥٩/١ .

(٤) عقيدة المسلم لأبي بكر الجزائري ص ١٤١ بتصرف .

والإيمان ، والبر والتقوى ، والعلم والعمل الصالح ، والاحسان ، ونحو ذلك ، لا بمجرد كون الانسان عربيا أو عجميا ، أو أسود أو أبيض ، ولا بكونه قرويا أو بدويا » [١] .

كما أنه لا اعتبار أيضا بالهيئة أو الحالة .

ولعل من شواهد هذا قصة التابعي أويس بن عامر القَرَني [٢] رحمه الله تعالى ، كان زاهدا قليل المتاع ، ومن الذين لا يؤبه لهم ، ومع هذا فقد وجّه الرسول ﷺ بعض أصحابه رضي الله عنهم إلى طلب الاستغفار منه ، لأنه كان خير التابعين ، ومن أهل البر والطاعة [٣] .

٣ - أن تلك المنافع العظيمة والبركات الظاهرة التي تجنى من مجالسة الصالحين حاصلة بسبب بركة طاعتهم لله تعالى واتباعهم لرسوله ﷺ [٤] ، وبناء عليه فإنه كلما كان الشخص الصالح أقوى إيمانا وأتقى لله تعالى ، وأعظم اتباعا : كان أرجى نفعا وأعظم بركة .

٤ - من حقوق الصالحين أحياء وأمواتا على جميع إخوانهم المسلمين محبتهم في الله تعالى ، بعد محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ . ومن بركات هذه المحبة أنها تؤدي إلى رفع المنزلة ، يدل على هذا ما أخرجه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « المرء مع من أحب » [٥] .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ٣٦٦/١ .

(٢) هو أويس بن عامر بن جزء المرادي القرني الزاهد المشهور . أدرك النبي ﷺ ولم يره . وسكن الكوفة ، وهو من كبار تابعيها . قتل أويس يوم صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

انظر أسد الغابة ١٧٩/١ ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ٢٧٨/١ ، الإصابة ١٢٢/١ .

(٣) انظر تفصيل ما روي في شأنه في صحيح مسلم ١٩٦٨/٤ ، ١٩٦٩ كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أويس القرني رضي الله عنه ، وفيه طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أويس رحمه الله الاستغفار فاستغفر له ، وكذا رجل آخر .

(٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١٣/١١ .

(٥) صحيح البخاري ١١٢/٧ كتاب الأدب ، باب علامة حب الله عز وجل ، وصحيح مسلم ٢٠٣٤/٤ كتاب البر والصلة والآداب ، باب المرء مع من أحب .

٥ – أن مجالسة الصالحين لا يقتصر موضعها على المساجد فقط – كما قد يظن – فإنها تزاول أيضا في المنازل والمدارس ، وسائر المواضع ، حضرا وسفرا ، إلا أن حصول ذلك في المساجد أولى ، لأنها أفضل البقاع .

ويمكن الانتفاع أيضا من الصالحين إذا تعذرت مجالستهم مباشرة في بعض الأحيان – إما لبعدهم ، أو بسبب الانشغال عنهم – يمكن ذلك بعدة وسائل ، كقراءة كتبهم ، والاستماع إلى الأشرطة المسجلة لهم ، ونحو ذلك .

وبهذا تنتهي مباحث هذا الفصل (المشروع من التبرك بالنبي ﷺ وغيره من الصالحين) بتوفيق الله وحده .

* * *

الفصل الثالث

التبرك بشرب ماء زمزم

تمهيـــد

في التعريف بزمزم

زمزم : هي البئر المباركة المشهورة في المسجد الحرام شرقي الكعبة .

وأما أصل هذه البئر ، فقد روى البخاري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما – من حديث طويل – أن هاجر أم اسماعيل رحمهما الله لما أصابها العطش هي وابنها إسماعيل بحثت عن الماء . قال ابن عباس رضي الله عنهما : « فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت « صه » تريد نفسها ، ثم تسمعت فسمعت أيضا ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث ، فإذا هي بالملك [1] عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه ، أو قال بجناحه ، حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوّضه [2] ، وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها ، وهو يفور بعدما تغرف » . قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : « يرحم الله أم إسماعيل ، لو تركت زمزم ، أو قال : لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا » [3] قال : « فشربت وأرضعت ولدها » [4] .

ولم يزل ماء زمزم ظاهرا ينتفع به سكان مكة ، إلى أن استخفّت قبيلة

---

(١) هو جبريل عليه السلام كما في الرواية الأخرى للبخاري رحمه الله .

(٢) أي تجعله كالحوض لئلا يذهب الماء (عمدة القاري ١٥/٢٥٧) .

(٣) بفتح الميم أي سائلا جاريا على وجه الأرض (عمدة القاري ١٥/٢٥٣) .

(٤) صحيح البخاري ٤/١١٣ كتاب أحاديث الأنبياء ، باب (يزفّون) النسلان في المشي .

جُرهم (١) بحرمة الكعبة والحرم فاندرس موضع زمزم ، وقيل إن جرهما دفنتها حين رحلت من مكة ، وقيل بل دفنتها السيول ، فاستمرت مدفونة عصرا بعد عصر إلى أن أظهرها عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ بعلامات عرف بها موضعها ، حين نبه إليها في رؤيا في المنام ، وأمر بحفرها فحفرها وأظهرها (٢) .

وقد اهتم المسلمون بزمزم منذ وقت الرسول ﷺ إلى وقتنا الحاضر (٣) ، وحرص الخلفاء والأمراء وقادة المسلمين على عمارة زمزم وتجهيزها وتهيئتها ، ليسهل على الحجاج وزوار البيت الحرام الشرب منها بيسر وسهولة .

وأما سبب تسميتها بزمزم : فقيل لكثرة مائها ، والزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع .

وقيل : لضم هاجر أم اسماعيل رحمهما الله لمائها حين انفجرت وزمّها إياه .

وقيل : لصوت الماء وانبثاقه حين خرج .

وقيل غير ذلك (٤) .

ولها أسماء كثيرة تدل على شرفها وفضلها ، ومنها : ميمونة ، مباركة ، عافية ، مغذية (٥) .

* * *

---

(١) جرهم : بطن من القحطانية ، كانت منازلهم أولا اليمن ، ثم انتقلوا إلى الحجاز فنزلوه ، ثم نزلوا بمكة واستوطنوها (معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر رضا كحالة ١٨٣/١) .

(٢) من كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسي المكي ٢٤٧/١ ، ٢٤٨ ، وكتاب الجامع اللطيف لابن ظهيرة ص ٢٥٩ بتصرف .

(٣) لا يخفى في الوقت الحالي اهتمام الحكومة السعودية – وفقها الله تعالى إلى كل خير – بزمزم .
وانظر إن شئت عن الجهود الكبيرة المبذولة لتجهيز زمزم وتوفير شرب مائها لزوار البيت الحرام ، في تقرير لوكالة الأنباء السعودية بتاريخ ١٤٠٦/١٢/١٣ هـ وهو موجود ضمن كتاب وثائق وكالة الأنباء السعودية ص ٤٧– ٥١ ، طبع عام ١٤٠٨ هـ .

(٤) انظر معجم البلدان للحموي ١٤٧/٣ ، شفاء الغرام للفاسي ٢٥٢/١ ، تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد لأبي بكر الجراعي ص ٥٧ .

(٥) انظر معجم البلدان للحموي ١٤٨/٣ ، شفاء الغرام للفاسي ٢٥١/١، ٢٥٢ ، تحفة الراكع والساجد ص ٥٨ – ٦٠ .

المبحث الأول

خصائص ماء زمزم

من فضل ماء زمزم وبركته أن الله تعالى اختصه بخصائص شريفة أهمها ما يأتي :-

١ – أنه أفضل مياه الأرض شرعا وطبا . فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم ... » (١) .

وثبت في صحيح البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه – في قصة الاسراء والمعراج – أن رسول الله ﷺ قال : « ... فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ، ثم غسله بماء زمزم ... » (٢) .

قال العيني (٣) رحمه الله : « وهذا يدل قطعا على فضلها ، حيث اختص غسل صدره عليه الصلاة والسلام بمائها دون غيرها » (٤) .

ولهذا أيضا قال سراج الدين البلقيني (٥) : إن ماء زمزم أفضل من ماء

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٩٨/١١ .

وقال الحافظ المنذري : رواه الطبراني في الكبير ، ورواته ثقات ، وابن حبان في صحيحه (الترغيب والترهيب للمنذري ٢٠٩/٢) وكذا قال الهيثمي انظر (مجمع الزوائد ٢٨٦/٣) . وقد رمز له السيوطي بأنه حسن (الجامع الصغير ١٠/٢) ، وقال الألباني : إسناده حسن على أقل الدرجات (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٥/٣) ولم أجد الحديث في صحيح ابن حبان .

(٢) صحيح البخاري ١٦٧/٢ كتاب الحج ، باب ما جاء في زمزم .

(٣) تقدمت ترجمته ص ١٧٣ .

(٤) عمدة القاري ٢٧٧/٩ .

(٥) هو عمر بن رسلان بن نصير الكناني العسقلاني ثم البلقيني المصري الشافعي أبو حفص =

الكوثر ، معللا ذلك بكونه غسل به صدر النبي ﷺ ، ولم يكن ليغسل إلا بأفضل المياه [١] .

والظاهر أن تفضيل ماء زمزم هو بالنسبة إلى مياه الدنيا فقط ، كما علل ذلك بعض العلماء بقوله : « إذ ماء الكوثر من متعلقات دار البقاء ، فلا يستعمل في دار الفناء » [٢] .

كما أن لفظ حديث التفضيل « خير ماء على وجه الأرض » يدل على ذلك ، والله أعلم .

وقد ذكر الحافظ العراقي [٣] رحمه الله أن حكمة غسل صدر النبي ﷺ بماء زمزم ليقوى به ﷺ على رؤية ملكوت السموات والأرض ، والجنة والنار ، لأن من خواص ماء زمزم أنه يقوي القلب ، ويسكن الروع [٤] .

وسيتبين لنا إن شاء الله ما يدل على أفضلية ماء زمزم من الناحية الطبية [٥] .

٢ - إشباع شاربه كما يشبعه الطعام .

فقد ثبت في صحيح مسلم في قصة أبي ذر رضي الله عنه أنه لما قدم مكة ليسلم ، أقام ثلاثين ، بين ليلة ويوم ، في المسجد الحرام ، فسأله الرسول ﷺ « فمن

= سراج الدين الحافظ الفقيه المجتهد . له عدة تصانيف . منها : محاسن الاصطلاح في الحديث ، الأجوبة المرضية على المسائل المكية . توفي بالقاهرة سنة ٨٠٥ هـ .

انظر طبقات الحفاظ ص ٥٤٢ ، شذرات الذهب ٥٣/٧ ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ٥٠٦/١ ، الأعلام ٤٦/٥ .

(١) شفاء الغرام للفاسي ٢٥٢/١ .

(٢) انظر الجامع اللطيف لابن ظهيرة ص ٢٦٨ .

(٣) هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي أبو الفضل زين الدين الإمام المعروف بالحافظ العراقي فهو حافظ عصره . اشتغل بعلم الحديث وأتقنه . له تصانيف . منها : الألفية في مصطلح الحديث ، نظم غريب القرآن ، تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد . توفي بالقاهرة سنة ٨٠٦ هـ .

انظر طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٤٣ ، شذرات الذهب ٥٥/٧ ، البدر الطالع ٣٥٤/١ ، الأعلام ٣٤٤/٣ .

(٤) شفاء الغرام للفاسي ٢٥٢/١ .

(٥) انظر أيضا المرجع السابق ٢٥٦/١ .

كان يطعمك ؟ » فقال أبو ذر : ما كان لي طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت عُكَن [١] بطني ، وما أجد على كبدي سَخفة جوع [٢] ، فقال الرسول ﷺ : « إنها مباركة ، إنها طعام طعم » [٣] . قال ابن الأثير رحمه الله : « أي يشبع الانسان إذا شرب ماءها كما يشبع من الطعام » [٤] .

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى عن هذه الخصوصية لماء زمزم : « شاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريبا من نصف الشهر ، أو أكثر ، ولا يجد جوعا ، ويطوف مع الناس كأحدهم ، وأخبرني أنه ربما بقي عليه أربعين يوما ، وكان له قوة يجامع بها أهله ، ويصوم ويطوف مرارا » [٥] .

٣ - الاستشفاء بشربه من الأسقام .

لحديث ابن عباس مرفوعا « خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم ، فيه طعام الطعم ، وشفاء السقم » [٦] .

ولما روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « زمزم طعام طعم ، وشفاء سقم » [٧] .

---

(١) العكن جمع عكنة وهي الطي الذي في البطن من السمن . يقال : تعكّن البطن إذا صار ذا عكن . من كتاب الصحاح للجوهري ٢١٦٥/٦ .

(٢) أي رقته وهزاله ، والسخف بالفتح رقة العيش ، وبالضم رقة العقل ، وقيل هي الخفة التي تعتري الإنسان إذا جاع ، من السخف وهي الخفة في العقل وغيره (النهاية لابن الأثير ٣٥٠/٢) .

(٣) صحيح مسلم ١٩٢٢/٤ كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه .

(٤) النهاية لابن الأثير ١٢٥/٣ .

(٥) زاد المعاد لابن القيم ٣٩٣/٤ .

(٦) تقدم تخريج هذا الحديث قريبا عند إيراد أوله في الخصيصة الأولى .

(٧) أخرجه الطيالسي في مسنده (انظر : منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود ٢٠٣/٢) وأخرجه البزار (انظر : كشف الأستار عن زوائد البزار ٤٧/٢) .

وقال الحافظ المنذري : رواه البزار بإسناد صحيح (الترغيب والترهيب ٢٠٩/٢) وقال الهيثمي : رواه البزار والطبراني في الصغير ، ورجال البزار رجال الصحيح (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ٢٨٦/٣) .

ورمز له السيوطي بأنه صحيح (الجامع الصغير ٢٨/٢) .

والحديث أصله مخرج في صحيح الإمام مسلم ، كما تقدم قريبا .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الحمى من فيح جهنم ، فأبردوها بماء زمزم » [(١)] .

وقد قال ابن القيم رحمه الله : « وقد جرّبت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أمورا عجيبة ، واستشفيت به من عدة أمراض ، فبرأت بإذن الله » [(٢)] .

٤ – أنه لما شُرب له .

فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « زمزم لما شُرب له » [(٣)] .

ويروى عن مجاهد [(٤)] رحمه الله أنه قال : « ماء زمزم لما شرب له ، إن شربته

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٩١/١ ، وابن حبان في صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٦٢٣/٧) كتاب الطب .

وقد أخرجه البخاري في صحيحه بدون جزم هكذا (فأبردوها بالماء ، أو قال بماء زمزم) شك همام . (أحد رجال السند) .

وقد جاء في أحاديث الباب (فأبردوها بالماء) قال بعض العلماء : إنما نص في هذا الحديث على ماء زمزم لأهل مكة ، لتيسره عندهم أكثر من غيره ، أما غيرهم فبما عندهم من الماء ، والله أعلم . (من كتاب الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني تأليف أحمد بن عبد الرحمن البنا ١٥٩/١٧) وانظر الطب النبوي لابن القيم ص ٢٢ .

(٢) زاد المعاد لابن القيم ٣٩٣/٤ .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه ١٠١٨/٢ كتاب المناسك ، باب الشرب من زمزم ، والإمام أحمد في مسنده ٣٥٧/٣ ، وقال الدمياطي : رواه أحمد وابن ماجه بإسناد حسن (المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح للدمياطي ص ٣١٨ باب ثواب شرب ماء زمزم) .

وقال ابن القيم : الحديث حسن (زاد المعاد ٣٩٣/٤) وقال الزركشي : وقد جاء الحديث من طرق صحيحة (إعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٢٠٦) وقال السيوطي : أخرجه ابن ماجه بإسناد جيد (الحاوي للفتاوي ٨١/٢) . وقا الألباني : صحيح (إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ٣٢٠/٤) .

(٤) هو مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي المقرىء المفسر الحافظ مولى السائب بن أبي السائب . كان فقيها ورعا عابدا . قال مجاهد : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت . توفي سنة ١٠٣ هـ .

انظر تذكرة الحفاظ ٩٢/١ ، تهذيب التهذيب ٤٢/١٠ ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٢ .

تريد شفاء شفاك الله ، وإن شربته لظمأ أرواك الله ، وإن شربته لجوع أشبعك الله ، هي هَزْمة جبريل [١] وسُقيا الله إسماعيل » [٢] .

وقد شرب ماء زمزم جماعة من كبار العلماء وغيرهم ، لمقاصد مختلفة ، كالعلم النافع ، أو حفظ الحديث ، أو حسن التصنيف ، أو للاستشفاء من بعض الأمراض ، أو معرفة هواية كالرمي ، أو لظمأ يوم القيامة ، ونحو ذلك من المنافع الدينية والدنيوية ، فتحصّل لهم ما نووه وقصدوه – كما نقله بعضهم [٣] – ونرجو حصوله لمن طلب مافي الآخرة ، كمن شربه لظمأ يوم القيامة . ولا تستبعد صحة هذه الأخبار المنقولة – علي سبيل الأجمال – وهي (مما يؤيد صحة حديث « ماء زمزم لما شرب له » مع أنه صحيح الأسناد) [٤] كما تقدم لنا ما يؤكد ذلك أيضا في الخصيصتين الأخيرتين من كون ماء زمزم طعاماً وشفاءً .

وحصول هذه المنافع لمن شرب ماء زمزم هو – بلا شك ولا ريب – بتوفيق الله تعالى وإعانته ورحمته ، وهو مما أودعه الله تعالى من البركة والنفع في هذا الماء الشريف ، لا سيما مع صحة نية شاربه .

وقد نُقل عن ابن العربي [٥] رحمه الله تعالى أنه قال عن نفع ماء زمزم : « وهذا

---

(١) أي ضربها برجله فنبع الماء ، والهزمة : النقرة في الصدر ، وهزمت البئر إذا حفرتها . من كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢٦٣/٥ .

(٢) أخرجه الإمام عبد الرزاق في المصنف ١١٨/٥ ، والأزرقي في كتابه أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ٥٠/٢ ، واللفظ له .

وأخرجه الدارقطني في سننه (٢٨٩/٢) مرفوعا من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما ، لكن اسناده ضعيف . قال الألباني : والصواب وقفه على مجاهد ، ثم قال : ولئن قيل إنه لا يقال من قبل الرأي فهو في حكم المرفوع ، فإن سلم هذا ، فهو في حكم المرسل ، وهو ضعيف . والله أعلم .

راجع ارواء الغليل ٣٢٩/٤ – ٣٣٢ ، وانظر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي ص ٣٥٧ ، وكتاب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين الهندي ٢٢٤/١٢ .

(٣) انظر زاد المعاد لابن القيم ٣٩٣/٤ ، شفاء الغرام للفاسي ٢٥٥/١ ، المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٣٥٧ ، الجامع اللطيف لابن ظهيرة ص ٢٦٤ – ٢٦٧ .

(٤) الجامع اللطيف لابن ظهيرة ص ٢٦٧ .

(٥) هو محمد بن عبد الله بن محمد أبو بكر المعروف بابن العربي الاشبيلي المالكي الإمام العلامة =

موجود فيه إلى يوم القيامة لمن صحت نيته ، وسلمت طويته ، ولم يكن به مكذبا ، ولا يشربه مجربا ، فإن الله مع المتوكلين ، وهو يفضح المجربين » [١] .

٩ - ومن الخصائص الأخرى لماء زمزم ما ذكره الإمام الزركشي أن الله تعالى خصه بالملوحة ليكون الباعث عليه الملمح الإيماني ، ولو جعله عذباً لغلب الطبع البشري [٢] .

ومعنى هذا هو ما قاله أحد العلماء : إنما لم يكن عذبا ليكون شربه تعبدا لا تلذذا [٣] .

وقد ذكر الزركشي رحمه الله تعالى أيضا أن الله تعالى يعظم ماءها في الموسم [٤] ، ويكثر كثرة خارقة لعادة الآبار ، ويحلو ، وقال : « وقد شاهدنا ذلك وغيرنا » [٥] .

ومما يحسن التنبيه عليه هنا : نقاوة ماء زمزم ، وخلوه من الشوائب في كل وقت ، وقد ثبت ذلك بواسطة التحاليل الحديثة .

فقد جرى أخيرا من قبل أصحاب الشأن أخذ عينات من ماء زمزم لتحليله ، فلم يُسجّل في أي وقت من الأوقات أي شائبة تنقص من قدر نقاء العيّنة المأخوذة مباشرة من البئر ، أو تقلّل من صلاحيتها للشرب ، وذلك بكل المقاييس المعمول بها [٦] .

= الحافظ القاضي كان فقيها عالما وزاهدا عابدا ، له تصانيف . منها : تفسيره المشهور ، وعارضة الأحوذي في شرح جامع الترمذي ، المحصول في الأصول . توفي سنة ٥٤٣ هـ .

انظر وفيات الأعيان ٢٩٦/٤ ، سير أعلام النبلاء ١٩٧/٢٠ ، تذكرة الحفاظ ١٢٩٤/٤ ، شذرات الذهب ١٤١/٤ .

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٧٠/٩ .

(٢) إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ص ٢٠٦ .

(٣) نقل ذلك الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله في كتاب هداية الناسك إلى أهم المناسك ص ٥١ عن ابن عرفة رحمه الله .

(٤) أي موسم الحج .

(٥) إعلام الساجد للزركشي ص ٢٠٦ .

(٦) من تقرير لوكالة الأنباء السعودية عام ١٤٠٦ هـ خاص بزمزم ، يوجد ضمن كتاب وثائق وكالة الأنباء السعودية المطبوع عام ١٤٠٨ هـ ص ٥٨ ، وانظر أيضا كتاب (زمزم طعام طعم وشفاء =

ولهذا وغيره قام مركز القلب السعودي باستخدام ماء زمزم الطاهر في غسيل قلوب المرضى ، بدلا من بعض المحلولات الطبية ، كما أفادت إحدى المجلات [١] .

هذه أهم خصائص ماء زمزم المبارك ، وقد ذكر بعض العلماء خصائص ومميزات أخرى [٢] ، تحتاج في ثبوتها إلى أدلة صحيحة .

وأختتم هذا المبحث بمقالة ابن القيم رحمه الله عن فضل ماء زمزم ، وشرفه على غيره : « ماء زمزم : سيد المياه وأشرفها وأجلّها قدرا ، وأحبّها إلى النفوس ، وأغلاها ثمنا ، وأنفسها عند الناس ، وهو هَزْمة جبريل ، وسُقيا الله إسماعيل » [٣] .

* * *

= سقم) للمهندس يحيى حمزه كوشك ص ١٠٩ فما بعدها حيث أورد المؤلف عدة جداول لمعرفة مكونات مياه بئر زمزم ومقابلتها بنظيراتها من الآبار القريبة منها .

(١) انظر المجلة العربية عدد ١٢٧ ص ٩٨ شهر شعبان ١٤٠٨ هـ .

(٢) انظر مثلا أخبار مكة للأزرقي ٥٩/٢ ، إعلام الساجد للزركشي ص ٢٠٦ ، شفاء الغرام للفاسي ٢٥٦/٢ .

(٣) زاد المعاد ٤/٣٥٢ .

المبحث الثاني

صفة التبرك بشربه

يسن للحاج أو المعتمر أن يشرب من ماء زمزم بعد فراغه من الطواف وصلاة ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام .

فقد ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في صفة حج النبي ﷺ أنه بعد أن قضى طوافه ﷺ أتى بني عبد المطلب وهم يسقون على زمزم فقال : « انزِعوا [1] بني عبد المطلب ، فلولا أن يغلبكم الناس علي سقايتكم لنزعت معكم [2] ، فناولوه دلوا فشرب منه » [3] .

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « سقيت رسول الله ﷺ من زمزم ، فشرب وهو قائم » [4] .

ومن المعلوم أنه قد وردت عدة أحاديث صحيحة تنهى عن الشرب قائما .

---

(١) قوله (انزعوا) بكسر الزاي ومعناه : استقوا بالدلاء وانزعوها بالرشاء . قاله النووي في شرحه لصحيح مسلم ١٩٤/٨ .

(٢) معناه : لولا خوفي أن يعتقد الناس ذلك من مناسك الحج ويزدحمون عليه ، بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن الاستقاء لاستقيت معكم ، لكثرة فضيلة هذا الاستقاء . من كتاب شرح النووي لصحيح مسلم ١٩٤/٨ .

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم ٨٩٢/٢ كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ .
وقد أخرجه البخاري مختصرا عن ابن عباس رضي الله عنهما . انظر ١٦٧/٢ من صحيح البخاري .

(٤) صحيح البخاري ١٦٧/٢ كتاب الحج ، باب ما جاء في زمزم ، وصحيح مسلم ١٦٠١/٣ كتاب الأشربة ، باب في الشرب من زمزم قائما .

وقد أجاب عن هذا الإمام النووي رحمه الله بقوله : « النهي فيها محمول على كراهة التنزيه ، وأما شربه ﷺ قائما فبيان للجواز ، فلا إشكال ولا تعارض » [(١)] .

وقيل إن الشرب من زمزم من غير قيام يشق لارتفاع ما عليها من الحائط [(٢)] .

والحاصل أن السنة شرب المسلم من زمزم دون قيام ، لعموم أحاديث النهي عنه ، إلا لحاجة ، ولا سيما أن في رواية البخاري « فحلف عكرمة – وهو مولى ابن عباس – ما كان يومئذ إلا على بعير » [(٣)] .

وليس الأمر كما ذكر بعضهم [(٤)] أن من السنة أن يشرب المسلم من زمزم قائما ، استنادا إلى ذلك الحديث .

ولا يقتصر استحباب الشرب من ماء زمزم على الحاج أو المعتمر [(٥)] ، بل هو عام ، لعموم أحاديث فضل ماء زمزم ، وما فيها من البركة والنفع والشفاء .

ومن سنن الشرب من ماء زمزم أن يتضلّع [(٦)] منه ، أي يُكثر من شربه . لما روى ابن ماجه وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن آية ما بيننا وبين المنافقين ، أنهم لا يتضلعون من زمزم » [(٧)] .

وأيضا فإن الاكثار من شرب ماء زمزم ، ولو فوق المعتاد ، لقصد بركته ، من

---

(١) انظر تتمة كلام النووي في شرحه لصحيح مسلم ١٩٥/١٣ .

(٢) عمدة القاري للعيني ٢٧٨/٩ .

(٣) صحيح البخاري ١٦٧/٢ .

(٤) انظر مثلا كتاب الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة لسعيد بن علي القحطاني ص ٦٥ .

(٥) ذكر بعض العلماء أن الصائم بمكة يستحب له الفطر على ماء زمزم لبركته . انظر إعلام الساجد للزركشي ص ٢١٦ .

(٦) تضلّع : أي أكثر من الشرب حتى تمدد جنبه وأضلاعه (النهاية لابن الأثير ٩٧/٣) .

(٧) أخرجه ابن ماجه في سننه ١٠١٧/٢ كتاب المناسك ، باب الشرب من زمزم ، وفي الحديث قصة . وقال البوصيري : هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات (مصباح الزجاجة ٣٤/٣) .

وأخرجه الدارقطني في سننه ٢٨٨/٢ ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤٧٢/١ كتاب المناسك ، وعبد الرزاق في المصنف ١١٣/٥ .

الأمور المستحبة – كما فعل جابر [١] بن عبد الله رضي الله عنه في استكثاره من شرب الماء الذي نبع من بين أصابع الرسول ﷺ لأجل البركة [٢] .

ومن السنن أيضا أن يدعو عند شربه ، بما أحب من الأدعية الشرعية ، وينوي به ما شاء من خيري الدنيا والآخرة ، كالاستشفاء أو الانتفاع ، ونحو ذلك لحديث « زمزم لما شرب له » كما سلف بيانه .

ويروى أن ابن عباس رضي الله عنهما كان إذا شرب ماء زمزم قال : « اللهم أسألك علما نافعا ، ورزقا واسعا ، وشفاء من كل داء » [٣] .

ومن آداب الشرب من ماء زمزم ما جاء في سنن ابن ماجه وغيره : أن رجلا جاء إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال : من أين جئت ؟ قال : من زمزم ، قال : فشربت منها كما ينبغي ؟ قال : وكيف ؟ قال : إذا شربت منها فاستقبل القبلة ، واذكر اسم الله ، وتنفس ثلاثا ، وتضلّع منها ، فإذا فرغت فاحمد الله عز وجل ، فإن رسول الله ﷺ قال : « إن آية ما بيننا ... » [٤] الحديث .

هذا ما يتعلق ببيان صفة التبرك بشرب ماء زمزم . ولكن هل التبرك به يتعدى هذا – أي الشرب – إلى مسح أعضاء الجسم به مثلا ؟

لم أقف على من تكلم في هذا سوى ما نقله بعضهم عن عبد الله بن الإمام أحمد رحمهما الله أنه قال : « رأيت أبي غير مرة يشرب من ماء زمزم ، يستشفي به ، ويمسح به يديه ووجهه » [٥] والله تعالى أعلم .

وأما الآن فسأعرض بإيجاز أحكام مسائل أخرى مهمة ، تتعلق باستعمال هذا الماء المبارك .

---

(١) انظر فتح الباري ١٠٢/١٠ .

(٢) راجع صحيح البخاري ٢٥٣/٦ كتاب الأشربة ، باب شرب البركة والماء المبارك .

(٣) أخرجه الدارقطني في سننه ٢٢٨/٢ ، والحاكم في المستدرك ٤٧٣/١ كتاب المناسك ، وعبد الرزاق في المصنف ١١٣/٥ .

(٤) تقدم تخريج هذا الحديث قريبا عند إيراد آخره .

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢١٢/١١ ، الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح الحنبلي ١١٠/٣ .

حكم الوضوء والغسل بماء زمزم :

مذهب الجمهور أنه لا يكره الوضوء والغسل بماء زمزم .

وفي رواية عن الإمام أحمد رحمه الله أنه يكره ، لما جاء عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال في زمزم : « لست أحلها لمغتسل ، وهي لشارب حل وبل [١] » [٢] ولأنه يزيل به مانعا من الصلاة ، أشبه ازالة النجاسة به [٣] .

ومن أدلة الجمهور كما ذكر النووي رحمه الله : النصوص الصحيحة الصريحة المطلقة في المياه بلا فرق ، وأنه لم يزل المسلمون على الوضوء منه بلا إنكار .

ثم قال : « ولم يصح ما ذكروه عن العباس ، بل حكي عن أبيه عبد المطلب [٤] ، ولو ثبت عن العباس لم يجز ترك النصوص به ، وأجاب أصحابنا – الشافعية – أنه محمول على أنه قاله في وقت ضيق الماء لكثرة الشاربين [٥] » [٦] .

ومما قال ابن قدامة [٧] رحمه الله مرجحا عدم الكراهة : « وشرفه لا يوجب الكراهة لاستعماله ، كالماء الذي وضع فيه النبي ﷺ كفه ، أو اغتسل منه » [٨] .

---

(١) الحل : الحلال ، والبل : المباح بلغة حمير (شرح السنة للبغوي ٣٠٠/٧) وقيل : الشفاء ، من قولهم : بلّ من مرضه وأبلّ (النهاية لابن الأثير ١٥٤/١) .

(٢) رواه الإمام عبد الرزاق في المصنف ١١٤/٥ بلفظ (وهي لشارب ومتوضيء) عن العباس وعن ابنه أيضا ، وكذا الفاكهي في أخبار مكة ٦٣/٢ ، والأزرقي في أخبار مكة ٥٨/٢ .

(٣) المغني لابن قدامة ١٨/١ ، المجموع شرح المهذب للنووي ٩١/١ .

(٤) انظر أخبار مكة للأزرقي ٤٣/٢ ، وقد رجح ابن كثير أنه عن عبد المطلب نفسه لأن هو الذي جدد حفر زمزم ، وأن العباس وابنه قالا ذلك أيضا في أيامهما على سبيل التبليغ والأعلام بما اشترطه عبد المطلب عند حفره لها ، والله أعلم . انظر البداية والنهاية لابن كثير ٢٤٧/٢ .

(٥) جاء في رواية الأزرقي أن سبب هذا القول هو أن العباس رضي الله عنه وجد رجلا يغتسل من حوض زمزم عريانا ، وفي رواية أخرى له أن رجلا اغتسل من ماء زمزم فوجد من ذلك وجدا شديدا . انظر أخبار مكة للأزرقي ٥٨/٢ .

(٦) المجموع شرح المهذب ٩١/١

(٧) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي أبو محمد موفق الدين الإمام العلامة المجتهد ، كان مع تبحره في العلوم ورعا زاهدا كثير العبادة ، حسن الأخلاق ، له مؤلفات غزيرة مفيدة . منها : المغني في الفقه ، روضة الناظر في أصول الفقه ، مسألة العلو ، ذم التأويل ، فضائل الصحابة . توفي بدمشق سنة ٦٢٠ هـ .

انظر : سير أعلام النبلاء ١٦٥/٢٢ ، البداية والنهاية ٩٩/١٣ ، الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ١٣٣/٢ ، شذرات الذهب ٨٨/٥ .

(٨) المغني ١٨/١ .

وقد روى الإمام أحمد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قصة حجة النبي ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام دعا بَسَجْل (١) من ماء زمزم فشرب منه وتوضأ (٢) .

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقد رأي كراهة الغسل بماء زمزم دون الوضوء ، لأن حدث الجنابة أغلظ ، فإن غسل الجنابة يجري مجرى إزالة النجاسة من وجه ، فيجب أن يغسل من الجنابة ما يجب أن يغسل من النجاسة ، ولأن النهي عن العباس إنما جاء عن الغسل فقط لا عن الوضوء (٣) .

حكم الاستنجاء به :

اختلف العلماء رحمهم الله في حكم الاستنجاء بماء زمزم على ثلاثة أقوال :
فقيل : يحرم ذلك وإن أجزأ ، لحرمة ماء زمزم وكرامته .

وعلل بعضهم ذلك بكونه يقتات به كالطعام ، فيلتحق في الاحترام بالمطعومات . وقيل : يكره .

وقيل : خلاف الأولى (٤) ، وأنه لا ينبغي إزالة النجاسة به ، سيما في الاستنجاء ، وخصوصا مع وجود غيره (٥) .

ومن فروع منع التطهير بماء زمزم : منع تغسيل الميت به ، كما أشار إليه بعض العلماء (٦) .

وقد ذكر الفاكهي (٧) - وهو من علماء القرن الثالث - أن أهل مكة

---

(١) السجل : الدلو الملأى ماء (النهاية لابن الأثير ٣٤٤/٢) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٧٦/١ وقد قال الزركشي عن ماء زمزم : (وقد صح أنه ﷺ توضأ به) ، إعلام الساجد للزركشي ص ١٣٦ . وأصل هذا الحديث في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه - تقدمت الإشارة إليه قريبا - لكن ليس فيه أنه ﷺ توضأ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٦٠٠/١٢ ، وانظر بدائع الفوائد لابن القيم ٤٨/٤ .

(٤) إعلام الساجد بأحكام المساجد ص ١٣٦ ، ١٣٧ بتصرف واختصار ، وانظر بدائع الفوائد ٤٧/٤ .

(٥) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسي ٢٥٨/١ بتصرف يسير .

(٦) انظر المرجع السابق ٢٥٨/١ .

(٧) هو محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي أبو عبد الله المكي المؤرخ صاحب كتاب أخبار مكة =

يغسلون موتاهم بماء زمزم : إذا فرغوا من غسل الميت وتنظيفه جعلوا آخر غسله بماء زمزم ، تبركا به [١] .

حكم نقل ماء زمزم خارج الحرم :

يجوز نقل ماء زمزم إلى جميع البلدان للتبرك به ، باتفاق العلماء [٢] والأصل في جواز ذلك ما أخرجه الترمذي وغيره عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تحمل من ماء زمزم ، وتخبر أن رسول الله ﷺ كان يحمله [٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « ومن حمل شيئا من ماء زمزم جاز ، فقد كان السلف يحملونه » [٤] .

وقال الإمام الزركشي رحمه الله : « يجوز إخراج ماء زمزم وغيره من مياه الحرم ، ونقله إلى جميع البلدان ، لأن الماء يُستخلف ، بخلاف نقل التراب والحجر » [٥] .

وقال الإمام السخاوي [٦] رحمه الله : « يذكر على بعض الألسنة أن فضيلته

= قديم الدهر وحديثه . توفي بعد سنة ٢٧٢ هـ .

انظر كشف الظنون ٣٠٦/١ ، هدية العارفين ٢٠/٦ ، الأعلام ٢٨/٦ ، مقدمة في الجزء الأول من كتاب (أخبار مكة للفاكهي) للمحقق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش .

(١) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه للفاكهي ٤٨/٢ .

(٢) انظر شرح السنة للبغوي ٣٠٠/٧ ، شفاء الغرام للفاسي ٢٥٨/١ ، الجامع اللطيف لابن ظهيرة ص ٢٧٧ . بل إن نقل ماء زمزم مستحب عند المالكية والشافعية . انظر المرجعين الأخيرين .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ٢٩٥/٣ كتاب الحج ، وقال حديث حسن غريب ، والحاكم في المستدرك ٤٨٥/١ كتاب المناسك ، وأخرجه الفاكهي في أخبار مكة ٤٩/٢ .

(٤) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ٤١٣/٢ ، وانظر أخبار مكة للفاكهي ٥٠/٢ .

(٥) إعلام الساجد ص ١٣٧ .

(٦) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين أبو الخير السخاوي المصري الشافعي الإمام الحافظ المؤرخ الأديب نزيل الحرمين الشريفين ، ورحل إلى الآفاق طلبا للعلم ، ألف كتبا كثيرة جدا . منها : فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ، التحفة اللطيفة في أخبار المدينة الشريفة . توفي بالمدينة سنة ٩٠٢ هـ .

انظر شذرات الذهب ١٦/٨ ، هدية العارفين ٢١٩/٦ ، الأعلام ١٩٤/٦ .

ما دام في محله ، فإذا نقل يتغير ، وهو شيء لا أصل له » ثم ساق شواهد نقله للتبرك به ، عن الرسول ﷺ وبعض أصحابه رضي الله عنهم [(١)] .

وبهذا ينتهي الكلام في هذا الفصل (التبرك بشرب ماء زمزم) بتوفيق الله تعالى .

* * *

---

(١) انظر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي ص ٣٥٨ ، وراجع الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي ١١٠/٣ .

الفصل الرابع
التبرك بأمور أخرى

المبحث الأول
السحور

معناه :

هو بالفتح اسم ما يتسحر به [1] من الطعام والشراب ، وبالضم المصدر والفعل نفسه [2] .

قال ابن الأثير رحمه الله : « وأكثر ما يروى بالفتح ، وقيل : إن الصواب بالضم ، لأنه بالفتح الطعام ، والبركة والأجر والثواب في الفعل لا في الطعام » [3] .

وقـــته :

سمي السحور بذلك لوقوعه وقت السحر . والسحر آخر الليل قبيل الصبح ، وقيل : هو من ثلث الليل الآخر إلى طلوع الفجر [4] . والمقصود أن نهاية وقت سحور الصائم هو طلوع الفجر كما قال تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود [5] من الفجر ﴾ [6] .

---

(١) الصحاح للجوهري ٦٧٩/٢ ، القاموس المحيط ٥٢٨/٢ بترتيب الزاوي .

(٢) النهاية لابن الأثير ٣٤٧/٢ .

(٣) المرجع السابق ٣٤٧/٢ .

(٤) لسان العرب ٣٥٠/٤ بتصرف .

(٥) أي سواد الليل وبياض النهار ، كما فسره الرسول ﷺ في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه . انظر صحيح البخاري ٢٣١/٢ كتاب الصيام ، باب قول الله تعالى ﴿ وكلوا واشربوا ﴾ الآية .

(٦) سورة البقرة (١٨٧) .

ويسن تأخير السحور ما لم يخش طلوع الفجر ، ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه ، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : « تسحرنا مع رسول الله ﷺ ، ثم قمنا إلى الصلاة . قلت : كم كان قدر ما بينهما ؟ قال : خمسين آية » [١] .

قال الإمام البغوي رحمه الله : « واستحب أهل العلم تأخير السحور » [٢] .

حكمه :

يستحب السحور للصائم لقول الرسول ﷺ : « تسحروا فإن في السحور بركة » [٣] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر » [٤] ، ففي السحور مخالفة لأهل الكتاب .

قال الإمام النووي رحمه الله : « معناه الفارق والمميز بين صيامنا وصيامهم السحور ، فإنهم لا يتسحرون ، ونحن يستحب لنا السحور » [٥] اهـ .

ويحصل السحور بأقل ما يتناوله المرء من مأكول ومشروب [٦] .

فضل السحور وبركته :-

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « تسحروا فإن في السحور بركة » [٧] ،

---

(١) صحيح البخاري ٢/٢٣٢ كتاب الصوم ، باب قدركم بين السحور وصلاة الفجر ، وصحيح مسلم ٢/٧٧١ كتاب الصيام ، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه ، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر .

(٢) شرح السنة للبغوي ٦/٢٥٣ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/٢٣٢ كتاب الصوم ، باب بركة السحور من غير إيجاب لأن النبي ﷺ وأصحابه واصلوا ولم يذكر السحور ، ومسلم في صحيحه ٢/٧٧٠ كتاب الصيام ، باب فضل السحور - عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

وقد بوب ابن خزيمة لهذا الحديث بقوله : باب الأمر بالسحور أمر ندب وإرشاد إذ السحور بركة ، لا أمر فرض وإيجاب يكون تاركه عاصيا بتركه . صحيح ابن خزيمة ٣/٢١٣ كتاب الصيام .

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٢/٧٧١ كتاب الصيام باب فضل السحور ، عن عمرو ابن العاص رضي الله عنه .

(٥) شرح النووي لصحيح مسلم ٧/٢٠٧ .

(٦) انظر فتح الباري لابن حجر ٤/١٤٠ .

(٧) تقدم تخريج هذا الحديث قريبا . وهو مخرج في الصحيحين .

وروي عن العرباض بن سارية [١] رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يدعو رجلا إلى السحور فقال : « هلم إلى الغداء المبارك » [٢] .

فللسحور بركة دينية ودنيوية .

قال الامام النووي رحمه الله في بيان بركة السحور : البركة التي في السحور ظاهرة ، لأنه يقوي على الصيام وينشّط له ، وتحصل بسببه الرغبة في الازدياد من الصيام لخفة المشقة فيه على المتسحر . وقيل : لأنه يتضمن الاستيقاظ والذكر والدعاء في ذلك الوقت الشريف ، وقت تنزل الرحمة وقبول الدعاء والاستغفار ، وربما توضأ صاحبه وصلى ، أو أدام الاستيقاظ للذكر والدعاء والصلاة ، أو التأهب لها حتى يطلع الفجر [٣] .

والأقرب أن البركة تشمل ذلك كله ، وغيره من منافع السحور الدينية والدنيوية ، وأن السحور يتضمن الطعام والشراب ، والفعل أي التسحر .

جاء في فتح الباري لابن حجر رحمه الله : « الأولى أن البركة في السحور تحصل بجهات متعددة ، وهي اتباع السنة ، ومخالفة أهل الكتاب ، والتقوي به على العبادة ، والزيادة في النشاط ، ومدافعة سوء الخُلق الذي يثيره الجوع والتسبب بالصدقة على من يسأل إذ ذاك ، أو يجتمع معه على الأكل ، والتسبب بالذكر والدعاء وقت مظنة الاجابة ، وتدارك نية الصوم لمن أغفلها قبل أن ينام ، قال ابن دقيق العيد [٤] : هذه

---

(١) هو العرباض بن سارية السلمي أو نجيح ، كان من أهل الفقه ونزل حمص بالشام . توفي سنة ٧٥ هـ .

انظر أسد الغابة ٥١٦/٣ ، الإصابة ٢٦٦/٢ ، تهذيب التهذيب ١٧٤/٧ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٧٥٨/٢ كتاب الصوم ، باب من سمى السحور غداء ، والنسائي في سننه ١٤٥/٤ كتاب الصيام ، باب الدعوة إلى السحور ، والإمام أحمد في مسنده ١٢٦/٤ ، وابن خزيمة في صحيحه ٢١٤/٣ كتاب الصيام ، باب ذكر الدليل أن السحور قد يقع عليه اسم الغداء ، وابن حبان في صحيحه ١٩٤/٥ ترتيب الفارسي ، وقال الألباني في مشكاة المصابيح ٦٢٢/١ : إسناده حسن .

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم ٢٠٦/٧ بتصرف .

(٤) هو محمد بن علي بن وهب القشيري المنفلوطي تقي الدين أبو الفتح الإمام الفقيه المجتهد الحافظ المحدث صاحب التصانيف . المعروف بابن دقيق العيد ، من أذكياء زمانه ، واسع العلم ساكنا وقورا =

البركة يجوز أن تعود إلى الأمور الأخروية ، فإن إقامة السنة توجب الأجر وزيادته ، ويحتمل أن تعود إلى الأمور الدنيوية كقوة البدن على الصوم ، وتيسيره من غير إضرار بالصائم » [(١)] اهـ .

ومن الفضائل التي يمكن أن تضاف للسحور عدا ما تقدم : صلاة الله تعالى وملائكته على المتسحرين ، ولا شك أنها فضيلة عظيمة .

فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « السحور أكله بركة ، فلا تدعوه ، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء ، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين » [(٢)] .

فينبغي للمسلم اتباع الرسول ﷺ في فعل هذه السنّة ، حتى يحوز على بركتها وفضائلها ، ومنافعها الدنيوية والأخروية .

* * *

= حافظا متقنا ، ولي القضاء بمصر ، من تصانيفه : شرح العمدة ، الإمام في الأحكام ، الاقتراح في علوم الحديث . مات سنة ٧٠٢ هـ .

انظر تذكرة الحفاظ ١٤٨١/٤ ، طبقات الحفاظ ص ٥١٦ ، شذرات الذهب ٥/٦ ، الأعلام ٢٨٣/٦ .

(١) فتح الباري ١٤٠/٤ ، وانظر كتاب إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ١٨/٢ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٢/٣ ، ٤٤ ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ١٣٩/٢ : (رواه أحمد وإسناده قوي) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٠/٣ : (رواه أحمد وفيه رفاعة ، ولم أجد من وثقه ولا جرحه ، وبقية رجاله رجال الصحيح) ، وأخرج ابن حبان في صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ١٩٤/٥) الجملة الأخيرة من الحديث (إن الله وملائكته ...) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

المبحث الثاني
آداب فى الطعام لنيل البركة

للطعام آداب كثيرة معروفة ومشهورة ، وسأقتصر في هذا المبحث على بيان آداب الطعام التي أرشدنا إليها الرسول ﷺ وقرنها بالبركة . وهي ما يأتي :

١ - الاجتماع على الطعام :-

عن وحشي بن حرب رضي الله عنه أن أصحاب النبي ﷺ قالوا : يارسول الله ، إنا نأكل ولا نشبع ، قال : « فلعلكم تأكلون متفرقين ؟ » قالوا : نعم . قال : « فاجتمعوا على طعامكم ، واذكروا اسم الله عليه يُبارك لكم فيه » (١) .

ومما يدل أيضا على بركة الاجتماع على الطعام ماجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « طعام الاثنين كافي الثلاثة ، وطعام الثلاثة كافي الأربعة » (٢) .

وفي رواية أخرى لمسلمْ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه « طعام الواحد يكفي الاثنين ، وطعام الاثنين يكفي الأربعة ، وطعام الأربعة يكفي الثمانية » (٣) .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ١٣٨/٤ كتاب الأطعمة ، باب في الاجتماع على الطعام ، وابن ماجه في سننه ١٠٩٣/٢ كتاب الأطعمة ، باب الاجتماع على الطعام ، والإمام أحمد في مسنده ٥٠١/٣ ، وابن حبان في صحيحه ٣٢٧/٧ كتاب الأطعمة ، ذكر الأمر بالاجتماع على الطعام رجاء البركة في الاجتماع عليه .

(٢) صحيح البخاري ٢٠٠/٦ كتاب الأطعمة ، باب طعام الواحد يكفي الأثنين ، صحيح مسلم ١٦٣٠/٣ كتاب الأشربة ، باب فضيلة المواساة في الطعام القليل وأن طعام الاثنين يكفي الثلاثة ونحو ذلك .

(٣) صحيح مسلم ١٦٣٠/٣ الكتاب والباب السابقان .

قال النووي رحمه الله : في الحديث حث على المواساة في الطعام ، وأنه وإن كان قليلا حصلت منه الكفاية المقصودة ، ووقعت فيه بركة تعم الحاضرين عليه [١] .

وقال ابن حجر رحمه الله : يؤخذ من هذا الحديث أن الكفاية تنشأ عن بركة الاجتماع على الطعام ، وأن الجمع كلما كثر ازدادت البركة [٢] .

ولهذا ذهب بعض العلماء إلى استحباب الاجتماع على الطعام ، وأن لا يأكل المرء وحده [٣] .

٢ - التسمية على الطعام :-

تقدم آنفا حديث « اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه » ، ولهذا فإن ترك التسمية على الطعام يمنع حصول البركة فيه .

حتى أن الشيطان أعاذنا الله منه يشارك في الأكل منه ، كما ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : « إن الشيطان يستحلّ الطعام ألّا يذكر اسم الله عليه » [٤] .

قال النووي رحمه الله تعالى : « معنى (يستحل) أي يتمكن من أكله ، ومعناه أن يتمكن من أكل الطعام إذا شرع فيه إنسان بغير ذكر الله تعالى ، وأما إذا لم يشرع فيه أحد فلا يتمكن ، وإن كان جماعة فذكر اسم الله بعضهم دون بعض لم يتمكن منه » [٥] .

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ٢٣/١٤ .

(٢) فتح الباري ٥٣٥/٩ بتصرف يسير .

(٣) المرجع السابق ٥٣٥/٩ .

(٤) صحيح مسلم ١٥٩٧/٣ كتاب الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ، وللحديث قصة .

(٥) شرح النووي لصحيح مسلم ١٨٩/١٣ ، ١٩٠ .

ومما ذكره النووي أيضا عن آداب هذه التسمية وأحكامها قوله : أجمع العلماء على استحباب (١) التسمية على الطعام في أوله ، فإن تركها في أوله عامدا أو ناسيا أو مكرها أو عاجزا لعارض آخر ، ثم تمكن في أثناء أكله استحب أن يسمي ويقول : بسم الله أوله وآخره ، كما جاء في الحديث (٢) ، ويستحب أن يجهر بالتسمية ليكون فيه تنبيه لغيره عليها وليقتدى به في ذلك (٣) .

٣ - الأكل من جوانب اناء الطعام :-

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « البركة تنزل في وسط الطعام ، فكلوا من حافتيه ، ولا تأكلوا من وسطه » (٤) .

وعن عبد الله بن بسر (٥) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتي بقصعة (٦) ،

---

(١) ذهب جماعة من العلماء إلى وجوب التسمية على الطعام . انظر كتاب فتح الباري لابن حجر ٥٢٢/٩ ، وكتاب بذل المجهود للسهارنفوري ٩٧/١٦ .

(٢) راجع ص ٢٠٧.

(٣) الأذكار ص ١٩٧ بتصرف ، وانظر شرح النووي لصحيح مسلم ١٨٨/١٣ ، ١٨٩ .

(٤) أخرجه الترمذي ٢٦٠/٤ كتاب الأطعمة ، باب ماجاء في كراهية الأكل من وسط الطعام ، وقال : هذا حديث صحيح ، واللفظ له ، وابن ماجه في سننه ١٠٩٠/٢ كتاب الأطعمة ، باب النهي عن الأكل من ذروة الثريد ، والإمام أحمد في مسنده ٢٧٠/١ ، والدارمي في سننه ١٠٠/٢ كتاب الأطعمة ، باب النهي عن أكل وسط الثريد حتى يأكل جوانبه ، وابن حبان في صحيحه ٣٣٣/٧ كتاب الأطعمة ، ذكر الابتداء في الأكل من جوانب الطعام .

وقد أخرجه أبو داود بلفظ (إذا أكل أحدكم طعاما فلا يأكل من أعلا الصحفة ، ولكن ليأكل من أسفلها ، فإن البركة تنزل من أعلاها) سنن أبي داود ١٤٢/٤ كتاب الأطعمة ، باب ما جاء في الأكل من أعلا الصحفة .

(٥) هو عبد الله بن بسر المازني أبو صفوان السلمي الحمصي . صحب النبي ﷺ هو وأبوه وأمه وأخوه عطية وأخته الصماء . مات بحمص سنة ٩٦ هـ وقيل سنة ٨٨ هـ وعمره مائة سنة وهو آخر من مات بالشام من الصحابة .

انظر أسد الغابة ٨٢/٣ ، الكاشف للذهبي ٦٢/٢ ، الإصابة ٢٧٣/٢ ، تهذيب التهذيب ١٥٨/٥ .

(٦) القصعة : وعاء يؤكل فيه ويثرد ، وكان يتخذ من الخشب غالبا . من كتاب المعجم الوسيط ٧٤٦/٢ .

فقال رسول الله ﷺ : « كلوا من جوانبها ، ودعوا ذروتها [١] ، يُبارك فيها » [٢] .

ففي هذين الحديثين ونحوهما إرشاد من الرسول ﷺ للمسلمين عند الأكل ، أن يبتدئوا من جوانب إناء الطعام ، إبقاء للبركة التي أودعها الله تعالى في وسطه ، وألا يأكلوا من وسط الطعام حتى يأكلوا جوانبه . وهذا الأدب عام في من يأكل وحده ، أو مع غيره .

وقال الخطابي [٣] رحمه الله : يحتمل أن يكون النهي عن الأكل من أعلى الصحفة إذا أكل مع غيره ، وذلك أن وجه الطعام هو أطيبه وأفضله ، فإذا قصده بالأكل كان مستأثرا به على أصحابه ، وفيه من ترك الأدب وسوء العشرة ما لا يخفى ، فأما إذا أكل وحده فلا بأس به ، والله أعلم [٤] .

والظاهر أن ذلك عام ، فقد ورد النهي في الحديثين بصيغتي الإفراد والجمع ، ولعل المقصود المحافظة على إبقاء بركة الطعام مدة أطول .

ثم إنه لا شك أن هذا أيضا فيه حسن الأدب ولا سيما عند الأكل جماعة .

٤ - لعق الأصابع بعد الأكل ، ولعق إناء الطعام ، وأكل اللقمة الساقطة :-

في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل

---

(١) أي أعلاها ، فإن ذروة كل شيء أعلاه . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٥٩/٢ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ١٤٣/٤ كتاب الأطعمة ، باب ماجاء في الأكل من أعلا الصحفة - وفيه قصة - وأخرجه ابن ماجه في سننه ١٠٩٠/٢ كتاب الأطعمة ، باب النهي عن الأكل من ذروة الثريد ، ورمز له السيوطي بأنه حسن (الجامع الصغير ٩٦/٢) .

(٣) هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي أبو سليمان الخطابي الإمام العلامة الحافظ اللغوي صاحب التصانيف ، ومنها : معالم السنن في شرح سنن أبي داود ، غريب الحديث ، شرح الأسماء الحسنى ، الغنية عن الكلام وأهله . توفي سنة ٣٨٨ هـ .

انظر معجم البلدان ٤١٥/١ ، الأنساب ٢١٠/٢ ، وفيات الأعيان ٢١٤/٢ ، سير أعلام النبلاء ٢٣/١٧ ، البداية والنهاية ٢٣٦/١١ .

(٤) معالم السنن للخطابي ١٢٤/٤ بتصرف .

طعاما لعق أصابعه الثلاث ، وقال : « إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى ، وليأكلها ، ولا يدعها للشيطان » وأمرنا أن نسلت القصعة . قال : « فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة » [١] .

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا أكل أحدكم فليلعق أصابعه ، فإنه لا يدري في أيّتهن البركة » [٢] .

وفي رواية أخرى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه « ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه » [٣] ونحو ذلك من الروايات الأخرى .

هذه الأحاديث تحتوي على أنواع من سنن الأكل : منها استحباب لعق أصابع اليد محافظة على بركة الطعام ، وتنظيفا لها ، واستحباب لعق إناء الطعام ، واستحباب أكل اللقمة الساقطة ، بعد مسح أذى قد يصيبها وغير ذلك [٤] .

وقد قال النووي شارحا معنى قوله ﷺ « لا تدرون في أي طعامكم البركة » قال رحمه الله : « معناه والله أعلم : أن الطعام الذي يحضره الانسان فيه بركة ، ولا يدري أن تلك البركة فيما أكله ، أو فيما بقي على أصابعه ، أو فيما بقي في أسفل القصعة ، أو في اللقمة الساقطة ، فينبغي أن يحافظ على هذا كله لتحصل البركة ، وأصل البركة الزيادة ، وثبوت الخير ، والامتاع به ، والمراد هنا – والله أعلم – ما يحصل به التغذية ، وتسلم عاقبته من أذى ، ويقوّي على طاعة الله تعالى ، وغير ذلك » [٥] .

وقال الخطابي رحمه الله مناقشا من استعاب لعق الأصابع ونحوه : زعم قوم من أهل الترفّه أن لعق الأصابع مستقبح أو مستقذر ، كأنهم لم يعلموا أن الذي علق

---

(١) صحيح مسلم ١٦٠٧/٣ كتاب الأشربة ، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة ، وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى ، وكراهة مسح اليد قبل لعقها .

(٢) صحيح مسلم ١٦٠٧/٣ الكتاب والباب السابقان .

(٣) صحيح مسلم ١٦٠٦/٣ الكتاب والباب السابقان .

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم ٢٠٣/٣ ، ٢٠٤ بتصرف .

(٥) المرجع السابق ٢٠٦/٣ .

بالأصبع أو الصحفة جزء من أجزاء الطعام الذي أكلوه فإذا لم يكن سائر أجزائه المأكولة مستقذرا لم يكن هذا الجزء اليسير منه الباقي في الصحفة واللاصق بالأصابع مستقذرا كذلك ... الخ [١] .

ويلحظ في هذه الآداب النبوية الحث على نيل بركة الطعام وتحصيلها ، كما أن فيها محافظة على عدم ضياع شيء من الطعام ، مما يساعد في توفير المال وعدم تبذيره .

٥ - بركة كيل الطعام :-

حث الرسول ﷺ على كيل الطعام ، ووعد بإيجاد البركة فيه من الله سبحانه وتعالى .

فقد ثبت في صحيح البخاري عن المقدام بن معد يكرب [٢] رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « كيلوا طعامكم يُبارك لكم » [٣] وزاد غيره في آخره « فيه » [٤] .

والكيل مندوب إليه فيما ينفقه المرء على عياله ، ومعنى الحديث : أخرجوا بكيل معلوم يبلغكم إلى المدة التي قدرتم ، مع ما وضع الله من البركة في مد أهل المدينة بدعوته ﷺ [٥] .

والسر في الكيل لأنه يتعرف به ما يقوته ، وما يستعده [٦] .

---

(١) معالم السنن ١٨٤/٤ بتصرف يسير .

(٢) هو المقدام بن معديكرب بن عمرو بن يزيد الكندي صحب النبي ﷺ وروى عنه عدة أحاديث . ونزل حمص . مات سنة ٨٧ هـ وقيل غير ذلك .

انظر أسدة الغابة ٤٧٨/٤ ، الإصابة ٤٣٤/٣ ، تهذيب التهذيب ٢٨٧/١٠ .

(٣) صحيح البخاري ٢٢/٣ كتاب البيوع ، باب ما يستحب من الكيل .

(٤) سنن ابن ماجه ٧٥٠/٢ ، ٧٥١ كتاب التجارات ، باب ما يرجى في كيل الطعام من البركة ، ومسند الإمام أحمد ١٣١/٤ ، وصحيح ابن حبان ٢٠٧/٧ .

(٥) فتح الباري ٣٤٦/٤ .

(٦) عمدة القاري للعيني ٢٤٧/١١ .

وأما حديث عائشة رضي الله عنها : « لقد توفي رسول الله ﷺ وما في رفّي [١] من شيء يأكله ذو كبد ، إلا شطر [٢] شعير في رفّ لي ، فأكلت منه حتى طال علّي ، فكلته ففني » [٣] ونحوه من الأحاديث ، فقد أُجيب عنها بعدة أجوبة ، منها ما يأتي :

١ - أن المراد بحديث المقدام أن يكيل من الطعام عند إخراج النفقة منه ، بشرط أن يبقى الباقي مجهولا - فالبركة أكثر ما تكون في المجهولات والمبهمات - ويكيل ما يخرجه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل [٤] .

٢ - يحتمل أن يكون معنى قوله : « كيلوا طعامكم » أي إذا ادخرتموه طالبين من الله البركة ، واثقين بالاجابة ، فكان من كاله بعد ذلك إنما يكيله ليتعرف مقداره ، فيكون ذلك شكا في الاجابة ، فيعاقب بسرعة نفاده [٥] .

٣ - أن كيل الطعام مطلوب عند المبايعة فقط ، فالبركة تحصل فيه بالكيل لامتثال أمر الشارع ، وحديث عائشة محمول على أنها كالته للاختبار ، فلذلك دخله النقص [٦] ، وقيل غير ذلك [٧] .

وأقرب هذه الأجوبة في رأيي هو الأول ، فإن كيل الطعام ومعرفة مقداره عند استعماله ليؤخذ منه قدر الحاجة ، يمنع من الإسراف والتبذير ، وفي هذا توفير للطعام ، كما أن كيل الطعام أيضا يمنع من التقتير المضر [٨] .

* * *

---

(١) قال ابن الأثير : الرّف بالفتح : خشب يرفع عن الأرض إلى جنب الجدار يوقّى به ما يوضع عليه (النهاية ٢٤٥/٢) .

(٢) شطر كل شيء نصفه (المصباح المنير ص ٣١٣) وقيل : المراد به هنا نصف وسق (النهاية ٤٧٣/٢) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١٧٩/٧ كتاب الرقاق ، باب فضل الفقر ، وأخرجه مسلم في صحيحه ٢٢٨٢/٤ كتاب الزهد والرقائق .

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم ١٠٧/١٨ بتصرف .

(٥) فتح الباري ٣٤٦/٤ .

(٦) المرجع السابق ٣٤٦/٤ و ٢٨١/١١ .

(٧) انظر فتح الباري ٣٤٦/٤ و ٢٨٠/١١ ، ٢٨١ ، عمدة القاري ٢٤٧/١١ .

(٨) راجع كتاب دلائل النبوة المحمدية في ضوء المعارف الحديثة للاستانبولي ص ٢٣ ، ٢٤ .

المبحث الثالث

خصال حميدة تجلب البركة

لا أحد ينكر فضل الأخلاق الحسنة والآداب الحميدة ، وآثارها الطيبة في الدنيا والآخرة ، ولن أفصل الكلام في هذا الموضوع ، إنما سأذكر نماذج من خصال حميدة أرشدنا إليها نبينا محمد ﷺ ، ورتب عليها حصول البركة أيضا – مما لم يتقدم ذكره – وإلا فإن كل تشريع أو أدب من تشريعات هذا الدين وآدابه الكثيرة العظيمة يحتوي على الخير والبركة والنفع في الدنيا والآخرة ، ومن تلك الخصال الحميدة الحسنة ما يأتي :-

١ – الصدق في المعاملة :-

في الصحيحين عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « البيّعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبيّنا بورك لهما في بيعهما ، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما » (١) .

وقوله ﷺ : « فإن صدقا وبيّنا » أي بيّن كل واحد لصاحبه ما يحتاج إلى بيانه من عيب ونحوه ، في السلعة والثمن ، وصدق في ذلك ، وفي الإخبار بالثمن ، وما يتعلق بالعوضين (٢) .

ومعنى قوله : « بورك لهما في بيعهما » أي كثر نفع المبيع والثمن (٣) .

---

(١) صحيح البخاري ١٠/٣ كتاب البيوع ، باب إذا بيّن البيعان ولم يكتما ، ونصحا ، وصحيح مسلم ١١٦٤/٣ كتاب البيوع ، باب الصدق في البيع .

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم ١٧٦/١٠ .

(٣) عمدة القاري ١٩٥/١١ .

وهذه البركة ثمرة دنيوية طيبة من ثمرات التحلي بالصدق ، ذلك الخلق الفاضل الحميد .

وهكذا فجميع الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة تؤدي إلى جلب البركة الدينية والدنيوية ، ويقابلها الأعمال السيئة والأخلاق المذمومة ، فإنها تؤدي إلى نزع البركة وذهابها ، وهذا من شؤم المعاصي .

ومن الشواهد على هذا ما ورد في الشطر الثاني للحديث ، حيث بيّن الرسول ﷺ عاقبة الكذب والكتمان في البيع في الدنيا ، فضلا عن الآخرة ، ويقاس عليه غيره من سائر المعاملات .

ومعنى قوله ﷺ : « محقت بركة بيعهما » المحق : هو النقصان وذهاب البركة ، وقيل : هو أن يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه أثر ، ومنه قوله تعالى ﴿ يمحق الله الربا ﴾ (١) أي يستأصله ويذهب ببركته ، ويهلك المال الذي يدخل فيه ، والمراد : يمحق بركة البيع ، وهي ما يقصده التاجر من الزيادة والنماء ، فيعامل بنقيض ما قصده (٢) .

ومن الشواهد أيضا ما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحلف مَنفقة للسلعة ، مَمحقة للبركة » (٣) .

والحلف هنا هو اليمين الكاذبة (٤) ، كما في بعض الروايات (٥) .

وهذا الحديث يبين أن الحلف الكاذب وإن أدى إلى رواج السلعة ، وزيادة

---

(١) سورة البقرة (٢٧٦) .

(٢) عمدة القاري ١٩٥/١١ .

(٣) صحيح البخاري ١٢/٣ كتاب البيوع ، باب (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) .
وقد أخرجه مسلم بلفظ (ممحقة للربح) صحيح مسلم ١٢٢٨/٣ كتاب المساقاة ، باب النهي عن الحلف في البيع .

(٤) فتح الباري ٣١٥/٤ .

(٥) انظر مسند الإمام أحمد ٢٤٢/٢ .

المال ظاهرا ، فإنه يمحق بركة المال والانتفاع منه [١] ، وهذا من شؤم الكذب ، تلك الخصلة المذمومة .

٢ - سخاء النفس في طلب المال :-

جاء في الصحيحين من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن هذا المال خَضِرة حلوة [٢] ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يُبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع [٣] » [٤] .

ومعنى قوله : « فمن أخذه بسخاوة نفس » أي بغير شره ولا إلحاح ، أي من أخذه بغير سؤال ولا إشراف وتطلّع ، وهذا بالنسبة إلى الآخذ ، ويحتمل أن يعود إلى المعطي ، ومعناه من أخذه ممن يدفع منشرحا بما يعطيه طيب النفس [٥] .

ومن فوائد هذا الحديث : « ضرب المثل لما لا يعقله السامع من الأمثلة ، لأن الغالب من الناس لا يعرف البركة إلا في الشيء الكثير ، فبيّن بالمثال المذكور أن البركة هي خلق من خلق الله تعالى ، وضرب لهم المثل بما يعهدون ، فالآكل إنما يأكل ليشبع ، فإذا أكل ولم يشبع كان عناء في حقه بغير فائدة ، وكذلك المال ليست

---

(١) من أمثلة محق بركة المال أن يسلط الله تعالى عليه وجوها يتلف فيها ، كالسرقة أو الحرق أو الغرق أو الغصب أو النهب ، أو عوارض ينفق فيها كالأمراض وغيرها (من حاشية السندي على سنن النسائي ٢٤٦/٧ بتصرف) .

(٢) قال النووي رحمه الله : (شبهه - أي المال - في الرغبة فيه والميل إليه وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذة ، فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده ، والحلو كذلك على انفراده ، فاجتماعهما أشد) من كتاب شرح النووي لصحيح مسلم ١٢٦/٧ .

(٣) قيل هو الذي به داء لا يشبع بسببه ، وقيل يحتمل أن المراد التشبيه بالبهيمة الراعية . من كتاب شرح النووي لصحيح مسلم ١٢٦/٧ .

(٤) صحيح البخاري ١٢٩/٢ كتاب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة ، وصحيح مسلم ٧١٧/٢ كتاب الزكاة ، باب بيان أن اليد العليا خير من السفلى ، ولفظ مسلم (فمن أخذه بطيب نفس) وللحديث قصة .

(٥) شرح النووي لصحيح مسلم ١٢٦/٧ ، وفتح الباري ٣٣٦/٣ بتصرف .

الفائدة في عينه ، وإنما هي لما يتحصل به من المنافع ، فإذا كثر عند المرء بغير تحصيل منفعة كان وجوده كالعدم » [١] .

والحاصل أن سخاء النفس وزهدها في اقتناء المال ، وقناعة صاحبها بما يتيسر : يؤدي إلى حصول البركة في هذا المال ، كما أن طلب المال أيضا عن طريق تطلع النفس ، وإلحاح صاحبها وحرصه : يمنع البركة عنه ، فلا ينتفع به صاحبه ، حتى لو كان المال في ظاهره كثيرا .

٣ – ومن الآداب الجليلة التي يمكن أن تلحق بالخصال الحميدة الآنفة الذكر :

التبكير في طلب الرزق ونحوه :–

فعن صخر بن وادعة الغامدي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « اللهم بارك لأمتي في بكورها » وكان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم في أول النهار ، وكان صخر رجلا تاجرا ، وكان يبعث تجارته في أول النهار فأثرى وكثر ماله [٢] .

والبكور المذكور هنا هو أول النهار – أي وقت صلاة الفجر – .

وقد تكلم الإمام ابن القيم رحمه الله عن فضل أول النهار ، وكراهة إضاعته بالنوم حيث قال : « ومن المكروه عندهم – أي الصالحين – النوم بين صلاة الصبح وطلوع الشمس ، فإنه وقت غنيمة ، وللسير ذلك الوقت عند السالكين مزية

---

(١) فتح الباري ٣/٣٣٧ ، نقلا مختصرا من كتاب ابن أبي جمرة الأندلسي . انظر كتابه بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها ٢/١٥١ – وهو شرح مختصر صحيح البخاري .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٣/٧٩ كتاب الجهاد ، باب في الابتكار في السفر ، والترمذي في سننه ٣/٥١٧ كتاب البيوع ، باب ماجاء في التبكير بالتجارة ، وقال الترمذي : حديث حسن ، وأخرجه ابن ماجه في سننه ٢/٧٥٢ كتاب التجارات ، باب ما يرجى من البركة في البكور ، والطيالسي في مسنده ص ١٧٥ ، والإمام أحمد في مسنده ٣/٤١٧ ، وابن حبان في صحيحه ٧/١٢٢ كتاب السير ، ذكر ما يستحب للمرء أن يكون إنشاؤه الحرب وابتداؤه الأمور في الأسباب بالغدوات تبركا بدعاء المصطفى ﷺ فيه ، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٢/٥١٦ كتاب الجهاد ، أي يوم يستحب أن يسافر فيه وأي ساعة ، ورمز له السيوطي بأنه صحيح (الجامع الصغير ١/٥٦) .

عظيمة ، حتى لو ساروا طول ليلهم لم يسمحوا بالقعود عن السير ذلك الوقت حتى تطلع الشمس ، فإنه أول النهار ومفتاحه ، ووقت نزول الأرزاق ، وحصول القسم ، وحلول البركة ، ومنه ينشأ النهار ، وينسحب حكم جميعه على حكم تلك الحصة ، فينبغي أن يكون نومها كنومة المضطر » [١] ا هـ .

ولعل من الحكمة أيضا في تخصيص البكور بالبركة أنه وقت النشاط [٢] ، فهو وقت نهاية النوم ، وختام الليل الذي جعله الله سكنا ، وبداية النهار وقت المعاش والطلب .

يقول الشيخ إسماعيل العجلوني [٣] : « العقل بكرة النهار يكون أكمل منه وأحسن تصرفا منه في آخره ، ومن ثم ينبغي التبكير لطلب العلم ونحوه من المهمات » [٤] ا هـ .

وقد أثبتت الدراسات الطبية الحديثة أن هناك غازا خاصا ترتفع نسبته عاليا في وقت الفجر ، وتقل تدريجيا حتى تضمحلّ عند طلوع الشمس ، وقد دلت التجارب العلمية أن لهذا الغاز تأثيرات رائعة على الجهاز العصبي ، والمشاعر النفسية العميقة ، والنشاط العضلي والفكر ، وفي فترة الفجر صباح كل يوم تهب ريح خاصة – تسمى ريح الصبا – تلطف الجو تلطيفا مؤثرا ممتعا [٥] .

ولعل من المناسب هنا دعوة أصحاب الشأن في الحكومات والمؤسسات إلى

---

(١) مدارج السالكين ٤٥٩/١ .

(٢) انظر فتح الباري ١١٤/٦ .

(٣) هو إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني ثم الدمشقي الشافعي أبو الفداء الإمام المحدث المؤرخ ، كان عالما بارعا وعابدا صالحا . من تصانيفه : كشف الخفاء ، الفيض الجاري في شرح صحيح البخاري ، الكواكب المنيرة المجتمعة في تراجم الأئمة المجتهدين الأربعة . توفي سنة ١١٦٢ هـ . انظر هدية العارفين ٢٢٠/٥ ، الأعلام ٣٢٥/١ ، معجم المؤلفين ٢٩٢/٢ .

(٤) من كتاب كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني ١٨٧/١ .

(٥) من كتاب دلائل النبوة المحمدية في ضوء المعارف الحديثة لمحمود مهدي الاستانبولي ص ٨١ فما بعدها بتصرف .

تقديم بداية الدوام الرسمي للموظفين ، بحيث يكون بعد أداء صلاة الفجر بوقت قصير ملائم .

وكذا دعوة سائر إخواني المسلمين إلى التبكير والمبادرة في مزاولة أعمالهم الأخرى ، كطلب العلم ، والتجارة ، والزراعة ، والصناعة ، ونحو ذلك ، رجاء لبركة البكور ، واغتناما للوقت الثمين ، والله الموفق .

وبهذا تنتهي مباحث هذا الفصل ، وبه ينتهي الباب الثاني (التبرك المشروع) والحمد لله رب العالمين .

* * *

البـــاب الثالــث

التبرك الممنوع

ويحتوي على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التبرك بالنبي ﷺ بعد وفاته .
الفصل الثاني : الممنوع من التبرك بالصالحين في حياتهم وبعد وفاتهم .
الفصل الثالث : التبرك ببعض الجبال والمواضع .

توطئـــة :

تقدم لنا في البابين السابقين عرض الأمور المباركة ، ثم بيان التبرك المشروع في الاسلام وكيفيته .

وفي هذا الباب سوف أذكر الأمور التي يمنع الدين الإسلامي التبرك بها ، وهي التي نص الشرع على النهي عنها والتحذير من فعلها ، وما تجاوز حدود التبرك المشروع ، وما لم يكن له مستند من الشرع أصلا .

ولا شك أن « الأصل في العبادات أن لا يشرع منها إلا ما شرعه الله ورسوله ، وإن استحسنه العقل ، إذ لا مدخل له في الدين » (١) .

ومن المعلوم أن النبي ﷺ قد حث أمته على التمسك بسنته وسنة خلفائه الراشدين ، ففي ذلك الهدى والفلاح ، وحذر أمته عن اتباع الأمور المحدثة المبتدعة ، ففي ذلك الشر والضلال .

جاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته : « ... أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة (٢) ضلالة ... » (٣) .

وروى أهل السنن عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أن النبي ﷺ

---

(١) من كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق المنسوب للشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٥٢ ، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٥٨٢/٢ .

(٢) قال ابن رجب رحمه الله : (المراد بالبدعة : ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه ، وأما ماكان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا وإن كان بدعة لغة) جامع العلوم والحكم ص ٢٥٢

(٣) صحيح مسلم ٥٩٢/٢ كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة .

قال : « ... إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » [١] .

كما قرر الرسول ﷺ أن أي بدعة في الدين فهي مردودة .

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد » [٢] .

ولهذا قال العلماء : هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين ، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ ، فإنه صريح في رد كل بدعة [٣] .

* * *

---

(١) جزء من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه ، أخرجه أبو داود في سننه ١٤/٥ كتاب السنة ، باب لزوم السنة ، واللفظ له ، وأخرجه الترمذي في سننه ٤٤/٥ كتاب العلم ، باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، وقال : حديث حسن صحيح .

وأخرجه ابن ماجه في سننه ١٥/١ المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ، والدارمي في سننه ٤٤/١ المقدمة ، باب اتباع السنة ، والإمام أحمد في مسنده ١٢٧/٤ ، والحاكم في المستدرك ٩٧/١ كتاب العلم .

(٢) صحيح البخاري ١٦٧/٣ كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، وصحيح مسلم ١٣٤٣/٣ كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ، واللفظ للبخاري ، ولفظ مسلم (ما ليس منه) .

(٣) من كتاب شرح الأربعين حديثا النووية لابن دقيق العيد ص ٦٢ ، وانظر كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٥٦ .

الفصل الأول
التبرك بالنبي ﷺ بعد وفاته

تمهيـــد :

مما تقدم في مباحث التبرك بالرسول ﷺ يظهر لنا أن الذي بقي من التبرك بعد وفاته أمران فقط هما :

١ - الإيمان به وطاعته واتباعه .

ومن المعلوم أن هذا واجب على المكلفين ، وأن من أداه سيحصل على الخير العظيم والأجر الجزيل ، وعلى سعادة الدارين ، وهذا ما يسمى بالبركات المعنوية للرسول ﷺ ، وأنعم بذلك من فضل وخير .

٢ - التبرك بآثاره الحسية المنفصلة منه ﷺ - على ضوء ما تقدم - .

وعلى هذا فما عدا ذلك من صيغ التبرك بالرسول ﷺ بعد وفاته غير مشروع ، بل هو ممنوع ، كما سيتضح من خلال مباحث هذا الفصل بإذن الله تعالى .

هذا وإن مما تتحتم معرفته هنا أنه مع وجوب اعتقاد عظم شأن الرسول ﷺ وعلو منزلته ، وعموم بركته حيا وميتا ، ومع عظم محبة الناس له ﷺ ، إلا أن هذا يجب ألا يؤدي إلى رفعه فوق منزلته ، أو الغلو في محبته ، كما يظهر مثلا في ممارسات التبرك بالرسول ﷺ غير المشروع .

كما ينبغي أن يعلم أيضا أن منع التبرك بالرسول ﷺ في بعض الأحوال ، لا يعني انتقاص حقه أو التقليل من شأنه ﷺ .

* * *

المبحث الأول
التبرك بقبره ﷺ

حكم زيارة القبور :

لقد كان منهيا عن زيارة القبور في أول الإسلام ، ثم نسخ ذلك بقوله ﷺ : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ... » (١) وبفعله ، فقد زار ﷺ قبر أمه (٢) ، وقبور الشهداء (٣) ، والبقيع (٤) .

وتسن زيارة القبور للرجال فقط دون النساء ، على الراجح من قول العلماء (٥) ، لما روى أهل السنن « أن رسول الله ﷺ لعن زوّارات القبور » (٦) .

---

(١) جزء من حديث بريدة رضي الله عنه أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٦٧٢/٢ كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه .

(٢) انظر دليل ذلك في صحيح مسلم ٦٧١/٢ .

(٣) انظر دليل ذلك مثلا في سنن أبي داود ٥٣٥/٢ كتاب المناسك ، باب زيارة القبور ، ومسند الإمام أحمد ١٦١/١ .

والمقصود بالشهداء هنا : شهداء معركة أحد ، وذلك شمال المدينة عند جبل أحد .

(٤) انظر دليل ذلك في صحيح مسلم ٦٦٩/٢ كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها .

وأصل البقيع في اللغة : المكان المتسع الذي فيه شجر أو أصولها ، والبقيع هنا هو مقبرة أهل المدينة ، موضع كان به شجر الغرقد ، ولذا فهو يسمى بقيع الغرقد ، والغرقد : كبار العوسج .

من كتاب معجم البلدان للحموي ٤٧٣/١ وكتاب النهاية لابن الأثير ١٤٦/١ . وتقع مقبرة البقيع داخل المدينة جنوب شرق المسجد النبوي .

(٥) انظر إن شئت تفصيل الخلاف بين هذه المسألة في كتاب مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٤٣/٢٤ - ٣٥٦ ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ١٩٦ - ١٩٨ ، وكتاب نيل الأوطار للشوكاني ١٦٥/٤ ، ١٦٦ .

(٦) أخرجه الترمذي في سننه ٣٧١/٣ كتاب الجنائز ، باب ما جاء في زيارة القبور للنساء ، =

قال بعض العلماء : كره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن ، وكثرة جزعهن [(١)] .

وأما كيفية الزيارة الشرعية ، فقد علّم الرسول ﷺ أصحابه رضي الله عنهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا : « السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون » [(٢)] . وفي رواية « أسأل الله لنا ولكم العافية » [(٣)] .

وثبت أنه ﷺ دعا لأهل البقيع بقوله : « اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد » [(٤)] .

والمقصود من زيارة القبور شيئان :

أحدهما : راجع إلى الزائر ، وهو الاعتبار والاتعاظ ، وتذكر الموت والآخرة . وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله : « ... فزوروا القبور ، فإنها تذكر الموت » [(٥)] .

الثاني : راجع إلى الميت ، وهو أن يسلم عليه الزائر ويدعو له ، فإن الميت إذا زاره أحد وأهدى إليه هدية من سلام ودعاء فرح بزيارته ، وسر بذلك كالحي .

= وقال : حديث حسن صحيح ، وأخرجه ابن ماجه في سننه ٥٠٢/١ كتاب الجنائز ، باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء للقبور ، والإمام أحمد في مسنده ٣٣٧/٢ ، وابن حبان في صحيحه ٧٢/٥ كتاب الجنائز وما يتعلق بها (بترتيب الفارسي) بلفظ (لعن الله) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣٧٤/١ كتاب الجنائز ، عن أبي هريرة وغيره .

(١) من كتاب سنن الترمذي ٣٧٢/٣ .

(٢) قطعة من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٦٧١/٢ كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها ، عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) صحيح مسلم ٦٧١/٢ عن بريدة رضي الله عنه .

(٤) انظر صحيح مسلم ٦٦٩/٢ ، وقد مضى آنفا التعريف بالبقيع .

(٥) قطعة من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٦٧١/٢ كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وهذا المقصد في الحديث يتحقق بزيارة قبور الكفار أيضا ، ولهذا أجاز العلماء ذلك ، وأيضا فإن النبي ﷺ قد زار قبر أمه . انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٦٦٤/٢ ، ٦٦٥ .

ولهذا شرع النبي ﷺ للزائرين أن يدعوا لأهل القبور بالمغفرة والرحمة وسؤال العافية (١) ، كما تقدم .

ولا شك أن الزائر نفسه ينتفع أيضا بسلامه على إخوانه الموتى ، واستغفاره لهم ، وترحمه عليهم ، إذ في ذلك أجر ومثوبة لمن قام به محسنا محتسبا (٢) .

فإن « الله تعالى يثيب الحيّ إذا دعا للميت المؤمن ، كما يثيبه إذا صلى على جنازته » (٣) .

فزيارة القبور شرعت إذن لهذه المقاصد الحسنة فقط التي أرشدنا إليها المصطفى ﷺ .

حكم زيارة قبر الرسول ﷺ :

إن مسألة زيارة قبر الرسول ﷺ ، وما يتعلق بها من أحكام ، من المسائل التي اشتهرت ، وكثر فيها النزاع ، وامتُحن بسببها أناس ، وكُتب فيها رسائل مستقلة .

وسأقتصر على بيان ما يخص موضوع البحث (التبرك) أو ما يتعلق به مما لا بد من بيانه .

وأما حكم زيارة قبره ﷺ فمشروعه ، وهي داخلة فى عموم شرعية زيارة القبور .

ولا خلاف بين أهل العلم في سنية زيارة قبره ﷺ بدون شد رحل (٤) .

---

(١) من كتاب إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم ٢١٨/١ ، وكتاب زيارة القبور الشرعية والشركية لمحيي الدين محمد البركوي ص ٢٧ ، نقلت منهما المقصود من زيارة القبور بتصرف واختصار .

(٢) من رسالة لأبي بكر الجزائري بعنوان (كمال الأمة في صلاح عقيدتها) ص ١٩ بتصرف يسير .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٧١/٢٧ .

(٤) من كتاب الدين الخالص لمحمد صديق حسن ٥٨٨/٣ ، ٥٨٩ ، وانظر كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٨٣/٢ ، وكتاب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان لمحمد بشير السهسواني ص ٧٩ .

كما أن زيارته ليست واجبة باتفاق المسلمين [١] .

وأما صفة الزيارة المشروعة ، فإن الزائر يبدأ بتحية المسجد النبوي ، فيصلي ركعتين ، ثم يأتي القبر الشريف ، فيقف مستقبلا الحجرة مستدبرا القبلة ، بأدب وخفض صوت ، ثم يسلم عليه قائلا : « السلام عليك يا رسول الله » وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يزيد على ذلك [٢] ، وإن زاد على ذلك « السلام عليك يارسول الله ، يا خيرة الله من خلقه ، يا أكرم الخلق على ربه ، يا إمام المتقين » فهذا كله من صفاته ﷺ ، وكذلك إذا صلى عليه مع السلام عليه ، فهذا مما أمر الله تعالى به [٣] .

وتستحب زيارة قبر الرسول ﷺ لمن كان بالمدينة ، أو لمن زار مسجده ﷺ ، ولو مع شد الرحل إليه ، لأن شد الرحل إلى مسجده مشروع اتفاقا ، لما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، ومسجد الحرام ، ومسجد الأقصى » [٤] .

وإن سافر لزيارة مسجده ﷺ وقبره معا فهذا مستحب أيضا ، ويدخل القبر تبعا [٥] .

---

(١) من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٦/٢٧ ، ولم يخالف في ذلك إلا بعض المالكية . انظر المواهب اللدنية للقسطلاني ٢٨٣/٢ .

(٢) لمعرفة الدليل على ثبوت فعل ابن عمر رضي الله عنهما ، انظر مصنف ابن أبي شيبة ٣٤١/٣ كتاب الجنائز – من كان يأتي قبره ﷺ فيسلم ، وانظر أيضا كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ٦٦٣/٢ .

(٣) من كتاب مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ٤٠٧/٢ ، ٤٠٨ باختصار ، وأيضا كتاب هداية الناسك إلى أهم المناسك للشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ص ٦٣ ، وكتاب التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسنة للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ص ٦٠ باختصار .

(٤) تقدم تخريج هذا الحديث ص ١٠٥ .

(٥) انظر الرد على الأخنائي لابن تيمية ص ١٧٢ ، ١٧٣ ، وفتاوى ابن إبراهيم ١٢٦/٦ .

حكم شد الرحل للزيارة :

إن شد الرحل لقصد زيارة القبر فقط دون المسجد – مسألة وقع فيها خلاف بين العلماء .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله موضحا ذلك : « ... إذا كان قصده بالسفر زيارة قبر النبي ﷺ دون الصلاة في مسجده ؛ فهذه المسألة فيها خلاف ، فالذي عليه الأئمة وأكثر العلماء أن هذا غير مشروع ، ولا مأمور به ، لقوله ﷺ : « لا تُشد الرحال إلا [1] إلى ثلاثة مساجد ... » ولهذا لم يذكر العلماء أن مثل هذا السفر إذا نذره يجب الوفاء به ، بخلاف السفر إلى المساجد الثلاثة » وقال : « ورخص بعض المتأخرين في السفر لزيارة القبور » [2] .

وقد استدل هؤلاء على جواز أو استحباب السفر إلى مجرد قصد زيارة القبر الشريف بأحاديث عديدة ، بلغت أربعة عشر حديثا [3] تقريبا ، لكنها إما موضوعة أو ضعيفة جدا لا تقوم بها حجة .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : الأحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ كلها ضعيفة ، باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هي موضوعة ، لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئا منها ، ولم يحتجّ أحد من الأئمة بشيء منها ، بل مالك إمام أهل المدينة النبوية – الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة – كره أن يقول الرجل : « زرت قبر النبي ﷺ » ولو كان هذا اللفظ مشروعا عندهم ، أو معروفا أو مأثورا عن النبي ﷺ لم يكرهه عالم المدينة ، والامام أحمد – أعلم الناس في زمانه بالسنة –

---

(١) المستثنى منه هنا عام في المساجد وغيرها من المواضع مما يقصد به القربة . راجع توضيح ذلك في كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٢٠٥ ، وكتاب الدين الخالص ٥٩٤/٣ – هـ (١) لمحمد صديق حسن – تحقيق محمد زهري النجار .

(٢) من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٦/٢٧ ، ٢٧ ، وانظر الرد على الأخنائي ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) ممن جمع هذه الأحاديث مستدلا بها تقي الدين السبكي في كتابه : شفاء السقام في زيارة خير الأنام ص ١ – ٤٠ ، وقد رد عليه الإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي في كتابه (الصارم المنكي في الرد على السبكي) انظر ص ٢٩ – ٢٤٦ .

لما سئل عن ذلك – أي عن زيارة قبر النبي ﷺ – لم يكن عنده ما يعتمد عليه في ذلك من الأحاديث إلا حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام » [1] وعلى هذا اعتمد أبو داود في سننه [2] ... الخ .

وذكر رحمه الله تعالى في موضع آخر أمثلة ما يروى من تلك الأحاديث ، ومنها حديث « من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي » [3] ومثل ما يروون أنه ﷺ قال : « من زارني بعد مماتي كنت له شفيعا يوم القيامة » [3] .

إلى أن قال : « فهذه الأحاديث وما أشبهها كلها كذب موضوع على النبي ﷺ لم يثبت عنه لفظ واحد في زيارة قبره » وقال : « كيف يكون زائر قبره كالمهاجر إليه في حياته ؟ فإنما زيارته في حياته إنما شرعت لمن يأتي ويبايعه على الاسلام والجهاد ، أو يطلب منه العلم ، أو نحو ذلك من المقاصد المأمور بها في حياته ، التي لا يحصل شيء منها بزيارة قبره » [4] ا هـ .

ومن وجه آخر ، فإنه لو كان شيء من هذه الأحاديث ثابتا لكان الصحابة رضي الله عنهم أسبق الناس إلى العمل به ، وبيان ذلك للأمة ودعوتهم إليه ، لأنهم خير الناس بعد الأنبياء ، وأعلمهم بحدود الله وبما شرعه لعباده ، فلما لم يُنقل عنهم شيء من ذلك دل على أنه غير مشروع [5] .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٥٣٤/٢ كتاب المناسك ، باب زيارة القبور ، والإمام أحمد في مسنده ٥٢٧/٢ .

(٢) من كتاب الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٨٩ بتصرف يسير .

(٣) لمعرفة تخريج أحاديث الزيارة هذه وأمثالها يرجع مثلا إلى كتاب السبكي (شفاء السقام) ، ولمعرفة الحكم عليها يرجع إلى كتاب ابن عبد الهادي (الصارم المنكي) المشار إليهما آنفا .

وانظر أيضا لبيان بطلان تلك الأحاديث وضعفها رسالة قيمة للشيخ حماد الأنصاري بعنوان (كشف الستر عما ورد في السفر إلى القبر) ص ٥ – ١٢ ضمن السلسلة الأنصارية رقم (١) ، وكتب الأحاديث الموضوعة .

(٤) الرد على البكري لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٥٥ .

(٥) من كتاب التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ص ٧٠ بتصرف ، وانظر كتاب الدين الخالص لمحمد صديق حسن ٥٨٧/٣ ، ٥٨٩ .

كما أن القول بشرعية شد الرحال لزيارة قبره ﷺ يفضي إلى اتخاذه عيدا – وهو ما نهى عنه ﷺ [١] – ووقوع المحذور الذي خافه النبي ﷺ من الغلو والإطراء ، كما قد وقع الكثير من الناس في ذلك ، بسبب اعتقادهم شرعية شد الرحال لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام [٢] .

ويجدر أن أشير هنا إلى أن أشهر من نصر هذا الرأي وأظهره « منع شد الرحال لزيارة قبر الرسول ﷺ أو غيره » شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وقد امتُحن بسبب ذلك ، مع أنه لم يتفرد بهذا القول الذي شُنّع به عليه ، بل ذهب إليه غيره من الأئمة الأعلام قبله وبعده [٣] ، كما أنه قدس الله روحه لم يقل بحرمة محض الزيارة – بدون شد الرحل – على الوجه المشروع ، بل ذهب إلى سنيتها ، كما تشهد بذلك مصنفاته رحمه الله [٤] .

والحاصل أنه من خلال ما تقدم مما عرضته إجمالا ، وما دوّن في مواضعه تفصيلا ، يظهر لنا صواب الرأي القائل بعدم جواز شد الرحال لزيارة قبر الرسول ﷺ فقط ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

مظاهر التبرك الممنوع بقبره ﷺ :

تقدم أنه تشرع زيارة قبر الرسول ﷺ بدون شد الرحل إليه ، وأن فاعل ذلك يثاب عليه كما يثاب على زيارة القبور ، إلا أن هذه الزيارة لابد أن تكون على الوجه المشروع كما سلف إيضاحه .

---

(١) سيرد قريبا ذكر الأحاديث الواردة في هذا الشأن .

(٢) التحقيق والإيضاح للشيخ ابن باز وفقه الله ص ٦٩ .

(٣) انظر لمعرفة بعض أعيان العلماء الذين قالوا بمنع شد الرحل لزيارة القبور : كتاب الدين الخالص لمحمد صديق حسن ٥٩٠/٣ .

(٤) من كتاب البداية والنهاية لابن كثير ١٢٤/١٤ ، وكتاب جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لنعمان خير الدين الألوسي ص ٥١٨ ، وكتاب الدين الخالص ٥٩١/٣ – ٥٩٣ ، وكتاب غاية الأماني في الرد على النبهاني لمحمود شكرى الألوسي ٢١٣/١ بتصرف ، وانظر مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ٤٠٧/٢ – ٤٠٩ .

ولكن بعض الزائرين لقبره عليه الصلاة والسلام لم يكتفوا بالزيارة الشرعية ، بل أحدثوا بدعا وأمورا ، بحجة التماس البركة والخير والأجر ، ونحو ذلك .

ولا شك أن ذلك ممنوع من جهة الشرع ، كما سيأتي توضيحه بإذن الله .

ويمكن بيان أبرز مظاهر ذلك التبرك الممنوع بقبره ﷺ فيما يلي :-

١ - طلب الدعاء أو الشفاعة من الرسول ﷺ عند قبره :

إن هذا العمل من أنواع التوسل غير المشروع بالرسول ﷺ ، فإن التوسل مشروع ونافع في حياته ﷺ فقط ، وبشفاعته يوم القيامة .

أما طلب ذلك بعد وفاته ، عند قبره ، أو غير قبره ﷺ ، كأن يقول الشخص : يارسول الله استغفر الله لي ، ادع الله أن يغفر لي ، أو يهديني ، أو ينصرني ، فهذا وما يشبهه من البدع المحدثة التي لم يستحبها أحد من أئمة المسلمين ، وليست واجبة ولا مستحبة باتفاقهم ، وكل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهي بدعة سيئة ، وهي ضلالة باتفاق المسلمين (١) .

أما سؤال الرسول ﷺ بعد وفاته حاجة ، أو الاستغاثة به لكشف كربة ، ونحو ذلك ، فهذا أبعد مراتب البدع ، وهو من أنواع الشرك بالله تعالى (٢) ، لأنه من باب الاستعانة أو الاستغاثة بمخلوق بما لا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى (٣) .

٢ - أداء بعض العبادات عند القبر النبوي :

من أشهر هذه العبادات الدعاء والصلاة عند القبر . وإن من يعمل ذلك يظن أو يعتقد أن الدعاء عند قبره ﷺ مستجاب ، أو أنه أفضل من الدعاء في

---

(١) من كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص ١٤ - ٢١ بتصرف واختصار .

(٢) من المرجع السابق ص ١٩ ، وكتاب الرد على البكري لابن تيمية ص ٥٥ بتصرف .

(٣) انظر إن شئت تفاصيل هذه المسألة في كتاب غاية الأماني في الرد على النبهاني للألوسي ص ٢٥٦ فما بعدها ، وانظر أيضا لهذه المسألة ونحوها كتاب كشف الشبهات للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وقد طبع ضمن القسم الأول لمؤلفاته ص ١٥٣ - ١٨٣ وهو كتاب نفيس .

المساجد والبيوت ، وأن الصلاة عند القبر أرجى للقبول [١] ، فيقصد زيارته لذلك [٢] .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية عن هذا الفعل ونحوه : « فهذا من المنكرات المبتدعة باتفاق أئمة المسلمين ، وهي محرمة ، وما علمت في ذلك نزاعا بين أئمة الدين » [٣] .

وقال أيضا رحمه الله مبينا حكم الدعاء عند القبر النبوي : « ولا يقف عند القبر للدعاء لنفسه ، فإن هذا بدعة ، ولم يكن أحد من الصحابة يقف عند القبر يدعو لنفسه ، ولكن كانوا يستقبلون القبلة ، ويدعون في مسجده » [٤] اهـ .

ويدخل فيما تقدم من بدع الزيارة : الجلوس عند القبر ، وحوله ، لتلاوة القرآن الكريم ، وذكر الله عز وجل [٥] ، وما قد يتبع ذلك من رفع الصوت ، وطول القيام أو الجلوس عند القبر ، مما يضايق الآخرين من المصلين أو الزوار ، أو يشوش عليهم ، وأيضا تجديد الزائر التوبة عند القبر الشريف ، كما ادعى بعضهم استحبابه [٦] .

وهكذا فإن قصد أي نوع من أنواع العبادة الأخرى ، كالطواف [٧] ونحوه ، مما قد يعمل عند القبر تبركا ، فإن ذلك كله من البدع المحدثة في الدين ، ولأن الطواف خاص بالكعبة فقط .

---

(١) ومن باب أولى قصد الصلاة تجاه القبر . انظر إغاثة اللهفان لابن القيم ١/١٩٤ .

(٢) الرد على البكري لابن تيمية ص ٥٦ بتصرف .

(٣) المرجع السابق ص ٥٦ .

(٤) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ٢/٤٠٨ وانظر اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٦٨١ .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٧٣٧ بتصرف ، ومن رسالة للألباني بعنوان (مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة وآثار السلف ، وردّ ما ألحق الناس بها من البدع) ص ٦١ .

(٦) انظر مثلا كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودي ٤/١٣٩٩ ، وكتاب حقيقة التوسل والوسيلة على ضوء الكتاب والسنة لموسى محمد علي ص ٩٤ .

(٧) الروض المربع للبهوتي ص ١٥٢ ، مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ٢/٤١٠ ، الإيضاح في المناسك للنووي ص ١٦٠ ، المدخل لابن الحاج ١/٢٦٣ ، الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي ص ١٢٥ ، الابداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص ١٦٦ ، وغيرها .

وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معللا عدم مشروعية أداء العبادات عند القبر النبوي : « لو كان للأعمال عند القبر فضيلة لفُتح للمسلمين باب الحجرة ، فلما مُنعوا من الوصول إلى القبر ، وأُمروا بالعبادة في المسجد : عُلم أن فضيلة العمل فيه لكونه في مسجده ... ولم يأمر قط بأن يُقصد بعمل صالح أن يُفعل عند قبره ﷺ » [١] .

٣ – التمسح بالقبر أو تقبيله ، ونحو ذلك :

إن التمسح بحائط قبر الرسول ﷺ باليد أو غيرها – على أي وجه كان – أو تقبيله رجاء الخير والبركة ، مظهر من مظاهر البدع عند بعض الزوار .

وقد نصّ على كراهة ذلك الفعل ، وعلى النهي عنه جماعة من العلماء [٢] ، وقال الامام الغزالي رحمه الله : إنه عادة النصارى واليهود [٣] .

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله اتفاق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ ، أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين – الصحابة وأهل البيت وغيرهم – أنه لا يتمسح به ، ولا يقبّله [٤] .

أما ما يروى عن بعض العلماء أنه فعل ذلك أو أجازه ففيه نظر[٥] .

وقال شيخ الإسلام مبينا حكم تقبيل الجمادات : « ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود ، وقد ثبت في الصحيحين أن عمر

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٣٦/٢٧ ، ٢٣٧ .

(٢) انظر الكتب الآتية : الشفا للقاضي عياض ٨٥/٢ ، إحياء علوم الدين للغزالي ٢٥٩/١ ، الحوادث والبدع للطرطوشي ص ١٤٨ ، المغنى لابن قدامة ٥٥٩/٣ ، الإيضاح للنووي ص ١٦١ ، المدخل لابن الحاج ٢٦٣/١ ، الأمر بالاتباع للسيوطي ص ١٢٥ ، وفاء الوفا بأخبار المصطفى للسمهودي ١٤٠٢/٤ .

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي ٢٧١/١ .

(٤) مجموع الفتاوى ٧٩/٢٧ .

(٥) راجع الرد على الأخنائي لابن تيمية ص ١٦٩ ، ١٧١ ، أوضح الاشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة لأحمد بن يحيى النجمي ص ٣٠٣ – ٣٠٦ .

رضي الله عنه قال : « والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك (١) » (٢) .

وقال في موضع آخر مبينا سبب كراهة العلماء للتمسح بقبر النبي ﷺ أو تقبيله ، قال رحمه الله : « لأنهم علموا ما قصده النبي ﷺ من حسم مادة الشرك ، وتحقيق التوحيد ، وإخلاص الدين لله رب العالمين » (٣) .

وقال أيضا : « لأن التقبيل والاستلام إنما يكون لأركان بيت الله الحرام ، فلا يشبّه بيت المخلوق ببيت الخالق » (٤) .

وللامام النووي رحمه الله تعالى كلام نفيس حول حكم هذا الفعل بقبر الرسول ﷺ ، أرى أن من المناسب ذكره هنا لأهميته .

قال رحمه الله ما نصه : « يكره مسحه باليد وتقبيله ، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ ، هذا هو الصواب ، وهو الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه ، وينبغي أن لا يغتر بكثير من العوام في مخالفتهم ذلك ، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بأقوال العلماء ، ولا يلتفت إلى محدثات العوام وجهالاتهم ، ولقد أحسن السيد الجليل أبو على الفضيل بن عياض (٥) رحمه الله تعالى في قوله ما معناه : اتبع طرق الهدى ، ولا يضرك قلّة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين . ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته ، لأن البركة إنما هي في ما وافق الشرع ، وأقوال العلماء ، وكيف يبتغى الفضل في مخالفة الصواب ؟ » (٦) اهـ .

---

(١) صحيح البخاري ١٦٠/٢ كتاب الحج ، باب ما ذكر في الحجر الأسود ، وصحيح مسلم ٩٢٥/٢ كتاب الحج ، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف .

(٢) مجموع الفتاوى ٧٩/٢٧ .

(٣) المرجع السابق ٨٠/٢٧ .

(٤) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ٢٩٨/١ .

(٥) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الخراساني أبو علي الإمام القدوة الزاهد المشهور . توفي بمكة سنة ١٨٧ هـ .
انظر وفيات الأعيان ٤٧/٤ ، سير أعلام النبلاء ٤٢١/٨ .

(٦) الايضاح في المناسك للإمام النووي ص ١٦١ .

وهكذا تبين لنا أن التمسح بالقبر أو تقبيله [(١)] ، ونحو ذلك مما قد يعمل عند القبر الشريف تبركا ، كإلصاق البطن أو الظهر بجدار القبر [(٢)] ، أو التبرك برؤية القبر [(٣)] ، كل ذلك من البدع المذمومة .

إلى غير ذلك من مظاهر التبرك غير المشروع بقبر النبي ﷺ التي يراها من يزور مسجده ﷺ ويسلم عليه .

أدلة عدم شرعية التبرك بقبره ﷺ :

إن ما تقدم عرضه آنفا من مظاهر التبرك عند قبر المصطفى ﷺ ونحوه ممنوع من قبل الشارع الحكيم ، فلا يجوز فعله .

ويمكن بيان الأدلة على عدم جواز ذلك التبرك – إضافة إلى ما تقدم ضمن الفقرة الماضية – من عدة أوجه :

أحدها : ليس في القرآن الكريم ، ولا في السنة النبوية ما يدل على مشروعية هذا التبرك بقبره ﷺ على أي وجه من الوجوه المبتدعة – على ضوء ما تقدم – .

الثاني : ثبت أن الرسول ﷺ نهى عن اتخاذ قبره عيدا ، وعن اتخاذ القبور مساجد ، وأنه من سنن اليهود والنصارى ، في أحاديث كثيرة منها ما يأتي :

١ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، ولا تجعلوا قبري عيدا ، وصلوا عليّ ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم » [(٤)] .

---

(١) أقبح من هذا تقبيل الأرض حول القبر . انظر وفاء الوفا للسمهودي ١٤٠٦/٤ .

(٢) من كتاب الايضاح للنووي ص ١٦٠ ، ١٦١ ، اقتضاء الصراط المستقيم ٢١٩/٢ ، الأمر بالاتباع للسيوطي ص ١٢٥ ، الإبداع لعلي محفوظ ص ١٦٦ .

ومنهم من يضع خده على القبر استشفاء . انظر كتاب التوسل والزيارة في الشريعة الإسلامية لمحمد الفقي ص ٢١٦ .

(٣) ذكر هذا بعضهم على سبيل الترغيب . انظر كتاب الشفا للقاضي عياض ٨٥/٢ .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ٥٣٤/٢ كتاب المناسك ، باب زيارة القبور ، وقال ابن تيمية : وهذا إسناد حسن ، وأورده له شواهد أخرى . انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٦٥٤/٢ – ٦٥٧ .

ومعنى قوله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم قبورا » أي لا تعطّلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة ، فتكون بمنزلة القبور ، فأمر بتحري العبادة في البيوت ، ونهى عن تحريها عند القبور ، عكس ما يفعله المشركون من النصارى ، ومن تشبه بهم (١) .

وأما معنى قوله ﷺ : « ولا تجعلوا قبري عيدا » فإنه يفسره ما روي (٢) عن أفضل التابعين من أهل بيت الرسول ﷺ علي بن الحسين (٣) رحمه الله ، حيث نهى رجلا كان يتحرى الدعاء عند قبر الرسول ﷺ ، مستدلا بهذا الحديث الذي رواه هو من طريقه ، عن جده علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فبيّن أن قصده للدعاء ونحوه اتخاذ له عيدا (٤) .

« والعيد إذا جعل اسما للمكان فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه ، وانتيابه للعبادة عنده ، أو لغير العبادة ، كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة ، جعلها الله عيدا ، مثابة للناس يجتمعون فيها ، وينتابونها للدعاء ، والذكر والنسك ، وكان للمشركين أمكنة ينتابونها للاجتماع عندها ، فلما جاء الاسلام محا ذلك كله » (٥) .

ثم إنه ﷺ أعقب النهي عن اتخاذ قبره عيدا بقوله : « صلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم » يشير بذلك ﷺ إلى أن ما ينالني منكم — من الصلاة والسلام — يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم منه ، فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيدا (٦) .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٦٥٧/٢ .

(٢) أورد هذه الرواية الإمام ابن تيمية ونسب روايتها لأبي يعلى الموصلي في مسنده ، وأبي عبد الله المقدسي في الأحاديث المختارة . انظر الاقتضاء ٢٩٧/١ ، ٢٩٨ و ٦٥٥/٢ .

وقد رواها أيضا ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٧٥/٢ كتاب الصلوات ، في الصلاة عند قبر النبي ﷺ وإتيانه .

(٣) هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بزين العابدين المتوفى سنة ٩٤ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٣٨٦/٤ .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ٦٥٩/٢ بتصرف .

(٥) المرجع السابق ٦٦٠/٢ .

(٦) المرجع السابق ٦٥٧/٢ بتصرف .

٢ – وعن عطاء بن يسار [١] أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » [٢] .

٣ – وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه : « لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » قالت : « لولا ذلك أُبرز قبره ، غير أنه خَشي أو خُشي أن يُتخذ مسجدا » [٣] .

واتخاذ القبور مساجد يتناول شيئين : أن يُبنى عليها مسجد ، أو يُصلى عندها من غير بناء ، وهو الذى خافه هو ﷺ ، وخافته الصحابة إذا دفنوه بارزا خافوا أن يُصلى عنده فيُتخذ قبره مسجدا [٤] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « من أعظم ما منّ الله به على رسوله ﷺ وعلى أمته ، واستجاب فيه دعاؤه أن دُفن في بيته بجانب مسجده ، فلا يقدر أحد أن يصل إلا إلى المسجد ، والعبادة المشروعة في المسجد معروفة ، بخلاف ما لو كان قبره منفردا عن المسجد » إلى أن قال رحمه الله : « وإن كان كثير من الناس يريدون أن يجعلوه وثنا ، ويعتقدون أن ذلك تعظيم له – كما يريدون ذلك ويعتقدونه في قبر غيره – فهم لا يتمكنون من ذلك » [٥] اهـ .

---

(١) هو عطاء بن يسار المدني الواعظ الفقيه مولى ميمونة زوج النبي ﷺ . قال الذهبي : كان ثقة جليلا من أوعية العلم . مات سنة ١٠٣ هـ وقيل سنة ٩٤ هـ .

انظر سير أعلام النبلاء ٤٤٨/٤ ، تذكرة الحفاظ ٩٠/١ ، الجرح والتعديل ٣٣٨/٦ .

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ (١٧٢/١ كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب جامع الصلاة) مرسلا عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار ، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٥/٢ كتاب الصلوات ، في الصلاة عند قبر النبي ﷺ وإتيانه) مرسلا عن زيد بن أسلم بلفظ (لا تجعل قبري وثنا يُصلى له) .

ورواه البزار . انظر (كشف الأستار ٢٢٠/١ كتاب الصلاة ، باب في الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا .

ورواه الإمام أحمد في مسنده ٢٤٦/٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا بلفظ (لعن الله قوما) .

(٣) صحيح البخاري ١٠٦/٢ كتاب الجنائز ، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وصحيح مسلم ٣٧٦/١ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها ، والنهي عن اتخاذ القبور فيها .

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٦٠/٢٧ ، وانظر كتاب تحذير الساجد للألباني ص ٢١ – ٣٢ .

(٥) الرد على الأخنائي ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

الوجه الثالث : أن السلف من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم لم يفعلوا ذلك بقبره ﷺ .

فلم يثبت عن القرون الثلاثة ، من الصحابة رضي الله عنهم ، أو التابعين أو أتباعهم ، ومن بعدهم من أئمة المسلمين أنهم تبركوا بقبر الرسول ﷺ ، أو أنهم أمروا بذلك ، بل كانوا ينهون عنه (١) .

فهم لم يقصدوا القبر النبوي للدعاء عنده مثلا مع شدة حاجتهم واضطراراهم (٢) .

« وكان الصحابة والتابعون – لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد ، إلى زمن الوليد بن عبد الملك – لا يدخل أحد إليه ، لا لصلاة هناك ، ولا تمسح بالقبر ، ولا دعاء » (٣) .

بل لم يكن على عهد الصحابة في الاسلام قبر يسافر إليه ، ولا يقصد للدعاء عنده ، أو لطلب بركة شفاعته (٤) ، ولم يدَعوا قبرا ظاهرا من قبور الأنبياء يفتتن به الناس (٥) ، بل قبر نبينا ﷺ حجبوه في الحجرة ، ومنعوا الناس منه بحسب الامكان (٦) ، ولما وُسّع المسجد النبوي (٧) جعلت الحجرة مثلثة الشكل ، حتى لا يتأتى لأحد أن يصلي إلى جهة القبر مع استقبال القبلة (٨) .

---

(١) كما تقدم مثل ذلك قريبا عن التابعي علي بن الحسين ، وانظر مثالا آخر أيضا في كتاب الاقتضاء لابن تيمية ٦٥٦/٢ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٦٨٤/٢ ، ٦٨٥ ، وانظر ٦٧٨/٢ من هذا الكتاب ، وكتاب التوضيح عن توحيد الخلاق لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٢٤٦ .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩٠/٢٧ .

(٤) الرد على الأخنائي ص ١٠٤ .

(٥) لقد ظهر في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبر – كانوا يستسقون به – لرجل صالح يسمى (دانيال) في بلد تستر (شرق العراق) لما فتحها المسلمون ، فأمر عمر بحفر ثلاثة عشر قبرا بالليل ودفنه في واحد منها تعمية على الناس لئلا يفتتنوا به . انظر تفاصيل هذه القصة في مجموع الفتاوى ٢٧٠/٢٧ ، ٢٧١ ، والاقتضاء ٦٨٠/٢ .

(٦) مجموع الفتاوى ٢٧١/٢٧ .

(٧) في عهد الوليد بن عبد الملك سنة ٩٣ هـ .

(٨) فتح الباري ٢٠٠/٣ .

الوجه الرابع : ليس المقصود بزيارة القبور التبرك بالميت ، وسؤاله ، والاستشفاع به ، والدعاء عنده ، والتمسح بقبره - ونحو ذلك مما تقدم - وأن بركة الميت المزور تعود على الحي الزائر ، حتى لو كان المزور هو الرسول المصطفى ﷺ ، إنما المقصود بالزيارة الشرعية هو ما تقدم من السلام على الميت ، والدعاء له والاستغفار ، وتذكر الموت ، ولم يكن في زيارة النبي ﷺ التي شرعها لأمته بقوله وفعله طلب حاجة من الميت ، ولا القصد بها تعظيمه ، أو عبادته ، أو التوسل به ، أو دعاؤه ، بل المقصود بها نفعه كالصلاة على جنازته [١] .

ولعل ما ذكر كاف للدلالة على النهي عن التبرك بقبر الرسول ﷺ ، بمختلف صوره وأشكاله المبتدعة .

شبه المخالفين والرد عليها :

أورد المجيزون للتبرك بقبر الرسول ﷺ شبها شرعية وعقلية ، يحتجون بها على جواز أو استحباب بعض مظاهر وأشكال ذلك التبرك .

وسأذكر فيما يأتي أشهر هذه الشبه ، ثم أرد عليها باختصار .

الشبهة الأولى : إذا صح طلب الشفاعة والدعاء من الرسول ﷺ في حياته ، فلا بأس بطلب ذلك منه أيضا بعد وفاته ، بناء على أنه ﷺ حي في قبره ، والحياة قد ثبتت للشهداء ، ورتبة الأنبياء أعلى وأكمل من جميع الشهداء [٢] .

الرد عليها : يمكن الرد على هذه الشبهة من طريقين :

الأول : يرد على « من يجيز شفاعة الرسول ﷺ » إجمالا كما يأتي :

ليس في النصوص الشرعية دليل صحيح ولا ضعيف يدل على جواز طلب الدعاء والشفاعة من الرسول ﷺ عند قبره ، كما تقدم .

---

(١) الرد على الأخنائي ص ٧٩ .

(٢) ممن احتج بهذه الشبهة ونحوها من المتقدمين : تقي الدين السبكي ، المتوفى سنة ٧٥٦ هـ ، في كتابه (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) ص ١٧١ - ٢٠١ ، ومن المعاصرين : محمد علوي المالكي في كتابه (مفاهيم يجب أن تصحح) ص ٨١ .

والنبي ﷺ الذي أخبر بأنه سيشفع يوم القيامة ، لم يخبر بأنه في قبره سيشفع لأحد ، بل عمومات النصوص تنهى عن طلب الشفاعة من الأموات (١) .

ولهذا لم يطلب أحد لا من الصحابة رضي الله عنهم ، ولا من التابعين لهم بإحسان ولا من سائر المسلمين - لم يطلبوا من النبي ﷺ بعد موته أن يشفع له ولا سأله شيئا ، ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين في كتبهم (٢) .

وإذا كان طلب دعاء الأموات من الأنبياء جائزا ، فلأي علة لم يطلب صحابة رسول الله ﷺ منه أن يدعو لهم بعد موته ، وعدلوا إلى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وهم أعلم الأمة وأحرصها على الخير (٣) .

الثاني : أما الاستدلال على جواز تلك الشفاعة بحياة الرسول ﷺ في قبره ، فان هذه المسألة ، أعني (مسألة حياة الأنبياء في قبورهم) قد جرى حولها نزاع بين العلماء .

وعلى أي حال ، فإنه يمكن أن يجاب على هذه الدعوى بما يأتي :

لا ريب أن الرسول ﷺ حي في قبره ، فإذا كان الشهداء أحياءَ في قبورهم ، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحق وأولى منهم بهذا (٤) ، ولكن الشأن في معرفة حقيقة هذه الحياة ، والفرق بينها وبين الحياة الدنيوية (٥) .

فالحياة البرزخية غيب من الغيوب ، لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى ،

---

(١) انظر كتاب (هذه مفاهيمنا) لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ ص ١٤٢ - ١٤٧ ، وأنبه إلى أن هذا الكتاب رد على كتاب (مفاهيم يجب أن تصحح) للمالكي .

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص ١٩ .

(٣) من كتاب (هذه مفاهيمنا) ص ١٥٢ بتصرف .

(٤) هناك حجج أخرى - عدا هذه - لاثبات حياة الأنبياء في قبورهم ، ذكر منها الإمام ابن القيم أربعا ثم ناقشها في قصيدته النونية التي سماها (الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية) انظر شرح هذه القصيدة للدكتور محمد خليل هراس ٢/١١ - ٢١ .

(٥) مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام تأليف الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ص ٢٩٣ ، شرح القصيدة النونية للهراس ٢/١٢ ، ١٩ .

ولذا فلا تقاس الحياة البرزخية على الحياة الدنيا – كما لا تقاس الحياة الأخروية عليها – وليس معنى حياة الأنبياء والشهداء أنها كما كانوا في الحياة الدنيا يأكلون ويشربون ويتزوجون ، ويفعلون كل ما يفعله الأحياء ، ولو كانت حياتهم البرزخية كالحياة الدنيوية [1] لما صح أن يطلق عليهم لفظ الممات [2] .

ومما يدل على الاختلاف بينهما أيضا أن النبي ﷺ في حياته البرزخية لا يعلم شيئا أوكل شيء عما في هذه الحياة .

برهان ذلك ما جاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قام فينا رسول الله ﷺ خطيبا بموعظة فقال : « ... ألا وانه سيجاء برجال من أمتي ، فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يارب أصحابي » ، فيقال : « إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » فأقول كما قال العبد الصالح [3] : « وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد ، إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » [4] قال: فيقال لي : « إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم » [5] .

ومما يدل على الاختلاف بين الحياة البرزخية والحياة الدنيوية أيضا أن شهداء أحد – المعروف مكانهم وفضلهم – رحمهم الله تعالى لم يذهب إليهم أحد من المسلمين من صحابة رسول الله ﷺ في حياته ، ولا بعد مماته يسألونهم الدعاء ، مع أنهم أحياء حياة برزخية بنص القرآن الكريم ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله

---

(١) من أشهر ما يحتج به المعترضون حديث رد الله روح النبي ﷺ بعد موته لأجل السلام ، وأنه يقتضي استمرار الروح في الجسد ويستلزم حياة نظير الحياة المعهودة . انظر كتاب (الصارم المنكي) لابن عبد الهادي ص ٢٩٣ – ٣٠٣ ، فقد أجاب عن هذه الشبهة إجابة شافية .

(٢) التوسل للألباني ص ٦٠ ، ٦١ ، تحذير المسلمين عن الابتداع في الدين لابن حجر البنعلي ص ١٦٦ .

(٣) هو عيسى بن مريم عليه السلام .

(٤) سورة المائدة (١١٧ ، ١١٨) .

(٥) صحيح البخاري ١٩١/٥ كتاب تفسير القرآن ، سورة (٥) باب (١٤) ، وصحيح مسلم ٢١٩٤/٤ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، واللفظ لمسلم .

أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ (١) فلمَ ترك أولئك طلب دعاء هؤلاء الشهداء ؟ بل كانوا يدعون لهم ، لا يسألونهم الدعاء (٢) .

وهكذا فقد اتضح لنا اختلاف حقيقة حياة الرسول ﷺ في قبره عن الحياة الدنيوية .

وبناء عليه : فإن الاحتجاج على جواز طلب الشفاعة أو الدعاء من الرسول ﷺ بعد وفاته ، بأنه حي في قبره – باطل ، فلا قياس بين هذين النوعين من الحياة .

وكذا يبطل كل فعل مشابه يعمل عند القبر النبوي – كطلب الاستغفار مثلا – اعتمادا على هذه الحجة ، والله المستعان .

الشبهة الثانية : الاستدلال على استحباب طلب الاستغفار من الرسول ﷺ عند قبره بعموم قوله تعالى ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ﴾ (٣) ولأن الرسول ﷺ حي في قبره ، ويستشهدون على ذلك بحكاية أعرابي أتى قبر الرسول ﷺ ، وتلا هذه الآية ، وأنشد بيتين (٤) ، ثم استغفر عند القبر ، فرأى أحدهم في نومه الرسول ﷺ أنه أمره أن يبشر الأعرابي بالمغفرة (٥) .

الرد عليها : يجاب على هذه الشبهة من عدة وجوه :

أحدها : أن المقصود بهذه الآية المجيء إلى الرسول ﷺ في حياته فقط .

فإن هذه الآية نزلت في شأن المنافقين الذين إذا دعوا إلى الله وحكم رسوله

---

(١) سورة آل عمران (١٦٩) .

(٢) من كتاب (هذه مفاهيمنا) ص ١٥٢ بتصرف .

(٣) سورة النساء (٦٤) .

(٤) هما :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

(٥) أورد هذه الشبهة تقي الدين السبكي في كتابه (شفاء السقام فى زيارة خير الأنام) ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٨٦ ، ٨٧ .

ﷺ صدوا ، واحتكموا إلى الطاغوت ، فظلموا أنفسهم ، ولم يجيئوا إلى رسول الله ﷺ تائبين منيبين ليستغفر لهم [(١)] .

وقد روى الإمام الطبري رحمه الله ، عن مجاهد رحمه الله أن هذه الآية نزلت في الرجل اليهودي والرجل المسلم اللذين تحاكما إلى كعب بن الأشرف [(٢)(٣)] .

ويؤيد ما تقدم الوجه الآتي :

الثاني : أن الصحابة رضي الله عنهم ، أعلم الأمة بالقرآن الكريم ، لم ينقل عن أحد منهم أنه أتى إلى قبر الرسول ﷺ يطلب الاستغفار منه ، وكذا التابعون لهم باحسان ، فلو كان مشروعا مندوبا لكانوا أعلم به وأعمل به من غيرهم [(٤)] .

الثالث : جاء في صحيح مسلم أن الرسول ﷺ وجّه بعض أصحابه إلى طلب الاستغفار من التابعى أويس بن عامر في حياته [(٥)] ، وأين منزلته من منزلة رسول الله ﷺ ؟ ومع هذا أرشدهم عليه الصلاة والسلام إلى أن يستغفر لهم ، تاركين طلب ذلك من خير الخلق في قبره عليه الصلاة والسلام [(٦)] .

الرابع : أن حكاية الأعرابي المذكورة [(٧)] لو صحت فلا يثبت بها حكم

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٥٧/٥ .

(٢) هو كعب بن الأشرف الطائي من بني نبهان ، كانت أمه من بني النضير فدان باليهودية ، وكان سيدا في أخواله ، أدرك الاسلام ولم يسلم ، وأكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم أمر النبي ﷺ بقتله ، فانطلق إليه خمسة من الأنصار فقتلوه في ظاهر حصن له قريب من المدينة سنة ٣ هـ .

انظر السيرة النبوية لابن هشام ٨١/٣ ، الأعلام ٢٢٥/٥ .

(٣) تفسير الطبري ١٥٧/٥ .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٥٨/٢ ، وانظر الصارم المنكي ص ٤٢٦ .

(٥) تقدم تخريج الحديث وترجمة أويس ص ٢٧٧ من هذا الكتاب .

(٦) أشار إلى هذا الوجه صاحب كتاب (هذه مفاهيمنا) ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٧) قد يستدل أيضا بحكاية أخرى مشابهة ، انظر نص هذه الحكاية مع بيان بطلانها في كتاب (الصارم المنكي) لابن عبد الهادي ص ٤٣٠ ، ٤٣١ .

شرعي ، بل إن قضاء الله تعالى حاجة مثل هذا الأعرابي وأمثالها لها أسباب وحكم ، وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي أن يكون هذا السبب مشروعا مأمورا به [١] .

الخامس : لو كان يشرع لكل مذنب أن يأتي إلى قبره ﷺ ليستغفر له ، لكان القبر النبوي أعظم أعياد المذنبين ، وهذا مخالف لنهيه ﷺ عن اتخاذ قبره عيدا [٢] .

أما الاحتجاج على مشروعية ذلك بحياة الرسول ﷺ في قبره ، فقد تقدمت الاجابة على ذلك ضمن الرد على الشبهة الماضية .

الشبهة الثالثة : يشرع الاستسقاء بالكشف عن قبر الرسول ﷺ لما روى [٣] الدارمي رحمه الله عن أبي الجوزاء أوس بن عبد الله [٤] قال : « قحط أهل المدينة قحطا شديدا ، فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت : انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كَوًّا [٥] إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ، قال ففعلوا ، فمطرنا مطرا حتى نبت العشب ، وسمنت الابل ، حتى تفتقت من الشحم ، فسمي عام الفتق » [٦] .

الرد عليها : لقد أجاب على هذه الشبهة شيخ الاسلام ابن تيمية . حيث قال

---

(١) الاقتضاء لابن تيمية ٧٥٨/٢ بتصرف ، وانظر له قاعدة في المحبة ص ١٩٢ ، وانظر الصارم المنكي ص ٣٣٨ .

(٢) الصارم المنكي ص ٤٢٨ بتصرف .

(٣) أورد هذه الشبهة المالكي في كتابه (مفاهيم يجب أن تصحح) ص ٦٦ .

ومن أسباب إيراد هذه الشبهة ومناقشتها لئلا يحتج بهذه الرواية أحد على كشف قبره ﷺ أو غيره من الصالحين للاستسقاء ونحوه .

(٤) هو أوس بن عبد الله الربعي البصري أبو الجوزاء . كان أحد العباد الذين قاموا على الحجاج . اختلف المحدثون في مروياته عن الصحابة . توفي سنة ٨٣ هـ .

انظر سير أعلام النبلاء ٣٧١/٤ ، تهذيب التهذيب ٣٨٣/١ .

(٥) جاء في القاموس المحيط ١٠٤/٤ بترتيب الزاوي : الكَوّة والكَوّ : الخرق في الحائط ، أو التذكير للكبير والتأنيث للصغير .

(٦) سنن الدارمي ٤٣/١ ، المقدمة ، باب ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته .

رحمه الله : وما روي عن عائشة رضي الله عنها من فتح الكَوّة من قبره إلى السماء لينزل المطر فليس بصحيح ، ولا يثبت إسناده ، وإنما نقل ذلك من هو معروف بالكذب [١] ، ومما يبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كَوّة بل كان بعضه باقيا كما كان على عهد النبي ﷺ بعضه مسقوف وبعضه مكشوف ، وكانت الشمس تنزل فيه ، كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها « أن النبي ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها ، لم يظهر الفيء [٢] بعد [٣] » [٤] .

وقال : ولما بنيت حجرته على عهد التابعين تركوا في أعلاها كوّة إلى السماء [٥] .

وذكر أن سبب ذلك لينزل منها من ينزل إذا احتيج إلى ذلك ، لأجل كنس أو تنظيف [٦] ، وأن آخر الأمر هو بناء القبة [٧] على السقف [٨] .

الشبهة الرابعة : ثبت في صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حضرته الوفاة طلب أن يدفن بجوار قبر النبي ﷺ [٩] ، فهذا لأجل التبرك بقبره ﷺ [١٠] .

---

(١) انظر ما ذكره الألباني بالتفصيل حول ضعف سند هذه الرواية ، في كتابه التوسل ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٢) أصل الفيء : الرجوع ، ومعناه هنا الظل الذي يكون بعد الزوال ، لأنه يرجع من جانب الغرب إلى جانب الشرق . من كتاب النهاية لابن الأثير ٤٨٢/٢ .

(٣) صحيح البخاري ١٣٧/١ كتاب مواقيت الصلاة ، باب وقت العصر ، وصحيح مسلم ٤٢٦/١ كتاب المساجد ومواقيت الصلاة ، باب أوقات الصلوات الخمس .

(٤) الرد على البكري ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ٦٧٨/٢ ، ٦٧٩ .

(٦) الرد على البكري ص ٦٨ .

(٧) حدث هذا سنة ٦٧٨ هـ ، وراجع ص ٤١٣ من هذا الكتاب .

(٨) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٦٧٩/٢ ، وانظر أيضا كتاب التوصل إلى حقيقة التوسل لمحمد نسيب الرفاعي ص ٢٦٧ – ٢٧٢ .

(٩) انظر تفصيل هذه القصة في صحيح البخاري ٢٠٤/٤ كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب قصة البيعة ، ضمن حديث طويل عن عمرو بن ميمون رضي الله عنه .

(١٠) أورد هذه الشبهة المالكي في كتابه (مفاهيم يجب أن تصحح) ص ١٥٢ .

الرد عليها : يجاب على هذه الشبهة بأن هذا التصرف من عمر رضي الله عنه لا يدل على التبرك بالقبر النبوي الشريف مطلقا ، إنما كان قصده رضي الله عنه أن يكون قريبا من صاحبيه ورفيقيه – النبي ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه – بعد الوفاة ، كما كان كذلك في الحياة .

والشاهد على ذلك أن عمر قد أوصى ابنه عبد الله رضي الله عنهما أن يقول لعائشة رضي الله عنها : « يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه » وليس في هذا إشارة إلى التبرك بالقبر النبوي ، بل فيه إشارة إلى الصحبة فقط .

وطلب عمر هذا ليس بغريب ، فإنه عادة لبعض المتصاحبين ، ولهذا فإن عائشة رضي الله عنها كانت تريد أيضا أن تدفن بجوار زوجها ﷺ وأبيها أبي بكر رضي الله عنه ، لكنها آثرت عمر ، حيث أجابت حين استأذنها بقولها : « كنت أريده لنفسي ، ولأوثرنه به اليوم على نفسي » والله تعالى أعلم .

تلك نماذج من الشبه التي تعلق بها المخالفون في موضوع التبرك بقبر الرسول ﷺ مع مناقشتها والرد عليها .

وإلى هنا ينتهى هذا المبحث ، وعلى أي حال فإن استيعاب مسائل هذا الموضوع سيؤدي إلى زيادة التطويل ، وقد يخرج بنا عن المطلوب ، فلعل ما ذكرته كافيا ، ودالا على المقصود ، ومؤديا للغرض ، لا سيما أن تلك المسائل قد أشبعت بحثا في مصنفات خاصة ، والله تعالى الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

* * *

المبحث الثاني
التبرك بالمواضع التي جلس أو صلى فيها

تقدم في الباب الماضي في فصل المشروع من التبرك بالنبي ﷺ أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا – في حياته ﷺ وبعد وفاته – يتبركون بآثاره الشريفة الحسية المنفصلة منه عليه الصلاة والسلام ، كشعره ، أو عرقه ، أو ثيابه ، أو ماء شربه أو وضوئه ، وأن التابعين أيضا كانوا يتبركون بما وجد من آثاره ﷺ بعد وفاته ، وهذا لأن الرسول ﷺ مبارك الذات والآثار .

ولكن هل بركة ذاته الكريمة ، وآثاره ﷺ الشريفة تتعدى إلى الآثار المكانية أيضا – كمواضع جلوسه ، أو صلاته ، أو نومه ، ونحو ذلك – ومن ثمّ يجوز التبرك بها ؟ أو أنها لا تتعدى فلا يجوز التبرك إذن ؟

هذا ما سأتناول إيضاحه في هذا المبحث بإذن الله تعالى .

تحرير محل البحث في هذه المسألة :

قبل أن أدخل في تفصيل حكم وأدلة هذه المسألة لا بد من معرفة الفرق بين هذين الأمرين :

أحدهما : ما قصده الرسول ﷺ من العبادات – كالصلاة ونحوها – في أي بقعة أو مكان ، فإنه يشرع قصده وتحري مكانه ، اقتداء به ﷺ وطلبا للأجر والثواب ، وهذا لا خلاف فيه .

الثاني : ما فعله الرسول ﷺ من العبادات وغيرها ، في أي مكان ، دون قصده المكان بذاته ، أو أداء العبادة فيه ، فهذا مما لا يشرع قصده أو تحريه ، وهو محل البحث هنا .

وعلى هذا فإن ما فعله الرسول ﷺ على وجه التعبد فهو عبادة يشرع التأسي به فيه ، فإذا تخصص زمان أو مكان بعبادة ، كان تخصيصه بتلك العبادة سنة [(١)] .

فقصد الصلاة أو الدعاء في الأمكنة التي كان النبي ﷺ يقصد الصلاة أو الدعاء عندها سنة ، اقتداء برسول الله ﷺ واتباعا له ، كما إذا تحرى الصلاة أو الدعاء في وقت من الأوقات ، فإن قصد الصلاة أو الدعاء في ذلك الوقت سنة كسائر عباداته ، وسائر الأفعال التي فعلها على وجه التقرب [(٢)] .

ومن أمثلة هذا قصد الرسول ﷺ الصلاة خلف مقام ابراهيم عليه السلام ، وكما كان يتحرى الصلاة عند الاسطوانة [(٣)] في مسجده ﷺ ، وكما يقصد المساجد للصلاة ، ويقصد الصف الأول ، ونحو ذلك [(٤)] . أما ما لم يكن كذلك فلا يشرع قصده .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية موضحا حكم هذه المسألة : « لم يشرع الله تعالى للمسلمين مكانا يقصد للصلاة إلا المسجد ، ولا مكانا يقصد للعبادة إلا المشاعر ، فمشاعر الحج ، كعرفة ومزدلفة ومنى تقصد بالذكر والدعاء والتكبير لا الصلاة ، بخلاف المساجد ، فإنها هي التي تقصد للصلاة ، وما ثم مكان يقصد بعينه إلا المساجد والمشاعر ، وفيها الصلاة والنسك ... وما سوى ذلك من البقاع فإنه لا يستحب قصد بقعة بعينها للصلاة ولا الدعاء ولا الذكر ، إذ لم يأت في شرع الله ورسوله قصدها لذلك ، وإن كان مسكنا لنبي أو منزلا أو ممرا .

فإن الدين أصله متابعة النبي ﷺ وموافقته بفعل ما أمرنا به وشرعه لنا وسنه لنا ، ونقتدي به في أفعاله التي شرع لنا الاقتداء به فيها ، بخلاف ما كان من خصائصه .

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ٢٦٠/٥ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٤٦/٢ ، ٧٤٧ بتصرف .

(٣) الاسطوانة : هي السارية ، وأما موقعها في المسجد النبوي فقيل : إنها السارية المتوسطة في الروضة الشريفة ، وأنها تعرف بأسطوانة المهاجرين (انظر فتح الباري لابن حجر ٥٧٧/١) ، وسيرد قريبا حديث حول تحري الصلاة عندها .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٤٢/٢ .

فأما الفعل الذي لم يشرعه هو لنا ، ولا أمرنا به ، ولا فعله فعلا سنّ لنا أن نتأسى به فيه ، فهذا ليس من العبادات والقرب ، فاتخاذ هذا قربة مخالفة له ﷺ »[1] اهـ .

وبناء على ما تقدم فإن المواضع التي صلى فيها الرسول ﷺ بالمدينة – ما عدا مسجده ﷺ ومسجد قباء – أو على طرقها ، أو بمكة – ما عدا المسجد الحرام – ونحو ذلك مما لم يقصده بذاته ، كبعض المساجد بمكة أو المدينة وما حولهما ، المبنية على آثار صلاة الرسول ﷺ ، في حضره أو سفره أو غزواته – إن صح ذلك – لا تشرع الصلاة فيها على سبيل القصد والقربة والتبرك ، وستأتي أدلة ذلك .

وكذلك فإن المواضع والبقاع والجبال التي جلس أو أقام فيها الرسول ﷺ – ماعدا المشاعر – لا تقصد العبادة فيها التماسا للبركة .

وكذا فإن الآبار التي شرب منها الرسول ﷺ – ما عدا بئر زمزم – أو اغتسل منها ، لا تقصد تبركا واستشفاء .

وسيأتي بيان تلك المواضع وغيرها – مما لا يجوز التبرك به – مفصلا بإذن الله تعالى في الفصل الثالث .

أدلة عدم شرعية التبرك بالمواضع التي جلس أو صلى فيها ﷺ :

يمكن الاستدلال على عدم شرعية التبرك بهذه المواضع – على الوجه المتقدم – من عدة أوجه :

أحدها : لا يوجد دليل من النصوص الشرعية يفيد جواز ذلك الفعل أو استحبابه .

ولا شك أن الجلوس في تلك المواضع للصلاة أو الدعاء أو الذكر ونحو ذلك قربة وتبركا من أنواع العبادة ، والعبادات مبناها على الاتباع لا على الابتداع .

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ٥/٢٦٣ ، ٢٦٤ .

الثاني : أن الصحابة رضي الله عنهم لم ينقل عن أحد منهم أنه تبرك بشيء من المواضع التي جلس فيها رسول الله ﷺ ، أو البقع التي صلى عليها عليه الصلاة والسلام اتفاقا ، مع أنهم أحرص الأمة على التبرك بالرسول ﷺ ، ومع علمهم بتلك المواضع ، وشدة محبتهم للرسول ﷺ وتعظيمهم له ، واتباعهم لسنته .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار ، يذهبون من المدينة إلى مكة حجاجا وعمارا ومسافرين ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرى الصلاة في مصليات النبي ﷺ ، ومعلوم أن هذا لو كان عندهم مستحبا لكانوا إليه أسبق ، فإنهم أعلم بسنته ، وأتبع لها من غيرهم » (١) .

فتحري هذا ليس من سنة الخلفاء الراشدين التي حث الرسول ﷺ على التمسك بها ، بل هو مما ابتدع .

ولم ينقل قصد الصلاة في تلك البقاع التي صلى فيها الرسول ﷺ إلا عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وهو لم يكن يقصد التبرك – كما سيأتي إيضاحه – مع أن قول الصحابي إذا خالفه نظيره ليس بحجة ، فكيف إذا انفرد به عن جماهير الصحابة (٢) .

وكما أن أداء الصلاة ونحوها من أنواع العبادة غير مشروع عند الآثار النبوية تبركا ، فإن التمسح أو التقبيل لشيء منها ممنوع أيضا ، كما عليه سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه : « المكان الذي كان النبي ﷺ يصلي فيه بالمدينة النبوية دائما ، لم يكن أحد من السلف يستلمه ولا يقبله ، ولا المواضع التي صلى فيها بمكة وغيرها » (٣) .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٤٨/٢ .

(٢) المرجع السابق ٧٤٨/٢ بتصرف .

(٣) المرجع السابق ٨٠٠/٢ .

الوجه الثالث : نهي السلف الصالح عن هذا التبرك قولا وفعلا .

لقد أنكر هذا التبرك السلف الصالح رحمهم الله ، من الصحابة والتابعين فمن بعدهم .

وكان على رأس هؤلاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الراشد .

فعن المعرور بن سويد [(١)] رحمه الله قال : « خرجنا مع عمر بن الخطاب ، فعرض لنا في بعض الطريق مسجد ، فابتدره [(٢)] الناس يصلون فيه ، فقال عمر : ما شأنهم ؟ فقالوا : هذا مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ ، فقال عمر : أيها الناس ، إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم مثل هذا ، حتى أحدثوها بيعا [(٣)] ، فمن عرضت له فيه صلاة فليصلّ ، ومن لم تعرض له فيه صلاة فليمض » [(٤)] .

قال ابن تيمية رحمه الله معلقا على هذه القصة : « لما كان النبي لم يقصد تخصيصه بالصلاة فيه ، بل صلى فيه لأنه موضع نزوله ، رأى عمر أن مشاركته في صورة الفعل من غير موافقة له في قصده ليس متابعة ، بل تخصيص ذلك المكان بالصلاة من بدع أهل الكتاب التي هلكوا بها ، ونهى المسلمين عن التشبه بهم في ذلك ، ففاعل ذلك متشبه بالنبي ﷺ في الصورة ، ومتشبه باليهود والنصارى في القصد ، الذي هو عمل القلب وهذا هو الأصل ، فإن المتابعة في السنة أبلغ من المتابعة في صورة العمل » [(٥)] اهـ .

---

(١) هو المعرور بن سويد الأسدي أبو أمية الكوفي التابعي ، من الثقات المعمرين ، عاش مائة وعشرين سنة ، كان كثير الحديث .

انظر الجرح والتعديل ٤١٥/٨ ، تذكرة الحفاظ ٦٧/١ ، تهذيب التهذيب ٢٣٠/١٠ .

(٢) أي تعجلوا إليه واستبقوا وبادروا إليه . انظر القاموس المحيط ٢٢٩/١ .

(٣) البيع جمع بيعة وهي متعبد النصارى . من كتاب القاموس المحيط ٣٥٠/١ .

(٤) أخرج هذا الأثر ابن وضاح القرطبي في كتاب البدع والنهي عنها ص ٤١ ، ٤٢ واللفظ له ، وأخرجه أيضا ابن أبي شيبة في المصنف ٣٧٦/٢ ، ٣٧٧ كتاب الصلوات . وقال عنه ابن تيمية : (كما ثبت بالاسناد الصحيح) انظر مجموع الفتاوى ٢٨١/١ .

وقال الألباني : رواه سعيد بن منصور في سننه ، وابن وضاح بإسناد صحيح على شرط الشيخين ، انظر كتابه تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي ص ٤٩ .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨١/١ .

وورد في قصة أخرى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه أن ناسا يأتون الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فأمر بها فقُطعت [١] .

هذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفعله ، الذي قال عنه النبي ﷺ : « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » [٢] .

وقد قال ابن وضاح القرطبي [٣] رحمه الله بعد أن روى هاتين القصتين : « وكان مالك بن أنس ، وغيره من علماء المدينة [٤] يكرهون إتيان تلك المساجد ، وتلك الآثار للنبي ﷺ ماعدا قباء وأحدا » [٥] .

ثم قال : « وسمعتهم يذكرون أن سفيان الثوري دخل مسجد بيت المقدس ، فصلى فيه ، ولم يتبع تلك الآثار ، ولا الصلاة فيها ، وكذلك فعل غيره أيضا ممن يقتدى به ، وقدم وكيع [٦] أيضا مسجد بيت المقدس فلم يعْد فعل سفيان » .

---

(١) أخرجه ابن وضاح القرطبي في كتاب البدع والنهي عنها ص ٤٢ ، ٤٣ عن نافع ، قال الألباني : (ورجال إسناده ثقات) انظر تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي ص ٤٩ .

وأخرجه أيضا ابن أبي شيبة في المصنف ٣٧٥/٢ كتاب الصلوات ، وابن سعد في طبقاته (الطبقات الكبرى ١٠٠/٢) وقال ابن حجر العسقلاني : إن إسناده صحيح (فتح الباري ٤٤٨/٧) .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٦١٧/٥ كتاب المناقب ، باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وقال الترمذي : حديث حسن ، وأخرجه ابن ماجه في سننه ٤٠/١ المقدمة ، فضل عمر رضي الله عنه ، وابن حبان في صحيحه ٢٢/٩ كتاب مناقب الصحابة والامام أحمد في مسنده ٥٣/٢ ، والحاكم في المستدرك ٨٧/٣ كتاب معرفة الصحابة ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين ، وقال الذهبي : على شرط مسلم .

(٣) هو محمد بن وضاح بن بزيع أبو عبد الله القرطبي مولى عبد الرحمن بن معاوية الامام المحدث ، رحل إلى المشرق وأخذ عن كثير من العلماء ثم عاد إلى الأندلس فحدث مدة طويلة ونشر بها علمه ، صنف كتبا منها : البدع والنهي عنها ، مكنون السر ومستخرج العلم . توفي سنة ٢٨٦ هـ .
انظر الأعلام ١٣٣/٧ .

(٤) نبه على منع هذا التبرك وبيان عدم مشروعيته علماء آخرون أيضا . انظر كتاب الاعتصام للشاطبي ٣٤٧/١ ، الاقتضاء لابن تيمية ٧٤٥/٢ ، زاد المعاد لابن القيم ٥٩/١ .

(٥) المقصود إتيان قبور شهداء أحد لزيارتهم والسلام عليهم ، وفي كتاب الاعتصام للشاطبي ٣٤٧/١ هكذا (ما عدا قباء وحده) نقلا عن ابن وضاح .

(٦) هو وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاس أبو سفيان الكوفي الحافظ أحد الأئمة الأعلام . كان =

ثم قال أخيرا : « فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين ، فقد قال بعض من مضى : كم من أمر هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان منكرا عند من مضى » [(١)] الخ .

تلك نماذج لنهي السلف الصالح رحمهم الله بأقوالهم وأفعالهم عن هذا التبرك المبتدع .

الوجه الرابع : أن منع هذا التبرك من باب سد الذريعة ، ويمكن إيضاح ذلك من عدة وجوه :

أحدها : أن النهي عن هذا الفعل سد لذريعة الشرك والفتنة [(٢)] ، فهو وسيلة إلى الفتنة بتلك المواضع [(٣)] ، وتعظيمها ، وربما أفضى ذلك إلى جعلها معابد [(٤)] .

الثاني : أن ذلك الفعل يشبه الصلاة عند المقابر [(٥)] ، إذ هو ذريعة إلى اتخاذ تلك الآثار مساجد .

والنصوص الشرعية تحرم اتخاذ قبور الأنبياء مساجد – كما تقدم في المبحث الماضي – مع أنهم مدفونون فيها ، وهم أحياء في قبورهم [(٦)] ، فما بالك بالمواضع الأخرى لهم .

= فقيها عابدا صواما . قال أحمد بن حنبل : ما رأيت أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع . توفي سنة ١٩٧ هـ .
انظر سير أعلام النبلاء ١٤٠/٩ ، تذكرة الحفاظ ٣٠٦/١ ، تهذيب التهذيب ١٢٣/١١ ، شذرات الذهب ٣٤٩/١ .

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح القرطبي ص ٤٣ .

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم ٣٦٨/١ .

(٣) قال عيسى بن يونس شيخ ابن وضاح القرطبي ومفتي أهل طرسوس عن قطع عمر للشجرة : (قطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة) روى ذلك عنه ابن وضاح في كتاب البدع والنهي عنها ص ٤٢ .

(٤) من كتاب التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية لعبد العزيز بن ناصر الرشيد ص ٣٤٠ ، وانظر كتاب (هذه مفاهيمنا) لصالح آل الشيخ ص ٢١٢ .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٤٥/٢ .

(٦) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ٢٦٢/٥ بتصرف .

الثالث : أن هذا الفعل ذريعة إلى التشبه بأهل الكتاب في أفعالهم ، كما حذر عمر رضي الله عنه .

الوجه الخامس : أن بركة ذوات الأنبياء والمرسلين لا تتعدى إلى الأمكنة الأرضية ، والله أعلم ، وإلا لزم أن تكون كل أرض وطئها النبي ، أو جلس عليها ، أو طريق مرّ بها تطلب بركتها ، ويتبرك بها ، وهذا لازم باطل قطعا ، فانتفى الملزوم إذن [١] .

قال الشيخ صدّيق حسن [٢] رحمه الله : « قالوا : المشي في أرض مشى فيها رسول الله ﷺ يكفّر السيئات ، خصوصا مع النية الصالحة ... وفيها بشرى له برجاء أن يكون متبعا آثاره الشريفة ، قلت : وذلك يحتاج إلى سند ، لأن المكفرّ إنما هو اتباع هديه وسنته ظاهرا وباطنا دون تتبع آثاره الأرضية فقط ، فتدبر » [٣] .

وبهذه الأوجه وغيرها يستدل على عدم مشروعية التبرك المذكور .

شبه المخالفين والرد عليها :

هناك من العلماء من أجاز التبرك بالمواضع التي جلس أو صلى فيها الرسول ﷺ [٤] اعتمادا على عدة شبه مختلفة تعلقوا بها للاستدلال على مشروعية بعض أشكال هذا التبرك ، وسأذكر أبرز هذه الشبه مع الرد عليها :

---

(١) من كتاب (هذه مفاهيمنا) ص ٢١١ ، وانظر مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ٢٦٣/٥ .

(٢) هو محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي الهندي أبو الطيب الإمام العلامة المحدث المفسر ، ناصرُ السنة وقامع البدعة ، وصاحب التصانيف في عدة فنون . ومنها : رحلة الصدّيق إلى البيت العتيق ، الدين الخالص ، فتح البيان في مقاصد القرآن ، أبجد العلوم . توفي سنة ١٣٠٧ هـ .

انظر الأعلام ١٦٧/٦ ، معجم المؤلفين ٩٠/١٠ .

(٣) من كتاب رحلة الصديق إلى البيت العتيق لصديق حسن خان ص ٢١ .

(٤) ممن حبّذ قصد تلك المواضع التماسا للبركة : الغزالي ، انظر (إحياء علوم الدين ٢٦٠/١ ، ٢٦١) والزركشي (إعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٢٩٨) والقسطلاني (المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٤٠١/٢) والعيني (عمدة القاري ٢٧٥/٤) .

وانظر الاقتضاء ٧٤٢/٢ فما بعدها .

الشبهة الأولى : حديث عِتبان بن مالك رضي الله عنه .

ففي الصحيحين « أن عِتبان بن مالك رضي الله عنه أتى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله إني أنكرت بصري ، وأنا أصلي لقومي ، وإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم ، ولم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي لهم ، وددت أنك يارسول الله تأتي فتصلي في مصلّى ، فأتخذه مصلّى ، فقال رسول الله ﷺ : « سأفعل إن شاء الله » قال عِتبان : فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر حين ارتفع النهار ، فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له ، فلم يجلس حتى دخل البيت ثم قال : « أين تحب أن أصلي من بيتك ؟ » قال : فأشرت إلى ناحية من البيت ، فقام رسول الله ﷺ فكبّر ، فقمنا وراءه ، فصلى ركعتين ثم سلم » [1] الحديث .

قالوا : فيستدل بهذا الحديث على مشروعية التبرك بالمواضع التي صلى فيها عليه الصلاة والسلام [2] .

الرد عليها : قد أجاب شيخ الاسلام ابن تيمية عن هذا الحديث بأن عِتبان رضي الله عنه كان مقصوده بناء مسجد لحاجته إليه ، فأُحب أن يكون موضعاً يصلي له فيه النبي ﷺ ، ليكون النبي ﷺ هو الذي رسم المسجد [3] – كما أنه ﷺ بنى مسجد قباء ، وبنى مسجده – وهذا بخلاف مكان صلى فيه النبي ﷺ اتفاقا ، فاتخذ مسجدا ، لا لحاجة إلى المسجد في هذا المكان ، لكن لأجل صلاته فيه فقط [4] .

الشبهة الثانية : فعل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

---

(١) صحيح البخاري ١٠٩/١ كتاب الصلاة ، باب المساجد في البيوت ، وصحيح مسلم ٤٥٥/١ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر .

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم ١٦١/٥ ، وفتح الباري لابن حجر ٥٢٢/١ .

(٣) قال ابن حجر : يحتمل أن يكون عتبان رضي الله عنه إنما طلب بذلك الوقوف على جهة القبلة بالقطع (فتح الباري ٥٢٢/١) .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٤٦/٢ ، والرد على البكري لابن تيمية ص ٢٨٠ بتصرف .

ففي صحيح البخاري أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يتحرى قصد أماكن من طرق المدينة ، فيصلي فيها ، وأنه رأي النبي ﷺ يصلي فيها [(١)] .

مع العلم أن هذه الأماكن قد سلكها الرسول ﷺ اتفاقا ، لا قصدا [(٢)] ، ففعل ابن عمر رضي الله عنهما حجة في استحباب تتبع آثار النبي ﷺ الأرضية ، والتبرك بها [(٣)] .

الرد عليها : يجاب عن هذه الشبهة بما يأتي :

١ – أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يقصد التبرك بالصلاة في المواضع التي صلى فيها الرسول ﷺ ، إنما كان قصده شدة الاقتداء والاتباع للنبي ﷺ والتشبه به ، فهو حريص على بركة الاقتداء ، لا على بركة المكان .

والدليل على ذلك أن تشدده في الاتباع معروف ومشهور [(٤)] .

ومن شواهد هذا ما روي « أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يتّبع آثار رسول الله ﷺ في كل مكان صلى فيه [(٥)] ، حتى أن النبي ﷺ نزل تحت شجرة ، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة ، فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس » [(٦)] .

٢ – أن هذا الفعل مما انفرد به ابن عمر رضي الله عنهما عن جمهور الصحابة فقد خالفه سائر الصحابة ، ومنهم أبوه رضي الله عنه ، كما سبق .

---

(١) صحيح البخاري ١٢٤/١ كتاب الصلاة ، باب المساجد التي على طرق المدينة ، والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ ، وانظر بعده حديثا آخر طويلا حيث ذكرت فيه تلك الأماكن بالتفصيل .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٤٢/٢ .

(٣) انظر فتح الباري ٥٦٩/١ .

(٤) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٢٣٧/٣ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ٢١٣/٣ ، ٢٣٧ ، فتح الباري ٥٦٩/١ .

(٥) ينبغي أن يعلم هنا أن ابن عمر رضي الله عنهما لم يكن يقصد أن يصلي إلا في مكان صلى فيه ﷺ ، ولم يكن يقصد الصلاة في موضع نزوله ومقامه . انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٧٥/١٧ .

(٦) أسد الغابة ٢٣٧/٣ ، سير أعلام النبلاء ٢١٣/٣ ، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم ٧٤٣/٢ ، ٧٩٤ .

الشبهة الثالثة : فعل سلمة بن الأكوع رضي الله عنه .

ففي الصحيحين عن يزيد بن أبي عبيد [١] قال : كان سلمة [٢] يتحرى الصلاة عند الاسطوانة [٣] التي عند المصحف ، فقلت له : يا أبا مسلم ، أراك تتحرى الصلاة عند هذه الاسطوانة ، قال : « رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها » [٤] .

فقد يفهم من فعل سلمة رضي الله عنه عموم مشروعية الصلاة في المواضع التي صلى فيها الرسول ﷺ تبركا .

الرد عليها : يجاب عن هذه الشبهة بأن هناك فرقا بين ما يتحرى الرسول ﷺ الصلاة ونحوها فيه ، ويقصده ، كما في هذا الحديث ، وبين ما يصلي فيه عليه الصلاة والسلام اتفاقا بدون قصد .

فالأول يشرع قصده وتحريه اقتداء واتباعه ولا خلاف في ذلك .

وأما الثاني فلا يشرع قصده – وهو محل البحث والمناقشة – وقد تقدم إيضاح هذا الفرق أول هذا المبحث .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية بعد أن ساق هذا الحديث : وقد ظن بعض المصنفين [٥] أن هذا مما اختلف فيه ، وجعله والقسم الأول [٦] سواء ، وليس بجيد ،

---

(١) هو يزيد بن أبي عبيد المدني أبو خالد الأسلمي التابعي صاحب سلمة بن الأكوع . كان ثقة كثير الحديث مات سنة ١٤٧ هـ .

انظر سير أعلام النبلاء ٢٠٦/٦ ، تهذيب التهذيب ٣٤٩/١١ .

(٢) هو أبو مسلم سلمة بن الأكوع وقيل سلمة بن عمرو بن الأكوع ، واسم الأكوع سنان بن عبد الله الأسلمي . كان ممن بايع تحت الشجرة ، وكان شجاعا راميا محسنا فاضلا ، غزا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات ، توفي بالمدينة سنة ٧٤ هـ وقيل سنة ٦٤ هـ .

انظر أسد الغابة ٢٧١/٢ ، الإصابة ٦٥/٢ ، تهذيب التهذيب ١٥٠/٤ .

(٣) تقدم ص ٣٤٢ تعريف بها وبموقعها .

(٤) صحيح البخاري ١٢٧/١ كتاب الصلاة ، باب الصلاة إلى الاسطوانة ، وصحيح مسلم ٣٦٤/١ كتاب الصلاة ، باب دنو المصلي من السترة .

(٥) من هؤلاء أبو بكر الطرطوشي ، انظر كتابه الحوادث والبدع ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٦) أي ما فعله الرسول ﷺ من العبادات في أي موضع دون قصد .

فإنه هنا أخبر أن النبي ﷺ كان يتحرى البقعة ، فكيف لا يكون هذا القصد مستحبا ؟ ... فيجب الفرق بين اتباع النبي ﷺ والاستنان به فيما فعله ، وبين ابتداع بدعة لم يسنها لأجل تعلقها به » (١) .

الشبهة الرابعة : اتخاذ مقام إبراهيم عليه الصلاة السلام مصلى .

أي أن الله تعالى أمرنا بقوله ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ (٢) فيقاس عليه غيره من الأماكن المرتبطة بالأنبياء (٣) .

الرد عليها : هذا الحكم خاص بمقام إبراهيم عليه السلام فقط ، سواء أريد به المقام الذي عند الكعبة ، أو أريد به المشاعر (عرفة ومزدلفة ومنى) ولا خلاف أنها قد خصت من العبادات بما لا يشركها فيه سائر البقاع ، كما خص البيت بالطواف ، وما خصت به تلك البقاع لا يقاس به غيرها (٤) ، فالعبادات مبناها على الشرع والتوقيف والاتباع ، لا على الرأي والقياس والابتداع ، وما عظمه الله ورسوله من زمان أو مكان فإنه يستحق التعظيم ، ومالا فلا (٥) .

تلك أبرز الشبه التي يعتمد عليها من يجيز هذا النوع من التبرك بعد مناقشتها والرد عليها .

حكم التبرك بأثر قدم الرسول ﷺ :

هذه مسألة هامة تتفرع عن موضوع هذا المبحث أرى أنه لابد من بيانها .

ذلك أنه يوجد في بعض البلدان ما يسمى (أثر موطيء قدم الرسول ﷺ) وهو عبارة عن حجارة عليها أثر قدم ، يزعم بعض الناس أنها قدم الرسول ﷺ

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٤٧/٢ .

(٢) سورة البقرة (١٢٥) .

(٣) انظر الاقتضاء لابن تيمية ٨٠١/٢ .

(٤) المرجع السابق ٨٠١/٢ باختصار .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٨٦/٢٧ ، الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي لمؤلفه حمود بن عبد الله التويجري ص ٨٣ بتصرف .

فيتبركون بها مسحا وتقبيلا ومشاهدة ، وغير ذلك ، كالدعاء عندها ، ونحوه ، وقد ينشئون الزيارة لأجل ذلك .

والكلام على بطلان ذلك من وجهين :

الوجه الأول : أن ما يُدّعى وجوده من آثار قدمه الشريفة عليه الصلاة والسلام غير صحيح ؛ لعدة أسباب . منها ما يأتي :

١ - عدم وجود ما يثبت صحة شيء من ذلك ، فليس هناك أدلة معتبرة يعتمد عليها ، وإنما الأمر مجرد إشاعات فقط في البداية ، اكتسبت الشهرة بعد ذلك ، خصوصا عند العوام .

٢ - نص المحققون من العلماء والحفاظ على إنكار صحة آثار القدم النبوية على الأحجار [١] .

وإن من علامات زيف آثار القدم ما قرره صاحب كتاب « الآثار النبوية » [٢] حين قابل بين المعروف من تلك الآثار ، حيث قال : « المعروف الآن من هذه الأحجار سبعة : أربعة منها بمصر [٣] ، وواحد بقبة الصخرة ببيت المقدس ، وواحد بالقسطنطينية [٣] ، وواحد بالطائف ، وهي حجارة سوداء ، إلى الزرقة في الغالب ، عليها آثار أقدام متباينة في الصورة والقدر ، لا يشبه الواحد منها الآخر) [٤] .

٣ - أن ما استفاض واشتهر خصوصا على ألسنة الشعراء والمدّاح من تأثير قدمه ﷺ في الصخر إذا وطىء عليه لا أصل له ، فهو كذب مختلق [٥] .

---

(١) أورد المؤلف أحمد تيمور باشا صاحب كتاب (الآثار النبوية) جملة من أسماء هؤلاء العلماء . انظر كتابه هذا ص ٦٨ ، ٦٩ ، وراجع الاقتضاء ٢/٨٠٠ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/٢٧ .

(٢) هو أحمد تيمور باشا المتوفى سنة ١٣٤٨ هـ ، وقد تقدمت ترجمته ص ٢٥٧ .

(٣) رأيت بنفسي سنة ١٤٠٧ هـ مما نسب من تلك الأحجار بمصر حجرا في مدينة طنطا داخل القبة المقامة على ضريح السيد البدوي في زاوية من زواياها ، كما رأيت حجرا آخر أيضا في تركيا في أحد متاحف اسطنبول (القسطنطينية سابقا) .

(٤) الآثار النبوية لأحمد تيمور باشا ص ٥٣ .

(٥) انظر كتاب فتح المتعال في مدح النعال للمقري ص ٣٤٩ ، ٣٥١ ، وكتاب الآثار النبوية ص ٥٣ ، ٦٣ .

الوجه الثاني : لو صح وجود شيء من آثار قدم الرسول ﷺ افتراضا ، فإنه لا يجوز التبرك به على أي وجه من الوجوه ، لما يأتي :

١ - ما تقدم تقريره والاستدلال عليه في هذا المبحث من عدم مشروعية التبرك بالمواضع التي جلس أو صلى فيها الرسول ﷺ ، وأثر القدم جزء من هذه المواضع ، ولذا لم يتبرك به السلف الصالح رحمهم الله تعالى .

وقد نص على ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله : « الموضع الذي كان صلى الله عليه وسلم يطؤه بقدميه الكريمتين ، ويصلي عليه ، لم يشرع لأمته التمسح به ولا تقبيله » [(١)] .

وقال في موضع آخر رحمه الله : « قصد الصلاة والدعاء عندما يقال إنه قدم نبي ، أو أثر نبي ، أو قبر نبي ... من البدع المحدثة ، المنكرة في الاسلام ، لم يشرع ذلك الرسول ﷺ ، ولا كان السابقون الأولون والتابعون لهم باحسان يفعلونه ، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين ، بل هو من أسباب الشرك ، وذرائع الأفك » [(٢)] .

٢ - اتفق العلماء على ما مضت به السنة من أنه لا يشرع الاستلام والتقبيل لمقام إبراهيم عليه السلام [(٣)] - الموجود به موضع قدميه - وإذا كان هذا غير مشروع في موضع قدمي إبراهيم عليه السلام - الذي لا شك فيه - مع أنّا قد أُمرنا أن نتخذه مصلى ، فكيف بما يقال إنه موضع قدم الرسول ﷺ - كذبا وافتراء [(٤)] - .

هذا ما يتعلق بحكم التبرك بأثر قدم الرسول ﷺ .

وهكذا الحكم أيضا في كل ما قد ينسب إلى المصطفى ﷺ من آثار أخرى مشابهة ، كأثر الكف أو المرفق أو الرأس وغير ذلك [(٥)] ، فإنه لا يوجد لها مستند

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٨٠٠/٢ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٥/٢٧ .

(٣) انظر أخبار مكة للأزرقي ٢٩/٢ ، ٣٠ ، إغاثة اللهفان لابن القيم ٢١٢/١ .

(٤) الاقتضاء ٧٩٩/٢ ، ٨٠٠ بتصرف .

(٥) انظر الآثار النبوية لأحمد تيمور باشا ص ٦١ ، ٦٢ .

شرعي صحيح ، يثبت صحة نسبتها إلى الرسول ﷺ ، ثم أنه لا يشرع التبرك بها على أي وجه من الوجوه لو صح شيء منها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

حكم التبرك بمكان ولادة الرسول ﷺ :

سأختتم هذا المبحث ببيان حكم هذه المسألة المتعلقة بموضوعه . فقد ذكر بعض المتأخرين من المؤرخين أن بمكة موضعا مشهورا [١] يقال إنه مكان مولد النبي ﷺ ، وأنه يزار بعد صلاة المغرب من الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الأول [٢] في كل سنة ، من قبل بعض الفقهاء والأعيان ، على طريقة خاصة ، فيدخلون فيه ويخطبون ويدعون لولاة الأمر ، ثم يعودون إلى المسجد الحرام قبيل العشاء [٣] .

وذكر بعضهم أن هذا الموضع يفتح يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ليتبرك به الناس – بالصلاة والدعاء والتمسح ونحو ذلك – فهو أول تربة مست جسمه الطاهر عليه الصلاة والسلام [٤] ، وحتى ادعى بعض العلماء أن الدعاء يستجاب في مولد النبي ﷺ عند الزوال [٥] .

فهل التبرك بمكان ولادة الرسول ﷺ مشروع أم ممنوع ؟ .

والجواب أن حكم هذه المسألة لا يختلف عن أمثالها من المسائل السابقة ، وهو عدم الجواز ، وذلك من وجهين :

---

(١) يقع هذا الموضع في شعب بني هاشم (شعب علي) قرب سوق الليل ، بناء على أشهر الأقوال في محل ولادة النبي ﷺ . انظر شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسي ٢٦٩/١ ، إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام لعبد الكريم القطبي ص ١٥٤ ، إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام للمكي ص ٢٢٠ .

وقد بني أخيرا في هذا الموضع مكتبة مكة المكرمة . انظر كتاب مكة في القرن الرابع عشر الهجري لمحمد عمر رفيع ص ١٢٥ .

(٢) على اعتبار أنه زمان المولد النبي ، وسيأتي تحقيق ذلك في المبحث الثالث .

(٣) من كتاب الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف لابن ظهيرة – المتوفى سنة ٩٨٦ هـ – ص ٣٢٦ ، وكتاب إعلام العلماء الأعلام للقطبي – المتوفى سنة ١٠١٤ هـ ص ١٥٤ باختصار .

(٤) رحلة ابن جبير ص ٩٢ بتصرف .

(٥) انظر إعلام العلماء الأعلام للقطبي ص ١٥٤ .

الوجه الأول : اختلاف العلماء والمؤرخين في تعيين مكان ولادته ﷺ [١] ، وعدم وجود أدلة صحيحة تحدد هذا الموضع يقينا .

وأما المكان المشهور – المشار إليه آنفا – فمحل شك لدى كثير من العلماء .

وقد تطرق الرحالة أبو سالم العيّاشي [٢] إلى تحقيق مكان المولد ، وساق اختلاف العلماء فيه ، ثم ناقش ذلك القول المشهور بين الناس .

ومما أورده قوله : « والعجب أنهم عينوا محلا من الدار مقدار مضجع ، وقالوا له : موضع ولادته ﷺ ، ويبعد عندي كل البعد تعيين ذلك من طريق صحيح أو ضعيف ، لما تقدم من الخلاف [٣] في كونه في مكة أو غيرها ، وعلى القول بأنه فيها ففي أي شعابها ؟ وعلى القول بتعيين هذا الشّعب ففي أي الدور ؟ وعلى القول بتعيين الدار يبعد كل البعد تعيين الموضع من الدار ، بعد مرور الأزمان والأعصار ، وانقطاع الآثار » .

ثم قال أيضا رحمه الله مستبعدا صحة تحديد ذلك المكان : « والولادة وقعت في زمن الجاهلية ، وليس هناك من يعتني بحفظ الأمكنة ، سيما مع عدم تعلق غرض لهم بذلك ، وبعد مجيء الاسلام فقد علم من حال الصحابة وتابعيهم ضعف اعتنائهم بالتقييد ، بالأماكن التي لم يتعلق بها عمل شرعي ، لصرفهم اعتناءهم رضي الله عنهم لما هو أهم ، من حفظ الشريعة ، والذب عنها بالسنان واللسان » [٤] اهـ .

---

(١) انظر مثلا شفاء الغرام ٢٦٩/١ ، الجامع اللطيف ص ٣٢٥ – ٣٢٧ ، أخبار الكرام ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٢) هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي – نسبة إلى قبيلة آية عياش – الفاسي . قام برحلة دوّنها في كتابه الرحلة العياشية سماها (ماء الموائد) ، ومن مصنفاته : إظهار المنة على المبشرين بالجنة ، اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر . توفي سنة ١٠٩٠ هـ . انظر الأعلام ١٢٩/٤ .

(٣) يقول المؤرخ المعاصر المشهور حمد الجاسر ضمن مقالة له في مجلة العرب ج ٣ ، ٤ في رمضان وشوال ١٤٠٢ هـ بعنوان : (الآثار الإسلامية في مكة المشرفة):- (وهذا الاختلاف في الموضع الذي ولد فيه النبي ﷺ يحمل على القول بأن الجزم بأنه الموضع المعروف عند عامة الناس باسم المولد : لا يقوم على أساس تاريخي صحيح) .

(٤) الرحلة العياشية المسماة (ماء الموائد) للعياشي ٢٢٥/١ .

ولا شك أن اختلاف العلماء والمؤرخين في تحديد موضع الولادة دليل على عدم اهتمام الصحابة الأجلاء رضي الله عنهم به – لأنه لا يتعلق به عمل شرعي – وإلا لنقل اتفاقهم على مكان معين معروف ، كما تعرف أماكن مشاعر الحج مثلاً .

فهذا إذن من دلائل عدم مشروعية التبرك بمكان الولادة ، فالصحابة أحرص من غيرهم على فعل الخير والمسارعة إليه .

الوجه الثاني : لو صحت معرفة مكان ولادة النبي ﷺ لما جاز التبرك به على أي وجه ، لما تقدم تقريره والاحتجاج له في هذا المبحث ، من عدم مشروعية التبرك بالمواضع التي جلس أو صلى فيها الرسول ﷺ ، ونحو ذلك من الآثار المكانية ، ومكان الولادة جزء منها .

أما الاستدلال على شرعية تعظيم المكان الذي ولد فيه نبي ، والتبرك به ، بما روي أن جبريل عليه السلام أمر محمداً ﷺ ليلة الاسراء والمعراج بصلاة ركعتين ببيت لحم [١] ، حيث ولد عيسى عليه السلام [٢] ، فيجاب عنه بما يأتي :–

١ – أن علماء الحديث وغيرهم حكموا على هذه الرواية بأنها منكرة موضوعة ، فلم يثبت عن النبي ﷺ أنه صلى في بيت لحم [٣] .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : « ثبت في الصحيح « أن النبي ﷺ لما أتى بيت المقدس ليلة الاسراء صلى فيه ركعتين » [٤] ولم يصل بمكان غيره ولا زاره ، وحديث المعراج فيه ماهو في الصحيح ، وفيه ماهو في السنن والمسانيد ، وفيه ماهو ضعيف ، وفيه ماهو من الموضوعات المختلقات ، مثل ما يرويه بعضهم فيه « أن النبي

---

(١) بيت لحم : قرية بفلسطين قرب بيت المقدس من جهة الجنوب ، ولد فيها عيسى عليه السلام . انظر معجم البلدان ٥٢١/١ .

(٢) من كتاب القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ﷺ للشيخ اسماعيل بن محمد الأنصاري ص ٤٣ ، ١٣٨ نقلا عن رسالة لمحمد بن علوي المالكي .

(٣) انظر المرجع السابق ص ١٣٨ – ١٤٥ فقد أفاض مؤلفه وفقه الله في نقل كلام أهل العلم وحكمهم على هذه الرواية وأسانيدها .

(٤) صحيح مسلم ١٤٥/١ كتاب الإيمان ، باب اسراء برسول الله ﷺ .

ﷺ قال له جبريل : هذا قبر أبيك إبراهيم ، انزل فصل فيه ، وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى ، انزل فصل فيه » ... فهذا ونحوه من الكذب المختلق باتفاق أهل المعرفة » . إلى أن قال « وبيت لحم كنيسة من كنائس النصارى ، ليس في إتيانها فضيلة عند المسلمين ، سواء كان مولد عيسى أو لم يكن » [١] .

وقال ابن القيم رحمه الله : « قد قيل : إنه – أي النبي ﷺ – نزل ببيت لحم ، وصلى فيه ، ولم يصح ذلك عنه ألبتة » [٢] .

٢ – لو ثبت أنه عليه الصلاة والسلام صلى ليلة الاسراء في بيت لحم ، لم يكن في ذلك ما يؤيد جواز الصلاة في مكان ولادة النبي ﷺ تبركا واحتسابا للأجر ، لعدم صحة القياس في أمور العبادة ، فهي توقيفية .

فضلا عن أن النبي ﷺ لم يأمر أمته بتعظيم بيت لحم ، ولم يأمرهم بالصلاة فيه ، ولم يكن أحد من الصحابة رضي الله عنهم يعظم بيت لحم ويصلي فيه [٣] ، فليس في إتيانه فضيلة عند المسلمين كما تقدم ، وكذا مكان ولادة النبي ﷺ ، والله تعالى أعلم .

وفي ختام هذا المبحث أسأل الباري جل وعلا أن يعيننا على اتباع هدي رسوله الكريم ﷺ ، والعمل بسنته ظاهرا وباطنا ، والالتزام بما أُثر عنه من أقوال وأفعال ، إنه تعالى سميع مجيب .

* * *

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٨١٤/٢ .

(٢) زاد المعاد لابن القيم ٣٤/٣ .

(٣) من كتاب الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي للشيخ حمود التويجري ص ٨٨ بتصرف ، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم ٨١٣/٢ .

المبحث الثالث

التبرك بليلة مولد الرسول ﷺ

مما ابتلي به المسلمون في العصور المتأخرة ما استحدث من أعياد مبتدعة أشهرها وأخطرها ما يسمى : عيد المولد النبوي .

وإن الذي دعا هؤلاء إلى هذا العمل هو تعظيم ليلة مولد الرسول ﷺ وتقديسها .

فقد زعم بعضهم أن « ليلة ولادته ﷺ التي ولد فيها ، أو ولد صبيحتها أفضل الليالي [1] ، واليوم الذي تشرق عنه أفضل الأيام ، فهو عيد وموسم ، فيعظّم ويحترم ، ويعمل فيه ما يدل على التعظيم والاحترام » [2] .

وهم يعتقدون بركة تلك الليلة [3] ، وما يوافقها كل سنة ، وبركة ما يقرأ فيها مما يسمى « مولد النبي ﷺ » الذي يتضمن قصة مولده وجانبا من سيرته .

حتى قال أحدهم : « ما من شخص قرأ مولد النبي ﷺ على ملح أو برّ ، أو شيء من المأكولات إلا ظهرت فيه البركة ، وفي كل شيء وصل إليه ذلك الملح أو البر أو غيره ، ومن وصل إلى جوفه شيء من ذلك فإنه يضطرب – أي يتحرك –

---

(١) معنى هذا أنها أفضل من ليلة القدر ، كما صرح بعضهم به . انظر : كتاب المدخل لابن الحاج ٢٩/٢ ، ٣٠ ، وكتاب المواهب اللدنية للقسطلاني ٢٦/١ ، وكتاب مفاهيم يجب أن تصحح للمالكي ص ١٢٠ .

(٢) قاله القليوبي عبد ربه بن سليمان في كتابه فيض الوهاب في بيان أهل الحق ومن ضل عن الصواب ١١٤/٥ .

(٣) لم يقتصر الأمر على تعظيم ليلة مولده ﷺ فقط ، بل تعدى هذا إلى تعظيم شهر مولده أيضا – ربيع الأول – وتكريمه واحترامه .
انظر كتاب المدخل لابن الحاج ٣/٢ .

ولا يستقر في جوفه حتى يغفر الله لآكله ، وإن قُرئ مولد النبي ﷺ على ماء طاهر فكل من شرب من ذلك الماء دخل قلبه ألف نور ورحمة ، وخرج منه ألف ظلمة وعلة ! ... » الخ[١] .

وقال آخر : « ما من مسلم قرئ في بيته مولد النبي ﷺ إلا دفع الله عنه القحط والبلاء ، والحزن والغرق ، والآفات والعاهات ، والبليات والنكبات ، والبغضاء والحسد ، واللصوص ، فإذا مات هوّن الله عليه جواب منكر ونكير ، وكان في مقعد صدق عند مليك مقتدر ! »[٢] .

ونحو ذلك مما يعتقد ويرجى في ليلة المولد النبوي من الفضل والخير والبركة الدينية والدنيوية .

متى حدث الاحتفال بالمولد النبوي ؟

صرّح العلماء أن أول من احتفل بالمولد النبوي دولة بني عبيد ، المتسمين بالفاطميين ، وأن أول من أحدثه منهم المعز لدين الله سنة ٣٦٢ هـ بالقاهرة ، واستمر الاحتفال به إلى أن ألغاه الأفضل أمير الجيوش بن بدر الجمالي[٣] ، وزير الخليفة (المستعلي بالله) سنة ٤٨٨ هـ ، ثم بعد وفاة الخليفة سنة ٤٩٥ هـ أعيد الاحتفال مرة أخرى[٤] .

وعلى هذا فلم تكن الموالد تعرف عند المسلمين قبل القرن الرابع الهجري .

---

(١) من كتاب فيض الوهاب للقليوبي ١١٥/٥ منسوبا إلى فخر الدين الرازي .

(٢) من كتاب فيض الوهاب للقليوبي ١١٦/٥ منسوبا إلى فتح الله البناني .

(٣) هو أمير الجيوش الملك الأفضل أبو القاسم شاهنشاه بن الملك أمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني . كان الأفضل حسن الاعتقاد كريم الأخلاق حميد السيرة وكان أبوه نائبا بديار مصر فلما مات تولى ذلك بعده . قتل سنة ٥١٥ هـ .

انظر سير أعلام النبلاء ٥٠٧/١٩ ، البداية والنهاية ١٨٨/١٢ ، شذرات الذهب ٤٧/٤ .

(٤) من كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي ٤٣٢/١ ، ٤٣٣ ، وكتاب الابداع لعلي محفوظ ص ١٢٦ ، وانظر كتاب القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ﷺ للشيخ إسماعيل الأنصاري ص ٦٨ فما بعدها .

وأول من أظهر الاحتفال بالمولد النبوي بالعراق شيخ الموصل [١] عمر بن محمد الملاء [٢] ، في القرن السادس ، ثم اقتدى به في ذلك صاحب إربل [٣] الملك أبو سعيد كوكبوري [٤] ، في القرن السابع [٥] ، وكان هذا يهتم اهتماما عجيبا بإقامة المولد ، ويقيم له الاحتفالات الكبيرة [٦] .

واستمر الاحتفال بالمولد النبوي كل عام في شهر ربيع الأول [٧] ، يجتمعون في المساجد أو البيوت ، ويقرؤون مدائح للنبي ﷺ وجانبا من سيرته - كنسبه الشريف ، وقصة مولده ، وبعض شمائله - كما أنهم يصلون عليه بصلاة مخصوصة ، وقد يصنعون أطعمة منوعة توزع على الحضور ، وربما رافق ذلك شيء من أمور منكرة [٨] - كما سيأتي بسطه إن شاء الله تعالى - .

ولا يزال هذا الاحتفال بالمولد يقام في العصر الحاضر - على اختلاف في مظاهره - في كثير من دول العالم الإسلامي ، حتى وصل الأمر ببعضها إلى تعطيل المدارس والدوائر الرسمية أعمالها يوم المولد ، أسوة بغيره من الأعياد الشرعية .

---

(١) الموصل : مدينة قديمة عظيمة تقع بالعراق على طرف دجلة ، سميت بذلك لأنها وصلت بين الفرات ودجلة ، وقيل لأن الملك الذي أحدثها كان يسمى الموصل .
انظر معجم البلدان ٢٢٣/٥ ، آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص ٤٦١ .

(٢) هو عمر بن محمد بن خضر الأربلي الموصلي أبو حفص معين الدين شيخ الموصل المعروف بالملاّ ، كان من الصالحين الزاهدين ، وله أخبار مع الملك نور الدين محمود بن زنكي . توفي سنة ٥٧٠ هـ .
انظر البداية والنهاية ٢٨٢/١٢ ، الأعلام ٦٠/٥ .

(٣) إربل : مدينة كبيرة شرق الموصل ، بها قلعة حصينة لم يظفر بها التتر مع أنهم لم يفتهم شيء من القلاع والحصون . انظر آثار البلاد ص ٢٩٠ .

(٤) هو أبو سعيد مظفر الدين كوكبوري بن الأمير علي بن كوجك التركماني . ولي مملكة إربل بالعراق سنة ٥٨٦ هـ ، وكان شهما جوادا شجاعا عادلا . توفي سنة ٦٣٠ هـ .
انظر وفيات الأعيان ١١٣/٤ ، البداية والنهاية ١٣٦/١٣ ، شذرات الذهب ١٣٨/٥ .

(٥) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص ٢٤ .

(٦) انظر وصف هذا الاحتفال في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ١١٧/٤ - ١١٩ ، وكتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ٦٨١/٨ .

(٧) الغالب أنه يفعل في اليوم الثاني عشر من هذا الشهر أو في الثامن منه أو غيرهما - وذلك لعدم الاتفاق على يوم المولد كما سيأتي بيانه .

(٨) من رسالة لأبي بكر الجزائري بعنوان (الانصاف فيما قيل في المولد من الغلو والاجحاف) ص ٢٠ - ٢٣ باختصار .

أدلة عدم شرعية التبرك والاحتفال بالمولد النبوي :-

لا يجوز التبرك والاحتفال بذكرى مولد النبي ﷺ للأدلة الآتية :-

أولا : هذا العمل ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة ، ولم يفعله السلف الصالح .

فليس عليه دليل في القرآن الكريم ، ولم يأمر به الرسول ﷺ ، كما لم يفعله أيضا ، ولم يتخذ عليه الصلاة والسلام موالد لمن قبله من الأنبياء والصالحين .

ولم يؤثر عن الصحابة رضي الله عنهم أو التابعين رحمهم الله ولا أحد منهم إقامة الموالد والاحتفال بها للنبي ﷺ - ولا لغيره - كما لم ينقل هذا العمل أيضا عن سائر أهل القرون الثلاثة المفضلة ، كما سلف إثباته .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في شأن اتخاذ مولد النبي ﷺ عيدا : « إن هذا لم يفعله السلف ، مع قيام المقتضى له وعدم المانع فيه لو كان خيرا ، ولو كان هذا خيرا محضا أو راجحا لكان السلف رضي الله عنهم ، أحق به منا ، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيما له منا ، وهم على الخير أحرص » [1] اهـ .

وقال الامام تاج الدين الفاكهاني [2] رحمه الله « لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولا سنة ، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة ، الذين هم القدوة في الدين ، المتمسكون بآثار المتقدمين » [3] .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٦١٥/٢ ، وانظر فتاوى رشيد رضا ٢١٢/٥ .

(٢) هو عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الاسكندري أبو حفص تاج الدين الفاكهاني الإمام العلامة النحوي المحدث الفقيه . له مصنفات في عدة فنون منها : شرح رسالة ابن أبي زيد في الفقه المالكي سماه (التحرير والتحبير) ، الإشارة في النحو ، رياض الافهام في شرح عمدة الأحكام . توفي بالاسكندرية سنة ٧٣٤ هـ .

انظر البداية والنهاية ١٦٨/١٤ ، شذرات الذهب ٩٦/٦ ، الأعلام ٥٦/٥ ، معجم المؤلفين ٢٩٩/٧ .

(٣) المورد في عمل المولد ص ٢٠ ، ٢١ ، وهي رسالة صغيرة للفاكهاني عن حكم الاحتفال بالمولد النبوي .

ولا أدل على عدم احتفال السلف الصالح بالمولد النبوي من اختلافهم في تعيين تاريخ ليلة ولادته ﷺ ، فلو كان يُشرع فيها [١] شيء من العبادات – على سبيل الافتراض – لعيّنها الصحابة واهتموا بها ، ولكانت معلومة مشهورة .

ولقد وصل الخلاف في تعيين تلك الليلة بين المؤرخين إلى سبعة أقوال ، أشهرها أنها ليلة ثنتي عشرة ، ثم ليلة ثمان من شهر ربيع الأول ، بعد أن اتفقوا على أن الولادة كانت يوم الاثنين ، واتفق الجمهور منهم على أن ذلك فى شهر ربيع الأول [٢] .

وقد سار على هدى أولئك السلف الصالح في عدم اعتبار المولد النبوي أو الاحتفال به – أئمة الدين وعلماء الأمة المحققون ، تمسكا بسنة الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم وأتباعهم من بعدهم .

بل إنهم لما حدثت تلك الاحتفالات بالموالد بعد القرون الثلاثة أنكروها ، وأبانوا حكمها للناس [٣] ، أداء للواجب وقياما بالنصيحة .

ولم يزل علماء أهل السنة – قرنا بعد قرن – إلى يومنا هذا سائرين على هذا النهج ، مع الرد على من أجاز ذلك العمل ، ومناقشته بالحجج والبراهين [٤] .

---

(١) المقصود ما يوافقها كل سنة .

(٢) راجع : البداية والنهاية لابن كثير ٢٦٠/٢ ، لطائف المعارف لابن رجب ص ٩٥ ، المواهب اللدنية للقسطلاني ٢٥/١ ، ٢٦ .

(٣) انظر كتاب القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ﷺ للأنصاري ص ٤٩ – ٥٨ ، فقد نقل نماذج من أقوال جملة من العلماء الذين نهوا عن الاحتفال بالمولد النبوي وأنكروا مايقع فيه من المفاسد والمنكرات . وانظر أيضا فتاوى ابن إبراهيم ٥٩/٣ – ٦٣ .

(٤) من أشهر ما كتب عن هذه المسألة في العصر الحاضر ما يأتي :-

١) رسالة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في حكم الاحتفال بالموالد النبوية وغيرها .

٢) كتاب (حوار مع المالكي في رد منكراته وضلالاته) تأليف الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع .

٣) كتاب القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ﷺ للشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري .

ثانيا : يعتبر هذا العمل من البدع المحدثة في الدين ، التي حذّر الشرع منها .

والدليل على أنه مبتدع ما تضمنته الفقرة السابقة : من عدم وجود أصل له في الكتاب ولا في السنة ، وعدم فعله من قبل السلف الصالح .

كما أن تعظيم ليلة الميلاد النبوي والاحتفال به قربة لله تعالى ، وطلبا لبركتها ، واتخاذها عيدا – من المسائل الشرعية التعبدية ، والعبادات توقيفية ، مبناها على الشرع فقط ، فما زاد عليه فهو من البدع المذمومة .

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله مبينا هذه الحقيقة : « تخصيص يوم من الأيام ، وتمييزه على غيره بشيء من الطاعات أمر توقيفي ، إنما يصار في معرفته إلى الشريعة المطهرة ، ولم تخصص الشريعة يوما من الأيام باتخاذه عيدا للاسلام سوى يومي العيدين : عيد الفطر وعيد النحر ، وما يتبعه من أيام التشريق الثلاثة ، وسوى العيد النسبي ، وهو يوم الجمعة ، فإنه عيد الأسبوع فليس للمسلمين أن يتخذوا عيدا سواها » (١) .

ثالثا : أن الاحتفال بالمولد النبوي واتخاذه عيدا فيه تشبه بأهل الكتاب في أعيادهم ، الذين نهينا عن التشبه بهم وتقليدهم .

فإن النصارى يتخذون من أمثال أيام حوادث عيسى عليه السلام أعيادا ، وكذا اليهود (٢) .

قال ابن القيم رحمه الله : « من خص الأمكنة والأزمنة من عنده بعبادات ،

= ٤) كتاب الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي وبيان أخطائهم في المولد النبوي للشيخ حمود بن عبد الله التويجري .

٥) رسالة (الانصاف فيما قيل في المولد من الغلو والاجحاف) للشيخ أبي بكر جابر الجزائري .

(١) فتاوى ابن إبراهيم ٣/٥١ وانظر لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب ص ١٢٣ .

وانظر أيضا رسالة (المورد في عمل المولد) للفاكهاني ص ٢٢ فما بعدها ، فقد فصل القول في بيان وجه كون المولد بدعة .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٦١٤ ، ٦١٥ بتصرف .

لأجل هذا وأمثاله [١] ، كان من جنس أهل الكتاب الذين جعلوا زمان أحوال المسيح مواسم وعبادات ، كيوم الميلاد ، ويوم التعميد [٢] ، وغير ذلك من أحواله » [٣] اهـ .

ولا يخفى أن النصارى لا زالوا إلى هذا اليوم يقيمون أعيادا عديدة ، أشهرها احتفالاتهم الكبرى بذكرى ميلاد عيسى عليه السلام في نهاية كل سنة ميلادية ، ويعتبرون ذلك عيدا عظيما لهم ، كما أن اليهود أيضا لهم أعياد أخرى في بعض المناسبات الخاصة الموافقة لأحوال أنبيائهم وعظمائهم .

رابعا : ما يتضمنه الاحتفال بالمولد النبوي غالبا من المفاسد والمنكرات .

إنه إضافة إلى ما تقدم من الحكم ببدعية أصل الاحتفال بالمولد النبوي ، وأن فيه تشبها بأهل الكتاب ، فإن هذا الاحتفال قد يشتمل في غالب الأحيان على مفاسد ومنكرات عديدة ، أذكر منها ما يأتي :-

١ - أن جلّ القصائد [٤] والمدائح التي يتغنى بها في المولد لا يخلو من ألفاظ الشرك وعبارات الغلو الذي نهى عنه رسول الله ﷺ بقوله : « لا تُطروني [٥] كما أطرت النصارى ابن مريم [٦] ، فإنما أنا عبده ، فقولوا : عبد الله

---

(١) أي لأجل وقوع الأحداث العظيمة في بعض الأمكنة أو الأزمنة ، مع عدم تخصيص الشرع لها بعبادة شرعية .

(٢) التعميد عند النصارى : رش الماء على الجسم أو غمسه في الماء من قبل القس باسم الأب والابن وروح القدس ، تعبيرا عن تطهير النفس من الخطايا والذنوب ، ويقال : إن النبي يحيى قد عمد المسيح عيسى عليهما السلام . انظر كتاب المسيحية للدكتور أحمد شلبي ص ٣٠ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٥٠٤ إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي في الرياض .

(٣) زاد المعاد ٥٩/١ .

(٤) من أشهر القصائد التي تتلى في الموالد النبوية بردة البوصيري ، المتوفى سنة ٦٩٦ هـ ، وهي قصيدة طويلة في مدح النبي ﷺ لكنها تحتوي على شركيات عديدة ، وممن نقد هذه القصيدة عبد البديع صقر في رسالة له بعنوان (نقد البردة) ، وانظر أيضا في نقد بعض العلماء لهذه القصيدة : كتاب القول الفصل للأنصاري ص ٢٩٥ - ٣٠١ .

(٥) الاطراء : مجاوزة الحد في المدح ، والكذب فيه . من كتاب النهاية لابن الأثير ١٢٣/٣ .

(٦) أي دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك (فتح الباري ٤٩٠/٦) .

ورسوله » (١) كما يُختم الحفل بدعوات تحمل ألفاظ التوسلات المنكرة والكلمات الشركية المحرمة (٢) ، كمناداة الرسول ﷺ ، وطلب نجدته ومساعدته لأي أمر من الأمور الدنيوية .

كما أن العادة جرت في ليلة المولد أن يُقرأ ما يسمى بالموالد ، أُلفت لهذا الغرض ، تُقرأ على هيئة معينة ، وهي مليئة بالقصص والحكايات المشتملة على الشرك والأباطيل ، وإيراد الأحاديث غير الثابتة (٣) .

٢ - من البدع القبيحة الحاصلة في بعض الاحتفالات بالمولد النبوي : القيام عند ذكر ولادته ﷺ وخروجه من الدنيا ، من قبل الحضور المستمعين لقصة المولد تعظيما وإكراما ، لاعتقادهم حضور الرسول ﷺ مجلس احتفالهم حينئذ (٤) .

وقد ناقش العلماء الأجلاء شبهات ودعاوى أصحاب هذه البدعة الشنيعة ، وردوا عليها (٥) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٤٢/٤ كتاب الأنبياء ، باب (واذكر في الكتاب مريم ...) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) من رسالة الانصاف لأبي بكر الجزائري ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) لمعرفة أشهر الموالد التي أُلفت مع بيان ما فيها من مفاسد باطلة ، انظر الكتب الآتية :-

١) القول الفصل للأنصاري ص ٢٠٥ فما بعدها .

٢) منكرات الأفراح وآثارها السيئة على الفرد والأمة . تأليف جماعة من العلماء . تحقيق الاستانبولي ص ٨٠ - ٨٥ .

٣) كتاب المدائح النبوية بين المعتدلين والغلاة للدكتور محمد بن سعد بن حسين ص ١٥٤ - ١٦٦ .

(٤) انظر مثلا كتاب فيض الوهاب للقليوبي ص ٩٦ فما بعدها ، وقد تعسف هذا المؤلف لمحاولة إثبات شريعة هذا القيام .

(٥) انظر على سبيل المثال الكتب الآتية :-

١) كتاب حوار مع المالكي لابن منيع ص ١٧٠ - ١٩٠ .

٢) كتاب الرد القوي للتويجري ص ٢٠٩ - ٢٣٥ .

٣) كتاب القول الفصل للأنصاري ص ٣٠٢ - ٣١٧ .

٤) فتاوى رشيد رضا ٢١١٣/٥ ، ٢١١٤ .

وأكتفي هنا بسياق بعض ما أورده سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله في الرد على هذه الفرية ، حيث قال في معرض بيانه لمنكرات الموالد : « ومن ذلك أن بعضهم يظن أن رسول الله ﷺ يحضر المولد ، ولهذا يقومون له محيّين ومرحّبين ، وهذا من أعظم الباطل وأقبح الجهل ، فإن الرسول ﷺ لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة ، ولا يتصل بأحد من الناس ، ولا يحضر اجتماعاتهم ، بل هو مقيم في قبره إلى يوم القيامة ، وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة » ثم استدل على هذا من الكتاب والسنة وإجماع العلماء (١) .

٣ - قد تحتوي بعض الاحتفالات بالمولد على بعض المحرمات ، كاختلاط الرجال بالنساء ، وما فيه من الفتنة ، واستعمال الأغاني وآلات الطرب ، وما يتبع ذلك من الرقص والتصفيق ، وقلة احترام كتاب الله تعالى ، وغير ذلك مما يوجد من المنكرات الأخرى (٢) .

٤ - ما يحصل أيام المولد من تبذير الأموال الباهظة ، لاقامة الحفلات ، وإطعام الطعام والشراب (٣) ، والاسراف في إيقاد الشموع في المساجد والطرق ، ونفقات الزينة ونحو ذلك (٤) .

---

(١) انظر رسالة الشيخ عبد العزيز بن باز (حكم الاحتفال بالموالد النبوية وغيرها) ص ٦ .

(٢) انظر تفاصيل تلك المحرمات والمفاسد وغيرها في الكتب الآتية :-

١) كتاب المدخل لابن الحاج ٢/٢ - ١٥ .

٢) السنن والمبتدعات للشقيري ص ١٣٩ .

٣) الابداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص ١٢٦ - ١٣٠ .

٤) رسالة (منكرات المآتم والموالد) لطائفة من علماء الأزهر . تحقيق الاستانبولي ص ٥٧ - ٦٠ .

٥) القول الفصل للأنصاري ص ١٨٧ - ٢٠٤ .

(٣) انظر على سبيل المثال وصفا لسماط المولد الذي كان يقيمه الملك كوكبري في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ١١٨/٤ ، ١١٩ ، وكتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ٦٨١/٨ ، ٦٨٢ .

(٤) الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص ١٢٧ ، رسالة (منكرات المآتم والموالد) ص ٥٨ بتصرف .

ولا شك أن إضاعة المال وتبذيره والإسراف فيه من المحرمات شرعا ، كما أن العقل السليم يستقبح ذلك وينكره .

تلك نماذج للمفاسد والشرور والمنكرات التي تحتوي عليها تلك الاحتفالات البدعية ، التي تقام باسم الدين ، ولقصد الأجر والمثوبة .

شبه المجيزين للتبرك والاحتفال بالمولد النبوي والرد عليها :-

خالف بعض المتأخرين من العلماء ، فأجازوا الاحتفال بليلة المولد النبوي تبركا وقربة ، إذا لم يشتمل على منكرات ، حتى ادعى بعضهم [١] وجوب القيام به .

ولهؤلاء جملة من الشبه والتعليلات يستندون عليها في استحسان بدعتهم ، وإثبات شرعية فعلهم ، وسأذكر أبرز هذه الأمور مع مناقشتها والرد عليها :

الشبهة الأولى : أن عمل المولد النبوي من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها [٢] .

الرد عليها : يجاب على هذه الشبهة بما يأتي :

١ - قررنا فيما تقدم أن هذا الفعل بذاته من البدع المحدثة المذمومة ، حتى لو سلم من المنكرات والمفاسد ، فكيف إذا قام عليها أيضا ، مع أنه لا يخلو منها غالبا .

٢ - أن البدع في الدين كلها مذمومة بنص حديث الرسول ﷺ : (وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) [٣] فلا توجد بدعة حسنة في الدين على الصحيح [٤] .

---

(١) من هؤلاء القليوبي . انظر كتابه فيض الوهاب ١١٠/٥ .
(٢) صرح بهذا السيوطي . انظر الحاوي للفتاوي ٢٥١/١ ، ٢٥٢ .
(٣) جزء من حديث تقدم تخريجه ص ٣١٦ .
(٤) راجع مثلاً كتاب الاعتصام للشاطبي ١٤١/١ فما بعدها .

٣ – أن القاعدة في هذه المسألة هي كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « كل مالم يسنه ولا استحبه رسول الله ﷺ ، ولا أحد من هؤلاء الذين يقتدي بهم المسلمون في دينهم ، فإنه يكون من البدع المنكرات ، ولا يقول أحد في مثل هذا إنه بدعة حسنة » (١) الخ .

وهذا ينطبق تماما على بدعة المولد النبوي كما سلف بيانه وتفصيله .

الشبهة الثانية : ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ سئل عن صيام يوم الإثنين ، فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم بُعثت – أو أُنزل عليّ – فيه » (٢) فهذا الحديث يدل على تشريف يوم الولادة ، ويفيد شرعية الاحتفال بالمولد (٣) .

الرد عليها : يرد على هذه الشبهة من عدة وجوه :

أحدها : إذا كان المراد من إقامة المولد هو شكر الله تعالى على نعمة ولادة الرسول ﷺ فيه ، فإن المعقول والمنقول يحتم أن يكون الشكر من نوع ما شكر الرسول عليه الصلاة والسلام ربه ، وهو صيام يوم الإثنين ، وعليه : فلنصم كما صام ، وإذا سئلنا قلنا : إنه يوم ولد فيه نبينا ﷺ ، فنحن نصومه شكرا لله تعالى (٤) ، وتأسيا برسوله ﷺ ، هذا هو المشروع .

أم أن صوم يوم الإثنين صعب ، وليس فيه مظهر الاحتفال والتجمع والانشاد ، وما يتبع ذلك من الأكل والشرب والتسلية ، حتى أصبحت هذه الظاهرة ظاهرة اجتماعية أكثر من كونها دينية (٥) .

الوجه الثاني : أن النبي ﷺ لم يكن يخص يوم ولادته – وهو اليوم الثاني عشر

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥٢/٢٧ . وللاستزادة حول مناقشة هذه الشبهة راجع كتاب حوار مع المالكي لابن منيع ص ٥٦ فما بعدها .

(٢) تقدم تخريجه ص ١٧٠ .

(٣) انظر المدخل لابن الحاج ٣/٢ ، حوار مع المالكي لابن منيع ص ٤٧ .

(٤) رسالة الإنصاف لأبي بكر الجزائري ص ٣٢ بتصرف .

(٥) من كتاب العقلية الاسلامية وفكرة المولد ، تأليف علي بن محمد العيسى ص ٦٥ ، ٦٦ بتصرف .

من شهر ربيع الأول على المشهور أو غيره – بالصيام ، ولا بشيء من الأعمال دون سائر الأيام ، وهذا يدل على أنه ﷺ لم يكن يفضله على غيره ، وإنما صام يوم الاثنين – الذي يتكرر مجيئه كل أسبوع – وقد قال تبارك وتعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر [١] ﴾ [٢] .

الوجه الثالث : هل النبي ﷺ لما صام يوم الاثنين شكرا لله تعالى على نعمة إيجاده ، وعلى ما منّ عليه بنعمة النبوة والرسالة ، أضاف إلى الصيام احتفالا كاحتفال أرباب الموالد من تجمعات ، ومدائح وأنغام ، وطعام وشراب ؟ والجواب بالنفي قطعا ، وإنما اكتفى ﷺ بالصيام فقط ، إذن ألا يكفي الأمة ما كفى نبيها ، ويسعها ما وسعه [٣] ؟ .

الشبهة الثالثة : حث الرسول ﷺ على صوم يوم عاشورا ، شكرا لله تعالى على نجاة موسى عليه السلام ومن معه [٤] ، فيستفاد من هذا شرعية الاحتفال بيوم مولد الرسول ﷺ بأنواع العبادة ، شكرا لله تعالى على ما منّ به من إيجاد نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام [٥] .

الرد عليها : يرد على هذه الشبهة من وجهين :

أحدهما : أن الأمة الاسلامية جمعاء تدرك مشروعية صيام يوم عاشوراء على سبيل الاستحباب ، امتثالا لأمر رسول الله ﷺ ، وشكرا لله تعالى على تأييد الحق وإزهاق الباطل ، ولكن ليس في علماء المسلمين – ممن يعتد بعلمهم – من يعتبر في هذا التوجيه النبوي الكريم تأصيلا لقاعدة إقامة الموالد ، وإحداث مواسم دينية لترتبط الأزمنة بالأحداث كما يزعمون ، فتتعدد الأعياد وتكثر المناسبات ، وعليه فإن أمره ﷺ أمته بصيام يوم عاشوراء لا يعني اتخاذه عيدا من الأعياد ، ولا الاستدلال به

---

(١) سورة الأحزاب (٢١) .

(٢) الرد القوي للتويجري ص ٦١ ، ٦٢ ، ورسالة الانصاف للجزائري ص ٣٢ بتصرف .

(٣) من رسالة الانصاف للجزائري ص ٣٢ بتصرف ، وانظر حوار مع المالكي ص ٤٨ .

(٤) انظر ما ورد في السنة في شأن يوم عاشوراء ص ١٦٠ ، ١٦١ من هذا الكتاب .

(٥) انظر الحاوي للفتاوي ، لجلال الدين السيوطي ١/٢٦٠ .

على إقامة الموالد ، وإنما يعني القيام بشكر الله تعالى بصيام هذا اليوم ، وفقا لما شرعه الرسول ﷺ (١) .

الوجه الثاني : أننا حينما نفرح بميلاده ﷺ ، فإن بعثته بالرسالة أولى بالفرح والابتهاج ، وعلى أي حال فميلاده ﷺ وبعثته وهجرته ، وسائر مواقفه المشرفة في ميادين الجهاد والتعليم ، كل هذه أمور نفرح بها ، ونستلهم منها العبر والعظات ، لكن ذلك كله لا يكون في ليلة واحدة من السنة ، وإنما يشرع كل وقت ، وفي كل مكان ، كالمساجد ، والمدارس ، والمجالس العامة والخاصة (٢) .

الشبهة الرابعة : أن إقامة المولد النبوي مشعر بمحبة الرسول ﷺ وتعظيمه (٣) .

الرد عليها : يرد على هذه الشبهة من وجهين :

أحدهما : أن محبة النبي ﷺ وتعظيمه لا يكون بارتكاب البدع التي حذر منها ، وأخبر أنها شر وضلالة ، إنما كمال محبته وتعظيمه عليه الصلاة والسلام يكون على الوجه المشروع ، وذلك بالايمان به وطاعته ، واتباع هديه ، والتمسك بسنته ، ونشر ما دعا إليه ، والجهاد على ذلك بالقلب واللسان ، وتقديم محبته على النفس والأهل ، والمال والولد ، والناس أجمعين (٤) .

الوجه الثاني : أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أشد محبة للنبي ﷺ وتعظيما له منا ، وكانوا أعلم الناس بما يصلح له ﷺ ، وكانوا أحرص على الخير ممن جاء بعدهم ، ومع هذا فإنهم لم يكونوا يحتفلون بالمولد ، ويتخذونه عيدا ، ولو كان في ذلك أدنى شيء من الفضل ، والمحبة للنبي ﷺ والتعظيم له ، لكان الصحابة رضي الله عنهم أحرص وأسبق عليه من غيرهم ، وإنما الذي أُثر عنهم هو ما عرفوه من الحق

---

(١) حوار مع المالكي لابن منيع ص ٥٥ ، ٥٦ باختصار ، وانظر القول الفصل للأنصاري ص ٧٨ .

(٢) حوار المالكي لابن منيع ص ٨٥ باختصار .

(٣) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص ٢٣ .

(٤) الاقتضاء لابن تيمية ٦١٥/٢ ، فتاوى ابن إبراهيم ٥٣/٣ ، الرد القوي للتويجري ص ٢٧ بتصرف .

من محبته وتعظيمه [١] – كما سبق إيضاحه – وعلى هذا مضى السلف الصالح رحمهم الله تعالى .

الشبهة الخامسة : أن الاحتفال بالمولد النبوي يتضمن أفعال البر النافعة المشروعة ، كالاجتماع على تلاوة القرآن والذكر ، أو الصلاة على النبي ﷺ ، أو سماع شمائله الشريفة ، وقراءة سيرته العطرة ، أو إطعام الطعام والتوسعة على الفقراء [٢] .

الرد عليها : يرد على هذه الشبهة بما يأتي :–

١ – أن هذه المحاسن وأفعال البر المذكورة مشروعة بلا شك ، ومن أعظم القرب وفيها البركة العظيمة ، إذا فعلت على الوجه الشرعي ، لا بنية المولد [٣] ، فلا بدعة حينئذ .

إنما البدعة هنا جعل هذا الاجتماع المخصوص ، بالهيئة المخصوصة ، والوقت المخصوص من قبيل شعائر الاسلام – التي لا تثبت إلا بنص الشارع – بحيث يظن العوام والجاهلون بالسنن أنه من أعمال القرب المطلوبة شرعا ، بينما هو بهذه القيود بدعة سيئة – ولو خلا من وجود القبائح والمنكرات [٤] – ودرء مفاسد البدع مقدم على جلب مصالحها إن وجدت .

٢ – أن النظر في سيرة الرسول ﷺ أمر محبوب ومطلوب ، لأخذ الدروس والعبر ، لكن ذلك لا يكون في ليلة واحدة ، بل ينبغي أن يكون ذلك كل وقت وفي كل مكان [٥] ، كما تقدم .

---

(١) الاقتضاء لابن تيمية ٦١٥/٢ ، وفتاوى ابن ابراهيم ٥١/٣ ، والرد القوي للتويجري ص ١٧٢ بتصرف .

(٢) انظر الباعث لأبي شامة ص ٢٣ ، والحاوي للسيوطي ٢٥٩/١ ، والرد القوي للتويجري ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٣) الابداع لعلي محفوظ ص ١٢٦ .

(٤) فتاوى رشيد رضا ٢١١٢/٥ ، ٢١١٣ باختصار .

(٥) حوار مع المالكي لابن منيع ص ٧٧ باختصار .

٣ - أن الصلاة على النبي ﷺ مشروعة في كل وقت ، وتتأكد في مواطن عديدة [1] ، ليس منها ليلة مولده ﷺ .

تلك أبرز شبه المجيزين للتبرك بليلة مولد المصطفى ﷺ والاحتفال بها ، بعد مناقشتها والرد عليها .

هذا وقد آثرت الاختصار في بحث هذه المسألة الهامة ، خشية التطويل والاستطراد ، ولأنه قد كُتب فيها عدة رسائل وكتب خاصة - تقدم ذكرها - يمكن الرجوع إليها عند الحاجة ، والله تعالى الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

* * *

(١) راجع ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ من هذا الكتاب .

المبحث الرابع
التبرك بليلة الإسراء والمعراج ، وذكرى الهجرة ، ونحو ذلك

المطلب الأول
التبرك بليلة الإسراء والمعراج

إن من أشهر معجزات نبينا محمد ﷺ الإسراء به ليلا من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس ، ثم العروج به إلى السموات السبع وما فوقها ، وتكليم الله تبارك وتعالى له عليه الصلاة والسلام بما شاء ، وفرضه عليه وعلى أمته الصلوات الخمس .

وقد ذكر القرآن الكريم طرفا من قصة الاسراء والمعراج ، وجاء في السنة النبوية تفاصيلها . ولا شك أن في قصة الاسراء والمعراج فوائد جمة وعبرا عظيمة .

ولما كانت ليلة الاسراء والمعراج قد حصل فيها هذا الحدث العظيم المعجز ، والذي قد تضمن فرض الصلاة على المسلمين ، وتخفيفها من خمسين إلى خمس ، وجعلها تعادل أجر خمسين صلاة ، تفضلا من الله تعالى على عباده – اعتقد بعض الناس في الليلة التي يظن أنها موافقة لها كل سنة ، اعتقدوا أن لها شأنا عظيما ، وأنها ليلة مباركة فاضلة [1] ، فخصوها بفعل بعض الطاعات ، كإحياء ليلتها بالصلاة والدعاء والذكر ، وصيام نهارها ، ثم أحدثوا فيها ما يعرف بالاحتفال ، والذي لا يخلو غالبا من المفاسد ، وقد فعلوا هذا إظهارا لشكر الله تعالى ، وتذكيرا بنعمته ، وتقديرا لمعجزة الرسول ﷺ ، واحتراما لمقامه ، كما يدّعون .

وقد انتشر هذا الاحتفال بذكرى ليلة الاسراء والمعراج في بعض نواحي العالم الاسلامي ، ويكون غالبا ليلة سبع وعشرين من رجب .

---

(١) ادعى بعضهم تفضيلها على ليلة القدر . انظر زاد المعاد لابن القيم ٥٧/١ .

أدلة عدم شرعية التبرك والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج :-

يستدل على عدم شرعية ذلك من عدة وجوه :

الوجه الأول : عدم معرفة تحديد ليلة الإسراء والمعراج .

فقد وقع الاختلاف بين العلماء في تعيين هذه الليلة على عدة أقوال (١) .

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « لم يقم دليل معلوم لا على شهرها ، ولا على عشرها ، ولا على عينها ، بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة ، ليس فيها ما يقطع به » (٢) .

الوجه الثاني : لو ثبت تعيين هذه الليلة فلا يشرع تخصيصها بشيء من العبادات ، ولا غيرها .

ذلك لأنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة ما يدل على تخصيصها ، أو تفضيلها على غيرها بشيء ، ولذا لا يعرف عن الرسول ﷺ ، ولا عن خلفائه الراشدين ، ولا أحد من الصحابة أو التابعين لهم باحسان - أنهم جعلوا لليلة الاسراء فضيلة على غيرها ، ولم يخصصوها بأمر من الأمور ، فضلا عن أن يقيموا احتفالا بذكراها ، ولعل من أصدق الشواهد على هذا عدم الاتفاق على تعيين ليلتها (٣) ، كما تقدم .

الوجه الثالث : أن التبرك والاحتفال بذكرى ليلة الاسراء والمعراج من البدع المحدثة في الدين (٤) ، كما أن في ذلك تشبها بأعداء الله تعالى : اليهود والنصارى ، في ابتداعهم في دينهم ما لم يأذن به الله عز وجل (٥) .

---

(١) انظر مثلا لطائف المعارف لابن رجب ص ١٢٦ ، فتح الباري ٢٠٣/٧ .

(٢) من زاد المعاد لابن القيم ٥٧/١ نقلا عن شيخه ابن تيمية رحمه الله .

(٣) من المرجع السابق ٥٧/١ ، ٥٨ ، وفتاوى ابن إبراهيم ١٠٣/٣ بتصرف .

(٤) انظر الكتب الآتية : تنبيه الغافلين لابن النحاس ص ٣٠٥ ، السنن والمبتدعات للشقيري ص ١٤٣ ، الإبداع لعلي محفوظ ص ١٤١ ، فتاوى ابن إبراهيم ١٠٣/٣ ، رسالة حكم الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج لابن باز ص ٨ .

(٥) من فتاوى ابن إبراهيم ١٠٣/٣ ، ورسالة ابن باز السابقة ص ٩ .

ولا شك أن تعظيم هذه الليلة وطلب بركتها والاحتفال لها يتعلق بالعبادة ، وقد تقدم مرارا أن العبادات توقيفية ، لا يثبت منها شيء إلا بدليل شرعي ، وإلا كان من البدع المحدثة في الدين .

الوجه الرابع : ما يتضمنه الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج غالبا من المفاسد والمنكرات .

لقد وصف الإمام ابن النحاس [١] رحمه الله – وهو من أهل القرن الثامن والتاسع – ما حصل في وقته في هذا الاحتفال .

فقال – في معرض ذكره بعض ما ابتدع من المواسم والأعياد – : « ومنها ما أحدثوه ليلة السابع والعشرين من رجب ، وهي ليلة المعراج الذي شرّف الله به هذه الأمة ، فابتدعوا في هذه الليلة كثرة وقود القناديل في المسجد الأقصى ، وفي غيره من الجوامع والمساجد ، واجتماع الناس فيها مع الرجال والصغار ، اجتماعا يؤدي إلى الفساد وتنجيس المسجد ، وكثرة اللعب فيه واللغط ، ودخول النساء إلى الجوامع متزيّنات متعطّرات ، ويبتن في المسجد بأولادهن ... إلى غير ذلك من المفاسد المشاهدة المعلومة » .

ثم قال رحمه الله : « وكل ذلك بدع عظيمة في الدين ، ومحدثات أحدثها إخوان الشياطين ، مع مافي ذلك من الاسراف في الوقيد ، والتبذير واضاعة المال » [٢] .

ويصف الشيخ علي محفوظ [٣] رحمه الله احتفال أصحاب هذا العصر ، حيث

---

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن محمد أبو زكريا الدمشقي ثم الدمياطي الإمام العلامة من فقهاء الشافعية ، من مصنفاته مشارع الأسواق إلى مصارع العشاق ، ومثير الغرام إلى دار السلام ، شرح المقامات الحريرية . قتل بدمياط بأيدي الفرنج سنة ٨١٤ هـ .

انظر شذرات الذهب ١٠٥/٧ ، الأعلام ٨٧/١ ، معجم المؤلفين ١٤٢/١ .

(٢) من كتاب تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين ، وتحذير السالكين عن أعمال الهالكين لابن النحاس ص ٣٠٦ .

(٣) هو علي محفوظ المصري الشافعي الواعظ المرشد ، من علماء الجامع الأزهر وأستاذ =

يقول تحت عنوان : (المواسم التي نسبوها للشرع وليست منه) : « ومنها ليلة المعراج التي شرّف الله تعالى هذه الأمة بما شرع لهم فيها ، وقد تفنن أهل هذا الزمان بما يأتونه في هذه الليلة من المنكرات ، وأحدثوا فيها من أنواع البدع ضروبا كثيرة ، كالاجتماع في المساجد ، وإيقاد الشموع والمصابيح فيها ، وعلى المنارات ، مع الاسراف في ذلك ، واجتماعهم للذكر والقراءة ، وتلاوة قصة المعراج » ثم أوضح رحمه الله كيف يتلاعب هؤلاء بالذكر والقراءة [(١)] .

تلك نماذج لما يوجد في الاحتفالات بليلة الاسراء والمعراج – في الماضي والحاضر – من المفاسد والمنكرات ، تقربا إلى الله تبارك وتعالى .

ولقد صدق من قال عن هذا الفعل : « اعتقاد أن ذلك قربة من أعظم البدع وأقبح السيئات ، بل لو كان فى نفسه قربة وأدى إلى هذه المفاسد لكان إثما عظيما » [(٢)] .

* * *

= الوعظ والارشاد بكلية أصول الدين ، من مؤلفاته : هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ، الدرة البهية في الأخلاق الدينية ، الإبداع في مضار الابتداع . توفي سنة ١٣٦١ هـ .

انظر الأعلام ٣٢٣/٤ ، معجم المؤلفين ١٧٥/٧ .

(١) انظر كتاب الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص ١٤١ .

(٢) انظر كتاب تنبيه الغافلين لابن النحاس ض ٣٠٥ .

المطلب الثاني
التبرك بذكر الهجرة ونحوها

لا شك أن سيرة الرسول ﷺ حافلة بالأحداث الجليلة والوقائع العظيمة ، ومن أجلّها وأعظمها هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة ، فحينئذ أقيمت دولة الاسلام ، وانتشرت الدعوة إلى الله تعالى وعلت راية الجهاد في سبيل الله ، ولهذا أرّخ المسلمون التاريخ السنوي بالهجرة النبوية الشريفة .

ومن الوقائع الجليلة الأخرى بعثته ﷺ إلى الناس ، ونزول الوحي عليه ، وحصول المعارك والغزوات الكبيرة ، وغير ذلك من الأحداث الشريفة المتعددة .

وقد يتخذ بعض المسلمين من ذلك وسيلة للتبرك بمواسم هذه الأحداث ، أو إقامة الاحتفالات لمناسبة مرور ذكرياتها ، لكن هذا غير جائز شرعا ، كما سيأتي بيانه والاستدلال له .

أدلة عدم شرعية التبرك والاحتفال بذكرى الهجرة ونحوها :

يمكن الاستدلال على عدم شرعية ذلك بما يأتي :-

١ - أن ما جرى في الزمان من الأحداث والوقائع ، كالهجرة النبوية ، وليلة الاسراء والمعراج ، وغزوات النبي ﷺ ، وغيرها من الأحداث العظيمة ، لا يوجب ذلك أن تتخذ ذكريات هذه المناسبات مواسم وأعيادا يحتفل بها ، أو تعظم على غيرها وتخصص بعض العبادات ، وذلك لأنها لم تعظم أو تخصص من قبل الشرع [١] .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٦١٣/٢ ، ٦١٤ ، فتاوى ورسائل ابن ابراهيم ٥١/٣ ، وقد كتب أحد الدارسين بقسم العقيدة بالكلية : عبد الله بن عبد العزيز التويجري رسالة (ماجستير) بعنوان : (البدع الحولية) تطرق فيها للبدع التي تتكرر كل حول في وقت معين منه .

٢ – من القواعد الشرعية المعروفة أن العبادات توقيفية ، كما قال تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ﴾ [١] وقال نبيه ﷺ : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » [٢] .

ولا ريب أن الأعياد والمواسم الدينية من مسائل العبادة ، وكذا طلب البركة والخير والأجر في زمان معين ، وليس في الشريعة الاسلامية ما يجيز التبرك أو الاحتفال بتلك المواسم ، ولذا لم يؤثر ذلك عن رسول الله ﷺ ، ولا عن صحابته ، ولا عن التابعين لهم باحسان .

ففعل ذلك من البدع التي أحدثها الناس في الدين ، مع ما فيها من التشبه بأهل الكتاب ومع ماقد تتضمنه من المفاسد ، كما سبق ايضاحه .

٣ – إذا كانت اقامة الاحتفالات والأعياد بهذه المناسبات من باب شكر الله تعالى ، أو تعظيم نبيه ﷺ كما يدّعي بعضهم ، فالجواب على هذا : أن شكر الله تعالى إنما يكون بطاعته وعبادته عز وجل ، على وفق شرعه سبحانه وتعالى ، كما أن تعظيم النبي ﷺ واحترامه يكون بطاعته أيضا ، ومحبته ، والصلاة عليه ، واتباع سنته عليه أفضل الصلاة والسلام ، وعدم الابتداع في الدين .

٤ – ليس المقصود من الاقتداء بالرسول ﷺ ، والاتعاظ بسيرته والانتفاع بأحداثها ، وما فيها من دروس وعبر – أن يكون ذلك مجرد ذكريات فقط ، تُقام لها الاحتفالات والخطب في أيام محددة من السنة ثم تُنسى ، إنما المطلوب أن يكون النظر في سيرته ﷺ والانتفاع بما وقع فيها من أحداث ووقائع شريفة ، واستخراج الدروس والعبر منها أن يكون ذلك طوال أيام السنة ولياليها ، على الوجه الشرعي ، فلا يختص بأوقات محددة .

هذه أبرز الأدلة على عدم جواز التبرك أو الاحتفال بذكرى الهجرة النبوية

---

(١) سورة الجاثية (١٨) .

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٧٦ .

ونحوها باختصار ، وهي تتضمن الرد على الشبه التي قد يوردها المخالفون لإثبات شرعية عملهم .

وبهذا تنتهي بتوفيق الله تعالى مباحث هذا الفصل (التبرك بالنبي ﷺ بعد وفاته) .

* * *

الفصل الثاني
الممنوع من التبرك بالصالحين

تمهيد :

تقدم لنا في الباب الماضي بيان المشروع من التبرك بالصالحين ، وأن هذا التبرك ممكن عن طريق الانتفاع بعلمهم ، ودعائهم ، والاستماع إلى وعظهم ونصائحهم ، والحصول على فضائل مجالسهم .

وهذه البركات المتعددة تحصل من خلال مجالسة الصالحين ومصاحبتهم في حياتهم .

كما يمكن التبرك بهم أيضا بعد وفاتهم عن طريق الانتفاع بما ورّثوه من العلم النافع ونحوه ، واتباع ما دعوا إليه في حياتهم .

هذا خلاصة ما شرع من التبرك بالصالحين في حياتهم وبعد وفاتهم .

وما عدا ذلك من طرق التبرك بهم فليس بمشروع ، بل هو ممنوع ، كما سيأتي بيانه في المباحث التالية إن شاء الله تعالى .

* * *

المبحث الأول
التبرك بذواتهم وآثارهم ومواضع عبادتهم وإقامتهم

المطلب الأول
التبرك بذواتهم وآثارهم

تبين لنا في الباب الماضي عدم مشروعية التبرك بذوات الصالحين أو بآثارهم ، وأن هذا النوع خاص بالنبي ﷺ فقط .

ولعل من المناسب هنا أن أذكر نماذج لذلك التبرك الممنوع .

فمن أشهر مظاهر هذا التبرك بالصالحين تقبيلهم ، والتمسح بهم ، أو بآثارهم تبركا .

ومن أمثلة ذلك تقبيل اليد ونحوها أو التمسح بها تبركا [1] ، أو تقبيل الميت الصالح للتبرك [2] .

ومن العادات الشائعة عند بعض العوام التمسح بالخطيب – بكتفه وظهره مثلا – بعد خطبة الجمعة [3] ، والتمسح بأئمة الحرم المكي والمدني بعد كل صلاة .

ومن أمثلة التبرك بآثار الصالحين : التبرك بما انفصل منهم ، كالشعر والريق والعرق ، وشرب ماء الوضوء ، أو التمسح به ، أو الاحتفاظ بملابسهم وأدواتهم للتبرك بها ، ونحو ذلك .

---

(١) انظر المدخل لابن الحاج ٢٦٣/١ ، وانظر أيضا مقدمة كتاب (الرخصة في تقبيل اليد لأبي بكر ابن المقرىء) تقديم أبي عبد الله محمود الحداد ص ٢٤ .

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر ١١٥/٣ مع تعليق سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز رقم (١) .

(٣) الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص ٧٩ .

ومن الغرائب في هذا الباب ما يحدث مثلا في بعض احتفالات موالد الصالحين عند تغيير عمامة الولي الخاصة ، حيث يسعى الحضور للحصول على قطع من هذه العمامة تبركا بها ، مع استعدادهم لسداد أي مبلغ يطلب منهم [1] ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

* * *

(١) من مقال بعنوان (موالد الأولياء في مصر) لهيام فتحي دربك في المجلة العربية عدد ١٣١ شهر ذي الحجة ١٤٠٨ هـ ص ٤٣ بتصرف .

المطلب الثاني

التبرك بمواضع عبادتهم وإقامتهم

تقدم في الفصل الماضي بيان عدم مشروعية التبرك بآثار الرسول ﷺ المكانية ، كمواضع صلاته ودعائه ، أو جلوسه ، أو نومه ، ونحو ذلك مما يفعله ﷺ على وجه التعبد .

ولا ريب أن هذا إذا لم يشرع في حق المصطفى ﷺ فإن ما عداه من الصالحين وغيرهم ليس مشروعا في حقهم من باب أولى .

ويدخل فيما تقدم : أماكن ولادة الصالحين وغيرهم ، فلا يجوز التبرك بها ، كما أنه لا يجوز التبرك بمكان ولادته ﷺ .

وأما ما ذكره بعض المؤرخين عن اشتهار أمكنة موالد بعض الصحابة في مكة مثلا ، كموالد علي بن أبي طالب ، وفاطمة ، وعمر بن الخطاب [(١)] ، رضي الله عنهم جميعا ، وأن بعض هذه المواضع تزار مرة كل سنة [(٢)] ، ويتمسح بها تبركا [(٣)] ، فإن هذا لا أصل له ، على ضوء ما تقدم في حكم التبرك بمكان ولادة الرسول ﷺ .

شبه المخالفين والرد عليها :-

هناك من أجاز التبرك بذوات الصالحين وبآثارهم ومواضع عبادتهم ، ونحو ذلك ، استنادا على بعض الشبه التي تعلقوا بها .

---

(١) انظر مثلا شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسي ١/٢٧٠ - ٢٧٢ ، إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ص ٢٢١ - ٢٢٧ .

(٢) شفاء الغرام للفاسي ١/٢٧١ .

(٣) انظر رحلة ابن جبير ص ١٤٢ .

وسأذكر الآن أبرز هذه الشبه مع الرد عليها :

الشبهة الأولى : قياس الصالحين على الرسول ﷺ في شرعية التبرك بالذوات والآثار .

إن من أعظم ما يتمسك به المخالفون قياس الصالحين على الرسول ﷺ في جواز التبرك بذواتهم وآثارهم .

الرد عليها : لقد مضى مناقشة هذه المسألة بالتفصيل في الباب الماضي [١] ، واتضح أن هذا النوع من التبرك يختص بالرسول ﷺ ، فلا يقاس عليه غيره .

الشبهة الثانية : أثبت القرآن الكريم أن بقايا الصالحين وآثارهم يمكن التبرك بها في قوله تعالى [٢] : ﴿ وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت [٣] فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ [٤] .

الرد عليها : يجاب على هذه الشبهة بأن المراد بآل موسى وآل هارون هما موسى وهارون أنفسهما ، وأن لفظ (آل) مقحمة لتفخيم شأنهما [٥] ، وعلى هذا جمهور المفسرين .

وقيل : المراد الأنبياء من بني يعقوب ، لأنهما من ذرية يعقوب ، فسائر قرابته ومن تناسل منه آل لهما[٦] .

---

(١) راجع ص ٢٦١ فما بعدها .

(٢) ممن احتج بهذه الشبهة المالكي في كتابه : مفاهيم يجب أن تصحح ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، وانظر رسالة التويجري : الإجابة الجلية على الأسئلة الكويتية ص ١٦ .

(٣) التابوت هو الصندوق ، ومعنى السكينة : أي ما تسكن إليه النفوس من الآيات التي تعرفها ، وقيل غير ذلك ، واختلف في البقية فقيل : هي عصا موسى وعصا هارون وثيابهما ورضاض ألواح التوراة ، وقيل : العصا والنعلان ، وقيل غير ذلك .
انظر تفسير الطبري ٦١٥/٢ ، تفسير ابن كثير ٣٠٢/١ ، فتح القدير للشوكاني ٢٦٥/١ .

(٤) سورة البقرة (٢٤٨) .

(٥) نبه على ذلك الشوكاني في تفسيره : فتح القدير ٢٦٥/١ ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٢٩٦/١ .

(٦) ساق هذا القول الإمام الشوكاني . انظر تفسيره ٢٦٥/١ .

وعلى ما تقدم فإن تلك البقايا المذكورة في الآية خاصة بالأنبياء فقط ، ليست لغيرهم ، والتبرك بآثار الأنبياء – غير المكانية – لا نزاع في شرعيته ، كما تقدم .

فهذه الآية ليس فيها ما يدل على جواز التبرك ببقايا الصالحين وآثارهم ، ومن زعم أنها تدل على ذلك فقد قال في القرآن بمجرد رأيه ، وسلك طريق اتباع ما تشابه من القرآن ، وابتغاء الفتنة وتضليل الجهال ، الذين لا يفرقون بين الحق والباطل (١) .

الشبهة الثالثة : نقْل حصول هذا التبرك عن بعض الأئمة ، كما يُروى عن الربيع بن سليمان (٢) ، أن الإمام الشافعي رحمه الله بعثه بكتاب من مصر إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ببغداد ، ذكر فيه أنه رأى النبي ﷺ في نومه ، وأنه أمره أن يبشر أحمد بأنه سيمتحن في القول بخلق القرآن ، وأن الله سيرفع له بذلك علما إلى يوم القيامة . فدفع إلى الربيع أحد ثوبيه بشارة ، فلما رجع الربيع إلى مصر تبرك الشافعي بغسالة ثوب الإمام أحمد (٣) .

الرد عليها : هذه الحكاية غير صحيحة لما يأتي :–

١ – أن الامام الذهبي قد نص على عدم صحتها .

فقال قال رحمه الله في كتابه (سير أعلام النبلاء) عند ترجمته للربيع : « ولم يكن صاحب رحلة ، فأما ما يُروى أن الشافعي بعثه إلى بغداد بكتابه إلى أحمد ابن حنبل فغير صحيح » (٤) .

---

(١) من رسالة (الإجابة الجلية على الأسئلة الكويتية) للشيخ حمود التويجري ص ١٨ ، ١٩ باختصار .

(٢) هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار أبو محمد المرادي المصري الفقيه صاحب الإمام الشافعي وناقل علمه ومؤذن جامع الفسطاط . توفي سنة ٢٧٠ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٥٨٧/١٢ ، طبقات الشافعية الكبرى ٢٥٩/١ ، شذرات الذهب ١٥٩/٢ .

(٣) انظر هذه الحكاية في تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٧٠/٧ ، ٢٧١ ، ومناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي ص ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٥٨٧/١٢ ، ٥٨٨ .

ومما يؤيد كلام الذهبي أن الخطيب البغدادي رحمه الله لم يترجم للربيع في تاريخ بغداد مع التزامه ترجمة كل من ورد بغداد ، ومع أن الربيع كان مشهورا . =

٢ – أن الشافعي لقي من هو أكبر من الإمام أحمد وأفضل ولم يتبرك به ، كالإمام مالك رحمه الله وهو شيخه ، وكذا سفيان بن عيينة رحمه الله .

على أنه لو صحت تلك الحكاية أو غيرها عن بعض العلماء – افتراضا – فليس هذا بحجة ، لاختصاص النبي ﷺ بجواز التبرك بذاته وآثاره ، واقتصاره عليه ، كما تقدم إثباته .

* * *

= ثم إنه من خلال تأمل أسانيد هذه الحكاية تبين أن في أحد أسانيدها أبا عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي ، قال عنه محمد بن يوسف القطان النيسابوري : كان أبو عبد الرحمن السلمي غير ثقة ، وكان يضع للصوفية الأحاديث (تاريخ بغداد ٢٤٨/٢) وقال الذهبي : ماهو بالقوي في الحديث (سير أعلام النبلاء ٢٥٠/١٧) وقال أيضا : وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكايت موضوعة ، وفي (حقائق تفسيره) أشياء لا تسوغ أصلا (المرجع السابق ٢٥٢/١٧) .

أما الأسانيد الأخرى ففيها انقطاع ، وبعض رواتها لا يعرف .

المبحث الثاني

التبرك بقبورهم ، وحكم الزيارة

حكم زيارة قبور الصالحين :

تقدم في أول الفصل السابق بيان مشروعية زيارة القبور للرجال فقط ، وأن المقصود بهذه الزيارة لقبور الأنبياء والصالحين وسائر المؤمنين شيئان :

أحدهما : الاعتبار والاتعاظ ، وتذكر الموت والآخرة .

والثاني : الإحسان إلى الأموات بالسلام عليهم والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة وسؤال العافية .

حكم شد الرحل للزيارة :

إذا كانت زيارة قبور الأنبياء والصالحين مستحبة ... كما تقدم - فهل يجوز شد الرحل لزيارتها ؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا خلاف العلماء في هذه المسألة : اختلف أصحابنا - أي الحنابلة - وغيرهم ، هل يجوز السفر لزيارتها ؟ على قولين :

أحدهما : لا يجوز ، والمسافرة لزيارتها معصية ، ولا يجوز قصر الصلاة فيها ، لأن هذا السفر بدعة ، لم يكن في عصر السلف ، ولما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا » [1] .

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٠٥ .

وهذا النهي يعم السفر إلى المساجد والمشاهد ، وكل مكان يقصد السفر إلى عينه للتقرب .

الثاني : يجوز السفر إليها ، قاله طائفة من المتأخرين ، وما علمته منقولا عن أحد من المتقدمين ، بناء على أن الحديث لم يتناول النهي عن ذلك ، كما لم يتناول النهي عن السفر إلى الأمكنة التي فيها الوالدان ، والعلماء ، أو بعض المقاصد ، من الأمور الدنيوية المباحة [١] .

والذي يظهر لي صواب القول الأول كما يرجحه ابن تيمية رحمه الله ، وغيره من العلماء [٢] ، لما يأتي :-

١ - عموم حديث « النهي عن شد الرحال » لسائر المساجد والمشاهد والمواضع المقصودة للزيارة تقربا وتعبدا [٣] ، ومنها زيارة القبور .

وهذا هو ما فهمه الصحابة رضي الله عنهم من هذا الحديث ، حيث أنكرالصحابي بَصرة بن أبي بَصرة الغفاري [٤] على أبي هريرة رضي الله عنه لما رآه راجعا من الطور الذي كلم الله عليه موسى قائلا : « لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تُعمل المَطّي [٥] إلا إلى ثلاثة مساجد » [٦] .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٦٦٥/٢ ، ٦٦٦ باختصار .

(٢) انظر كتاب الدين الخالص لمحمد صديق حسن ٥٩٠/٣ فما بعدها .

(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٦٦٥/٢ ، ٦٦٦ ، ولقد أفاض الشيخ الألباني حفظه الله في بيان دلالة دلك الحديث على عموم النهي مناقشا الروايات والاحتمالات الواردة . انظر كتابه أحكام الجنائز وبدعها ص ٢٢٤ - ٢٣١ .

(٤) هو بَصرة بن أبي بَصرة الغفاري ، له ولأبيه صحبة ، وقد اختلف في اسمه واسم أبيه ، وهما معدودان فيمن نزل مصر من الصحابة .

انظر أسد الغابة ٢٣٧/١ ، الإصابة ١٦٦/١ ، تهذيب التهذيب ٤٧٣/١ .

(٥) المطي بفتح الميم : جمع مطية ، وهي الناقة التي رُكب مطاها أي ظهرها ، وقيل : يُمطى بها في السير : أي يُمد ، من كتاب النهاية لابن الأثير ٣٤٠/٤ .

(٦) جاء ذلك ضمن حديث طويل أخرجه الإمام مالك في الموطأ ١٠٨/١ - ١١٠ كتاب =

٢ – أن السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين لم يكن موجودا في الإسلام وقت القرون الثلاثة – قرن الصحابة والتابعين وأتباعهم – التي أثنى عليها رسول الله ﷺ ، ولو كان هذا السفر جائزا فلا بد أن يقع من أحدهم ، ولم يحدث هذا السفر إلا بعد القرون الثلاثة المفضلة [(١)] .

٣ – لم يرد أمر من الرسول ﷺ بالسفر إلى مشاهد الموتى الخالية ، ومقابرهم البالية ، ولكن السفر لأغراض أخرى ثبت عنه ﷺ وعن أصحابه وتابعيه ثبوتا لاشك فيه [(٢)] .

٤ – أن شد الرحال إلى مقابر الأنبياء والصالحين يؤدي إلى اتخاذها أعيادا واجتماعات عظيمة ، كما هو مشاهد ، وهو يشابه شد الرحال لزيارة بيت الله الحرام [(٣)] ، وفي هذا مخالفة للشرع ، مع ما يجره من المفاسد الأخرى .

٥ – تقدم في الفصل الماضي ترجيح عدم جواز شد الرحال لمجرد زيارة قبر الرسول ﷺ ، فعدم جواز ذلك بالنسبة لقبور غيره من الأنبياء والصالحين أولى وأحرى .

وأحب أن أنبه أخيرا إلى ثبوت النهي عن شد الرحال إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين حتى لو كانت الزيارة على الوجه المشروع ، فكيف إذا اشتملت على الكثير من المنكرات والمفاسد – كما سيأتي بيانه قريبا – .

فالحاصل في هذه المسألة استحباب زيارة قبور الأنبياء والصالحين وسائر المؤمنين على الوجه المشروع ، بدون شد رحل وإنشاء سفر ، والله تعالى أعلم .

= الجمعة ، باب ماجاء في الساعة التي في يوم الجمعة ، والنسائي في سننه ١١٣/٣ – ١١٦ كتاب الجمعة ، باب الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة ، وقال ابن حجر : إسناده صحيح (الإصابة ١٦٦/١) ، وقال الألباني : إسناده صحيح على شرط الشيخين . انظر إرواء الغليل ١٤٢/٤ .

(١) الجواب الباهر في زوار المقابر لابن تيمية ص ٦٦ .

(٢) من كتاب الدين الخالص ٥٨٧/٣ .

(٣) الإبداع لعلي محفوظ ص ٨٥ .

أشهر القبور التي يتبرك بها :

إن من أعظم الفتن والبلايا التي وقعت عند المسلمين بعد القرون الثلاثة المفضلة ، وتعظيم قبور الأنبياء والأولياء والصالحين ، واتخاذها مزارات ومشاهد ، والتبرك بها على اختلاف مظاهر التبرك وأشكاله المبتدعة .

وأول من أدخل هذه البدع عند المسلمين هم الشيعة الروافض قبحهم الله ، على يد الدولة العبيدية في أواخر المائة الثالثة حين ضعفت خلافة بني العباس [١] ، ثم تبعهم في ذلك أصحاب الطرق الصوفية فأشاعوها بين المسلمين [٢] .

وقد انتشرت مشاهد ومزارات القبور في كثير من أنحاء العالم الاسلامي للأسف الشديد .

ومن أشهرها في مصر : مشهد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالقاهرة .

وقد دفن جسد الحسين بكربلاء في العراق باتفاق المؤرخين [٣] .

أما مقر رأسه فقد تعددت أسماء المدن التي يقال بوجود الرأس فيها [٤] ، وهذه المدن هي : المدينة ، القاهرة ، دمشق ، كربلاء ، حلب ، عسقلان [٥] ، مرو [٦] ، الرَّقة [٧] . ولقد تعددت المشاهد المنسوبة للحسين رضي الله عنه .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٦٧/٢٧ ، ٤٦٦ .

(٢) راجع كتاب الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٩٣/٢٧ ، البداية والنهاية ٢٠٣/٨ .

(٤) انظر البداية والنهاية ٢٠٤/٨ ، وكتاب المسجد النبوي الشريف ومزارات أهل البيت لاسماعيل أحمد والنبوي سراج ص ٥٧ فما بعدها .

(٥) عسقلان : مدينة بفلسطين ، على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، كان يقال لها عروس الشام لحسنها .

انظر معجم البلدان ١٢٢/٤ ، آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص ٢٢٢ .

(٦) مرو : أشهر مدن خراسان ، تسمى (مرو الشاهجان) أي نفس السلطان ، سميت بهذا لجلالتها عند أهلها . أخرجت مرو علماء أجلاء منهم أحمد بن حنبل وعبد الله بن المبارك . (انظر معجم البلدان ١١٢/٥) وهي الآن تابعة لروسيا .

(٧) الرقة بفتح الراء : مدينة مشهورة بالعراق على الجانب الشرقي من نهر الفرات . انظر معجم البلدان ٥٨/٣ .

وقد حقق شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ذلك ، ورجح أن رأس الحسين رضي الله عنه دفن بالمدينة [١] .

ومن المشاهد المشهورة في مصر أيضا : مشهد السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب [٢] رضي الله عنه بالقاهرة [٣] ، ومشهد (السيد) البدوي [٤] بطنطا .

ومن أشهرها في الشام : مشهد خالد بن الوليد رضي الله عنه بحمص ، ومشهد صلاح الدين الأيوبي بدمشق بجوار الجامع الأموي ، ومحيي الدين ابن عربي [٥] بدمشق أيضا .

ومن أشهرها في العراق : مشهد الحسين بن علي بكربلاء [٦] ، ومشاهد

---

(١) راجع إجابته المبسوطة على أسئلة حول مكان رأس الحسين في مجموع الفتاوى ٢٧/٤٥٠ — ٤٨٩ .

(٢) هي زينب بنت علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب القرشية أمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ . ولدت في حياة النبي ﷺ ، وكانت امرأة عاقلة لبيبة ، كانت مع أخيها الحسين رضي الله عنه لما قتل فحملت إلى دمشق .

انظر أسد الغابة ٦/١٣٢ ، الإصابة ٤/٣١٤ .

(٣) لقد قال المؤرخ المصري علي باشا مبارك – المتوفى سنة ١٣١١ هـ – في كتابه : الخطط التوفيقية الحديدة لمصر القاهرة ٥/٩ عند ذكر مشهد السيدة زينب بالقاهرة : « لم أر في كتب التواريخ أن السيدة زينب بنت علي رضي الله عنهما جاءت إلى مصر في الحياة أو بعد الممات) .

(٤) هو أحمد بن علي الحسيني أبو العباس البدوي الصوفي المشهور ، عرف بالبدوي للزومه اللثام ، وأصله من المغرب ، ودخل مصر أيام الملك الظاهر بيبرس . وقد قدسه أتباعه ونسبوا له مناقب كثيرة مليئة بالخرافات والأباطيل . توفي بطنطا سنة ٦٧٥ هـ .

انظر شذرات الذهب ٥/٣٤٥ ، الأعلام ١/١٧٥ ، كتاب (السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة) للدكتور أحمد صبحي منصور .

(٥) هو محمد بن علي بن محمد الطائي الأندلسي نزيل دمشق ، المعروف بمحيي الدين ابن عربي ، ويقال ابن العربي . صاحب التصانيف في تصوف الفلاسفة وأهل الوحدة قال فيها أشياء منكرة . قال الذهبي : من أردأ تواليفه كتاب فصوص الحكم وقال : قد عظّمه جماعة وتكلفوا لما صدر منه ببعيد الاحتمالات . توفي بدمشق سنة ٦٣٨ هـ .

انظر سير أعلام النبلاء ٢٣/٤٨ ، ميزان الاعتدال ٣/٦٥٩ ، شذرات الذهب ٥/١٩٠ ، الأعلام ٦/٢٨١ .

(٦) قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله عن هذا المشهد : (اتخذه الرافضة وثنا ، بل ربا مدبرا وخالقا مسيرا ، وأعادوا به المجوسية ، وأحيوا به معاهد اللات والعزى وما كان عليه أهل الجاهلية) انظر الرسائل المفيدة ص ٣٩٢ .

أبي حنيفة ، وموسى الكاظم [١] ، ومعروف الكرخي [٢] ، وعبد القادر الجيلاني ببغداد .

وفي تركيا مشهد أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه باستانبول .

ومن أشهرها في السودان مشهد محمد عثمان الميرغني [٣] في كسلا .

وفي المغرب مشهد أحمد التجاني [٤] بفاس .

إلى غير ذلك من المشاهد والمزارات الأخرى .

على أن بعض المشاهد والقبور مكذوبة أيضا ، وليس لها أصل ، أو مشكوك فيها [٥] .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن غالب ما يستند إليه القبوريون في تعيين القبور : الرؤيا المحضة ، أو شم رائحة طيبة ، أو توهُّم خرق عادة [٦] ،

---

(١) هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كان كثير العبادة والمروءة ، توفي ببغداد سنة ١٨٣ هـ .
انظر تاريخ بغداد ٢٧/٣ ، وفيات الأعيان ٣٠٨/٥ ، البداية والنهاية ١٨٣/١٠ .

(٢) هو معروف بن فيروز الكرخي أبو محفوظ ، كان أحد المشهورين بالعبادة والزهد والعزوف عن الدنيا ، وكان يوصف بأنه مجاب الدعوة ، وحكي عنه كرامات ، وقد افتتن به بعض أهل بغداد فكانوا يستسقون بقبره ، توفي ببغداد سنة ٢٠٠ هـ .
انظر تاريخ بغداد ١٩٩/١٣ ، طبقات الحنابلة ٣٨١/١ ، وفيات الأعيان ٢٣١/٥ .

(٣) هو محمد عثمان الميرغني بن محمد أبي بكر بن عبد الله الحنفي الحسيني الحسني ، صاحب طريقة في التصوف مستقلة ، وله أتباع كثيرون ، ينسبون له كرامات عديدة ، وقد ولد بالطائف وانتقل إلى مصر ثم إلى السودان فاستقر في (الختمية) جنوب كسلا ، ومات فيها سنة ١٢٦٨ هـ .
انظر جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٣٦٥/١ ، الأعلام ٢٦٢/٦ ، الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ لمحمود عبد الرؤوف القاسم ص ٣٦٦ .

(٤) هو أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد التجاني أبو العباس الصوفي . مؤسس الطريقة التجانية بالمغرب ، كان فقيها مالكيا ، توفي بفاس سنة ١٢٣٠ هـ .
انظر شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد مخلوف ص ٣٧٨ ، الأعلام ٢٤٥/١ ، معجم المؤلفين ١٤٣/٢ .

(٥) انظر أمثلة على ذلك في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٧٠/٢٧ .

(٦) انظر مناقشة ابن تيمية لهذه الدعاوى في مجموع الفتاوى ٤٥٧/٢٧ - ٤٥٩ .
وانظر إن شئت نماذج لكيفية معرفة بعض القبور المشهورة في مكة المكرمة أوردها المؤرخ حمد =

أو نقل لا يوثق به [١] .

مظاهر التبرك بقبور الصالحين :

لم يقف أصحاب بدع القبور عند حد السنة فيما يتعلق بالقبور وزيارة أصحابها ، بل تجاوزوا ذلك وأحدثوا بدعا كثيرة وخطيرة ، خاصة عند قبور الأولياء والصالحين ، أو من يسمون بذلك .

يفعلون هذا كله باسم التبرك بالصالحين ، واعتقاد منفعتهم ، وتعظيمهم وتقديس أضرحتهم ، مدعين أن ذلك من شرائع الدين .

وسأذكر الآن أبرز مظاهر التبرك بقبور الصالحين فيما يأتي :-

١ - دعاء أصحاب القبور وطلب الحوائج منهم :

هذا من أعظم ما ابتدع عند القبور حيث إن من أصحاب البدع من يستغيث بالأموات ، ويطلب منهم الحاجات الدينية أو الدنيوية .

يسأل أحدهم المقبور الميت كما يسأل الحي الذي لا يموت ، يقول : يا سيدي فلان اغفر لي وارحمني وتب علي ، أو يقول : اقض عني الدين ، اشف مريضي ، وانصرني على فلان ، ونحو ذلك [٢] .

ولا شك أن هذه الأعمال ونحوها شرك أكبر ، مخرج من الملة الاسلامية ، موجب للخلود في النار لمن مات عليه .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله مبينا عظم مخالفة هؤلاء لهدي الرسول ﷺ في زيارة القبور : (وكان هديه أن يقول ويفعل عند زيارتها من جنس ما يقوله عند الصلاة

= الجاسر في مجلة العرب (ج ٣ ، ٤ - رمضان وشوال ١٤٠٢ هـ) ص ١٦٩ ، ١٧٠ ضمن كلمة له بعنوان (الآثار الإسلامية في مكة المشرفة) .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٧٠/٢٧ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٨٤٢/٢ بتصرف .

على الميت ، من الدعاء والترحم ، والاستغفار ، فأبى المشركون إلا دعاء الميت والإشراك به ، والاقسام على الله به ، وسؤاله الحوائج ، والاستعانة به ، والتوجه إليه بعكس هديه ﷺ ، فإنه توحيد وإحسان إلى الميت ، وهدي هؤلاء شرك وإساءة إلى نفوسهم ، وإلى الميت » [1] اهـ .

ومن البدع المستحدثة أيضا التوسل بصاحب القبر ليدعو الله تعالى له .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في حكم هذا الفعل : « وهذا بدعة باتفاق أئمة المسلمين » [2] .

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله : « وأما التوسل بالأموات إلى الله سبحانه ، وجعلهم واسطة بينهم وبين الله ، فهذا من أكبر المحرمات ، بل هو عين ما يفعله المشركون ، فإن المشركين ما كانوا يعتقدون أن اللات والعزّى ونحوها تخلق وترزق ، وإنما كانوا يتوسلون بها إلى الله ، كما قال تعالى حاكيا عنهم [3] ﴿ ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى ﴾ [4] .

٢ - أداء بعض العبادات عند قبورهم :

أ - أشهر هذه العبادات قصد الدعاء عند قبور الصالحين ، لاعتقاد بركة هذه المواضع ، وأن الدعاء عندها يستجاب .

وأما إذا حصل هذا الدعاء اتفاقا ، ودون قصد ولا اعتقاد فيها فلا بأس في ذلك .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية موضحا حكم هذه المسألة : « الدعاء عند القبور وغيرها من الأماكن ينقسم إلى نوعين :

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ٥٢٦/١ ، ٥٢٧ .

(٢) الرد على البكري لابن تيمية ص ٥٦ .

(٣) فتاوى ابن إبراهيم ١٢٤/١ ، ١٢٥ .

(٤) سورة الزمر (٣) .

أحدهما : أن يحصل الدعاء في البقعة بحكم الاتفاق ، لا لقصد الدعاء فيها كمن يدعو الله في طريقه ، ويتفق أن يمر بالقبور ، أو كمن يزورها فيسلم عليها ، ويسأل الله العافية له وللموتي ، كما جاءت به السنة ، فهذا ونحوه لا بأس به .

الثاني : أن يتحرى الدعاء عندها ، بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه في غيره ، فهذا النوع منهي عنه ، إما نهي تحريم أو تنزيه ، وهو إلى التحريم أقرب » [(١)] اهـ .

ب - ومن العبادات الموجودة إقامة الصلاة عند قبور الصالحين ، أو إليها ، تبركا بها ، وتحريا للقبول وتعظيم الأجر .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية بعد أن أشار إلى نهي النبي ﷺ عن الصلاة في المقبرة مطلقا [(٢)] ، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته ، كما يقصد بركة المساجد الثلاثة ونحوها ، سدا لذريعة الشرك .

قال رحمه الله مبينا عظم مخالفة من يصلي قاصدا التبرك : « فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند قبور الأنبياء والصالحين ، متبركا بالصلاة في تلك البقعة ، فهذا عين المحادة لله ورسوله ، والمخالفة لدينه ، وابتداع دين لم يأذن به الله ، فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ ، من أن الصلاة عند القبر - أي قبر كان - لا فضل فيها لذلك ، ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير أصلا ، بل مزية شر » [(٣)] .

ج - ومن العبادات المشهورة أيضا : الطواف حول قبور الصالحين ، قياسا على الطواف حول الكعبة [(٤)] .

ولا شك أن الطواف بغير الكعبة من أعظم البدع المحرمة [(٥)] .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٦٧٦ ، ٦٧٧ .
(٢) الأحاديث في ذلك سترد قريبا ٤٠١ فما بعدها .
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٦٧٤ ، ٦٧٥ .
(٤) فتاوى ابن ابراهيم ١/١٢٢ .
(٥) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٦/١٢١ .

د - ومنها التقرب إلى أصحاب القبور بالذبح ، أو النذر لهم .

ولا يخفى أن ذلك من الشرك ، فإن الذبح والنذر من أنواع العبادات أيضا ، فصرف شيء منهما لغير الله شرك .

قال العلامة حافظ الحكمي رحمه الله واصفا كيفية الذبح عند القبوريين : إنهم إذا نابهم أمر ، أو طلبوا حاجة ، من شفاء مريض أو رد غائب ، أو نحو ذلك ، نحروا في أفنية القبور النحائر من الابل والبقر والغنم ، وأكثرهم يَسِمُها [١] للقبر من حين تولد ، ويربيها له إلى أن تصلح للقربة في عرفهم ، ولا يجوز عندهم تبديلها ، ولا خصيها ، إذ ذلك عندهم نقص فيها وبخس [٢] .

هـ - وهكذا فإن قصد القبور لأداء سائر أنواع العبادات الأخرى ، كذكر الله تعالى ، وقراءة القرآن الكريم ، والصيام ، والصدقة ، والذبح عند القبور ، كل ذلك ونحوه من البدع المذمومة ، وليس في فعل شيء منها عند القبور فضل على غيرها من البقاع [٣] .

ولقد عقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد بابا بعنوان (باب ماجاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح ، فكيف إذا عبده ؟) [٤] .

وكان من النتائج السيئة لتعظيم قبور الصالحين ، واعتقاد بركة العبادة عندها : بناء المساجد على بعض قبور الأولياء والصالحين ، أو من يسمون بهذا .

وهذا العمل محدث في الاسلام ، فلم يكن شيء منه في القرون الثلاثة المفضلة [٥] .

---

(١) الوسم : أثر الكي ، يقال : وَسَمَ الشيء يَسِمُه وَسْما وسِمَة : كواه ، فأثّر فيه بعلامة . انظر القاموس المحيط ٦١٢/٤ ، المعجم الوسيط ١٠٤٤/٢ .

(٢) معارج القبول ٤٠٧/١ باختصار .

(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٧٣٣/٢ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ .

(٤) راجع كتاب التوحيد ص ٦٠ ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، القسم الأول (العقيدة والآداب الإسلامية) .

(٥) الرد على البكري لابن تيمية ص ٢٣ ، وأول من بنى المساجد على القبور الروافض . انظر كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٦٢ .

ولا ريب أن بناء المساجد على القبور محرم باتفاق العلماء ، لنهي الرسول ﷺ عن ذلك [١] ، وهذا يستلزم النهي عن الصلاة فيها .

ولهذا فإن الصلاة في المساجد التي على القبور إما محرمة ، وإما مكروهة [٢] .

وإذا قصد الشخص الصلاة في تلك المساجد معتقدا بركة الصلاة فيها ، فإن النهي يكون أعظم [٣] ، كما سبق .

٣ - التمسح بالقبور وتقبيلها ونحو ذلك :

إن من العادات الشائعة لدى بعض القبوريين التمسح بقبور الصالحين وما قد وضع عليها من الجدران والأبواب ، وتقبيلها ، أو الاستشفاء بتربتها ، ونقل شيء منها لاهدائه للآخرين .

يقول العلامة حافظ الحكمي مبينا طرق الاستشفاء بتربة القبور عندهم :

« استعمالهم لها على أنواع : فمنهم من يأخذها ويمسح بها جلده ، ومنهم من يتمرغ على القبر تمرغ الدابة ، ومنهم من يغتسل بها مع الماء ، ومنهم من يشربها ، وغير ذلك » .

ثم قال رحمه الله موضحا سبب ذلك : « وهذا كله ناشىء عن اعتقادهم في صاحب ذلك القبر أنه ينفع ويضر ، حتى عدوا ذلك الاعتقاد فيه إلى تربته ، فزعموا أنها فيها شفاء وبركة لدفنه فيها ، حتى إن منهم من يعتقد في تراب بقعة لم يدفن فيها ذلك الولي بزعمه ، بل قيل له إن جنازته قد وضعت في ذلك المكان ، وهذا وغيره

---

(١) من مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية ص ١٩٠ ، والاقتضاء لابن تيمية ٤٦٦٧/٢ ، وانظر تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للألباني ص ٣٣ - ٤١ .

(٢) الرسائل الكبرى لابن تيمية ٤٠٩/٢ ، وانظر الفتاوى الكبري لابن تيمية ١٣٧/١ ، والاقتضاء لابن تيمية ٦٦٩/٢ ، وزاد المعاد لابن القيم ٥٧٢/٣ ، وقد نص ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله على عدم صحة الصلاة في تلك المساجد .

(٣) انظر تفصيل هذه المسألة الهامة في كتاب تحذير الساجد للألباني ص ١٢١ - ١٣٨ .

من تلاعب الشيطان بأهل هذه العصور ، زيادة على ما تلاعب بمن قبلهم ، نسأل الله العافية » [١] اهـ .

ومن العادات التي تقوم بها النساء خاصة : مسح ضريح الولي بالمناديل والملابس ، ثم يمسحن على رؤوسهن ، ورؤوس أبنائهن ، وقد يحتفظ بهذه المناديل دون غسلها ، لتمسح بها بقية أفراد الأسرة ، ممن لم يتمكنوا من الزيارة ، لأن الاعتقاد السائد عند هؤلاء أن البركة تسري من الولي إلى ضريحه ، إلى المناديل والملابس التي مسحت بها ، والأغرب من ذلك ما يحدث عند تغيير كسوة الضريح : حيث يسعى الجميع للحصول على قطع من هذه الكسوة للتبرك [٢] .

وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا حكم التمسح بالقبور وتقبيلها ونحو ذلك :

« وأما التمسح بالقبر – أي قبر كان – وتقبيله ، وتمريغ الخد عليه فمنهي عنه باتفاق المسلمين ، ولو كان ذلك من قبور الأنبياء ، ولم يفعل هذا أحد من سلف الأمة وأئمتها ، بل هذا من الشرك ... لا سيما إذا اقترن بذلك دعاء الميت والاستغاثة به » [٣] .

٤ – من المظاهر الأخرى للتبرك : العكوف عند قبور الصالحين ، والمجاورة عندها ، وسدانتها ، وتعليق الستور عليها ، كأنها بيت الله الكعبة ، وإيقاد الشموع والقناديل عليها ، وبناء المساجد والقباب عليها ، وزخرفتها وتشييدها [٤] .

وقد تقدم لنا بيان تحريم بناء المساجد على القبور ، فكيف إذا ضم إلى ذلك المجاورة في ذلك المسجد ، والعكوف فيه كأنه المسجد الحرام ، بل إن العكوف فيه

---

(١) معارج القبول ٣٧٣/١ ، وانظر كتاب الإبداع لعلي محفوظ ص ٢٦٦ حيث ساق مزاعم القبوريين في اعتقاد الشفاء عند بعض أضرحة الأولياء ، وأن كل ضريح ينفع في مرض معين .

(٢) من مقال بعنوان (موالد الأولياء في مصر) لهيام فتحي ، كتب في المجلة العربية عدد ١٣١ شهر ذي الحجة ١٤٠٨ هـ ص ٤٣ بتصرف يسير .

(٣) مجموع الفتاوى ٩١/٢٧ ، ٩٢ ، وانظر تجريد التوحيد للمقريزي ص ١٣ .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٣٩/٢ ، ومعارج القبول ٤٠٣/١ ، ٤٠٥ بتصرف .

عند بعضهم أحب إليه من العكوف في المسجد الحرام [١] . إلى غير ذلك من المظاهر المبتدعة العديدة للتبرك بقبور الصالحين .

ولعل من المناسب أن أختتم بيان تلك المظاهر بنقل وصف دقيق بليغ للامام ابن القيم لتبرك المبتدعة بالقبور ، متضمنا المفاسد المترتبة على ذلك .

قال رحمه الله تعالى ما نصه : « فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدا ، وقد نزلوا عن الأكوار [٢] والدواب إذا رأوها من مكان بعيد ، فوضعوا لها الجباه ، وقبّلوا الأرض ، وكشفوا الرؤوس ، وارتفعت أصواتهم بالضجيج ، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج ، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج ، فاستغاثوا بمن لا يبدي ولا يعيد ، ونادوا ولكن من مكان بعيد ، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى إلى القبلتين ، فتراهم حول القبر ركعا سجدا ، يبتغون فضلا من الميت ورضوانا ، وقد ملؤا أكفهم خيبة وخسرانا ، فلغير الله ، بل للشيطان مايراق هناك من العبرات ، ويرتفع من الأصوات ، ويطلب من الميت من الحاجات ، ويسأل من تفريج الكربات ، وإغناء ذوي الفاقات ، ومعافاة أولي العاهات والبليات ، ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين ، تشبيها له بالبيت الحرام ، الذي جعله الله مباركا وهدى للعالمين ، ثم أخذوا في التقبيل والاستلام ، أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام ؟ ثم عفّروا لديه تلك الجباه والخدود ، التي يعلم الله أنها لم تعفّر كذلك بين يديه في السجود ، ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق ، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق ، وقربوا لذلك الوثن القرابين ، وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين ، فلو رأيتهم يهنىء بعضهم بعضا ويقول : أجزل الله لنا ولكم أجرا وافرا وحظا ، فإذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحج المتخلف إلى البيت الحرام ، فيقول : لا ، ولو بحجك كل عام » [٣] اهـ .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٣٩/٢ بتصرف .

(٢) الأكوار جمع كور بالضم ، وهو رحل الناقة بأداته ، وهو كالسرج وآلته للفرس ، (لسان العرب ١٥٥/٥) .

(٣) إغاثة اللهفان ١٩٤/١ .

أدلة عدم شرعية التبرك بقبور الصالحين :

إن ما عدا الزيارة الشرعية لقبور الصالحين أو غيرهم ممنوع من قبل الشرع .

فالتبرك بقبور الصالحين – الذي ذكرنا مظاهره المتعددة – لا يجوز ، كما تقدم ، وكما سيأتي من الأوجه التالية :

الوجه الأول : ليس في الكتاب ولا في السنة ما يدل على مشروعية التبرك بالقبور على أي صورة من صور التبرك المبتدع ، أو مظهر من مظاهره المتقدمة ونحوها .

وقد قال الله تبارك وتعالى ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ﴾ [1] .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » [2] .

فكل ما أحدث في دين الله تعالى فهو من البدع المردودة المذمومة ، كهذا التبرك .

الوجه الثاني : تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن الصلاة عند القبور مطلقا ، واتخاذها مساجد ، وبناء المساجد عليها ، وإيقاد السرج عليها ، ونحو ذلك .

وقد اشتد نهيه ﷺ عن ذلك ، ونحوه من صور التبرك بالقبور ، وأن فيه مشابهة لليهود والنصارى .

والأحاديث في هذا كثيرة جدا منها ما يأتي :

١ – جاء في صحيح مسلم من حديث جندب [3] رضي الله عنه أنه قال :

---

(١) سورة الشورى (٢١) .

(٢) تقدم تخريجه ص ٣١٦ .

(٣) هو جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي أبو عبد الله ، صاحب النبي ﷺ ، سكن الكوفة ثم البصرة ، وله عدة أحاديث ، يقال له جندب الخير ، بقي إلى حدود سنة ٧٠ هـ .
انظر أسد الغابة ٣٦٠/١ ، سير أعلام النبلاء ١٧٤/٣ ، الإصابة ٢٥٠/١ .

سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : « ... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إني أنهاكم عن ذلك » [(١)] .

٢ - وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير ، فقال رسول الله ﷺ : « إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ، وصوّروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » [(٢)] .

٣ - وفي صحيح مسلم عن أبي مرثد الغنوي [(٣)] رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تجلسوا على القبور ، ولا تصلّوا إليها » [(٤)] .

٤ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج » [(٥)] .

٥ - وعن بريدة [(٦)] رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ... ونهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها ، ولا تقولوا هُجرا » [(٧)] .

---

(١) صحيح مسلم ٣٧٧/١ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، واتخاذ الصور فيها ، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد .

(٢) صحيح البخاري ١١٠/١ كتاب الصلاة ، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ... الخ ، ٩٣/٢ كتاب الجنائز ، باب بناء المساجد على القبر ، وصحيح مسلم ٣٧٥/١ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، واتخاذ الصور فيها ، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد .

(٣) هو أبو مرثد كناز بن الحصين بن يربوع الغنوي وقيل حصين بن كناز . شهد هو وابنه بدرا . مات سنة ١٢ هـ .

انظر أسد الغابة ٢٨٢/٥ ، الإصابة ١٧٧/٤ ، تهذيب التهذيب ٤٤٨/٨ .

(٤) صحيح مسلم ٦٦٨/٢ كتاب الجنائز ، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ٥٥٨/٣ كتاب الجنائز ، باب في زيارة النساء القبور ، والترمذي في سننه ١٣٦/٢ كتاب الصلاة ، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ القبر مسجدا ، وقال الترمذي (حديث حسن) وأخرجه النسائي في سننه ٩٥/٤ أبواب الجنائز ، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور ، والإمام أحمد في مسنده ٢٢٩/١ ، وابن حبان في صحيحه ٧٢/٥ أبواب الجنائز ، والسرج جمع سراج وهو المصباح .

(٦) هو بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي أبو عبد الله ، أسلم عام الهجرة حين مر به الرسول ﷺ مهاجرا ، شهد الحديبية وبيعة الرضوان ، كان من سكان المدينة ثم تحول إلى البصرة ثم خرج منها غازيا إلى خراسان ، فأقام بمرو حتى مات بها سنة ٦٣ هـ .

انظر أسد الغابة ٢٠٩/١ ، سير أعلام النبلاء ٤٦٩/٢ ، الإصابة ١٥٠/١ .

(٧) أخرجه الإمام مالك في الموطأ ٤٨٥/٢ كتاب الضحايا ، باب ادخار لحوم الأضاحي ، =

والهجر بالضم : ما لا ينبغي من الكلام ، فإنه ينافي المطلوب ، الذي هو التذكير [١] .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « كان رسول الله ﷺ قد نهى عن زيارة القبور سدا للذريعة ، فلما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه ، ونهاهم أن يقولوا هُجرا ، فمن زارها على غير الوجه المشروع الذي يحبه الله ورسوله فإن زيارته غير مأذون فيها ، ومن أعظم الهجر : الشرك عندها قولا وفعلا » [٢] .

٦ – وفي صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي [٣] قال : قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبرا مشرفا إلا سويته » [٤] .

فتعلية القبور والبناء عليها بدعة مستحدثة مذمومة ، مخالفة لهدي الرسول ﷺ ، وهدي أصحابه رضي الله عنهم .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « لم يكن من هديه ﷺ تعلية القبور ، ولا بناؤها بآجرّ ، ولا بحجر ولبن ، ولا تشييدها ، ولا تطيينها ، ولا بناء القباب عليها ، فكل هذا بدعة مكروهة ، مخالفة لهديه ﷺ ... وكانت قبور أصحابه لا مشرفة ، ولا لاطئة [٥] ، وهكذا كان قبره الكريم ، وقبر صاحبيه ، فقبره ﷺ

= والنسائي في سننه ٨٩/٤ أبواب الجنائز ، باب زيارة القبور ، والإمام أحمد في مسنده ٣٦١/٥ ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣٧٦/١ كتاب الجنائز ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

وأصل هذا الحديث في صحيح مسلم (راجع ص ٣١٨) .

(١) من حاشية الإمام السندي على سنن النسائي ٨٩/٤ ، ٩٠ .

(٢) إغاثة اللهفان ٢٠٠/١ .

(٣) هو حيان بن حصين أبو الهياج الأسدي الكوفي التابعي الثقة .

انظر الجرح والتعديل ٢٤٣/٣ ، تهذيب التهذيب ٦٧/٣ .

(٤) صحيح مسلم ٦٦٦/٢ كتاب الجنائز ، باب الأمر بتسوية القبر .

(٥) أي لازقة بالأرض . جاء في لسان العرب ١٥٢/١ (اللطء : لزوق الشيء بالشيء ... يقال : لطأت بالأرض ولطئت أي لزقت ...) .

مُسنّم [١] ، مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء [٢] ، لا مبني ولا مُطيّن ، وهكذا كان قبر صاحبيه » [٣] اهـ .

إلى غير ذلك من الأحاديث الأخرى [٤] .

الوجه الثالث : أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم لم يفعلوا ذلك التبرك المبتدع بالقبور .

فإن الصلاة والدعاء – ونحو ذلك – عند هذه الأمكنة ليس له مزية عند أحد من سلف هذه الأمة وأئمتها ، ولهذا لم يفعله أحد من الصحابة ، ولا التابعين ولا أئمة المسلمين ، ولا ذكره أحد من العلماء ولا الصالحين المتقدمين ، بل كانوا جميعا ينهون عن ذلك ، كما نهاهم النبي ﷺ عن أسبابه ودواعيه ، وإن لم يقصدوا دعاء القبر ، فكيف إذا قصدوه ؟ [٥] .

وقد جاء في صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أنس ابن مالك رضي الله عنه يصلي عند قبر فقال : « القبر ، القبر » [٦] .

قال ابن القيم رحمه الله تعليقا عن هذا الأثر : « وهذا يدل على أنه كان من المستقر عند الصحابة رضي الله عنهم ما نهاهم عنه نبيهم من الصلاة عند القبور » ثم قال : « وفعل أنس رضي الله عنه لا يدل على اعتقاده جوازه ، فإنه لعله لم يره ، أو لم يعلم أنه قبر ، أو ذهل عنه ، فلما نبهه عمر رضي الله تعالى عنه تنبه » [٧] .

---

(١) انظر دليل ذلك في صحيح البخاري ١٠٧/٢ كتاب الجنائز باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

(٢) انظر دليل ذلك في سنن أبي داود ٥٤٩/٣ كتاب الجنائز ، باب في تسوية القبر .

(٣) زاد المعاد لابن القيم ٥٢٤/١ .

(٤) راجع الفصل الماضي ص ٣٢٩ فما بعدها ، وراجع أيضا معارج الألباب في مناهج الحق والصواب للنعمي ص ١٠٥ – ١١٤ ، تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للألباني ص ٩ – ٢٠ .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢٨/٢٧ ، ١٢٩ ، اقتضاء الصراط المستقيم ٦٧٨/٢ بتصرف .

(٦) أورده البخاري في صحيحه تعليقا (انظر صحيح البخاري ١١٠/١ كتاب الصلاة باب هل تنبش قبور الجاهلية ... الخ) وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه موصولا (المصنف ٤٠٤/١ باب الصلاة على القبور) .

(٧) إغاثة اللهفان ١٨٦/١ .

وقال في موضع آخر مؤكدا منهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان في هذا الباب : « هل يمكن بشر على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع : أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها ، وتمسحوا بها ، فضلا أن يصلوا عندها ، أو يسألوا الله بأصحابها ، أو يسألوهم حوائجهم ، فليوقفونا على أثر واحد ، أو حرف واحد في ذلك ؟ بلى يمكنهم أن يأتوا عن الخلوف التي خلفت بعدهم بكثير » (١) .

وقال أيضا : « فلو كان الدعاء عند القبور ، والصلاة عندها ، والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحا ، لفعل ذلك المهاجرون والأنصار ، وسنّوا ذلك لمن بعدهم ، ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلوف التي خلفت بعدهم ، وكذلك التابعون لهم باحسان راحوا على هذا السبيل ، وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير ، وهم متوافرون ، فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ، ولا دعاه ، ولا دعا به ، ولا دعا عنده ، ولا استشفى به ، ولا استسقى به ، ولا استنصر به ، ومن المعلوم أن مثل هذا مما تتوفّر الهمم على نقله ، بل على نقل ما دونه » (٢) اهـ .

وقد تقدم مرارا بيان أن بناء المساجد أو القباب ونحو ذلك ، على القبور ، من الأعمال المحدثة بعد القرون الثلاثة المفضلة ، وأنها مخالفة لهدي الرسول ﷺ وهدي أصحابه رضي الله عنهم ، والتابعين وأتباعهم رحمهم الله تعالى .

الوجه الرابع : ليس الغرض من الزيارة الشرعية للقبور انتفاع الحي بالميت ولا مسألته ، ولا التوسل به – كفعل أصحاب الزيارة البدعية – بل الغرض منها منفعة الحي للميت ، كالصلاة على جنازته ، وكما أن المقصود بالصلاة على الميت الدعاء له ، فالمقصود بزيارة قبره الدعاء له (٣) ، وذلك أن الميت قد انقطع عمله ، فهو محتاج إلى من يدعو له ، ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء له وجوبا واستحبابا ما لم يشرع مثله في الدعاء للحي (٤) .

---

(١) المرجع السابق ٢٠٢/١ .
(٢) المرجع السابق ٢٠٤/١ بتصرف يسير ، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم ٦٨١/٢ .
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٦١/٢ ، ومختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية ص ١٩٢ بتصرف .
(٤) إغاثة اللهفان ٢٠١/١ .

كما أن الميت لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، فضلا عن من استغاث به ، وسأله قضاء حاجته ، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها [١] .

الوجه الخامس : ما تتضمنه مظاهر التبرك المبتدع بالقبور من المفاسد والمنكرات والقبائح ، ومنها ما يأتي :-

١ - فتح باب الفتنة بالقبور والشرك مع الله تعالى .

فإن تحري الدعاء أو الصلاة مثلا عند قبور الصالحين من أقرب الوسائل إلى الإشراك بهم ، وهذا أخطر المفاسد والمنكرات المترتبة على ذلك التبرك . بل إن بعض المظاهر شرك بذاتها ، كما تقدم إيضاحه .

وقد وصل الأمر إلى اعتقاد المشركين بالقبور أن بها يُكشف البلاء ، ويُنصر على الأعداء ، ويُستنزل غيث السماء ، وتُفرج الكروب ، وتُقضى الحوائج ، ويُنصر المظلوم ويُجار الخائف [٢] ، ولهذا قالوا : إن البلاء يندفع عن أهل البلد أو الاقليم بمن هو مدفون عندهم من الأنبياء والصالحين [٣] .

٢ - السفر إلى القبور ، ولو من أماكن بعيدة ، ومشابهة عباد الأصنام بما يفعل عندها من العكوف عليها ، والمجاروة عندها ، وتعليق الستور عليها ، حتى أن عبادها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد ، ومشابهة اليهود والنصارى في اتخاذ المساجد والسرج عليها ، والدخول في لعنة الله تعالى ورسوله بسبب ذلك [٤] .

٣ - صرف النفقات الباهظة المحرمة على بناء القباب والمزارات ، وكسوتها بالأقمشة ، والفرش والمصابيح والزخرفة ، وتحبيس الأوقاف للانفاق على ذلك وكذا

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٣٤٦/١ .

(٢) إغاثة اللهفان ١٩٧/١ .

(٣) انظر أمثلتهم على ذلك في كتاب الجواب الباهر في زوار المقابر لابن تيمية ص ١٠٣ .

(٤) إغاثة اللهفان ١٩٧/١ ، ١٩٨ بتصرف .

إضاعة الأموال عن طريق النذور التي تقدم للأموات ، ويأخذها السدنة ، أليس الواجب أن تصرف هذه الأموال الطائلة في سبيل مصالح المسلمين ؟ [١] .

٤ - اتخاذ الأضرحة مزارات وأعيادا متكررة ، وما يتضمنه ذلك من المفاسد والأضرار العظيمة .

الوجه السادس : تقدم لنا الاستدلال على عدم شرعية التبرك بقبر الرسول ﷺ مع عظم قدره وفضله ، فالتبرك بقبر غيره من الأنبياء والصالحين وغيرهم أولى بالمنع من ذلك والنهي عنه .

وأخيرا سأذكر ما أورده ابن القيم موضحا أن النهي عن هذا التبرك ليس فيه غض من شأن أصحاب القبور كما قد يظن ، بل إن هذا من إكرامهم واحترامهم .

قال رحمه الله : « ولا تحسب أيها المنعم عليه باتباع صراط الله المستقيم - صراط أهل نعمته ورحمته وكرامته - أن النهي عن اتخاذ القبور أوثانا وأعيادا وأنصابا ، والنهي عن اتخاذها مساجد ، أو بناء المساجد عليها ، وإيقاد السرج عليها ، والسفر إليها ، والنذر لها ، واستلامها ، وتقبيلها ، وتعفير الجباه في عرصاتها : غضّ من أصحابها ، ولا تنقيص لهم ، ولا تنقص ، كما يحسبه أهل الإشراك والضلال ، بل ذلك من إكرامهم ، وتعظيمهم ، واحترامهم ، ومتابعتهم فيما يحبونه ، وتجنب ما يكرهونه ، فأنت والله وليّهم ومحبّهم ، وناصر طريقتهم وسنتهم ، وعلى هديهم ومنهاجهم ، وهؤلاء المشركون أعصى الناس لهم ، وأبعدهم من هديهم ومتابعتهم » [٢] الخ .

وبهذا ينتهي عرض أوجه عدم شرعية التبرك بقبور الصالحين ، راجيا أن يكون فيها كفاية واقناع لطالب الحق ومبتغيه ، والله الموفق .

شبه المخالفين والرد عليها :

ذكرنا في الفقرة الماضية الأدلة - من عدة أوجه - على عدم شرعية التبرك

---

(١) السنن والمبتدعات للشقيري ص ١١١ ، ١١٣ ، معارج القبول للحكمي ٤٠٤/١ ، ٤٠٥ ، منهاج الفرقة الناجية لمحمد بن جميل زينو ص ٧٧ بتصرف .

(٢) إغاثة اللهفان ٢١٣/١ ، وانظر الرد على الأخنائي لابن تيمية ص ٥٠ فما بعدها .

بقبور الصالحين وغيرهم ، ومع قوة تلك الأدلة ، وتنوّعها ، إلا أن المبتدعة خالفوا في ذلك ، متعلقين ببعض الشبه الواهية .

وسأورد – كالعادة – أبرز تلك الشبه ، ثم أرد عليها بعون الله تعالى .

الشبهة الأولى : أن بركة الصالحين جارية بعد مماتهم كما كانت في حياتهم [١] ، فمن كانت له حاجة فليتوسل بهم إلى الله تعالى لقضاء حوائجه ، ومغفرة ذنوبه ، فهم الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه .

الرد عليها : يرد على هذه الشبهة من وجهين :

أحدهما : أن التوسل إلى الله تعالى بدعاء أو استغفار المؤمن الصالح لا يشرع إلا في حال حياتهم فقط ، وأما بعد وفاتهم فممنوع ، وذلك لاختلاف الحالين [٢] .

فبوفاتهم ينقطع هذا التوسل ، وكذا كل عمل كانوا يستطيعون فعله حال حياتهم ، لهم أو لغيرهم ، كقضاء الحوائج ، وهم مرتهنون بأعمالهم .

الثاني : تقدم الاستدلال على نفي ذلك الانتفاع في حق الرسول ﷺ ، مع أنه أفضل الخلق وأكرمهم عند الله تعالى ، فكيف غيره إذا ؟ .

ومع ذلك فهم يدعون الأموات ، من الأنبياء والصالحين وغيرهم ، ليتوسطوا لهم عند الله تعالى ، بل إن بعضهم يطلب منهم أمورا لا يستطيع الأموات تحقيقها حال حياتهم .

وقد يحتج القبوريون بهذا الحديث المكذوب « إذا أعيتكم الأمور فعليكم بالقبور » [٣] .

---

(١) المدخل لابن الحاج ٢٥٥/١ .

(٢) للعلامة نعمان الألوسي كتاب بعنوان (الآيات البينات ، في عدم سماع الأموات ، عند الحنفية السادات) حقق فيه أن الموتى لا يسمعون نداء الأحياء ، وأنهم لو فرض سماعهم فإنهم لايستجيبون .

وقد قام بتحقيق هذا الكتاب محمد ناصر الدين الألباني ، وقدم له بمقدمة طويلة .

(٣) راجع إن شئت كتاب التوصل إلى حقيقة التوسل لمحمد نسيب الرفاعي ص ٢٥٢ – ٢٥٥ فقد ناقش المؤلف المحتجين بهذا الأثر مظهرا بطلانه سندا ومتنا .

وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية على بطلانه في كتابه (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ٤٨٣/١) وكذا تلميذه ابن القيم في كتابه (إغاثة اللهفان ٢١٥/١) .

وهو حديث مفترى على الرسول ﷺ ، لم يروه أحد من أهل الحديث ، مع مناقضة معناه لعقيدة التوحيد ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ﴾ [١] الآيات .

الشبهة الثانية : نقل عن بعض العلماء وغيرهم أنهم يتبركون بالدعاء عند قبور الصالحين فاستجيب لهم ، وعلى هذا عمل كثير من الناس [٢] .

الرد عليها : يجاب على هذه الشبهة من عدة أوجه :

أحدها : لم ينقل عن أهل القرون الثلاثة المفضلة شيء ثابت في الدعاء عند القبور – كما تقدم – مع شدة المقتضى فيهم لذلك لو كان فيه فضيلة [٣] .

ولم ينقل ذلك إلا عن بعض المتأخرين ، مع أن هذا النقل إما كذب ، أو غلط ، أو ليس بحجة [٤] .

الوجه الثاني : أن ما حكي – من فعل هذا الدعاء – عن الامام الشافعي مثلا رحمه الله أنه كان يقول : (إني إذا نزلت بيَ شدة أجيء فأدعو عند قبر أبي حنيفة فأجاب) أو نحو ذلك [٥] ، فقد قرر العلماء المحققون أن ذلك مكذوب عليه [٦] لما يأتي :–

١ – أن الشافعي لما قدم بغداد – التي كان بها قبر أبي حنيفة رحمه الله – لم يكن بها قبر ينتاب للدعاء عنده ألبتة .

---

(١) سورة النمل (٦٢) .

(٢) انظر المدخل لابن الحاج ٢٥٥/١ ، اقتضاء الصراط المستقيم ٦٨٣/٢ ، إغاثة اللهفان ٢١٥/١ .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٦٨٥/٢ .

(٤) المرجع السابق ٦٨٨/٢ .

(٥) انظر مثلا كتاب عقود الجمان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان لمحمد بن يوسف الصالحي ص ٣٦٣ .

(٦) من هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية ، وقد قال رحمه الله : وهذا معلوم كذبه بالاضطرار عند من له معرفة بالنقل . وقال : إنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه (انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٦٨٥/٢ ، ٦٨٦) . ومنهم ابن القيم رحمه الله (انظر إغاثة اللهفان ٢١٨/١) .

٢ - أن الشافعي رحمه الله قد رأى بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين ، من كان أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة ، وأمثاله من العلماء ، فلماذا لم يتوخّ الدعاء إلا عند قبر أبي حنيفة ؟ .

٣ - أن الشافعي رحمه الله قد نص في أحد كتبه [(١)] على كراهة تعظيم قبور المخلوقين ، خشية الفتنة [(٢)] والضلال ، ومراده بتعظيمها الصلاة بحضرتها والدعاء عندها ، فضلا عن السجود لها أو دعائها [(٣)] .

الوجه الثالث : لقد صنف العلماء في الدعاء ، وأوقاته ، وأمكنته ، وذكروا الآثار في ذلك ، فما ذكر واحد منهم فضل الدعاء عند شيء من القبور [(٤)] .

الوجه الرابع : أن هؤلاء الذين يتحرون الدعاء عند القبور إنما يستجاب لهم في النادر [(٥)] ، وأما إجابة الدعاء ، فقد يكون سببه اضطرار الداعي ، وصدق التجائه ، وقد يكون سببه مجرد رحمة الله له ، وقد يكون أمرا قضاه الله لا لأجل دعائه عند القبر ، وقد يكون له أسباب أخرى ، وإن كانت الإجابة فتنة في حق الداعي [(٦)] .

قال ابن القيم رحمه الله : « ليس كل من أجاب الله دعاءه يكون راضيا عنه ، ولا محبا له ، ولا راضيا بفعله ، فإنه يجيب البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، وكثير من الناس يدعو دعاء يعتدي فيه ، أو يشترط في دعائه ، أو يكون مما لا يجوز أن يُسأل ، فيحصل له ذلك أو بعضه ، فيظن أن عمله صالح مرضي لله ، ويكون بمنزلة من أُملي له وأُمدّ بالمال والبنين ، وهو يظن أن الله تعالى يسارع له في الخيرات » إلى أن قال : « فالدعاء قد يكون عبادة فيثاب عليه الداعي ، وقد يكون مسألة تُقضى به

---

(١) انظر كتاب الأم للشافعي ٢٧٨/١ .

(٢) نقلت هذه الفقرات الثلاث من كتاب الصراط المستقيم لابن تيمية ٦٨٦/٢ بتصرف .

(٣) من كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق المنسوب لسليمان بن عبد الله بن محمد آل الشيخ ص ٢٤٦ .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٢١/٢ .

(٥) المرجع السابق ٦٨٩/٢ .

(٦) المرجع السابق ٦٥٣/٢ بتصرف ، وانظر - إن شئت التفصيل - هذا المرجع ٦٨٩/٢ - ٧٣٢ .

حاجته ، ويكون مضرة عليه ، إما أن يُعاقَب بما يحصل له ، أو تنقص به درجته ، فيقضي حاجته ، ويعاقبه على ما جرأ عليه من إضاعة حقوقه ، واعتداء حدوده) (١) .

الوجه الخامس : لا عبرة بالكثرة إذا كانت مخالفة للحق ، والحق هو ما قام عليه الدليل (٢) ، فلا يغتر بكثرة العادات الفاسدة (٣) ، كمظاهر التبرك بالقبور ، المنتشرة في كثير من أنحاء العالم الإسلامي اليوم ، ومتى كانت الكثرة فقط حجة في أحكام الدين ؟ .

الشبهة الثالثة : جاء في قصة أصحاب الكهف قوله تعالى : ﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذنّ عليهم مسجدا ﴾ (٤) فاتخاذ المساجد على القبور جائز في شرع من قبلنا ، وهو شرع لنا ما لم ينسخ .

الرد عليها : يجاب على هذه الشبهة من عدة أوجه :

الأول : اختلف العلماء في القوم الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف ، الذين قالوا هذه المقالة ، هل هم المسلمون أم الكفار (٥) ؟

الثاني : على قول أنهم مسلمون ، فمن أين لنا أن شرعهم يبيح لهم ذلك ، ألا يجوز أنهم اجتهدوا وأخطأوا (٦) ؟ وليس في الآية أكثر من حكاية قول طائفة من الناس ، وعزمهم على فعل ذلك ، وليست خارجة مخرج المدح لهم ، والحض على التأسي بهم ، وكيف يمكن أن يكون اتخاذ المساجد على القبور من الشرائع المتقدمة ،

---

(١) إغاثة اللهفان ٢١٥/١ ، ٢١٦ .

(٢) انظر رسالة (تطهير الاعتقاد من أدران الالحاد) لمحمد بن إسماعيل الصنعاني ص ٣٣ .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٣٢/٢ .

(٤) سورة الكهف (٢١) .

(٥) انظر تفسير الطبري ٢٢٥/١٥ .

(٦) من بحث أعده مقبل بن هادي الوادعي بعنوان (حول القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ) ص ٢٨٥ وطبعه مع كتابه (رياض الجنة في الرد على أعداء السنة) .

وقد ثبت عن النبي ﷺ لعن اليهود والنصارى حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد (١) ، كما تقدم .

الثالث : لو سلّمنا أن ذلك شرع لمن قبلنا فهو منسوخ هنا بشرعنا ، فقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد ، ولعن النبي ﷺ فاعله (٢) ، كما تقدم .

الشبهة الرابعة : وجود قبر الرسول ﷺ في مسجده ، وبناء القبة على قبره عليه الصلاة والسلام ، وقد أجمع المسلمون على ذلك ، وهذا يدل على جواز اتخاذ المساجد والقباب على قبور الأنبياء والصالحين (٣) .

الرد عليها : يجاب على هذه الشبهة بما يأتي :-

١ - من المعلوم أنه لما مات النبي ﷺ دفن في حجرة عائشة رضي الله عنها ، وكانت هي وحجر نسائه ﷺ شرقي المسجد النبوي وقبليّه ، لم يكن شيء من ذلك داخلا في المسجد ، واستمر الأمر على ذلك إلى انقراض عصر الصحابة رضي الله عنهم بالمدينة ، ثم بعد ذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان - أي في عصر التابعين - وُسّع المسجد سنة ٨٨ هـ ، وأُدخلت فيه الحجرة للضرورة ، مع كراهة من كره ذلك من السلف (٤) .

وقد « بنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله ، لئلا يظهر في المسجد فيصلي إليه العوام ، ويؤدي إلى المحذور ، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين ، وحرفوهما حتى التقيا ، حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر » (٥) .

---

(١) روح المعاني للألوسي ٢٣٩/١٥ باختصار ، وانظر تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للألباني ص ٤٩ فما بعدها .

(٢) من بحث الوادعي (حول القبة ...) ص ٢٨٥ ، وانظر كتاب الرد على البكري لابن تيميةص ٥٦ .

(٣) انظر مثلا فيض الوهاب للقليوبي ١٤٨/٤ .

(٤) الجواب الباهر لابن تيمية ص ٢٠ ، ٩٤ ، وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٧٤/٩ ، ٧٥ ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودي ٥١٣/٢ فما بعدها .

(٥) شرح النووي لصحيح مسلم ١٤/٥ ، وانظر الجواب الباهر ص ٢٣ .

وبناءً على ما تقدم فإن وجود القبر النبوي الشريف داخل المسجد لا يجوز أن يُتخذ حجة لمن يريد أن يجعل القبور في المساجد ، ولا يجوز أن تُدخل القبور في المساجد من أجل ذلك أو غيره ، كما سبق .

كما ينبغي أن يعلم أن المسجد النبوي قد أنشأه الرسول ﷺ في حياته ، وأنه قد خُص بالفضيلة قبل وجود القبر ، فلا يجوز أن يظن أن المسجد بعد وجود القبر ، أو إدخال الحجرة فيه صار أفضل مما كان (١) .

٢ – ليس بناء القبة منه ﷺ ، ولا من أصحابه ، ولا من تابعيهم ، ولا أتباعهم ، ولا من علماء الأمة ، بل إن القبة المعمولة على قبره ﷺ لم تحدث إلا سنة ٦٧٨ هـ في أيام الملك المنصور قلاوون الصالحي (٢) ، أحد ملوك مصر (٣) ،وقد أنكر هذا الفعل من كرهه من العلماء (٤) .

٣ – أنه لا عبرة ولا حجة بما خالف هدي الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وأتباعهم .

قال العلامة حسين بن مهدي النعمي (٥) ردا على بعض المفتين حينما احتج بوجود قبة الرسول ﷺ ، وأنها تزار ويعتقد فيها البركة .

---

(١) انظر الجواب الباهر لابن تيمية ص ٩٤ ، ١٠٢ .

(٢) هو السلطان الملك المنصور قلاوون بن عبد الله التركي الصالحي الألفي أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ، كان من المماليك ، أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكان شجاعا كثير الفتوحات ، وكانت مدة ملكه اثنتي عشرة سنة . توفي سنة ٦٨٩ هـ .

انظر البداية والنهاية ٣١٧/١٣ ، الأعلام ٢٠٣/٥ .

(٣) انظر كتاب وفاء الوفا للسمهودي ٦٠٨/٢ ، ورسالة تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد للصنعاني ص ٣٩ . وقد جددت تلك القبة بعد ذلك أكثر من مرة ، وكان آخر من جددها السلطان محمود بن عبد الحميد العثماني سنة ١٢٣٣ هـ . انظر فصول من تاريخ المدينة المنورة لعلي حافظ ص ١١٥ ، ١١٦ .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ٦٧٩/٢ .

(٥) هو حسين بن مهدي النعمي التهامي ثم الصنعاني ، العلامة المحقق ، تعلم وأقام في صنعاء يقرىء كتب السنة في مسجد القبة إلى أن توفي سنة ١١٨٧ هـ . انظر الأعلام ٢٦٠/١ ، مقدمة كتاب (معارج الألباب) .

قال رحمه الله تعالى : أقول « الأمر كذلك ، فكان ماذا ؟ بعد أن حذر ﷺ وأنذر ، وبرأ جانبه المقدس الأطهر ﷺ ، فصنعتم له عين ما نهى عنه ، أفلا كان هذا كافيا لكم عن أن تجعلوا أيضا مخالفتكم عن أمره حجة عليه ، وتقدما بين يديه ، فهل أشار بشيء من هذا ، أو رضيه ، أو لم ينه عنه ؟ .

وأما اعتقاد حلول البركة : فمن عندكم لا من عند الله تعالى [١] » .

٤ – أن ترك القبة على حالها الآن وعدم إزالتها لا يعني إقرار جميع المسلمين بذلك ، إنما السبب هو خشية قيام فتنة عظيمة بعد إزالتها ، من قبل القبوريين ، ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة [٢] .

وإن من شواهد ذلك قول الرسول ﷺ لعائشة رضي الله عنها : « لولا حداثة عهد قومك بالكفر ، لنقضت الكعبة ، ولجعلتها على أساس إبراهيم ... » [٣] الخ .

قال النووي رحمه الله : « إذا تعارضت مصلحة ومفسدة ، وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة ، بديء بالأهم ، لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم ﷺ مصلحة ، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه ، وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريبا ، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة ، فيرون تغييرها عظيما ، فتركها ﷺ » .

ثم ذكر من فوائد هذا الحديث أن على ولي الأمر أن يفكر في مصالح رعيته ، واجتناب ما يخاف منه تولّد ضرر عليهم في دين أو دنيا إلا الأمور الشرعية ، كأخذ الزكاة ، وإقامة الحدود ، ونحو ذلك [٤] . اهـ .

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب للنعمي ص ١٤٧ بتصرف يسير .

(٢) انظر ما كتبه الوادعي ص ٢٧٣ – ٢٧٥ من بحثه (حول القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١٥٦/٢ كتاب الحج ، باب فضل مكة وبنيانها ، ومسلم في صحيحه ٩٦٨/٢ كتاب الحج ، باب نقض الكعبة وبنائها .

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم ٨٩/٩ .

وبناء على ما تقدم : فعلى ولي الأمر إزالة القبة المبنية على قبره ﷺ متى أُمنت الفتنة ، لعدم شرعية وجودها – كما سلف – ولئلا تتخذ ذريعة لبناء غيرها من القباب على قبور الصالحين ، والله الموفق والمعين .

وبهذا ينتهي الكلام في هذا المبحث المهم ، سائلا الله تعالى التوفيق والسداد .

* * *

المبحث الثالث

التبرك بموالدهم

إن مما يقترن بالتبرك بقبور الصالحين غالبا هو التبرك بموالدهم (1) ، حيث تقام الاحتفالات في أيام ميلادهم ، عند قبورهم ، أو في المنطقة التي فيها قبورهم ، إحياء لذكراهم ، والتماسا لبركاتهم ! .

تاريخ الاحتفال بالموالد :

قال المؤرخ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (2) رحمه الله : « كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم » ثم سرد أسماءها التي بلغت قريبا من ثلاثين ، وذكر منها مولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومولد الحسن والحسين ، وفاطمة رضي الله عنهم (3) .

وهكذا فإن أول من أحدث الاحتفالات بالموالد وابتدعها هم بنو عبيد ، المتسمون بالفاطميين ، وذلك في القرن الرابع ، كما تقدم (4) .

ثم تبعهم في ذلك الفرق الصوفية ، فاستمر وجود الاحتفالات بموالد الصالحين بتشجيعهم لها ، وحرصهم عليها إلى وقتنا الحاضر .

---

(1) تقدم الكلام عن التبرك بأماكن ولادة الصالحين ، وبيان أنه لايجوز : ص (٣٨٤) .

(2) هو أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد أبو العباس الحسيني العبيدي القاهري تقي الدين المقريزي ، مؤرخ الديار المصرية ، تولى الحسبة والخطابة والإمامة . له تصانيف كثيرة . منها : الخطط والآثار ، تجريد التوحيد المفيد ، إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع ، التاريخ الكبير . توفي سنة ٨٤٥ هـ .

انظر البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ٧٩/١ ، الأعلام ١٧٧/١ .

(3) الخطط والآثار للمقريزي ٤٩٠/١ .

(4) ص ٣٦٠ .

أدلة عدم شرعية التبرك والاحتفال بموالد الصالحين :-

١ - تقدم لنا - في الفصل الماضي - الاستدلال على عدم شرعية التبرك والاحتفال بمولد الرسول ﷺ ، مع أنه أفضل البشر عليه الصلاة والسلام ، فمنع ذلك في حق غيره - من الأنبياء والصالحين وغيرهم - أولى وأحرى .

ولهذا لم تعرف إقامة الموالد مطلقا عند السلف الصالح ، من الصحابة ، أو التابعين وأتباعهم - أصحاب القرون الثلاثة المفضلة - وإنما أحدثها أهل البدع ، كما سلف .

٢ - ثم إن هذه الموالد - إضافة إلى كونها بدعة محدثة في الدين - تشتمل على مفاسد ومنكرات متعددة ، حيث يعتبرون مواسم الموالد أعيادا تستحق الاحتفال ، فجعلوا لكل قبر من قبور الأولياء يوما معتادا ، يجتمعون فيه من أقاصي البلاد وأدناها (١) .

وقد تقدم قريبا بيان مفاسد ومنكرات التبرك المبتدع بالقبور ، إلا أن تلك المفاسد والمنكرات تزداد وتعظم وتتنوع أيام مواسم الموالد .

ومن أبرز سمات أعياد الموالد إقامة حلقات الذكر الصوفي المبتدع ، وإقامة سرادقات للأغاني المبتذلة .

أما الذكر في هذه الموالد فهو عبارة عن أناشيد تؤدى بمصاحبة الموسيقى غالبا ، مع الرقص على نغمات المنشد والألحان الموسيقية ، ولكل جماعة من الطرق الصوفية طريقة خاصة بها (٢) .

---

(١) معارج القبول للحكمي ٤٠٦/١ ، وقد فصل رحمه الله ما يفعله أهل البدع في ذلك اليوم . وانظر الرسالة التي أصدرتها وزارة الأوقاف المصرية بعنوان (منكرات المآتم والموالد) ص ٥٧ - ٦٠ .

(٢) من مقال للكاتبة هيام فتحي بعنوان (موالد الأولياء في مصر) في المجلة العربية عدد ١٣١ شهر ذي الحجة ١٤٠٨ هـ ص ٤٤ ، ٤٥ باختصار . وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله وصفا مفصلا للذكر الصوفي في كتابه (هذه هي الصوفية) ص ١٧١ ، فما بعدها .

ولا شك أن وجود هذه المفاسد والمنكرات ونحوها ضمن تلك الاحتفالات ، يزيد في عظم حرمة بدعة الاحتفال بتلك الموالد .

« فهل يفطن أولئك الذين لا يزالون يبيحون للمسلمين مثل هذه الأعياد والاحتفالات ، ويشرعونها لهم ، ويزعمون أن الإسلام لم يحرم هذا ، فإذا كانت عميت بصائرهم عن الدليل ، فهل عميت أبصارهم عن الواقع ؟ لكن من لم يجعل الله له نورا ، فما له من نور » (١) .

وبهذا أختتم مباحث هذا الفصل (الممنوع من التبرك بالصالحين في حياتهم وبعد وفاتهم) راجيا التوفيق والسداد من عند الله تبارك وتعالى .

* * *

---

(١) من دراسة لكتاب اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٥٢/١ ، إعداد المحقق الدكتور ناصر العقل .

الفصل الثالث
التبرك ببعض الجبال والمواضع

المبحث الأول
حكم التبرك بتلك الجبال والمواضع

لقد تقدم ضمن الباب الأول ذكر الأماكن المباركة ، وعلى رأسها المساجد الثلاثة (المسجد الحرام ، ومسجد النبي ﷺ ، والمسجد الأقصى) ، ومنها مكة ، والمشاعر ، والمدينة ، والشام ، ومنها سائر المساجد .

وقد بينت هناك بالتفصيل حقيقة بركة تلك الأماكن ، ووجوه بركتها ، وكيف تلتمس البركة منها أو فيها على الوجه المشروع ، فيجب الاقتصار على ذلك .

ولكن البعض لم يقف عند هذا الحد المشروع في طلب بركتها ، بل تجاوزه إلى وسائل ليست مشروعة ، أو طلب البركة في أماكن أخرى ليس لها بركة أصلا .

ومن أبرز مظاهر هذا التبرك الممنوع : التقبيل أو التمسح ، أو الطواف أو قصد أداء العبادات ، كالصلاة والدعاء والذكر ، ونحو ذلك [1] ، عند بعض البقاع والمواضع التي لم يشرع فيها ذلك ، فإن ما عدا ما ورد من ذلك من جهة الشرع يُعد من المظاهر المبتدعة الممنوعة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله موضحا ذلك : « من قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ، ولم تستحب الشريعة ذلك ، فهو من المنكرات وبعضه أشد من بعض ، سواء كانت البقعة شجرة ، أو عين ماء ، أو قناة جارية ، أو جبلا ،

---

(١) سيرد ضمن المباحث الآتية إن شاء الله أمثلة لهذه المظاهر ونحوها بالتفصيل .

أو مغارة ، وسواء قصدها ليصلي عندها ، أو ليدعو عندها ، أو ليقرأ عندها ، أو ليذكر الله سبحانه عندها ، أو ليتنسك عندها ، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لا عينا ولا نوعا ، وأقبح من ذلك أن ينذر لتلك البقعة دهنا لتُنوّر به » (١) .

الأدلة على منع التبرك بتلك الجبال والمواضع :

يمكن بيان هذه الأدلة (٢) من وجهين :

أحدهما : أن هذا التبرك مخالف لما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم ، ثم من بعدهم من السلف الصالح ، فلم ينقل عنهم شيء منه ، وإنما فعله بعض الخلف المتأخرين ، بدون دليل شرعي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا بدعية هذا التبرك - بعد أن ذكر شيئا من مظاهره -: « ومعلوم أنه لو كان هذا مشروعا مستحبا يثيب الله عليه ، لكان النبي ﷺ أعلم الناس بذلك ، ولكان يعلّم أصحابه ذلك ، وكان أصحابه أعلم بذلك وأرغب فيه ممن بعدهم ، فلما لم يكونوا يلتفتون إلى شيء من ذلك علم أنه من البدع المحدثة ، التي لم يكونوا يعدونها عبادة وقربة وطاعة ، فمن جعلها عبادة وقربة وطاعة فقد اتبع غير سبيلهم ، وشرع من الدين ما لم يأذن به الله » (٣) .

الوجه الثاني : هناك مقدمات وقواعد مهمة تتعلق بأحكام هذا النوع من التبرك ونحوه ، لابد من بيانها وبسطها ، وذلك كما يأتي :-

أولا : أن التبرك بتلك الجبال والمواضع هو بسبب تعظيمها غالبا ، والواجب الاقتصار على ما عظمه الشرع منها فقط ، وعلى الوجه الذي شرعه أيضا .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٦٤٤/٢ .

(٢) ذكر الأدلة هنا على سبيل الإجمال ، وسترد أدلة فرعية أيضا إن شاء الله عند عرض تلك المواضع بالتفصيل في المباحث القادمة .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٩٨/٢ .

ولهذا فإن العلماء كرهوا أداء الصلاة مثلا عند الأماكن التي لم يعظمها الإسلام ، ولو لم يقصد التعظيم ، سدا للذريعة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن الصلاة في تلك الأماكن : « الذي ينبغي تجنب الصلاة فيها ، وإن كان المصلي لا يقصد تعظيمها ، لئلا يكون ذلك ذريعة إلى تخصيصها بالصلاة فيها ، كما ينهى عن الصلاة عند القبور المحققة ، وإن لم يكن المصلي يقصد الصلاة لأجلها » [1] .

ثانيا : قد يرى البعض قياس مواضع العبادة ونحوها على الكعبة في التقبيل أو المسح ، أو الطواف ، بجامع التعظيم .

ويمكن أن يجاب على هذه الشبهة بما يأتي :-

١ - أن القياس لا يجوز في العبادات باتفاق المسلمين ، فهي توقيفية - كما هو معلوم - وهذه الأفعال (التقبيل والمسح والطواف) من أنواع العبادات بلا شك ، لأن أصحابها يقصدون بها التقرب وطلب الخير والأجر .

٢ - أن التقبيل والمسح والطواف من خصائص الكعبة أو بعض أجزائها ، لا يشاركها فيه شيء من الجمادات الأخرى . وهذه قاعدة مجملة سأفصلها بما يأتي :

أ - تقبيل الجمادات خاص بالحجر الأسود فقط اتباعا للرسول ﷺ .

وقد ثبت في الصحيحين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء إلى الحجر الأسود فقبّله فقال : « إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتك » [2] .

فقد أكد الفاروق رضي الله عنه أنه لولا أن الشارع أمر بتقبيل هذا الحجر ما قبلناه ، فلا يقاس عليه إذن غيره من الأماكن المقدسة الأخرى . وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية على أنه « ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود » [3] .

---

(١) المرجع السابق ٢/٦٥٠ ، ٦٥١ .

(٢) تقدم تخريج الحديث ص ٣٢٨ ، وقد روي الحديث بألفاظ أخرى .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧/٧٩ .

ب – أما المسح : فلا يمسح غير الحجر الأسود والركن اليماني من الكعبة ، لأن النبي ﷺ لم يستلم من الأركان إلا الركنين اليمانيين باتفاق العلماء [(١)] .

أما الوقوف عند الملتزم – بين الحجر الأسود والباب – فليس فيه تمسح بحال ، إنما هو الصاق الوجه والصدر واليدين اشتياقا ، أو أسفا على الفراق ، وذلا لله تعالى [(٢)] .

وإذا لم يكن التقبيل والتمسح مشروعا بغير الركنين اليمانيين من جوانب بيت الله الحرام فأولى أن لا يقبّل ولا يتمسح بما هو دون ذلك [(٣)] .

ولذا قال ابن القيم رحمه الله : « ليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه ، وتحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود والركن اليماني » [(٤)] .

ج – وأما الطواف فهو خاص بالكعبة ، كما هو معلوم عند جميع المسلمين .

قال ابن القيم رحمه الله عند كلامه على خصائص مكة : « ليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي إليها ، والطواف بالبيت الذي فيها غيرها » [(٥)] .

بل قال ابن تيمية رحمه الله عن حكم الطواف بغير الكعبة : « وأما الطواف بذلك فهو من أعظم البدع المحرمة ، ومن اتخذه دينا يستتاب ، فان تاب وإلا قتل » [(٦)] .

٣ – لا يراد بهذه الأمور الخاصة بالكعبة أو بعض أجزائها (التقبيل والمسح ، والطواف) التبرك بالكعبة ، والتماس البركات الدنيوية من أجزائها ، إنما المقصود التعبد لله تعالى والاتباع لشرعه ، رجاء المثوبة الأخروية ، كما نبه على ذلك عمر بن الخطاب

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٧٩٩/٢ .
(٢) فتاوى ابن ابراهيم ١٢/٥ بتصرف .
(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٩٧/٢٦ بتصرف .
(٤) زاد المعاد ٤٨/١ .
(٥) المرجع السابق ٤٨/١ .
(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢١/٢٦ .

رضي الله عنه عندما قبّل الحجر الأسود .

وقد قال سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله حول هذه المسألة : « والكعبة نفسها زادها الله تشريفا لا يتبرك بها ، ولهذا لا يقبّل منها إلا الحجر الأسود فقط ، ولا يمسح منها إلا هو والركن اليماني فقط ، وهذا المسح والتقبيل المقصود منه طاعة رب العالمين واتباع شرعه ، ليس المراد أن تنال اليد البركة في استلام هذين الركنين » (١) الخ .

ثالثا : من القواعد المهمة هنا ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية ضمن إحدى فتاواه حيث قال رحمه الله : « ليس في شريعة الإسلام بقعة تُقصد لعبادة الله فيها بالصلاة والدعاء والذكر والقراءة ونحو ذلك إلا مساجد المسلمين ومشاعر الحج » (٢) .

وأوضح هذا في موضع آخر فقال : « وأما غير المساجد ومشاعر الحج فلا تقصد بقعة لا للصلاة ، ولا للذكر ، ولا للدعاء بل يصلي المسلم حيث أدركته الصلاة إلا حيث نهي ، ويذكر الله ويدعوه حيث تيسر من غير تخصيص بقعة بذلك وإذا اتخذ بقعة لذلك كالمشاهد نهي عن ذلك » (٣) الخ .

ومما ينبغي أن يعلم أن « ما أذن الله بتعظيمه ، كتعظيم بيته الحرام بالحج إليه ، وتعظيم شعائر الله ، من المشاعر والمواقف وغيرها ، فإن ذلك ، تعظيم لله عز وجل الذي أمر بذلك ، لا لتلك البقعة ذاتها » (٤) .

ولا ريب أن تلك المقدمات والقواعد السابقة مفيدة في معرفة بعض أحكام مسائل التبرك ، ومنها حكم التبرك ببعض الجبال والمواضع ، حيث قد اتضح لنا – بالإضافة إلى الوجه الأول – النهي عن ذلك والمنع منه .

---

(١) فتاوى ابن إبراهيم ١٢/٥ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣٧/٢٧ ، ١٣٨ ، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم ٨١٦/٢ .

(٣) من مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٧٧/١٧ .

(٤) معارج القبول للحكمي ٣٨٦/١ .

حكم السفر إلى تلك المواضع :

إذا كانت المواضع والأماكن السابقة لا يجوز التبرك بها كما تقدم ، فإن السفر وشد الرحال إليها لهذا التبرك لا يجوز من باب أولى .

ومن الأدلة على عدم الجواز عموم قوله ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ... » [١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « هذا النهي يعم السفر إلى المساجد والمشاهد ، وكل مكان يقصد بالسفر إلى عينه للتقرب ، بدليل أن بصرة ابن أبي بصرة الغفاري لما رأى أبا هريرة راجعا من الطور الذي كلم الله عليه موسى قال : لو رأيتك قبل أن تأتيه لم تأته ، لأن النبي ﷺ قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » [٢] فقد فهم الصحابي الذي روى الحديث أن الطور وأمثاله من مقامات الأنبياء مندرجة في العموم ، وأنه لا يجوز السفر إليها ، كما لا يجوز السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة » [٣] اهـ .

ولذا « لو نذر ناذر السفر إليها لم يجب عليه الوفاء بنذره باتفاق المسلمين » [٤] .

وقال الألباني حفظه الله : « والحديث عام يشمل المساجد وغيرها من المواطن التي تقصد لذاتها أو لفضل يدّعى فيها ، ألا ترى أن أبا بصرة [٥] رضي الله عنه قد أنكر على أبي هريرة سفره إلى الطور ، وليس هو مسجدا يصلى فيه ، وإنما هو جبل كلم الله فيه موسى عليه السلام ، فهو جبل مبارك ، ومع ذلك أنكر أبو بصرة السفر إليه » [٦] .

---

(١) تقدم تخريج الحديث ص ١٠٥ .

(٢) مضى تخريج الحديث مع القصة ص ٣٨٩ ، وقد ساق ابن تيمية ذلك هنا بالمعنى .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٦٦٥/٢ ، ٦٦٦ . وانظر مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ٥٩/٢ .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣٨/٢٧ .

(٥) هناك رواية أخرى تفيد أن كنية هذا الشخص (أبو بصرة) وأن اسمه جميل ابن بصرة . راجع الاستيعاب لابن عبد البر ٢٤/٤ ، وكتاب فضائل بيت المقدس لمحمد بن عبد الواحد المقدسي ص ٤١ ، ٤٢ .

(٦) من كتاب إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل لمحمد ناصر الدين الألباني ١٤٣/٤ .

وبهذا ينتهي الكلام في هذا المبحث المتعلق ببيان أحكام التبرك ببعض الجبال والمواضع .

وفي المباحث الآتية سأعرض بالتفصيل أمثلة لما يوجد من هذه الجبال والمواضع التي يتبرك بها على الوجه الممنوع – قديما وحديثا – في البلدان الاسلامية للتنبيه والتحذير ، مع الإشارة إلى دواعي هذا التبرك ومناقشته ، والله تعالى هو الموفق والمعين .

* * *

المبحث الثاني

ما يوجد منها بمكة المكرمة

يمكن بيان ما يوجد من تلك الجبال والمواضع التي يتبرك بها تبركا ممنوعا في مكة المكرمة فيما يأتي :

أولا : الكعبة وما حولها :

تقدم قريبا أن الكعبة المشرفة لا يتبرك بها ، وإنما يقبل منها الحجر الأسود ، ويمسح هو والركن اليماني ، ويطاف بها ، وأن المقصود بهذا كله اتباع الشرع لا طلب البركة من هذه البقعة .

فعلى هذا لا يجوز التقبيل أو التمسح بما عدا ذلك من أجزاء الكعبة ، كجدرانها ، أو أركانها ، أو سترتها ، أو مقام ابراهيم عليه السلام ، كما يفعله البعض تبركا ، فإن هذا الفعل بدعة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « لما حج النبي ﷺ استلم الركنين اليمانيين ، ولم يستلم الشاميين ، لأنهما لم يبنيا على قواعد إبراهيم ، فإن أكثر الحجر من البيت ، والحجر الأسود استلمه وقبّله ، واليماني استلمه ولم يقبّله ، وصلى بمقام ابراهيم ولم يستلمه ، ولم يقبّله ، فدل ذلك على أن التمسح بحيطان الكعبة غير الركنين اليمانيين ، وتقبيل شيء منها غير الحجر الأسود ليس بسنة ، ودل على أن استلام مقام إبراهيم وتقبيله ليس بسنة » [(١)] .

وذكر في موضع آخر اتفاق العلماء على ذلك حيث قال رحمه الله : « لانزاع

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٧٦/١٧ .

بين الأئمة الأربعة ونحوهم من أئمة العلم ، أنه لا يقبّل الركنين الشاميين ، ولا شيئا من جوانب البيت ، فإن النبي ﷺ لم يستلم إلا الركنين اليمانيين ، وعلى هذا عامة السلف ... » وقال « وقد اتفق العلماء على ما مضت به السنة ، من أنه لا يشرع الاستلام والتقبيل لمقام إبراهيم الذي ذكره الله تعالى في القرآن وقال ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى [1] ﴾ [2] .

وقد روي عن قتادة [3] رحمه الله أنه قال : « إنما أمروا أن يصلوا عنده ، ولم يؤمروا بمسحه ، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئا ما تكلفته الأمم قبلها » [4] .

وقال النووي رحمه الله في كتابه « الإيضاح في مناسك الحج » : لا يقبّل مقام إبراهيم ولا يستلمه ، فإنه بدعة » [5] .

ومن البدع المحدثة التبرك بكسوة الكعبة تقبيلا أو مسحا ، أو على أي وجه كان ، فإنه لم يشرع شيء من ذلك ، ولم يفعله أحد من السلف الصالح رحمهم الله تعالى [6] .

ولقد سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله عن أحكام المسائل السابقة ، فأجاب حفظه الله : « التمسح بالمقام ، أو بجدران الكعبة ، أو بالكسوة ، كل هذا أمر لا يجوز ، ولا أصل له في الشريعة ، ولم يفعله النبي

---

(١) سورة البقرة (١٢٥) .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٩٩/٢ .

(٣) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي الأعمى الحافظ المفسر ، عالم أهل البصرة . مات بواسط سنة ١١٧ هـ .

انظر تذكرة الحفاظ ١٢٢/١ ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٤ ، شذرات الذهب ١٥٣/١ .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ٥٣٧/١ ، والأزرقي في أخبار مكة ٢٩/٢ .

وللمزيد من معرفة آثار السلف في هذه المسألة : انظر مثلا كتاب أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه للفاكهي ٤٥٧/١ ، ٤٥٨ ، وكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة ٦١/٤ .

(٥) الإيضاح في المناسك للنووي ص ١٣٣ .

(٦) انظر فتوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله حول هذه المسألة في فتاوى ابن ابراهيم ٩/٥ - ١٣ .

ﷺ ، وإنما قبّل الحجر الأسود ، واستلمه ، واستلم جدران الكعبة من الداخل ، لما دخل الكعبة ألصق صدره وذراعيه وخدّه في جدارها ، وكبّر في نواحيها ودعا ، أما في الخارج فلم يفعل ﷺ شيئا من ذلك فيما ثبت عنه ، وإن كانت هناك رواية أنه التزم الملتزم بين الركن والباب ، ولكن في إسناده نظر [١] وفعله بعض الصحابة ، والملتزم لا بأس به ، وهكذا تقبيل الحجر سنة ، أما كونه يتعلق بكسوة الكعبة أو بجدرانها ، أو يلتصق بها ، فهذا شيء لا أصل له ، ولا ينبغي فعله ، لعدم نقله عن النبي ﷺ ، ولا عن الصحابة رضي الله عنهم ، وكذلك التمسح بمقام إبراهيم أو تقبيله ، كل هذا لا أصل له ، ولا يجوز فعله ، لأنه من البدع التي أحدثها الناس ، أما سؤال الكعبة أو دعاؤها ، أو طلب البركة منها ، فهذا لا يجوز ، وهو دعاء لغير الله ، فالذي يطلب من الكعبة أن تشفي مريضه ، أو يتمسح بالمقام يرجو الشفاء منه ، فهذا لا يجوز ، بل هو شرك – نسأل الله السلامة – » [٢] .

ثانيا : المساجد :

لقد تقدم ضمن الفصل الأول بيان حكم التبرك بالمواضع التي جلس الرسول ﷺ أو صلى فيها ، ونحو ذلك ، وأن قصد العبادة في مكان لم يقصده الرسول ﷺ بذاته ليس مشروعا ، ومن أمثلة ذلك المساجد المبنية بمكة وما حولها على آثاره ﷺ في حضره أو سفره أو غزواته .

وعلى هذا فإن ما عدا المسجد الحرام من المساجد بمكة محدث لا يشرع قصده ولا تحري الصلاة فيه ، أو الدعاء ، ونحو ذلك التماسا للبركة .

قال الإمام ابن تيمية بعد أن أشار إلى أن طائفة من المصنفين في المناسك استحبوا زيارة مساجد مكة وما حولها ، قال رحمه الله تعالى مبينا بدعية هذا العمل : « تبين لنا أن هذا كله من البدع المحدثة التي لا أصل لها في الشريعة ، وأن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، لم يفعلوا شيئا من ذلك ، وأن أئمة العلم والهدى

---

(١) راجع زاد المعاد ٢٩٨/٢ .

(٢) من فتاوى إسلامية لمجموعة من العلماء ٢٤٣/١ جمع وترتيب محمد المسند .

ينهون عن ذلك ، وأن المسجد الحرام هو المسجد الذي شرع لنا قصده للصلاة والدعاء والطواف ، وغير ذلك من العبادات ، ولم يشرع لنا قصد مسجد بعينه بمكة سواه ، ولا يصلح أن يجعل هناك مسجدا يزاحمه في شيء من الأحكام ، وما يفعله الرجل في مسجد من تلك المساجد ، من دعاء وصلاة وغير ذلك ، إذا فعله في المسجد الحرام كان خيرا له ، بل هذا سنة مشروعة ، وأما قصد مسجد غيره هناك تحريا لفضله فبدعة غير مشروعة » [١] .

وقال رحمه الله في موضع آخر : « كل مسجد بمكة وما حولها غير المسجد الحرام فهو محدث » [٢] .

وقال الشيخ صدّيق حسن [٣] بعد أن ساق جملة من تلك المساجد المحدثة ، ونحوها من المواضع : « هذه المساجد والمواضع ليس دخول شيء منها لمن اجتاز بها فرضا ولا سنة » [٤] .

ويجدر التنبيه هنا على أنه لا يجوز التبرك بعامة المساجد وما يتصل بها كجدرانها وترابها وأبوابها ، من جهة التقبيل أو التمسح ، ونحو ذلك ، لا المسجد الحرام ، ولا سائر المساجد في مكة وغيرها ، لأنه ليس من شريعة الاسلام [٥] ، وكما يفهم ذلك من القواعد السابقة في المبحث الماضي .

ومن الأمثلة على تلك المساجد المحدثة التي تزار وتقصد للعبادة والتبرك من قبل البعض ما يأتي :-

١ - مسجد الراية [٦] : يقال إن النبي ﷺ صلى فيه المغرب [٧] ، وركز رايته يوم فتح مكة [٨] .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٨٠٢/٢ .
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٧٨/١٧ ، وانظر الاقتضاء ٧٩٨/٢ .
(٣) تقدمت ترجمته ص ٣٤٨ .
(٤) رحلة الصدّيق إلى البيت العتيق لصدّيق حسن خان ص ١٢١ .
(٥) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٨٠٢/٢ .
(٦) هذا المسجد مقام حاليا بشعب عامر ، على الطريق المتجه إلى المسجد الحرام . انظر لمزيد التفصيل كتاب أشهر المساجد في الإسلام لسيد عبد المجيد ٩٤/١ ، ٩٥ .
(٧) أخبار مكة للأزرقي ٢٠٠/٢ .
(٨) إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام لعبد الكريم القطبي ص ١٦٦ .

٢ – مسجد الجن [١] : يقال عن مكانه إنه موضع الخط الذي خط رسول الله ﷺ لابن مسعود رضي الله عنه ليلة استمع إليه الجن [٢] .

ويعرف هذا المسجد أيضا بمسجد الحرس [٣] .

٣ – مسجد الاجابة [٤] : يقال إن النبي ﷺ صلى فيه [٥] .

٤ – مسجد أبي بكر الصديق [٦] رضي الله عنه : ويسمى دار الهجرة ، يقال إنها كانت دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي ركب منها مع النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة [٧] .

٥ – مسجد بيعة العقبة [٨] بمنى ، أي الموضع الذي بايع النبي ﷺ فيه الأنصار رضي الله عنهم [٩] .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الأنصار رضي الله عنهم بايعوا النبي ﷺ ليلة العقبة بالوادي الذي وراء جمرة العقبة ، لأنه مكان منخفض قريب من منى ، يستتر من فيه ، فجاءوا مع قومهم المشركين إلى منى لأجل الحج ، ثم ذهبوا بالليل إلى ذلك المكان لقربه وستره ، لا لفضيلة فيه ، فلم يقصدوه لفضيلة تخصه

---

(١) يوجد الآن بمنطقة الحجون على شارع المسجد الحرام . انظر أشهر المساجد في الإسلام ٩٨/١ .

(٢) أخبار مكة للأزرقي ٢٠١/٢ .

(٣) انظر سبب التسمية في كتاب أخبار مكة للفاكهي ٢٠/٤ ، وأخبار مكة للأزرقي ٢٠٠/٢ ، ٢٠١ .

(٤) هذا المسجد مقام حاليا بحي المعابدة ، انظر أشهر المساجد في الإسلام ١٠٦/١ .

(٥) أخبار مكة للأزرقي ٢٨٧/٢ .

(٦) يوجد المسجد الآن في حي المسفلة ، وهو قريب من المسجد الحرام . انظر أشهر المساجد في الإسلام ١١٤/١ .

(٧) انظر إعلام العلماء الأعلام للقطبي ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٨) قال تقي الدين الفاسي : هذا المسجد بقرب العقبة ، التي هي حد منى من جهة مكة ، وهو وراء العقبة بيسير إلى مكة في شعب على يسار الداخل إلى منى (شفاء الغرام للفاسي ٢٦٢/١) .

(٩) شفاء الغرام للفاسي ٢٦٢/١ ، إعلام العلماء للقطبي ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

بعينه ، ولهذا لما حج النبي ﷺ هو وأصحابه لم يذهبوا إليه ، ولا زاروه . ثم قال : « وقد بني هناك مسجد ، وهو محدث » [(١)] .

إلى غير ذلك من المساجد الأخرى .

ثالثا : الجبال :

ذكر بعض المؤلفين ولا سيما المؤرخون أن في مكة جبالا مباركة يستجاب الدعاء بها [(٢)] .

ولا ريب أن هذه دعوى لا دليل عليها سوى أن الرسول ﷺ تعبّد أو أقام ببعضها حينا ، ونحو ذلك .

وقد تقدم بيان منع التبرك بآثار الرسول ﷺ الأرضية ، وأن ما فعله عليه الصلاة والسلام لغير قصد التشريع فلا يشرع فعله .

قال الشيخ صدّيق حسن بعد أن ذكر بعضا من تلك الجبال : « وليست زيارة شيء من هذه الجبال بسنة » [(٣)] .

ومن أمثلة هذه الجبال التي يتبرك بعض الناس بزيارتها ما يأتي :-

١ - جبل حراء : ويسمى أيضا جبل النور ، وهو شرق مكة .
وفي هذا الجبل غار يسمى (حراء) كان الرسول ﷺ يتعبد فيه ، قبل نزول الوحي عليه [(٤)] .

وهذا الغار لا تشرع زيارته ، ولا الصعود إليه ، ولا قصده للصلاة ،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٧٨/١٧ بتصرف ، وانظر مجموع الفتاوى ١٣٣/٢٦ .

(٢) انظر على سبيل المثال : رحلة ابن بطوطة ص ١٤٠ ، آثار البلاد للقزويني ص ١١٨ ، ١١٩ ، شفاء الغرام للفاسي ٢٧٥/١ فما بعدها ، إعلام العلماء الأعلام للقطبي ص ١٥٣ .

(٣) رحلة الصديق إلى البيت العتيق ص ١٥ .

(٤) معجم البلدان للحموي ٢٣٣/٢ ، شفاء الغرام للفاسي ٢٨٠/٢ .

ولا للدعاء ، ولا لأي نوع من أنواع العبادة ، ولا يتعلق به ، ولا بالجبل الذي هو فيه احكام للحج ولا للعمرة ، وإنما كان الرسول ﷺ يخلو فيه عن أهل الجاهلية وأوحالها ، وبعد أن أكرمه الله تعالى بالنبوة ترك ذلك ، وهكذا أصحابه رضي الله عنهم [١] .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : كان حراء أطول جبل بمكة ، وكانت قريش تنتابه قبل الاسلام وتتعبد فيه ، وكان النبي ﷺ يتعبد فيه قبل النبوة ، ثم لما أكرمه الله تعالى بنبوته ورسالته ، وفرض على الخلق الايمان به ، وطاعته واتباعه ، وأقام بمكة بضع عشرة سنة ، هو ومن آمن به من المهاجرين الأولين الذين هم أفضل الخلق ، لم يذهب هو ولا أحد من أصحابه إلى حراء ، ثم هاجر إلى المدينة ، واعتمر أربع عمر ، وحج حجة الوداع ، ومعه جماهير المسلمين ، وهو في ذلك كله لا هو ولا أحد من أصحابه يأتي غار حراء ، ولا يزوره ، ولا شيئا من البقاع التي حول مكة ، ثم بعده خلفاؤه الراشدون وغيرهم ، لم يكونوا يسيرون إلى غار حراء ونحوه ، للصلاة فيه أو الدعاء [٢] .

٢ - جبل ثور [٣] : في هذا الجبل الغار المشهور الذي اختفى فيه النبي ﷺ هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه حين هاجر إلى المدينة [٤] ، وفي ذلك نزل قوله تعالى ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ [٥] .

وهذا الغار كسابقه ، لا تشرع زيارته ، ولا يتعلق به ولا بالجبل الذي هو فيه أحكام للحج ولا للعمرة ، لأن النبي ﷺ لم يشرع لأمته السفر إليه وزيارته ، والصلاة فيه والدعاء ، ولم يفعل ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم شيئا من ذلك في الحج ولا في العمرة ، ولا في غيرهما [٦] .

---

(١) من رسالة أصدرتها الأمانة العامة للتوعية الإسلامية في الحج عام ١٤٠٥ هـ بعنوان (وصايا لضيوف الرحمن) ص ١٢ بتصرف .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٧٩٥ - ٧٩٨ باختصار .

(٣) موقع هذا الجبل جنوب مكة .

(٤) شفاء الغرام للفاسي ٢/٢٨١ .

(٥) سورة التوبة (٤٠) .

(٦) الاقتضاء ٢/٧٩٨ ، ورسالة التوعية المذكورة آنفا ص ١٢ ، ١٣ .

٣ – جبل عرفات : ويسمى جبل الرحمة .

وقد افتتن بعض العامة من الحجاج بهذا الجبل ، وصاروا يتبركون به .

ومن المظاهر الموجودة لهذا التبرك : الحرص على الصلاة أو الدعاء فوق الجبل ، و الطواف حول الشاخص الموضوع أعلاه ، بل الصلاة حوله من جميع الجهات ، حتى لو استدبر المصلي جهة القبلة ؟ .

ومنها أكل تراب الجبل ، أو التمسح به ، أو مسحه بالعيون ، أو أي موضع في الجسد يؤلم استشفاءا ، أو وضع بعض أجزاء من الجسد ، كالظفر أو الشعر في الجبل تبركا .

ولا شك أن هذه المظاهر ونحوها من البدع المحدثة المحرمة ، وأن هذا الجبل لا يشرع صعوده ، ولا الصلاة عنده ، فضلا عن الطواف ، باتفاق العلماء ، وإنما السنة الوقوف بعرفات عند الصخرات ، حيث وقف النبي ﷺ ، أو بسائر عرفات ، وأما تقبيل شيء من ذلك ، أو التمسح به ونحو ذلك ، فالأمر فيه أظهر ، إذ قد علم بالاضطرار أن هذا ليس من شريعة رسول الله ﷺ [١] .

٤ – جبل أبي قبيس [٢] : وهو الجبل المشرف على الصفا ، وكان يسمى في الجاهلية الأمين [٣] .

يقال إنه أول جبل وضعه الله تعالى في الأرض [٤] ، وأن فيه قبر آدم وحواء عليهما السلام [٥] .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٨٠١/٢ ، ٨٠٢ ، وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣٣/٢٦ ، الباعث على انكار البدع والحوادث لأبي شامة ص ٩٤ .

(٢) سبب تسميته بذلك : أن أول من نهض يبني فيه رجل من مذحج يقال له أبو قبيس ، فلما صعد في البناء سمي أبا قبيس ، وقيل غير ذلك . راجع تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١٠٨/٤ .

(٣) يقال : إنما سمي الأمين لأن الركن كان مستودعا فيه عام الطوفان ، فلما بنى إبراهيم عليه السلام البيت ناداه أبو قبيس : إن الركن في موضع كذا وكذا . والله أعلم . انظر أخبار مكة للفاكهي ٤٧/٤ ، وأخبار مكة للأزرقي ٢٦٦/٢ .

(٤) شفاء الغرام للفاسي ٢٧٩/١ .

(٥) إعلام العلماء الأعلام للقطبي ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

وزعم بعض المؤرخين أن من فضائل هذا الجبل أن الدعاء يستجاب فيه [١] ، ونقل أحدهم أن العوام تزعم أن من أكل عليه الرأس المشوي يأمن من وجع الرأس ، وأن كثيرا من الناس يفعلون ذلك ! [٢] .

ولا شك أن هذه المزاعم المذكورة لا دليل عليها ، فلا تشرع زيارة هذا الجبل ، ولا الدعاء عنده ، ولا الاستشفاء به ، ونحو ذلك .

٥ - جبل ثبير :

قال المؤلف زكريا القزويني [٣] رحمه الله : « هو جبل عظيم بقرب منى ، يقصده الناس زائرين متبركين به ، لأنه أهبط عليه الكبش الذي جعله الله فداء لإسماعيل عليه السلام » [٤] .

وزعم غيره أن الدعاء يستجاب فيه لأن النبي ﷺ كان يتعبد فيه قبل النبوة ، وأيام ظهور الدعوة ، ولهذا جاورت به عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها [٥] .

والحقيقة هي عدم وجود أدلة تؤيد صحة هذه الأقوال .

وعلى أي حال فهذا الجبل كغيره من الجبال الأخرى ، لا تشرع زيارته ، ولا الدعاء عنده أو الصلاة ، ونحو ذلك .

رابعا : الدور :

من الناس من يعتقد في بعض الدور الأثرية بمكة المكرمة شيئا من البركة . ومن أشهر هذه الدور ما يأتي :-

---

(١) انظر مثلا شفاء الغرام للفاسي ٢٧٨/٢ ، وإعلام العلماء الأعلام للقطبي ص ١٥٧ .

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد لزكريا القزويني ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٣) هو زكريا بن محمد بن محمود القزويني المؤرخ الجغرافي ، من مصنفاته : آثار البلاد وأخبار العباد ، عجائب المخلوقات ، توفي سنة ٦٨٢ هـ .

انظر كشف الظنون ٩/١ ، الأعلام ٤٦/٣ .

(٤) آثار البلاد ص ١١٩ .

(٥) انظر شفاء الغرام ٢٨٢/٢ .

١ - دار خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها : في هذه الدار تزوج النبي ﷺ بخديجة ، وولدت فيه أولادها جميعا ، وفيها توفيت رضي الله عنها ، ولم يزل رسول الله ﷺ فيها ساكنا حتى خرج زمن الهجرة ، ثم جُعلت هذه الدار مسجدا بعد ذلك [١] ، وأخيرا بني في موضع هذه الدار مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم [٢] .

وقد ادعى بعض المؤرخين أن الدعاء يستجاب في دار خديجة رضي الله عنها [٣] .

بل زعم أحدهم أن هذه الدار أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام [٤] .

ولقد تقدم الحديث عن حكم التبرك بمواضع جلوس النبي ﷺ ونحو ذلك ، أو موالد الصالحين ، وأنه لا يجوز .

٢ - دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي [٥] ، وهي عند الصفا ، وعرفت بدار الخيزران [٦] ، وفيها مسجد كان بيتا ، وكان رسول الله ﷺ يختبيء فيه عن المشركين ، ويدعو إلى الاسلام ، وفيه أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه [٧] .

---

(١) انظر أخبار مكة للفاكهي ٧/٤ .

(٢) انظر كتاب مكة في القرن الرابع عشر الهجري لمحمد عمر رفيع ص ١٢٥ .

(٣) انظر إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام لعبد الكريم القطبي ص ١٥٤ .

(٤) قال ذلك محب الدين الطبري (انظر كتابه : القرى لقاصد أم القرى ص ٦٦٤) وقد أيده تقي الدين الفاسي . انظر شفاء الغرام ٢٧٣/١ .

(٥) هو الأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف بن أسد المخزومي أبو عبد الله ، كان من السابقين الأولين إلى الإسلام ، شهد بدرا والمشاهد كلها . توفي سنة ٥٣ هـ .
انظر أسد الغابة ٧٤/١ ، الإصابة ٤٢/١ .

(٦) عرفت بذلك لأن الخيزران ملكتها شراء ، ثم تنوقلت في أيد الملّاك بعد ذلك . انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٦٤/١٠ ، وإعلام العلماء الأعلام للقطبي ص ١٥٥ .
والخيزران هي زوجة المهدي العباسي وأم ابنيه الهادي وهارون الرشيد ، وكانت من جواري المهدي فأعتقها وتزوجها . توفيت سنة ١٧٣ هـ .
انظر تاريخ بغداد ٤٣٠/١٤ ، البداية والنهاية ١٦٣/١٠ ، الأعلام ٣٢٨/٢ .

(٧) أخبار مكة للفاكهي ١٢/٤ ، وأخبار مكة للأزرقي ٢٠٠/٢ ، ٢٦٠ .

وقد قال أحد المؤرخين : « لعل هذا الموضع أفضل الأماكن بمكة بعد دار خديجة بنت خويلد ، لكثرة مكث النبي ﷺ فيه ، يدعو الناس إلى الإسلام مستخفيا » (١) .

وذكر آخر أن وقت الدعاء فيها بين العشاءين (٢) .

وقد اختفى موضع هذه الدار اليوم بعد التوسعة الجديدة للحرم المكي ، فلله الحمد ، حيث كفى الله المسلمين شر التبرك بها (٣) .

خامسا : المقابر :

في مكة المكرمة مقابر أثرية عديدة ، أشهرها مقبرة المعلاة (الحجون) .

وقد ذكر بعض العلماء لا سيما المؤرخون بعض الآثار والحكايات عن فضلها وبركتها ، وأن الدعاء يستجاب عندها (٤) .

ومع أن هذه المقبرة قد حوت كثيرا من سادات الصحابة والتابعين وكبار العلماء والصالحين (٥) رضي الله عنهم جميعا . إلا أن هذا لا يعني جواز التبرك بها بأي وجه من الوجوه ، وإنما المطلوب الاقتصار على الزيارة الشرعية المعروفة ، كما تقدم .

ومما تجب ملاحظته هنا أنه لا يعرف قبر أحد بعينه من الصحابة رضي الله عنهم في مكة وما حولها سوى قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها .

قال المؤرخ تقي الدين الفاسي (٦) : (لا أعلم بمكة ولا فيما قرب منها قبور

---

(١) انظر شفاء الغرام للتقي الفاسي ٢٧٤/١ .

(٢) انظر إعلام العلماء الأعلام ص ١٥٥ .

(٣) انظر فتاوى ابن إبراهيم ١٥٩/١ هـ (١) .

(٤) انظر مثلا : أخبار مكة للفاكهي ٥٠/٤ فما بعدها ، أخبار مكة للأزرقي ٢٠٩/٢ فما بعدها ، شفاء الغرام للفاسي ٢٨٤/١ فما بعدها .

(٥) شفاء الغرام ٢٨٥/١ .

(٦) هو : محمد بن أحمد بن علي بن محمد الفاسي المكي تقي الدين أبو الطيب ، المؤرخ المحدث ، تولى قضاء المالكية بمكة ، من تصانيفه : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، إرشاد الناسك إلى معرفة المناسك . توفي بمكة المكرمة سنة ٨٣٢ ه . انظر لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ لابن فهد الهاشمي المكي ص ٢٩١ ، الأعلام ٣٣١/٥ ، معجم المؤلفين ٣٠٠/٨ .

أحد ممن صحب رسول الله – ﷺ – سوى هذا القبر – يعني قبر ميمونة – لأن الخلف يأثر ذلك عن السلف) ثم قال : والموضع الذي فيه قبر ميمونة يقال له (سَرِف [١]) [٢] . والله تعالى أعلم .

سادسا : الموالد :

من المواضع التي يتبرك بها بعض الناس في مكة المكرمة ما يعرف بالموالد ، أي مواضع الولادة ، وأشهرها ما يأتي :–

١ – موضع مولد النبي ﷺ [٣] .

٢ – مولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ويقع هذا المولد بقرب مولد النبي ﷺ في شعب علي [٤] ، كما يقال .

٣ – مولد فاطمة رضي الله عنها بنت الرسول ﷺ .

ويطلق هذا المولد على دار أمها خديجة [٥] رضي الله عنها ، فقد ولدت فاطمة فيها رضي الله عنها [٦] .

وقد تقدم بيان عدم جواز التبرك بمكان ولادة الرسول ﷺ [٧] ، وكذا غيره من الأنبياء والصالحين وغيرهم [٨] .

إلى غير ذلك من المواضع الأخرى التي يتبرك بها في مكة المكرمة .

---

(١) سَرِف : بفتح أوله وكسر ثانيه موضع شمال مكة المكرمة على ستة أميال منها ، تزوج به رسول الله ﷺ ميمونة وبنى بها ، وهناك توفيت رضي الله عنها . انظر معجم البلدان ٢١٢/٣ ، معجم ما استعجم ٧٣٥/٣ ، معالم مكة التأريخية والأثرية لعاتق البلادي ص ١٣٢ .

(٢) شفاء الغرام ٢٨٧/١ .

(٣) تقدم بيان اختلاف العلماء والمؤرخين في تعيين مكان ولادته ﷺ . انظر ص (٣٥٦) فما بعدها .

(٤) انظر شفاء الغرام ٢٧٠/١ ، ٢٧١ ، إعلام العلماء الأعلام ص ١٥٩ .

وقد بني أخيرا في هذا المكان مدرسة النجاح الليلية . انظر كتاب مكة في القرن الرابع عشر الهجري ص ١٢٥ .

(٥) تقدم الكلام قريبا عن هذه الدار .

(٦) شفاء الغرام للفاسي ٢٧٠/١ ، وقد ذكر هذا المؤرخ مواضع أخرى بمكة يقال إنها موالد لبعض الصحابة كمولد عمر ومولد حمزة رضي الله عنهما ، ولكنه شكك في صحة ذلك . انظر ذلك المرجع ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٧) راجع مسألة (حكم التبرك بمكان ولادة الرسول ﷺ) ص ٣٥٥ فما بعدها .

(٨) راجع ص ٣٨٤ .

المبحث الثالث

ما يوجد منها بالمدينة المنورة

أحب أن أنبه أولا على أن الأماكن التي تشرع زيارتها بالمدينة المنورة هي – باختصار – ما يأتي :–

١ – مسجد النبي ﷺ ، وهو الذي يشرع السفر إليه للصلاة فيه ، كما تقدم [١] .

٢ – قبر النبي ﷺ وقبرا صاحبيه رضي الله عنهما . للسلام عليهم ممن كان بالمدينة ، أو من زار مسجده ﷺ [٢] .

٣ – مسجد قباء – لمن بالمدينة أو لزائرها – للصلاة فيه اقتداء بالنبي ﷺ [٣] .

٤ – قبور أهل البقيع رضي الله عنهم . لأن النبي ﷺ كان يزور البقيع ، ويسلم على أهله ، ويدعو لهم بالمغفرة والرحمة [٤] .

٥ – قبور شهداء أحد رضي الله عنهم . للسلام عليهم ، والدعاء لهم والاستغفار لأن النبي ﷺ كان يزورهم ، ويسلم عليهم ، ويدعو لهم [٥] .

ويلحق بما تقدم : ما قد يوجد أو يستحدث من القبور بالمدينة المنورة أو ما حولها .

---

(١) راجع ص ١١٧ .

(٢) راجع ص ٣٢٠ فما بعدها .

(٣) راجع ص ١١٧ .

(٤) راجع ص ٣١٨ ، ٣٤٠ .

(٥) راجع ص ٣١٨ .

فتسن زيارة هذه الأماكن – باتفاق المسلمين – على الوجه الشرعي ، وأما ما عداها فلا تشرع زيارته ، ولا التبرك به ، ولا أصل له .

وأنبه هنا على أنه لا علاقة لمناسك الحج أو العمرة بزيارة المدينة ، ولا شيء من مزاراتها .

هذا ويمكن بيان ما يوجد من المواضع بالمدينة المنورة التي يتبرك بها تبركا ممنوعا فيما يأتي :

أولا : المسجد النبوي :

تقدم أن الصلاة في مسجد النبي ﷺ تُضاعف على الصلاة في غيره إلا المسجد الحرام ، وأن الصلاة تستحب في الروضة الشريفة خاصة ، ولأجل هذا يشرع السفر لزيارة المسجد النبوي [1] .

كما يشرع لزائر المسجد النبوي – بعد الصلاة – أن يسلم على الرسول ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما على الوجه المشروع .

وما عدا تلك الأمور المشروعة ونحوها لا يجوز ، كبعض مظاهر التبرك المحدثة بالمسجد النبوي مثل التقبيل ، أو التمسح بشيء من أجزاء المسجد ، كالاعمدة ، أو الجدران ، أو الأبواب ، أو الشبابيك أو المحاريب ، أو المنبر ، أو الطواف بشيء من ذلك التماسا للبركة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبينا وجوه الاتفاق والاختلاف بين هذا المسجد وبين غيره من ناحية العبادة .

قال رحمه الله تعالى : « المساجد جميعها تشترك في العبادات ، فكل ما يفعل في مسجد يفعل في سائر المساجد ، إلا ما خص به المسجد الحرام ، من الطواف ونحوه ، فإن خصائص المسجد الحرام لا يشاركه فيها شيء من المساجد ، كما أنه لا يصلى إلى غيره .

---

(١) راجع الأدلة على ذلك ص ١١٥ – ١١٧ .

وأما مسجد النبي ﷺ ، والمسجد الأقصى ، فكل ما يشرع فيهما من العبادات يشرع في سائر المساجد : كالصلاة والدعاء ، والذكر والقراءة ، والاعتكاف ، ولا يشرع فيهما جنس لا يشرع في غيرهما ، لا تقبيل شيء ولا استلامه ، ولا الطواف به ، ونحو ذلك ، لكنهما أفضل من غيرهما ، فالصلاة فيهما تضاعف على الصلاة في غيرهما » (1) .

ويدخل فيما تقدم مما لا يجوز التبرك به : التبرك بالحجرة النبوية .

وهي التي كانت مسكن النبي ﷺ وأزواجه رضي الله عنهن ، بجوار مسجده ﷺ ، وفيها قبر النبي ﷺ وقبرا صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

فلا يجوز التبرك بالحجرة النبوية بأي وجه كان (2) ، باتفاق العلماء .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « اتفقوا على أنه لا يستلم الحجرة ، ولا يقبلها ، ولا يطوف بها ، ولا يصلي إليها » إلى أن قال : « ولا يدعو هناك مستقبلا الحجرة ، فإن هذا كله منهي عنه باتفاق الأئمة » (3) .

ثانيا : المساجد الأخرى :

تبين لنا مما تقدم أنه لا يشرع زيارة مسجد بعينه للصلاة فيه في المدينة المنورة سوى مسجد الرسول ﷺ ومسجد قباء فقط . فما عداهما من المساجد لا تشرع زيارته ولا قصده ، كالمساجد التي يقال إن النبي ﷺ صلى أو دعا فيها ، وقد سبق بيان عدم مشروعية ذلك .

« ولهذا لم يستحب علماء السلف – من أهل المدينة وغيرها – قصد شيء

---

(1) اقتضاء الصراط المستقيم ٨١٦/٢ .

(2) لقد تقدم – في الفصل الأول – بيان مظاهر التبرك الممنوع بقبر الرسول ﷺ ، وأدلة عدم جوازه .

(3) مجموعة الرسائل الكبرى ٤٠٨/٢ ، وانظر أيضا الروض المربع للبهوتي ١٥٢/١ .

من المساجد والمزارات التي بالمدينة وما حولها بعد مسجد النبي ﷺ إلا مسجد قباء ، لأن النبي ﷺ لم يقصد مسجدا بعينه يذهب إليه إلا هو » (١) .

قال ابن تيمية رحمه الله : « كان بالمدينة مساجد كثيرة ، لكل قبيلة من الانصار مسجد ، لكن ليس في قصده دون أمثاله فضيلة ، بخلاف مسجد قباء . فإنه أول مسجد بني بالمدينة على الاطلاق ، وقد قصده الرسول ﷺ بالذهاب إليه » (٢) .

ومع هذا نجد أن بعض المؤلفين في المناسك ، وبعض المؤرخين يذكرون المساجد التي صلى فيها عليه الصلاة والسلام ، ويستحبون زيارتها ، والصلاة فيها ، التماسا للبركة (٣) .

هذا ومن أشهر المساجد التي تزار وتقصد من قبل البعض للعبادة والتبرك ما يأتي :-

١ - مسجد الجمعة (٤) : قيل إنه هو المسجد الذي صلى فيه الرسول ﷺ أول جمعة بالناس ، حين غادر قباء قاصدا المدينة ، عند هجرته من مكة ، فأدركته الجمعة في الطريق فصلاها فيه عليه الصلاة والسلام (٥) .

٢ - مسجد القبلتين (٦) : يروى أن الرسول ﷺ صلى فيه بأصحابه

---

(١) تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ٣٣٨ ، وانظر الاقتضاء ٨٠٧/٢ ، وكتاب البدع لابن وضاح ص ٤٣ .

(٢) تفسير سورة الاخلاص ص ٣٣٨ .

(٣) من هؤلاء المؤلفين والمؤرخين : الغزالي في كتابه احياء علوم الدين ٢٦٠/١ ، وابن فرحون المالكي في كتابه إرشاد السالك إلى أفعال المناسك ٨٩٩/٢ ، والقسطلاني في كتابه المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٤٠١/٢ ، والسمهودي في كتابه وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ٨١٩/٣ فما بعدها ١٣٩٠/٤ .

(٤) يوجد هذا المسجد حاليا على يمين الطريق الرئيسي القادم من قباء إلى المدينة المنورة ، ويبعد عن مسجد قباء حوالي نصف كيلو متر . انظر كتاب أشهر المساجد في الإسلام لسيد عبد المجيد ٢٣٠/١ .

(٥) انظر سيرة ابن هشام ٤٩٤/٢ ، وفاء الوفا للسمهودي ٨١٩/٣ - ٨٢١ .

(٦) يقع هذا المسجد غربي المدينة المنورة ، وقد تم بناؤه أخيرا على الطراز الحديث .

الظهر ، فلما صلى ركعتين أمر أن يولي وجهه إلى المسجد الحرام ، فاستدار الرسول ﷺ إلى الكعبة ، فسمي هذا المسجد مسجد القبلتين [١] .

٣ - مسجد الاجابة [٢] : جاء في صحيح مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم ، حتى إذا مر بمسجد بني معاوية [٣] ، دخل فركع فيه ركعتين ، وصلينا معه ودعا ربه طويلا ، ثم انصرف إلينا ، فقال ﷺ : « سألت ربي ثلاثا فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة ... » [٤] الحديث .

فهذا سبب تسمية هذا المسجد بمسجد الاجابة [٥] .

٤ - مساجد الفتح : أي مسجد الفتح والمساجد التي حوله [٦] .

وقد روي أن النبي ﷺ دعا ربه في مسجد الفتح ثلاث مرات ، فاستجيب له في الثالثة [٧] .

ومسجد الفتح هو الأصل لتلك المساجد ، وسبب تسميته بذلك لأنه أجيبت فيه دعوة النبي ﷺ على الأحزاب ، فكان فتحا على الاسلام ، وقيل غير ذلك [٨] .

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٤١/١ ، ٢٤٢ ، تفسير البغوي ١٢٥/١ ، فتح الباري ٥٠٣/١ ، وفاء الوفا ٨٤١/٣ ، ٨٤٢ .

(٢) يقع شرق المسجد النبوي وشمال شرق البقيع ، وقد تمت عمارته حديثا . انظر كتاب أشهر المساجد في الإسلام ٢٣٨/١ .

(٣) هو معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو الأوسي الأزدي القحطاني . جد جاهلي . من نسله : جابر بن عتيك الصحابي البدري .

انظر وفاء الوفاء للسمهودي ٨٢٨/٣ ، الاعلام ٢٦٣/٧ ، معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة ١١٢٠/٣ .

(٤) صحيح مسلم ٢٢١٦/٤ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض .

(٥) وفاء الوفا لسمهودي ٨٢٩/٣ .

(٦) تقع مساجد الفتح على السفح الغربي لجبل سلع في موضع معسكر المسلمين أثناء غزوة الخندق (الأحزاب) . انظر كتاب أشهر المساجد في الإسلام ٢٤٦/١ .

(٧) انظر مسند الإمام أحمد ٣٣٢/٣ ، وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية على إسناد هذا الحديث فقال : (وفي إسناد هذا الحديث كثير بن زيد ، وفيه كلام : يوثقه ابن معين تارة ، ويضعفه أخرى) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٠٨/٢ .

(٨) انظر وفاء الوفا للسمهودي ٨٣٥/٣ .

وقد بني حول هذا المسجد في قبلته مساجد أخرى صغيرة متقاربة ، سميت بأسماء بعض الصحابة (١) .

وقد ادعى بعضهم أن النبي عليه الصلاة والسلام صلى في مسجد الفتح والمساجد التي حوله (٢) .

ويقال إن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قد حفظ تاريخ غزوة الأحزاب ببناء تلك المساجد في مواطن بعض الخيام ، على سبيل التقدير والتقريب (٣) .

٥ - مسجد المصلى (٤) : قيل إنه كان موضع مصلى العيد للنبي ﷺ ، وكان صحراء لا بناء بها ، ولم يبن إلا في عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله (٥) .

ويعرف هذا المسجد الآن بمسجد الغمامة (٦) .

وهناك مساجد أخرى عديدة على الطريق بين مكة والمدينة ، ينسب للنبي

---

(١) انظر كتاب أشهر المساجد في الإسلام ٢٤٧/١ - ٢٥٢ ، وقد أنكر المؤرخ السمهودي رحمه الله تعيين وتسمية هذه المساجد بقوله : (ولم أقف في ذلك كله على أصل) وفاء الوفا ٨٣٧/٢ .

(٢) انظر وفاء الوفا للسمهودي ٨٣٦/٣ .

(٣) من رسالة آداب زيارة المسجد النبوي والسلام على رسول الله ﷺ لعطية محمد سالم ص ٧٤ ، وانظر كتاب فصول من تاريخ المدينة المنورة لعلي حافظ ص ١٣١ .

ولقد جدد بناء تلك المساجد بعد ذلك ، ولا زالت باقية إلى هذا اليوم ، وتُعرف بالمساجد السبعة ، والموجود منها ستة فقط .

وقد مررت بهذا المساجد - أثناء زيارتي المدينة سنة ١٤٠٩ هـ - فرأيت بعض الزوار يقصدونها للصلاة والدعاء . ومما لاحظته من العادات المتبعة هناك : الكتابة على جدران هذه المساجد من الداخل هذه العبارة (أو دعت هذا الكلام : (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) من يومي هذا إلى يوم القيامة) ثم يكتب الاسم أو التوقيع ويليه التاريخ .

(٤) يقع هذا المسجد جنوب غربي المسجد النبوي .

(٥) انظر وفاء الوفا للسمهودي ٧٨٤/٣ ، ٧٨٥ ، وانظر تاريخ المدينة المنورة لابن شبة ٧٤/١ ، ١٣٤ فما بعدها .

(٦) قيل في سبب تسميته بذلك ما علم في السيرة النبوية أن الرسول ﷺ أثناء سفره إلى الشام قبل بعثته كانت تظله غمامة إذا اشتد الحر ، فأطلق اسم (الغمامة) على هذا المسجد تخليدا لهذه المعجزة .

انظر كتاب آثار المدينة المنورة لعبد القدوس الأنصاري ص ١١٨ ، ورسالة آداب زيارة المسجد النبوي لعطية محمد سالم ص ٧١ .

ﷺ أنه صلى فيها (١) ، وكذا على الطريق بين المدينة وتبوك (٢) ، وبين المدينة وخيبر (٣) .

فلا تشرع زيارة وقصد هذه المساجد ونحوها لأجل العبادة كالصلاة ، أو الدعاء ، على ضوء ما تقدم بيانه .

ثالثا : الجبال :

من أشهر جبال المدينة جبل أحد ، ويقع في شمالها ، وهو الذي حصلت عنده المعركة المشهورة .

وقد ورد في فضل هذا الجبل عدة أحاديث ، أصحها ماجاء في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طلع له أحد فقال : « هذا جبل يحبنا ونحبه ... » (٤) .

وللعلماء في معنى قوله ﷺ : « يحبنا ونحبه » أقوال : أحدها : أنه على المجاز ، والمراد أهل أحد ، فحذف المضاف .

ثانيها : أنه للمسرة بلسان الحال ، كأنه يبشره إذا قدم من سفر بقربه من أهله ، وذلك فعل المحب .

ثالثها : أن هذه المحبة على الحقيقة (٥) .

---

(١) انظر صحيح البخاري ١٢٤/١ - ١٢٦ كتاب الصلاة ، باب المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ ، وانظر أيضا وفاء الوفا للسمهودي ١٠٠١/٣ - ١٠٢٧ .

(٢) انظر كتاب المناسك للحربي ص ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، وكتاب وفاء الوفا للسمهودي ١٠٢٩/٣ ، ١٠٣١ .

(٣) انظر وفاء الوفا ١٠٢٧/٣ - ١٠٢٩ .

(٤) صحيح البخاري ٤٠/٥ كتاب المغازي ، باب أحد يحبنا ونحبه ، وصحيح مسلم ٩٩٣/٢ كتاب الحج ، باب فضل المدينة .

(٥) فتح الباري ٨٧/٦ ، ٣٧٨/٧ ، وفاء الوفا للسمهودي ٩٢٨/٣ بتصرف .

وقد اختار هذا القول الأخير المحققون من العلماء ، وقالوا : لا مانع من وقوع مثل ذلك ، بأن يخلق الله المحبة – أو نحوها – في بعض الجمادات [١] ، كما قال تعالى ﴿ وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾ [٢] ولهذا شواهد عديدة [٣] .

ولورود بعض الأحاديث في فضل (أحد) ذكر بعض المؤلفين أنه تسن زيارة هذا الجبل [٤] .

ولكن ليس فى تلك الأحاديث ما يدل على استحباب زيارته ، إنما عند الزيارة لشهداء أحد رضي الله عنهم يمكن للزائر مشاهدة جبل أحد [٥] ، الذي ذكره الرسول ﷺ .

وعلى أي حال فلا يجوز التبرك بجبل أحد ، ولا غيره من الجبال ، كقصد الصلاة أو الدعاء عنده ، أو أخذ شيء من ترابه أو أحجاره ، ونحو ذلك ، لعدم مشروعيته .

رابعا : الآبار :

لقد استحب بعض العلماء [٦] أن يأتي الزائر الآبار التي شرب منها النبي ﷺ ، أو توضأ أو اغتسل [٧] ، فيشرب ويتوضأ ويغتسل ، تبركا بمائها وطلبا للشفاء .

---

(١) فتح الباري ٨٧/٦ .

(٢) سورة البقرة (٧٤) .

(٣) راجع كتاب شرح السنة للبغوي ٣١٤/٧ ، ٣١٥ ، وشرح النووي لصحيح مسلم ١٣٩/٩ ، ١٤٠ ، ووفاء الوفا للسمهودي ٩٢٨/٣ ، ٩٢٩ .

(٤) انظر مثلا كتاب الذخائر القدسية في زيارة خير البرية لعبد الحميد بن محمد الخطيب ص ١٧٨ .

(٥) منهاج المسلم لأبي بكر الجزائري ص ٢٩٣ .

(٦) من هؤلاء العلماء : الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين ٢٦٠/١ ، ٢٦١ ، والنووي في كتاب الإيضاح في المناسك ص ١٦٢ ، والسمهودي في وفاء الوفا ١٤١٢/٤ .

(٧) انظر تفصيل ذكر الآبار المنسوبة للنبي ﷺ في كتاب تاريخ المدينة لابن شبة ١٥٦/١ – ١٦٢ ، وكتاب وفاء الوفا للسمهودي ٩٤٢/٣ – ٩٨٣ .

والمشهور أن عدد هذه الآبار سبع ، وقد اندثر أكثرها ، أو هجر في هذا العصر [١] .

ولا شك أن التبرك بالآبار التي استعملها الرسول ﷺ على أي وجه لا أصل له ، وليس مشروعا ، كما سلف بيانه في الفصل الأول .

خامسا : المقابر :

١ - مقبرة البقيع ، الواقعة جنوب شرق المسجد النبوي .

وهي مقبرة أهل المدينة منذ زمن النبي ﷺ إلى يومنا هذا [٢] .

ولا شك أن أكثر الصحابة رضي الله عنهم ممن توفي في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته مدفون بالبقيع ، وكذلك سادات أهل بيت النبي ﷺ ، وسادات التابعين رحمهم الله [٣] .

وأغلب هذه القبور لا يُعرف على وجه التحديد ، لاجتناب السلف الصالح رحمهم الله تعظيم القبور ، والكتابة عليها ، وتجصيصها [٤] .

وقد وضعت قباب على بعض القبور في عصور مضت ، كما ذكر المؤرخون ، إلا أنها أزيلت أخيرا [٥] ، ولله الحمد .

٢ - مقبرة شهداء أحد رضي الله عنهم ، الواقعة شمال المدينة ، عند جبل أحد . وقد دفن فيها الصحابة الذين استشهدوا في غزوة أحد رضي الله عنهم أجمعين ، ومن هؤلاء سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي ﷺ .

---

(١) لقد وصف المؤرخ المعاصر عبد القدوس الأنصاري هذه الآبار ، وحدد أماكنها في كتابه آثار المدينة المنورة ص ٢٣٧ - ٢٥٢ .

(٢) آثار المدينة المنورة لعبد القدوس الأنصاري ص ١٧١ .

(٣) وفاء الوفا للسمهودي ٩١٦/٣ .

(٤) المرجع السابق ٩١٦/٣ .

(٥) لقد أزيلت تلك القباب ونحوها عن المدينة وغيرها بفضل الله تبارك وتعالى ثم بفضل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

وقد ورد في فضل البقيع ، وزيارة أهله ، والسلام عليهم ، والدعاء لهم عدة أحاديث [١] ، وأن النبي ﷺ كان يسلم عليهم ويستغفر لهم ، كما تقدم .

كما ورد أنه ﷺ كان يزور شهداء أحد ، ويسلم عليهم ويدعو لهم ، كما تقدم .

فعلى هذا تسن زيارة أهل البقيع ، وشهداء أحد ، للسلام عليهم والدعاء لهم ، اقتداء بالنبي ﷺ ، ولعموم الأمر بزيارة القبور ، للسلام على أهلها ، ولتذكر الموت والآخرة .

والواجب الاقتصار على هذه الزيارة المشروعة فقط .

ولا يتبرك بتلك القبور بأي وجه ، مع أنها تضم الآلاف من خير القرون ، ثم من بعدهم رضي الله عنهم ، لعدم مشروعية ذلك حتى عند قبور الأنبياء ، كما تقدم .

فلا يجوز طلب الحاجات من أهل تلك القبور ، ولا الدعاء أو الصلاة عند قبورهم ، ولا حمل شيء من تربتها ، أو التمسح بها تبركا واستشفاء ، مما يوجد عند بعض الزوار ، هداهم الله .

فكل هذا ونحوه من البدع المحدثة في الدين ، كما سبق بيان ذلك مفصلا في الباب الماضي (مبحث التبرك بقبور الصالحين) .

إلى غير ذلك من المواضع الأخرى التي يتبرك بها في المدينة المنورة .

* * *

---

(١) انظر مثلا كتاب تاريخ المدينة لابن شبة ٨٦/١ – ٩٧ ، ووفاء الوفا للسمهودي ٨٨٣/٣ – ٨٩٠ .

المبحث الرابع
ما يوجد منها بالشام

مما ينبغي التنبيه عليه هنا أنه ليس في بلاد الشام مكان تشرع زيارته سوى المسجد الأقصى – خلّصه الله تعالى – فإن زيارته مشروعة ، ولو مع شد الرحل إليه ، كما تقدم (١) .

وما عدا ذلك من الأماكن فلا تشرع زيارته ، إلا زيارة القبور – على الوجه الشرعي – التي هي عامة للقبور في كل مكان ، كما هو معلوم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا ذلك : « ليس ببيت المقدس مكان يقصد للعبادة سوى المسجد الأقصى ، لكن إذا زار قبور الموتى ، وسلم عليهم ، وترحم عليهم ، كما كان النبي ﷺ يعلّم أصحابه فحسن ... الخ » (٢) .

كما أنبه أيضا إلى أن زيارة القدس لا تعلق لها بالحج ، فإن من العوام ، وخاصة من أهل الشام ، من يقصد تلك الزيارة مع الحج تقربا ، ويطلقون على ذلك (تقديس الحج) .

وقد نص بعض العلماء على حكم هذه المسألة .

قال الامام النووي رحمه الله : زيارة القدس مستحبة ، لكنها غير متعلقة بالحج ، وقول بعض العامة إذا حج : أقدّس حجي ، ويذهب فيزور بيت المقدس ، ويرى ذلك من تمام الحج ، هذا باطل (٣) .

---

(١) راجع ص ١٢٨ .

(٢) مجموعة الرسائل الكبرى ٦٢/٢ .

(٣) الإيضاح للنووي ص ١٦٥ ، ١٦٦ بتصرف يسير .

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله : « وأما زيارة بيت المقدس فمشروعة في جميع الأوقات .. وليس السفر إليه مع الحج قربة ، وقول القائل : « قدّس الله حجتك » قول باطل لا أصل له » [١] .

هذا ويمكن بيان ما يوجد من المواضع بالشام التي يتبرك بها تبركا ممنوعا فيما يأتي :

أولا : المسجد الأقصى :

تقدم أن الصلاة في المسجد الأقصى تضاعف فيه ، وأنه أحد المساجد الثلاثة التي تُشد الرحال إليها [٢] .

فعلى هذا يستحب السفر إلى المسجد الأقصى للصلاة فيه ، ونحو ذلك من العبادات المشروعة التي تفعل في سائر المساجد ، وما عدا هذا لا يجوز ، كبعض مظاهر التبرك المبتدعة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا ذلك : « السفر إلى المسجد الأقصى ، والصلاة فيه ، والدعاء ، والذكر ، والقراءة والاعتكاف ، مستحب في أي وقت شاء ، سواء كان عام الحج أو بعده ، ولا يفعل فيه وفي مسجد النبي ﷺ إلا ما يفعل في سائر المساجد ، وليس فيها شيء يتمسح به ، ولا يقبل ، ولا يطاف به ، هذا كله ليس إلا في المسجد الحرام خاصة » [٣] .

ثانيا : الصخرة :

روى الإمام أحمد في مسنده عن عبيد بن آدم [٤] أنه قال : « سمعت عمر

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى ٦٤/٢ .

(٢) راجع ص ١٢٦ فما بعدها .

(٣) مجموع الفتاوى ١٥٠/٢٦ ، وانظر ١٠/٢٧ .

(٤) هو عبيد بن آدم ، سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وروى عن أبي هريرة وروى عنه أبو سنان عيسى بن سنان القسملي .
انظر الجرح والتعديل ٤٠١/٥ .

ابن الخطاب رضي الله عنه يقول لكعب [١] : أين ترى أن أصلي ؟ فقال : إن أخذت عني صليت خلف الصخرة ، فكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر رضي الله عنه : ضاهيت اليهودية [٢] ، لا ، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ ، فتقدم إلى القبلة فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه ، فكنس الكناسة في ردائه ، وكنس الناس) [٣] .

وقد كانت الصخرة قبلة اليهود ، وكانوا يعظمونها ، فجعلها النصارى مزبلة ، مكافأة لليهود الذين كانوا يلقون القمامة على قبر المصلوب ، الذي شبه لهم بعيسى عليه السلام [٤] .

وقد روي في فضائل هذه الصخرة وتعظيمها كثير من الاسرائيليات [٥] ، حتى روى بعضهم عن كعب الأحبار : إن الله قال للصخرة : « أنتِ عرشي الأدنى » [٦] . ولما سمع عروة بن الزبير [٧] هذا ، قال : سبحان الله ، يقول الله تعالى ﴿ وسع

---

(١) حصل هذا عند فتح بيت المقدس ، وأما كعب فهو كعب بن ماتع الحميري اليماني التابعي العلامة كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر رضي الله عنه فجالس الصحابة وكان يحدثهم عن الكتب الاسرائيلية ويغزو معهم ، يقال له كعب الأحبار لكثرة علمه . توفي بحمص ذاهبا للغزو في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه .

انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٦٨/٢ ، سير أعلام النبلاء ٤٨٩/٣ ، تذكرة الحفاظ ٥٢/١ ، تهذيب التهذيب ٤٣٨/٨ .

(٢) أي شابهتها وعارضتها ، والمضاهاة : المشابهة . من كتاب النهاية لابن الأثير ١٠٦/٣ .

(٣) مسند الإمام أحمد ٣٨/١ . وقال الإمام ابن كثير : إسناده جيد . انظر البداية والنهاية ٥٨/٧ .

(٤) انظر تفصيل ذلك في كتاب البداية والنهاية لابن كثير ٥٦/٧ ، ٥٨ .

(٥) انظر مثلا : فضائل القدس لابن الجوزي ص ١٣٩ - ١٤٧ ، وفضائل بيت المقدس لمحمد بن عبد الواحد المقدسي ص ٥٦ - ٥٩ .

(٦) روى ذلك الإمام ابن الجوزي في كتاب فضائل القدس ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، وهذه تتمة الرواية (منك ارتفعت إلى السماء ، ومنك بسطت الأرض ، ومن تحتك جعلت كل ماء عذب يطلع في رؤوس الجبال) . ثم عقب على ذلك بذكر قول ابن حبان الحافظ : (هذا حديث لا يشك عوام أهل الحديث أنه موضوع . .) .

(٧) هو عروة بن الزبير بن العوام أبو عبد الله القرشي الأسدي المدني أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وكان عالما بالسيرة حافظا ثبتا صالحا .

توفي سنة ٩٤ هـ .

انظر وفيات الأعيان ٢٥٥/٣ ، سير أعلام النبلاء ٤٢١/٤ ، تذكرة الحفاظ ٦٢/١ ، طبقات الحفاظ ص ٢٩ .

كرسيه السموات والأرض ﴾ (١) وتكون الصخرة عرشه الأدنى ! (٢) . ولهذا قال الإمام ابن القيم رحمه الله : « كل حديث في الصخرة فهو كذب مُفترى » (٣) .

ومما زعموا أن على الصخرة أثر قدم النبي ﷺ عندما صعد منها ليلة المعراج (٤) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله منكرا ذلك وأمثاله : « وما يذكره بعض الجهال فيها – أي الصخرة – من أن هناك أثر قدم النبي ﷺ ، وأثر عمامته ، فكله كذب ، وأكذب منه من يظن أنه موضع قدم الرب » (٥) .

وقال تلميذه ابن القيم رحمه الله : « والقدم الذي فيها كذب موضوع ، مما عملته أيدي المزوِّرين ، الذين يُروّجون لها ليكثر سواد الزائرين » (٦) . والمقصود أنه ليس للصخرة مزية في الاسلام ، ولا خصوصية في العبادة ، وإنما هي كانت قبلة منسوخة .

يقول الإمام ابن القيم : « وأرفع شيء في الصخرة : أنها كانت قبلة اليهود ، وهي في المكان كيوم السبت في الزمان ، أبدل الله بها هذه الأمة المحمدية : الكعبة البيت الحرام » (٧) اهـ .

ولهذا فإن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لم يصلّ عند الصخرة ، كما ورد في الحديث السابق ، لأن في هذا تعظيما لها .

---

(١) سورة البقرة (٢٥٥) .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٨١٠/٢ ، المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم ص ٨٦ بتصرف .

(٣) المنار المنيف ص ٨٧ .

(٤) انظر كتاب الآثار النبوية لأحمد تيمور باشا ص ٦٤ .

(٥) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ٦٢/٢ .

(٦) المنار المنيف ص ٨٧ .

(٧) المرجع السابق ص ٨٨ ، وانظر مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ٦٢/٢ .

قال الامام ابن كثير رحمه الله بعد سياقه لذلك الحديث : فلم يعظّم – أي عمر رضي الله عنه – الصخرة تعظيما يصلي وراءها وهي بين يديه ، كما أشار كعب الأحبار – وهو من قوم يعظّمونها حتى جعلوها قبلتهم ، ولكن منّ الله عليه بالاسلام فهدي إلى الحق – ولهذا لما أشار بذلك قال له أمير المؤمنين عمر : « ضاهيت اليهودية » ولا أهانها إهانة النصارى ، الذين كانوا قد جعلوها مزبلة ، من أجل أنها قبلة اليهود ، ولكن أماط عنها الأذى ، وكنس عنها الكناسة بردائه . وهذا شبيه بما جاء في صحيح مسلم عن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجلسوا على القبور ولا تصلّوا إليها [١] » [٢] .

فعلى هذا لا يجوز تعظيم الصخرة ، ولا التبرك بها بأي وجه كان ، كالصلاة عندها ، أو تقبيلها ، أو التمسح بها ، أو الطواف حولها ، ونحو ذلك ، ولم يفعل ذلك الصحابة ، ولا التابعون لهم بإحسان .

قال ابن تيمية رحمه الله : « لم يصلّ عمر ولا المسلمون عند الصخرة ، ولا تمسحوا بها ، ولا قبّلوها ... وقد ثبت أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان إذا أتى بيت المقدس دخل إليه ، وصلى فيه ، ولا يقرب الصخرة ولا يأتيها ، ولا يقرب شيئا من تلك البقاع ، وكذلك نقل عن غير واحد من السلف المعتبرين : كعمر بن عبد العزيز ، والأوزاعي [٣] ، وسفيان الثوري ، وغيرهم . وذلك أن سائر بقاع المسجد لا مزية لبعضها على بعض ، إلا ما بناه عمر رضي الله عنه لمصلى المسلمين » [٤] اهـ .

وأما بناء القبة على الصخرة : فإنه لم يوجد إلا بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم .

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٠٢ .

(٢) من تفسير ابن كثير ١٨/٣ .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد أبو عمرو الأوزاعي عالم أهل الشام ، كان خيرا فاضلا كثير العلم والفقه والحديث حجة ، وكان له مذهب مستقل مشهور عمل به فقهاء الشام مدة وفقهاء الاندلس ثم فني . توفي الأوزاعي سنة ١٥٧ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ١٠٧/٧ ، تذكرة الحفاظ ١٧٨/١ ، البداية والنهاية ١١٥/١٠ ، شذرات الذهب ٢٤١/١ .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ٨٠٩/٢ .

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه لم يكن على عهد الخلفاء الراشدين على الصخرة قبة ، بل كانت مكشوفة في خلافة عمر ، وعثمان ، وعلي ، ومعاوية ، ويزيد ، ومروان ، ثم ذكر أنه لما تولى ابنه عبد الملك الشام بني القبة على الصخرة ، وكساها في الشتاء والصيف ، ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس [١] .

وقال في موضع آخر : « وظهر في ذلك الوقت تعظيم الصخرة وبيت المقدس ما لم يكن المسلمون يعرفونه بمثل هذا ، وجاء بعض الناس ينقل الإسرائيليات في تعظيمها ... » [٢] الخ .

ثالثا : المساجد الأخرى :

سبق في مقدمة هذا المبحث بيان أنه لا يزار في بلاد الشام من الأماكن سوى المسجد الأقصى ، فعلى هذا لا تشرع زيارة المساجد الأخرى ، ولا تحري الصلاة أو الدعاء فيها .

هذا ومن أشهر تلك المساجد في بلاد الشام ، التي تزار وتقصد من قبل البعض تبركا ما يأتي :-

١ - الجامع الأموي بدمشق .

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى ٦٢/٢ باختصار .

وقد ذكر بعض المؤرخين أن الذي حمل عبد الملك على بناء القبة على الصخرة هو إشغال الناس بزيارة بيت المقدس عن الاجتماع بابن الزبير بمكة وقت الحج ، حتى قيل إن عبد الملك منع الناس من الحج إلى مكة (انظر ما نقله ابن كثير في البداية والنهاية ٢٨٠/٨) وهذا بعيد ، فلعل الأقرب - والله أعلم - أن هذف عبد الملك يعود إلى رغبته في مواجهة روعة بناء الكنائس في القدس - كما أشار إلى ذلك بعض المؤلفين . انظر مثلا كتاب تاريخ القدس للدكتور شفيق جاسر محمود ص ٢٠١ ، فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة للدكتور محمود إبراهيم ص ٥٥ ، بيت المقدس وما حوله للدكتور محمد عثمان شبير ص ٩١ .

وعلى أي حال فإن بناء تلك القبة لا داعي له ، بل إن هذا العمل كان له أثر واضح في تعظيم الصخرة وتقديسها عند الناس .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٨١٠/٢ .

زعم بعضهم أن الصلاة في هذا الجامع تضاعف بتسعين صلاة [١] ، وأن فيه ثلاثمائة نبي مدفونين .

وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حين سئل عن ذلك بقوله : « لم يرد في جامع دمشق حديث عن النبي ﷺ بتضعيف الصلاة فيه ، ولكن هو من أكثر المساجد ذكرا لله تعالى ، ولم يثبت أن فيه عدد الأنبياء المذكورين » [٢] .

٢ - مسجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ببَرزَة [٣] ، قرب دمشق .

يقال إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام صلى في مكان بقرية برزة ، واتخذه مسجدا [٤] ، فسمي باسمه .

وزعموا أنه من المواضع التي يستجاب فيها الدعاء ، وأن من صلى فيه أربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه [٥] ، وهذه دعاوى باطلة ، لا دليل عليها .

٣ - مسجد الطور [٦] : يقال إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلى فيه حين حضر لفتح القدس [٧] .

وسواء أثبت هذا الخبر - وأمثاله - أم لم يثبت ، فالحكم بعدم مشروعية التبرك لا يتغير .

إلى غير ذلك من المساجد الأخرى الكثيرة ، التي بنيت على آثار الانبياء ، أو الصالحين تبركا .

---

(١) بل ذكر بعضهم أنها تضاعف بثلاثين ألف صلاة . انظر كتاب فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن الربعي ص ٣٧ .

(٢) مجموع الفتاوى ٤٨/٢٧ .

(٣) بَرزَة : قرية من غوطة دمشق . ينسب إليها بعض العلماء . راجع معجم البلدان ٣٨٢/١ .

(٤) من كتاب الاشارات إلى أماكن الزيارات المسمى (زيارات الشام) لابن الحوراني ص ١٢٠ .

(٥) انظر فضائل الشام ودمشق للربعي ص ٦١ ، وتخريج أحاديث هذا الكتاب للألباني ص ٦٧ ، ٦٨ ، وانظر أيضا كتاب الإشارات لابن الحوراني ص ١٢٠ .

(٦) يقع هذا المسجد وسط جبل الزيتون ، ويسمى مسجد الصعود ، وقد بني في عهد صلاح الدين الأيوبي ، وأقيمت فيه قبة تشبه قبة الصخرة . انظر كتاب المسجد الأقصى المبارك وما يتهدده من حفريات اليهود ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٧) تاريخ القدس للدكتور شفيق جاسر محمود ص ٢٦ .

وقد تقدم الاستدلال على عدم مشروعية التبرك بآثار الرسول ﷺ المكانية ، فكذا سائر الأنبياء ، وكذا الصالحون ، وغيرهم ، لا يجوز التبرك بآثارهم المكانية .

رابعا : الجبال :

من أشهر الجبال التي يتبرك بها بعض الناس ما يأتي :-

١ - جبل الطور : ويسمى جبل الزيتون [١] لكثرة وجود شجر الزيتون فيه [٢] .

قيل عن هذا الجبل : منه رُفع عيسى عليه السلام ، وعليه يُنصب الصراط ، وفيه مصلى عمر بن الخطاب ، وفيه قبور الأنبياء [٣] ، والله تعالى أعلم .

٢ - جبل قاسيون : وهو جبل مشرف على مدينة دمشق ، فيه عدة مغاور ، بها آثار للانبياء والصالحين [٤] ، كما يقال .

ومن ذلك مغارة تعرف بمغارة الدم [٥] ، يقال : بها قتل قابيل أخاه هابيل - ابني آدم عليه السلام - وهناك حجر عليه مثل أثر الدم ، يزعمون أنه الحجر الذي فلق به هامته [٦] .

---

(١) يسمى أيضا (طور زيتا) ويقع شرقي القدس ، بينهما واد يسمى (وادي جهنم) . من كتاب رحلتي إلى القدس لعبد الغني النابلسي ص ٢٧ ، وكتاب تاريخ القدس للدكتور شفيق محمود ص ٢٧ .

(٢) تاريخ القدس ص ٢٥ .

(٣) معجم البلدان للحموي ٤٨/٤ ، وتاريخ القدس ص ٢٧ ، وقد تقدم في المبحث الأول نهي بصرة الغفاري رضي الله عنه أبا هريرة رضي الله عنه عن السفر إلى الطور .

(٤) معجم البلدان ٢٩٥/٤ ، وانظر رحلة ابن جبير ص ٢٤٧ .

(٥) لقد أسرف البعض في بيان فضل هذه المغارة حتى نسبوا للزهري رحمه الله أنه قال : (لو يعلم الناس ما في مغارة الدم من الفضل لما هنأهم طعام ولا شراب إلا فيها) جاء ذلك في كتاب فضائل الشام ودمشق للربعي ص ٦٧ ، وانظر ما ذكره المؤلف من آثار في فضل هذه المغارة ص ٦٢ - ٦٨ ، وقد تعقب الألباني حفظه الله هذه الآثار (في تخريجه لأحاديث الكتاب ص ٦٧ ، ٦٨) مبينا بطلانها .

(٦) معجم البلدان ٢٩٦/٤ ، آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص ١٨٩ .

كما يقال أيضا : إن بعض الأنبياء قد صلى في هذه المغارة [١] .

ومن ذلك مغارة الجوع ، يزعمون أنه مات بها أربعون نبيا [٢] ، وقيل سبعون ، ماتوا بها جوعا ! [٣] .

٣ - جبل لبنان : من الجبال التي يعتقد فيها بعض الناس البركة والفضل [٤] .

وقد زعموا أنه يأوي إليه الأبدال [٥] ، ولا يخلو عنهم أبدا ، لما فيه من القوت الحلال [٦] .

إلى غير ذلك من الجبال الأخرى في بلاد الشام . التي يقصدها بعض الناس للصلاة والدعاء تبركا .

فلا يجوز التبرك بها بأي وجه من الوجوه ، ولا تشرع زيارتها ، أو الصعود إليها ، ولا الصلاة أو الدعاء عندها ، ونحو ذلك .

ولم يكن هذا من هدي السلف الصالح رحمهم الله من الصحابة فمن بعدهم ، فلم يكونوا يقصدون شيئا من هذه الأمكنة ، ونحوها ، بل إن هذا من البدع المحدثة .

---

(١) فضائل الشام ودمشق للربعي ص ٥٧ ، ورحلة ابن جبير ص ٢٤٧ .

(٢) معجم البلدان ٢٩٦/٤ .

(٣) رحلة ابن جبير ص ٢٤٨ .

(٤) مما حكى بعضهم في شأن جبل لبنان : أن الذئب لايعدو على الشاة في هذا الجبل المبارك ! انظر كتاب حلّة الذهب الابريز في رحلة بَعلبَك والبقاع العزيز لعبد الغني النابلسي ص ١٠٤ .

(٥) الأبدال : هم الأولياء والعباد ، الواحد بدل - كحمل وأحمال - سموا بذلك لأنهم كلما مات واحد منهم أُبدل بآخر (من كتاب النهاية لابن الأثير ١٠٧/١) . وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن اسم (الأربعين الابدال) ونحوه لا يوجد في كتاب الله تعالى ، ولم يؤثر عن النبي ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف ، وقد روي في الأبدال حديث شامي منقطع الاسناد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : (إن فيهم - يعني أهل الشام - الأبدال الأربعين رجلا ، كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا) انظر مجموع الفتاوى ٤٣٣/١١ ، ٤٣٤ ، ٤٤١ - ٤٤٣ .

(٦) آثار البلاد للقزويني ص ٢٠٨ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « قصد الصلاة والدعاء عندما يقال إنه قدم نبي ، أو أثر نبي ، أو قبر نبي ، أو قبر بعض الصحابة ، أو بعض الشيوخ ، أو بعض أهل البيت ، أو الأبراج ، أو الغيران : من البدع المحدثة ، المنكرة في الاسلام ، لم يشرع ذلك رسول الله ﷺ ، ولا كان السابقون الأولون ، والتابعون لهم بإحسان يفعلونه ، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين ، بل هو من أسباب الشرك ، وذرائع الأفك » [1] .

وقد سئل ابن تيمية عن (جبل لبنان) هل ورد في فضله شيء ؟ وعن مدى صحة ما يذكر فيه من الحكايات ؟

فأجاب رحمه الله إجابة مفصلة ، اقتطف منها ما يأتي :

ليس في فضل (جبل لبنان) وأمثاله نص ، لا عن الله ولا عن رسوله ، بل هو وأمثاله من الجبال التي خلقها الله وجعلها أوتادا للأرض ، وآية من آياته .

وأما ما ذكر في بعض الحكايات عن بعض الناس ، من الاجتماع ببعض العباد في جبل لبنان ، ونحو ذلك ، وما يؤثر عن بعض هؤلاء من جميع المقال والفعال ، فأصل ذلك أن هذه الأمكنة كانت ثغورا يرابط بها المسلمون لجهاد العدو ، لما كان المسلمون قد فتحوا الشام كله وغير الشام ... وكان الصالحون يتناوبون الثغور لأجل المرابطة في سبيل الله .

وكون البقعة ثغرا للمسلمين ، أو غير ثغر هو من الصفات العارضة لها لا اللازمة .

ولكن صار طوائف ممن يؤثر التخلي عن الناس – زهدا ونسكا – يحسب أن فضل هذا الجبل ونحوه ، لما فيه من الخلوة عن الناس ، وأكل المباحات من الثمار التي فيه ، فيقصدونه لأجل ذلك غلطا منهم وخطأ ، فإن سكنى الجبال والغيران والبوادي ليس مشروعا للمسلمين إلا عند الفتنة .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤٥/٢٧ ، وانظر ١٣٨/٢٧ ، اقتضاء الصراط المستقيم ٧٩٦/٢ .

وأما اعتقاد بعض الجهال أن به (الأربعين الأبدال) فهذا جهل وضلال ، وما اجتمع به الأبدال الأربعون قط ، ولا هذا مشروع لهم ، ولا فائدة في ذلك . إذا عرف هذا فكل ما ذكر من الأنحناء للجبل المذكور ونحوه ، أو لمن فيه ، أو زيارته بلا قصد للجهاد ، أو أمر مشروع ، فهو من الجهالات والضلالات ، وكذلك التبرك بما يحمل منه من الثمار ، هو من البدع الجاهلية المضاهية للضلالات النصرانية والشركية [1] .

خامسا : القبور :

لا شك أن بلاد الشام موطن كثير من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . ومع كثرة قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالشام إلا أنه لا يقطع بتعيين قبر نبي سوى قبر نبينا محمد ﷺ بالمدينة المنورة بالاجماع ، وقبر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بمدينة الخليل [2] بالشام على قول الجمهور .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبينا ذلك : « وأما قبور الانبياء : فالذي اتفق عليه العلماء هو (قبر النبي ﷺ) فإن قبره منقول بالتواتر ، وكذلك قبر صاحبيه ، وأما (قبر الخليل) فأكثر الناس على أن هذا المكان المعروف هو قبره ، وأنكر ذلك طائفة ، وحكي الإنكار عن مالك ، وأنه قال : ليس في الدنيا قبر نبي يعرف إلا قبر نبينا محمد ﷺ ، لكن جمهور الناس على أن هذا قبره ، ودلائل ذلك كثيرة ، وكذلك هو عند أهل الكتاب » [3] .

وبعد هذا نبه ابن تيمية على أن معرفة قبور الأنبياء بأعيانها ليس مهما . حيث قال رحمه الله : « ولكن ليس في معرفة قبور الأنبياء بأعيانها فائدة شرعية ، وليس

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٧/٥٠ - ٦٣ .

(٢) الخليل : مدينة جنوب بيت المقدس ، بها قبر الخليل إبراهيم عليه السلام في مغارة تحت الأرض ، وبالخليل سميت ، واسمها الأصلي : حبرون أو حبري . انظر معجم البلدان ٢/٣٨٧ .

(٣) من مجموع الفتاوى ٢٧/٤٤٤ ، وانظر كتاب الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز لعبد الغني النابلسي ص ٦٦ ، وكتاب تحفة الذاكرين للشوكاني ص ٤٥ .

حفظ ذلك من الدين ، ولو كان من الدين لحفظه الله كما حفظ سائر الدين ، وذلك أن عامة من يسأل عن ذلك إنما قصده الصلاة عندها ، والدعاء بها ، ونحو ذلك من البدع المنهي عنها ، ومن كان مقصوده الصلاة والسلام على الأنبياء ، والإيمان بهم ، وإحياء ذكرهم فذاك ممكن له وإن لم يعرف قبورهم صلوات الله عليهم » [1] اهـ .

ولهذا فإن « قبر الخليل عليه السلام بالشام لم يسافر إليه أحد من الصحابة ، وكانوا يأتون البيت المقدس فيصلون فيه ، ولا يذهبون إلى قبر الخليل عليه السلام » [2] .

« ولم يكن في الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان من يأتيه للصلاة عنده ولا الدعاء ، ولا كانوا يقصدونه للزيارة أصلا ، وقد قدم المسلمون إلى الشام غير مرة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، واستوطن الشام خلائق من الصحابة ، وليس فيهم من فعل شيئا من هذا » [3] كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

وهكذا الحال في القبور الأخرى المنسوبة لبعض الأنبياء بالشام ، وكذا القبور المنسوبة لبعض الصحابة والتابعين ، وغيرهم من الأولياء الصالحين ، وهي كثيرة جدا في بلاد الشام .

فلا يجوز السفر إلى تلك القبور ، ولا التبرك بزيارتها – كما يفعله البعض – ما عدا الزيارة الشرعية المعروفة .

ومن نافلة القول أن أشير هنا إلى أنه لا تجوز زيارة معابد الكفار ، مثل كنائس اليهود أو النصارى ، ونحو ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « من زار مكانا من هذه الأمكنة معتقدا أن زيارته مستحبة ، والعبادة فيه أفضل من العبادة في بيته ، فهو ضال ، خارج عن شريعة الإسلام ، يستتاب ، فإن تاب وإلا قُتل » [4] .

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٧/٤٤٤ ، ٤٤٥ .

(٢) المرجع السابق ٢٧/٣٣٦ .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٨١٤ .

(٤) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ٢/٦٣ .

هذا وأكتفي في بيان الجبال والمواضع التي يتبرك بها – بما تقدم فقط في المباحث الثلاثة الماضية ، لخصوصية تلك البلدان (مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وبلاد الشام) ولذا فالمواضع التي يتبرك بها في تلك البلدان أكثر منها في غيرها ، كما سلف .

وإن ما ذكر منها فهو نماذج وأمثلة لما يوجد من التبرك الممنوع بالأماكن قديما وحديثا .

وهناك مواضع أخرى مشابهة يتبرك بها في أنحاء عديدة من العالم الاسلامي ، ويشملها جميعا حكم المنع ، على ضوء ما تقدم إيضاحه في المبحث الأول ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

* * *

المبحث الخامس

التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها

لقد تقدم في المبحث الأول الاستدلال على منع التبرك بالجبال والمواضع ، مما لم يرد جوازه في الشريعة الإسلامية .

وقد عرفنا أنه لا يشرع التقبيل أو المسح بالنسبة للجمادات – لغير الحجر الأسود – أو المسح لغير الركنين اليمانيين من الكعبة ، وأن الطواف من خصائص الكعبة المشرفة .

وعرفنا أيضا أنه لا يشرع قصد بقعة معينة للصلاة ، ولا للذكر أو الدعاء ، ونحو ذلك ، ما عدا المساجد ومشاعر الحج .

وعلى هذا فإن التبرك بما عدا ما ذكر – كالأشجار والأحجار ونحوها لا يجوز بأي وجه من الوجوه .

ومن مظاهر هذا التبرك الممنوع : العكوف عند بعض الأشجار أو الأحجار – حين يذكر لها شيء من الفضائل مثلا ولو كذبا – أو قصد أداء العبادة عندها ، أو تعليق الخرق على الأشجار ، أو على بعض آبار المياه المعدنية تبركا .

ومن الأدلة على عدم جواز هذا التبرك بالأشجار ونحوها – عدا ما سبق – ما أخرجه الترمذي وغيره عن أبي واقد الليثي [1] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما

---

(١) هو أبو واقد الحارث بن عوف الكناني الليثي ، وقيل عوف بن الحارث وقيل الحارث بن مالك . شهد فتح مكة ، وشهد اليرموك بالشام وجاور بمكة سنة ، ومات بها سنة ٦٨ هـ ، وقيل سنة ٨٥ هـ . انظر أسد الغابة ٣٢٥/٥ ، الإصابة ٢١٢/٤ .

خرج إلى حنين مرّ بشجرة للمشركين يقال لها : (ذات أنواط) [1] يعلّقون عليها أسلحتهم ، فقالوا : يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال النبي ﷺ : « سبحان الله ، هذا كما قال قوم موسى ﴿ اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ﴾ [2] والذي نفسي بيده لتركبن سنّة من كان قبلكم » [3] .

وقد كان المشركون يعكفون عند تلك الشجرة ، معلقين عليها أسلحتهم رجاء بركتها ، فسأل بعض الصحابة [4] الرسول ﷺ أن يجعل لهم مثلها ، ظنا منهم أن هذا أمر محبوب عند الله تعالى ، فأنكر عليهم النبي ﷺ ذلك ، وشبهه بما طلبه بنو إسرائيل من موسى عليه السلام [5] .

وإذا كان اتخاذ الأشجار والعكوف عندها للتبرك بها من أعمال المشركين – كما في هذا الحديث – ولا يجوز فعل ذلك ، فكذا كل ما يتخذ ، أو يعكف عنده ، من شجر أو حجر ، أو قبر ، أو عين ، أو جبل للتبرك ، كل ذلك من البدع المنكرة في الاسلام .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (فأما العكوف والمجاورة عند شجرة أو حجر ، تمثال أو غير تمثال ، أو العكوف والمجاورة عند قبر نبي أو غير نبي ، أو مقام نبي أو غير نبي ، فليس هذا من دين المسلمين ، بل هو من جنس دين المشركين ، الذين

---

(١) هي اسم شجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم ، أي يعلقونه بها ، ويعكفون حولها ، وأنواط جمع نوط ، وهو مصدر سمي به المنوط . من كتاب النهاية لابن الأثير ١٢٨/٥ .

(٢) سورة الأعراف (١٣٨) .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ٤٧٥/٤ كتاب الفتن ، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم ، وقال : حديث حسن صحيح .. وفي الباب عن أبي سعيد وأبي هريرة .

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده : ٢١٨/٥ ، وعبد الرزاق في المصنف ٣٦٩/١١ باب سنن من كان قبلكم ، والحميدي في مسنده ٣٧٥/٢٥ ، وأبو داود الطيالسي في مسنده ص ١٩١ . وانظر النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد ص ٦٤ .

(٤) جاء في رواية أخرى للحديث (ونحن حديثو عهد بكفر) – كما في مسند الطيالسي – ولذا قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : فيه دليل على أن غيرهم لا يجهل ذلك ، وأن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة (كتاب التوحيد ص ٣٣ ، ٣٤) .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ٦٤٤/٢ ، تيسير العزيز الحميد ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

أخبر الله عنهم بما ذكره في كتابه » ثم ساق رحمه الله عدة آيات من القرآن الكريم استشهادا على ذلك (١) .

وقال في موضع آخر : « وأما الأشجار والأحجار والعيون ونحوها مما ينذر لها بعض العامة ، أو يعلّقون بها خرقا ، أو غير ذلك ، أو يأخذون ورقها يتبركون به ، أو يصلّون عندها ، أو نحو ذلك ، فهذا كله من البدع المنكرة ، وهو من عمل أهل الجاهلية ، ومن أسباب الشرك بالله تعالى » (٢) .

وجاء في كتاب (تيسير العزيز الحميد) عند بيان فوائد الحديث السابق : « أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار من التبرك بها ، والعكوف عندها ، والذبح لها هو الشرك ، ولا يغتر بالعوام والطَّغام ، ولا يستبعد كون هذا شركا ، ويقع في هذه الأمة . فإذا كان بعض الصحابة ظنوا ذلك حسنا ، وطلبوه من النبي ﷺ ، حتى بيّن لهم أن ذلك كقول بني إسرائيل : ﴿ اجعل لنا إلها ﴾ (٣) فكيف بغيرهم ، مع غلبة الجهل وبعد العهد بآثار النبوة » (٤) .

وقد تقدم لنا (٥) أن الفاروق عمر رضي الله عنه لما رأى تعلق بعض الناس بالشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ أمر بها فقطعت .

ومن مظاهر التبرك بالأحجار ونحوها أيضا : جمع الأحجار أو التراب من مكة أو المدينة ، أو غيرهما ، أو شيء من أجزاء المساجد ، والاحتفاظ بهذه الأشياء للتبرك ، واعتقاد جلب النفع بها أو دفع الضرر .

---

(١) انظر الاقتضاء ٨١٨/٢ ، ٨١٩ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٣٦/٢٧ ، ١٣٧ .

وانظر الباعث على انكار البدع والحوادث لأبي شامة ص ٢٥ ، ٢٦ ، التوضيح عن توحيد الخلاق المنسوب السليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٢٧٣ - ٢٧٦ ، معارج القبول للحكمي ٣٨٥/١ ، الابداع لعلي محفوظ ص ٢٦٤ .

(٣) سورة الأعراف (١٣٨) .

(٤) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ١٥٢ .

(٥) ص ٣٤٦ .

وقد نص العلماء المحققون على تحريم ذلك [١] .

أما حديث « لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه » أو « لنفعه الله به » فهو من الأحاديث المكذوبة على الرسول ﷺ ، كما نبه على ذلك العلماء [٢] رحمهم الله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (هو من كلام أهل الشرك والبهتان ، فإن عُبّاد الأصنام أحسنوا ظنهم بها ، وكانوا هم وإياها من حصب جهنم ، كما قال الله تعالى ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون [٣] ﴾[٤] .

وذكر ابن القيم رحمه الله أن ذلك من الأحاديث المناقضة لدين الاسلام ، التي وضعها المشركون ، وراجت على أشباههم من الجهال والضلّال ، والله بعث رسوله بقتل من حسّن ظنه بالأحجار [٥] .

وفي ختام هذا الباب أحب أن أنبه أخيرا إلى أن كل ما ذكر من التبرك الممنوع – بشتى صوره وأشكاله ومظاهره – يُعد من البدع المحدثة المذمومة ، وأنه قد يكون شركا بحسب الفعل ذاته ، أو على حسب اعتقاد فاعله وقصده ، والله المستعان .

* * *

(١) انظر على سبيل المثال : الايضاح في المناسك للنووي ص ١٣٩ ، الآداب الشرعية لابن مفلح ٣٩١/٣ ، إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ص ١٣٧ ، تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد لأبي بكر الحنبلي ص ٢١٩ .

(٢) انظر على سبيل المثال : منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤٨٣/١ ، مجموع الفتاوى ٣٣٥/٢٤ ، المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم ص ١٣٩ ، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي ص ٣١٤ ، المصنوع في معرفة الحديث الموضوع لعلي القاري ص ١٤٧ .

(٣) سورة الأنبياء (٩٨) .

(٤) مجموع الفتاوى ٥١٣/١١ ، ٥١٤ .

(٥) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٢١٥/١ بتصرف يسير .

الباب الرابع
أسباب التبرك الممنوع ، وآثاره ، ومقاومته

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : أسبابه .

الفصل الثاني : آثاره .

الفصل الثالث : وسائل مقاومته .

الفصل الأول
أسباب التبرك الممنوع

المبحث الأول (السبب الأول)
الجهل بالدين

من الأمور المسلّم بها : أهمية العلم ولا سيما العلم الشرعي ، أي معرفة أمور الدين وشرائعه ، ومن ثم العمل بذلك ، حتى يعبد الله تعالى على بصيرة ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ [١] .

ومن هنا فإن الجهل بالدين وبأحكامه آفة خطيرة ، وداء عظيم ، فهو يحجب عن معرفة الحق ، ويُبعد عن سنن الهدى ، ويؤدي إلى الضلال [٢] ، ويوقع في البدع المتعددة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « ما أُحدث في الاسلام من المساجد والمشاهد على القبور والآثار فهو من البدع المحدثة في الاسلام ، من فعل من لم يعرف شريعة الاسلام ، وما بعث الله به محمدا ﷺ من كمال التوحيد وإخلاص الدين لله ، وسد أبواب الشرك التي يفتحها الشيطان لبني آدم . ولهذا يوجد أن من كان أبعد عن التوحيد وإخلاص الدين لله ومعرفة دين الاسلام هم أكثر تعظيما لمواضع الشرك ، فالعارفون بسنة رسول الله ﷺ وحديثه أولى بالتوحيد وإخلاص الدين لله ، وأهل الجهل بذلك أقرب إلى الشرك والبدع » [٣] الخ .

---

(١) سورة الزمر (٣٩) .

(٢) من أمثلة ذلك : أن النصارى قد ضلوا بسبب عملهم بلا علم ، فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله ، ويقولون على الله مالا يعلمون ، (اقتضاء الصراط المستقيم ٩٧/١ بتصرف يسير) .

(٣) تفسير سورة الاخلاص ص ٣٦٦ .

فالجهل إذن أحد أسباب حصول كثير من صور التبرك الممنوع عند بعض المسلمين ، حيث لم يميزوا بين التبرك المشروع والممنوع ، بل خلطوا بينهما أو قاسوا الثاني على الأول .

ولقد انتشر الجهل في العصور المتأخرة في أنحاء العالم الاسلامي ، وخاصة الأقطار النائية .

ومن أهم أسباب انتشار الجهل بين الناس : سكوت علماء أهل السنة عن بيان الحق وتبليغ شرائع الدين وأحكامه ، وتخاذلهم عن إنكار البدع المحدثة والتحذير عنها ، وإعراض الناس عن سؤال أهل العلم في أمور دينهم .

وفي مقابل هذا : تشجيع ورعاية علماء أهل البدع – وعلى رأسهم الروافض والصوفية – لبدعهم ، وإحيائها ، أو إفتاء البعض بدون علم ولا دراية ، فيحصل الضلال والاضلال .

هذا ومن آثار الجهل السيئة ، والمفاسد المترتبة عليه : تقليد الأسلاف ، وتحكيم العادات السائدة بدون دليل ، وهي شبهة قديمة احتج بها الكفار المخالفون لدعوة الرسل عليهم السلام ، كما أخبرنا الله تعالى عن ذلك في كتابه الكريم .

يقول الإمام الشوكاني رحمه الله مبينا خطر هذا الأمر : « بهذه الذريعة الشيطانية ، والوسيلة الطاغوتية بقي المشرك من الجاهلية على شركه ، واليهودي على يهوديته ، والنصراني على نصرانيته ، والمبتدع على بدعته ، وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا ، وتبدلت الأمة بكثير من المسائل الشرعية غيرها ، وألفوا ذلك ، ومرنت عليه نفوسهم ، وقبلته قلوبهم ، وأنسوا إليه » [1] .

كما أن من مفاسد الجهل أيضا الوقوع في فتنة الشيطان وتلبيسه .

قال الإمام ابن القيم عند ذكره الأمور التي أوقعت عباد القبور في الافتنان بها ،

---

(١) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد لمحمد بن علي الشوكاني ص ٢٨ ، المطبوع ضمن مجموعة الرسائل السلفية ، وانظر رسالة تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد للصنعاني ص ٣٣.

مع العلم بأن ساكنيها أموات ، لا يملكون لهم ضرا ولا نفعا ، ولا موتا ولا حياتا ولا نشورا .

قال رحمه الله تعالى : « منها : الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله ، بل جميع الرسل : من تحقيق التوحيد ، وقطع أسباب الشرك ، فقلّ نصيبهم جدا من ذلك ، ودعاهم الشيطان إلى الفتنة ، ولم يكن عندهم من العلم ما يبطل دعوته ، فاستجابوا له بحسب ما عندهم من الجهل ، وعُصموا بقدر ما معهم من العلم »[1] الخ .

وعلى أى حال فإن الواجب على المسلم تعلم أمور دينه والتفقه فيه ، حتى لا يعبد الله تعالى بغير ما شرعه ، ولأن من أمكنه التعلم ولم يتعلم يأثم .

وقد يعذر الجاهل لعدم علمه ، أو عدم استطاعته التعلم ، لكنه لا يعذر بعد العلم ، فقد قامت عليه الحجة حينئذ . والله تعالى أعلم .

* * *

---

(١) إغاثة اللهفان ٢١٤/١ ، ٢١٥ .

المبحث الثاني (السبب الثاني)

الغلو في الصالحين

الغلو هو مجاوزة الحد [1] .

وقد نهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدين – وهو نهي للمسلمين جميعا – ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ﴾ [2] .

قال الإمام ابن كثير في تفسيره : « ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والاطراء ، وهذا كثير في النصارى ، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى ، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها ، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه ، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه ، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه ، سواء كان حقا أو باطلا ، أو ضلالا أو رشادا ، أو صحيحا أو كذبا ، ولهذا قال الله تعالى ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ [3] الآية » [4] اهـ .

وروي أن الرسول ﷺ قال : « إياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين » [5] .

---

(١) جاء في كتاب المفردات للراغب ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ (الغلو تجاوز الحد ، يقال ذلك إذا كان في السعر غلاء ، وإذا كان في القدر والمنزلة غلو) وفي لسان العرب ١٣٢/١٥ : قال بعضهم : غلوت في الأمر غلوا إذا جاوزت فيه الحد وأفرطت فيه .

(٢) سورة النساء (١٧١) .

(٣) سورة التوبة (٣١) .

(٤) تفسير ابن كثير ٥٩٠/١ .

(٥) جزء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وفيه قصة ، أخرجه النسائي في سننه ٢٦٨/٥ =

ومن أنواع الغلو في الدين : الغلو في الأنبياء والصالحين .

وهو أحد أسباب التبرك الممنوع ، ذلك أن المبالغة في تعظيم ومحبة الأنبياء والصالحين ، وفي الانتفاع بهم ، وتجاوز الحد في ذلك ، أدى إلى طلب البركة منهم – في حياتهم وبعد وفاتهم – على غير الوجه المشروع ، كما سبق بيانه مفصلا في الباب الماضي .

وهذا النوع يكثر عند فرق الروافض والصوفية المبتدعة .

ولما يترتب على الغلو في الأشخاص – مهما بلغت مرتبتهم – من نتائج سيئة – فضلا عن ذم الغلو ذاته – فقد حذر الرسول ﷺ أمته عن الغلو في حقه ، ورفعه فوق منزلته .

ففي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » (١) .

جاء في كتاب (تيسير العزيز الحميد) : « أي لا تمدحوني ، فتغلوا في مدحي ، كما غلت النصارى في عيسى فادّعوا فيه الربوبية ، وإنما أنا عبد الله ، فصفوني بذلك كما وصفني به ربي ، قولوا : « عبد الله ورسوله » فأبى عباد القبور إلا مخالفة لأمره ، وارتكابا لنهيه ، وناقضوه أعظم المناقضة ، وظنوا أنهم إذا وصفوه بأنه عبد الله ورسوله ، وأنه لا يُدعى ولا يُستغاث به ، ولا يُنذر له ، ولا يُطاف بحجرته ... أنّ في ذلك هضما لجنابه ، وغضّا من قدره ، فرفعوه فوق منزلته ، وادّعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه ، فسألوه مغفرة الذنوب ، وتفريج الكروب » (٢) اهـ .

= كتاب المناسك ، باب التقاط الحصى ، وابن ماجه في سننه ١٠٠٨/٢ كتاب المناسك ، باب قدر حصى الرمي ، والإمام أحمد في مسنده ٢١٥/١ ، وابن حبان في صحيحه ٦٨/٦ كتاب الحج ، باب رمي جمرة العقبة ، والحاكم في مستدركه ٤٦٦/١ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وقال ابن تيمية : إسناده صحيح على شرط مسلم (اقتضاء الصراط المستقيم ٢٨٩/١) .

(١) تقدم تخريجه ص ٣٦٦ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

ورُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا قال : يا محمد ، يا سيدنا وابن سيدنا ، وخيرنا وابن خيرنا ، فقال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس عليكم بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله ، عبد الله ورسوله ، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل » (١) .

وقد نهى عليه الصلاة والسلام أمته أيضا عن الغلو في حقه بعد وفاته بقوله ﷺ : « لا تجعلوا قبري عيدا » (٢) .

وإذا كان هذا النهي الشديد عن الغلو في شأن الرسول ﷺ مع رفعة مرتبته وعلو منزلته ، فكيف بغيره من الأنبياء والصالحين ؟ .

وسأورد الآن نماذج قولية وفعلية غريبة للتبرك الممنوع الحاصل بسبب الغلو في الأشخاص ، ورفعهم فوق منزلتهم .

فمن النماذج في حق الرسول ﷺ قول أحد الغلاة في مدحه ﷺ :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم

فإن من جودك الدنيا وضرّتها   ومن علومك علم اللوح والقلم(٣)

وقول أحدهم عند ذكره آداب زيارة قبره ﷺ : « قد لا يحتاج الزائر في طلب حوائجه ومغفرة ذنوبه أن يذكرها بلسانه ، بل يحضر ذلك في قلبه ، وهو حاضر بين يديه ﷺ ، لأنه عليه الصلاة والسلام أعلم منه بحوائجه ومصالحه » (٤) .

ومن ذلك أيضا ما وُضع من الأحاديث في فضل التسمي باسمه ﷺ ،

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ١٥٣/٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٩ ، وقال الإمام ابن عبد الهادي : إسناده صحيح على شرط مسلم (الصارم المنكي في الرد على السبكي ص ٣٨٥) ، وانظر النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد ص ٢٧٨ .

(٢) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، تقدم تخريجه ص (٣٢٩) .

(٣) بيتان من أبيات القصيدة المشهورة (البردة)للبوصيري، راجع ص (٣٦٥ ، ٣٦٦) . ويلاحظ أنه جوز الاستغاثة بالرسول ﷺ في كل ما يستغاث فيه بالله ، وأنه جعل الدنيا والآخرة من جوده ، وجزم بأنه يعلم مافي اللوح المحفوظ (من تيسير العزيز الحميد ص ٢٧٣ بتصرف) .

(٤) ذكر ذلك ابن الحاج في كتاب المدخل ٢٦٤/١ .

واعتقاد البركة في ذلك ، كحديث : « من وُلد له مولود فسماه محمدا تبركا به [(١)] ، كان هو ومولوده في الجنة » [(٢)] ، وحديث : « لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسمي » [(٣)] .

وما زُعم من فضل وبركة ليلة مولده ﷺ ، حتى فضّلوها على ليلة القدر [(٤)] .

ومن النماذج في حق الصالحين أو أدعياء الولاية ، قول أحد المتصوفة مخاطبا (السيد) البدوي :

رحماك أبغي يا أبا الفتيان في ... خطب أهاج القلب من حسراته
من لي سواك أرومه في كشفه ... أو أرتجي إن ضقت من وثباته
عار عليك إذا رددت خويدما ... قصر الفؤاد عليك في حاجاته [(٥)]

وما حكي عن الحلّاج [(٦)] أن أصحابه بالغوا في التبرك به ، حتى كانوا يتمسحون ببوله ، ويتبخرون بعذرته [(٧)] .

ووصل الأمر – في العصر الحاضر – عند بعض الرجال المخرّفين إلى مجامعة

---

(١) أصبح من العادات الشائعة لدى بعض المجتمعات الإسلامية في العصر الحاضر إطلاق اسم (محمد) على كافة الذكور مصاحباً للاسم الأصلي .

(٢) انظر المنار المنيف فى الصحيح والضعيف لابن القيم ص ٦١ ، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ص ٤٧١ ، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ٢٠٧/١ .

(٣) انظر الفوائد المجموعة للشوكانى ص ٤٧١ .

(٤) راجع ص ٣٥٩ من هذا الكتاب .

(٥) من كتاب السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة للدكتور أحمد صبحي منصور ص ٣١٩ .

(٦) هو الحسين بن منصور بن محمي الحلاج الفارسي البيضاوي الصوفي المشهور . تبرأ منه أكثر الصوفية والمشايخ والعلماء لسوء سيرته ، ومنهم من نسبه إلى الحلول ومنهم من نسبه إلى الزندقة وإلى الشعبذة ، وله أصحاب يُنسبون إليه ويغلون فيه ويبالغون في تعظيمه ، وقد اتفق علماء بغداد على كفر الحلاج وزندقته وأجمعوا على قتله وصلبه ، فقتل وصلب سنة ٣٠٩ هـ .
انظر تاريخ بغداد ١١٢/٨ ، وفيات الأعيان ١٤٠/٢ ، سير أعلام النبلاء ٣١٣/١٤ ، البداية النهاية ١٣٢/١١ .

(٧) الاعتصام للشاطبي ١٠/٢ ، وانظر تاريخ بغداد ١٣٦/٨ – ١٣٨ .

زوجاتهم عند أضرحة الأولياء ، بدعوى نيل البركة ، وأن يكون ما قُدّر لهما من ولد صالحا ! [(١)] .

ولا شك أن أهم أسباب تلك الأمور ونحوها هو الغلو في التعظيم ، والمبالغة في المحبة للنبي ﷺ وغيره من الصالحين .

ولكن التعظيم الحق – فعليا أو قوليا أو اعتقاديا – هو المطابق لحال المعظَّم – وكذا المحبة [(٢)] .

فتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما هي باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع ، والعمل الصالح ، واقتفاء آثارهم ، وسلوك طريقتهم ، فإن من اقتفى آثارهم كان متسببا في تكثير أجورهم باتباعه لهم ، ودعوته الناس إلى اتباعهم . فإذا أعرض عما دعوا إليه ، واشتغل بضده خرم نفسه ، وحرمهم ذلك الأجر . فأي تعظيم واحترام في هذا ؟ [(٣)] .

* * *

(١) هذا الفعل الغريب موجود في بلاد السودان ، حسبما أفادت به لي كتابيا جماعة أنصار السنة المحمدية بكَسَلا بالسودان .

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٢٧٣ – ٢٧٥ .

(٣) إغاثة اللهفان لابن القيم ٢١٣/١ ، ٢١٤ بتصرف .

المبحث الثالث (السبب الثالث)

التشبه بالكفار

لقد دل القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع العلماء على الأمر بمخالفة الكفار ، والنهي عن مشابهتهم ، لما ينشأ عن مشابهتهم والاقتداء بهم من الأضرار الكثيرة .

فمن الأدلة على ذلك في القرآن الكريم قول الله تعالى ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير ﴾ (١) .

وأما الأحاديث في ذلك فكثيرة .

منها ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من تشبه بقوم فهو منهم » (٢) .

وما أخرجه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لتتبعن سَنَن (٣) الذين من قبلكم ، شبرا بشبر ، وذراعا بذراع ، حتى

---

(١) سورة البقرة (١٢٠) .

(٢) جزء من حديث أخرجه أبو داود في سننه ٣١٤/٤ كتاب اللباس ، باب في لبس الشهرة ، وقال ابن تيمية : وهذا إسناد جيد (اقتضاء الصراط المستقيم ٢٣٦/١) وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥٠/٢ ، وقد رمز السيوطي لهذا الحديث بأنه حسن (الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للسيوطي ١٦٨/٢) .

(٣) السنن بفتح السين والنون : هو الطريق ، والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم . قاله النووي (شرح صحيح مسلم ٢١٩/١٦ ، ٢٢٠) .

لو دخلوا في جحر ضب لا تبعتموهم » قلنا يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن ؟ » [١] .

قال ابن تيمية رحمه الله : وهذا خرج منه مخرج الخبر عن وقوع ذلك ، والذم لمن يفعله ، كما كان يخبر عما يفعله الناس بين يدي الساعة من الأشراط والأمور المحرمات [٢] .

كما جاءت السنة بالنهي عن مشابهة الكفار في أمور مخصوصة كثيرة ، في العبادات والعادات [٣] ، كنهيه ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد ، وأن في ذلك مشابهة لأهل الكتاب [٤] .

وقد تقدم لنا [٥] إنكار النبي ﷺ على من طلب اتخاذ شجرة لتعليق الأسلحة ، وللعكوف عندها من أجل التبرك ، اقتداء بفعل مشركي الجاهلية .

هذا ومن صور التبرك الحاصلة بسبب التشبه بالكفار مما ابتلي به بعض المسلمين ما يأتي :-

١ - الغلو في الأنبياء والصالحين .

فإن النصارى قد عظّموا أنبياءهم وأتباعهم حتى عبدوهم ، فقلدهم بعض المسلمين وتأثروا بهم ، حيث غلوا في محبة وتعظيم النبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين ، كما تقدم قريبا .

وقد أضل النصارى كثيرا من جهال المسلمين ، حتى صاروا يزورون كنائسهم ، ويلتمسون البركة من قسيسيهم ورهابينهم ونحوهم [٦] .

---

(١) صحيح البخاري ١٥١/٨ كتاب الاعتصام ، باب قول النبي ﷺ : (لتتبعن سنن من كان قبلكم) ، وصحيح مسلم ٢٠٥٤/٤ كتاب العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١٤٧/١ .

(٣) لمعرفة ذلك بالتفصيل راجع كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، فهو من أفضل الكتب المؤلفة في هذا الموضوع .

(٤) راجع ص ٤٠٢.

(٥) راجع ص ٤٦٢.

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٦٠/٢٧ ، ٤٦١ بتصرف .

٢ – إحداث الاحتفال بالموالد والأعياد .

ومن أمثلة ذلك الاحتفال بزمان المولد النبوي ، وموالد الأولياء ، ونحو ذلك من المناسبات تعظيما وتبركا ، كما مر تفصيله في الباب الماضي .

ولا يخفى أن أهم دواعي إحداث هذه الأعياد والاحتفالات البدعية في بلاد المسلمين هو التشبه بأهل الكتاب ، ولا سيما النصارى منهم ، حيث إنهم يقيمون أعيادا عديدة في مواسم وأحوال عيسى عليه السلام .

٣ – بناء المساجد وغيرها على القبور ، والتبرك بها .

فإن منشأ ما ابتلي به الكثير في بلاد المسلمين من بناء المساجد على القبور ، أو اتخاذ القبور مساجد بلا بناء ، أو تعظيم القبور والمشاهد ، إن منشأ ذلك هو التقليد الأعمى لمن كان قبلنا من الضالين ، بل والمغضوب عليهم [١] .

فإن اليهود والنصارى هم الأئمة في ذلك ، ولهذا قال النبي ﷺ محذرا عن فعلهم ، في مرض موته : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » [٢] .

والنصارى أشد غلوا في ذلك من اليهود ، كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة رأينها بالحبشة ، فيها تصاوير ، فقال رسول الله ﷺ : « إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ، وصوّروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » [٣] .

ومن المعلوم أن النصارى يفرحون بما يفعله أهل البدع والجهل من المسلمين ، مما يوافق دينهم ، ويشابهونهم فيه ، ويحبون أن يقوى ذلك ويكثر ، ليقوى بذلك

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٦٠/٢٧ ، اقتضاء الصراط المستقيم ٧٧/١ ، ٢٩٥ ، بحث الوادعي (حول القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ) ص ٢٨٦ بتصرف .

(٢) الحديث مخرج في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ، وقد تقدم تخريجه ص ٣٣١ .

(٣) تقدم تخريجه ص ٤٠٢ .

دينهم ، ولئلا ينفر المسلمون عنهم وعن دينهم [١] . ولا شك أن من دواعي التشبه بأفعال الكفار مجاورتهم أو مخالطتهم ، حتى وصل الحال - مثلا - ببعض جهال المسلمين في بلاد الهند إلى أن أحدهم صار يمشي زحفا لزيارة قبر الولي ، ويرجع على قفاه [٢] تقديرا وتعظيما . وهذا بسبب مجاورة البوذيين [٣] هناك ومخالطتهم ، حيث تأثروا بهم فقلدوهم في هذا الفعل ونحوه ، والله المستعان .

* * *

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٦٢/٢٧ - ٤٦٤ باختصار .

(٢) أفادني أحد الثقات أنه شاهد ذلك في مدينة حيدرآباد بالهند .

(٣) نسبة إلى البوذية ، وهي ديانة أسسها (بوذا) في الهند في القرن الخامس قبل الميلاد ، كانت في بدايتها تدعو إلى التصوف والخشونة والتحلي بالفضائل ، لكنها لم تلبث بعد موت مؤسسها أن تحولت إلى معتقدات باطلة ذات طابع وثني ، وقد غالى أتباعها في مؤسسها حتى ألّهوه . وتنتشر البوذية عند سكان جنوب شرق آسيا .

انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٠٧ فما بعدها .

المبحث الرابع (السبب الرابع)

تعظيم الآثار

المقصود بالآثار هنا : الآثار المكانية [1] ، ونحوها .

وقد تقدم أنه لايجوز تعظيم مكان لم يعظمه الشرع ، كما أن هذا التعظيم يجب أن يكون على وفق الشرع أيضا ، وما جاوز ذلك من التعظيم والتبرك بالأماكن فممنوع .

وقد لاحظنا في الباب الماضي – الفصل الأخير خاصة – أن تعظيم الآثار المكانية وتقديسها هو السبب الباعث على التبرك بها وطلب الخير عندها .

كما يلاحظ أن معظم هذه الآثار التي يتبرك بها هي آثار الأنبياء والصالحين المكانية المنسوبة إليهم ، مثل أماكن ولادتهم ، ومواضع عبادتهم [2] أو إقامتهم ، أو بعض أحوالهم ، كما سبق تفصيله .

ويدخل في هذا تعظيم قبور الأنبياء والصالحين والبناء عليها .

وهذه الآثار المكانية إما أن تكون ثابتة – وهي الأكثر – أو منقولة ، مثل ما يزعم في بعض البلدان من أحجار عليها أثر قدم النبي ﷺ ، وما ينقل من تراب القبور تبركا .

ولا شك أن تعظيم تلك الآثار ، ومن ثم التبرك بها ، قد حصل بسبب تعظيم أصحاب هذه الآثار والغلو فيهم .

---

(١) تقدم الكلام عن الغلو في آثار الأشخاص الحسية ضمن المبحث الأول .

(٢) يستثنى من ذلك ما فعله الرسول ﷺ على وجه التعبد ، كما سبق إيضاحه .

ومن الأسباب الأخرى أيضا تقليد الكفار ، فإن الكفار يعظمون آثار عظمائهم ، وتعظيم الآثار من سماتهم .

ويمكن أن يدخل فيما تقدم مما يعظم ويتبرك به : التبرك الممنوع ببعض البقاع المقدسة ، أو ما هي مظنة التقديس والتعظيم ، كالتبرك ببعض أجزاء الكعبة ، أو بالمشاعر المقدسة ، أو بصخرة بيت المقدس ، ونحو ذلك .

هذا ولعل من أسباب انتشار التبرك بالمواضع : تساهل الكثير من العلماء في رواية أخبار فضائل المواضع ، وعدم تمحيصها ، فكثرت في كتب الفضائل الأحاديث والآثار والأخبار الضعيفة ، بل والموضوعة ، عن فضائل بعض المواضع وما تحتوي عليه من البركة .

ومن النماذج لما وصل إليه تعظيم وتقديس الآثار المكانية ، والمبالغة في اقتضائها للبركة ما يأتي :-

(١) أن مفتاح الكعبة إذا وضع في فم الصغير الذي ثقل لسانه عن الكلام يتكلم سريعا بقدرة الله تعالى [(١)] .

(٢) ما يروى أن الله تعالى قال للصخرة : « أنتِ عرشي الأدنى » [(٢)] .

(٣) تمسح الجهال بالحاج أو المعتمر من مكة المكرمة ، أو الزائر للمدينة المنورة ، بل وبسكان الحجاز وما حوله .

(٤) نقل شيء من تراب قبر الرسول ﷺ بالمدينة وحفظه تبركا [(٣)] ، وكذا قبر غيره ﷺ .

(٥) أكل تراب جبل عرفات ، ونحوه .

وغير ذلك كثير .

---

(١) انظر رحلة الصديق إلى البيت العتيق ، للسيد صديق حسن خان ص ٢٤ .

(٢) راجع ص ٤٥١ .

(٣) لقد شاهدت في متحف بمدينة استانبول بتركيا قسما خاصا بآثار الرسول ﷺ ، ومما يحتوي عليه ما يدّعى أنه من تراب قبره ﷺ .

وبهذا ينتهي بيان وشرح أسباب وجود التبرك الممنوع الرئيسة ، وقد وضعت كل سبب داخل مبحث مستقل ، ونلاحظ أن هذه الأسباب قد تجتمع أحيانا ، وقد تنفصل .

وهناك أسباب أخرى عامة ساعدت على وجود وانتشار هذا التبرك الممنوع وفشوه في المجتمع .

ومن أهم هذه الأسباب على سبيل الإجمال : تأثير الفرق المبتدعة ، كالصوفية والرافضة ، والتمسك بالآثار الضعيفة أو الموضوعة ، وقياس الممنوع من التبرك على المشروع منه ، وسكوت العلماء عن الانكار ، والاستسلام للعاطفة والتعصب للهوى ، والله تعالى أعلم .

* * *

الفصل الثاني

آثار التبرك الممنوع

لاشك أن التبرك الممنوع يفضي إلى شرور كثيرة ، اعتقادية وعملية ، وإلى مفاسد عظيمة ، دينية ودنيوية ، فله آثار سيئة وخطيرة .

وسأتكلم عن أهم هذه الآثار بالتفصيل ، مبينا كيفية حصول كل أثر منها ، مع الاستشهاد بنماذج توضح ذلك .

أولا : الشرك :

من آثار التبرك الممنوع : الشرك ، والمقصود به الشرك الأكبر .

وهو أعظم الآثار وأشدها خطرا ، كيف لا وهو أكبر الكبائر ، يخرج من ملة الإسلام ، ويحبط جميع الأعمال ، ويوجب الخلود في النار لمن مات عليه ، وفيه تنقص لله رب العالمين .

ولهذا بعث الله تعالى رسله من أجل إفراده بالعبادة بجميع أنواعها ، وترك عبادة ما سواه ، كما قال عز وجل : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [1] .

أما كيف يوصل التبرك الممنوع إلى الشرك ؟ فإن ذلك يحصل من إحدى حالتين :

الأولى : أن يكون التبرك الممنوع في حد ذاته شركا .

---

(١) سورة النحل (٣٦) .

ومن أبرز الأمثلة على ذلك : التبرك بالأموات – من الأنبياء والصالحين وغيرهم – في دعائهم لقضاء الحاجات الدينية أو الدنيوية ، وتفريج الكربات والاستغاثة بهم [١] ، والتقرب إليهم بالذبح أو النذر لهم ، والطواف على قبورهم .

فهذا ونحوه من الشرك الأكبر ، لأنهم قد اعتقدوا فيهم مالا يجوز أن يعتقد إلا في الله ، فأنزلوهم منزلة الربوبية ، أو صرفوا لهم من العبادات ما لايجوز أن يصرف إلا لله تبارك وتعالى ، وهذا بسبب المبالغة في تعظيمهم ، والافتتان فيهم ، والتعلق بهم .

ووصل الأمر في اعتقاد بعض المشركين بأصحاب القبور إلى أن قالوا : إن البلاء يندفع عن أهل البلد بمن هو مدفون عندهم من الأنبياء والصالحين [٢] .

وكل هذه الأمور الشركية تفعل باسم التبرك ، وأحيانا باسم التوسل والتشفع .

الحالة الثانية : أن يؤدي التبرك الممنوع إلى الشرك ، فيكون التبرك الممنوع من وسائله ، ويكون الشرك من نتائج التبرك الممنوع ومن آثاره .

ولهذا حصل المنع من بعض أنواع التبرك سدا للذريعة إلى الشرك ، وخوفاً من الوقوع فيه .

ومن الأمثلة على ذلك النهي عن الصلاة عند القبور ، أو بناء المساجد أو القباب عليها ، أو الدعاء عندها ، ونحو ذلك من المظاهر والمشاهد مما يراد به تعظيم أصحابها .

ويُلحق بذلك : التبرك بأمكنة وآثار الأنبياء والصالحين ، وتعظيمها وتقديسها .

فإن هذه الأمور ونحوها من أعظم الذرائع والأسباب المؤدية إلى وقوع الشرك بأصحاب القبور والآثار في وقت من الأوقات مع تطاول الأيام .

---

(١) يدخل في هذا : القصائد الشركية التي تُتلى ليالي المولد النبوي .

(٢) راجع ص ٤٠٦.

وقد كان أصل حصول الشرك وعبادة الأصنام في الأرض بسبب تعظيم الموتى الصالحين .

روى ابن جرير الطبري رحمه الله عن بعض السلف في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وقالوا لاتذرنّ آلهتكم ولاتذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ، وقد أضلّوا كثيرا ﴾ [١] أن هذه أسماء رجال صالحين من بني آدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صوّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوروهم ، فلما ماتوا جاء آخرون دب إليهم إبليس فقال : إنما كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر فعبدوهم . وروى ابن جرير أن هذه الأصنام كانت تُعبد في زمان نوح عليه السلام ثم اتخذها العرب بعد ذلك [٢] .

وأيضا فإن (اللات) التي هي من أكبر أوثان العرب في الجاهلية ، كان سبب عبادتها تعظيم قبر رجل صالح والعكوف عليه [٣] .

وبهذا تبين أن سبب عبادة الأصنام هو المبالغة في تعظيم الصالحين .

ولهذا نهى الشارع الحكيم عن كل ما يؤدي إلى اتخاذ الأوثان ، مثل تعظيم قبور الأنبياء والصالحين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع هي التي أوقعت كثيرا من الأمم ، إما في الشرك الأكبر ، أو فيما دونه من الشرك ، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين ... ونحو ذلك ، فلأن يشرك بقبر الرجل الذي يعتقد نبوته أو صلاحه ، أعظم من أن يشرك بخشبة أو حجر على تمثاله ، وبهذا نجد أقواما كثيرين يتضرعون عندها ويخشعون ، ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في المسجد ، بل ولا في السحَر ، ومنهم من يسجد لها ، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء بها مالا يرجونه في المساجد التي تُشد إليها الرحال » .

---

(١) سورة نوح (٢٣ ، ٢٤) .

(٢) تفسير الطبري ٢٩/٩٨ ، ٩٩ . وانظر صحيح البخاري ٦/٧٣ كتاب التفسير ، تفسير سورة نوح .

(٣) انظر تفسير الطبري ٢٧/٥٨ ، ٥٩ .

ثم قال رحمه الله : « فهذه المفسدة ، التي هي مفسدة الشرك – كبيره وصغيره – هي التي حسم النبي ﷺ مادتها ، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقا ، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته ، كما يقصد بصلاته بركة المساجد الثلاثة ، ونحو ذلك ، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس واستوائها وغروبها ، لأنها الأوقات التي يقصد المشركون بركة الصلاة للشمس فيها ، فنهى المسلم عن الصلاة حينئذ – وإن لم يقصد ذلك – سدا للذريعة » (١) ا هـ .

ومن الأمثلة أيضا على النهي عن بعض أنواع التبرك سدا لذريعة الوقوع فى الشرك : التبرك الممنوع بالأشجار والأحجار وبعض البقع ، وتعظيمها (٢) ، فإن هذا التبرك قد يؤدي إلى الشرك مع مرور الزمان .

ولقد كان من أسباب عبادة الأوثان والأحجار عند العرب أن الواحد منهم كان إذا أراد سفرا حمل معه حجرا من حجارة البيت تبركا به وتعظيما ، حتى صاروا إلى عبادة الأحجار والجمادات .

جاء في كتاب (الأصنام) لابن الكلبي (٣) « أن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام لما سكن مكة ، وولد بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة ... ضاقت عليهم مكة ، ووقعت بينهم الحروب والعداوات ، وأخرج بعضهم بعضا ، فتفسحوا في البلاد ... وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لايظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم ، تعظيما للحرم وصبابة بمكة ، فحيثما حلوا وضعوه ، وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيمنا منهم بها ، وصبابة بالحرم وحبا له ، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ، ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٦٧٤/٢ .

(٢) قد يكون هذا التبرك شركا في حد ذاته ، بحسب اعتقاد فاعله .

(٣) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي الكوفي أبو المنذر الأخباري النسابة ، له تصانيف جمة ، توفي سنة ٢٠٤ هـ وقيل سنة ٢٠٦ هـ .

انظر تاريخ بغداد ٤٥/١٤ ، وفيات الأعيان ٨٢/٦ ، سير أعلام النبلاء ١٠١/١٠ .

ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا ، ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم ... » [(١)] .

ثانيا : الابتداع :

التبرك الممنوع ابتداع في الدين ، ليس عليه دليل من كتاب الله تعالى ولا من سنة نبيه ﷺ ، ولم يفعله السلف الصالح رحمهم الله تعالى ، وهو مخالف للتبرك المشروع الذي دلت عليه الأدلة الشرعية .

فالتبرك الممنوع كله إذن من أصناف البدع المحدثة المذمومة ، إلا أن بدعيته تتفاوت وتختلف باختلاف صوره وكيفيته ، فإن منه ما يصل إلى حد الشرك – كما سبق في الفقرة السابقة – ومنه ما يكون أدنى من ذلك .

والأمثلة على صور التبرك الممنوع المبتدعة كثيرة جدا ، وقد تقدم بيانها وشرحها في الباب الماضي .

ومن نماذج ذلك على سبيل الاجمال ما يأتي :–

– شد الرحال إلى زيارة قبر النبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين .

– التبرك بقبور الأنبياء والصالحين ، كأداء العبادات عندها ، مثل الصلاة والدعاء والطواف ، وكتقبيل القبور والتمسح بها ، وحمل شيء من ترابها والعكوف عندها .

– قصد مواضع صلاة أو جلوس النبي ﷺ للصلاة أو الدعاء ، مما لم يفعله ﷺ على وجه التعبد .

– التبرك بمكان ولادة النبي ﷺ ، أو بليلة مولده ، أو بليلة الاسراء والمعراج ، أو ذكرى الهجرة ، ونحو ذلك .

– وكذا التبرك بموالد الصالحين ، أو من يسمون بالأولياء .

---

(١) الأصنام لابن الكلبي ص ٦ .

- التبرك المبتدع ببعض الجبال والمواضع .

وكما أن التبرك الممنوع بدعة في حد ذاته فهو أيضا يجر إلى بدع أخرى .

وأكتفي هنا من الشواهد على ذلك بمثالين فقط :

أحدهما : أن من النتائج السيئة للتبرك الممنوع بقبور الأنبياء والصالحين بناء المساجد عليها ، وبناء القباب فوقها ، وزخرفة القبور وتشييدها ، وكذا بناء المساجد على آثار الأنبياء والصالحين ، ونحو ذلك من الأعمال المحدثة في الإسلام .

الثاني :أن التبرك الممنوع بالنبي ﷺ بعد وفاته قد أدى إلى إحداث عيد المولد النبوي والاحتفال به ، ثم تدرج الأمر ، فأقيمت الاحتفالات لأعياد أخرى كثيرة مبتدعة ، في مواسم متفرقة ، كليلة الاسراء والمعراج وذكرى الهجرة ، وغير ذلك من الأعياد المبتدعة التي تفعل باسم الدين ، وكأنها من شعائر الاسلام ، والتي يزداد عددها مع مرور الأيام .

وهذا هو شأن البدعة ، فإن فعل القليل منها يؤدي إلى فعل الكثير من البدع الأخرى .

فلا يجوز التهاون في شأن البدعة مهما صغرت ، فإنها تتدرج حتى تكبر وتعظم ، ويشتد خطرها وأثرها .

قال الإمام أبو محمد البربهاري [(١)] رحمه الله محذرا عن ذلك : « واحذر صغار المحدثات من الأمور ، فإن صغار البدع تعود حتى تصير كبارا ، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة ، كان أولها صغيرا يشبه الحق ، فاغترّ بذلك من دخل فيها ، ثم لم يستطع المخرج منها ، فعظمت ، وصارت دينا يدان بها » [(٢)] .

---

(١) هو أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري الإمام القدوة الحافظ الفقيه شيخ الحنابلة في عصره ، كان قوالا للحق ، شديدا على أهل البدع والمعاصي ، لا يخاف في الله لومة لائم . توفي ببغداد سنة ٣٢٩ هـ .

انظر طبقات الحنابلة ١٨/٢ ، سير أعلام النبلاء ٩٠/١٥ ، البداية والنهاية ٢٠١/١١ .

(٢) شرح السنة لأبي محمد البربهاري ص ٢٣ .

وحسبنا في ذم البدع والابتداع قول المصطفى ﷺ : « إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » [١] ، وقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الآخر : « وشر الأمور محدثاتها » [٢] .

ثالثا : اقتراف المعاصي :

ان من آثار التبرك الممنوع انتهاك الحرمات ، ووقوع كثير من المفاسد والمنكرات ، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي :-

١ - ما تتضمنه غالبا أعياد المولد النبوي ، وأعياد موالد الأولياء ، وكذا الأعياد المبتدعة الأخرى من أنواع المعاصي والمنكرات الظاهرة .

ومنها استعمال الأغاني وآلات اللهو والطرب ، وما يتبع ذلك من الرقص .

وإقامة حلقات الذكر على الوجه المحرم شرعا ، مع قلة احترام كتاب الله تعالى .

ومنها اختلاط الرجال بالنساء ، وما ينتج عن ذلك من الفتنة .

ومنها إضاعة الأموال وتبذيرها لأقامة الحفلات ، والاسراف في إيقاد الشموع في المساجد والطرقات ونفقات الزينة .

إلى غير ذلك من الأمور المخالفة للشرع ، التي تفعل باسم التبرك والاحتفال بليلة مولد النبي ﷺ ونحوها من المناسبات .

٢ - ما يترتب من المفاسد والأضرار على التبرك الممنوع بالقبور واتخاذها مزارات ومشاهد وأعيادا متكررة .

ومن ذلك صرف النفقات الباهظة المحرمة على بناء القباب والمزارات وكسوتها بالأقمشة ، وتزيينها بالمصابيح ، وتحبيس الأوقاف للانفاق على ذلك ، وإضاعة الأموال عن طريق النذور التي تقدم لصالح الأموات ويأكلها السدنة .

---

(١) مر تخريجه ص ٣١٦ .

(٢) مر تخريجه ص ٣١٥ .

٣ – ما يحصل من مساوىء التبرك الممنوع عند زيارة قبر الرسول ﷺ ، كالجلوس عند القبر النبوي للتلاوة والذكر ، ورفع الصوت بالدعاء ، وتكرار التلفظ بالصلاة على النبي ﷺ [١] ، وقصد القبر للسلام عليه بعد كل صلاة .

ومع بدعية هذه الأفعال إلا أن لها أيضا أضرارا على الآخرين ، كالتشويش على المصلين ، وإحداث الزحام على الزوار .

رابعا : الوقوع في أنواع من الكذب :

إن من الآثار السيئة للتبرك الممنوع لجوء أصحابه إلى الكذب ، من أجل الاستدلال على شرعية ما ذهبوا إليه ، أو لغرض تعيين موضع التبرك أو محله . ولهذا وقعوا في عدة أنواع من الكذب ، تلك الخصلة الذميمة الممقوتة .

ويمكن بيان أنواع الكذب التي وقعوا فيها بسبب التبرك الممنوع فيما يأتي :–

الأول : الكذب على الرسول ﷺ .

لا شك أن أشد أنواع الكذب هو الكذب على الله تعالى أو على رسوله ﷺ .

وقد حذر عليه الصلاة والسلام عن الكذب عليه بقوله : « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » [٢] .

ويتنوع الكذب هنا على الرسول ﷺ : فقد يكون في أقواله ، للاستدلال على شرعية التبرك ببعض الأمور ، وهذا هو الكثير ، وقد يكون الكذب في آثاره ﷺ .

---

(١) لعل من أسباب ذلك ما روي عن بعضهم أنه قال : سمعت بعض من أدركت يقول : بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا (إن الله وملائكته ...) الآية ثم قال : (صلى الله عليك يا محمد) حتى يقولها سبعين مرة ، ناداه ملك : (صلى الله عليك يا فلان ، لم تسقط لك حاجة) انظر القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي ص ٢٠٤ .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ٣٦/١ كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ومن نماذج الكذب على الرسول ﷺ في أقواله ما يأتي :

١ – إيراد الأخبار الموضوعة لأجل تعظيم النبي ﷺ في القصص التي تقرأ ليلة المولد النبوي [١] .

٢ – الأحاديث الموضوعة في فضل زيارة قبره ﷺ .

٣ – وضع الأحاديث في فضائل القبور كحديث : « إذا أعيتكم الأمور فعليكم بالقبور » [٢] .

٤ – الأحاديث المكذوبة في فضل الصخرة بالقدس .

٥ – أحاديث فضل الجامع الأموي بدمشق ومضاعفة الصلاة فيه .

أما الكذب على الرسول ﷺ في آثاره فإن المقصود به ما قد ينسب إلى الرسول ﷺ كذبا – لا سيما في العصر الحاضر – من آثاره الحسية ، للتبرك بها ، كشعراته مثلا [٣] .

وكذا دعوى وجود أثر موطيء قدم النبي ﷺ على بعض الأحجار ، حتى يتبرك بها ، وقد حققت عدم صحة ذلك [٤] .

الثاني : الكذب على غير الرسول ﷺ ، كالكذب على الصحابة رضي الله عنهم ، أو التابعين رحمهم الله ، وغيرهم من الصالحين .

وهذا الكذب عليهم قد يكون في الأقوال ، مثل ما ينسب إليهم من الروايات المكذوبة في ذكر فضائل وبركة بعض الأماكن .

---

(١) راجع إن شئت كتاب القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ﷺ للشيخ إسماعيل الأنصاري ص ٢٠٥ فما بعدها ، فقد ساق أمثلة كثيرة لهذه الأخبار وناقشها .

(٢) انظر ص ٤٠٨ .

(٣) راجع مسألة (هل يوجد شيء من آثار الرسول ﷺ في العصر الحاضر ؟) ص ٢٥٦ فما بعدها .

(٤) راجع ص ٣٥٣ فما بعدها .

وقد يكون الكذب عليهم في الأفعال ، كادعاء حصول البركة عند بعض القبور ، مثل ادعاء أن الشافعي كان يدعو عند قبر أبي حنيفة إذا نزلت به شدة فيستجاب له [(١)] .

الثالث : الكذب في تعيين موضع التبرك .

ويكثر هذا النوع في تعيين مواضع قبور بعض الصالحين من الصحابة وغيرهم .

ولعل خير مثال على ذلك هو تعدد أسماء المدن التي يقال إن رأس الحسين ابن علي رضي الله عنهما موجود فيها ، فقد بلغ عددها ثمانية أسماء [(٢)] .

الرابع : ادعاء بركة بعض المواضع دون مستند شرعي .

ومن النماذج على ذلك : زعمهم أن دار خديجة رضي الله عنها بمكة أفضل المواضع بعد المسجد الحرام ، وأن الدعاء يستجاب فيها [(٣)] .

ومنها كثرة ادعاء استجابة الدعاء عند بعض المقابر أو الجبال أو المساجد المحدثة المبنية على آثار الأنبياء والصالحين ، كما تقدم .

خامسا : تحريف النصوص :

عرفنا في الفقرة الماضية أن أصحاب التبرك الممنوع ، من أجل الاستدلال على شرعية ما ذهبوا إليه يلجؤن أحيانا إلى الكذب ، فهم لهذا أيضا يذهبون إلى تحريف معاني النصوص الشرعية ، وتحميلها ما لا تحتمل .

وأغلب ما يوجد من هذا التحريف هو تحريفهم النصوص التي يريدون الاستدلال بها .

---

(١) راجع ص ٤٠٩ .

(٢) راجع ص ٣٩١ .

(٣) راجع ص ٤٣٥ .

ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي :-

١ - استدلالهم على استحباب طلب الاستغفار من الرسول ﷺ عند قبره بعموم قوله تعالى : ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ﴾ (١) .

٢ - استدلالهم على مشروعية التبرك بالمواضع التي صلى فيها الرسول ﷺ بحديث صلاة الرسول ﷺ في بيت عتبان بن مالك رضي الله عنه (٢) .

٣ - استدلالهم على جواز اتخاذ المساجد على القبور بقوله تعالى في قصة أصحاب الكهف : ﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذنّ عليهم مسجدا ﴾ (٣) .

وقد يوجد التحريف من قبلهم عن طريق تحريف النصوص المعارضة لهم .

مثال ذلك تحريفهم نهي الرسول ﷺ عن اتخاذ قبره عيدا بقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تجعلوا قبري عيدا » (٤) .

فقالوا : هذا أمر بملازمة قبره ، والعكوف عنده ، واعتياد قصده وانتيابه ، ونهي أن يجعل بمنزلة العيد الذي يكون من الحول إلى الحول ، بل يقصد كل ساعة وكل وقت (٥) .

وهذا تحريف للمعاني ، ومناقضة لما قصده الرسول ﷺ ، وقلب للحقائق (٦) .

سادسا : إضاعة السنن :

من المفاسد في الدين التي يشتمل عليها التبرك الممنوع إضاعة السنن . وهذا

---

(١) سورة النساء (٦٤) ، وقد تقدمت الإجابة على هذه الشبهة ص (٢٣٦ ، ٣٣٧) .

(٢) راجع نص هذا الحديث مع الإجابة عنه ص (٣٤٩) .

(٣) سورة الكهف (٢١) ، وقد تقدم إيراد هذه الشبهة مع الجواب عليها ص (٤١١ ، ٤١٢) .

(٤) تقدم تخريجه ص ٣٢٩ .

(٥) إغاثة اللهفان لابن القيم ١٩٢/١ .

(٦) انظر المرجع السابق ١٩٢/١ ، ١٩٣ ، وراجع ص ٣٣٠ من الكتاب .

من خصائص البدع « ذلك أن القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن »[(١)] .

ولهذا جاء في الحديث « ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة »[(٢)] .

ولا شك أن السنن تموت إذا أُحييت البدع « لأن الباطل إذا عُمل به لزم ترك العمل بالحق ، كما في العكس ، لأن المحل الواحد لا يشتغل إلا بأحد الضدين »[(٣)] .

ثم إن من لم يعطل الفرائض والسنن فستضعف عنايته بها على الأقل ، بسبب تعلقه بالبدع .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عند سياقه مفاسد البدع : « ومنها أن الخاصة والعامة تنقص بسببها عنايتهم بالفرائض والسنن ، ورغبتهم فيها ، فتجد الرجل يجتهد فيها ويخلص وينيب ، ويفعل فيها ما لا يفعله في الفرائض والسنن ، حتى كأنه يفعل هذه عبادة ، ويفعل الفرائض والسنن عادة ووظيفة ، وهذا عكس الدين ، فيفوته بذلك ما في الفرائض والسنن من المغفرة والرحمة والرقة والطهارة والخشوع ، وإجابة الدعوة ، وحلاوة المناجاة ، إلى غير ذلك من الفوائد ، وإن لم يفته هذا كله فلا بد أن يفوته كماله »[(٤)] .

هذا ومن الأمثلة على ما يؤدي إليه التبرك الممنوع من إضاعة الواجبات والسنن ما يأتي :-

١ - التبرك بقبور الأنبياء والصالحين ، والعكوف عندها ومجاورتها ، ونحو ذلك من المظاهر المبتدعة يشغل عن كثير من الفرائض والواجبات والسنن المشروعة في الدين .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٤٠/٢ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٠٥/٤ عن غضيف بن الحرث ، وقد رمز له السيوطي بأنه حسن في كتاب الجامع الصغير ١٤٢/٢ .

(٣) الاعتصام للشاطبي ١١٤/١ .

(٤) الاقتضاء ٦١١/٢ ، وانظر هذا المرجع ٧٤١/٢ .

حتى لقد أصبح العكوف عند بعضهم في المسجد المبني على القبر أحب إليه من العكوف في المسجد الحرام ، بل حرمة ذلك المسجد المبني على القبر الذي حرّمه الله ورسوله أعظم عندهم من حرمة بيوت الله التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه [١] .

وبلغ الأمر ببعض الغلاة إلى تفضيل زيارة المشاهد التي على القبور على حج البيت الحرام ، وإلى اعتقاد أن السفر لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من حج البيت [٢] .

٢ - قصد المساجد المحدثة المبتدعة ، وتتبع آثار الأنبياء والصالحين وبعض الجبال والمواضع ، في مكة والمدينة وبلاد الشام وغيرها ، لأداء العبادات فيها تبركا ، كالصلاة والدعاء - في ذلك تعطيل لأداء العبادة المفروضة أو المسنونة في المساجد الثلاثة الفاضلة ، وسائر المساجد الأخرى التي شرعت العبادة فيها .

٣ - إقامة الأعياد والاحتفالات المبتدعة للموالد وغيرها ، التي تستنزف الجهود والأوقات ، وتشغل عن ذكر الله وعن الصلاة ، وعن كثير من الواجبات والسنن .

سابعا : التغرير بالجهال ، وإضلال الأجيال :

من الآثار السيئة للتبرك الممنوع أنه يؤدي إلى التغرير بالجهال وإضلالهم .

فمن المعلوم أن هذا التبرك يحتوي على مظاهر بارزة جذابة .

ومن أكثر تلك المظاهر : الأبنية المقامة على بعض القبور ، كالمساجد والقباب والمشاهد والمزارات ، وما يجري فيها وما حولها من مظاهر التبرك المبتدعة المختلفة .

ومنها أيضا مظاهر الأعياد والاحتفالات المبتدعة ، التي تقام في المساجد أو القبور أو الطرقات ، واجتماع الناس فيها .

---

(١) المرجع السابق ٧٣٩/٢ .

(٢) المرجع السابق ٧٣٩/٢ ، وراجع ص ٤٠٠ من الكتاب .

فإن الجاهل إذا رأى هذه المظاهر المحسوسة والمشاهد الملموسة ، أو مرّ بها ، سيتأثر بلا شك ، ويغترّ بذلك ، لاسيما مع كثرة أهلها الذين يزاولونها ويعتنون بها .

فهذا التبرك الممنوع – بمظاهره البّراقة – سبب من أسباب فتنة الناس به وجرّهم إليه ، ولا سيما الجهال والعوام ، وهو بهذا يؤدي إلى إضلال كثير من الأجيال المتعاقبة للمسلمين ، الذين يرون تلك المظاهر والمشاهد المتكررة ، التي تقام باسم الدين ، ويدعوا إليها من ينتسب إليه ، إضافة إلى تحسين الشيطان للبدع في نفوس الناس وتزيينها لهم .

وبهذا ينتهي بيان آثار التبرك الممنوع .

* * *

الفصل الثالث
وسائل مقاومة التبرك الممنوع

بعد عرض أسباب التبرك الممنوع وآثاره في الفصلين السابقين لابد – في هذا الفصل – من بيان وسائل مقاومته ، للقضاء عليه ، والحد من انتشاره بين المسلمين .

ويمكن حصر ذلك في ثلاث وسائل مهمة ، وبيانها فيما يأتي :–

أولا : نشر العلم :

لا يشك أحد في فضل العلم ، ورفعة منزلته ، وفضل طلبه ، وفضيلة العلماء .

والمراد بالعلم هنا : العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه ، في عباداته ومعاملاته ، والعلم بالله تعالى وصفاته ، وما يجب له من القيام بأمره ، وتنزيهه عن النقائص [1] .

ومن لوازم تعلم العلم : تبليغ العلم ، ونشره بين الناس ، وتعليمهم إياه ، كما قال رسول الله ﷺ : « خيركم من تعلم القرآن وعلّمه » [2] .

وكما قال ﷺ في إحدى خطبه في الحج : « ليبلّغ الشاهد الغائب » [3] .

فعلى العلماء بذل العلم ونشره بين الناس على أوسع نطاق ، وعدم كتمان العلم ، ولا سيما عند شيوع الجهل وظهور البدع ، حتى يعرف الناس الحق من الباطل ، ويعبدوا ربهم على بصيرة وعلم .

---

(١) فتح الباري ١٤١/١ .

(٢) أخرجه البخاري عن عثمان رضي الله عنه . انظر صحيح البخاري ١٠٨/٦ كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤/١ ، ٢٥ كتاب العلم ، باب قول النبي ﷺ رب مبلَّغ أوعى من سامع ، ومسلم في صحيحه ٩٨٨/٢ كتاب الحج ، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها .

وبما أن أهم ما يتضمنه العلم الشرعي بيان أصول الدين – المسمى أحيانا بعلم العقيدة – فإن ذلك يعني بيان العقيدة الصحيحة ، عقيدة السلف الصالح التي تقوم على اتباع كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، والتمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم .

ولا ريب أن في التزام هذا المنهج السليم والسبيل المستقيم لسلفنا الصالح عصمة من الانحراف ، وسلوك سبل البدع والضلالات ، قال تعالى : ﴿ وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [١] .

ومن المعلوم أن التبرك الممنوع لون من ألوان البدع المحدثة كما سبق . ففي نشر العلم الشرعي – المتضمن بيان عقيدة أهل السنة والجماعة وما يضادها – وقاية من الوقوع في التبرك الممنوع ، كما أن في ذلك أيضا مقاومة له بعد حصوله .

ولأجل تحقيق تلك الأهداف النبيلة أرى أن تُتبع الخطوات الآتية :–

١ – الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وتلقي العلم منهما ، والتمسك بمنهج الصحابة رضي الله عنهم ، والتطبيق الحقيقي لذلك في كل قضية من قضايا العقيدة والشريعة .

٢ – تدريس كتب العقائد الصحيحة في المراحل الدراسية وتكثيف مناهجها ، واختيار المدرسين المتخصصين في فهم عقيدة السلف وتفهيمها للطلاب ، وإقامة دروس في المساجد لتفهيم العقيدة لعامة الناس ، ومن لا تسمح له ظروفه بمتابعة الدراسة المنهجية .

٣ – نشر كتب السلف الصالح ، وإيصالها إلى أيدي القراء بسهولة ، وتوفيرها في المكتبات العامة للمراجعة ، ونبذ كتب أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة [٢] .

---

(١) سورة الأنعام (١٥٣) .

(٢) هذه الفقرة وما قبلها اقتبستهما من مقال للدكتور صالح الفوزان بعنوان (بيان التوحيد والتحذير من الشرك) في مجلة البحوث الإسلامية الصادرة في الرياض عدد ٢٠ عام ١٤٠٧ /١٤٠٨ هـ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

٤ – حث المسلمين جميعا على التمسك بعقيدة أهل السنة ، وتبليغها لهم ، وبيان ضرورة الالتزام بها ، وتحذيرهم من البدع ، ولا سيما ما انتشر منها ، وبيان أخطارها ، والتحذير من مخالطة أهل البدع ، أو التشبه بالكفار . وهذا ممكن عن طريق الخطب والمحاضرات ، والمواعظ والمؤلفات ، وشتى وسائل الدعوة والتوجيه .

٥ – إتاحة الفرصة للناس في كل مناسبة لسؤال العلماء عن أمور دينهم وأحكامهم .

وبذلك تتضح السنن للناس وتفترق عن البدع ، ومن ثم يتميز التبرك المشروع عن الممنوع ، ويكون الناس على بصيرة بأحكام التبرك ، ولا يعتذر أحد بالجهل .

ثانيا : الدعوة إلى المنهج الحق :

من الوسائل المهمة لمقاومة التبرك الممنوع الدعوة إلى المنهج الحق ، وأعني بهذا دعوة من ابتلي بشيء من صور التبرك الممنوع حتى يرجع إلى الحق وإلى منهج الشرع القويم .

وتحقيق ذلك داخل ضمن مبدأ عظيم من مبادىء الدين ، ألا وهو مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وبإقامة هذا المبدأ استحقت هذه الأمة المحمدية أن تكون خير الأمم ، كما قال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [(١)] .

ومزاولة هذا العمل الشريف من علامات الايمان ﴿ المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ [(٢)] .

ولقد جاء الحث والتأكيد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضع

---

(١) سورة آل عمران (١١٠) .

(٢) سورة التوبة (٧١) .

كثيرة من كتاب الله عز وجل وأحاديث رسوله ﷺ ، وهي تتضمن التحذير من العواقب الوخيمة المترتبة على تعطيل هذه الشعيرة العظيمة .

ولا ريب أن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آثارا نافعة في تثبيت دعائم الحق ومحاربة الباطل ، وقمع البدع ، فضلا عن الآثار والمنافع الدينية الأخرى .

وقد أجمع المسلمون على وجوب تغيير المنكر على من قدر عليه [1] .

وقد قال ﷺ مبينا مراتب التغيير : « من رأى منكم منكرا فليغيّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » [2] .

فعلى هذا يجب على من عنده علم واستطاعة إنكار المنكرات ، التي من أعظمها البدع المحدثة في الدين ، ومنها بدع التبرك .

ويمكن دعوة من يمارس التبرك الممنوع إلى المنهج الحق باتباع الوسائل التالية :-

١ - على الدعاة - من أتباع السلف الصالح - إنكار جميع ما يقع من أصناف التبرك الممنوع في زمانه ومكانه ، مع مراعاة الآداب المطلوبة في ذلك .

٢ - على العلماء مناقشة الشبهات التي يتمسك بها مؤيدوا التبرك الممنوع ، والرد عليها ، عن طريق المؤلفات ، وشتى الوسائل المختلفة المناسبة .

٣ - وضع مرشدين من طلبة العلم عند بعض المواضع التي يكثر التبرك بها أو عندها تبركا ممنوعا ، كالمسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، وقبر الرسول ﷺ ، للتوعية والارشاد بشكل دائم ، وفي مشاعر الحج ، وسائر مزارات مكة والمدينة ، ولا سيما أوقات الحج .

٤ - كتابة النشرات الإرشادية المناسبة على لوحات - بعدة لغات - ووضعها عند أماكن التبرك الممنوع المتعددة ، كالمقابر والمشاهد ، والجبال ، والمساجد المحدثة .

---

(١) انظر تفسير القرطبي ٤/٤٨ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . انظر صحيح مسلم ١/٦٩ ، كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان .

٥ – توجيه من يمارس التبرك الممنوع إلى بديله من التبرك المشروع .

فيكتفى مثلا بتحري ليلة القدر وإحيائها بالعبادة والدعاء لعظم بركتها ، عن إحياء ليلة المولد النبوي ، ونحوها .

ويكتفى بأداء الصلاة مثلا في المساجد الثلاثة ، التي يضاعف الأجر فيها ، أو في سائر المساجد الأخرى ، عن أدائها في المساجد المحدثة المبتدعة ، أو في بعض الجبال والمواضع .

وقد شرع الله تعالى من السنن والمواسم والعبادات ما فيه كفاية العباد [1] ، وغنية عن استحداث البدع ، وله تعالى الحمد والمنة .

٦ – توعية الأدلّاء الجهال أو من يسمون (المزوِّرين) الذين يصطحبون الحجاج أو الزوار إلى المزارات المشروعة ، وعقد الدورات لهم لتوجيههم ، واشتراط أن يكونوا متعلمين ، ومن المعروفين باتباع السنة .

٧ – على أولياء أمور المسلمين منع الأدلّاء (المزوِّرين) الذين يدعون إلى البدع في المزارات ، أو يذهبون إلى المزارات الممنوعة .

ولقد سئل شيخ الاسلام ابن تيمية عن حكم عمل القوّام عند القبور – أو غيرهم – الذين يأمرون زوار القبور بالبدع ويرغّبونهم فيها ، ويأخذون على ذلك جُعلا ، وعن موقف ولي الأمر من ذلك .

وكان مما أجاب عن ذلك قوله رحمه الله بعدما أبان حرمة هذا العمل : « ومن أمر الناس بشيء من ذلك ، أو رغّبهم فيه ، أو أعانهم عليه ، من القوّام أو غير القوام ، فإنه يجب نهيه عن ذلك ، ومنعه منه ، ويثاب ولي الأمر على منع هؤلاء ، ومن لم ينته عن ذلك فإنه يُعزر تعزيرا يردعه ، وأقلّ ذلك أن يُعزل عن القيامة ، ولا يُترك من يأمر الناس بما ليس من دين المسلمين » .

وأفاد رحمه الله أن (الكسب الذي يكسب بمثل ذلك خبيث ، من جنس كسب الذين يكذبون على الله ورسوله ويأخذون على ذلك جُعلا ، ومن جنس كسب سدنة الأصنام الذين يأمرون بالشرك ويأخذون على ذلك جُعلا) [2] .

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٦٣٣/٢ .

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠٦/٢٧ – ١١١ .

هذا ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد .

ثالثا : إزالة وسائل الغلو ومظاهر التبرك :

من الوسائل الفعلية النافعة لمقاومة التبرك الممنوع : إزالة وسائل الغلو في الأنبياء والصالحين وغيرهم ، ومظاهر التبرك الحسية المبتدعة .

والمظاهر المحسوسة للتبرك الممنوع منها ما يكون من المنكرات والمحرمات التي تتعين إزالتها ، ومنها ما قد يؤدي إلى التبرك الممنوع ، فيزال من باب سد الذريعة ، كما سيأتي بيانه .

والأصل في إزالة المنكر قوله ﷺ : « من رأى منكم منكرا فليغيّره بيده ... » (١) الحديث .

وتغيير المنكر وإزالته باليد ونحوها أعلى مراتب التغيير ، ولا يجوز العدول عن هذه المرتبة إلى ما دونها إلا عند عدم الاستطاعة .

وهناك نماذج عديدة لازالة المنكر الظاهر على مر العصور من قبل الأنبياء عليهم السلام وغيرهم ، كخلفاء المسلمين .

فقد كسر إبراهيم عليه السلام أصنام قومه ، وأحرق موسى عليه السلام العجل الذي عُبد من دون الله ، وكسر النبي ﷺ الأصنام لما فتح مكة ، وهدم عليه الصلاة والسلام مسجد الضرار بالمدينة ، وحرّق بعض الخلفاء أمكنة الخمر ، وأتلفوا المغشوش مما يباع في أسواق المسلمين (٢) ، إلى غير ذلك من الأمثلة الأخرى (٣) .

أ) ومن أبرز مظاهر التبرك الممنوع التي تتعين إزالتها : إزالة وهدم القباب والمشاهد على قبور الأنبياء والصالحين ، ومن يسمّون بالأولياء .

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي (٤) قال : قال لي علي بن

---

(١) تقدم تخريجه قريبا .

(٢) انظر الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم ص ٢٧٣ - ٢٧٧ .

(٣) راجع كتاب الحسبة لابن تيمية ص ٤٧ - ٥٢ الطرق الحكمية ص ٢٧٣ - ٢٨٢ .

(٤) تقدمت ترجمته ص ٤٠٣ .

أبي طالب رضي الله عنه : « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبرا مشرفا إلا سوّيته » (١) .

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في رسالته « شرح الصدور في تحريم رفع القبور » : « في هذا أعظم دلالة على أن تسوية كل قبر مشرف بحيث يرتفع زيادة على القدر المشروع واجبة متحتمة » (٢) .

وقد أفتى العلماء المحققون بوجوب هدم البناء على القبور .

قال الإمام القرطبي رحمه الله : « وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كانت الجاهلية تفعله تفخيما وتعظيما فذلك يُهدم ويُزال » (٣) .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله عن المشاهد المبنية على القبور : « لا يحل إبقاؤها في الإسلام ، ويجب هدمها ، ولا يصح وقفها ، ولا الوقف عليها » (٤) اهـ .

ومع أن البناء على القبور ، وما يتبع ذلك من المظاهر لا يجوز ، فهو أيضا وسيلة من وسائل الغلو والفتنة بأصحابها .

ب – ومما يدخل في وجوب إزالة البناء على القبور : هدم المساجد المبنية عليها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم ، يتعين إزالتها بهدم أو بغيره ، هذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء المعروفين » (٥) .

وقال في موضع آخر : « يجب هدم كل مسجد بني على قبر كائنا من كان الميت » (٦) .

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٠٣ .

(٢) رسالة شرح الصدور ص ٨٧ .

(٣) تفسير القرطبي ٣٨١/١٠ .

(٤) زاد المعاد ٦٠١/٣ .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ٦٦٩/٢ .

(٦) مجموعة الرسائل والمسائل ٦٧/١ ، وانظر تفسير سورة الاخلاص لابن تيمية ص ٣٣٠ ، وكتاب المنثورات للنووي ص ٤٨ .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله عن حكم المساجد المبنية على القبور : « حكم الإسلام فيها أن تُهدم كلها حتى تُسوى بالأرض ، وهي أولى بالهدم من مسجد الضرار » [١] اهـ .

وإذا دفن الميت في المسجد فإنه يجب إخراجه منه أيضا ودفنه في مدافن المسلمين .

قال الإمام ابن القيم : « يُهدم المسجد إذا بني على قبر ، كما يُنبش الميت إذا دفن في المسجد ... فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر ، بل أيهما طرأ على الآخر منع منه ، وكان الحكم للسابق ، ولو وضعا معا لم يجز » [٢] .

ومن المساجد التي يجب إزالتها أيضا : المساجد المحدثة المبتدعة ، المبنية على بعض الجبال والآثار ، والتي يقصدها البعض للتبرك بها والصلاة فيها ، فيجب هدمها والقضاء على كل ما يسهل الوصول إليها ، سدا لباب الشر ومنعا للفتنة [٣] .

ج – ومما يجب إزالته من مظاهر التبرك : قطع الأشجار التي يتبرك بها ، وتعظم ، أو يخشى أن يفتتن فيها الناس ، مع ما في الأشجار من المنافع ، لكن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح والمنافع .

ولذا قطع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشجرة التي بايع تحتها الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ لما خاف عليهم الفتنة ، كما سبق [٤] .

وقال أبو بكر الطرطوشي [٥] لما ساق حديث شجرة « ذات أنواط » [٦] . قال رحمه الله تعالى : « فانظروا – رحمكم الله تعالى – أينما وجدتم سدرة أو شجرة

---

(١) إغاثة اللهفان ٢١٠/١ .

(٢) زاد المعاد ٥٧٢/٣ .

(٣) انظر كتاب فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة ص ٢٣ طبع ونشر الرئاسة العامة للبحوث والافتاء .

(٤) راجع ص ٣٤٦ .

(٥) تقدمت ترجمته ص ١٦٣ .

(٦) تقدم هذا الحديث مع تخريجه ص ٤٦١ ، ٤٦٢ .

يقصدها الناس ، ويعظّمون من شأنها ، ويرجون البرء والشفاء من قبلها ، وينوطون بها المسامير والخرق ، فهي ذات أنواط ، فاقطعوها » [١] اهـ .

ومن النماذج على إزالة مظاهر التبرك ما صنعه الشيخ أبو إسحق الجبنياني [٢] رحمه الله في شمال افريقية في القرن الرابع ، فإنه كان إلى جانبه عين تسمى (عين العافية) كانت العامة قد افتتنوا بها ، يأتونها من الآفاق ، فمن تعذر عليها نكاح أو ولد قالت : امضوا بي إلى العافية ، فخرج ذات ليلة في السحر فهدمها [٣] .

ومن هذا القبيل أيضا ما صنعه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، حيث كسر في دمشق كثيرا من الأنصاب التي كان بعض الناس يتبركون بها [٤] .

ومن ذلك أيضا ما فعله الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأتباعه ، حيث هدموا الكثير من القباب والمشاهد الموجودة في بلاد نجد والحجاز [٥] .

د – ومن الأمور الأخرى التي يمكن أن تلحق بما سبق : منع طباعة وتداول المصاحف الصغيرة جدا ، التي تستعمل لمجرد التبرك فقط ، حيث لا تمكن القراءة فيها [٦] .

ومما تجدر الاشارة إليه هنا أن هناك أصواتا تدعو إلى العناية والاهتمام بما يسمى (الآثار الاسلامية) وتقديسها ، وتعمير ما تهدم منها ، إحياء للتراث ، وتعظيما لآثار الأنبياء والصالحين .

---

(١) الحوادث والبدع للطرطوشي ص ٣٧ .

(٢) هو الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن علي البكري الجبنياني – نسبة إلى (جبنيانة) قرية بتونس قرب سفاقس ، الزاهد العابد ، له في الزهد أخبار كثيرة ، توفي سنة ٣٦٩ هـ ، وله تسعون سنة .
انظر الديباج المُذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون المالكي ٢٦٤/١ ، الأنساب للسمعاني ١٨٥/٣ ، ١٨٦ هـ (٥) .

(٣) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص ٢٧ باختصار .

(٤) انظر إغاثة اللهفان لابن القيم ٢١٢/١ .

(٥) انظر كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ٩/١ ، وكتاب الدين الخالص ٥٧٥/٣ ، وكتاب مكة في القرن الرابع عشر الهجري لمحمد عمر رفيع ص ١٢٥ .

(٦) تقدمت الاشارة إلى هذه المسألة ص ٢٤٠ .

ولا شك أن تعظيم آثار الأنبياء والصالحين بهذه الطريقة مخالف للشرع ، فهو داخل في الغلو فيهم ، وهو وسيلة إلى الشرك ، وفيه تشبه بالكفار ، كما تقدم .

وتعظيم هذه الآثار إنما يكون باتباع أهلها في أعمالهم الصالحة ، وأخلاقهم الحميدة ، وأما تعظيم الآثار بالأبنية والزخارف والكتابة ونحو ذلك ، فهو خلاف هدي السلف الصالح ، ومن سنن اليهود والنصارى [١] .

فعلى هذا يجب الحذر والتنبه لتلك الدعوة وأمثالها .

وفي ختام هذا الباب اسأل الله تعالى أن يعين المسلمين ويوفقهم للقضاء على هذا الداء الخطير ، حتى يسلموا من شروره وأخطاره ، إنه على ذلك قدير .

* * *

---

(١) من مقال لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ردا على مصطفى أمين عندما دعا إلى تعظيم آثار المدينة المنورة . انظر مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٣٩٥/١ فما بعدها .

ولسماحته أيضا رد آخر على مقال لصالح محمد جمال يدعو فيه إلى تعظيم الآثار الاسلامية . انظر المرجع السابق ٤٠٥/١ فما بعدها .

الخاتمــــة

بعد أن منّ الله تعالى عليّ بإتمام كتابة موضوع البحث (التبرك : أنواعه وأحكامه) أستطيع – بتوفيق الله تعالى – استخلاص أبرز نقاط البحث وأهم نتائجه فيما يأتي :–

أولا : في مباحث التمهيد :

١) أن كل خير وبركة في الموجودات فهو من الله تبارك وتعالى ، وأنه يختص بعض خلقه بما يشاء من ذلك .

٢) البركة في اللغة العربية تطلق على الثبوت واللزوم ، وعلى النماء والزيادة ، وفي القرآن والسنة بمعنى ثبوت الخير ودوامه ، أو كثرة الخير وزيادته ، أو اجتماعهما معا .

٣) أن لفظ (تبارك) لا يوصف به إلا الله تبارك وتعالى .

٤) التبرك مشروع في الاسلام ، ولكن ليس مشروعا على الاطلاق ، بل إن منه ماهو ممنوع .

ثانيا : في مباحث الباب الأول :

١) أن البركة تنقسم إلى قسمين : دينية ودنيوية .

٢) من أعظم الأمور المباركة القرآن الكريم ، ويتضمن خيرات كثيرة دينية ودنيوية.

٣) أفضلية الرسول ﷺ ، وأنه مبارك في ذاته وفي أفعاله وفي آثاره ﷺ ، وبركاته تتضمن البركة الدينية والدنيوية .

٤) فضل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأنهم أصحاب خير وبركة على الناس في دنياهم وأخراهم .

٥) فضل الملائكة عليهم السلام ، وأن لهم بركات عديدة على المؤمنين .
٦) فضل الصالحين ، وأن لهم منافع وبركات على غيرهم دينية ودنيوية .
٧) فضل المساجد الثلاثة ، وأفضلية الصلاة فيها ، واختصاصها بجواز شد الرحل اليها .
٨) فضل المشاعر المقدسة في مكة المكرمة ، وبركة الأعمال الصالحة فيها إذا أديت على الوجه المشروع .
٩) اختصاص المدينة المنورة بفضائل وبركات عظيمة ، وفضل الصلاة في مسجد قباء .
١٠) فضل وبركة سائر المساجد .
١١) تميّز شهر رمضان بعدة فضائل وبركات ، وأفضلية ليلة القدر وبركتها .
١٢) فضل وبركة عشر ذي الحجة ، وأيام التشريق ، والأشهر الحرم ، ويوم الجمعة والاثنين والخميس ، ووقت النزول الالهي .
١٣) بركة بلاد الشام ، واليمن .
١٤) بركة المطر ، وشجرة الزيتون ، واللبن ، والخيل ، والغنم ، والنخل .

ثالثا : في مباحث الباب الثاني :

١) أن لذكر الله تعالى – بمختلف أنواعه – بركات دينية ودنيوية .
٢) فضل وبركة تلاوة القرآن الكريم .
٣) أن الرقية بالقرآن الكريم أو بذكر الله عز وجل – إذا كانت على الوجه المشروع – من أعظم أسباب العلاج والشفاء لكثير من الأمراض الحسية والمعنوية ، بل إنها من أسباب الوقاية أيضا .
٤) لا بأس بالرقية عن طريق القراءة في الماء ، أما الرقية عن طريق الكتابة في الإناء ونحوه فالأولى تركها .
٥) أن القول الأقرب والأحوط هو عدم جواز تعليق التمائم التي من القرآن أو الذكر .
٦) لا ينبغي تعليق الآيات أو الأذكار على الجدران ونحوها للتبرك ، لأنه من البدع ، وكذا وضع المصحف في مكان ما للتبرك .

٧) ثبوت تبرك الصحابة رضي الله عنهم بذات النبي ﷺ الكريمة وبآثاره الشريفة في حياته ، وإقراره ﷺ إياهم على ذلك ، وثبوت تبركهم أيضا وتبرك التابعين بآثاره ﷺ بعد وفاته .

٨) أن ما يُدّعى الآن عند بعض الأشخاص أو في بعض المواضع من وجود بعض الآثار النبوية - كالشعرات أو النعال أو غيرها - موضع شك كبير ، وأنه يصعب ويُستبعد إثبات صحة نسبتها إلى الرسول ﷺ على وجه القطع واليقين .

٩) عدم صحة ما رآه بعض العلماء من جواز التبرك بذوات الصالحين وآثارهم قياسا على الرسول ﷺ .

١٠) مشروعية التبرك بمجالسة الصالحين وصحبتهم ، للانتفاع بعلمهم ، والاستماع إلى نصائحهم ، والانتفاع بدعائهم ، والتحصل على فضل مجالس الذكر ، ونحو ذلك .

١١) مشروعية التبرك بشرب ماء زمزم للحاج والمعتمر وغيرهما ، الذي هو أفضل مياه الأرض شرعا وطبا ، وفيه طعام وشفاء ، وأنه يجوز نقله خارج الحرم للتبرك به .

١٢) استحباب السحور للصائم لحصول البركة الدينية والدنيوية فيه .

١٣) من سنن آداب الأكل المقرونة بالبركة : الاجتماع عليه ، والتسمية ، والأكل من جوانب إناء الطعام ، ولعق الأصابع بعد الأكل ، ولعق إناء الطعام ، وأكل اللقمة الساقطة ، وأن كيل الطعام فيه بركة .

١٤) من الخصال الحميدة التي تجلب البركة : الصدق في المعاملة ، وسخاء النفس في طلب المال ، والتبكير والمبادرة - أول النهار - في طلب العلم والتجارة ، ونحو ذلك من المهمات .

رابعا : في مباحث الباب الثالث :

١) الأمور التي منع الدين التبرك بها : ما نص الشرع على النهي عنه والتحذير من فعله ، وما تجاوز حدود التبرك المشروع ، وما لم يكن له مستند من الشرع أصلا .

٢) استحباب زيارة قبر الرسول ﷺ – على الوجه المشروع – بدون شد رحل .
٣) أن شد الرحال لمجرد زيارة قبره ﷺ فقط لا يجوز .
٤) أن السفر لزيارة مسجده ﷺ وقبره معا جائز .
٥) عدم شرعية التبرك بقبره ﷺ ، ورد شبه المخالفين .
٦) عدم شرعية التبرك بالمواضع التي جلس أو صلى فيها عليه الصلاة والسلام دون قصد ، ورد شبه المخالفين .
٧) أن ما قصده الرسول ﷺ من العبادات في أي موضع على وجه التعبد – كالصلاة خلف مقام إبراهيم عليه السلام ، وقصد الصف الأول في الصلاة – يشرع قصده اقتداء به ﷺ .
٨) بطلان ادعاء وجود أحجار عليها أثر موطيء قدم النبي ﷺ ، وأنه لو صح وجود شيء من ذلك افتراضا فإنه لا يجوز التبرك به على أي وجه .
٩) عدم جواز التبرك بمكان ولادة النبي ﷺ ، ووقوع الاختلاف في تعيين مكان الولادة .
١٠) عدم شرعية التبرك والاحتفال بليلة مولد النبي ﷺ ، والرد على شبه المجيزين ، وبيان أنه ليس لهذه الليلة مزية على غيرها ، واختلاف المؤرخين في تعيينها .
١١) أول من أحدث بدعة الاحتفال بالمولد النبوي هم العبيديون (المتسمون بالفاطميين) في القرن الرابع .
١٢) عدم شرعية التبرك والاحتفال بليلة الأسراء والمعراج ، ووقوع الاختلاف في تعيينها ، وعدم شرعية التبرك والاحتفال بذكرى الهجرة ، ونحوها من الأحداث والوقائع .
١٣) من أنواع التبرك الممنوع : التبرك بذوات الصالحين وآثارهم ومواضع عباداتهم وإقامتهم ، ورد شبه المجيزين لذلك .
١٤) مشروعية زيارة القبور للرجال على الوجه المشروع ، بدون شد رحل .
١٥) أن المقصود بزيارة القبور شيئان : اتعاظ الزائر ، والاحسان إلى الأموات بالسلام عليهم والدعاء لهم .
١٦) وجود قبور كثيرة مشهورة يتبرك بها في أنحاء العالم الإسلامي .
١٧) أول من أدخل بدع مشاهد ومزارات القبور عند المسلمين هم الشيعة الروافض ، ثم أصحاب الطرق الصوفية .

١٨) عدم شرعية التبرك بقبور الأنبياء والصالحين وغيرهم، والرد على شبه المخالفين.
١٩) عدم شرعية التبرك والاحتفال بموالد الأنبياء والصالحين الزمانية والمكانية.
٢٠) من أنواع التبرك الممنوع : التبرك ببعض الجبال والمواضع ، وشد الرحل إليها لأجل ذلك .
٢١) ليس في الدنيا من الجمادات ما يُشرع تقبيله إلا الحجر الأسود ، ولا يُمسح غير الحجر الأسود والركن اليماني من الكعبة ، ولا يجوز الطواف بغير الكعبة المشرفة ، ولا يراد بهذه الأمور التبرك بالكعبة ، إنما المقصود التعبد والاتباع .
٢٢) ليس في الشريعة بقعة تقصد للعبادة إلا المساجد ومشاعر الحج .
٢٣) ليس من شريعة الاسلام : التبرك بجدران المساجد أو ترابها أو أبوابها ، من جهة التقبيل أو التمسح ونحو ذلك ، لا المسجد الحرام ، ولا سائر المساجد .
٢٤) وجود عدة مساجد محدثة مبنية على آثار الرسول ﷺ ، أو غيره من الأنبياء والصالحين ، في مكة والمدينة والشام وغيرها – تُزار وتُقصد للعبادة تبركا من قبل البعض – وهذا غير مشروع .
٢٥) وجود بعض الجبال والدور والآبار التي يُدّعى فيها الفضل والبركة ، وتُزار وتُقصد تبركا بها ، وهذا ليس بمشروع .
٢٦) ليس للصخرة في القدس مزية في الاسلام ولا خصوصية في العبادة ، إنما هي كانت قبلة منسوخة ، فلا يجوز التبرك بها على أي وجه .
٢٧) لا يُقطع بتعيين قبر نبي سوى قبر نبينا محمد ﷺ بالمدينة المنورة إجماعا ، وقبر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بمدينة الخليل بالشام على قول الجمهور .
٢٨) لا يجوز التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها بأي وجه من الوجوه .
٢٩) أن بعض صور ومظاهر التبرك الممنوع قد تكون شركا ، وذلك بحسب الفعل ذاته ، أو على حسب اعتقاد فاعله وقصده .

خامسا : في مباحث الباب الرابع :

١) أبرز أسباب وجود التبرك الممنوع في المجتمع الاسلامي : الجهل بالدين ، والغلو في الصالحين ، والتشبه بالكفار ، وتعظيم الآثار .

٢) من العوامل الأخرى المعينة على وجوده وانتشاره : تأثير الفرق المبتدعة ، كالصوفية والرافضة ، والتمسك بالآثار الضعيفة أو الموضوعة ، وقياس الممنوع من التبرك على المشروع منه ، وسكوت العلماء عن الأنكار ، والاستسلام للعاطفة ، والتعصب للهوى .

٣) التبرك الممنوع يفضي إلى شرور كثيرة اعتقادية وعملية ، وله آثار سيئة خطيرة .

٤) أهم هذه الآثار : الشرك ، الابتداع ، اقتراف المعاصي وانتهاك الحرمات ، الوقوع في عدة أنواع من الكذب ، تحريف النصوص ، إضاعة الواجبات والسنن ، التغرير بالجهال وإضلال الأجيال .

٥) من الوسائل المهمة لمقاومة التبرك الممنوع والقضاء عليه : نشر العلم الشرعي بين الناس على أوسع نطاق ، والدعوة إلى المنهج الحق ، وذلك ضمن تحقيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإزالة وسائل الغلو في الأنبياء والصالحين وغيرهم ، ومظاهر التبرك الحسية المبتدعة .

وفي ختام هذا الكتاب أتوجه إلى الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل في ميزان أعمالي الصالحة يوم القيامة ، وأن يغفر لي كل خطأ أو سهو أو تقصير ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

الفهارس

١ – فهرس الآيات .
٢ – فهرس الأحاديث .
٣ – فهرس الآثار .
٤ – فهرس تراجم الأعلام .
٥ – فهرس المصادر والمراجع .
٦ – فهرس الموضوعات .

الآيــــة	الصفحة

الآية	الصفحة
– أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين	٤٠١
– أمّن يجيب المضطر إذا دعاه	٤٠٩
– إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا	١٦١،٣٢
– إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش	٨٩،٣٣
– إن الصفا والمروة من شعائر الله	١٠٨
– إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله	١٥٨،١٥٦
– إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة	٢١٥
– إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين	٢١
– إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين	١٦
– إن الله وملائكته يصلون على النبي	٢٠٨،٨٥
– إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم	٤٩
– أن بورك من في النار	٢٨
– إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور	٧٥
– إنا أنزلناه في ليلة القدر	١٤٧،١٤٦
– إنا أنزلناه في ليلة مباركة	١٤٤
– إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد	٤٨
– إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون	٦٠،٥٣
– إنه لقرآن كريم ، في كتاب مكنون	٥٢
– إنه لقول رسول كريم ، ذي قوة عند ذي العرش مكين	٨٢
– إني لكم رسول أمين	٧٤
– إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم	٤٦٤
– إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام	١٠١
– إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر	١٣٣
– انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض	٢٢

الآيـــة	الصفحة
– أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا	١١٣
– بأيدي سفرة ، كرام بررة	٨٢
– تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام	٣٦،٣٤
– تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك	٣٤
– تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير	٣٤
– تبارك الذي جعل السماء بروجا	٣٤
– تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا	٥٣،٤٧،٣٤
– تكاد االسموات يتفطرن من فوقهن	٨٦
– تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض	٧٢،٢١
– تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين	٤٩
– تنزل الملائكة والروح فيها	١٤٦
– توفته رسلنا	٨٩
– ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها	٣٧٩
– جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس	١٥٧،١٢١
– جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم	٨٤
– حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا	٨٥
– حم ، والكتاب المبين ، إنا أنزلناه في ليلة مباركة	١٤٥
– رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ	٢٠٩
– ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا	٦١
– رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت	٣٣،٢٦،١٨
– سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام	١٠١،١٢٨، ١٢٩،١٧٨
– سوف أستغفر لكم ربي	١٧٤
– شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا	٧٢

الآيـــة الصفحة

– شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن ٤٧، ١٤٢، ١٤٧
– فإذا أفضتم من عرفات ١٠٩
– فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ١٨
– فالمدبّرات أمرا ٨٨، ٨٩
– فالمقسّمات أمرا ٨٨
– فإما يأتينّكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يَضل ولا يشقى ٩٢
– فإن الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ٨٣
– فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين ٤٩
– فسخرنا له الريح تجري بأمره ٧٦
– فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة ٤٩
– فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ٢٠٦
– فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ١٧٩
– فناداها من تحتها ألّا تحزني ٧٧
– فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ٧٤
– فولّ وجهك شطر المسجد الحرام ١٠١
– في بيوت أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه ١٣١
– فيها يُفرق كل أمر حكيم ١٤٥
– قال الذين غلبوا على أمرهم لنتّخذن عليهم مسجدا ٤١١
– قال إنى عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا ، وجعلني مباركا أينما كنت ٢١، ٧٦
– قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ٤٩
– قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ٢٧٦

الآيـــة	الصفحة
– قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء	١٥
– قل إنّ الفضل بيد الله	١٦،٢٢،٢٤
– قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزّله على قلبك بإذن الله	٤٧
– قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون	٤٦٧
– قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء	٢٣٠
– قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكّل بكم	٨٣
– قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك	١٨،٧٦
– كتاب أنزلناه إليك مبارك	٤٥،٢١٩
– كتاب فُصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا	٥٠
– كنتم خير أمة أُخرجت للناس	٦١،٤٩٩
– لئلا يعلم أهل الكتاب ألّا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء	٢٢
– لتدخلن المسجد الحرام	١٠١
– لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض	٣١
– لقد أنزلنا آيات مبينات	٤٨
– لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة	٣٧٠
– لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة	٧٤
– له معقّبات من بين يديه ومن خلفه	٨٥
– لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله	٥٢
– ما عندكم ينفد وما عند الله باق	١٦
– ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى	٣٩٥
– هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين	٤٧
– هو أجتابكم وما جعل عليكم في الدين من حرج	٦١
– هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق	٤٧،٥٩

الآيــــة	الصفحة

الآية	الصفحة
– هو أنزل من السماء ماء لكم منه شراب	١٨٤
– هو الذي يصلي عليكم وملائكته	٨٥
– واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى	٣٨٥، ٤٢٧
– واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك	٢١٥
– وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور	٧٥
– وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم	٧٢
– وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن	٦٠
– وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك	٢١
– وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نُؤتي مثل ما أوتي رسل الله	٢٤
– وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر	١٥٢
– واذكروا الله في أيام معدودات	١٥٣
– وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة	١٦
– واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي	٢٧٤
– وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل	١٩١، ١٩٣
– والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة	١٩٢
– والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان	٩٦
– والفجر وليال عشر	١٤٩
– وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها	١٦
– وإنّ عليكم لحافظين ، كراما كاتبين	٤٨
– وإنّ لكم في الأنعام لعبرة	١٨٩
– وإنّ منها لما يهبط من خشية الله	٤٤٥
– وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتبعوه	٤٩٨
– وأنزلنا إليك الكتاب بالحق	٥٢
– وإن أحد من المشركين استجارك	٤١
– وإنك لعلى خلق عظيم	٥٦

الآيـــة	الصفحة
– وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم	٥١
– وإنه لتنزيل رب العالمين	٨٣
– وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد	٤٧
– وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار	٢١
– وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ	٥٣
– وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها	١٧٧،٣٢
– وبالأسحار هم يستغفرون	١٧٤
– وبالحق أنزلناه وبالحق نزل	٤٧
– وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين ، وباركنا عليه ولى إسحق	٢١
– وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما	٣٤
– وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه	٧٣
– وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة	١٧٧
– وجعلنا من الماء كل شيء حي	١٨٣
– وجعلني مباركا أينما كنت	١٨
– وربك يخلق ما يشاء ويختار	٢٦٣،٢٢
– ورسلا قد قصصناهم عليك	٧٢
– وسع كرسيه السموات والأرض	٤٥٠
– وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين	١٧٨
– وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت	٣٨٥
– وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه	٨١
– وقالوا لا تذرن آلهتكم	٤٨٥
– وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا	٥١
– وقيل يا أرض إبلعي ماءك	٢٣٥

الآيـــة	الصفحة
– وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا	٥١
– وكذلك جعلناكم أمة وسطا	٦١
– وكفّلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا	٩٧
– وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود	٢٩٥
– ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه	٢٠٦
– ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا	٣٣٥
– ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها	١٧٧
– ولقد بعثنا في كل أمة رسولا	٤٨٣،٧٥
– ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم	٤٩،٤٨
– ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين	٣٤
– ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيّبات وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا	٢١
– ولكن رسول الله وخاتم النبيين	٥٩
– ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها	٢٠٩
– ولن ترض عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملّتهم	٤٧٥
– وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون	٨٢
– ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض	١٨٣،٩٤
– ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفر الله	٤٩٣،٣٣٦
– ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصّلت آياته	٥٠
– ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات	٩٦
– وما أدراك ما ليلة القدر	١٤٥

الآيـــة	الصفحة
– وما أنزل الله من السماء من رزق فأحينا به الأرض بعد موتها	١٤٨
– وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين	٥٨
– وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا	٦٠
– وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي	٧٠
– وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين	٢١٩
– وما بكم من نعمة فمن الله	١٦
– وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة	٨٤
– وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون	٩٤
– وما يعلم جنود رلك إلا هو	٨٠
– والمستغفرين بالأسحار	١٧٤
– وناديناه من جانب الطور الأيمن	١٧٩
– ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء	٤٨
– ونزلنا من السماء ماء مباركا	١٨٤،١٨٣
	١٨٦
– ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين	١٧٧
– وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين	٢٣٠،٥٠
– وهذا ذكر مبارك أنزلناه	٤٥،٣٣
– وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه	٤٥
– وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه	٤٨،٤٥
– وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين	٥٠
– وهو الذي أرسل الرياح بُشرا بين يدي رحمته	١٤٨
– وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر	١٥٩
– ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية	٨٤
– ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته	٨٢

الآيـــة	الصفحة
– لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون	٨٨
– لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون	٨١
– يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم	٤٧٠
– يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام	١٣٥، ١٣٧
– يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله	١٥٧
– يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد	١٦
– يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا	٤٩
– يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم	٤٧
– يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور	٥٠
– يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين	٢٢
– يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر	٥٩
– يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن	١٩
– يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه	١٥٧
– يسبّحون الليل والنهار لا يفتُرن	٨٠
– يُجبى إليه ثمرات كل شيء	١١٢
– يخافون ربهم من فوقهم	٢٨
– يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر	٦١
– يمحق الله الربا	٣٠٧

* * *

فهـــرس الأحـــاديـث

طرف الحديث	الصفحة
ائتدموا بالزيت	١٨٧
ابسط رجلك « لعبد الله بن عتيك »	٦٧
أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنوبي	١٧
أتى جبريل النبي ﷺ فقال : يا محمد اشتكيت ؟	٢٢٤
أتى رسول الله ﷺ منى ، فأتى الجمرة فرماها	٢٤٦
أتاكم أهل اليمن	١٨١
أتاني الليلة آت من ربي فقال : صل في هذا الوادي المبارك	١٢٥
أتحبون أن تكونوا ربع الجنة ؟	٦٢
اتخذ رسول الله ﷺ خاتما من ورق	٢٥٨
اتخذي غنما فإن فيها بركة « لأم هانيء »	١٩٤
اتى رسول الله ﷺ بشراب	٢٤٩
اتي رسول الله ﷺ بوضوء	٦٣
أحب البلاد إلى الله مساجدها	١٣٠
إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر ، فإنه بركة	١٩٧
إذا أكل أحدكم فليلعق أصابعه	٣٠٣
إذا أكل أحدكم طعاما فليقل بسم الله	٢٠٧
إذا جاء رمضان فُتحت أبواب الجنة	١٣٦
إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه	٢١٣
إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب	٨٦
إذا سقطت لقمة أحدكم	٣٠٣
إذا كان يوم عرفة إن الله ينزل إلى السماء الدنيا	١٥١

طرف الحديث	الصفحة
إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاثة	٩٦
أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ	٦٨
أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر	١٨٥
أصدق الرؤيا بالأسحار	١٧٥
أضلّ الله عن الجمعة من كان قبلنا	١٦٥
اعرضوا عليّ رُقاكم	٢٢٢
أعطى النبي ﷺ اللاتي يغسلن ابنته إزاره	٢٤٩
أعظم الأيام عند الله يوم النحر	١٥١
أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم	١٦٠
أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد	٢١٦
اقرأوا الزهراوين	٢١٧
اقرأوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة	٢١٨
اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه	٢١٥
ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة	٨٢
ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم	٤٠٢
ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي	٣٣٥
اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة	١١٩
اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد	٣١٩
اللهم أكثر ماله وولده « دعاء لأنس »	٦٧
اللهم إني أعوذ بعزتك	٢٠٩
اللهم بارك في مدهم وصاعهم	١١٩
اللهم بارك لأمتي في بكورها	٣٠٩
اللهم بارك لنا في ثمرنا	١١٩
اللهم بارك لنا في رجب وشعبان	١٦٢
اللهم بارك لنا في شأمنا ، اللهم بارك لنا في يمننا	١٨١،١٧٩

طرف الحديث	الصفحة
اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا	١١٩
اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد	١٢٢
اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل	٨٣
اللهم رب الناس ، أذهب الباس	٢٢٥
اللهم لا تجعل قبري وثنا يُعبد	٣٣١
أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله	٣١٥
إنّ أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح	٤٠٢،٤٧٧
إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها	١٢٤
إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه	٨٤
إن الحمى من فيح جهنم فأبردوها بماء زمزم	٢٨٤
إن الرّقى والتّمائم والتّولة شرك	٢٢٢،٢٣٦
إن الزمان قد استدار	١٥٧
إن الشيطان يستحل الطعام ألا يذكر اسم الله عليه	٣٠٠
إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل	٨٥
إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل	٥٥
إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه	٣٤٦
إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه	٩٥
إن آية ما بيننا وبين المنافقين	٢٨٩
إن في الجنة بابا يقال له الريان	١٣٨
إن في عجوة العالية شفاء	١٢١
إن فى الليل لساعة ، لا يوافقها رجل مسلم	١٧٢
إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلا	٢٧٢
إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق	٨٦
إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم	٩٦،١٩٦
إن هذا المال خَضِرة حلوة	٣٠٨

طرف الحديث	الصفحة
أن رجلا أتى النبي ﷺ يستطعمه	٦٦
أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح	٨٠
أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات	٢٤٤
أن النبي ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها	٣٣٩
أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان	١٤٢
أن النبي ﷺ لما أتى بيت المقدس ليلة الإسراء	٣٥٧
أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات	٢٢٨
أنّ رسول الله ﷺ لعن زوّارات القبور	٣١٨
أنّ رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين	٤٦١
أنا أكثر الانبياء تبعا يوم القيامة	٦١
أنا سيد ولد آدم يوم القيامة	٥٥
إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه	٧٥
إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا	٣١٦
انزعوا بني عبد المطلب	٢٨٨
أُتي في معرسه بذي الحليفة فقيل له : إنك ببطحاء مباركة	١٢٥
إنما الأعمال بالنيات	٢١٩
إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء	٢٧٤
إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها	٩٤
إنها مباركة ، إنها طعام طعم (زمزم)	٢٨٣
إياكم والغلو في الدين	٤٧١
إياكم ومحدثات الأمور	٣١٦،٤٨٩
أيام التشريق أيام أكل وشرب	١٥٤
الإيمان ههنا	١٨١
أين تحب أن أصلي من بيتك ؟ « لعتبان بن مالك »	٣٤٩
باسم الله ، تربة أرضنا	٢٢٥

طرف الحديث	الصفحة
البركة تنزل في وسط الطعام	٣٠١
البركة في نواصي الخيل	١٩١
بني الاسلام على خمس	١٣٥
البيّعان بالخيار ما لم يتفرقا	٣٠٦
بينما أسيد بن حضير يحث القوم طعنه النبي ﷺ في خاصرته بعود	٢٤٥
تبارك اسمك وتعالى جدك	٣٦
تباركت ذا الجلال والاكرام	٣٦
تباركت وتعاليت	٣٦
تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان	١٤٧
تسحرنا مع رسول الله ﷺ	٢٩٦
تسحروا ، فإن في السحور بركة	٢٩٦،٢٩٧
تُعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين : يوم الأثنين ويوم الخميس	١٦٩
تُعرض الأعمال يوم الاثنين ويوم الخميس	١٧٠
تُفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس	١٦٩
ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته	١٨٥
جاء رسول الله ﷺ يعودني وأنا مريض (جابر)	٢٥١
جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة	٢٤٩
الحج المبرور	١١١
الحلف مَنفقة للسلعة ، مَمحقة للبركة	٣٠٧
حيّ على الطهور المبارك ، والبركة من الله	١٩
خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة	٢٥٠
خُلقت الملائكة من نور	٧٩
خيركم من تعلم القرآن وعلّمه	٤٩٧
خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم	٢٨١،٢٨٣
خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة	١٦٥

طرف الحديث	الصفحة
الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة	١٩١
دعا بسجل من ماء زمزم	٢٩٢
دعا رسول الله ﷺ بقدح فيه ماء	٢٥٠
الدنيا متاع	٩٩
ذاك يوم ولدت فيه « لما سئل عن صوم يوم الاثنين »	١٧٠، ٣٦٩
رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها	٣٥١
رخّص رسول الله ﷺ في الرقية من العين	٢٢٤
الرؤيا من الله ، والحلم من الشيطان	٢٢٦
زمزم طعام طعم وشفاء سقم	٢٨٣
زمزم لما شُرب له	٢٨٣، ٢٩٠
سألت ربي ثلاثا	٤٤٢
ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم	٢١٣
السحور أكله بركة	٢٩٨
سقى سهل بن سعد الرسول ﷺ وأصحابه بقدح	٢٥٦
سقيت رسول الله ﷺ من زمزم	٢٨٨
السلام على أهل الديار من المؤمنين	٣١٨
السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته	٢٧، ٣٣
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين	٩٩
سيد الاستغفار : اللهم أنت ربي	٢١٢
سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودا مجندة	١٧٩
صلاة في مسجدي هذا	١٠٢، ١١٥
صلّوا فيها ، فان فيها بركة « لما سئل عن الصلاة في مرابض الغنم »	١٩٤
الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة	١٣٦، ١٦٨
ضع يدك على الذي تألم من جسدك	٢٢٥
طعام الاثنين كافي لثلاثة	٢٩٩

طرف الحديث	الصفحة
طعام الواحد يكفي الاثنين	٢٩٩
طوبى للشام	١٧٩
العجوة من الجنة	١٢١
على أنقاب المدينة ملائكة	١٢٢
العلماء ورثة الأنبياء	٩٣،٧١
	٢٧٠
فاجتمعوا على طعامكم	٢٩٩
فإذا جاء رمضان فاعتمري « للمرأة التى فاتها الحج »	١٤٢
فحنّكه وبرك عليه « من حديث أم سليم »	٢٧
فرفع رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قزعة	٦٨
فصل مابين صيامنا وصيام أهل الكتاب	٢٩٦
فكان يضع للنبي ﷺ طعام « من حديث أبي أيوب الأنصاري »	٢٤٩
فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري	٢٨١
فهو خير لكما « ابنته فاطمة وعلي » من خادم	٢١٠
فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم	٢٤٧
فيه « يوم الجمعة » ساعة لا يوافقها عبد مسلم	١٦٦
قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت	٩٢
قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام	١٣٧
قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع « من قول أبي طلحة »	٦٤
قرأ في ماء لثابت بن قيس	٢٣١
كان إذا قام إلى الصلاة قال : وجهت وجهي	١٥
كان رسول الله ﷺ إذا أتي بلبن قال : بركة أو بركتان	١٨٩
كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة	٢٤٥
كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات	٢٢٨

طرف الحديث	الصفحة
كان رسول الله ﷺ يتحرى صوم الاثنين والخميس	١٦٩
كان رسول الله ﷺ يهلّل بهن دبر كل صلاة	١٧
كان صلى الله ﷺ إذا رأى المطر قال : اللهم صيبا نافعا	١٨٥
كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير	١٤١
كان النبي ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل	١٤١
كان النبي ﷺ يأتي قباء راكبا وماشيا	١١٨
كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم	٢٤٨
كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه	٢١٤
كانت عائشة تحمل من ماء زمزم ، وتخبر أن رسول الله ﷺ كان يحمله	٢٩٣
كل عمل ابن آدم يضاعف	١٣٧
كلوا الزيت فإنه مبارك	١٨٧
كلوا الزيت وادّهنوا به ، فإنه من شجرة مباركة	١٨٧
كلوا من جوانبها	٣٠٢
كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد	١٥٢
كيلوا طعامكم يبارك لكم	٣٠٤
لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه	٦٦
لتتبعن سَنَن من كان قبلكم	٤٧٥
لعن الله اليهود والنصارى	٣٣١، ٤٧٧
لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور	٤٠٢
لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه	٢٤٧
لقلما كان رسول الله ﷺ يخرج إذا خرج في سفر إلا يوم الخميس	١٧٠
للصائم فرحتان يفرحهما	١٣٨
لم يكن شيء أحب إلى رسول الله ﷺ بعد النساء من الخيل	١٩٣
لما فرغ سليمان بن داود عليهما السلام من بناء بيت المقدس	١٢٧

طرف الحديث	الصفحة
لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة	٦٥
لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله	٢١٣
لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة	٤١٤
ليبلغ الشاهد الغائب	٤٩٧
ما أحدث قوم بدعة إلا رُفع مثلها من السنة	٤٩٤
ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن	٢١٠
ما أنزل الله من السماء من بركة	١٨٣
ما بين بيتي ومنبري	١١٦
ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهما ولا دينارا	٢٥٦
ما العمل في أيام أفضل منها فى هذا العشر	١٤٩
ما لبعيرك ؟ « لجابر بن عبد الله »	٦٧
ما من أحد يسلم عليّ	٣٢٣
ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر	٥٤
ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة	١٥١
ما هذا اليوم الذي تصومونه ؟	١٦٠
مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن	٢١٧
المدينة حرام ما بين عَير إلى ثور	١٢٤
المرء مع من أحب	٢٧٧
المسجد الحرام « لما سأله أبو ذر : أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ »	١٠٥
من احتبس فرسا في سبيل الله	١٩٢
من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد	٣١٦، ٤٠١
من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله	١٢٣
من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها	١٢٣
من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل	٢٢٣

طرف الحديث	الصفحة
من أطعمه الله طعاما فليقل : اللهم بارك لنا فيه	١٨٩
من اغتسل ثم أتى الجمعة	١٦٧
من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة	١٦٨
من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها	١٢١
من بنى مسجدا لله	١٣٣
من تشبه بقوم فهو منهم	٤٧٥
من تصبح سبع تمرات عجوة	١٢٠
من تطهر في بيته ، ثم أتى مسجد قباء	١١٨
من تطهر فى بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله	١٣١
من حج فلم يرفث ولم يفسق	١١١
من رأى منكم منكرا فليغيره بيده	٥٠٠،٥٠٢
من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين	٢١٢
من صام رمضان إيمانا وحتسابا	١٣٦
من شاء صامه ، ومن شاء تركه (يوم عاشوراء)	١٦٠
من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشرا	٢٠٨
من علّق تميمة فقد أشرك	٢٣٦
من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد	٢٧٦،٣٧٩
من غدا إلى المسجد أو راح	١٣١
من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له	٢١١
من قام رمضان إيمانا واحتسابا	١٤٠
من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا	١٤٥
من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة	٢٢٩
من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة	٢١٦
من كذب عليّ متعمدا	٤٩٠
من لزم الاستغفار	٢١١

طرف الحديث	الصفحة
من لم يدع قول الزور والعمل به	١٣٩
من نزل منزلا ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات	٢٢٦
نحن الآخِرون الأولون يوم القيامة	٦٢
نعم ، إذا كثر الخبث « لما قالت له زينب بنت جحش : أنهلك وفينا الصالحون »	٩٥
نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها	٣١٨
هاجرت أسماء إلى رسول الله ﷺ	٢٤٧
هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك « من إجابة جبريل لسؤال النبي ﷺ »	٨٠
هذا جبل يحبنا ونحبه « لما طلع له أحد »	٤٤٤
هل تدرون ماذا قال ربكم ؟	١٨٥
هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم ؟	٩٤
هلمّ إلى الغداء المبارك « السحور »	٢٩٦
هم القوم لا يشقى بهم جليسهم	١١٠
هي ما بين أن يجلس الامام إلى أن تُقضى الصلاة	١٦٦
وإذا توضؤا كادوا يقتتلون على وضوئه	٢٥٠
والله إنك لخير أرض الله	١١٤
وإياكم ومحدثات الأمور	٣٦٨
وبارك على محمد وعلى آل محمد	٣٧
والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك	١٣٨
وشر الأمور محدثاتها	٤٨٩
والصيام جنة	١٣٧
وضع يده في الرَّكوة فجعل الماء يثور بين أصابعه	٦٣
والغنم بركة	١٩٤

طرف الحديث	الصفحة
وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان	١٤١
ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه	٣٠٣
وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله	٨٧، ١٣١، ٢١٦
وما أدراك أنها رقية	٢٢٧
والملائكة يصلّون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه	١٣٢
ونهيتكم عن زيارة القبور فزوروها	٤٠٢
لا تجعلوا بيوتكم قبورا	٣٢٩
لا تجعلوا قبري عيدا	٣٢٩، ٤٧٢، ٤٩٣
لا تجلسوا على القبور	٤٠٢، ٤٥٢
لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد	١٠٥، ٣٢٢، ٣٨٨، ٤٢٤
لا تصاحب إلا مؤمنا	٢٧٥
لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم	٣٦٥، ٤٧١
لا تُعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد	٣٨٩
لا رقية إلا من عين أو حمة	٢٢٣
لا يغتسل رجل يوم الجمعة ، ويتطهر ما استطاع من طهر	١٦٧
لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة	٢١٣
يا أيها الناس عليكم بقولكم	٤٧٢
يا بني عبد مناف	١٠٤
يا غلام سم الله وكل بيمينك « لعمر بن أبي سلمة »	٢٠٦
يرحم الله أم اسماعيل	٢٧٩
يقول الله تعالى : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك	١٥
يكفّر السنة الماضية « لما سئل عن صوم يوم عاشوراء »	١٦١

طرف الحديث	الصفحة
يكفّر السنة الماضية والباقية « لما سئل عن صوم يوم عرفة »	١٥٠
يمينه ملأى لا يغيضها نفقة	١٩
ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا	١٧١
يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة	١٦٧
يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الاسلام	١٥٤

* * *

فهـــرس الآثـــار

طرف الأثر	القائل	الصفحة
اجلس بنا فلنؤمن ساعة	معاذ بن جبل	٢٧٣
أخرج إلينا أنس نعلين جرداوين	عيسى بن طهمان	٢٥٣
أخرجت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما جبة طيالسة	–	٢٥٤
أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها كساء ملبذا	أبو بردة	٢٥٣
إذا شربت منها فاستقبل القبلة	قاله ابن عباس لرجل	٢٩٠
أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح من ماء	عثمان بن عبد الله بن موهب	٢٥٥
ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ	علي لأبي الهياج	٤٠٣
ألا أسقيك في قدح شرب النبي ﷺ فيه	عبد الله بن سلام لأبي بردة	٢٥٥
الأيام المعدودات أيام التشريق	ابن عباس	١٥٣
اللهم ارزقني شهادة في سبيلك	عمر بن الخطاب	١٢٤
أمر – عبد الله بن عباس – أن يُكتب لأمرأة تعسر عليها ولادتها	–	٢٣٣
أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ	–	٣٤٦
أن ابن عمر كان يتبع آثار رسول الله ﷺ في كل مكان صلى فيه	–	٣٥٠

طرف الأثر	القائل	الصفحة
أيها الناس إنما أهلك من كان قبلكم باتباعهم مثل هذا	عمر	٣٤٥
رأيت قدح النبي ﷺ عند أنس بن مالك	عاصم الأحول	٢٥٣
رأيت القدح وشربت فيه	عاصم الأحول	٢٥٦
عندنا من شعر النبي ﷺ	ابن سيرين	٢٥٥
فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن	عائشة	٥٦
فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها	عائشة	٣٨
القبر ، القبر	قاله عمر لأنس	٤٠٥
كان ابن عباس إذا شرب ماء زمزم قال : اللهم أسألك	–	٢٩٠
كان ابن عباس إذا مطرت السماء يقول : يا جارية أخرجي سرجي	–	١٨٦
كان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبّران	–	١٥٠
كان عبد الله بن الزبير يقول في دبر كل صلاة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له	–	١٧
كان عبد الله بن عمر يتحرى قصد أماكن من طرق المدينة فيصلي فيها	–	٣٥٠
كانت – عائشة – تقرأ بالمعوذتين في إناء	–	٢٣٢
كانت عائشة لا ترى بأسا أن يُعوّذ في الماء	–	٢٣٢

طرف الأثر	القائل	الصفحة
كتب – أبو قلابة – كتابا من القرآن		٢٣٣
لأن تكون عندي شعرة منه أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها	عَبيدة السلماني	٢٥٥
لست أحلّها لمغتسل	العباس بن عبد المطلب	٢٩١
لقد توفي رسول الله ﷺ وما في رفّي من شيء	عائشة	٣٠٥
ماء زمزم لما شرب له	مجاهد	٢٨٤
ما عندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة	علي بن أبي طالب	١٢٤
ماهي بأول بركتكم يا آل أبي بكر	أُسيد بن الحضير	٩٤
والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع	عمر	٣٢٨

* * *

فهرس تراجم الأعلام

مسلسل	الاســــــم	الصفحة
١)	أحمد التجاني	٣٩٣
٢)	أحمد تيمور باشا	٢٥٧
٣)	أحمد بن المقريزي	٤٣٥
٤)	الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي	٤٣٥
٥)	اسماعيل العجلوني	٣١٠
٦)	الألوسي	٥٤
٧)	أمير الجيوش بن بدر الجمالي	٣٦٠
٨)	الأوزاعي	٤٥٢
٩)	أوس بن عبد الله	٣٣٨
١٠)	أويس بن عامر القرني	٢٧٧
١١)	ابن الأثير	٧٣
١٢)	ابن الأنباري	٣٠
١٣)	ابن الجوزي	١٤٨
١٤)	ابن دريد	٢٨
١٥)	ابن دقيق العيد	٢٩٧
١٦)	ابن رجب	١٥٤
١٧)	ابن سيرين	٢٥٤
١٨)	ابن الصلاح	١٨٢
١٩)	ابن عبد البر	١٩٢
٢٠)	ابن عربي	٣٩٢
٢١)	ابن العربي	٢٨٥
٢٢)	ابن قدامة	٢٩١
٢٣)	ابن الكلبي	٤٨٦

مسلسل	الاســـــم	الصفحة
٢٤)	ابن النحاس	٣٧٦
٢٥)	ابن وضاح القرطبي	٣٤٦
٢٦)	أبو اسحق الجبنياني	٥٠٥
٢٧)	أبو أمامة الباهلي	٢١٥
٢٨)	أبو بردة بن أبي موسى الأشعري	١٦٦
٢٩)	أبو بكر – ابن السراج –	٢٩
٣٠)	أبو بكر الطرطوشي	١٦٣
٣١)	أبو بكرة	١٥٧
٣٢)	أبو جحيفة	٢٤٥
٣٣)	أبو حازم	٢٥٦
٣٤)	أبو الخطاب	٢٥
٣٥)	أبو ذر	١٠٥
٣٦)	أبو سالم العياشي	٣٥٦
٣٧)	أبو سلمة	٢٢٦
٣٨)	أبو طلحة	٢٤٦
٣٩)	أبو العباس	٢٩
٤٠)	أبو قتادة الأنصاري	١٥٠
٤١)	أبو قلابة	٢٣٣
٤٢)	أبو منصور الأزهري	٢٧
٤٣)	أبو الهياج الأسدي	٤٠٣
٤٤)	أبو واقد الليثي	٤٦١
٤٥)	أم سليم	٢٧
٤٦)	أم عطية	١٥٢
٤٧)	أم هانيء	١٩٤
٤٨)	البراء بن عازب	١٩٤

مسلسل	الاســــم	الصفحة
٤٩)	البربهاري	٤٨٨
٥٠)	بريدة	٤٠٢
٥١)	بصرة بن أبي بصرة الغفاري	٣٨٩
٥٢)	البغوي	١١٣
٥٣)	تقي الدين الفاسي	٤٣٦
٥٤)	تيمورلنك	٢٥٨
٥٥)	ثابت البناني	٢٥٣
٥٦)	جندب	٤٠١
٥٧)	الجوهري	٣٠
٥٨)	حافظ بن أحمد الحكمي	٢٣٨
٥٩)	الحافظ العراقي	٢٨٢
٦٠)	حذيفة	١٦٥
٦١)	الحسين	١٦٢
٦٢)	حسين بن مهدي النعمي	٤١٣
٦٣)	الحلاج	٤٧٣
٦٤)	الخازن	٢٣
٦٥)	الخطابي	٣٠٢
٦٦)	الخليل	٢٥
٦٧)	خولة بنت حكيم السلمية	٢٢٦
٦٨)	الخيزران	٤٣٥
٦٩)	الرازي	٥٣
٧٠)	الراغب الأصفهاني	٢٥
٧١)	الربيع بن سليمان	٣٨٦
٧٢)	الزجاج	٢٩
٧٣)	الزركشي	١٠٤

مسلسل	الاســـــم	الصفحة
٧٤)	زكريا القزويني	٤٣٤
٧٥)	الزهري	١٧٢
٧٦)	زينب بنت علي بن أبي طالب	٣٩٢
٧٧)	السخاوي	٢٩٣
٧٨)	سراج الدين البلقيني	٢٨١
٧٩)	سعد بن هشام بن عامر	٥٦
٨٠)	السفاريني	٧١
٨١)	سلمان بن عامر	١٩٧
٨٢)	سلمة (سلمة بن الأكوع)	٣٥١
٨٣)	السيد البدوي	٣٩٢
٨٤)	الشاطبي	٢٦٢
٨٥)	شداد بن أوس	٢١٢
٨٦)	الشنقيطي	٣٣
٨٧)	صدّيق حسن	٣٤٨
٨٨)	الصنعاني	١٧٠
٨٩)	عاصم الأحول	٢٥٣
٩٠)	عبد الرحمن الدوسري	١١٢
٩١)	عبد الله بن أحمد	٢٣٣
٩٢)	عبد الله بن بسر	٣٠١
٩٣)	عبد الله بن حوالة	١٧٩
٩٤)	عبد الله بن زيد	١٢٤
٩٥)	عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري	١١٣
٩٦)	عبد الله بن قرط	١٥١
٩٧)	عبد مناف	١٠٤
٩٨)	عبيد بن آدم	٤٤٩

مسلسل	الاســـــم	الصفحة
٩٩)	عَبيدة	٢٥٤
١٠٠)	عثمان بن أبي العاص الثقفي	٢٢٤
١٠١)	عثمان بن عبد الله بن موهب	٢٥٥
١٠٢)	العرباض بن سارية	٢٩٧
١٠٣)	عروة البارقي	١٩١
١٠٤)	عروة بن الزبير	٤٥٠
١٠٥)	العز بن عبد السلام	٥٨
١٠٦)	عطاء بن يسار	٣٣١
١٠٧)	عقبة بن عامر	٢١٦
١٠٨)	عقبة بن عمرو الأنصاري	١٨١
١٠٩)	علي بن الحسين	٣٣٠
١١٠)	علي محفوظ	٣٧٦
١١١)	عمر بن أبي سلمة	٢٠٦
١١٢)	عمر بن محمد الملأ	٣٦١
١١٣)	عمران بن حصين	٢٢٣
١١٤)	عيسى بن طهمان	٢٥٣
١١٥)	العيني	١٧٣
١١٦)	الفاكهي	٢٩٢
١١٧)	الفاكهاني	٣٦٢
١١٨)	الفراء	٢٦
١١٩)	الفضيل بن عياض	٣٢٨
١٠٠)	قتادة	٤٢٧
١٢١)	قلاوون الصالحي (الملك المنصور)	٤١٣
١٢٢)	كعب (كعب الأحبار)	٤٥٠
١٢٣)	كعب بن الأشراف	٣٣٧

مسلسل	الاســـــم	الصفحة
١٢٤)	كوكبوري (صاحب اربل)	٣٦١
١٢٥)	الليث (صاحب الخليل بن أحمد)	٢٩
١٢٦)	مجاهد	٢٨٤
١٢٧)	محمد عثمان الميرغني	٣٩٣
١٢٨)	المعرور بن سويد	٣٤٥
١٢٩)	معروف الكرخي	٣٩٣
١٣٠)	المقدام بن معد يكرب	٣٠٤
١٣١)	موسى الكاضم	٣٩٣
١٣٢)	واثلة بن الأسقع	٥٥
١٣٣)	وكيع	٣٤٦
١٣٤)	يزيد بن أبي عبيد	٣٥١

* * *

فهرس المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا : المصادر والمراجع العامة :

١ – الإبداع في مضار الإبتداع – علي محفوظ – الطبعة الخامسة ١٣٩١ هـ ، الناشر : المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

٢ – آثار البلاد وأخبار العباد – زكريا بن محمد بن محمود القزويني – دار بيروت للطباعة والنشر ، طبع سنة ١٤٠٤ هـ .

٣ – آثار المدينة المنورة – عبد القدوس الأنصاري – الطبعة الرابعة ١٤٠٦ هـ ، دار الفنون للطباعة والنشر بجدة .

٤ – الآثار النبوية – أحمد تيمور باشا – الطبعة الثالثة ١٣٩١ هـ ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٥ – الإجابة الجلية على الأسئلة الكويتية – الشيخ حمود بن عبد الله التويجري – طبعة جديدة ١٤٠٦ هـ – مكتبة المعارف بالرياض .

٦ – الإجابة لا يراد ما استدركته عائشة على الصحابة – بدر الدين الزركشي – الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ ، المكتب الإسلامي . تحقيق سعيد الأفغاني .

٧ – الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان – علي بن بلبان الفارسي – الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ، دار الكتب العلمية . بيروت .

٨ – إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام – تقي الدين محمد بن علي بن وهب القشيري المعروف بابن دقيق العيد – الطبعة الأولى (بدون تاريخ) مطابع دار الشعب بالقاهرة .

٩ – إحياء علوم الدين – أبو حامد محمد بن محمد الغزالي – دار الندوة الجديدة . بيروت (بدون تاريخ) .

١٠ - إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام - أحمد بن محمد الأسدي المكي - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، دار الصحوة للنشر والتوزيع . تحقيق د. الحافظ غلام مصطفى .

١١ - أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه - أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة . مكة المكرمة . تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش .

١٢ - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار - أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي - الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ ، دار الأندس . بيروت . تحقيق رشدي الصالح ملحس .

١٣ - أخبار الوادي المبارك (العقيق) - محمد محمد حسن شراب - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة .

١٤ - أخلاق النبي ﷺ وآدابه - الحافظ عبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ - الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ، دار الكتاب العربي . بيروت . تحقيق الدكتور السيد الجميلي .

١٥ - آداب زيارة المسجد النبوي والسلام على رسول الله ﷺ - عطية محمد سالم - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ، طبعة دار التراث .

١٦ - الآداب الشرعية والمنح المرعية - محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي - الناشر : مكتبة ابن تيمية (بدون تاريخ) .

١٧ - أدب التسمية في البيان النبوي - د. السعيد السيد عبادة - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ، دار مصر للطباعة .

١٨ - الأدب المفرد - الامام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - المطبعة العصرية بالإمارات العربية المتحدة سنة ١٤٠١ هـ . مراجعة محمد هشام البرهاني .

١٩ - الأذكار النووية - الامام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي - مطبعة الملاح بدمشق ١٣٩١ هـ . تحقيق عبد القادر الأرناؤوط .

٢٠ – إرشاد السالك إلى أفعال المناسك – برهان الدين ابراهيم بن فرحون المدني المالكي – دراسة وتحقيق محمد بن الهادي أبو الأجفان (رسالة دكتوراه مقدمة إلى المعهد العالي للقضاء سنة ١٤٠٧ هـ . مطبوعة على أوراق الفلوسكاب) .

٢١ – إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل – محمد ناصر الدين الألباني – الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ، المكتب الإسلامي .

٢٢ – الاستيعاب في أسماء الأصحاب – الامام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر – مطبوع بهامش الاصابة . الناشر : دار الكتاب العربي في بيروت (بدون تاريخ) .

٢٣ – أسد الغابة فى معرفة الصحابة – عز الدين أبو الحسن على بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير – الناشر : دار الفكر (بدون تاريخ) .

٢٤ – الإسلام وتقاليد الجاهلية – آدم عبد الله الألوري – الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ، مطبعة المدني بالقاهرة .

٢٥ – الإشارات إلى أماكن الزيارات المسمى زيارات الشام – عثمان بن أحمد السويدي الدمشقي المعروف بابن الحوراني – الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ، الناشر : مكتبة الغزالى بدمشق . تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي .

٢٦ – أشهر المساجد في الإسلام – سيد عبد المجيد بكر – مطابع سحر بجدة سنة ١٤٠٤ هـ ، نشر دار القبلة للثقافة الإسلامية .

٢٧ – الإصابة في تمييز الصحابة – الحافظ أحمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر – الناشر : دار الكتاب العربي في بيروت (بدون تاريخ) .

٢٨ – إصلاح المساجد من البدع والعوائد – محمد جمال الدين القاسمى – الطبعة الرابعة ١٣٩٩ هـ ، المكتب الإسلامي .

٢٩ – الأصنام – هشام بن محمد بن السائب الكلبي – نسخة مصورة عن دار الكتب سنة ١٣٤٣ هـ ، الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة تحقيق أحمد زكي .

٣٠ – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي – عالم الكتب . بيروت . (بدون تاريخ) .

٣١ – الاعتصام – الإمام أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي – دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت سنة ١٤٠٢ هـ .

٣٢ – الأعلام – خير الدين الزركلي – الطبعة الخامسة ١٩٨٠ م ، دار العلم للملايين . بيروت .

٣٣ – الاعلام بما في دين النصاري من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام – الإمام القرطبي – دار التراث العربي (بدون تاريخ) تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا .

٣٤ – إعلام الساجد بأحكام المساجد – محمد بن عبد الله الزركشي – الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ، مطابع الأهرام بالقاهرة . تحقيق مصطفى المراغي .

٣٥ – أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة – حافظ بن أحمد الحكمي – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – الناشر : مكتبة السوادي للتوزيع . جدة . تعليق مصطفى الشلبي .

٣٦ – إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام – عبد الكريم بن محب الدين القطبي – الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع . الرياض . تعليق أحمد محمد جمال وعبد العزيز الرفاعي والدكتور عبد الله الجبوري .

٣٧ – إعلام الموقعين عن رب العالمين – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم – دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة . بيروت . (بدون تاريخ) تعليق طه عبد الرؤوف سعد .

٣٨ – إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان – ابن القيم – الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت . (بدون تاريخ) تحقيق محمد حامد الفقي .

٣٩ – أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام – محمد سليمان الأشقر – الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع .

٤٠ – اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم – شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية – الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ، طبع شركة العبيكان للطباعة والنشر بالرياض . تحقيق د. ناصر بن عبد الكريم العقل .

٤١ – الأم – الإمام محمد بن إدريس الشافعي – الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ ، دار المعرفة للطباعة والنشر . إشراف محمد زهري النجار .

٤٢ – الأمر بالإتباع والنهي عن الإبتداع – الإمام جلال الدين السيوطي – مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة . (بدون تاريخ) تحقيق مصطفى عاشور .

٤٣ – الأنساب – أبو سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني – الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ ، الناشر : محمد أمين دمج . بيروت . تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني .

٤٤ – الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف – أبو بكر جابر الجزائري – رسالة طبعت ضمن رسائل الجزائري ، عني بنشرها مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة (بدون تاريخ) .

٤٥ – أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة – أحمد بن يحيى النجمي – الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض .

٤٦ – الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات – العلامة نعمان ابن المفسر الشهير محمود الألوسي – الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ ، المكتب الإسلامي . تحقيق محمد ناصر الدين الألباني .

٤٧ – آيات الرحمن في جهاد الأفغان – الدكتور عبد الله عزام – الطبعة التاسعة ١٤٠٧ هـ ، دار المجتمع للنشر والتوزيع .

٤٨ – الإيضاح في المناسك – محيي الدين النووي – الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ دار الكتب العلمية في بيروت .

٤٩ - الإيمان - الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة - دار مصر للطباعة . ضمن أربع رسائل بعنوان : من كنوز السنة (بدون تاريخ) تحقيق محمد ناصر الدين الألباني .

٥٠ - الإيمان بالملائكة عليهم السلام - عبد الله سراج الدين - الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ ، مطابع الأصيل بحلب .

٥١ - الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته - الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام - مطبوع ضمن الرسائل الأربع (من كنوز السنة) تحقيق الألباني .

٥٢ - آية الكرسي . معانيها وفضائلها - جلال الدين السيوطي - دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة . تحقيق وترتيب يوسف البدري ، مراجعة د. محمد أحمد عاشور .

٥٣ - الباعث على إنكار البدع والحوادث - الشيخ عبد الرحمن بن إسماعيل (أبو شامة) - الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ ، مطبعة السعادة .

٥٤ - بدائع الفوائد - ابن القيم - إدارة الطباعة المنيرية ، الناشر : دار الكتاب العربي (بدون تاريخ) .

٥٥ - البداية والنهاية - الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير - الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ ، الناشر : مكتبة المعارف . بيروت .

٥٦ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - الإمام محمد بن علي الشوكاني - دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت (بدون تاريخ) .

٥٧ - البدع الحولية - عبد الله بن عبد العزيز التويجري - رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية أصول الدين بالرياض سنة ١٤٠٦ هـ مطبوعة على أوراق الفولسكاب .

٥٨ - البدع والنهي عنها - محمد بن وضاح القرطبي - الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ، دار الرائد العربي في بيروت .

٥٩ – بذل المجهود في حل أبي داود – العلامة خليل أحمد السهارنفوري – دار الكتب العلمية (بدون تاريخ) .

٦٠ – البركة في فضل السعي والحركة – أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الوصابي الحبيشي – دار المعرفة في بيروت ١٤٠٢ هـ .

٦١ – البسملة . أحكامها ، آدابها ، وظائفها – إبراهيم بن محمد الضبيعي – مطابع دار السياسة (بدون تاريخ) .

٦٢ – بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة – جلال الدين السيوطي – الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٦٣ – بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني – أحمد بن بعد الرحمن البنا – طبع بهامش الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني . دار الشهاب بالقاهرة (بدون تاريخ) .

٦٤ – بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار – عبد الرحمن ابن ناصر السعدي – الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ .

٦٥ – بهجة النفوس وتحلّيها بمعرفة مالها وما عليها – الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي – الطبعة الثالثة ١٩٨٤ م ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة في بيروت .

٦٦ – بيت المقدس وما حوله – الدكتور محمد عثمان شبير – الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ مكتبة الفلاح بالكويت .

٦٧ – تاريخ الأدب العربي – كارل بروكلمان – الطبعة الرابعة ، الناشر : دار المعارف بالقاهرة .

٦٨ – تاريخ بغداد – أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي – الناشر : دار الكتاب العربي (بدون تاريخ) .

٦٩ – تاريخ الخلفاء – جلال الدين السيوطي – مصور عن الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ ، مطبعة السعادة بمصر . بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

٧٠ - تاريخ دمشق - أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر - دار الفكر بدمشق (بدون تاريخ) تحقيق عبد الغني الدقر .

٧١ - تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار - العلامة عبد الرحمن الجبرتي - الطبعة الثانية ١٩٧٨ م ، دار الجيل .

٧٢ - تاريخ القدس - الدكتور شفيق جاسر أحمد محمود - الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ، دار البشير للنشر والتوزيع .

٧٣ - تاريخ المدينة المنورة - أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري - دار الأصفهاني للطباعة بجدة (بدون تاريخ) تحقيق فهيم محمد شلتوت .

٧٤ - تأويل مختلف الحديث - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية (بدون تاريخ) تصحيح وضبط محمد زهري النجار .

٧٥ - تبرك الصحابة بآثار رسول الله ﷺ وبيان فضله العظيم - العلامة محمد طاهر بن عبد القادر الكردي - الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ ، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

٧٦ - التبيان في آداب حملة القرآن - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي - دار مروان للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة (بدون تاريخ) .

٧٧ - تبيين العجب بما ورد فى فضل رجب - الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني - مطبعة المعاهد بالقاهرة سنة ١٣٥١ هـ .

٧٨ - تجريد التوحيد - تقي الدين أحمد بن علي المقريزي - الناشر : مكتبة السلام العالمية (بدون تاريخ) .

٧٩ - تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد - محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الرابعة ١٤٠٣ هـ ، المكتب الإسلامي .

٨٠ - تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين - أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي - الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ، مطابع على بن على بالدوحة .

٨١ - تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ﷺ - الإمام محمد بن علي الشوكاني - الناشر : دار الكتاب العربي (بدون تاريخ) .

٨٢ - تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد - تقي الدين أبو بكر بن زيد الجرّاعي الحنبلي - الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ، الناشر : المكتب الإسلامي .

٨٣ - تحفة المودود بأحكام المولود - ابن القيم - دار الكتب العلمية في بيروت (بدون تاريخ) .

٨٤ - التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسنة - الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض سنة ١٤٠٥ هـ .

٨٥ - تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي - محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ ، المكتب الإسلامي .

٨٦ - التذكار في أفضل الأذكار - أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي - المكتبة العلمية في بيروت (بدون تاريخ) .

٨٧ - تذكرة الحفاظ - الإمام أبو عبد الله شمس الدين الذهبي - دار إحياء التراث العربي في بيروت (بدون تاريخ) .

٨٨ - الترغيب والترهيب من الحديث الشريف - الإمام عبد العظيم بن عبد القوي المنذري - الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ ، دار الإيمان بدمشق ، تعليق مصطفى محمد عمارة .

٨٩ - تركة النبي ﷺ والسبل التي وجهها فيها - حماد بن إسحاق بن إسماعيل - الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ . ودراسة وتحقيق د. أكرم ضياء العمري .

٩٠ - تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد - الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني - الطبعة الرابعة ١٣٩٧ هـ ، المكتب الإسلامي . تعليق إسماعيل الأنصاري .

٩١ - تفسير ابن كثير - الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١ هـ .

٩٢ - تفسير البغوي المسمى (معالم التنزيل) - الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ، دار المعرفة في بيروت . تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار .

٩٣ - تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل) - علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن - الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٩٤ - تفسير سورة الإخلاص - شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ، دار الريان للتراث بالقاهرة . تعليق د. عبد العلي عبد الحميد حامد .

٩٥ - تفسير الطبري واسمه جامع البيان عن تأويل آي القرآن - الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٩٦ - تفسير القرطبي واسمه الجامع لأحكام القرآن - الإمام أبو عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي - دار إحياء التراث العربي في بيروت (بدون تاريخ) .

٩٧ - التفسير الكبير - فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي - الناشر : دار الكتب العلمية بطهران ، الطبعة الثانية .

٩٨ - تفسير المنار واسمه تفسير القرآن الحكيم - محمد رشيد رضا - الطبعة الثانية (بدون تاريخ) ، الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر .

٩٩ - تقريب التهذيب - ابن حجر العسقلاني - الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ ، دار المعرفة للطباعة والنشر . تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف .

١٠٠ - تلاوة القرآن المجيد . فضائلها ، آدابها ، خصائصها - عبد الله سراج الدين - الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ ، مطبعة الأصيل بحلب .

١٠١ – التلخيص – الإمام الذهبي – طبع بذيل المستدرك على الصحيحين للحاكم ، الناشر : دار الكتاب العربي في بيروت (بدون تاريخ) .

١٠٢ – تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أعمال الهالكين – الإمام أحمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي الشهير بابن النحاس – الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض .

١٠٣ – التنبيهات السّنية على العقيدة الواسطية – الشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد – دار الأصفهاني للطباعة بجدة (بدون تاريخ) .

١٠٤ – تهذيب الأسماء واللغات – الإمام أبو زكريا محي الدين النووي – ادارة الطباعة المنيرية (بدون تاريخ) .

١٠٥ – تهذيب التهذيب – الحافظ ابن حجر العسقلاني – مصور عن الطبعة الأولى ١٣٢٥ هـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند .

١٠٦ – التوسل . أنواعه وأحكامه – محمد ناصر الدين الألباني – الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ ، المكتب الإسلامي .

١٠٧ – التوسل والزيارة في الشريعة الإسلامية – محمد الفقي – الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

١٠٨ – التوصل إلي حقيقة التوسل المشروع والممنوع – محمد نسيب الرفاعي – الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ ، مطابع دار لبنان للطباعة والنشر .

١٠٩ – التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب – المنسوب لسليمان بن عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب – المنسوب لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب – الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ، دار طيبة بالرياض .

١١٠ – تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد – سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب – نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض (بدون تاريخ) .

١١١ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – الشيخ عبد الرحمن بن ناصر

السعدي – طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض سنة ١٤٠٤ هـ . تحقيق محمد زهري النجار .

١١٢ – جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله – الإمام ابن عبد البر – إدارة الطباعة المنيرية ١٣٩٨ هـ .

١١٣ – الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير – جلال الدين السيوطي – الطبعة الرابعة ، دار الفكر في بيروت .

١١٤ – جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم – زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب – دار المعرفة للطباعة والنشر في بيروت .

١١٥ – جامع كرامات الأولياء – يوسف بن إسماعيل النبهاني – الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاه بمصر . تحقيق إبراهيم عطوة عوض .

– الجامع لأحكام القرآن للقرطبي = تفسير القرطبي .

١١٦ – الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف – محمد جار الله ابن محمد نور الدين بن أبى بكر بن على بن ظهيرة القرشى – الطبعة الأولى ١٣٤٠ هـ – مطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر .

١١٧ – الجرح والتعديل – الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن إدريس الرازي – الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند .

١١٨ – جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام – ابن القيم – تحقيق طه يوسف شاهين . (لم تذكر المطبعة ولا التاريخ) .

١١٩ – جلاء العينين في محاكمة الأحمدين – السيد نعمان خير الدين الشهير بابن الألوسي البغدادي – دار الكتب العلمية فى بيروت (بدون تاريخ) .

١٢٠ – جمهرة اللغة – أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري – دار صادر بيروت (بدون تاريخ) .

١٢١ – الجواب الباهر في زوار المقابر – شيخ الإسلام ابن تيمية – الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت . تحقيق د. محمود مطرجي .

١٢٢ – الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي – ابن القيم – دار الكتب العلمية في بيروت (بدون تاريخ) .

١٢٣ – جاشية الإمام السندي – أبو الحسن نور الدين بن عبد الهادي السندي – طبعت بهامش شرح السيوطي لسنن النسائي ، دار إحياء التراث العربي في بيروت (بدون تاريخ) .

١٢٤ – الحاوي للفتاوي – جلال الدين السيوطي – الناشر : دار الكتاب العربي في بيروت .

١٢٥ – الحبائك في أخبار الملائك – جلال الدين السيوطي – الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ دار الكتب العلمية في بيروت .

١٢٦ – حقيقة التوسل والوسيلة على ضوء الكتاب والسنة – موسى محمد علي – الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ، دار التراث العربي .

١٢٧ – الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز – عبد الغني ابن إسماعيل النابلسي – مصور سنة ١٩٨٦ م (الهيئة المصرية العامة للكتاب) من نسخة مخطوطة . تقديم وإعداد د. أحمد عبد المجيد هريدي .

١٢٨ – حكم الاحتفال بالموالد النبوية وغيرها – الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز – رسالة طبعت ضمن أربع رسائل تحت عنوان (التحذير من البدع) مطبوعات رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء (بدون تاريخ) .

١٢٩ – حكم تعليق آيات القرآن على الجدران – رسالة تتضمن إجابة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء – مطابع العقل بالرس (بدون تاريخ) .

١٣٠ – الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ (بعثت بين يدي الساعة) – الإمام ابن رجب – الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ، المكتب الإسلامي .

١٣١ - حكم وأحكام من السيرة النبوية - عبد الله عبد الغني خياط - الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ، منشورات دار الرفاعى للنشر والطباعة والتوزيع .

١٣٢ - حلة الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز - عبد الغني بن إسماعيل النابلسي - تحقيق صلاح الدين المنجد ، إصدار المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت سنة ١٩٧٩ م .

١٣٣ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني - الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ ، الناشر : دار الكتاب العربي في بيروت .

١٣٤ - الحوادث والبدع - أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي - دار الأصفهاني وشركاه بجدة . تحقيق محمد الطالبي .

١٣٥ - حوار مع المالكي في رد منكراته وضلالاته - الشيخ عبد الله بن سليمان ابن منيع - الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض .

١٣٦ - حياة الصحابة - الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي - دار القلم ١٣٨٨ هـ . تحقيق نايف العباسي ومحمد علي دولة .

١٣٧ - الخصائص الكبرى - جلال الدين السيوطي - دار الكتب العلمية في بيروت (بدون تاريخ) .

١٣٨ - الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة - علي باشا مبارك - الطبعة الأولى ١٣٠٦ هـ ، المطبعة الكبرى ببولاق بمصر .

١٣٩ - خطط الشام - محمد كرد علي - الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ ، الناشر : مكتبة النوري بدمشق .

- الخطط والآثار للمقريزي = المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار .

١٤٠ - الدر النّضيد في إخلاص كلمة التوحيد - الإمام محمد بن علي الشوكاني - مصور عن الطبعة الأولى سنة ١٣٥٠ هـ ، دار الكتب العلمية (ضمن الرسائل السلفية) .

١٤١ – دلائل النبوة – الإمام أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي – الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ، دار حراء للنشر والتوزيع بمكة المكرمة . تحقيق عامر حسن صبري .

١٤٢ – دلائل النبوة المحمدية في ضوء المعارف الحديثة – محمود مهدي استانبولي – الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ، مكتبة المعلا بالكويت .

١٤٣ – دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة – الإمام أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي – الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، دار الكتب العلمية في بيروت . تحقيق د. عبد المعطي قلعجي .

١٤٤ – دلالة القرآن المبين على أن النبي أفضل العالمين – أبو الفضل عبد الله ابن محمد الصديق الغماري – الناشر : مكتبة القاهرة (بدون تاريخ) .

١٤٥ – دور المسجد في التربية – الدكتور عبد الله بن أحمد قادري – دار الأصفهاني للطباعة بجدة سنة ١٤٠٧ هـ ، الناشر : دار المجتمع للنشر والتوزيع .

١٤٦ – الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب – ابن فرحون المالكي – دار التراث للطبع والنشر بالقاهرة (بدون تاريخ) . تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور .

١٤٧ – الدين الخالص – محمد صديق حسن – مكتبة الفرقان (بدون تاريخ) . تحقيق محمد زهري النجار .

١٤٨ – الذخائر القدسية في زيارة خير البرية – عبد الحميد بن محمد علي قدس ابن الخطيب – الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ، دار الرائد العربي في بيروت .

١٤٩ – الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة – سعيد بن علي بن وهف القحطاني – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ، دار الرشد للنشر والتوزيع بالرياض .

١٥٠ – ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي – شمس الدين محمد بن علي الحسيني الدمشقي – دار إحياء التراث العربي (بدون تاريخ) .

١٥١ – ذيل طبقات الحفاظ للذهبي – جلال الدين السيوطي – دار إحياء التراث العربي (طبع ضمن ذيول تذكرة الحفاظ للذهبي) .

١٥٢ – الذيل على طبقات الحنابلة – ابن رجب – الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر في بيروت (بدون تاريخ) .

١٥٣ – رحلة ابن بطوطة – أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة – دار التراث سنة ١٣٨٨ هـ .

١٥٤ – رحلة ابن جبير – محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي – دار صادر ، ودار بيروت سنة ١٣٨٤ هـ .

١٥٥ – رحلة الصدّيق إلى البيت العتيق – صديق حسن خان – الطبعة الثالثة ١٤٠٦ هـ ، دار ابن القيم . تعليق عبد الحكيم شرف الدين .

١٥٦ – رحلتي إلى القدس – عبد الغني النابلسي – مصور عن مطبعة جريدة الإخلاص بمصر عام ١٩٠٢ م ، الناشر : مكتبة القاهرة .

١٥٧ – الرخصة في تقبيل اليد – أبو بكر محمد بن إبراهيم الأصبهاني المعروف بابن المقرىء – النشرة الأولى ١٤٠٢ هـ ، دار العاصمة بالرياض . تقديم وتخريج محمود بن محمد الحداد .

١٥٨ – الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية – شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية – طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء سنة ١٤٠٤ هـ . تحقيق العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني .

١٥٩ – الرد على البكري – ابن تيمية – الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ، الناشر : الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع بدلهي في الهند .

١٦٠ – الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي وبيان أخطائهم في المولد النبوي – الشيخ حمود بن عبد الله التويجرى – الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ، دار اللواء للنشر والتوزيع .

١٦١ – الرسائل المفيدة – الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن

آل الشيخ – دار العلوم للطباعة بالقاهرة (بدون تاريخ) . تقديم وتصحيح عبد الرحمن بن سليمان الرويشد .

١٦٢ – رسالة إلى كل مسلم – الإمام ابن القيم – الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ، مطبعة المدني بالقاهرة . مراجعة وتعليق د. أسامه محمد عبد العظيم .

١٦٣ – رسالة الشرك ومظاهره – مبارك بن محمد الميلي – الطبعة الثانية ١٩٦٦ م مكتبة النهضة الجزائرية بالجزائر .

١٦٤ – الرسل والرسالات – الدكتور عمر سليمان الأشقر – الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ طبع دار النفائس في بيروت ، نشر مكتبة الفلاح بالكويت .

١٦٥ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – العلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي – النشرة الثانية (بدون تاريخ) ، إدارة الطباعة المنيرية ، تصوير دار إحياء التراث العربي في بيروت .

١٦٦ – الروض المربع بشرح زاد المستقنع – منصور بن يونس البهوتي – الطبعة السادسة ١٣٨٠ هـ ، المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة ، الناشر : المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

١٦٧ – رياض الجنة في الرد على أعداء السنة – أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي – الطبعة الثانية (بدون تاريخ) مطبعة المدني بمصر ، الناشر : دار الخلفاء للكتاب الإسلامي بالكويت .

١٦٨ – رياض الصالحين – الإمام أبو زكريا النووي – الطبعة الثامنة ١٤٠٤ هـ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، نشر مكتبة الرياض الحديثة .

١٦٩ – زاد المسير في علم التفسير – الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزي – الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ ، المكتب الإسلامي .

١٧٠ – زاد المعاد في هدي خير العباد – الإمام ابن القيم – الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع . تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط .

١٧١ – زمزم طعام طعم وشفاء سقم – يحيى حمزة كوشك – الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ، مطابع دار العلم للطباعة والنشر بجدة .

١٧٢ – زيارة القبور الشرعية والشركية – الإمام محيى الدين محمد البركوي – طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء سنة ١٤٠٤ هـ .

١٧٣ – سبل السلام . شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام – الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني – مطابع الرياض سنة ١٣٩٧ هـ . تصحيح وتعليق د. خليل إبراهيم ملا خاطر .

١٧٤ – سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها – محمد ناصر الدين الألباني – الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ، المكتب الإسلامي .

١٧٥ – سنن ابن ماجه – الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني – دار إحياء التراث العربي ١٣٩٥ هـ . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

١٧٦ – سنن أبي داود – الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي – الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ ، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع . إعداد وتعليق عزت الدعاس وعادل السيد .

١٧٧ – سنن البيهقي (السنن الكبرى) – أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي – دار الفكر في بيروت (بدون تاريخ) .

١٧٨ – سنن الترمذي (الجامع الصحيح) – أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة – دار إحياء التراث العربي في بيروت (بدون تاريخ) تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر .

١٧٩ – سنن الدارقطني – الإمام علي بن عمر الدارقطني – دار المحاسن للطباعة بالقاهرة سنة ١٣٨٦ هـ . تحقيق السيد عبد الله هاشم المدني .

١٨٠ – سنن الدارمي – أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي – نشر دار إحياء السنة النبوية . (بدون تاريخ) .

١٨١ – سنن النسائي – الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي – دار إحياء التراث العربي في بيروت (بدون تاريخ) .

١٨٢ – السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات – محمد عبد السلام خضر الشقيري – دار الكتب العلمية في بيروت سنة ١٤٠٠ هـ .

١٨٣ – السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة – الدكتور أحمد صبحي منصور – الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ، مطبعة الدعوة الإسلامية .

١٨٤ – سير أعلام النبلاء – الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي – مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع . تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين .

١٨٥ – السيرة النبوية – الإمام إسماعيل بن كثير – دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت سنة ١٣٩٣ هـ . تحقيق مصطفى عبد الواحد .

١٨٦ – السيرة النبوية – أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري – مؤسسة علوم القرآن (بدون تاريخ) . تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي .

١٨٧ – شجرة النور الزكية في طبقات المالكية – الشيخ محمد بن محمد مخلوف – مصور عن الطبعة السلفية الأولى (بدون تاريخ) الناشر : دار الكتاب العربي .

١٨٨ – شذرات الذهب في أخبار من ذهب – أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي – منشورات دار الآفاق الجديدة في بيروت (بدون تاريخ) .

١٨٩ – شرح الأربعين حديثا النووية – الإمام محمد بن علي بن وهب المعروف بابن دقيق العيد – مكتبة السلام العالمية (بدون تاريخ) تقديم وتعليق أسامه عبد الكريم الرفاعي .

١٩٠ – شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم – الإمام أبو القاسم هبه الله بن الحسن ابن منصور الطبري اللالكائي – الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع (بدون تاريخ) تحقيق د. أحمد سعد حمدان .

١٩١ – شرح حديث النزول – ابن تيمية – الطبعة الخامسة ١٣٩٧ هـ ، منشورات المكتب الإسلامي .

١٩٢ – شرح السنة – الإمام الحسين بن مسعود الفراء البغوي – الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ ، المكتب الإسلامي . تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط .

١٩٣ – شرح الصدور في تحريم رفع القبور – محمد بن علي الشوكاني – مصور عن الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هـ ، دار الكتب العلمية (ضمن الرسائل السلفية) .

١٩٤ – شرح العقيدة الطحاوية – العلامة علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي – الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ، الناشر : مكتبة دار البيان . تحقيق شعيب الأرناؤوطى .

١٩٥ – شرح القصيدة النونية (الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية) لابن القيم – الدكتور محمد خليل هراس – دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر (بدون تاريخ) .

١٩٦ – شرح النووي لصحيح مسلم – الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي – المطبعة المصرية ومكتبتها (بدون تاريخ) .

١٩٧ – الشريعة – الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجرّي – الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ مطابع الأشرف في لاهور بالباكستان . تحقيق محمد حامد الفقي .

١٩٨ – الشفا بتعريف حقوق المصطفى – القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي – دار الفكر في بيروت ١٤٠٥ هـ .

١٩٩ – شفاء السقام في زيارة خير الأنام – تقي الدين السبكي – توزيع دار جوامع الكلم بالقاهرة (بدون تاريخ) .

٢٠٠ – شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل – ابن قيم الجوزية – دار الفكر ١٣٩٨ هـ . تصحيح محمد بدر الدين النعساني .

٢٠١ – شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام – تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي – دار الكتب العلمية في بيروت (بدون تاريخ) .

٢٠٢ - الصارم المنكي في الرد علي السبكي - الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عبد الهادي المقدسي - طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء سنة ١٤٠٣ هـ . تصحيح وتعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري .

٢٠٣ - الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) - إسماعيل بن حماد الجوهري - الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ، دار العلم للملايين . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار .

صحيح ابن حبان = الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان .

٢٠٤ - صحيح ابن خزيمة - الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري - المكتب الإسلامي ١٤٠٠ هـ . تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي .

٢٠٥ - صحيح البخاري - الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - المكتبة الإسلامية باستانبول ١٩٨١ م .

٢٠٦ - صحيح الجامع الصغير وزيادته - محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ ، المكتب الإسلامي .

٢٠٧ - صحيح مسلم - الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٣ هـ . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

٢٠٨ - صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم - الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري - الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ، نشر وتوزيع مكتبة دار الأرقم بالكويت .

٢٠٩ - صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان - العلامة محمد بشير السهسواني الهندي - الطبعة الخامسة ١٣٩٥ هـ ، مطابع نجد التجارية .

٢١٠ - الطب النبوي - الإمام ابن قيم الجوزية - دار الفكر (بدون تاريخ) .

٢١١ - طبقات الحفاظ - الإمام جلال الدين السيوطي - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ، دار الكتب العلمية في بيروت .

٢١٢ – طبقات الحنابلة – القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلي – الناشر : دار المعارف للطباعة والنشر في بيروت .

٢١٣ – طبقات الشافعية – أبو بكر بن هداية الله الحسيني – الطبعة الأولى ١٩٧١ م ، دار الآفاق الجديدة . تحقيق عادل نويهض .

٢١٤ – طبقات الشافعية الكبرى – تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي – الطبعة الثانية (بدون تاريخ) دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت .

٢١٥ – الطبقات الكبرى – أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري – دار صادر في بيروت (بدون تاريخ) .

٢١٦ – طبقات المفسرين – جلال الدين السيوطي – الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ ، مطبعة الحضارة العربية ، الناشر : مكتبة وهبة بالقاهرة . تحقيق علي محمد عمر .

٢١٧ – طريق الهجرتين وباب السعادتين – الإمام ابن القيم – الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ ، المطبعة السلفية ومكتبتها .

٢١٨ – العالم الإسلامي : المنطقة العربية – محمود شاكر – الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ المكتب الإسلامي .

٢١٩ – عالم الجن والشياطين – عمر سليمان الأشقر الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ ، مكتب الفلاح بالكويت .

٢٢٠ – عالم الملائكة الأبرار – عمر سليمان الأشقر – الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ ، مكتب الفلاح بالكويت .

٢٢١ – العبر في خبر من غبر – الإمام الذهبي – الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، دار الكتب العلمية في بيروت .

٢٢٢ – عظمة الرسول ﷺ – محمد عطية الإبراشي – الطبعة الثالثة (بدون تاريخ) عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٢٢٣ – عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل – خليل إبراهيم ملا خاطر – الطبعة الخامسة ١٤٠٤ هـ ، دار القبلة للثقافة الإسلامية .

٢٢٤ – العقلية الإسلامية وفكرة المولد – على بن محمد العيسى – الطبعة الأولي (بدون تاريخ) الناشر : مكتبة الخريجي .

٢٢٥ – عقود الجمان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان – محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي – مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة (بدون تاريخ) .

٢٢٦ – العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة – الدكتور محمد أبو الغيط الفرت والدكتور محمد رواس قلعه جي – الطبعة الأولي ١٤٠٣ هـ ، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع في الكويت .

٢٢٧ – العقيدة الإسلامية وأسسها – عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني – الطبعة الثالثة ١٩٨٣ ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق .

٢٢٨ – عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية – أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي – الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض .

٢٢٩ – عقيدة المؤمن – أبو بكر جابر الجزائري – مطبعة الحلبي (بدون تاريخ) ، الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة .

٢٣٠ – العقيدة الواسطية – شيخ الإسلام ابن تيمية – مطابع جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ١٤٠١ هـ .

٢٣١ – عمدة القاري شرح صحيح البخاري – الإمام بدر الدين محمد بن أحمد العيني – دار الفكر ١٣٩٩ هـ .

٢٣٢ – عمل اليوم والليلة – أبو بكر أحمد بن محمد الدينوري المعروف بابن السني – دار المعرفة في بيروت ١٣٩٩ هـ .

٢٣٣ – عنوان المجد في تاريخ نجد – العلامة عثمان بن عبد الله بن بشر – الناشر : مكتبة الرياض الحديثة بالرياض (بدون تاريخ) .

٢٣٤ – غاية الأماني في الرد على النبهاني – العلامة محمود شكري الألوسي – مطابع نجد التجارية بالرياض (بدون تاريخ) .

٢٣٥ – فتاوي إسلامية – مجموعة من العلماء – مصور عن عدة صحف ومجلات (بدون تاريخ) – جمع وترتيب محمد المسند .

٢٣٦ – فتاوي الإمام محمد رشيد رضا – الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ ، دار الكتاب الجديد في بيروت . جمع وتحقيق د. صلاح الدين المنجد . يوسف خوري .

٢٣٧ – فتاوي تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة – سماحة الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن باز واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء – مطابع الأمن العام (بدون تاريخ) .

٢٣٨ – فتاوي ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ – مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٩٩ هـ . جمع وترتيب وتحقيق محمد ابن عبد الرحمن بن قاسم .

٢٣٩ – فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري – الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (بدون تاريخ) . تحقيق سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي .

٢٤٠ – الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني أحمد بن عبد الرحمن البنا – دار الشهاب بالقاهرة (بدون تاريخ) .

٢٤١ – فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير الإمام محمد بن علي الشوكاني – الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر في بيروت (بدون تاريخ) .

٢٤٢ – فتح المتعال في مدح النعال أحمد بن محمد المغربي المقرتي الطبعة الأولى ١٣٣٤ هـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند .

٢٤٣ – فتح المجيد شرح كتاب التوحيد الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد ابن عبد الوهاب – طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء سنة ١٤٠٣ هـ .

٢٤٤ – الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان شيخ الإسلام ابن تيمية الطبعة الرابعة ١٣٩٧ هـ ، المكتب الإسلامي .

٢٤٥ - فصول من تاريخ المدينة المنورة - علي حافظ - طبع ونشر شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر بجدة (بدون تاريخ) .

٢٤٦ - فضائل بيت المقدس - الإمام محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق . تحقيق محمد مطيع الحافظ .

٢٤٧ -فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة - الدكتور محمود إبراهيم - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ، منشورات معهد المخطوطات العربية بالكويت .

٢٤٨ - فضائل الشام ودمشق - أبو الحسن علي بن محمد الربعي - مطبعة الترقي بدمشق ١٩٥٠ م . تحقيق صلاح الدين المنجد .

٢٤٩ - فضائل القدس - الإمام ابن الجوزي - الطبعة الأولى ١٩٧٩ م ، منشورات دار الآفاق الجديدة في بيروت . تحقيق د. جبرائيل سليمان جبور .

٢٥٠ - فضائل القرآن - الإمام ابن كثير - الطبعة الرابعة ١٩٧٩ م ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت .

٢٥١ - الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة - عبد الرحمن عبد الخالق - الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ، مكتبة ابن تيمية بالكويت .

٢٥٢ - الفوائد البهية في تراجم الحنفية - محمد عبد الحي اللكنوي - دار المعرفة في بيروت (بدون تاريخ) .

٢٥٣ - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة - الإمام الشوكاني - مطبعة السنة المحمدية ١٣٩٨ هـ . تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني .

٢٥٤ - فيض الوهاب في بيان أهل الحق ومن ضل عن الصواب - عبد ربه بن سليمان ابن محمد الشهير بالقليوبي - دار القومية العربية للطباعة سنة ١٣٨٣ هـ .

٢٥٥ - قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة - شيخ الإسلام ابن تيمية - منشورات المكتب الإسلامي ١٣٩٠ هـ .

٢٥٦ - قاعدة في المحبة - شيخ الإسلام ابن تيمية - دار المدنية للطبع والنشر بالقاهرة (بدون تاريخ) . تحقيق د. محمد رشاد سالم .

٢٥٧ - القاموس المحيط - أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز ابادي - دار الكتب العلمية ١٣٩٩ هـ . ترتيب الطاهر أحمد الزاوي .

٢٥٨ - القري لقاصد أم القري - الحافظ أحمد بن عبد الله الطبري المكي - الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٢٥٩ - القول البديع في الصلاة علي الحبيب الشفيع - الإمام محمد بن عبد الرحمن السخاوي - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ، دار الكتب العلمية في بيروت .

٢٦٠ - القول الفصل في حكم الإحتفال بمولد خير الرسل ﷺ - الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري - طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء سنة ١٤٠٥ هـ .

٢٦١ - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة - الإمام الذهبي - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ، دار الكتب العلمية في بيروت .

٢٦٢ - كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد - شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - مطابع الرياض (بدون تاريخ) . طبع ضمن مؤلفات الشيخ (القسم الأول) توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٢٦٣ - كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل - الإمام محمد بن إسحق ابن خزيمة - توزيع دار الباز بمكة المكرمة ١٣٩٨ هـ . مراجعة وتعليق محمد خليل هراس .

٢٦٤ - كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة - الحافظ نور الدين علي ابن أبي بكر الهيثمي - الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ، مؤسسة الرسالة في بيروت ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي .

٢٦٥ - كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس

– إسماعيل بن محمد العجلوني – مصور عن الطبعة الثالثة ١٣٥١ هـ ، دار إحياء التراث العربي في بيروت .

٢٦٦ – كشف الستر عما ورد في السفر إلى القبر – الشيخ حماد بن محمد الأنصاري – مكتبة المعلا بالكويت ١٤٠٦ هـ . رسالة طبعت ضمن (السلسلة الأنصارية (١)) .

٢٦٧ – كشف الشبهات – الشيخ محمد بن عبد الوهاب – مطابع الرياض (بدون تاريخ) مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ (القسم الأول) توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٢٦٨ – كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون – مصطفى بن عبد الله القسطنطي المعروف بحاجي خليفة – دار الفكر ١٤٠٢ هـ .

٢٦٩ – الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ – محمود عبد الرؤوف القاسم – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ، توزيع دار الصحابة للطباعة والنشر في بيروت .

٢٧٠ – كمال الأمة في صلاح عقيدتها – أبو بكر جابر الجزائري – الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ، مكتبة القدس الإسلامية بجدة .

٢٧١ – كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال – علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي – الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ ، مؤسسة الرسالة في بيروت .

٢٧٢ – الكواشف الجلية عن معاني الواسطية – عبد العزيز بن محمد السلمان – الطبعة السادسة ١٣٩٨ هـ ، الناشر : مكتبة الرياض الحديثة بالرياض .

٢٧٣ – لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ – تقي الدين محمد بن فهد المكي – دار إحياء التراث العربي في بيروت (بدون تاريخ) طبع ضمن ذيول تذكرة الحفاظ .

٢٧٤ – لسان العرب – العلامة أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور – دار صادر في بيروت (بدون تاريخ) .

٢٧٥ – لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف – الإمام ابن رجب – دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة في بيروت (بدون تاريخ) .

٢٧٦ – اللمع في الحوادث والبدع – إدريس بيدكن بن عبد الله التركماني – دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة (بدون تاريخ) . تقديم صبحي لبيب .

٢٧٧ – لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية – العلامة محمد بن أحمد السفاريني – الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ، منشورات مؤسسة الخافقين ومكتبتها بدمشق .

٢٧٨ – ليلة القدر : معناها . وقتها . الدعاء فيها – أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين العراقي – الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ، الناشر : مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة .

٢٧٩ – ماء الموائد (الرحلة العياشية) – أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي – مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر بالرباط (بدون تاريخ) .

٢٨٠ – المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح – الحافظ عبد المؤمن بن خلف الدمياطي – الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة . تحقيق محمد رضوان وعبد الملك بن دهيش .

٢٨١ – مجالس شهر رمضان – الشيخ محمد بن صالح العثيمين – الناشر : دار المجتمع للنشر والتوزيع ١٤٠٦ هـ .

٢٨٢ – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي – الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ ، منشورات دار الكتاب العربي .

٢٨٣ – المجموع شرح المهذب – الإمام النووي – دار الفكر (بدون تاريخ) .

٢٨٤ – مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – تصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي وابنه محمد .

٢٨٥ – مجموع فتاوى ومقالات متنوعة – الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز – الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ، شركة العبيكان للطباعة والنشر بالرياض . إشراف د. محمد بن سعد الشويعر .

٢٨٦ – مجموعة الرسائل الكبرى – ابن تيمية – دار الفكر (بدون تاريخ) .

٢٨٧ – محاضرات في العقيدة الإسلامية – الدكتور فاروق أحمد دسوقي – دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع (بدون تاريخ) .

٢٨٨ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – القاضي أبو محمد عبد الحق ابن غالب بن عطية الأندلسي – مطبعة فضالة بالمغرب ١٤٠٠ هـ . تحقيق المجلس العلمي بفاس بالمغرب .

٢٨٩ – محمد رسول الله ﷺ – محمد الصادق عرجون – الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق .

٢٩٠ – مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم – اختصار الشيخ محمد بن الموصلي – توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض (بدون تاريخ) .

٢٩١ – مختصر الفتاوى المصرية لشيخ الإسلام ابن تيمية – اختصار بدر الدين محمد بن علي البعلي – الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ ، دار نشر الكتب الإسلامية بالباكستان . تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي .

٢٩٢ – المدائح النبوية بين المعتدلين والغلاة – الدكتور محمد بن سعد بن حسين – الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض .

٢٩٣ – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – الإمام ابن القيم – الناشر : دار الكتاب العربي سنة ١٩٧٢ م . تحقيق محمد حامد الفقي .

٢٩٤ – المدخل – أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي الشهير بابن الحاج – دار الحديث ١٤٠١ هـ .

٢٩٥ – مرآة الزمان في تاريخ الأعيان – شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي الشهير بسبط ابن الجوزي – الطبعة الأولى ١٣٧٠ هـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند .

٢٩٦ – مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – علي بن سلطان القاري – المكتبة الامدادية بالباكستان (بدون تاريخ) .

٢٩٧ – المستدرك على الصحيحين – الإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري – الناشر : دار الكتاب العربي في بيروت (بدون تاريخ) .

٢٩٨ – المسجد الأقصى المبارك وما يتهدده من حفريات اليهود – محمد علي حمدة – مطبعة الشرق في عمان ١٤٠٢ هـ ، الناشر : مكتبة الرسالة الحديثة .

٢٩٩ – المسجد النبوي الشريف ومزارات أهل البيت – إسماعيل أحمد إسماعيل والنبوي جبر سراج – دار الشعب بالقاهرة (بدون تاريخ) .

٣٠٠ – المسجد النبوي عبر التاريخ – الدكتور محمد السيد الوكيل – الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ، دار المجتمع للنشر والتوزيع .

٣٠١ – مسند أبي داود الطيالسي – الحافظ سليمان بن داود بن الجارود – دار المعرفة (بدون تاريخ) .

٣٠٢ – مسند الإمام أحمد بن حنبل – الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر في بيروت .

٣٠٣ – المسيحية – الدكتور أحمد شلبي – الطبعة السادسة ١٩٧٨ م ، الناشر : مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

٣٠٤ – مشاهير علماء نجد وغيرهم – عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ – الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ ، طبع بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر .

٣٠٥ – مشكاة المصابيح – محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي – الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ ، المكتب الإسلامي . تحقيق محمد ناصر الدين الألباني .

٣٠٦ – مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه – أحمد بن أبي بكر البوصيري – مطبعة حسان بالقاهرة (بدون تاريخ) . تحقيق وتعليق موسى محمد علي والدكتور عزت علي عطية .

٣٠٧ – مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام – الشيخ عبد اللطيف ابن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ – نشر وتوزيع دار الهداية للطبع والنشر والترجمة بالرياض .

٣٠٨ – المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي – أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي – المكتبة العلمية في بيروت (بدون تاريخ) .

٣٠٩ – المصنف – الحافظ أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني – الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ، المكتب الإسلامي . تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي .

٣١٠ – المصنف في الأحاديث والآثار – الإمام عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي – الدار السلفية بالهند (بدون تاريخ) . تحقيق الأستاذ عامر العمري الأعظمي .

٣١١ – معارج الألباب في مناهج الحق والصواب – العلامة حسين بن مهدي النعمي – الطبعة الثالثة ١٤٠٥ ، مكتبة المعارف بالرياض .

٣١٢ – معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد – الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي – الناشر : جماعة إحياء التراث (بدون تاريخ) .

٣١٣ – معالم السنن . شرح سنن أبي داود – حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي – طبع بحاشية سنن أبي داود ، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ في دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق .

٣١٤ – معالم مكة التاريخية والأثرية – عاتق بن غيث البلادي – الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ، دار مكة للنشر والتوزيع .

٣١٥ – معاني القرآن – أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء – الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ ، عالم الكتب .

٣١٦ – معجم الأدباء – ياقوت بن عبد الله الحموي – دار المستشرق في بيروت (بدون تاريخ) .

٣١٧ – معجم البلدان – ياقوت بن عبد الله الحموي – دار صادر في بيروت ١٣٩٩ هـ .

٣١٨ – معجم قبائل العرب القديمة والحديثة – عمر رضا كحالة – الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ ، مؤسسة الرسالة .

٣١٩ – المعجم الكبير – الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني – الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ ، مطبعة الوطن العربي في بغداد . تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي .

٣٢٠ – معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع – عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي – الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ ، عالم الكتب . تحقيق مصطفى السقا .

٣٢١ – معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية – عاتق غيث البلادي – الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع بمكة المكرمة .

٣٢٢ – المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي – إعداد جماعة من المستشرقين – مطبعة بريل في مدينة ليدن ١٩٣٦ م .

٣٢٣ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – إعداد محمد فؤاد عبد الباقي – الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ ، دار الفكر في بيروت .

٣٢٤ – معجم مقاييس اللغة – أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا – الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . تحقيق عبد السلام محمد هارون .

٣٢٥ – معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة – دار إحياء التراث العربي في بيروت (بدون تاريخ) .

٣٢٦ – المعجم الوسيط – إعداد جماعة من العلماء – المكتبة العلمية في طهران (بدون تاريخ) .

٣٢٧ – المغني – أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي – مكتبة الرياض الحديثة ١٤٠١ هـ .

٣٢٨ – مفاهيم يجب أن تصحح – محمد علوي المالكي – الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، دار الإنسان للتأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

٣٢٩ – مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة – الإمام ابن القيم – دار الكتب العلمية في بيروت (بدون تاريخ) .

٣٣٠ – المفردات في غريب القرآن – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني – دار المعرفة في بيروت (بدون تاريخ) . تحقيق محمد سيد كيلاني .

٣٣١ – المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة – الإمام محمد عبد الرحمن السخاوي – الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ . دار الكتب العلمية في بيروت .

٣٣٢ – مكة في القرن الرابع عشر الهجري – محمد عمر رفيع – الطبعة الأولي ١٤٠١ هـ ، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع .

٣٣٣ – المنار المنيف في الصحيح والضعيف – الإمام ابن القيم – الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ ، الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب . تحقيق عبد الفتاح أبو غدة .

٣٣٤ – مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة وآثار السلف وسرد ما ألحق الناس بها من البدع – محمد ناصر الدين الألباني – الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ ، المكتب الإسلامي .

٣٣٥ – مناقب الإمام أحمد بن حنبل – الإمام ابن الجوزي – الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ الناشر : مكتبة الخانجي بمصر . تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي .

٣٣٦ – المنثورات وعيون المسائل المهمات – الإمام النووي – الطبعة الأولي ١٤٠٢ هـ ، مطبعة حسان بالقاهرة . تحقيق عبد القادر عطا .

٣٣٧ – منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبو داود – أحمد بن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي – الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ ، الناشر : المكتبة الإسلامية في بيروت .

٣٣٨ – منكرات الأفراح وآثارها السيئة على الفرد والأمة – جماعة من العلماء – مكتبة التوعية الإسلامية بالقاهرة (بدون تاريخ) . تحقيق محمود مهدي الأستانبولي .

٣٣٩ – منكرات المآتم والموالد – طائفة من علماء الأزهر – الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ، الناشر : مكتبة التوعية الإسلامية . تحقيق محمود مهدي الاستانبولي .

٣٤٠ – منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية – شيخ الإسلام ابن تيمية – الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . تحقيق د. محمد رشاد سالم .

٣٤١ – منهاج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة على ضوء الكتاب والسنة – محمد ابن جميل زينو – الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ ، مكتب المعارف بالرياض .

٣٤٢ – منهاج المسلم – أبو بكر الجزائري – الطبعة الثامنة ١٣٨٦ هـ ، دار الفكر .

٣٤٣ – منية السول في تفضيل الرسول ﷺ – الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام – الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ، دار الكتاب الجديد في بيروت . تحقيق د. صلاح الدين المنجد .

٣٤٤ – المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار – تقي الدين أحمد بن علي المقريزي – دار صادر في بيروت (بدون تاريخ) .

٣٤٥ – المواهب اللدنية بالمنح المحمدية – أحمد بن محمد بن أبي بكر الخطيب القسطلاني – دار الكتب العلمية (بدون تاريخ) .

٣٤٦ – المورد في عمل المولد – الإمام أبو حفص تاج الدين عمر بن علي اللخمي الفاكهاني – الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ، مكتبة المعارف بالرياض .

٣٤٧ – الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة – إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض – الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ، مطبعة سفير بالرياض .

٣٤٨ – الموطأ – الإمام مالك بن أنس – دار إحياء الكتب العربية (بدون تاريخ) . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

٣٤٩ – ميزان الاعتدال في نقد الرجال – الإمام الذهبي – دار المعرفة للطباعة والنشر (بدون تاريخ) تحقيق علي محمد البجاوي .

٣٥٠ – نبذة في العقيدة الإسلامية – الشيخ محمد بن صالح العثيمين – الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ، دار طيبة بالرياض .

٣٥١ – النبوات – شيخ الإسلام ابن تيمية – دار الكتب العلمية ١٤٠٢ هـ .

٣٥٢ – النزول – الإمام أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني – الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ، مؤسسة الرسالة . تحقيق د. على بن محمد فقيهي .

٣٥٣ – النهاية في غريب الحديث والأثر – الإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير – الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ، دار الفكر . تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي .

٣٥٤ – النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد – جاسم الفهيد الدوسري – الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي بالكويت .

٣٥٥ – نور اللمعة في خصائص الجمعة – جلال الدين السيوطي – طبعت ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ، إدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٣ هـ ، تصوير دار إحياء التراث العربي في بيروت .

٣٥٦ – نور المسرى في تفسير آية الإسراء – أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي – مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠٦ هـ . تحقيق د. علي حسين البواب .

٣٥٧ – نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار . شرح منتقى الأخبار – الإمام محمد ابن علي الشوكاني – دار الجيل في بيروت ١٩٧٣ م .

٣٥٨ – هداية الناسك إلى أهم المناسك – الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد – الطبعة الثالثة ١٣٩٤ هـ ، مؤسسة مكة للطباعة والأعلام .

٣٥٩ – الهدي والبيان في أسماء القرآن – الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي – الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ، المطابع الأهلية بالرياض .

٣٦٠ – هداية العارفين . أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون – إسماعيل باشا البغدادي – دار الفكر ١٤٠٢ هـ .

٣٦١ – هذه مفاهيمنا – صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ – مطابع القصيم بالرياض ١٤٠٦ هـ .

٣٦٢ – هذه هي الصوفية – عبد الرحمن الوكيل – الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ ، دار الكتب العلمية .

٣٦٣ – الوابل الصيّب ورافع الكلم الطيّب – الإمام ابن القيم – مطابع النصر الحديثة بالرياض (بدون تاريخ) . تحقيق الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري .

٣٦٤ – وصايا لضيوف الرحمن – الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رسالة صغيرة أصدرتها الأمانة العامة للتوعية الإسلامية في الحج ١٤٠٥ هـ .

٣٦٥ – الوفا بأحوال المصطفى – الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الشهير بابن الجوزي – الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ ، مطبعة السعادة بمصر . تحقيق مصطفى عبد الواحد .

٣٦٦ – وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى – نور الدين علي بن أحمد المصري السمهودي – الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ ، دار إحياء التراث العربي في بيروت . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

٣٦٧ – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلّكان – دار صادر في بيروت (بدون تاريخ) . تحقيق د. إحسان عباس .

ثالثا : الدوريات :

١ – مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض .

٢ – مجلة الدعوة – مجلة أسبوعية تصدر عن مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية بالرياض .

٣ - مجلة العرب - مجلة شهرية تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض .

٤ - المجلة العربية - مجلة شهرية تصدر في الرياض .

٥ - صحيفة الرياض - جريدة يومية تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية بالرياض .

٦ - وثائق وكالة الأنباء السعودية - إصدار وزارة الإعلام في المملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٨ هـ .

* * *

فهرس الموضـوعـات

الموضوع | الصفحة

المقدمة

أسباب اختيار الموضوع ٥
خطة البحث ٧
منهجي في البحث ١٠
شكر ودعاء ١١

التمهيد

المبحث الأول : بيان أن الخير كله في يدي الله سبحانه وتعالى ١٥
المبحث الثانى : اختصاص الله بعض خلقه بما شاء من الفضل والبركة .. ٢١
المبحث الثالث : معاني « البركة » وما تصرف منها ٢٥
أولا : في اللغة العربية ٢٥
التبريك ٢٧
معنى « تبارك » ٢٨
التبرك ٣٠
ثانيا : في القرآن الكريم ٣١
ثالثا : في الحديث الشريف ٣٧
المبحث الرابع : انقسام التبرك إلى مشروع وممنوع ٣٩

البـاب الأول
أنواع الأمور المباركة

تمهيد : فى تقسيم البركة إلى دينية ودنيوية ٤٣
الفصل الأول : القرآن الكريم ٤٥
الأدلة على بركة القرآن الكريم ٤٥

الموضوع	الصفحة

فضائل القرآن الكريم ٤٦
علو القرآن على سائر كتب الله ٥٢
إعجاز القرآن الكريم ٥٣

الفصل الثاني : المبارك من الأشخاص ٥٥

المبحث الأول : الرسول ﷺ ٥٥
فضل الرسول ﷺ ٥٥
أنواع بركاته ﷺ ٥٧
١) البركات المعنوية ٥٧
أهداف رسالته ﷺ مزاياها ٥٨
٢) البركات الحسية ٦٣
أولا : البركة في أفعاله ﷺ ٦٣
ثانيا : البركة في ذاته وآثاره ﷺ ٦٩

المبحث الثاني : الأنبياء ٧٠

تفاضل الأنبياء والرسل ٧٠
أ) الفرق بين النبي والرسول ٧٠
ب) التفاضل بين الأنبياء والرسل ٧١
بركات الأنبياء وفضائلهم ٧٢

المبحث الثالث : الصالحون ٧٩

المطلب الأول : الملائكة ٧٩

صفات الملائكة الخلقية ٧٩
بركاتهم وفضائلهم ٨١
أولا : ما يتصفون به من الأخلاق الكريمة ٨١

الموضوع — الصفحة

ثانيا : ما يقومون به من الوظائف العظيمة والأعمال الجليلة ٨٣
موقف المؤمن من الملائكة ٨٨
آثار وثمرات الأيمان بالملائكة ٨٩

المطلب الثاني : الصالحون من البشر ٩١

المراد بالصالحين ٩١
بركات الصالحين وفضائلهم ٩١
أولا : ما عرفوا به من الاستقامة ٩٢
ثانيا : المنافع الحاصلة بسببهم ٩٣
ثالثا : ما يجريه الله على أيدي بعضهم من الكرامات ٩٧

الفصل الثالث : المساجد ١٠١

المبحث الأول : المسجد الحرام والمشاعر ١٠١

المراد بالمساجد الحرام ١٠١
فضائل المسجد الحرام وبركاته ١٠٢
١) فضائل الصلاة فيه ١٠٢
٢) فضل الأعمال الصالحة فيه ١٠٣
٣) أنه أول مسجد وضع في الأرض ١٠٥
٤) جواز شد الرحل إليه ١٠٥
المشاعر المقدسة داخل المسجد الحرام وخارجه ١٠٦
أولا : الكعبة ١٠٦
ثانيا : مقام إبراهيم ١٠٧
ثالثا : بئر زمزم ١٠٨
رابعا : الصفا والمروة ١٠٨

الموضوع | الصفحة

خامسا : منى ١٠٨
سادسا : رحاب عرفات ١٠٩
سابعا : رحاب مزدلفة ١٠٩

المبحث الثاني : مسجد النبي ﷺ وفضل المدينة ١١٥

بركة مسجد النبي ﷺ وفضله ١١٥
١) فضل الصلاة فيه ١١٥
٢) فضل ما بين بيت الرسول ﷺ ومنبره ١١٦
٣) جواز شد الرحل إليه ١١٧
فضائل المدينة ١١٧
فضل مسجد قباء ١١٧
دعاء النبي ﷺ بالبركة للمدنية ١١٨
وجود البركة في صاع أهل المدينة ومدهم وثمرهم ١١٩
فضل تمر عجوة المدينة ومنافعه ١٢٠
رفع الوباء والحمى عن المدينة ببركة دعائه ﷺ ١٢٢
حماية المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها ١٢٢
معاقبة الله تعالى من أراد أهل المدينة بسوء ١٢٣
فضل سكنى المدينة والبقاء بها ١٢٣
تحريم الرسول ﷺ المدينة ، وتحريم صيدها وشجرها ١٢٤
فضل وادي العقيق وبركته ١٢٥

المبحث الثالث : المسجد الأقصى ١٢٦

فضائل المسجد الأقصى وبركاته ١٢٦
١) فضل الصلاة فيه ١٢٦
٢) جواز شد الرحل إليه ١٢٨
٣) وجود البركة حوله ١٢٨

الموضوع	الصفحة

٤) أنه ثاني مسجد وضع في الأرض بعد المسجد الحرام .. ١٢٩
٥) الإسراء بالرسول ﷺ إليه ١٢٩

المبحث الرابع : سائر المساجد ١٣٠

فضائل المساجد وبركاتها ١٣٠
١) المساجد بيوت الله تعالى في الأرض ١٣٠
٢) أداء المسلمين فيها الصلوات المفروضة جماعة كل يوم . ١٣٠
٣) أداء المسلمين فيها لكثير من العبادات البدنية والقلبية .. ١٣٠
٤) فضل السعي إلى المسجد وملازمته ١٣١
٥) أغلب شؤون المسلمين كانت تؤدى فيها ١٣٢
٦) فضل بناء المساجد ١٣٣

الفصل الرابع : المبارك من الأزمنة ١٣٥

المبحث الأول : رمضان ١٣٥

وجوب صيام رمضان ١٣٥
بركات رمضان وفضائله ١٣٥
صيامه سبب لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات ١٣٦
فيه ليلة خير من ألف شهر ١٣٦
ماجاء في فضل هذا الشهر ومزيته ١٣٦
الفضائل والمنافع الدينية والدنيوية من الصيام ١٣٧
عظم فضل الأعمال الصالحة فيه ١٤٠
ما حدث فيه من الأمور الشريفة ١٤٢

المبحث الثاني : ليلة القدر ١٤٤

سبب تسميتها بذلك ١٤٤
بركات ليلة القدر وفضائلها ١٤٤

الموضوع	الصفحة

متى تكون ؟ ١٤٧

المبحث الثالث : عشر ذي الحجة وأيام التشريق ١٤٩

فضائل وبركات عشر ذي الحجة ١٤٩

فضل العمل الصالح في هذه الأيام ١٤٩

فضل يوم عرفة ١٥٠

فضل عيد الأضحى ١٥١

فضل أيام التشريق ١٥٣

المبحث الرابع : الأشهر الحرم ١٥٦

معنى حرمة الأشهر الحرم ١٥٦

بركات الأشهر الحرم وفضائلها ١٥٨

شهر ذي القعدة ١٥٨

شهر ذي الحجة ١٥٩

شهر المحرم ١٦٠

شهر رجب ١٦٢

المبحث الخامس : الجمعة والاثنين والخميس ١٦٥

فضائل يوم الجمعة وبركاته ١٦٥

فضائل يومي الاثنين والخميس وما فيهما من البركة ١٦٩

المبحث السادس : وقت النزول الالهي ١٧١

مذهب أهل السنة في النزول ١٧١

متى وقت النزول ؟ ١٧٢

فضل وقت النزول وبركته ١٧٣

الموضوع	الصفحة

الفصل الخامس : في أنواع أخرى مباركة ١٧٧

١) الشام ١٧٧

الدليل على بركة الشام ١٧٧

فضائل الشام وبركاته ١٧٨

٢) اليمن ١٨١

فضائل اليمن وبركاته ١٨١

٣) المطر ١٨٣

الأدلة على بركة المطر ١٨٣

بركات المطر ومنافعه ١٨٣

ما يشرع عند نزول المطر ١٨٥

٤) شجرة الزيتون ١٨٧

الأدلة على بركتها ١٨٧

منافع هذه الشجرة وبركاتها ١٨٧

٥) اللبن ١٨٩

الدليل على بركة اللبن ١٨٩

منافع اللبن وبركاته ١٨٩

٦) الخيل ١٩١

الدليل على بركة الخيل ١٩١

فضائل الخيل وبركاتها ١٩١

٧) الغنم ١٩٤

الدليل على بركة الغنم ١٩٤

بركة الغنم ومنافعها ١٩٤

٨) النخل ١٩٦

الدليل على بركة النخل ١٩٦

بركات النخلة ومنافعها ١٩٦

الموضوع

الباب الثاني
التبرك المشروع

توطئة ٢٠١

الفصل الأول : التبرك بذكر الله ، وتلاوة القرآن الكريم ٢٠٣

المبحث الأول : التبرك بذكر الله تعالى ٢٠٣

أنواع الذكر ٢٠٣

تسمية الله نوع من الذكر ٢٠٤

الصلاة على النبي ﷺ ٢٠٧

صلة الدعاء بالذكر ٢٠٨

بركات الذكر وفضائله ٢١٠

البركات الدنيوية ٢١٠

البركات الدينية ٢١١

البركات الدينية والدنيوية ٢١٢

المبحث الثاني : التبرك بالقرآن الكريم ٢١٥

بركات التلاوة وفضائلها ٢١٥

آداب تلاوة القرآن الكريم ٢١٨

المبحث الثالث : الرقية بذكر الله تعالى ، وبالقرآن الكريم ٢٢١

معنى الرقية ٢٢١

حكم الرقية وشروطها ٢٢١

نماذج للرقية بذكر الله تعالى ٢٢٤

نماذج للرقية بالقرآن الكريم ٢٢٧

حكم قراءة القرآن في ماء ثم صبه على المريض .. ٢٣١

الموضوع | الصفحة

حكم كتابة القرآن أو الذكر في إناء ثم شربه ٢٣٢
حكم كتابة آيات القرآن على عضو المريض ٢٣٥
حكم تعليق التمائم من القرآن أو الأذكار للتبرك ٢٣٦
حكم كتابة أو تعليق الآيات أو الأذكار على الجدران
ونحوها للتبرك ٢٣٩
حكم وضع المصحف في مكان للتبرك ٢٤٠

الفصل الثاني : المشروع من التبرك بالنبي ﷺ وغيره من الصالحين ٢٤٣

المبحث الأول : تبرك الصحابة به ﷺ في حياته ٢٤٣

نماذج من تبرك الصحابة بالرسول ﷺ في حياته ٢٤٤
تبرك الصحابة بأعضاء جسده ﷺ ٢٤٤
تبركهم بما انفصل منه ﷺ ٢٤٦
التبرك بشعر النبي ﷺ ٢٤٦
التبرك بريق النبي ﷺ ٢٤٧
التبرك بعرق النبي ﷺ ٢٤٨
تبركهم بما لبسه أو لمسه أو فضل منه ﷺ ٢٤٨
التبرك بثياب النبي ﷺ ٢٤٨
التبرك بمواضع أصابع النبي ﷺ ٢٤٩
التبرك بفضل شرب النبي ﷺ ٢٤٩
التبرك بماء وضوئه ﷺ ٢٥٠

المبحث الثاني : التبرك بآثاره ﷺ بعد وفاته ٢٥٢

نماذج من تبرك الصحابة بآثار الرسول ﷺ بعد وفاته ... ٢٥٢
نماذج من تبرك التابعين بآثار الرسول ﷺ بعد وفاته ٢٥٤
هل يوجد شيء من آثار الرسول ﷺ في العصر الحاضر ؟ .. ٢٥٦

الموضوع | الصفحة

المبحث الثالث : هل يقاس عليه ﷺ غيره من الصالحين ؟ ٢٦١
هل فعل الصحابة هذا التبرك مع غيره ﷺ ؟ ٢٦١
ما سبب ترك الصحابة هذا التبرك مع بعضهم ؟ ٢٦٢
حكم قياس الصالحين على النبي ﷺ ٢٦٥

المبحث الرابع : التبرك بمجالسة الصالحين ٢٦٩

أوجه التبرك بمجالسة الصالحين ٢٦٩
١) الانتفاع بعلمهم ٢٦٩
٢) الاستماع إلى وعظهم ونصائحهم ٢٧٠
٣) الانتفاع بدعائهم ٢٧١
٤) التحصل على فضل مجالس الذكر ٢٧٢
تنبيهات مهمة ٢٧٥

الفصل الثالث : التبرك بشرب ماء زمزم ٢٧٩

تمهيد في التعريف بزمزم ٢٧٩

المبحث الأول : خصائص ماء زمزم ٢٨١

المبحث الثاني : صفة التبرك بشربه ٢٨٨

حكم الوضوء والغسل بماء زمزم ٢٩١
حكم الاستنجاء به ٢٩٢
حكم نقل ماء زمزم خارج الحرم ٢٩٣

الفصل الرابع : التبرك بأمور أخرى ٢٩٥

المبحث الأول : السحور ٢٩٥

معناه ٢٩٥

الموضوع الصفحة

وقته ٢٩٥
حكمه ٢٩٦
فضل السحور وبركته ٢٩٦

المبحث الثاني : آداب في الطعام لنيل البركة ٢٩٩

١) الاجتماع على الطعام ٢٩٩
٢) التسمية على الطعام ٣٠٠
٣) الأكل من جوانب إناء الطعام ٣٠١
٤) لعق الأصابع بعد الأكل ، ولعق إناء الطعام ، وأكل اللقمة الساقطة ٣٠٢
٥) بركة كيل الطعام ٣٠٤

المبحث الثالث : خصال حميدة تجلب البركة ٣٠٦

١) الصدق في المعاملة ٣٠٦
٢) سخاء النفس في طلب المال ٣٠٨
٣) التبكير في طلب الرزق ونحوه ٣٠٩

الباب الثالث
التبرك الممنوع

توطئة ٣١٥
الفصل الأول : التبرك بالنبي ﷺ بعد وفاته ٣١٧
تمهيد ٣١٧
المبحث الأول : التبرك بقبره ﷺ ٣١٨
حكم زيارة القبور ٣١٨

الموضوع	الصفحة

حكم زيارة قبر الرسول ﷺ ٣٢٠
حكم شد الرحل للزيارة ٣٢٢
مظاهر التبرك الممنوع بقبره ﷺ ٣٢٤
١) طلب الدعاء أو الشفاعة من الرسول ﷺ عند قبره ٣٢٥
٢) أداء بعض العبادات عند القبر النبوي ٣٢٥
٣) التمسح بالقبر أو تقبيله ٣٢٧
أدلة عدم شرعية التبرك بقبره ﷺ ٣٢٩
شبه المخالفين والرد عليها ٣٢٩

المبحث الثاني : التبرك بالمواضع التي جلس أو صلى فيها ٣٤١

تحرير محل البحث في هذه المسألة ٣٤١
أدلة عدم شرعية التبرك بالمواضع التي جلس أو صلى فيها ﷺ ٣٤٣
شبه المخالفين والرد عليها ٣٣٣
حكم التبرك بأثر قدم الرسول ﷺ ٣٥٢
حكم التبرك بمكان ولادة الرسول ﷺ ٣٥٥

المبحث الثالث : التبرك بليلة مولد الرسول ﷺ ٣٥٩

متى حدث الاحتفال بالمولد النبوي ؟ ٣٦٠
أدلة عدم شرعية التبرك والاحتفال بالمولد النبوي ٣٦٢
شبه المجيزين للتبرك والاحتفال بالمولد النبوي والرد عليها . ٣٦٨

المبحث الرابع : التبرك بليلة الاسراء والمعراج ، وذكرى الهجرة ، ونحو ذلك ٣٧٤

المطلب الأول : التبرك بليلة الاسراء والمعراج ٣٧٤

الموضوع | الصفحة

أدلة عدم شرعية التبرك والاحتفال بليلة الاسراء والمعراج . ٣٧٤

المطلب الثاني : التبرك بذكرى الهجرة ونحوها ٣٧٨

أدلة عدم شرعية التبرك والاحتفال بذكرى الهجرة ونحوها .. ٣٧٨

الفصل الثاني : الممنوع من التبرك بالصالحين في حياتهم وبعد وفاتهم ... ٣٨١

تمهيد ٣٨١

المبحث الأول : التبرك بذوات الصالحين وآثارهم ومواضع عبادتهم واقامتهم ٣٨٢

المطلب الأول : التبرك بذواتهم وآثارهم ٣٨٢

المطلب الثاني : التبرك بمواضع عبادتهم وإقامتهم ٣٨٤

شبه المخالفين والرد عليها ٣٨٤

المبحث الثاني : التبرك بقبورهم ، وحكم الزيارة ٣٨٨

حكم زيارة قبور الصالحين ٣٨٨

حكم شد الرحل للزيارة ٣٨٨

أشهر القبور التي يتبرك بها ٣٩١

مظاهر التبرك بقبور الصالحين ٣٩٤

١) دعاء أصحاب القبور وطلب الحوائج منهم ٣٩٤

٢) أداء بعض العبادات عند قبورهم ٣٩٥

٣) التمسح بالقبور وتقبيلها ٣٩٨

٤) العكوف عند القبور وبناء المساجد والقباب عليها ٣٩٩

أدلة عدم شرعية التبرك بقبور الصالحين ٤٠١

شبه المخالفين والرد عليها ٤٠٧

الموضوع | الصفحة

المبحث الثالث : التبرك بموالدهم ٤١٦
تاريخ الاحتفال بالموالد ٤١٦

الفصل الثالث : التبرك ببعض الجبال والمواضع ٤١٩
المبحث الأول : حكم التبرك بتلك الجبال والمواضع ٤١٩
الأدلة على منع التبرك بتلك الجبال والمواضع ٤٢٠
حكم السفر إلى تلك المواضع ٤٢٤
المبحث الثاني : ما يوجد منها بمكة المكرمة ٤٢٦
أولا : الكعبة وما حولها ٤٢٦
ثانيا : المساجد ٤٢٨
ثالثا : الجبال ٤٣١
رابعا : الدور ٤٣٤
خامسا : المقابر ٤٣٦
سادسا : الموالد ٤٣٧
المبحث الثالث : ما يوجد منها بالمدينة المنورة ٤٣٨
أولا : المسجد النبوي ٤٣٩
ثانيا : المساجد الأخرى ٤٤١
ثالثا : الجبال ٤٤٤
رابعا : الآبار ٤٤٥
خامسا : المقابر ٤٤٦
المبحث الرابع : ما يوجد منها بالشام ٤٤٨
أولا : المسجد الأقصى ٤٤٩

الموضوع | الصفحة

ثانيا : الصخرة ٤٤٩
ثالثا : المساجد الأخرى ٤٥٣
رابعا : الجبال ٤٥٥
خامسا : القبور ٤٥٨

المبحث الخامس : التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها ٤٦١

الباب الرابع
أسباب التبرك الممنوع وآثاره ومقاومته

الفصل الأول : أسباب التبرك الممنوع ٤٦٥
المبحث الأول : الجهل بالدين ٤٦٧
المبحث الثاني : الغلو في الصالحين ٤٧٠
المبحث الثالث : التشبه بالكفار ٤٧٥
المبحث الرابع : تعظيم الآثار ٤٧٩

الفصل الثاني : آثار التبرك الممنوع ٤٨٣
أولا : الشرك ٤٨٣
ثانيا : الابتداع ٤٨٧
ثالثا : اقتراف المعاصي ٤٨٩
رابعا : الوقوع في أنواع من الكذب ٤٩٠
خامسا : تحريف النصوص ٤٩٢
سادسا : إضاعة السنن ٤٩٣
سابعا : التغرير بالجهال وإضلال الأجيال ٤٩٥

الفصل الثالث : وسائل مقاومة التبرك الممنوع ٣٩٧

الموضوع — الصفحة

أولا : نشر العلم ٤٩٧
ثانيا : الدعوة إلى المنهج الحق ٤٩٩
ثالثا : إزالة وسائل الغلو ومظاهر التبرك ٥٠٢

الخاتمة ٥٠٧
الفهارس ٥١٣
فهرس الآيات ٥١٥
فهرس الأحاديث ٥٢٥
فهرس الآثار ٥٣٨
فهرس تراجم الأعلام ٥٤١
فهرس المصادر والمراجع ٥٤٧
فهرس الموضوعات ٥٨٤

* * *

كتب في
التوسل والاستغاثة والتبرك

الكتاب	رقم الصفحة
1 الإيضاح والتبيين في حكم الاستعانة بالأموات والغائبين..	2
2 كيف نفهم التوسل....................................	44
3 التوسل والرد على الشبهات التي حوله.................	115
4 الاحاديث الواردة في التحذير من الشرك وبيان خطره..	145
5 موقف الشافعية المتأخرين من بدع القبور والاستغاثة.	197
6 التوسل المشروع والممنوع...........................	218
7 التوسل بين المشروع والمنع.........................	231
8 رسالة في التوسل والتبرك القبور......................	236
9 التبرك المشروع والممنوع...........................	266
10 التبرك أنواعه وأحكامه................................	336

قناة الكتب المدمجة

دمج وفهرسة الكتب ذات الأجزاء المتعددة